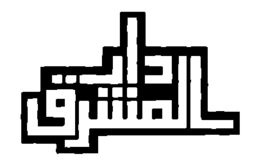

2020
8.1.2020
عارف حجاوي
أول الشعر
عصارة الشعر الجاهلي
والإسلامي والأموي
دار المشرق

أوَّل الشعر

عُصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي

الطبعة الثانية

عارف حجاوي



أوَّل الشعر

الـفـهـرسـة أثـنـاء الـنـشـر - إعـداد دار الـمـشـرق

حجاوي، عارف
أوّل الشعر: عُصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي/ عارف حجاوي.
٦٨٨ص.
١. شعر. أ. العنوان.
892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٦
الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

مقدمة

عندما فرغت من رقن هذا الكتاب وتشكيله وتصحيحه وتنضيد فهارس قوافيه على الحاسوب، طبعته حتى أقرأه قرْأةً أخيرة من على الورق. ومع كل دفقة ورق كانت ترميها الناسخة كان يزيد في قلبي الشك في أن أجرؤ على دفع مثل هذا الشيء إلى المطبعة.

أخجلني حجم الكتاب.

حملت كومة الورق، وانصرفت إلى منزلي مغموماً، وألقيتها في ركن. وقعدت أفكر في أن أنصرف عن الأمر كله. من ذا الذي يريد كومة الورق هذه كتاباً؟

ثم فكرت في أن أختصر الكتاب فأنشر نصفه أو ثلثيه. ثم عادت تنتابني عاصفة خجل من فعلتي هذه التي فعلتها بكتابة شيء كبير كهذا، وعن موضوع كهذا. ولبثت في هذه الحالة حتى انتصف الليل. هوَّمت تهويمة قصيرة لعلها لم تدم سوى خمس دقائق، وقمت متثاقلاً.

تناولت بغير قليل من الغضب، وبكثير من الاشمئزاز، الصفحة الأولى. قرأت. فرحت أنْ لم أجد خطأ مطبعياً. تحمست للصفحة الثانية فالثالثة. وقرأت ما اخترته من معلقة امرئ القيس مع الشرح الذي شرحت، ووقفت وقفة مع نفسي. فكرت في الشروح الكثيرة التي مرت بي لديوان امرئ القيس. شروح قديمة وحديثة، ولكنها كلها عتيقة. كلها يناقش مسائل في اللغة، وكلها ـ كلها بلا استثناء ـ يغضي عن بعض دقائق المعنى. وطالت رقبتي. وبدأت أغفر لنفسي كثيراً مما كنت أخذته عليها.

أتشعر بأنني أكتب هذا الكلام فور الفراغ من قراءتي تلك الغافرة؟ هو ذاك.

عندما كنت حملت كومة الورق إلى منزلي اشمأززت أيضاً لأنني أعالج موضوعاً لا يريده أحد، ولا تحتاج إليه نهضتنا في بلاد العرب. خجلت من أنني قاعد أمضغ الشعر الجاهلي والأموي بينما العربي في أمسِّ الحاجة إلى أن يخلع ملابسه ثم يخلع جلده ثم يريق دمه ويستبدل به دماً جديداً. . دماً فيه فكر لا غوغائية، وفيه إحساس بالواقع.

العربي محتاج ليس حتى إلى اكتساب العلم. . هذه نكتة قديمة. لا، العربي محتاج إلى أن يتخلق بأخلاق جديدة. محتاج إلى منظومة (طاهرة) من الأفكار. و«طاهرة» بين قوسين لأن هذا مستحيل. هو في الواقع محتاج إلى كثير من الواقعية وكثير من العزم، وإلى أن يفهم حالته. فإن كنتَ فهمتَ من كلمة «طاهرة» أنني أدعونا إلى خلع ماضينا فقد فهمت نصف ما أريد.

أريدنا أن نتجدد، لا أن نتزيف. وهنا تفريق كمي أحب أن أعرضه عليك: لو كنا ـ نحن العرب ـ مئة ألف إنسان يسكنون بلداً صغيراً، ولو نشأت بيننا دعوة إلى التخلي عن لغتنا وعاداتنا وتراثنا والالتحاق بأمة كبيرة أخرى، فربما كان الأمر محتمِلاً النقاش الجاد. بعض الجماهر الصغيرة ذابت، وهي ما فتئت تذوب في كل سنة في شعوب كبيرة، فاقدة لغتها وقسطاً كبيراً من تاريخها، ومندثرة من حيث هي جماهر مستقلة. الشعوب تنام، والشعوب تنهض، والشعوب أيضاً تندثر. لكننا نحن العرب كتلة كبيرة. وكانت لدينا دولة وحضارة: أكبر من بعض الدول والحضارات، وأصغر من بعض الدول والحضارات. وما تراه الآن من تشعلُق الأثرياء بالثقافات الأجنبية، ومن إرسالهم أولادهم إلى مدارس أجنبية ليس بداية ذوبان ولا اضمحلال. نحن أكبر من ذلك. هو فقط لعقٌ رخيص لنعل الأجنبي كي يأتي لينهب خيراتنا ويعطي فئة السماسرة الفتات.

نهضتنا لا بد أن تكون من الداخل. والبداية أن نطلب الحرية، وأن نطالب أنفسنا بالمثابرة، وأن نرفض إعطاء زمامنا لفئة السماسرة. هذه الفئة هي مثل الولد الأكبر لأسرة مات عائلها، وهذا الولد يحمل بين الفينة والفينة سجادة من البيت ويبيعها في سوق الدلالين ليَسكَر بثمنها، وحتى تسهل عليه المهمة فقد تعلم من لغة الدلالين «على أونه على دوّي على تري».

فئة السماسرة تعلم أبناءها القشور من اللغات الأجنبية لكي تفتح مكاتب الاستيراد فتستورد للبلد السيارات، ولكي تبيع حقوق التنقيب على المعادن والنفط وحقوق الصيد وحقوق استخدام الموقع الاستراتيجي للأجنبي.

لا علاقة مباشرة لهذا بالشعر الجاهلي والأموي. لكن ثمة علاقة، قد أنجح في توضيحها في الأسطر المقبلة.

خلُصت من قراءتي لصفحات من كتابي هذا إلى أنني مثابر. فأثنيت على نفسي. ورأيت شيئاً آخر. رأيتني لا أتناول موضوعي بالتقديس، ولا بالتبجيل، ولا بلهجة المعلم الصارم، بل بكثير من العبث والأريحية. رأيتني أعرض لك تراثنا دون أن أومئ، ولو إيماء، إلى أنه إرث متفوق على أُروث أقوام آخرين. ثمة رسالة كامنة في ثنايا هذا الكتاب الذي أخجلتني ضخامته: لا للتشدد، الدنيا حلوة بتنوعها.

لن نحتاج إلى كتاب «أول الشعر» في بناء نهضتنا، لكننا لن نخلع ملابسنا، ولا جلدنا، ولن نريق دمنا. وسنعود لنتصالح مع ماضينا، لكن مع فهم حقيقي له. ولنا بالشعر الجاهلي والأموي صلة، وفي أعماقنا كثير من أحداث تاريخنا. في دمائنا القادسية، وفيها أيضاً صفين، وفيها مدح الحاكم والتذلل له، وفيها الغضبات المضرية، وفيها أخلاق الكرم والغدر والظلم والسماحة.

وقبل أن أروي لك قصتي مع هذا الكتاب سأروي لك ملاحظة لاحظتها مؤخراً. قرأت من أقل من سنة كتاباً عن تاريخ فرنسا منذ ثورتها الكبرى حتى اليوم؛ كتاباً كبيراً يقترب من حجم هذا الذي بين يديك. ولكن عقلي الشيخوخي لم يُلِقْ منه أي معلومة. تبخر الكتاب كله من رأسي. وبقيت عبرة. الكتاب تفصيلي جداً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. الآن العبرة: كل حدث في فرنسا يرتبط بما قبله. الثورة الفرنسية الكبرى ظلت حتى اليوم فاعلة.. هي في دم الفرنسيين. لقد أراني ذلك الكتاب أحداث ١٨٤٨م، وأراني تسلط نابليون الثالث، وأحداث ١٨٧٠م، والحربين العالميتين.. إلخ، أذهلني في هذا الشريط كله ما يوجد من ترابط فيما بين أحداثه. قفز إلى ذهني «سائقو التاكسي في لندن»، وجلهم من أهل لندن الأصليين، ومن الأحياء العتيقة. وكنت ركبت تكسيات لندن بضع مئات من المرات عندما كنت أعمل هناك. أدهشتُ نفسي عندما لاحظت أن خير وصف لأولئك السائقين: لنفسياتهم، لنظرتهم للحياة، لعفويتهم، لوقاحتهم، لشهامتهم، إنما هو ما كتبه قبل مئتي سنة تشارلز ديكنز. ألم يتغير الإنجليز في هاتين المئتي سنة؟ قليلاً.

ونحن؟ نحن تغيرنا في الألف والخمسمئة سنة التي مضت منذ أن بدأ الشعر العربي مسيرته العجيبة. لكننا لم نخلع جلودنا. الأثر الفارسي موجود،

والبربري موجود، والكردي، والنوبي، والهليني أيضاً، ولكن العقل العربي أيضاً موجود. لا أقول إن كل عربي يشبه كل عربي آخر، ولكننا كتلة كبيرة، ولها ذاكرتها.

تأتي على الأمم مفاصل تشعر فيها بأن عليها أن تخرج من جلدها. اليابانيون مروا بهذا المفصل فيما تلا عام ١٨٦٨م، فهل خرجوا فعلاً من جلدهم؟ قد تغيروا كثيراً، ونهضوا، لكنهم احتفظوا بلغتهم وفنونهم ونفسياتهم.. وكل ذلك تطور تطوراً بطيئاً رغم المفصل الحاد. لعلي أوضحت بعض الإيضاح التناقض الظاهري بين مطالبتي إيانا بالخروج من الجلد وبين عدولي عن هذه المطالبة. نحن بحاجة إلى المرور بمفصل تاريخي حاد. لكنه لن يشطب ثقافتنا القديمة.

أكتب هذه الكلمات وأشعر من جديد بأنني إنما أزيد هذا الكتاب المخجل ضخامة. فعليَّ من الآن فصاعداً أن أقتصد في الكلام.

هذا الكتاب يعرض تراثاً شعرياً قديماً، ويعرضه بطريقة جديدة وخاصة جداً.. يعرضه عرضاً متخففاً من الصرامة الأكاديمية المضحكة، ويعرضه بالمفرق لا بالجملة، فصاحب الكتاب لم ينسخ لك القصيدة بغثها وسمينها، بل انتقى البديع الجميل من أبياتها، وسعى إلى إحكام الربط فيما بين الأبيات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والقصيدة العربية مفككة خلقةً. نعم، قد بحثت طويلاً، ونبشت الدواوين وكتب القدماء والمحدثين نبشاً ذريعاً، وقد تعالمت عليك في مقدماتي، وأخبرتك عن كثير من البحث «الكامن» وراء ما أقدمه لك من أشعار ومن شروح.. لكن البحث بقي «كامناً». فلم أسمح للقدماء بأن يدخلوا حرمي. فهمت كلامهم ووعيته في حَماطة جُلجُلاني، لكنني لم أسمح لهم بالتسلل إلى لساني. شرحت لك بلسان معاصر حيناً، متفاصح حيناً. وكلما أخذت من شارح قديم أو معاصر عبارة، ولو كانت من كلمتين، أشرت إليه. هذه الأشعار اخترتها ثم شرحتها منطلقاً من منصة ليبرالية. وافهم من كلمة ليبرالية كل ما يمكن أن يفهم من هذه الكلمة، فإن تحيرت فاعلم أنني عندما أترك التواضع جانباً فإنني أصف نفسي بأنني «مفكر حر».. هذه أحسن من ليبرالية.

ليبع هذا الكتاب مئة نسخة، ولتبق النسخ التسعمئة الأخرى في المخازن. قد عزمت، وقد توكلت على الله.

قصة هذا الكتاب:

هذا الكتاب هو أول الغيث، وستأتي بعده كتب تروي قصة الشعر العمودي في كل العصور حتى نصل إلى إيليا أبو ماضي. والمشروع كله يستمد قوته الدافعة من الغريزة النملية. فمنذ نحو خمس وثلاثين سنة بدأت أكتب الأبيات الجميلة التي تمر بي في دفتر، وسرعان ما صار الدفتر عشَرة دفاتر. وسافرت إلى لندن للعمل واصطحبت دفاتري. وانتقلت في العمل من قلم المترجم إلى لسان المذيع، وأخذت أذيع الكثير من هذه الأبيات الجميلة في برامج شتى، وكنت أحليها بقصص لها بها ارتباط أو ليس لها. أذعت هذا من محطة لندن التي يسمونها الآن البي بي سي، وكنا في زمننا نصر على تسميتها هيئة الإذاعة البريطانية، فهذه التسمية تملأ الفم أكثر. وانتقلت في تلك الإذاعة إلى عمل إداري، وظللت أبث الأبيات والقصص. ثم عدت إلى فلسطين حيث عملت في التدريس الجامعي والتدريب الإعلامي سبع سنين طالما وصفتها بأنها أجمل سني حياتي. وفي هذه السنين السمان اشتغلت بالنحو العربي فهذبته وقربته للإعلاميين، وكتبت كتباً لطلبتي نال بعضها نصيباً من الذيوع المحلي.

ومضيت أختار الشعر الجميل. وزدت على دفاتري العشرة دفترين كبيرين.

ثم انتقلت إلى قطر للعمل في قناة الجزيرة. وقضيت ست سنين، لا هنَّ بالسمان ولا العجاف. على أنني فيهِنَّ كتبت ونشرت كتابين عن أحمد شوقي والمتنبي. وبدأت أدخل حرم الشعر القديم. واستقلت من الجزيرة، وعملت في الصحافة في بلدي فلسطين، ثم رجعت إلى الجزيرة كي أكتب كتاباً في اللغة.

سميت الكتاب «اللغة العالية»، وهو معجم لما يحتاجه الإعلامي من اللغة. ورغم أن وضع الكتاب كان جزءاً من وظيفتي، فإنني أقبلت عليه بعزم مضاعف لحاجة عميقة في نفسي. كنت محتاجاً إلى الغوص في المعاجم، وإلى دراسة اللغة القديمة درساً منظماً. كأنني كنت أستعد لخوض غمار الشعر القديم. فكان تأليف كتاب «اللغة العالية» مساقاً دراسياً عقدته لنفسي.

والآن، بعد سنتين من صدور «اللغة العالية»، أشعر بأن اللغة القديمة طبقات فوق طبقات، وأن المعاجم تسعفك في أشياء وتخذلك في معظم الأشياء.

ما جعلني أمضي في لملمة الأبيات الجميلة من عشرات الكتب والدواوين

هو غريزة النملة. وفي البشر من يشبه النملة كثيراً، وفيهم من يشبهها قليلاً. أنا.. كثيراً.

لم أرتب الأشعار في هذا الكتاب بطريقة معينة. قد التزمت في الغالب الترتيب الذي في الدواوين، لكنني صنعت لك فهارس بالقوافي. وجعلت لكل باب مقدمة تطول أو تقصر بحسب ما يواتيني من مزاج للكتابة. فهذا الكتاب ليس فقط عن الشعر القديم، بل هو عني وعن تذوقي لهذا الشعر، وهو ـ في تلك المقدمات التي أكتبها ـ كتاب يُعنى بموضوع «الكتابة الحرة»؛ حرة بمعنيين: أولاً أنها ليست مقيدة بقيد الالتزام بالموضوع، وثانياً أنها نابذة للرواسم، أي الكليشيهات. هذه الكتابة التي اصطنعتها، والتي أبشر بها تبشيراً، هي الكتابة التي تشبه الكلام. هي الكتابة الإذاعية. فمنذ أن عملت في الإذاعة وأنا أغمس سن قلمي في لساني مستمداً ريق الكلام، ساعياً عن وعي إلى أن أحدثك وكأنك جالس بجانبي، ومنصرفاً انصرافاً عن رصف الكلمات بمثل ما رصفها كثيرون قبلي.

طالما تحذلق أساتذة الإعلام بأن للصحافة لغتها وللإذاعة لغتها وللكتاب لغته. ونقول: الكلام أسبق من القلم والورقة، ولغة الإذاعة هي أقرب شيء إلى ما هو طبيعي. وخير ما يصنعه الكاتب أن يحاكي نفسه وهو يتحدث.

مقدماتي لأبواب الكتاب مقصودة لذاتها.

يحلو للمرء ـ كي يبرز محاسن نفسه ـ أن يقع في الآخرين، فيصب على رؤوسهم أوساخ لسانه. وقد فعلت بعض ذلك في مقدماتي لأبواب هذا الكتاب، غير أني سترت أسماء من أهجوهم، وسترت وُسعي ما يمكن أن يقود إليها.

ملأت مقدماتي بقوارع الكلم التي وجهتها إلى الأكاديميين المزيفين. قد بلَّغتهم الصاب تبليغاً، ولعبت بهم لعباً بليغاً. وصارحتك أكثر من مرة، بأنني لا أصنع ذلك أملاً في إصلاح؛ أصنعه كي أتسلَّى، وأسلِّيك، وصنعته تعالماً. سبحان من خلقني.

ليس في كتابي هذا من القصص إلا القليل. لم أستطع أن أمنع نفسي من سرد قصة امرئ القيس عندما أخرج النسوة من الغدير عاريات، ولا قصة جرير عندما دَمغَ نُميراً بقصيدة فأخزاها.

على أن الكتاب كتاب شعر.

في هذا الكتاب زبدة الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي. قد انتقيت لك أجمل وأقوى الأبيات لأهم شعراء ذلك الزمن. ولاحقت لك الشعراء المغمورين بلا كلال، ناخلاً كتب الشعر القديم نخلاً. وكانت تلك مهمة سهلة. فأما المهمة الصعبة فكانت الشرح. وقد شرحت شرحاً أصفه فقط بأنه شرح حقيقي، ذلك الشرح الذي لا يغشك بتفسير الكلمة السهلة دون الصعبة.

كنت أعرض شيئاً من عملي، وأنا في الخضم، على بعض الأصدقاء، وكلهم ألحَّ عليَّ بأن أشرح أكثر. وكنت أستجيب. غير أن اللغة القديمة عسرة، وهي تصبح، فوق عسرها، ملتوية إذ يقسرها الشاعر على أن تقعد في قالب أسمنتي هو الوزن، مغطى بغطاء من الحديدِ السَّكْبِ هو القافية. ثم إن الشاعر القديم يعطيك نصف المعنى تاركاً النصف الآخر لخيالك. شرحت بما فتح الله علي، وما استعنت بشرح شارح قديم أو معاصر إلا ذكرت ذلك في المقدمة.

لاحاني الصديق اللغوي المدقق أحمد عبد الرحيم في اللغة ملاحاةً، وناكفني في الشرح: في طريقتي فيه، وفي فهمي لبعض الأبيات، فإن رأيتني أشرح متخذاً الأقواس حيناً، متخذاً الفواصل حيناً فهذا أثر صاحبي فيّ. وقد كظم غيظه من منهجي المتحرر ما استطاع إلى الكظم سبيلاً. وسقط الصديق الشاعر عمران القفيني على كثير من أغلاطي النحوية والمطبعية سقوط الندى، فكان يستحسن الفقرة أولاً ثم يشير برفق إلى علة فيها؛ يمسح الممرض عضدك بالوفيعة مسحاً لطيفاً ثم يهيِّئُ سن الإبرة. قرأ عمران الكتاب كله، وخلصه من عشرات أغلاط النحو والتواء الأسلوب، علاوة على الأخطاء المطبعية التي التقطها ببراعة، أنفق في إصلاح ما اعوج من هذا الكتاب ساعات طويلة، وبتذوقه النادر والذكي للشعر شد أزري وشجعني مثلما يشجع المعلم تلميذه. وكانت عينا الصديق الإعلامي عبد الرحمن عثمان تحدِّقان فيَّ طول الوقت؛ كنت أكتب ما أكتب مستذكراً تصحيحاته الكثيرة على ما سبق من عملي. وبقيت من الأغلاط بقية سأنوء بها، أنا المتسقط عيوب الأكاديميين المدمن تقريعهم.

الشعر عزيز على قليل الموهبة. ومن قطَّ قلمه قطَّة نثر التوى عليه الشعر، وقلَّ ناثرٌ قضى حياته في النثر فأفلح في الشعر. كأنهما ضدان. والناثر الذي ينثر على مسامعك هذه الكلمات كان قد نثر كلامه في سني عمره في تقارير صحفية وبرامج إذاعية وتلفزية، وفي شرح وفي تعليم، فعز عليه الشعر. اشتاقَ

بعض الشوق إلى أن يقول الشعر، ولكنه لم يشتق بما يكفي. والشاعر الشاعر لا يرى الدنيا ولا يعيش الحياة إلا بالشعر. يقول صاحب هذه السطور واصفاً حالته وهو قاعد يختار لقارئيه قلائد شعر الشعراء، ومخاطباً «القصيدة»:

أُراوغها كي تستقيم قوافيها ... أُخاشنها طوراً وطوراً أداريها
يخادعني منها الذي لا أريده ... ويجلس كالملسوع فوق كراسِيها
أعالجها لم أدَّخر أي حيلة ... وفالجها استعصى على من يداويها
تضاحَكُ مثل البكر سيقت لأشيب ... تظن مزاحاً ما ترى ليس يعنيها
فما انفضَّ عنها العرس حتى اختلى بها ... وضاقت عليها حفرة وقعت فيها
بكت فَرَقاً، والبعل عجزاً وعُنَّةً ... فليس الذي يبكيه ما راح يبكيها
تقول له: دعني، وفي سره لها ... يقول: دعيني، تاه من قد غوى تيها
ملكتُ دنانيراً وتُقت إلى الصبا ... وعجزي عن العذراء منيَ يحميها
أتيت بقاموسي وألفيَّتي إلى الـ ... ـقصيدة أبغيها، وأخشى تعاليها
فألفيتها تهوى البريء ولو به ... جنون، بل المجنون أقصى أمانيها
فيا شعرُ، يا ولّادُ، يا خَلْقُ، فُتَّني ... لأنَّ علوميِ شوهتنيَ تشويها
أُعاقر نثراً نارُ قلبي به خَبَتْ ... ولكنَّ شوقيِ للقصيدة يُذكيها
وأقطف شعر الآخرين فواكهاً ... محرَّمة، لكنْ لغيريَ أجنيها
جلست على سور الحديقة وانجلى ... لعينيَّ حفل راقص في مغانيها
أراهم وكل اثنين كفاً بخصرها ... وخداً على خدٍّ مشوا في نواحيها
سفينة نوح ذي، وربُّك راعيها ... وما كنتُ، حتى لو دُعيت، بآتيها
ذرونيَ والطوفانَ، لست بمشفق ... ففي النفس طوفان وفيها الذي فيها
وما اعتزل النساك إلّا لأنهم ... سفينتهم فيهم، وفيهم موانيها
توارى شراع العمر في الموج وانقضت ... حياتيِ، وفي نفسي أمور أُواريها

عارف حجاوي
الدوحة ٢٢ نيسان/ أبريل ٢٠١٦
١٥ رجب ١٤٣٧

امْرُؤ القيس بن حُجْر
(١٢٠ ق هـ ـ ٨٠ ق هـ)

قالوا قال امرؤ القيس:

(وقبَّلْتُها تِسْعاً وتسعينَ قُبلةً ووواحدةً أُخرى، وكنتُ على عَجَلْ)

فإن صدَّقت أن هذا الشعر لامرئ القيس، فلن تكذِّبني عندما أقول لك إنني شاهدت الفيل يطير بأذنيه مثلما يطير العصفور بجناحيه

ما قاله المستشرقون ونقادنا القدامى عن نحل الشعر، وما ساقه الفريقان من قرائن على أن كثيراً من شعر الجاهلية إنما قيل في عصور متأخرة يقع في أذني موقع الصدق، بينما تقع في أذني تلك الحملات الضارية التي شنها المحافظون على هذا النهج موقع الأنين الكريه.

ولست أقول إن كل بيت جاهلي منحول. ولكنني وجدت الشعر مفككاً حيناً، أو مصقولاً صقلاً مدهشاً حيناً. ففي الحالة الأولى رأيت أن لهذا الشعر، المفكك، أصلاً قديماً عبث به الرواة كل العبث. وفي الحالة الثانية، حالة الشعر المصقول، رأيت أصابع الوضاعين.

على أن كل ما وصلنا من الشعر القديم تراثنا. لهذا نسوقه ونشرحه ونحفظ بعض أبياته نتندر بها في المجالس؛ ونتمتع بهذا الشعر القديم، ونستدل به على طرائق حياة أسلافنا. فحتى الموضوع منه فإنه ينبئ عن تفكير وطريقة حياة المكذوب عليهم. فقبيلة تغلب التي وقعت بأيديها قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي كانت تحفظها وتزيد فيها وتبالغ في تهذيبها كي تظل راية فخر ترفعها تغلب. فإذا جاء شويعر تغلبي وأضاف إلى القصيدة بيتاً لا يشبه الشعر الجاهلي، جاء آخر أدرى منه بالشعر القديم وأصلح البيت أو نفاه، حتى تظل

القصيدة جاهلية في أسلوبها. وليس بعيداً أن ينشد الخمسون شاعراً تغلبياً الذين كانوا يجتمعون إلى الأخطل ـ فيما زعم جرير ـ ويساعدونه في الشعر، أبيات ابن كلثوم بعد أن يستبد بهم السكر، وليس بعيداً أن يغيروا في تلك الأبيات الكثير. ولعلهم كانوا خمسة شعراء لا خمسين، هل وصلت الفكرة؟

آمنا بجاهلية الشعر الجاهلي أم لم نؤمن، هو تراثنا. وهو يقص علينا قصص الجاهلية، وينقل إلينا قيمها.

وبعد أن بيَّنَّا لك موقفنا صريحاً من معركة الشعر الجاهلي، نضع السلاح. فلا شأن لنا بمعركة وقعت في النصف الأول من القرن العشرين وكانت ذخيرتها السباب.

حياة امرئ القيس

قد بنى أصحاب الأخبار حياة امرئ القيس من السقف إلى الأساس، لا العكس. فقد تجمعت لديهم كومة من الأشعار، وكومة من الأخبار. وكومة الأشعار أثمن من كومة الأخبار، فجعلوا الشعر منطلقهم وركَّبوا عليه لامرئ القيس حياة. والأشعار والأخبار كلاهما اختلاقات، ولكن لا تنس أن هذه الأساطير وتلك الأشعار قد جعلتها العرب أساساً بنت عليه شعرها، وشكلت بها الذائقة الأدبية لأجيال متعاقبة من أبنائها. نحن في أَسْر هذه الأسطورة التي اسمها امرؤ القيس. ومن كومة الأشعار اخترنا لك ما هو طريف وجميل، ومن كومة الأخبار ـ وما أشد ما هي متضاربة ـ لفقنا لك صورة متسقة.

ولد شاعرنا سنة ١٢٠ قبل الهجرة ـ منظرنا مضحك ونحن نحدد تاريخاً دقيقاً لميلاده، وكأننا شهدنا هذا الميلاد في مستشفى القصر العيني ـ، وكان جده ملكاً كبيراً، وزَّع نفوذه بين أولاده الخمسة. فعلى هذا كان أبو امرئ القيس، واسمه حُجر، ملكاً صغيراً على بني أسد. والملك في العربية القديمة تعني السيد أو الوالي المتصرف في منطقة أو في مجموعة قبائل. وكان حُجر قاسياً قتالاً للناس.

ولكنه لم يسيطر على ابنه، فكان شاعرنا يلهو بالخيل، وبالنساء، ويشرب الخمر. ويفاخر بكل ذلك، وإن رأى الدارسون أنه كان مفرَّكاً، أي تكرهه النساء. ولا عجب فالنساء يكرهن الشهواني، الذي لا يريد منهن إلا ذلك الشيء، ويحببن الرجل الذي يكثر من الغزل الناعم، ولا تظهر في عينيه شرارات الشهوة إلا لماماً. فالمرأة مخلوق طبيعي يريد من الشهوة أن تؤدي غرضاً في حفظ النوع، والرجل مخلوق مريض بِعِلَّتَي الغلمة والتسلط.

ولأن حُجْراً الأب متسلط قاس قتلته بنو أسد. لم تقتله لأنه من قبائل اليمن، من كندة، فهذا لم يكن في اعتبارهم، فقبائل اليمن قد استوطنت الشمال منذ مئات السنين، فحكم العراق المناذرة وهم يمن، وحكم الشام الغساسنة وهم يمن، وعمرت يثربَ الأوس والخزرج وكلتاهما يمن. ثم إن الملك حجر متزوج من ربيعة، فأم امرئ القيس ربعية لا يمانية.

عندما ورد الخبر بقتل حُجر كان ولده الشاعر جالساً يلعب النرد ويشرب الخمر. قال لصاحبه: ارم، لا أفسدُ عليك دستك. وعندما اكتمل دست النرد، انبرى امرؤ القيس وقال عن أبيه: «ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمه كبيراً، لا صحوَ اليوم، ولا سكرَ غداً. اليومَ خمرٌ وغداً أمر». وبدأ شاعرنا رحلة العذاب والقلق.. رحلة الأخذ بالثأر.

وأصاب في أسد مقتلة، ولكنها لم تشف غليله. فتوجه نحو الروم يطلب النجدة، تاركاً أسلحته عند السموأل بن عادياء في حصنه الأبلق بتيماء في شمال الجزيرة العربية. وأخذ معه صاحباً، قيل هو الشاعر عمرو بن قميئة. ورحب به ملك الروم، وقيل إن امرأ القيس أساء الأدب في بلاط سيد بيزنطة، أليس عاهراً يعبث مع النساء؟ فبعث إليه الملك ثوباً مسموماً، فلبسه امرؤ القيس، فأخذ جلده يتقرح. وما وصل أنقرة حتى مات، وبأنقرة دفن. ومن هنا لقب امرئ القيس: ذو القروح.

أشهر شعر امرئ القيس معلقته. وله سوى ذلك قليل من القصائد المشهورة، وبضعة أبيات سائرة، وله قصيدة لا يصدق عاقل أنها قيلت في ذلك الزمن أصلاً، ولكنها منسوبة إليه ومشهورة، وقد أوردنا منها قطعة صالحة.

١ قفا نبك (المعلقة)

قصة القصيدة: بَيْنا امرؤ القيس يسير راكباً ناقته إذ سمع أصواتاً من ناحية الغدير، فمال إليه فإذا فتيات قد خلعن ملابسهن وجعلنها ناحية، ونزلن في الغدير يتردن. فنزل عن ناقته وجلس على ملابسهن. وحلف لا ينصرف أو يخرجن إليه واحدة واحدة فتأخذ كل فتاة ثوبها. فخرجت إليه «أوقحهن»، ـ وأوقحهن هذه أتذكَّرها من شرح الزوزني ـ، فأخذت ثوبها، ثم تلتها أخرى فأخرى. وبقيت، ساترةً جسمها في الماء، ابنةُ عمه عنيزة (أو فاطمة). ثم خرجت. فرآها مقبلة ثم مدبرة. ثم أعطاها ثوبها. ـ ومقبلة ومدبرة هذه من الزوزني، والقصة عموماً رواها الفرزدق، وعنه بإسناد نقلها صاحب الأغاني، ولعلها من بنات خيال الفرزدق الداعر ـ، وقلن له: يا امرأ القيس، نحن

جائعات. فأضرم ناراً وعقر ناقته وشوى لهن لحمها. وقال لي صحبي الموريتانيون إن لحم الناقة ـ ولم أذقه قط ـ طري. وأخذت الفتيات يأكلن ويتضاحكن. وآن أن ينصرفن، فقال لهن امرؤ القيس: فلتحملني عنيزة على ناقتها، فعزمن عليها فحملته، فأخذ يدخل رأسه حيناً بعد حين في هودجها فيقبلها. وقال قصيدته:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومنزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

يخاطب صديقيه: قفا ناقتيكما (أوقفاهما) كي نبكي على أطلال الحبيب ونتذكره هنا في «سقط اللوى» بين ذينك الموضعين.

فَتُوضِحَ فَالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها ... لِمَا نَسجَتْها مِنْ جَنوبٍ وَشَمْأَلِ

وثمة مواضع أخرى منها «توضح» و«المقراة». ولم يعف رسمها ولا امَّحى لأن الريح كانت كأنها تنسج نسيجاً، فريح الشمال تغطي المكان بالرمل وتأتي ريح الجنوب فتبعد الرمل عنه، فلا يتراكم عليه الرمل ويبقى مكشوفاً.

تَرى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصَاتِها ... وقِيعانِها كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

ترى بعر الآرام (الظباء) في عرصات (ساحات) ديار المحبوبة وقيعانها (سهولها) كأنه حب الفلفل.

كَأَنِّي غَداةَ البَيْنِ يومَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُراتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنظَلِ

يوم الفراق عندما حملوا أمتعتهم ورحلوا كنت واقفاً عند شجرات الطلح، وهي السمرات، أبكي وكأنني ناقف حنظل، أي الذي يشق الحنظل بظفره فيتطاير منه رذاذ فيسيل دمعه.

وُقُوفاً بِها صَحْبي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يقولونَ لا تَهلِكْ أَسَىً وتَجَمَّلِ

يقف أصحابي نياقهم، أي يوقفونها، عليَّ، أي من أجلي، ويقولون لا تهلك نفسك حزناً وتجمل (اصبر).

وإنَّ شِفائي عَبْرَةٌ مُهَراقَةٌ ... فهل عندَ رَسْمٍ دارسٍ مِن مُعَوَّلِ

وشفائي مما بي من لوعة دمعة سائلة؛ ولكن، هل هناك فائدة من الوقوف على رسم ممحوّ.

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قبلَها ... وجَارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ

يخاطب نفسه: هذا شأنك يا امرأ القيس مع حبيبتين سابقتين في موضعين آخرين:

إذا قامَتا تَضَوَّعَ المسكُ منهما ... نسيمَ الصَّبا جاءتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

إذا وقفت هاتان الحبيبتان وتحركتا فاح منهما المسك، كأن رائحته رائحة القرنفل جاءت بها ريح الصبا

فَفاضَتْ دُموعُ العَينِ مِنِّي صَبابَةً ... على النَّحْرِ حتى بَلَّ دَمعِيَ مَحْمَلي

تفيض دموعي صبابة وعشقاً فتصل إلى أعلى صدري حتى لتبل محملي، أي عِلاقة سيفي.

أَلَا رُبَّ يومٍ لَكَ مِنهُنَّ صَالِحٍ ولا سِيَّما يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

رب يوم غير محزن خلافاً ليوم وقوفك بالأطلال، كان لك معهن، وخصوصاً يوم دارة جلجل، التي فيها لقيت الفتيات المبتردات.

ويَومَ عَقَرْتُ لِلعَذارى مَطِيَّتي فَيا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا المُتَحَمَّلِ

يومها ذبحت ناقتي للعذارى، فيا عجباً من رحل ناقتي ومتاعي كيف بقي ملقىً بينما ذهبت الناقة.

فَظَلَّ العَذارى يَرتَمينَ بِلَحْمِها وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

صرن من لهوهن يتراشقن بلحم الناقة، وبالشحم الذي يسيلُ على معاصمهن خيوطاً خيوطاً كأنه خيوط الحرير المفتولة.

ويومَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنيْزَةٍ فقالتْ لَكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلي

وفي ذلك اليوم دخلت خدر عنيزة، أي هودجها، فكانت تقول: ويلك، سترميني عن الناقة.

تقولُ وقد مَالَ الغَبيطُ بِنا معاً: عَقَرْتَ بَعيري يا امْرَأَ القَيْسِ، فانْزِلِ

ويميل الهودج بنا فتقول: تكاد تجعل بعيري يبرك على قوائمه، فانزل:

فقلتُ لها: سيري وأَرْخي زِمَامَهُ ولا تُبْعِدِينا مِنْ جَناكِ المُعَلَّلِ

قلت لها: سيري وأرخي مقود البعير، ولا تبعديني عن قطف قبلاتك الممتعة التي أتعلل بها وأستأنس.

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُها عن ذي تَمائِمَ مُحْوِلِ

ولي غراميات، فقبلك ربَّ امرأةٍ حبلى أتيتها ليلاً، فجعلتها تنشغل عن طفل رضيع محول، عمره حوْلٌ أي سنة، قد عُلِّقت بعنقه قلادة التمائم (لحفظه من الشر):

إذا مَا بَكَى مِن خلفِها انصرفتْ له بِشِقٍّ وتَحْتي شِقُّها لم يُحَوَّلِ

وكانت كلما بكى طفلها مالت بجسمها إليه، ونصفها الآخر ما زال تحتي.

أَفاطِمُ مَهْلاً بعضَ هذا التَّدَلُّلِ وإنْ كنتِ قد أَزْمَعْتِ صَرمي فَأَجْمِلي

يا فاطمة، لا تكثري من الدلال، وإن كنت ناوية أن تهجريني فافعلي ذلك برفق.

وإنْ كُنتِ قد ساءَتْكِ مِنِّي خَليقَةٌ فَسُلِّي ثِيابي مِن ثيابِكِ تَنْسُلِ

إن ساءك مني طبع، فلنفترق مثلما يبتعد جسمك عن جسمي وينسحب ثوبي عن ملامسة ثوبك

أَغَرَّكِ مِنِّي أنَّ حُبَّكِ قَاتِلي وأنَّكِ مَهما تَأمُرِي القلبَ يَفْعَلِ؟

هل انخدعت لأنك رأيت حبك قاتلي؟ ولأن قلبي يطاوعك في كل ما تأمرين؟

وأنَّكِ قَسَّمْتِ الفُؤادَ فنصْفُه   قَتيلٌ، ونِصْفٌ في حديدٍ مُكَبَّلِ

ولأنك جعلت فؤادي نصفين: نصفاً مات عشقاً، ونصفاً ظل مأسوراً

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلّا لِتَضْرِبي   بِسهمَيْكِ في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

وما تنزل دموعُكِ إلا كي تضربي بسهمي عينيك في قلبي القتيل. وفسروا السهمين بسهمي الميسر، المعلى والرقيب، اللذين ينالان عشرة أنصباء من الناقة سبعة للأول وثلاثة للثاني

وبَيضَةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُها   تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِها غَيرِ مُعْجَلِ

رب فتاة ناعمة بيضاء في خدرها، وراء سترها. وخباؤها، أي خيمتها، لا سبيل لأحد عليه لأنها بنت قوم أقوياء، وهذه الفتاة أتيتها وتمتعت باللهو معها على راحتي

تَجاوَزْتُ أَحْراساً إليها ومعْشَراً   عَلَيَّ حِراصاً لو يُسِرُّونَ مَقتَلي

وقد جئتها بعد أن خاتلت الحراس والقوم الحريصين على قتلي لو أنهم يستطيعونه سراً

فقالتْ: يَمينَ اللَّهِ مَا لَكَ حيلَةٌ   ومَا إِنْ أَرَى عنكَ العَمَايَةَ تَنْجَلي

قالت: والله، لا حيلة لي فيك، ولا أرى أن ضلالك يزول

خرجْتُ بِها أمشي تَجُرُّ وراءَنا   على أَثَرَيْنا ذَيلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

خرجت مع فتاتي، وهي تجر وراءنا ذيل ثوبها الموشى لتعفية وإزالة الأثر

فَلَمَّا أَجَزْنا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحى   بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ..

فلما قطعنا ساحة القوم، وأخذنا ناحية بعيدة في بطن الخبت، أي وراء الكثيب ذي الرمل المتصلب المتعقد..

هَصَرْتُ بِفَوْدي رأسَها فتمايَلَتْ   عَلَيَّ، هَضيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ

ثنيت رأسها بفودي بجانب رأسي، في عناق، فتمايلت علي، وهي ذات خصر ممشوق، وساقين ممتلئتين، والمخلخل موضع الخلخال من الساق. وأحب العرب، وغير العرب، المرأة ذات الساق المتينة، وكرهوا الساق الحَمْشَة الدقيقة في رجل وفي امرأة. وكأن معيار الجمال الفطري هو أن يكون الشريك قوياً، والساق الغليظة دليل قوة

مُهَفْهَفَةٌ بَيضَاءُ غيرُ مُفاضَةٍ   تَرائِبُها مَصقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ

هيفاء دقيقة الخصر، بيضاء، غير مكترشة البطن، وترائبها (أعلى صدرها) مصقولة كالسجنجل (المرآة)

وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ ليس بِفَاحِشٍ   إذا هِيَ نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّلِ

لها عنق كعنق الظبي ليس بالغ الطول عندما تمده، فهو ليس في طول عنق الظبي تماماً، وليس معطلاً أي خالياً من الحلي

وليلٍ كَمَوْجِ البحرِ أرْخَى سُدُولَهُ   عَلَيَّ بِأنواعِ الهُمومِ لِيَبْتَلي

رب ليل كأنه موج البحر، وقد أرخى أستاره علي، ومعها نزلت الهموم لتبتليني

فقلتُ لهُ لمَّا تَمطَّى بِصُلْبِهِ   وأرْدَفَ أعْجازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ:

قلت لليل لما مد ظهره فوقي، ولما وضع أعجازه أيضاً أي قوائمه الخلفية، وناء بكلكله أي وضع صدره.. يشبه الليل ببعير برك فوقه بكل جسمه فكان ثقيلاً ثقيلاً..

ألا أيُّها اللَّيْلُ الطُّويلُ ألَا انْجَلِ   بِصُبْحٍ وما الإصباحُ مِنْكَ بِأمْثَلِ

انصرف أيها الليل، وليأت بعدك الصباح، ولو أن الصباح ليس أفضل منك حالاً

فيا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأنَّ نُجُومَهُ   بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

أنت باق لا تنصرف أيها الليل فكأن نجومك مربوطة إلى جبل يذبل بحبال قوية أجيد فتلها

كَأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في مَصَامِها   بِأمْراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

وكأن نجوم الثريا معلقة في موضعها بحبال كتان، ومشدودة إلى صخر أصم

وقد أغْتَدِي والطَّيْرُ في وُكُناتِها   بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوَابِدِ هَيْكَلِ

إنني لأخرج باكراً، والطير بعد في أعشاشها، على حصان قصير الشعر، سريع إلى درجة أنه يوازي الظباء والسباع في سرعته فكأنه يقيدها تقييداً، وهو هيكل أي ضخم

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً   كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

حصاني يتحرك بنشاط يكر ويفر ويقبل ويدبر بسرعة كأنه يفعل كل هذا في الوقت نفسه، وهو سريع سرعة صخرة هوت منحدرة من الأعالي مع سيل جارف

لهُ أيْطَلا ظَبْيٍ وسَاقَا نَعَامَةٍ   وإرْخَاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

لحصاني خاصرتان دقيقتان كخاصرتي الظبي، وساقان كساقي النعامة، وله إرخاء، أي ركض ذو إيقاع منتظم، كركض الذئب، وله تقريب، أي قفز بوضع الرجلين موضع اليدين، كتقريب الثعلب

أصَاحِ تَرى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَهُ   كَلَمْعِ اليَدَيْنِ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يا صاحبي هل ترى البرق؟ دعني أريك وميضه، وعلى ضوئه ترى يديك تلمعان في العَتَمة وسط الغيم الكثيف

كَأنَّ ثَبِيراً في عَرانِينِ وَبْلِهِ   كَبيرُ أُناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ

الغيم يكلل جبل ثبير، فكأن الجبل وسط الغيم الماطر شيخ قبيلة متلفع بثوبه

كَأنَّ ذُرَى رأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً   مِنَ السَّيْلِ والغُثَّاءِ فُلْكَةُ مِغْزَلِ

كأن أعالي جبل المجيمر صباحاً، من السيول وما تحمله من أغصان، المغزل المدبب الرأس الذي تنسدل عليه الخيوط

كَـأَنَّ مَـكَـاكِـيَّ الـجِـواءِ غُـدَيَّـةً صُبِحْنَ سُلافاً مِنْ رَحيقٍ مُفَلْفَلِ

كأن طيور الوادي في الصباح، وهي تطير مضطربة بسبب المطر، سكرانة قد شربت خمراً

كَـأَنَّ الـسِّـباعَ فيـه غَـرْقَـى عَـشِـيَّـةً بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيشُ عُنْصُلِ

تبدو الحيوانات النافقة الغرقى في السيول ـ ونراها من بعيد ـ مثل البصل البري المنبوش من الأرض نصفه في التراب ونصف فوقه **كيف كنا نستمتع بهذه القصيدة؟** كنا نحفظها ونرددها، لا غير. ولو نظرت في شروح الشراح الكثر، وفي اضطرابهم الشديد في شرح كل بيت من أبياتها، لقلت لنفسك: فعلاً هذا كلام يمكن لكل امرئ أن يفهمه كما يريد. عموماً، كنا ونحن صبية نحفظها ولا نكلف النفس بفهمها. هي ذلك القالب الذي صب فيه الشعر العربي نفسه. هذه هي أم الشعر العربي. والمعنى العام مفهوم على كل حال

٢ صبور غير فرار

فَـلَا وَأَبـيـكِ ابْـنَـةَ الـعَـامِـرِيِّ ـ لا يَـدَّعـي الـقَـوْمُ أَنِّـي أَفِـرّ

قسماً بأبيك يا ابنة العامري، لا يزعمنَّ القوم أنني أفرُّ من القتال

تَـمِـيـمُ بْـنُ مُـرٍّ وأَشْـيَـاعُـهـا وكِـنْـدَةُ حَـوْلـي جَـمِـيـعـاً صُـبُـرْ

فقبيلة تميم ومن والاها، وكذا كندة، ينصرونني ويصبرون معي

وأَرْكَـبُ فـي الـرَّوْعِ خَـيْـفَـانَـةً كَـسَـا وَجْـهَـهَـا سَـعَـفٌ مُـنْـتَـشِـرْ

وأركب في الروع، أي الحرب، خيفانة، أي فرساً سريعة، ينزل شعر رأسها على وجهها كأنه سعف النخل. وسلق قدماء النقاد امرأ القيس سلقاً على هذا البيت، فالفرس الأصيلة لا توصف بأن شعرها يكسو وجهها.. ولعله يرد عليهم ويقول: تلك فرسي وأنا حر

٣ الطلل البالي

أَلَا عِـمْ صَباحَاً أَيُّها الطَّلَلُ البَالي وهلْ يَعِمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخَالي؟

صباح الخير أيها الطلل الخرب حيث كان ينزل قوم الحبيبة، وأي صباح وأي خير لمن كان ينتسب إلى العُصُر الخالي، أي الزمن القديم!

وهـل يَـعِـمَـنْ إلَّا سَـعِـيـدٌ مُـخَـلَّـدٌ قَـلـيـلُ الـهُـمومِ، مَا يَبيتُ بِأَوْجَالِ

وما الخير إلا للسعيد الذي أخلد إلى الراحة بلا هموم ولا مخاوف

وهـل يَعِمَنْ مَنْ كان أَحْدَثُ عَـهْدِهِ ثَـلاثـيـنَ شَـهـراً فـي ثَـلاثَـةِ أَحْـوَالِ

وهل الخير لمن كان آخر عهده بالناس ثلاثين شهراً، أو نحو ثلاث سنين، ومنذ ذلك الحين حل به الخراب، كهذا الطلل البالي؟

دِيارٌ لِسَلْمَى عَافِياتٌ بِذي خَالِ   أَلَحَّ عليها كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ

هذه ديار سلمى العافيات، الممحو أثرهن، في موضع «ذي خال»، وقد زاد في محو الأثر السحاب الأسود الهطال

لَيالِيَ سَلْمَى إِذْ تُرِيكَ مُقَصَّباً   وَجِيداً كَجِيدِ الرِّئْمِ ليس بِمِعْطَالِ

في تلك الليالي كان يبدو من سلمى شعرها ذو الخصل وعنقها الذي كعنق الغزال، غير أن عنقها تميز بأنه ليس معطالاً بل محلى بالقلائد

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليومَ أَنَّني   كَبِرْتُ، وأَنْ لا يُحْسِنُ اللَّهْوَ أمثالي

زعمت «بسباسة»، هذه الحبيبة الأخرى، أنني كبرت ولم يعد لائقاً بي اللهو

كَذبْتِ، لقد أُصْبي على المَرْءِ عِرْسَهُ   وأَمْنَعُ عِرسي أَنْ يُزَنَّ بِها الخَالي

كذبتِ يا بسباسة، فأنا أغوي الزوجة عن بعلها، وأمنع زوجتي أن يُزَنَّ بها، يزني بها، رجل أعزب

ويَا رُبَّ يوم قد لَهَوْتُ ولَيْلَةٍ   بِآنِسَةٍ كَأَنَّها خَطُّ تِمْثَالِ

ما أكثر ما لهوت بفتاة جسمها كأنه التمثال

يُضِيءُ الفِراشَ وجهُها لِضجيعِها   كَمصباحِ زَيْتٍ في قَنادِيلِ ذُبَّالِ

ووجهها يضيء فراش من ينام بجانبها، فكأن وجهها مصباح فيه زيت وله ذبالة، أي فتيل

إذا ما الضَّجيعُ ابتَزَّها مِن ثِيابِها   تَميلُ عَليهِ هَوْنَةً غيرَ مِجْبَالِ

إذا أخرجها الضجيع من ثيابها، مثلما يخرج المرء البيضة المسلوقة من قشرتها، فإنها تميل عليه بدلال، وليست مجبالاً ولا خشنة الطباع

لَطيفَةُ طَيِّ الكَشْحِ غيرُ مُفَاضَةٍ   إذا انْفَلَتَتْ مُرْتَجَّةً غيرَ مِتْفَالِ

دقيقة الخصر، غير سمينة، وإذا انفلتت وتحركت فهي مرتجة الكفل، وهي غير رديئة الرائحة

تَنَوَّرْتُها مِنْ أَذْرِعَاتٍ وأَهْلُها   بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِها نَظَرٌ عَالِ

رأيت نار قوم الحبيبة وأنا في أذرعات (لعلها درعا بجنوب سوريا)، وقومها بيثرب؛ مع أن المكان الذي يمكن منه رؤية نارهم هو النظر العالي (والنظر العالي: أقصى ما يحصله البصر من رأس جبل)، فأنا رأيتها بإحساسي لا بنظري

نَظَرْتُ إِلَيْها والنُّجُومُ كَأَنَّها   مَصابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ

كانت النجوم لامعة كأنها المصابيح التي يضيئها الرهبان لهداية القوافل، ولعل القوافل كانت تلجأ إلى الأديرة في سفرها فيشرب الشاربون ويأكل الآكلون.. ويدفعون

سَمَوْتُ إِلَيْها بعدَمَا نامَ أهلُها   سُمُوَّ حَبابِ المَاءِ حَالاً على حَالِ

صعدت إلى المحبوبة بعد أن نام أهلها، مثلما تصعد الفقاقيع إلى وجه الكأس

فقالتْ: سَباكَ اللَّهُ، إِنَّكَ فَاضِحِي　　أَلَسْتَ تَرى السُّمَّارَ والناسَ أَحْوالِي

قالت: سباك الله، أي بعداً لك، ستفضحني، ألا ترى الساهرين والناس حولنا؟

فقلتُ: يَمينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً　　ولو قَطَعُوا رأسي لَديكِ وأَوْصَالِي

قلت: والله لن أبرح مكاني، ولو قتلوني وأنا عندك

حَلَفْتُ لها بِاللَّهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ　　لَنَامُوا، فَمَا إِنْ مِنْ حَديثٍ ولا صَالِ

حلفت لها كاذباً أن القوم ناموا، وليس هناك صوت حديث ولا هناك من يصطلي بالنار استدفاءً

فَلَمَّا تَنازَعْنَا الحديثَ وأَسْمَحَتْ　　هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذي شَمارِيخَ مَيَّالِ

لما تبادلنا الحديث، وأسمحت ولانت، هصرتُ، أي عطفت جسمها ومالت بشعرها ذي الشماريخ الذي كأنه عذق نخلة، ولعلها كانت تشنشل أطراف الخصل بالخرز فعل فتيات إفريقيا

وصِرْنَا إلى الحُسْنَى، ورَقَّ كلامُنا　　ورُضْتُ، فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالِ

وانسجم الجو بيننا، ورق الكلام، وأصبحت هينة بعد ترويض كالناقة الصعبة التي يذللها ويروضها صاحبها

فأصبحْتُ مَعشُوقاً، وأَصبحَ بَعْلُها　　عليه القَتَامُ سَيِّءَ الظَّنِّ والبَالِ

وعشقتني، وأما بعلها لعنة الله عليه، فكان سيء ظن بها

يَغُطُّ غَطيطَ البَكْرِ شُدَّ خِناقُهُ　　لِيَقْتُلَني والمَرْءُ ليسَ بِقَتَّالِ

نام زوجها وهو يشخر شخير البعير إذا شد خناقه بالحبل، ويحلف أنه سيقتلني ولكنه جبان لا طاقة له بالقتل

أَيَقْتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي　　ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أَغْوَالِ

وكيف يقتلني وبجانبي السيف، ومعي رماح ذات أسنة زرق كأنها أنياب الغول

وقد عَلِمَتْ سَلْمَى، وإِنْ كانَ بَعْلَها　　بأنَّ الفَتَى يَهذِي وليس بِفَعَّالِ

وقد علمت سلمى ـ حتى وإن كان هذا الرجل بعلها الذي من حقه أن يغار عليها ـ بأنه يهذي بالكلام فقط، وليس فعالاً لما يقول

وبَيْتِ عَذَارَى يَوْمَ دَجْنٍ وَلَجْتُهُ　　يَطُفْنَ بِجَمَّاءِ المَرَافِقِ مِكْسَالِ

ورب بيت للعذارى ـ ما أراه إلا ماخور مومسات لا عذارى ـ دخلته يوم دجن، أي في يوم غائم، والفتيات يتحلقن حول فتاة مدللة كسلانة ممتلئة الجسم، حتى إن مرافقها لا تبين لأنها مكسوة بالشحم

صَرَفْتُ الهَوى عنهُنَّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى　　ولستُ بِمَقْلِيِّ الخِلالِ ولا قَالِ

ابتعدت عنهن خشية الموت، لا لأنني مقلي الخلال، مكروه الطباع، ولا لأنني كاره لهن

كـأنّـيَ لـمْ أرْكَـبْ جَـواداً لِـلَـذَّةٍ ولـم أتَبَطَّنْ كاعِباً ذاتَ خَلْخَالِ

كأنني لم أركب حصاني لمجرد متعة الركوب، وكانني لم ألتصق بطناً لبطن بكاعب، فتاة نهدَ صدرها، ذات خلخال

ولـمْ أسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ، ولـم أقُلْ لِخَيْلِيَ كُرِّي كَرَّةً بعدَ إجْفَالِ

وكأنني لم أشتر زق الخمر الممتلئ، ولم أقل لخيلي كري في المعركة بعد أن أجفلتِ

وقد أغْتَدي، والطَّيْرُ في وُكُنَاتِها، لِغَيْثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالِ

كثيراً ما كنت أبكر والطير بعد في أعشاشها، مرتاداً لقومي مكان المطر حيث لم يصل رائد قبلي

كَـأنّي بِفَتْخَاءِ الجَناحَيْنِ لِقْوَةٍ صَيُودٍ مِنَ العِقْبانِ طَأطَأتُ شِملالي

كأنني، إذ أطأطئ رأسي فوق فرسي وهي تعدو، راكب عُقاباً سريعة ذات جناحين

تَخَطَّفُ خِزَّانَ الشَّرَبَّةِ بِالضُّحَى وقَدْ حَجَرَتْ مِنْها ثَعالِبُ أورَالِ

كأن هذه العقاب تحلق ثم تنقضُّ على الخزان، أي الأرانب، في موضع الشربة، والثعالب في موضع أورال قد اختبأت خوفاً من العُقاب

كَأنَّ قُلوبَ الطيرِ رَطْباً ويَابِساً لَدى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالي

وفي وكر العقاب قلوب الطيور المتخلفة بعد افتراسها، فمن هذه القلوب ما هو رطب محمر كثمر العناب، ومنها اليابس الذي يشبه التمر الجاف

فَلَوْ أنَّ مَا أسْعَى لأدْنَى مَعيشَةٍ كَفَانِي، ولَمْ أطْلُبْ، قَليلٌ مِنَ المَالِ

لو أنني أسعى لتحقيق العيش المتواضع لكفاني ـ دون أن أتجشم الطلب والسعي ـ مال قليل

ولَكِنَّمَا أسْعَى لِمَجْدٍ مُؤثَّلٍ وقد يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤثَّلَ أمْثَالي

لكنني أسعى للمجد المؤثل، العريق، ومثلي من سعى لهذا وأدركه

٤ أم جندب

خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ

هيا لنمرَّ يا صاحبيَّ على «أم جندب» كي نقضي حاجات الفؤاد المعذب

ألَمْ تَرَيانِي كُلَّما جِئْتُ طَارِقاً وَجَدْتُ بها طِيباً وإنْ لَمْ تَطَيَّبِ

كلما جئتها ليلاً وجدت لها رائحة طيبة وإن لم تتطيب بمسك أو نحوه

وإنَّكَ لم يَفْخَرْ عَلَيكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ، ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

مشكلةٌ أن يفخر عليك شخص ليس لديه ما يفخر به، وأن يغلبك شخص يكون دائماً مغلوباً مع غيرك، والمرأة مخلوق ضعيف ولكنه يغلبني

إذا مَا رَكِبْنَا قَالَ وِلْدَانُ أهلِنَا   تعالَوْا، إلى أنْ يَأْتِيَ الصَّيْدُ، نَحْطُبِ

نركب للصيد ويقول الفتية اليافعون: هيا لنحتطب ريثما يأتي الرجال بالصيد

فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَذيذٌ بِنِعْمَةٍ   فَقُلْ في مَقيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبِ

ظللنا ناعمين في يومنا، فقل ما تشاء في هذا المقيل، نوم الظهيرة، حيث غاب النحس

نَمُشُّ بِأعْرَافِ الجِيادِ أكُفَّنَا   إذا نَحنُ قُمْنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ

نمسح أيدينا بالشعر الذي على أعناق الخيل بعد أن نقوم عن الشواء المضهب، الذي شوي بعض شيّ

فَلِلْسَّاقِ أُلْهُوبٌ ولِلْسَّوْطِ دِرَّةٌ   ولِلزَّجْرِ منهُ وَقْعُ أهْوَجَ مِنْعَبِ

ساق الفرس لها ألهوب، أي تثير الغبار عندما أهمزها بمهمازي، ومن وقع سوطي يدر جريها ويزيد، وعندما أزجر الفرس وأصرخ بها يقع ذلك منها موقعه من الأهوج الصخاب فتسرع وتجن جنوناً

كأنَّ عُيونَ الوَحْشِ حوْلَ خِبائِنا   وأرحُلِنا، الجَزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ

عيون الوحش، الحيوانات غير الداجنة من ظباء وبقر وحشي، التي نراها حول خيمتنا ومتاعنا تشبه الخرز غير المثقوب

٥ في الطريق إلى قيصر

قال وهو في طريقه إلى بيزنطة للقاء ملك الروم:

تَقَطَّعُ أَسبابُ اللُّبَانَةِ والهَوى   عَشِيَّةَ جَاوَزْنا حَمَاةَ وشَيْزَرَا

تتقطع حبال الحاجات والهوى بيننا وبين بلادنا عندما نتجاوز بلدتي حماة وشيزر متجهين شمالاً نحو الروم

نَشيمُ بُرُوقَ المُزْنِ، أيْنَ مَصَابُهُ   ولا شَيْءَ يَشفي منكِ يا ابْنَةَ عَفْزَرَا

نراقب البرق بين السحاب، ونتوقع المكان الذي سينزل فيه المطر، ولكن هذا لا يشغلنا عن المحبوبة فلا شيء ينسينا إياها

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لوْ دَبَّ مُحْوِلٌ   مِنَ الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منْها لأثَّرَا

هذه امرأة تغض بصرها خجلاً، وهي ناعمة لو دب نمل صغير فوق إتبها، أي ثوبها المنزلي الذي بلا كُمَّيْن، لأثّر دبيبه في جلدها لنعومتها

فَدَعْ ذا، وَسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِجَسْرَةٍ   ذَمُولٍ، إذا صَامَ النَّهارُ وهَجَّرَا

فاترك هذا الأمر، وتسل عن الهم بجسرة، أي ناقة ضخمة، ذمول سريعة، إذا ما صام النهار، أي ارتفع، وكانت الظهيرة

تُـقَـطِّـعُ غـيـطَـانـاً كـأنَّ مُـتُـونَـهـا　　إذا أَظْـهَـرَتْ تُـكْـسَـى مُـلاءً مُـنَـشَّـرَا

تقطع هذه الناقة السهول. ومتون السهول، أي ما يتخللها من ربى، تصبح كأنها مكسوة برداء مفروش إذا أظهرت، أي دخلت عليها الظهيرة

كَأَنَّ الـحَصَـى مِن خَـلفِها وأَمَامِها　　إذا نَـجَـلَـتْـهُ رِجْـلُـهَـا حَـذْفُ أَعْـسَـرَا

تسير الناقة وترمي برجليها الحصى يميناً وشمالاً مع سرعة السير فكأنها تحذفها وترشقها حذف رجل أعسر يعمل بشماله

كَـأَنَّ صَـلـيـلَ الـمَـرْوِ حيـنَ تُـشِـذُّهُ　　صَـلـيـلُ زُيُـوفٍ يُـنـتَـقَـدْنَ بِـعَـبْـقَـرا

يشبّه صليل المرو، أي صوت الحجارة، حين تفرقها الناقة، بصوت الدراهم الزائفة التي ينقدها الصراف بأصابعه فاحصاً إياها في مكان «عبقر»، وعبقر بلد الجن، وما كنت أعلم من قبل أن فيه محلات صرافة

عليْها فَتىً لم تَحْمِلِ الأرْضُ مثلَه　　أَبَـرَّ بِـمـيـثَـاقٍ وأَوْفَـى وأَصْـبَـرا

فوقها فتى ليس في الدنيا مثله من حيث الوفاء بالعهد ومن حيث وفرة الصبر. فوق هذه الناقة أنا

ولو شاءَ كان الغَزْوُ مِنْ أَرضِ حِمْيَرٍ　　ولـكـنَّـه عَـمْـدَاً إلـى الـرُّومِ أَنْـفَـرَا

لو شاء هذا الفتى جاء بجيش من أرض اليمن، ولكنه اختار أن ينفر إلى بلد الروم

إذا نـحنُ سِـرْنَـا خَـمْـسَ عَشْـرَةَ لَيْلَةً　　ورَاءَ الـحِـسَـاءِ مِـنْ مَـدافِـعِ قَـيْـصَـرا

إذا تجاوزنا منطقة الحساء، الأرض المطمئنة السهلية من مدافع، أي حمى وبلاد، قيصر بخمس عشرة ليلة..

بَكَى صَاحبي لَمَّا رأَى الدَّرْبَ دُونَهُ　　وأَيْـقَـنَ أَنَّـا لاحِـقَـانِ بِـقَـيْـصَـرا

عندما رأى صاحبي الدرب، الطريق الجبلي المؤدي إلى بلاد الروم، بكى، وتيقن من أننا ذاهبان فعلاً إلى قيصر. كان امرؤ القيس قد اصطحب شاعراً جاهلياً عتيقاً هو عمرو بن قميئة إلى أرض الروم. وقصدها امرؤ القيس يطلب المدد حتى يستعيد ملك أبيه المقتول

فقلتُ لهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ، إنَّما　　نُحاوِلُ مُلْكاً أو نَموتَ فَنُعْذَرا

قلت له: لا تبك، فنحن نسعى وراء ملك، وإن متنا فعذرنا واضح إذ لم نقصر في محاولة استرداد الحق

إذا قُلْتُ هذا صَاحِبٌ قد رَضِيتُهُ　　وقَـرَّتْ بـهِ الـعَـيْـنـانِ بُـدِّلْـتُ آخَـرَا

كلما قلت هذا صاحب أرضى به ذهب وجاءني غيره

كذلكَ جَدِّي، ما أُصَاحِبُ صَاحِباً　　مِـنَ الـنـاسِ إلَّا خَـانَـنـي وتَـغَـيَّـرا

كذا حظي، لا أصاحب أحداً إلا خانني وتغير عليّ

وَنَشْرَبُ حتَّى نَحْسَبَ الخَيْلَ حَوْلَنا نِقَاداً، وحتَّى نَحْسَبَ الجَوْنَ أَشْقَرَا

ونجلس نشرب الخمر ونسكر حتى لنظن الخيل التي حولنا غنماً، وحتى نحسب اللون الأسود أشقرَ (والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

٦ عتاب حنظلة

قال يهجو بني حنظلة بعد إذ خذلوه:

أَحَنْظَلَ، لو حَامَيْتُمُ وصَبَرْتُمُ لأَثْنَيْتُ خَيْراً صَالِحَاً ولأَرْضَاني

يا قبيلة حنظلة، لو دافعتم وصبرتم لأثنيت عليكم ورضيت

٧ أعد الحصى

أَعِنِّي على التَّهْمَامِ والذِّكَرَاتِ يَبِتْنَ على ذي الهَمِّ مُعْتَكِرَاتِ

ساعدني أيها الصديق وأنا أعاني الهموم، وأعالج ذكريات باتت تتراكم وتعتكر على صاحب الهم

ظَلِلْتُ رِدَائي فوقَ رأسِيَ قَاعِداً أَعُدُّ الحَصَى، ما تَنْقَضي عَبَراتي

ظللت جالساً واضعاً ردائي فوق رأسي أداري دموعي، وأنا حائر أعبث بالحصى

٨ الدنيا فانية

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ الزَّبُورِ في العَسِيبِ اليَمَاني

لمن هذا الطلل الذي يبعث الحزن في قلبي، وهو يشبه خط الزبور، أي القلم، المرقوم على سعف النخل اليماني

لَيالِيَ يَدْعُوني الهَوى فَأُجِيبُهُ وأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ رَوَانِ

في تلك الأيام الخوالي كان الحب يدعوني فأجيبه، وكانت الحبيبة ترنو إليَّ بعينيها

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَانِ مِنَ النَّشَوَاتِ والنِّسَاءِ الحِسَانِ

تمتع بالنشوات، بشرب الخمر، وبالنساء فالدنيا فانية

٩ تخفق أكفاني

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وعِرْفَانِ وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنذُ أَزْمَانِ

قفا يا صاحبي نبكي ذكرى الحبيب وقد عرفنا مكان أطلال دياره، ونبكي هذا الرسم، هذا الأثر الممحو، الذي عفت وامّحت آياته، أي علاماته، منذ زمن بعيد

أَتَتْ حِجَجٌ بَعْدي عليْها فأصبَحَتْ   كَخَطِّ زَبُورٍ في مَصَاحَفِ رُهْبَانِ

مرت سنين بعد عهدي بهذه الديار، فأصبحت كخط الزبور، أي القلم، في أوراق الرهبان

ذَكَرْتُ بِها الحَيَّ الجَميعَ، فَهَيَّجَتْ   عَقابيلَ سُقْمٍ مِنْ ضَميرٍ وأشْجَانِ

ذكرت عند هذه الأطلال القوم أيام هم مجتمعون لم يتفرقوا؛ فهيجت الذكرى في قلبي عقابيل، أي بقايا، مرض وبقايا أحزان

إذا المرْءُ لم يَخْزُنْ عليهِ لِسَانَهُ   فليس على شيءٍ سِواهُ بِخَزَّانِ

إن لم يحفظ الإنسان لسانه فلن يحفظ لا شرفاً ولا سراً

فَإمَّا تَرَيْني في رِحَالَةِ جَابِرٍ   على حَرَجٍ كالقَرِّ تَخْفِقُ أكْفَاني

إن تريني أيتها الحبيبة متمدداً على خشبة مع صاحبي جابر والريح تعبث بثيابي التي فيها سأدفن فهي أيضاً أكفاني..

فَيَا رُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ   وعَانٍ فَكَكْتُ الغِلَّ عنهُ فَفَدَّاني

فلقد طالما اندفعت وراء شخص مكروب اجتمعَ عليه الأعداء في المعركة كي أنفّس عنه، وطالما فككت القيد عن العاني، أي الأسير، فقال لي: فداك أبي

وغَيْثٍ كَألْوانِ الفَنَا قَد هَبَطْتُهُ   تَعَاوَرَ فيهِ كُلُّ أوْطَفَ حَنَّانِ

رب سهل مروي بالغيث قد نزلت فيه، وهو عامر بالأزهار الحمراء التي تشبه حب الفنا، وكانت تتوالى على السهل الغيوم بأمطارها ذات الصوت الناعم

على هَيْكَلٍ يُعطيكَ قبلَ سُؤَالِهِ   أفَانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ ولا وَانِ

وكنت أكون على فرس كبير الجرم، يعطي فارسه أنواعاً من الجري دون حاجة لحث، فالفرس نشيط ولعوب، وهو غير منقبض ولا وانٍ، أي غير كسول. والفرس إذا كان ذكراً فهو هو، وإن كانت أنثى فهي هي

كَتَيْسِ الظِّبَاءِ الأعْفَرِ انْفَرَجَتْ لَهُ   عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمارِيخِ ثَهْلانِ

فرسي كغزال فحل أعفر اللون، أبيض محمر، بدت له في الجو عقاب هبطت من قمم جبل ثهلان، فهو يركض هارباً منها

وخَرْقٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ مَضِلَّةٍ   قَطَعْتُ بِسَامٍ سَاهِمِ الوَجْهِ حَسَّانِ

ورب خرق، صحراء، مقفر مثل صحراء «جوف العير» يضل فيه المرء، قطعته بحصان عالٍ ساهم الوجه، في وجهه قلق، ولكنه حسن يعجب الرائين

يُدافِعُ أعْطَافَ المطَايا بِرُكْنِهِ   كَمَا مَالَ غُصْنٌ نَاعِمٌ بينَ أغْصَانِ

هذا الحصان يكون وسط الإبل فيدفعها بجانبة ويميل عليها مثلما يميل الغصن الناعم بين الأغصان

١٠ الحُزَقَّة

قال يهجو خالد بن سدوس:

وأَعْجَبَنِي مَشْيُ الحُزَقَّةِ خَالِدٍ كَمَشْيِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ في المَنَاهِلِ

ما أعجب مشي خالد الحزقة، القصير، فهو يمشي متردداً كأنثى حمار حلئت، منعت من ورود الماء

١١ رضيت من الغنيمة بالإياب

أَرَانَا مُوُضِعِينَ لِحَتْمِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعَامِ وبالشرابِ

نحن موضعون، مسرعون، في اتجاه أمر غامض لكنه محتوم، وننشغل بتحصيل أكلنا وشربنا

عَصَافِيرٌ وذِبَّانٌ ودُودٌ وأَجْرَأُ مِنْ مُجَلِّحَةِ الذِّئَابِ

نحن كبقية المخلوقات الدنيئة، ولكننا نتصرف بجرأة كالذئاب الهاجمة

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عاذِلَتي فإنِّي سَتكفِيني التَّجارِبُ وانْتِسَابي

خففي من لومك يا عاذلة، فإنني تكفيني تجاربي ونسبي الوقوعَ في الحماقات. وفسروا البيت بغير ذلك، ناظرين إلى ما بعده

إلى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ عُروقي وهذا الموتُ يَسْلُبُني شَبابي

أصلي من التراب، وسوف يسلبني الموت شبابي

ونَفْسِي سوفَ يسلُبُها وجِرْمِي فَيُلْحِقُني وَشيكاً بالتُّرابِ

وسيسلبني الموت نفسي وجسمي، وسأدفن سريعاً في التراب

وقد طَوَّفْتُ في الآفَاقِ حتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإيَابِ

سافرت كثيراً، ورضيت ألا أحصل على أي غنيمة سوى العودة سالماً

١٢ نفس تَساقَطُ أنفسا

تَأَوَّبَني دَائي القَديمُ فَغَلَّسَا أُحاذِرُ أنْ يَرْتَدَّ دَائي فَأُنْكَسَا

عاد إليَّ مرضي القديم في الغلس، في الظلمة قبيل الفجر، وأخشى أن تكون هذه انتكاسة فيعود إلي المرض

فَإمَّا تَرَيْني لا أُغَمِّضُ ساعَةً مِنَ الليلَ إلَّا أنْ أُكَبَّ فَأنْعَسا

إن كنتِ ترينني ساهراً لا أكاد أنام إلا من تكبية قليلة، أي تهويم ونعاس خفيف..

فَـيَـا رُبَّ مَـكْـرُوبٍ كَـرَرْتُ وَراءَهُ وطَاعَنْتُ عنهُ الخَيْلَ حتى تَنَفَّسَا

فكثيراً ما كنت أندفع وراء المكروب من صحبي، المزنوق في المعركة، فأطعن الخيل المحيطة به وأنفس كربته

ويـا رُبَّ يـومٍ قـد أروُحُ مُـرَجَّـلاً حَبيباً إلى البِيضِ الكَواعِبِ أمْلَسَا

وكثيراً ما كنت أنصرف وشعري مرجل حسن أملس، وأنا محبوب من الفتيات البيض الشابات

أَرَاهُـنَّ لا يُـحْـبِـبْـنَ مَـنْ قَـلَّ مَـالُـه ولا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فيهِ، وَقَوَّسَا

النساء لا يحببن الفقير، ولا ذا الشيب، ولا المقوس الظهر. . شكراً على المعلومة

فَلَوْ أَنَّها نَفْسٌ تَموتُ جَمِيعَةً ولَـكِـنَّـها نَـفْـسٌ تَـسَاقَـطُ أَنْـفُـسَـا

لو أن نفسي تموت موتة مفاجئة لكان ذلك أهون، ولكنها تتساقط شيئاً بعد شيء

وبُدِّلْتُ قَرْحَاً دَامِياً بعدَ صِحَّةٍ لـعـلَّ مَـنَـايَـانـا تَـحَـوَّلْـنَ أَبْـؤُسَـا

وبعد صحة أصبحتُ ذا قروح دامية بجسمي، فالموت قد تحول من فناء سريع إلى معاناة طويلة

١٣ الآن أَشربْ

يهجو بطوناً من بني أسد لخذلانهم إياه:

قُـولا لِـدُودَانَ عَـبِـيـدِ الـعَـصَـا مـا غَـرَّكُـمْ بِـالأَسَـدِ الـبَـاسِـلِ

قولا يا صاحبي لقبيلة دودان، العبيد الذين يضربون بالعصا، ما الذي جرَّأكم على الأسد الباسل، والباسل: المتجهم

قـد قَـرَّتِ الـعَـيْـنـانِ مِـنْ مَـالِـكٍ ومِـنْ بَـنـي عـمـرٍو ومِـنْ كَـاهِـلِ

لقد رضيت بما أوقعتُه بتلك القبائل الأخرى

نَـطْـعَـنُـهُـمْ سُـلْـكَـى ومَـخْـلُـوجَـةً كَـرَّكَ لأْمَـيْـنِ عـلـى نَـابِـلِ

كنا نطعنهم سلكى، طعناً مستقيماً، ومخلوجةً، طعناً من الجنب، بسرعة عجيبة كما يناول المرء راشق السهام سهمين متواليين بأسرع من قدرته على التسديد

حَـلَّـتْ لِـيَ الـخَـمْـرُ وكـنـتُ امْـرَأً عـنْ شُـرْبِـهـا فـي شُـغُـلٍ شَـاغِـلِ

بعد انتصاري عليهم تحللت من يميني بألا أشرب الخمر، وكنت أصلاً مشغولاً عن الخمر بقتال أعدائي

فـالـيَـوْمَ أَشْـرَبْ غَـيـرَ مُـسْـتَـحْـقِـبٍ إِثْـمـاً مِـنَ الـلَّـهِ ولا وَاغِـلِ

فالآن أشربُ الخمر غير مستحقب إثماً، غير واضع في حقيبتي إثماً، وأشربها متفضلاً لا واغلاً متطفلاً على القوم. وجعلوا «أسقى» بدل «أشربْ» ليستقيم الإعراب

١٤ قسَم

تَـالـلَّـهِ لا يَـذْهَـبُ شَـيْـخـِي بَـاطِـلا

أقسم ألا يذهب دم أبي هدراً

حـتَّــى أُبِـيــرَ مَــالِـكــاً وكَــاهِــلا

حتى أبير، أي أبيد، هاتين القبيلتين

الـقَـاتِـلـيـنَ الـمَـلِـكَ الـحُـلاحِـلا

اللتين قتلتا الملك السيد الشجاع

١٥ وحسبك من غنىً شِبع وريّ

سُرقت إبل امرئ القيس وهو في كنف بني نبهان، فأعطوه معزى تقوته، فقال:

أَلَا إِلَّا تَـكُــنْ إِبِــلٌ فَـمِــعْــزَى   كَـأَنَّ قُـرُونَ جِـلَّـتِـهـا الـعِـصِـيُّ

لئن لم يبق عندي إبل فها هي الغنم التي كأن قرون جلتها، أي كبارها، العصيّ

إِذَا مُـشَّــتْ حَــوالِـبُـهــا أَرَنَّــتْ   كَـأَنَّ الـحَـيَّ صَـبَّـحَـهُـمْ نَـعِـيُّ

إذا عصر الحالب حلماتها صدر منها صوت لدى ارتطام الحليب بالعلبة الخشب، يشبه صوت أنين الناس إذا أصبحوا وقد مات لهم ميت

تَـرُوحُ كَـأَنَّـهـا مِـمَّـا أَصَـابَـتْ   مُـعَـلَّـقَـةٌ بِـأَحْـقِـيِـهـا الـدُّلِـيُّ

تعود الغنم من المرعى وقد أصابت العشب الكثير وصارت ضروعها معلقة بجانبيها كأنها الدِّلاء، جمع دلو

فـتُـوسِـعُ أَهـلَـهـا أَقِـطَـاً وسَـمْـنَـاً   وحَـسْـبُـكَ مِـنْ غِـنَـىً شِـبَـعٌ ورِيُّ

فتفضل على أصحابها أقطاً، جبناً، وسمناً، وفي هذين ما يكفي، ويكفيك من الغنى أن تشبع وتروى

١٦ مدح المعلى

قال يمدح المعلَّى من تيم بن ثعلبة من طيء، وقد أجاره:

كَـأَنِّـي إِذْ نَـزَلْـتُ عـلـى الـمُـعَـلَّـى   نَـزَلْـتُ عـلـى الـبَـواذِخِ مِـنْ شَـمَـامِ

كأني إذ نزلت ضيفاً على المعلى نزلت بقمم جبل شمام

فَـمَـا مَـلِـكُ الـعِـراقِ عـلـى الـمُـعَـلَّـى   بِـمُـقْـتَـدِرٍ، ولا الـمَـلِـكُ الـشَّـآمـي

وهو سيد لا يقدر عليه ملك العراق ولا ملك الشآم

أَقَرَّ حَشَا امْرِئِ القيسِ بْنِ حُجْرٍ   بَنُو تَيْمٍ مَصابِيحُ الظَّلامِ

بنو تيم أقروا حشاي، وسكنوا مخاوفي

١٧ وكل غريب للغريب نسيب

قال وهو عليل في بلاد الروم يخاطب قبر امرأة في سفح جبل عسيب:

أَجَارَتَنَا إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ   وإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

أيتها المجاورة لنا إن المصائب تتوالى، ويبدو أنني سأقيم هنا ولا أبرح مثلما لا يبرح جبل عسيب

أَجَارَتَنا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا   وكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

نحن غريبان ههنا، والغربة تجمع بيننا كما يجمع النسب بين الناس

أَجَارَتَنا مَا فاتَ ليس يَؤُوبُ   ومَا هُوَ آتٍ في الزَّمانِ قَرِيبُ

ما ذهب لا رجعة له، والذي سيأتي حتماً فهو قريب مهما طال به الزمن

وليسَ غَرِيباً مَنْ تَناءَتْ دِيارُهُ   ولكنَّ مَنْ وَارَى التُّرابُ غَرِيبُ

من بعُد عن أهله ليس غريباً، الغريب حقاً هو الميت الذي واراه التراب

١٨ ذائد القوافي

قال في صباه:

أَذُودُ القَوافِيَ عَنِّي ذِيَادَا   ذِيَادَ غُلامٍ جَرِيءٍ جَوَادَا

أدفع القوافي عني دفعاً وهي تنهال علي، فأنا كالغلام الجريء الذي يروض جواداً

فَلَمَّا كَثُرْنَ وأَعْيَيْنَهُ   تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِتّاً جِيَادَا

لما تكاثرت علي القوافي تخيرت منها ستة جيدة

فَأَعْزِلُ مُرجَانَها جَانِباً   وآخُذُ مِنْ دُرِّها المُسْتَجَادَا

وأنا أبعد المرجان، صغار اللؤلؤ، وآخذ اللآلئ الكبيرة فقط

١٩ هجو حنظلة

أَحَنْظَلَ لَوْ كُنْتُمْ كِراماً صَبَرْتُمُ   وحُطْتُمْ، ولا يُلْفَى التَّمِيمِيُّ صَابِرا

يا قبيلة حنظلة، لو كنتم كراماً لصبرتم ولحميتم، ولكن قبائل تميم لا صبر لها على الحرب

٢٠ أتاني حديث فكذبته

وقال بعد أن بلغه مقتل أبيه:

أَرِقْـتُ لِـبَـرْقٍ بِـلَـيْـلٍ أَهَـلّ يُـضـيءُ سَـنَـاهُ بِـأعْـلَـى الـجَـبَـلْ

أرقت وأنا أرقب البرق الذي يضيء سناه، لمعانه، عند أعلى الجبل

أَتَـانـي حَـديـثٌ فَـكَـذَّبْـتُـهُ بِـأَمْـرٍ تَـزَعْـزَعُ مـنـهُ الـقُـلَـلْ

جاءني خبر كذبته عن أمر تتزعزع منه قمم الجبال

بِـقَـتْـلِ بَـنـي أَسَـدٍ رَبَّـهُـمْ أَلَا كُـلُّ شَـيْءٍ خَـلاهُ جَـلَـلْ

بأن بني أسد قتلوا ربهم، سيدهم، وكل شي سوى ذلك جلل، أي هين بسيط

فَـأيـنَ رَبـيـعَـةُ عـن رَبِّـهَـا وأيـنَ تَـمـيـمٌ وأيـنَ الـخَـوَلْ

فأين أخوالي من قبائل ربيعة كي تنتقم لسيدها، وأين تميم وأين الخول، العبيد

أَلَا يَـحـضُـرُونَ لَـدَى بـابِـه كـمـا يَـحـضُـرُونَ إذا مـا اسْـتَـهَـلّ؟

هلَّا حضر هؤلاء جميعاً للانتقام له، كما كانوا يحضرون إذا ما استهل وبدأ يوزع الأرزاق؟

٢١ تعلق قلبي طفلة عربية

تَـعَـلَّـقَ قَـلـبـي طِـفْـلَـةٌ عَـربـيَّـةٌ تَنَعَّمُ في الدِّيبَاجِ والحَلْيِ والحُلَلْ

تعلق قلبي بفتاة عربية تتنعم في الحرير والثياب والزينة

لـهـا مُـقْـلَـةٌ لـو أنَّـهـا نَـظَـرَتْ بِـهـا إلى رَاهِـبٍ قد صَامَ للَّهِ وابْتَهَلْ..

لو نظرت بعينها لراهب يصوم ويبتهل..

لأَصْـبَـحَ مَـفْـتُـوناً مُـعَـنًّـىً بِـحُـبِّـهـا كَأَنْ لـم يَصُمْ للَّهِ يومَاً ولـمْ يُصَلّ

لأصبح مفتوناً بها وكأنه لم يصلّ ولم يصم قط

أَلَا رُبَّ يـومٍ قـد لَـهَـوْتُ بِـدَلِّـهـا إذا مـا أَبُـوهـا لـيـلـةً غـابَ أو غَـفَـلْ

لهوت بدلالها ذات يوم وقد غاب أبوها، أو غفل عنا

حِجَـازِيَّـةُ الـعَـيـنَـيْـنِ مَـكِّـيَّـةُ الحَشَـا عِـرَاقِـيَّـةُ الأَطْـرَافِ رُومِـيَّـةُ الـكَـفَـلْ

الحشا: البطن

ولاعَبْتُها الشِّطْرَنْجَ خَيْلي تَرَادَفَتْ ورُخِّي عليْها دارَ بِالشَّاهِ بِالعَجَلْ

يبدو أنه بحصانه وبفيله في لعبة الشطرنج أكل شاهها وغلبها

وَقد كانَ لَعْبي كُلُّ دَسْتٍ بِقُبْلَةٍ　　أُقَبِّلُ ثَغْراً كَالهِلالِ إذا أَفَلْ

وكان شرطنا أن تكون بعد كل دست، لعبة، من الشطرنج قبلة للغالب، وكنت أقبل ثغرها الذي يشبه هلالاً في أواخر لياليه، ومن الشفاه الرقاق ما يعجب، ولا عليك بالتقليعة الحاضرة ـ ونكتب في أواخر سنة ٢٠١٥ ـ التي تمجد الشفاه الغلاظ

فَقَبَّلْتُها تِسْعاً وتِسْعِينَ قُبْلَةً　　وَواحِدَةً أُخْرَى وكنتُ على عَجَلْ

وعَانَقْتُها حتَّى تَقطَّعَ عِقْدُهَا　　وحتَّى فُصُوصُ الطَّوْقِ مِنْ جيدِهَا انْفَصَلْ

لا بد من كلمة نصح أخيرة: اسمع هذه القصيدة من هيام يونس أو من طلال المداح، والعن معي التسجيل على تراكات الذي فيه يصبح المغنى آلة من الآلات تسير على خطى المترونوم الرتيبة

٢٢ ألا يا عين

قال يبكي إخوته وقتلهم المنذر بن ماء السماء:

أَلَا يَا عَيْنُ بَكِّي لي شَنِينا　　وبَكِّي لي المُلوكَ الذَّاهِبينا

ابكي يا عيني شنيناً، بدمع مصبوب، وابكي الملوك الذين مضوا

مُلُوكاً مِنْ بَنِي حُجْرِ بنِ عَمْرٍو　　يُساقُونَ العَشِيَّةَ يُقتَلُونا

ملوك من بني أبي حُجْر، سيقوا للقتل

فَلَوْ في يومِ مَعْرَكَةٍ أُصيبُوا　　ولكِنْ في دِيارِ بَني مَرِينا

لو قتلوا في المعركة لهان، ولكنهم قتلوا صبراً وإعداماً عند بني مرين بالحيرة

فَلَمْ تُغْسَلْ جَماجِمُهُمْ بِغِسْلٍ　　ولكِنْ بالدِّمَاءِ مُرَمَّلِينا

فلم تغسل رؤوسهم بالطيب، ولكنها تركت ملطخة بدمائها

تَظَلُّ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عليْهِمْ　　وتنتَزِعُ الحَواجِبَ والعُيونا

وألقي بهم في البر، فالطيور مجتمعة عليهم تنتزع حواجبهم وعيونهم

٢٣ الكريم غير منان

أَفْسَدْتَ بِالمَنِّ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ　　لَيسَ الكريمُ إذا أَسْدَى بِمَنَّانِ

أفسدت إحسانك بالمن، التذكير بالنعمة، والكريم لا يمنُّ إذا أسدى معروفاً

٢٤ نار بلا دخان

حَمَلْتُ رُدَيْنِيّاً كَأَنَّ سِنَانَهُ　　سَنَا لَهَبٍ لم يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

حملت رمحاً كأن سنانه اللامع ضوء لهب لكن من غير دخان

امرؤ القيس

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

زهير بن أبي سُلْمى
(١٠٠ ق هـ ــ ١٠ ق هـ)

قال البكري في «التنبيه» إنه ليس في العرب «سُلمى» بضم السين إلا أختُ زهير.

أشرح لك الشعر الجاهلي وبجانبي ما تيسر من شروح القدماء، فهذا تفسير من الأصمعي، وذاك تعليق من ثعلب، وهذا شرح مستفيض من الأعلم الشنتمري، أو من صاحب الأغاني الذي كان يشرح بعض ما يورد من قديم الشعر. وأنظرُ فيما سرقه المحققون المحدثون من شروح القدماء وذيلوا به الأبيات، وأرى بعضهم يضيف وهماً هنا، وتفسيراً قاموسياً هناك، وقلَّما أجد سارقاً عنَّى نفسه بفهم البيت، وكلف قلمه كتابة شرح حقيقي له.

ثم إنني أنظر في بعض ما يعنُّ من كتب مدرسية وجامعية، أفعل ذلك كي أوقد تنور الشرَّ تحت مرجل قلبي. فأجد عند هؤلاء المدرسيين الرُّقَعاء عبارات تثير اشمئزازي: «المقدمة الطللية» و«الصورة الفنية»، وقد يجرب بعضهم حظه في حقل الخاطرة الرومنسية فيكتب «يقف الشاعر وقفة محزون، يندب محبوبته، ويسأل طللها أن يخبره أين ذهبت، و. .» ويصعد بخار الاشمئزاز إلى رأسي فأكتب لك في مثل هذه المقدمات أهجيات أعمم بها رؤوس أولئك المدرسيين. وأنت تعرف أنني أفعل ذلك للتسلية.

قد جبلنا على تسقط أخطاء الآخرين. لا أرى نفسي مقنعَك بأن شرحي خير شرح إلا بعد أشتم الشارحين الآخرين.

وقد تستعجل فتظن أنني أسب الأكاديميين لأنني لم أفلح في أن أكون منهم. ولك مسوغ. فأنا لم أحمل من تلك الشهادات الرقيعة سوى الشهادة الجامعية الأولى، وما نلتها إلا بالضغط الشديد من والدي رحمه الله، فقد لاحقني

تسع سنين، من جامعة إلى جامعة، ومن بلد بعد بلد، وهو يحثني على نيل تلك الشهادة. وكان على حق في جانب؛ فلولا هي، أقصد لولا تلك الورقة التافهة، لما وجدت وظيفة مريحة أتمكن على هامشها من متابعة مطالعاتي. على أنك لست محقاً في الظن بأنني حاقد على الأكاديميين لأنني لست منهم. أنا لست منهم ولكنني عرفتهم عن قرب وعملت معهم. قد كنت محاضراً في جامعة ـ هي أفضل جامعة في بلدي، جامعة بيرزيت ـ سبع سنين وخمسة أشهر، كنت فيها مديراً لمعهد متميز، وكان مرتبي يصل إلى ضعف مرتب حامل الدكتوراه في معظم تلك السنين. كان ذلك ببركة ما اكتسبت من خبرة في حقل الإعلام. وإنني أذكر ذلك لسبب فرعي وسبب أساسي. فأما السبب الفرعي فهو إزجاء مديح إلى تلك الجامعة لأنها لم تقيد نفسها بتلك القيود التي لا تكاد تخلو منها كلية في كل جامعات العالم العربي، تلك القيود التي تجعل تقييم الأستاذ مستنداً إلى عنصر واحد فقط هو ما يحمله من أوراق تافهة، وقد صرت تعرف الآن ما أعني بالأوراق التافهة. (استطراد: بعض الجامعات العربية تقيم الأستاذ أيضاً بما ينشر من بحوث، وليتها لا تفعل، فالإنتاج المعرفي في جامعاتنا رديء). والسبب الأساسي لحديثي عن عملي في الجامعة هو أن أقنعك بأنني لا أشتم الأكاديميين حسداً، ولا حتى سعياً لإصلاحهم. أما قلت لك إنني أفعل ذلك لوجه التسلية! كأنك تنسى بسرعة.

أشتم فيهم الكسل، والاستسهال، والاستعباط.

عندما كان الاحتلال الجاثم على صدر بلادي يغلق الجامعات أسابيع أو حتى أشهراً، كان الأكاديميون يولولون ويحملون همّاً: كيف سيحضر الطلبة الدروس، وكيف سينتهي الفصل الدراسي، وكيف ستتم «تغطية» المادة. وكان الطلبة في فترات الإغلاق تلك يتعلمون أكثر: اللاهي العابث منهم يتعلم أشياء عن مجتمعه، والجاد منهم يقرأ قراءة حرة، أو يقعد في بيته يتأمل، أو يسافر إن كان أهله من ذوي اليسار، أو يلهو لهواً بريئاً أو غير بريء. و«كل» أولئك خير «لكل» طالب من «كل» ما يلقيه عليه الأكاديميون من محاضرات.

أريد قبل أن أدخل معك إلى عالم زهير بن أبي سلمى، أن أعتذر عن مقالات لي سبقت، ومقالات لا شك ستأتي. فإن كنت ممن يعرفني وجاهياً فالاعتذار مضاعف. أعتذر عن توهجات الحماسة التي تصدر عني كلما قرأتُ

كتاباً جيداً، فلا أعفي معارفي ولا قرائي من الحديث المستفيض والتمجيد الكبير لهذا الذي قرأته. حتى لقد صار بعضهم يسألني: ما أخبار صاحبك فلان مؤلف الكتاب الفلاني؟

أدرك أن القارئ بغير لغته يدخل عليه من الانبهار بما يقرأ نصيب يزيد أو ينقص بقدر ما في نفسه من انبهار بالآخر، وبقدر ما عنده من ميل إلى جلد الذات، وبقدر ما يحس به من استكانة أمام اللغة الأجنبية التي يقرأ بها. على أنني أرى في هذه الدنيا الواسعة إنتاجاً معرفياً طيباً يغيظني.. يؤلمني غياب المترجمين الفحول، ويؤلمني أننا نترجم الروايات كثيراً ولا نلتفت إلى كتب التاريخ والعلم.

وأشتاق أن أترجم شيئاً مفيداً، ولكنني غارق في هذا الشعر العتيق الذي فرضته على نفسي، ويقيدني أن معرفتي باللغة الأجنبية ليست بالقدر الكافي للتصدي للترجمة إلا ببذل جهد إضافي.

على أنني أعيش في الأوان الأخير حمّى قرائية. عندما ينتصف الكتاب الذي بيدي أبدأ أشعر بالخطر.. وآخذ في ارتياد المكتبات بحثاً عن الكتاب المقبل. وعندي الآن بحمد الله كتاب بقيت منه صفحات قليلة، وآخر كبير ينتظر، فلا خطر.

أمّا الكتاب الذي ينتظر فلا سبيل إلى كيل المديح له. هو بطيخة مقفلة. فأما الذي بين يدي الآن فهو ـ طبعاً ـ أعظم كتاب قرأته حتى الآن. هذا طبعي الطفولي.. آخر كتاب هو الأعظم، والأجمل. سبحان من خلقني.

سأذهب عنك الآن كي أكمل كتابي. وعندما أعود إليك يكون قد خرج من رأسي، فلا أصدع رأسك بما فيه.

زهير بن أبي سُلمى

اشتغل بشعر زهير الأصمعي وأبو عمرو والمفضل، وشرحه ثعلب، والأعلم الشنتمري، وطبع شرح ثعلب في مصر عام ١٩٤٤، وطبع شرح الأعلم قبل ذلك بأربعين سنة، وقبل ذلك بعشرين سنة كان قد طبع في ليدن. ولم يكن الشارحون القدامى متأكدين من معنى كل بيت، فكانوا يسددون ويقاربون. وتبعناهم وسددنا وقاربنا، واجتهدنا أن يكون ذلك بلغة معاصرة. فإن أخذنا من كلماتهم عبارة ـ حتى لو كانت كلمتين أو ثلاثاً ـ فنحن ننسب

ذلك إليهم، فنحن لا نحب أن تتسلط ألسنة القدامى على لساننا. وقد رأينا السارقين المحدثين يأخذون الشرح كله، ويختصرون، ولا يشيرون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولد زهير قبل الهجرة بمئة عام وتوفي قبل الهجرة بعشرة أعوام.. هذا على وجه التقريب. وحضر الإسلام ابناه كعب وبجير وأسلما، ومدح ابنه كعب النبي بقصيدة «بانت سعاد» المشهورة. وكان لزهير أختان شاعرتان، وحفظ الرواة لأبيه شعراً، فأما خاله بشامة بن الغدير فشاعر جاهلي معروف. مات بشامة وقال لزهير وهو يجود بنفسه: قد ورَّثتك الشعر.

عاش زهير طفولته يتيم الأب، وبعد وفاة أبيه تزوجت أمه شاعراً معروفاً هو أَوْس بن حَجَر. وأصبح زهير راوية لأوس، ويرى عمر فروخ في «تاريخ الأدب العربي» أن في شعر زهير الكثير من صفات شعر أوس.

وزهير أستاذ الحطيئة في الشعر. وكان الحطيئة يلوذ بكعب بن زهير ويحفظ له الود. فزهير بن أبي سلمى، على هذا، عاش في شعر من سبقوه ومن عاصروه، وأعاش جيلاً من الناس على شعره وشعر أولاده. وفي هذه الثريا من الشعراء زهير هو النجم الأسطع.

زهير من مُزَيْنَة، وهي قبيلة مضرية صغيرة، وقد التصق والده «ربيعة»، المعروف بكنيته أبي سُلمى، بقبيلة غطفان في قصة طويلة. وعاش زهير في أجواء النزاعات القبيلة رجلاً حكيماً غنياً. فقد قيل إنه ملك في زمنه ألف جمل. على أنه مدح سيدين من قبيلة مرة في الصلح الذي عقداه بين عبس وذبيان ونال عطاياهما.

تزوج زهير «أم أوفى» فولدت له أولاداً ماتوا صغاراً، فتزوج «كبشة» فولدت له كَعْباً وبُجَيْراً.

أحسنُ شعر زهير المعلقة، فها قد قلنا لك إنه من شعراء المعلقات. ونقول أيضاً إنه اشتهر بتنقيح شعره، وزعموا أنه كان يترك القصيدة حولاً كريتاً، أي سنة كاملة، قبل أن يذيعها في الناس، وهو في أثناء ذلك ينقحها ويهذبها. وجعل المتفيهقون من الأكاديميين هذا الصنيع «مدرسة شعرية»، وأجهدوا أنفسهم في إثبات أن الحطيئة من أتباعها. وهذا كله هراء نقدي، وجدناه عند القدماء واتَّبعهم، بغير إحسان، جوقة الأكاديميين البغيضة.

١ ومهما تكن عند امرئ من خليقة.. (المعلقة)

تدخل هرم بن سنان والحارث بن عوف للإصلاح بين عبس وذبيان في سياق حرب داحسٍ والغبراء، وبذلا المال الكثير في الدِّيَات، قيل ثلاثة آلاف بعير، إلَّا أن رجلاً من ذُبْيَان، اسمه الحصين بن ضمضم، تخلف عن مجلس الصلح، لأمر في نفسه. واختلى يوماً بعبسيٍّ فقتله انتقاماً لرجل من أقاربه. وتدارك الحارث بن عوف الأمر بأن أرسل إلى عبس مئة من الإبل ومعها ولدٌ له. وقال لعبس: هذا ابني تقتلونه بأخيكم، أم الإبل أحب إليكم؟ فأخذوا الإبل، وسلم الولد، ودام الصلح. فقال زهير بن أبي سلمى يمدح الحارثَ وهَرِماً:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لـم تَـكَـلَّـمِ بِحَـوْمَـانَـةِ الـدَّرَّاجِ فَـالـمُـتَـثَـلَّـمِ

أهذا الطلل الذي لا يتكلم فيجيب عن سؤالنا هو طلل «أم أوفى»؟ وسمَّى مواضع بعينها

ودَارٍ لـهـا بِـالـرَّقْـمـتَـيْـنِ كـأنَّـهـا مَراجيعُ وَشْمٍ في نَواشِرِ مِعْصَمِ

رب دار لأم أوفى في الرقمتين، وقد رحلت عنها فبدت آثارها مفرقة كأنها الوشم المكرر الذي أعيد رسمه على عروق المعصم

بِها العِينُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وأَطْلاؤُها يَنهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

هناك أرى العين، البقر الوحشي ذا العيون الواسعة ـ فها قد تبين لك معنى العِين في تعبير «الحور العِين»، فأما الحور فمن صفا سواد أعينهن في صفاء بياضها ـ وأرى الآرام، أي الظباء، تمشي خلفة، سرباً خلف سرب، والأطلاء، صغار الظباء، ينهضن من المرابض، ليلحقن بأماتهن

وَقَفْتُ بِها مِنْ بعدِ عِشْرينَ حِجَّةً فَـلأْيـاً عَـرَفْـتُ الـدَّارَ بـعـدَ تَـوَهُّـمِ

وقفت بأطلالها بعد عشرين سنة، فبطء عرفت الدار، وبعد كثير من الظنون

أَثـافِيَّ سُـعْـفَـاً فـي مُـعَـرَّسِ مِرْجَـلٍ ونُـؤْيَـاً كَـجِذْمِ الـحَـوْضِ لـم يَـتَـثَـلَّـمِ

رأيت أثافي سعفاً، حجارة قِدْرٍ مسودَّة، في مكان نصب القدر، ورأيت نؤياً، قناة كانت تحفر حول الخيمة درءاً لماء المطر أن يدخل الخيمة، وهذه القناة مثل أصل حوض الماء، فكأن سداً من الرمل المتيبس يكتنف القناة وما زال يبدو للعين لم يتثلم

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدارَ قلتُ لِرَبْعِها أَلا انْعَمْ صَباحاً أيها الرَّبْعُ واسْلَمِ

فلما تأكدت وعرفت أن هذا هو منزلها ألقيت عليه التحية

تَبَصَّرْ خَليلي هل تَرى مِنْ ظَعائِنٍ تَـحَـمَّـلْـنَ بِـالـعَـلْـيـاءِ مِنْ فوقِ جُرْثُـمِ

ينتقل بخياله إلى ما قبل عشرين سنة.. انظر يا صاحبي أترى النساء الراحلات على الإبل تسير على الهضبة التي تعلو نبع «جرثم»؟

جَعَلْنَ «القَنَانَ» عن يَمِينٍ وحَزْنَهُ   وكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ ومُحْرِمِ

جعلت الراحلات جبل القنان وحزنه، سفوحه الوعرة، عن اليمين.. وما أكثر ما بهذا الموضع من قاصد بيت الله ومن مقيم لا يقصده

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ   وِرَادٍ حَواشِيها مُشَاكِهَةِ الدَّمِ

ركبت النساء جمالهن المجللة بقماش مخطط، وعلى الهوادج الكلل، أي الستور، وحواشيها موردة بالحمرة القانية التي تشاكه، أي تشابه، في لونها الدم

ووَرَّكْنَ في «السُّوبَانِ» يَعْلُونَ مَتْنَهُ   عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّمِ

ركبن أوراك الإبل في مرتفَع «السوبان»، وهن نسوة ناعمات مدللات

بَكَرْنَ بُكُوراً واسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ   فَهُنَّ وَوادي الرَّسِّ كَاليَدِ لِلْفَمِ

رحلن باكراً ومضين في وقت السحر قبيل الفجر، يقصدن وادي الرس، وقد قصدنه قصد عارف بموضعه فلا يخطئنه مثلما لا تخطئ يد الآكل موضع فمه

كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كلِّ منزلٍ   نَزلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

كأن فتات العهن، الصوف المصبوغ، في كل مكان نزلن فيه للاستراحة، حب الفنا، ثمر أحمر، لم يُفعَصْ ولم يُرهَص ولم يُرضَخ، فهو إذا فُعِصَ زال لونه

فلمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ   وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ

لما وردن الماء الصافي، الذي يبدو صفاؤه في الأحواض العميقة، وضعن عصي الترحال ونزلن ونصبن الخيام

فَأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الذي طَافَ حولَهُ   رِجالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُريشٍ وجُرْهُمِ..

أقسمت بالكعبة التي طاف بها الرجال الذين بَنَوْها من قريش وجرهم..

يَميناً لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما   على كلِّ حَالٍ مِنْ سَحيلٍ ومُبْرَمِ

أنتما خير سيدين سواء في حال السحيل أو المبرم، فالسحيل الحبل غير المحكم الفتل، والمبرم المحكم الفتل، كناية عن حالَي الرخاء والشدة

تَدارَكْتُما عَبْساً وذُبْيَانَ بعدَمَا   تَفَانَوْا ودَقُّوا بينَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ

أنقذتما قبيلتي عبس وذبيان بعد أن كادوا يتفانون، أي يفني بعضهم بعضاً، وبعد أن دقوا بينهم عطر منشم، وقيل إن منشم هذه كانت امرأة تبيع العطر، يتعطر عندها الرجال قبل المضي إلى الحرب.
(ذكر الأعلم الشنتمري أربع قصص طريفة تفسر «عطر منشم»، واخترنا منها الأشهر)

وقد قُلْتُما إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعاً   بِمَالٍ ومَعْرُوفٍ مِنَ القولِ نَسْلَمِ

وحاولتما تحقيق السلم ببذل المال وإرضاء المتحاربين من الطرفين

فأَصْبَحْتُما مِنها على خيرِ مَوْطِنٍ بَعيدَيْنِ فيها مِنْ عُقوقٍ ومَأْثَمِ

فوفقتما إلى خير موضع. . إلى موضع ابتعدتم فيه عن العقوق والإثم

تَعَفَّى الكُلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصبَحَتْ يُنَجِّمُها مَنْ ليس فيها بِمُجْرِمِ

تتعفى الكلوم، أي تنمحي الجراح، ببذل مئات النياق، وقد أصبح ينجم هذه النياق، أي يعطيها دفعة وراء دفعة، من لم يرتكب أي جرم، ولم يكن طرفاً في الحرب

فأَصبحَ يَجري فيهِمُ مِنْ تِلادِكُمْ مَغانِمُ شَتَّى مِنْ إِفالِ «المُزَنَّمِ»

أصبح يجري في القوم المتحاربين الخير الكثير من مالكم الموروث، من تلك الإفال، أي النياق الصغيرة، من نسل الفحل المعروف باسم المزنم

أَلَا أَبْلِغِ الأَحلافَ عَنِّي رِسالَةً وذُبْيَانَ، هل أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ

أبلغ ذبيان والأحلاف رسالتي: هل أقسمتم على القتال وتعاهدتم على رفض الصلح؟

فَلا تَكْتُمُنَّ اللَّه ما في نفوسِكُمْ لِيخْفَى، ومَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ

فلا تكتموا في نفوسكم حقداً، بعد الصلح، فالله يعلم ما في الصدور

يُؤَخَّرْ فَيوضَعْ في كِتابٍ فَيُدَّخَرْ لِيومِ الحِسابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

وكتمان الحقد والتنطح للثأر لاحقاً، أمر يوضع في حسابكم عند الله لعقاب آجل، أو عقاب عاجل

وما الحربُ إِلَّا مَا علِمْتُمْ وذُقْتُمْ ومَا هُوَ عنها بِالحديثِ المُرَجَّمِ

وأنتم تعلمون حقيقة الحرب وقد ذقتموها، وليس الحديث عنها حديث ظنون وأوهام

مَتَى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوها ذَميمَةً وتَضْرَ إذا ضَرَّيْتُمُوها فَتَضْرَمِ

إذا بدأتم بالحرب فهي ذميمة يقع عليكم الذم بها، وإذا ضريتموها، وأشعلتموها شاملة، فهي تصبح ضارية مفترسة، وتشتعل ناراً

فَتَعْرُكْكُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِها وتَلْقَحْ كِشَافاً ثم تُنْتِجْ فَتُتْئِمِ

تطحنكم الحرب مثلما تطحن الرحى القمح وتحتها ثفالها، الجلد الذي يوضع ليسقط عليه الجريش، والحرب تكبر وتتعاظم فهي كالشاة التي تتلقى اللقاح مرتين في العام، ثم تلد التوائم. (راجعت نحو خمسة عشر كتاباً من طبعات شتى لديوان زهير ولشروح المعلقات، وكلها يرفع «تعرككم»، غير منتبهٍ إلى وجوب الجزم إلا محمد علي الهاشمي في تحقيقه جمهرة القرشي، ومحمد علي طه الدرة في إعراب المعلقات)

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ، ثم تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

ونتيجة الحرب ـ بما أننا نتحدث عن الولادة ـ هي غلمان شؤم مثل أحمر عاد، قُدَار المشؤوم الذي عقر ناقة صالح فسبب لقومه الهلاك. يولد فيكم أبناء شؤم في الحرب، يرضعون حرباً ويفطمون على حرب، ويكبرون ويطلبون الثأر، فهي دائرة شر لا تنتهي

فَتُغْلِلْ لَكُمْ ما لا تُغِلُّ لِأَهلِها   قُرىً بِالعراقِ مِنْ قَفيزٍ ودِرْهَمِ

يقول ساخراً: تكون غلة الحرب وحصادها مثل حصاد قرى العراق التي تكال بالقفيز وتوزن بالدرهم، فحصادكم كثير لكنه حصاد قتلى وجرحى

لَعَمْري لَنِعْمَ الحَيِّ جَرَّ عَلَيْهِمُ   بِما لا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بنُ ضَمْضَمِ

القوم طيبون ولكن حصيناً هذا جر عليهم البلاء الذي لا يقوم بمصلحتهم، فهو قد غاب عن مجلس الصلح مضمراً شراً، ثم انتقم لأخيه وقتل رجلاً من عبس

فَشَدَّ فَلم يُفزِعْ بُيوتاً كثيرةً   لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَها أُمُّ قَشْعَمِ

لقد شد شدة وهاجم غريمه دون أن يتعرض لغيره، ووجده في المكان الذي ألقت فيه رحلها «أم قشعم» كناية عن الموت. أي أنه قتله

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ   ثَمانينَ حَوْلاً لا أَبالَكَ يَسْأَمِ

سئمت شدائد العيش، ولا غرابة في أن يسأم من يعيش ثمانين سنة

وأَعْلَمُ ما في اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ   ولكنَّني عن عِلْمِ ما في غَدٍ عَمِ

خبرتي جعلتني أعرف تفاصيل ما جرى أمس وما يجري اليوم، ولكنني عمٍ، جاهل، عما سيأتي به الغيب

رَأَيْتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ   تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

الموت كخبط الناقة العشواء، التي لا تبصر في الظلام فهي تدوس كل شيء، وكذا الموت فهو يصيب الناس عشوائياً، فمن أصابه مات، ومن تركه عاش وشاخ

ومَنْ لم يُصانِعْ في أمورٍ كثيرةٍ   يُضَرَّسْ بِأَنيابٍ ويُوطَأْ بِمَنْسِمِ

ومن لم يجامل الناس يعَضُّوه بأسنانهم ويؤذوه، ويدوسوه كما يدوس البعير الشيء بمناسمه، أي بأخفافه

ومَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دونِ عِرضِه   يَفِرْهُ، ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

من يحمي شرفه بتقديم المعروف للناس فإنه يفرهُ، أي يتركه وافراً غير منقوص، ومن لا يجعل لنفسه وقاية من الشتم فالناس تشتمه

ومَنْ يَكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفضلِهِ   على قومِهِ يُسْتَغْنَ عنه ويُذْمَمِ

الغني الذي لا يبذل لقومه من ماله يستغني عنه قومه فيصبح منبوذاً، ويذمونه

ومَنْ يُوفِ لا يُذْمَمْ، ومَنْ يُهْدَ قلبُه   إلى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

من وفى بالحق لم يلحقه الذم، ومن يهتدِ إلى فعل الخير لا يتجمجم ولا يتردد

وَمَنْ هَابَ أَسْبابَ المنايا يَنَلْنَهُ   وإنْ يَرْقَ أسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ

الهائب من أسباب الموت، أي حباله، لا بد له من أن يموت حتى لو صعد إلى أسباب السماء، أي أبوابها، بسلم

وَمَنْ يَجْعَلِ المعروفَ في غيرِ أَهْلِهِ   يَكُنْ حَمْدُهُ ذمَّاً عليهِ ويَنْدَمِ

من يحسن إلى من لا يستحق الإحسان ينقلب الحمد المرتقب إلى ذم، ويندم المحسن

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرافَ الزِّجَاجِ فإنَّهُ   يُطِيعُ العَوالي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

من تمرد على الزُّجّ، الحديدة التي في ذيل الرمح، فسيأتي عليه يوم يطيع فيه الرماح العوالي التي ركبت فيها الأسنة المدببة. وكان المتحاربون في القديم إذ يتقابل الجمعان يصوب كل جمع إلى الخصوم ذيول الرماح، فيسعى الساعون في الصلح، فإن لم ينجح الصلح قلب المتحاربون الرماح وتطاعنوا بالأسنة

وَمَنْ لم يَذُدْ عن حَوضِهِ بِسلاحِهِ   يُهَدَّمْ، وَمَنْ لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ

من لم يدافع عن حوضه الذي يجمع فيه الماء لسقي إبله بسلاحه فسوف يهدم الأعداء حوضه، ومن لم يظلم الناس فهم يبادرون إلى ظلمه

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوّاً صَديقَهُ   ومَنْ لم يُكَرِّمْ نفسَهُ لم يُكَرَّمِ

المغترب غشيم يحسب العدو صديقاً، ومن لم يترفع عن الدنايا سقط في أعين الناس

ومَهْمَا تَكُنْ عندَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ   وإن خَالَها تَخْفَى على الناسِ تُعْلَمِ

والمرء لا يستطيع إخفاء خلائقه أي طباعه، فالناس ترى سريرته في وجهه

وكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ   زِيادَتُهُ أو نَقْصُهُ في التَّكَلُّمِ

كثيراً ما يعجبك الرجل الصامت، ولكن حقيقته تبدو عندما يتكلم

لِسانُ الفَتَى نِصفٌ ونِصفٌ فُؤَادُهُ   فلم يَبْقَ إلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

منطق الإنسان نصف قيمته، والنصف الثاني ضميره، وسوى ذلك مجرد لحم ودم

وإنَّ سِفاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ   وإن الفَتى بعدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

إذا رأيت الشيخ أحمق فلا أمل في أن يصبح عاقلاً، وأما الفتى فقد يصبح عاقلاً بعد إذ كان سفيهاً

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وعُدْنا فَعُدْتُمُ   ومَنْ أَكْثَرَ التَّسْآلَ يوماً سَيُحْرَمِ

قد سألناكم من معروفكم مرة فأعطيتم، وكررنا السؤال وكررتم العطاء، لكنني أعلم أن من يكثر من السؤال سيلقى الحرمان

٢ آخر موعد

فَلَوْ كانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ الناسَ لم تَمُتْ ولكنَّ حَمْدَ الناسِ ليس بِمُخْلِدِ

لو كان الحمد يجعل الناس تخلد لما أتاك الموت، فالكل لك حامد شاكر، ولكن الحمد لا يخلد أحداً

ولكِنَّ منهُ باقياتٍ وِراثَةً فَأَوْرِثْ بَنيكَ بعضَها وتَزَوَّدِ

غير أن الحمد يبقى بعد موت الإنسان ويرثه الأبناء، فليتزود الإنسان من الأفعال الحسنة كي ينعم بشكر الناس، وينعم أبناؤه بالسمعة الطيبة

تَزَوَّدْ إلى يومِ المماتِ فإنه، ولو كَرِهَتْهُ النفسُ، آخِرُ مَوْعِدِ

وليظل المرء حريصاً على التزود من المكارم حتى يوم مماته، فيوم الممات هو الموعد الأخير. وبعد زهير جاء الإسلام فأصبح الممات الموعد قبل الأخير، إذ يأتي بعده يوم حساب، ولعل زهيراً تأثر في زمنه بيهود يثرب، وكان قومه يسكنون على أطرافها، وإن كان أبو زهير انتقل للسكنى في شرق جزيرة العرب، ولم يكن مفهوم يوم الحساب متبلوراً عند اليهود، على أن زهيراً يذكر يوم الحساب في معلقته

٣ فوق الشمس

قال يمدح هرم بن سنان وإخوته:

لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشمسِ مِنْ كَرَمٍ قومٌ لِأَوَّلِهِمْ يوماً إِذَنْ قَعَدُوا

لو كان قوم يقعدون فوق الشمس بسبب أولهم، أي بسبب أمجاد أجدادهم، لقعد هؤلاء إذن، لأن أجدادهم أعظم الأجداد

قومٌ أبوهُمْ سِنانٌ حين تَنْسُبُهُمْ طابُوا وطَابَ مِنَ الأولادِ ما وَلَدُوا

أبوهم، أي جدهم، سنان. وأصلهم طيب وفرعهم طيب أيضاً

جِنٌّ إذا فَزِعُوا، إِنْسٌ إذا أَمِنُوا مُمَرَّدُونَ بَهالِيلٌ إذا جَهَدُوا

إذا ألم بهم فزع، من هجوم أو نحوه، فهم شجعان كأنهم الجن، ولكنهم أنيسون في وقت الأمن والدعة، وهم ممردون، أي شامخون، وبهاليل، أي سادة كرام إذا جهدوا، أي قل ما بأيديهم من مال، فالفقر لا يفقدهم الشموخ والسيادة

لو يُعْدَلُون بِوَزْنٍ أو مُكَايَلَةٍ مَالُوا بِرَضْوَى، ولم يُعْدَلْ بِهِمْ أَحَدُ

لو كان يمكن مقارنتهم بوزن أو بكيل لكانوا أثقل وأكبر من جبل رضوى، ولا أحد في الناس يعادلهم

مُحَسَّدُونَ على ما كان مِنْ نِعَمٍ لا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا بِهِ حُسِدُوا

يحسدهم الناس على ما نالهم من نعمة وشرف، وليبقِ الله لهم هذا الشرف الذي عليه حُسِدوا

٤ أنت تخلُقُ وتَفْري

قال يمدح هَرِم بن سنان:

لِـمَـنِ الـديـارُ بِـقُـنَّـةِ الـحَـجْـرِ أَقْـوَيْـنَ مِـنْ حِـجَـجٍ ومِـنْ دَهْـرِ

لمن هذه الديار في ذلك الموضع؟ لقد أقوت، خلتْ وأقفرت، منذ سنين، بل منذ دهر

دَعْ ذَا وعَـدِّ الـقـولَ فـي هَـرِمٍ خَـيْـرِ الـبُـدَاةِ وسَـيِّـدِ الـحَـضْـرِ

دع ذا، اترك هذا الموضوع، وانقل الكلام إلى هرم بن سنان، فهو خير من سكن البادية، وسيد من سكن القرى

ولَـنِـعْـمَ حَـشْـوُ الـدِّرْعِ أنـتَ إذا دُعِـيَـتْ نَـزَالِ ولُـجَّ فـي الـذُّعْـرِ

أنت أحسن حشو للدرع، أي أنت أحسن مقاتل، إذا قيل «نزال» أي هيا للمنازلة، وإذا ازداد الخوف لوقوع هجوم أو غزو

جَـلْـدٍ يَـحُـثُّ عـلـى الـجَـمـيـعِ إذا كَـرِهَ الـظَّـنُـونُ جَـوامِـعَ الأَمْـرِ

هو جلد صبور، ويحث على «الجميع» أي التكاتف والاجتماع، في حين يكره الشخص الظَّنون المتردد التآلف

فَـلأَنْـتَ تَـفْـري مَـا خَـلَـقْـتَ وبَـعْـ ـضُ الـقـومِ يَـخـلُـقُ ثـم لا يَـفْـري

أنت تفري، أي تقصُّ، ما خلقت، ما خططت.. وبعض الناس يصنع خطوطاً على الجلد، ولكنه لا يتجرأ فيقص الجلد. المعنى: أنت تخطط وتنفذ، وبعضهم يخطط، ويجبن عن التنفيذ

لـو كـنـتَ مِـنْ شـيءٍ سـوى بَـشَـرٍ كـنـتَ الـمُـنَـوِّرَ لـيـلـةَ الـبَـدْرِ

لولا أنك بشر لكنت بدر السماء

٥ أنتم إلى الصلح أفقر

قال زهير لبني سُلَيْم، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان:

رأَيتُ بَني آلِ امْرِئِ القيسِ أَصْفَقُوا علـيْـنـا، وقـالـوا: إنَّـنـا نـحـنُ أَكْـثَـرُ

رأيت بني امرئ القيس (وهم هَوازِنُ وسُلَيْم) اجتمعوا علينا وزعموا أنهم أكثر عدداً منا

خُذُوا حَظَّـكُـمْ مِنْ وُدِّنـا، إنَّ قُربَـنـا إذا ضَـرَّسَـتْـنـا الـحربُ، نَـارٌ تَـسَـعَّـرُ

أنصحكم بالود بدل العداوة، فنحن إذا عضتنا الحرب بأضراسها كالنار المستعرة

وإنَّـا وإيَّـاكُـمْ إلـى مـا نَـسُـومُـكُـمْ لَـمِـثْلانِ، أو أَنْـتُـمْ إلى الصُّلْحِ أَفْقَرُ

وحالنا معكم في هذا الذي نسومكم، وندعوكم إليه، حال متقاربة، أي أننا أنداد، لا بل أنتم أحوج منا إلى الصلح

٦ أقيمي أم كعب

قال زهير لأم ولده كعب:

وقَـالَـتْ أمُّ كَـعْـبٍ: لا تَـزُرْنـي   فَـلا وَالـلَّـهِ مَـا لَـكَ مِـنْ مَـزَارِ

صدت عنه زوجته أم كعب وفركته ونشزت عليه، ونفرت منه

رأيـتُـكَ عِـبْـتَـنـي وصَـدَدْتَ عَـنِّـي   وكيفَ عليْكَ صَبري واصْطِباري

وهي تقول له إنه يذكر لها عيوباً، ويصد عنها، فلا طاقة لها بالصبر على ذلك ولا بالاصطبار، أي تكلف الصبر

فَـلَـمْ أُفْسِـدْ بَـنِـيكَ، ولـم أُقَـرِّبْ   إلَـيْـكَ مِـنَ الـمُـلِـمَّـاتِ الـكِـبَـارِ

تواصل كلامها: لم أفسد بنيك، ولعلها تقصد أنها لم تشحنهم بالبغض لأبيهم كما يفعلن ويفعلون في الخصومات العائلية، ولم أرتكب شيئاً من الخيانة الكبيرة

أَقـيـمـي أُمَّ كَـعْـبٍ واطْـمَـئِـنِّـي   فَـإنَّـكِ مَـا أَقَـمْـتِ بِـخـيـرِ دَارِ

يقول لها: امكثي معي يا أم كعب، واطمئني

٧ ـ يشقُّون إليه الطرق

قال يمدح هرم بن سنان وأباه وإخوته:

إن الـخَـلـيـطَ أَجَـدَّ الـبَـيْـنَ فَـانْـفَـرَقَـا   وعُـلِّـقَ القـلـبُ مِنْ أَسـمـاءَ ما عَلِقَا

جدَّد الخليط، الجيران، الفراق فرحلوا مرة أخرى.. ولكن القلب تعلق به من حب أسماء ما تعلق

وفَـارَقَـتْـكَ بِـرَهْـنٍ لا فَـكَـاكَ لَـهُ   يَومَ الوَداعِ، فأَمْسَى الرَّهْنُ قد غَلِقَا

يخاطب نفسه: فارقتك وقد ارتهنت قلبك ارتهانا لا فكاك له، فقد غلق الرهن، أي مضى وقته المعلوم وأصبح المرتهَن ملكاً ثابتاً للمالك الثاني

قد جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخَيرَ في هَرِمٍ   والـسَّـائِـلـونَ، إلى أَبْـوابِـهِ طُـرُقـا

يغير الموضوع: الطالبون المعروف من هرم بن سنان ظلوا يأتون إليه حتى لقد شقوا طرقاً جديدة من وقع أقدامهم تنتهي إلى أبوابه، وهم يأتون من أماكن عدة فالطرق التي شقوها كثيرة. وهذا البيت أعجب القدماء كثيراً، قال الأصمعي هو «بيت القصيدة»

إنْ تَـلْـقَ يَـومـاً عَـلـى عِـلَّاتِـهِ هَـرِمَـاً   تَـلْـقَ الـسَّـمَـاحَـةَ مِـنْـهُ والـنَّـدَى خُـلُـقَـا

إذا لقيت هرم بن سنان، حتى في علاته أي وهو يعاني الضيق، فإنك ستجد السماحة والندى، أي السخاء، من طباعه

لَـيْـثٌ بِـعَـثَّـرَ يَـصْـطَـادُ الـرِّجَـالَ إذا   مَا كَذَّبَ اللَّـيْـثُ عَنْ أَقْـرَانِهِ صَـدَقَا

هو أيضاً ليث من ليوث مَأْسَدةِ «عثَّر»، فهو شجاع يصطاد الرجال. فإن كذَّب الليث ما يرتجى منه في لقاء أقرانه فإن هرماً يصدق ويأتي بما كان متوقعاً منه

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا، حتَّى إذا طَعَنُوا   ضَـارَبَ حتَّى إذا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

يطعن بالرمح عندما يبتعد الخصوم ويرمون بالسهام عن بعد، فإذا طعن الأعداء بالرماح فهو يقترب أكثر ويضاربهم بالسيف، فإذا استعملوا السيوف، فهو أشجع منهم ويقترب أكثر ويعتنق الخصم اعتناقاً كي يرميه أرضاً، فهو دوماً يسبق الخصم درجةً في الشجاعة والجرأة

هَـذا ولـيـس كَـمَـنْ يَـعْـيَـا بِـخُـطَّـتِـهِ   وَسْـطَ الـنَّـدِيِّ إذا مَـا نَـاطِـقٌ نَـطَـقَـا

وهو فصيح لا يعجز عن بيان رأيه وسط منتدى القوم عندما يكون هناك تبادل للرأي

٨ لا تمعك بعرضك

كان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد أغار على قوم من غطفان، فاستاق إبلاً لزهير، وأسر راعيَه يَساراً، فقال زهير:

ارْدُدْ يَـسَـاراً ولا تَـعْـنُـفْ عَـلـيْـهِ، ولا   تَـمْـعَـكْ بِـعِـرْضِـكَ، إنَّ الـغَـادِرَ الـمَـعِـكُ

ردَّ عليَّ خادمي يساراً، ولا تعامله بخشونة، ولا تمعك بعرضك، تمرغ عرضك، فإن الغادر مَعِكٌ ممارٍ

ولا تَـكُـونَـنْ كَـأَقْـوامٍ عَـلِـمْـتَـهُـمُ   يَلْوُونَ ما عِندَهُمْ حتَّى إذا نُهِكُوا . .

لا تكن مثل أولئك الذين يلوون ما عندهم، يمتنعون من أداء الحق، حتى إذا نُهكوا، أي شُتموا . .

طابَتْ نُفوسُهُمُ عنْ حَقِّ خَصْمِهِمُ   مَخَافَةَ الشَّرِّ فارتَدُّوا لِمَا تَرَكوا

عندئذٍ تسمح نفوسهم بما في أيديهم الذي هو حق لخصمهم، فهم يخافون العواقب فيردون الحق لصاحبه خوفاً لا حباً للعدل

٩ ولكنْ، أمُّ أوفى لا تبالي

قال في زوجته أم أوفى، وكانت ولدت له أولاداً فماتوا، فتزوج أخرى ولدت له كعباً وبجيراً، فآذته الأولى، أم أوفى، فطلقها فندم:

لَـعَـمْـرُكَ والـخُـطـوبُ مُـغَـيِّـرَاتٌ   وفـي طُـولِ الـمُـعَـاشَـرَةِ الـتَّـقَـالـي

المصائب تغير المرء، وطول العشرة يفضي إلى التقالي، أي التباغض وتبادل الكراهية

لَـقَـد بَـالَـيْـتُ مَـظْـعَـنَ أُمِّ أَوْفَـى   ولَـكِـنْ، أُمُّ أَوْفَـى لا تُـبَـالـي

لقد أصابني هم لمظعن، ورحيل، أم أوفى، ولكنها هي لم تبال بذلك

فَـأَمَّـا إذْ نَـأَيْـتِ فـلا تَـقُـولِـي   لِـذِي صِـهْـرٍ أُذِلْـتُ، ولـم تُـذَالِـي

والآن وقد فارقتِني فلا تقولي لأصهاري، أهلكِ، إنني أهنتك، فأنت لم تُهاني

أَصَبْتُ بَنِيَّ مِنْكِ، ونِلْتِ مِنِّي   مِنَ الـلَّـذَّاتِ والـحُـلَـلِ الـغَـوالـي

أنا حصلت منك على أبناء، وأنت حصلت على عيشة رخية، وعلى ثياب غالية. وقيل مات أولاده منها صغاراً

١٠ وهل ينبت الخطي إلا وشيجه!

قال يمدح سنان بن أبي حارثة المري:

وفيهِمْ مَقاماتٌ حِسَانٌ وُجوهُهُمْ   وأَندِيَةٌ يَنتَابُها القولُ والفِعلُ

تجد في مجالس القوم الوجوه الطيبة الحسنة، وتجد مجالس فيها قول وفعل، فهم يعِدون بالمعروف ويفعلونه أيضاً

على مُكثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ   وعندَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ والبَذْلُ

يتكفل أغنياؤهم برزق من يعتريهم فقر، وحتى المقلُّون منهم، الأفقر حالاً، فعندهم سماحة، أي سخاء، وبذل للمال

وإن جِئتَهُمْ أَلفَيْتَ حولَ بُيوتِهِمْ   مَجَالِسَ قد يُشفَى بِأَحلامِها الجَهلُ

مجالسهم فيها أحلام، أي عقول، تمنع الجهل، والجهل هو التهور واللجوء إلى العنف بغير روية

وإن قامَ فيهِمْ حَامِلٌ قَال قَاعِدٌ:   رَشَدْتَ، فلا غُرْمٌ عليكَ ولا خَذْلُ

إذا قام في المجلس رجل حامل، لديه حَمالة أي عليه دية يجب دفعها، فالقاعد يقول له: لا تحمل هماً ولا غرم عليك، لا تبعة مالية، ولن نخذلك

ومَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فإِنَّما   تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ

والخير الذي يفعلونه ليس جديداً، بل قد ورثوه عن آبائهم وأجدادهم

وهَلْ يُنبِتُ الخَطِيَّ إلَّا وَشِيجُهُ   وتُغْرَسُ، إلَّا في مَنابِتِها، النَّخْلُ

هل ينبت الخطي، أي الرمح، إلا الوشيج، أي الغصن القوي، وهل تغرس النخلة إلا في المنبت الملائم؟ يقصد أن الكرم يوجد في الأسرة الكريمة

١١ ـ كأنك تعطيه الذي أنت سائله

قال يمدح حصن بن حذيفة بن بدر:

صحَا القلبُ عنْ سَلْمَى وأَقْصَرَ بَاطِلُهْ   وعُرِّيَ أَفْراسُ الصِّبَا ورَوَاحِلُهْ

هدأ القلب وسلا عن سلمى، وكف عن اللهو والتصابي، وسكنت خيول اللهو ونياقه فتعرت من سروجها ولم تعد تسافر في طريق اللهو

وقالَ العَذَارَى: إنَّما أنتَ عَمُّنا وكان الشبابُ كالخَليطِ نُزَايِلُهْ

الآن صارت العذارى يناديننا: يا عمنا، وقد رحلنا عن الشباب مثلما نرحل عن الخليط، الجيران

إذا ما غَدَوْنا نَبتغي الصَّيْدَ مَرَّةً متَى نَرَهُ فَإنَّنا لا نُخاتِلُهْ

عندنا خيول سريعة، فإذا رأينا الغزال مثلاً فلا نتحايل عليه بل نسرع إليه ونصطاده

فَبَيْنا نُبَغِّي الصَّيْدَ جاءَ غُلامُنا يَدِبُّ ويُخْفي شَخْصَهُ ويُضَائِلُهْ

ونحن نصطاد جاء غلامنا يتسلل ويحني رأسه، ويكاد يخفي شخصه، وهو يرقب الغزال البعيد

وقلتُ: تَعَلَّمْ أنَّ للصَّيْدِ غِرَّةً وإلَّا تُضَيِّعْهَا فإنَّكَ قَاتِلُهْ

قلت له: اعلم أن للصيد غرة، لحظة فاصلة تنال فيها الفريسة، فإن لم تضيع هذه اللحظة فقد أصبت مقتلها

وأبْيَضَ فَيَّاضٍ يَداهُ غَمامَةٌ على مُعْتَفيهِ ما تُغِبُّ فَواضِلُهْ

يغير الموضوع: رب سيد أبيض الوجه فياض، سخي، يداه كالسحابة تعطي المعتفين، القاصدين معروفه، ولا تنقطع عطاياه

بَكَرْتُ عليهِ غُدْوَةً فَرَأَيْتُهُ قُعُوداً لَدَيْهِ بالصَّريمِ عَواذِلُهْ

جئته مبكراً فرأيته قاعداً على الرمل وحواليه العاذلات اللائمات

يُفَدِّينَهُ طَوْراً، وطَوْراً يَلُمْنَهُ وأعْيَا، فَما يَدْرِينَ أينَ مَخاتِلُهْ

يتحايلن عليه، ولعلهن أخواته وعماته، فأحياناً يقلن له: فديناك، وأحياناً يلمنه على سخائه، وقد أعجزهن فما يدرين أين مخاتله، مواضع النفاذ إلى قناعاته لتغييرها

فَأَقْصَرْنَ مِنْهُ عن كَريمٍ مُرَزَّئٍ عَزُومٍ على الأمرِ الذي هُوَ فاعِلُهْ

فانصرفن عن هذا الكريم المرزَّئ، الذي يهين ماله، والعزوم الذي لا يغير من إصراره على فعل ما يريد

أَخي ثِقَةٍ لا تُتْلِفُ الخَمْرُ مَالَهُ ولكنَّهُ قد يُهْلِكُ المالَ نَائِلُهْ

وهو صاحب ثقة لا ينفق ماله في الخمر، ولكن ماله قد يهلك لكثرة ما يعطي الناس

تَراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأنَّكَ تُعطيهِ الذي أنتَ سائِلُهْ

إذا جئته تطلب رأيته مستبشراً فكأنك أنت الذي تعطيه لا العكس

وذي نَسَبٍ نَاءٍ بَعيدٍ وَصَلْتَهُ بِمالٍ، ومَا يَدْري بِأنَّكَ وَاصِلُهْ

ورب رجل بعيد النسب عنك قد أعطيته المال دون أن يدري بأن هذا المال منك، ذلك أن مالك الذي تعطيه للناس وفير فالناس يعطون الآخرين مما ينالون منك

وذي نِعْمَةٍ تَمَّمْتَها وشَكَرْتَها   وخَصْمٍ يَكادُ يَغْلِبُ الحَقَّ بَاطِلُهْ

رب رجل أنعمت عليه فتسببت بذلك أن نلت منه شكراً على النعمة فكأنك أنت شكرتها، ورب خصم يكاد باطله يتغلب على الحق

دَفَعْتَ بِمَعْروفٍ مِنَ القولِ صَائِبٍ   إذا مَا أَضَلَّ النَّاطِقِينَ مَفَاصِلُهْ

دفعت هذا الخصم المكابر بقول حسن صائب، في حين لا يهتدي الناطقون إلى الرأي السديد، مثلما لا يهتدي الغشيم إلى موضع المفصل وهو يقطع أوصال الذبيحة

وذي خَطَلٍ في القولِ يَحسَبُ أنَّهُ   مُصيبٌ، فمَا يُلْمِمْ بِهِ فَهْوَ قَائِلُهْ

ورب أحمق يحسب نفسه مصيباً في كلامه، وهو من أولئك الذين يقولون أول ما يعن على بالهم دون روية

عَبَأْتَ لَهُ حِلْماً، وأَكرَمْتَ غيرَه   وأَعرَضْتَ عنهُ، وَهْوَ بَادٍ مَقَاتِلُهْ

وقد أعددت لهذا حلماً، صبراً وأناةً، وأنت بصبرك عليه تكرم قومه إذ لا تعاقب أخاهم السفيه، وأنت تعرض عنه مع أن مواضع العيب فيه بادية للعيان

حُذَيْفَةُ يَنْمِيهِ، وبَدْرٌ كِلاهُما   إلى بَاذِخٍ يَعْلُو على مَنْ يُطَاوِلُهْ

يصف الممدوح: هو ابن حذيفة بن بدر، وأبوه وجده كلاهما في جبل عالٍ من الشرف لا يستطيعه من يحاول الوصول إليه

ومَنْ مِثْلُ حِصْنٍ في الحروبِ، ومِثْلُهُ   لإِنْكارِ ضَيْمٍ أو لِأَمْرٍ يُحَاوِلُهْ

و«حصن بن حذيفة بن بدر» الممدوح لا يوجد مثله في الحروب، ولا في إنكار الظلم، ولا في إنجاز ما يسعى لإنجازه

١٢ ليتق الله سائله

تَرَى الجُنْدَ والأَعْرابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ   كمَا وَرَدَتْ مَاءَ «الكُلابِ» هَوامِلُهْ

يغشى، يأتي، الجند والأعراب باب الممدوح فكأنهم الإبل الضالة التي ترد ماء «الكلاب» لتشرب

فَلَوْ لم يَكُنْ في كفِّهِ غيْرُ نفسِهِ   لَجَادَ بِها، فَلْيَتَّقِ اللَّهِ سَائِلُهْ

لو لم يبق في يديه سوى روحه لأعطاها للناس، فليتق الله من يسأله ولا يكثر في الطلب

١٣ هجاء بالغلط

نزل رجل ببني عُلَيْم فأكرموه، ولكنه ظل يُقامر، وظلوا يحسنونَ إليه، ويرُدُّون عليه ماله، وفي النهاية أخرجوه عنهم، وحبسوا المال الذي خسره. فأتى زهيراً فشكا إليه ما صنعوا به. فهجاهم زهير، غيرَ عارفٍ بسوء صنيع المقامر الشاكي. ثم ندم زهير أشد

الندم على هذا الهجاء. وها هو هجاؤه لهم، (ولعل بني حصن وبني مصاد، المذكورَيْن في القصيدة، من فروع أو من أصول بني عليم، ولعل القبيلة التي تضم كل هذا هي «كلب» كما ذكر الأعلم الشنتمري):

وقَـد أَغـدُو عـلـى شَـرْبٍ كِـرامٍ　　　نَـشَـاوَى واجِـدِيـنَ لِـمَـا نَـشَـاءُ

قد أذهب باكراً على شرْبٍ، أي جماعة جالسين يشربون الخمر. وهم كرام، يقدمون لنا ما نطلب من خمر وطعام

يَـجُـرُّونَ الـبُـرودَ وقـد تَـمَـشَّـتْ　　　حُـمَـيَّـا الـكـأْسِ فـيـهِـمْ والـغِـنَـاءُ

يقوم الواحد منهم يتمايل لأن حميَّا الكاس، أي مفعول الخمر، ونشوة الطرب قد سريا في جسمه

تَـمَـشَّـى بـيـن قَـتْـلَـى قـد أُصـيِـبَـتْ　　　نـفـوسُـهُـمُ ولـم تُـهْـرَقْ دِمـاءُ

تسري هذه النشوة في قوم أصيبت نفوسهم منها لكن دون إراقة دماء

ومَـا أَدْرِي وسـوفَ إِخَـالُ أَدْرِي　　　أَقَـوْمٌ آلُ حِـصْـنٍ أَمْ نِـسـاءُ

يهزأ بهم: لست أدري أهؤلاء رجال أم نساء؟ ومن هذا البيت استنتج اللغويون أن كلمة قوم تعني الرجال دون النساء

فـإنْ قَـالـوا الـنِّـسـاءُ مُـخَـبَّـآتٌ　　　فَـحُـقَّ لِـكُـلِّ مُـحْـصَـنَـةٍ هِـدَاءُ

يستمر في السخرية: إن كانوا من النساء المخبآت في خدورهن، فالمتوقع لكل أنثى محصنة، مصونة، أن تهدى، أي تزف، إلى زوج

وإِمَّـا أن يـقـولَ بـنُـو مَـصَـادٍ:　　　إِلَـيْـكُـمْ، إِنَّـنـا قـومٌ بَـراءُ

على بني مصاد، وهم من بني حصن، إمَّا أن يتبرأوا من تلك الفعلة بأن يحلفوا بأنهم لم يفعلوها

وإِمَّـا أن يـقـولُـوا: قـد وَفَـيْـنـا　　　بِـذِمَّـتِـنـا، فَـعـادَتُـنـا الـوَفَـاءُ

وإما الوفاء فيعيدون للرجل ماله

وإِمَّـا أنْ يـقـولُـوا: قـد أَبَـيْـنـا　　　فَـشَـرُّ مَـواطِـنِ الـحَـسَـبِ الإِبَـاءُ

وإما الاعتراف بأنهم يرفضون تأدية ما عليهم، وهذا الخيار شر لاحقٌ بالشرف

وإنَّ الـحَـقَّ مَـقْـطَـعُـهُ ثَـلاثٌ:　　　يَـمـيِـنٌ أَوْ نِـفَـارٌ أَوْ جِـلَاءُ

وتلخيص القاعدة القانونية: الحق يتم بأن يحلف المرء يميناً، أو بأن يكون هناك نفار، أي احتكام، أو يكون جلاء أي انكشاف للأمر. وكان عمر بن الخطاب معجباً بهذا البيت

فَـذَلِـكُـمُ مَـقـاطِـعُ كُـلِّ حَـقٍّ،　　　ثَـلاثٌ كُـلُّـهُـنَّ لَـكُـمْ شِـفَـاءُ

هذه وسائل بيان الحق

وجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إليْكُمْ   أجَاءَتْهُ المَخَافَةُ والرَّجاءُ

هذا الرجل استجار بكم ونزل عندكم، وقد جاء به الخوف من خصومه، والرجاء في الحصول على حمايتكم

فَجاوَرَ مُكْرَماً، حتى إذا ما   دعَاهُ الصَّيْفُ وانقَطَعَ الشِّتاءُ..

فأكرمتموه في الشتاء، وهو وقت الشدة والقحط، وعندما حل الصيف..

ضَمِنْتُمْ مَالَه، وغَدَا جميعاً   علَيْكُمْ نَقْصُهُ ولَهُ النَّمَاءُ

أخذتم ماله، أي إبله، لذا فكل ما نقص منها يجب أن يكون عليكم أداؤه، وكل زيادة فيها فهي من نصيبه

فإنْ تَدَعُوا السَّوَاءَ فليس بَيْني   وبَيْنَكُمُ بَني حِصْنٍ بَقاءُ

فيا بني حصن! إن تتركوا العدل فلا بقاء للمودة بيني وبينكم

ويَبْقَى بَيْنَنا قَذَعٌ، وتُلفَوْا   إذَنْ قَوْماً بِأنْفُسِهِمْ أساءُوا

ويحل محل المودة القذع، أي الشتم، وما تسيئون إلّا إلى أنفسكم

١٤ الجواد على عِلّاته

إنَّ البَخيلَ مَلومٌ حيثُ كانَ، ولَـ   ـكِنَّ الجَوادَ على عِلَّاتِهِ هَرِمُ

البخيل يلحقه اللوم في كل مكان، ولا كذلك هرم بن سنان فهو سخي على علاته، أي عندما يكون مضيَّقاً عليه في الرزق

هُوَ الجَوادُ الذي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ   عَفْواً، ويُظْلَمُ أحياناً فَيَظَّلِمُ

سخي يعطيك النائل، المال، عفواً، بسهولة، وقد يغبنه بعضهم فيتحمل الغبن كرماً منه

وإنْ أتَاهُ خَليلٌ يومَ مَسْألَةٍ   يقولُ: لا غائِبٌ مَالي ولا حَرَمُ

إن جاءه صاحب يسأله لم يقل له إن مالي، أي إبلي، غائبة، ولا ممنوعة عنك

١٥ عوَّد قومه عليه

وعَوَّدَ قَومَهُ هَرِمٌ عَلَيْهِ   ومِنْ عَادَاتِهِ الخُلُقُ الكريمُ

عوَّدهم على كرمه

كما قد كان عوَّدَهُمْ أبُوهُ   إذا أزَمَتْهُمُ يوماً أزُومُ

وكان أبوه قد عود القوم على الكرم وقت الأزمات

كـذلـك خـيـمُـهُـمْ، ولـكُـلِّ قـومٍ   إذا مَـسَّـتْـهُـمُ الـضَّـرَّاءُ خـيـمُ

كذلك خيمهم، طبعهم، والطبع الأصيل لكل قوم يتجلى في وقت الضراء، أي الشدة

١٦ نسيان الموت

أرانَـا مُـوضِـعـيـنَ لِأَمْـرِ غَـيْـبٍ   ونُـسْـحَـرُ بِـالـطَّـعـامَ وبِـالـشَّـرابِ

أرانا موضعين، أي مسرعين، لأمر هو في الغيب، ولكننا نهتم بطعامنا وشرابنا غير عارفين المصير بعد الموت

كـمـا سُـحِـرَتْ بِـهِ إِرَمٌ وعَـادٌ   فَـأَضْـحَـوْا مـثـلَ أَحـلامِ الـنِّـيَـامِ

كذا اهتمت إرم وعاد بأمر معاشهما فبادتا

١٧ بيوتنا حصوننا

بلغ زهيراً أن بني تميم يحشدون لغزو غطفان، فقال:

أَلا أَبْـلِـغْ لَـديْـكَ بـنـي تَـمـيـمٍ   وقـد يـأْتـيـكَ بِـالـخـبـرِ الـظَّـنُـونُ

أبلغ قبيلة تميم، وأقول قولي هذا عارفاً أن الخبر قد يأتي به شخص ظنون غير ثقة؛ ولكن، بما أنه وردنا الخبر فلا بد من التحذير

بِـأَنَّ بـيـوتَـنـا بِـمَـحَـلِّ حَـجْـرٍ   بِـكُـلِّ قَـرارَةٍ مـنـهـا نَـكُـونُ

أبلغ تميماً بأنَّ بيوتنا في حجر عامرة بأهلها الساكنين وِدْيانها

بِـأَوْدِيَـةٍ أَسَـافِـلُـهُـنَّ رَوْضٌ   وأَعـلاهـا إذا خِـفْـنَـا حُـصُـونُ

فالوديان رياض، والهضاب حصون نلجأ إليها عند الخوف، أي وقت حدوث تهديد

فَـقَـرِّي فـي بِـلادِكِ، إنَّ قَـوْمـاً   مَـتـى يَـدَعُـوا بِـلادَهُـمُ يَـهُـونُـوا

فقري يا قبيلة تميم في بلادك ـ بشرق الجزيرة ـ فالقوم الذين يفارقون ديارهم تلحقهم المذلة والهوان

١٨ بعد التسعين

كأَنِّي وقد خَلَّفْتُ تِسعينَ حِجَّةً   خَـلَـعْـتُ بـهـا عَـن مَـنْـكِـبَـيَّ رِدَائِـيـا

كأنني بعد بلوغ التسعين قد أصبحت متهيأً للنهاية كمن يخلع رداءه متهيأً للنوم مثلاً

إلى حُـفْـرَةٍ أُهْـدَى إِلـيـهـا مُـقـيـمَـةٍ   يَـحُـثُّ إلـيـهـا سـائـقٌ مِـنْ وَرائِـيـا

مصيري حفرة يحثني نحوها سائق يدفعني من ورائي

أَرانـيِ إذا مَـا شِـئْـتُ لاقَـيْـتُ آيَـةً تُذَكِّرُنيِ بعضَ الذي كنتُ نَاسِيَا

ألاقي علامات تذكرني بعض ما كنت نسيته، فقد أرى آثار قوم ذهبوا فأتذكر أنني أنا ذاهب أيضاً

أَلَا لا أَرَى علـى الحَـوادِثِ بَاقِيـا ولا خَـالـداً إِلَّا الـجبـالَ الرَّوَاسِيـا

كلنا ذاهب إلا هذه الجبال الراسخة

ألـم تَـرَ أن الـلَّـهَ أَهْـلَـكَ تُـبَّـعـاً وأَهْلَكَ لُقمانَ بَنَ عَادٍ وعَادِيا؟

وقد أهلك الله تبعاً ملك اليمن، ولقمان بنَ عادٍ الحكيم، رغم طول عمره، و«عاديا» أبا السموأل صاحب الحصن المنيع

زهير بن أبي سلمى
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

القافية	القطعة	القافية	القطعة
نَشَاءُ	١٣	والفِعلُ	١٠
وبَالشَّرابِ	١٦	التَّقَالي	٩
قَعَدُوا	٣	هَوامِلُهْ	١٢
بِمُخْلِدِ	٢	ورَوَاحِلُهْ	١١
أَكْثَرُ	٥	الكريمُ	١٥
دَهْرِ	٤	هَرِمُ	١٤
مَزَارِ	٦	فَالمُتَثَلَّمِ	١
عَلِقَا	٧	الظَّنُونُ	١٧
المَعِكُ	٨	رِدَائِيا	١٨

النَّابِغة الذُّبْيانِيّ
(١١٠ ق هـ ــ ١٨ ق هـ)

ما الذي أقدمه لك أيها القارئ، وما الذي يقدمه لك الآخرون؟

يقدمون لك ديوان النابغة محققاً تحقيقاً حسناً مقابَلاً على نسخ كثيرة.. يتعبون في ذلك أشهراً. وأنا أتكلم عن نسخة محمد أبو الفضل إبراهيم الممتازة التي جمع فيها جهوداً طيبة لمستشرقين صنعوا شروحاً بديعة للأعلم الشنتمري والأصمعي، ويعقوب بن السكيت والبَطَلْيوسي. هذا موجود، ويقع في نحو ثلاثمئة صفحة فيها تدقيق كثير وضبط، ولكن الشرح للأقدمين، وما وجد بغير شرح ترك غير مشروح، لكنه قليل.

ويقدم لك بعضهم قصائد للنابغة غير مشروحة؛ هذا تجده في كتب المختارات، وتجده في الإنترنت. فكل شعر النابغة موجود في الشبكة. ثمة نسخ مشكولة شكلاً جيداً ونسخ غير مشكولة. ولم أجد في كل ما ذكرت ـ سواء الديوان المحقق تحقيقاً ممتازاً أم القصائد المنتثرة في الكتب ـ شرحاً جديداً بلغة معاصرة.

وما أقدمه لك ليس ثمرة شقاء أشهر ولا سنين. بل هو ثمرة شغل أسبوعين، بل ثلاثة. أقدم لك ذوقي الخاص في الاختيار، وشرحي الخاص المستفيض المعاصر. وأقدم لك النابغة في نحو خمس وعشرين صفحة أو نحو ذلك. وأقول لك: يا ابن أخي.. هذا هو النابغة. هذا هو في أبدع أشعاره. وأروي لك ما صح عندي من وقائع حياته، وقد نخلت ذلك نخلاً شديداً من كتب الأقدمين.

النابغة الذبياني الذي تراه في الصفحات المقبلة شاعر يحسن صوغ الكلام وتأليفه وتكثيفه. وقد اخترت لك ما وجدته بديعاً، واخترت أيضاً ما وجدَتْه أجيال متعاقبة من المتأدبين بديعاً. فما أكثر الأبيات التي قالها شاعرنا وسارت

سير المثل. أقدم لك، ليس شعر النابغة الذي أحبه أنا فقط، بل شعر النابغة الذي رددته العصور أيضاً.

لأنني لا أجد في المختارات التي تملأ السوق شيئاً شبيهاً بمختاراتي: بطريقة اختيارها، وبطريقة شرحها، فإنني أمضي في تعقب كبار الشعراء بالاختيار والشرح. وصدقني، أن لدي من المشاغل ما هو أعود عليَّ بالمال من ذلك. لا بل إنني ـ في أغلب الظن ـ سأدفع من جيبي الكثير عندما يحين وقت دفع هذا العمل إلى المطبعة.

لن أنسى ما حييت ـ ولم يبق لي كثير ـ صديقاً عزيزاً زارني يوماً وقد انتهيت لتوي من تأليف كتاب يقع في أزيد من أربعمئة صفحة، وقد حمَّلت الكتاب حمل بعير من معارفي وتجاربي الإعلامية واللغوية، فرأى الكتاب، فسأل ما هذا؟ فقلت له ما هذا. فأمسكه بإصبعين من طرف غلافه، وهو بعدُ نسخة ورقية لم يذهب إلى المطبعة، ورفعه بكثير من الاشمئزاز. ونظر فيه نظرة، والتقط فقرة، وزم شفتيه، ثم ألقاه من يده.

وتسألني: كيف أدعو هذا الصديق «عزيزاً»، فأجيبك من شعر النابغة: «أي الرجال المهذب؟» وتتمة القصة أنني طبعت ذلك الكتاب وأسميته «اللغة العالية»، ونال قدراً من الاستحسان.

أقول ذلك، كي أفهمك أن المؤلف رجل مسكين. فاذرفْ بعض الدموع عليَّ، وعلى ما ألاقي.

النابغة صاحب قلائد. له أبيات كثيرة تصلح أن تكون أمثالاً تضرب. وضربت.

أخبار النابغة مبسوطة في الأغاني وفي الشعر والشعراء. ونثق بكثير من شعره لأنه شعر حضري، شهد بلاطات الملوك، وحفظه الناس لما أحاط به من هالة الملك.

حياة النابغة

عاصر النابغة زهيراً، تقاربا في سنة الميلاد وسنة الوفاة، ولكننا لا نجدهما، على قرب الدار، قد التقيا، إلا في حادثة واحدة سيقت بسند ضعيف. فلن نستطيع أن ننسج لك قصة نصف خرافية عن علاقةٍ بين هذين

الشاعرين. كان زهير بيتوتياً قاعداً في قومه بني مزينة لاصقاً بيثرب، وقبيلته الصغيرة لاصقة ببني مرة، أو لعله كان يعيش مع غطفان. وأدار شعره على مدح سيدين من بني مرة سَعَيا في الصلح بين قبائل غطفان المحتربة، وعلى نزاعات صغيرة في محيطه الضيق. ولعل زهيراً لم يكن يرد عكاظَ كما كان يردها الشعراء. ولعله كان يأنف أن يأتي الخيمة الكبيرة التي يجلس فيها النابغة في عكاظ يسمع الشعراء ويحكم بينهم.

ولن نستطيع أن نصنع شيئاً من ذلك عن النابغة والأعشى، وإن كانا التقيا في سوق عكاظ حيث امتدح النابغة شعر الأعشى الذي يصغره بنحو ربع قرن. فلم ترد عنهما معاً أخبار تكفي لتحبير افتراء.

ولن نستطيع أن نزيد كثيراً على قصتين جمعتا النابغة بحسان بن ثابت. وقصة صغيرة امتدح فيها شعر الخنساء.

كان النابغة سياسياً، ثم شاعراً.. وكان كل أولئك شعراء لا غير.. فإذا جاء الإسلام خاض حسان في السياسة، وكان للخنساء موقف، وكان للأعشى موقف مبتور. فأما النابغة فقد مات قبل الهجرة وقبل البعثة.

فالقصة التي يمكن نسجها، حتى تكون عمود حياة النابغة، قصة سياسية تقوم على كونه سيداً من كبار سادة قبيلته ذبيان، والقبيلة الكبرى غطفان.

اشتغل زياد بن معاوية، وهذا اسمه، بالسياسة. فكان سفير قومه إلى دولة الغسانيين في الشمال، ومدبراً للخصومات فيما بين عشائر غطفان. وكانت عشائر من غطفان تسكن شمال يثرب. وغطفان قبيلة عدنانية من عرب الشمال. ولعله بلغ مبلغ السيادة وهو شاب، ولكننا لا نجد شاهداً على هذه الفترة من شعره، فقد قال الشعر كبيراً.. قيل بعد الأربعين، وقيل إن هذا هو سبب تلقيبه بالنابغة. فقد نبغ، أي نبع، منه الشعر في سن ما كان يتوقع أن يصلها شاعر إلا وقد قال شعراً كثيراً.

عاشت غطفان (ومنها ذبيان، ومرة، وأشجع، وفزارة، وثعلبة، وعبس، وأنمار) عيشة بدو رحل. غير أنه كان لبعضهم نخل، ولم يكونوا يتجاوزون في ترحالهم منطقتهم في شمال الحجاز والأطراف الغربية لنجد. وإلى الشمال منهم كانت دولة الغساسنة التي كانت تقوم للروم بمثل ما يقوم به بعض العرب لأميركا في أيامنا. على أنها كانت أيضاً دولةً تخماً.. دولة فاصلة. فكما

أقامت إسرائيل في جنوب لبنان في السبعينات دولة فاصلة تدرأ عنها هجمات المقاومة أقام الروم في حوران والجولان دولة فاصلة تكفيهم هجمات القبائل العربية. وكانت قبيلة غسان عماد هذه الدولة.

ولم يكتف الغساسنة برد القبائل العربية، بل كانوا يدخلون حماها بين الحين والحين، وكان لا بد من قنوات اتصال بين الغساسنة وبين القبائل. وكان زياد بن معاوية، النابغة الذبياني، قناة اتصال. وفي إحدى توغلات الغساسنة في حمى ذبيان نفسها أسروا ابنة للنابغة، وسرعان ما أطلقوها وأطلقوا معها بقية الأسرى إكراماً لصديقهم النابغة.

كان الوضع بشكل عام فيما بن القبائل ودولة الغساسنة وضع سلم. وكان النابغة يزور ملوك الغساسنة في جلق، قرب دمشق، وفي الجابية بالجولان زيارات ودية. وعندما اكتهل قال الشعر فمدح ملوكهم، وأخذ أعطياتهم.

وأما التوتر المستمر والحروب الكثيرة فكانت فيما بين الغساسنة والمناذرة.

كان المناذرة يحكمون جنوب العراق، وعاصمتهم الحيرة، قرب كوفة اليوم. وكانوا لدولة الفرس ما كانه الغساسنة لدولة الروم. كانوا يدرأون عن ملك الأكاسرة غزوات عرب شرق نجد، تميم وربيعة.

يلفت النظر أن المناذرة والغساسنة كليهما من عرب اليمن، بينما كانت القبائل البدوية التي يراد درء زحفها عدنانية من عرب الشمال. وقد شهدت سوريا حروباً طاحنة بين الدولتين العربيتين في موازاة الحروب بين الدولتين الكبريين: فارس والروم. ولم تنقض الثأرات بين دولتي العرب إلا بالإسلام.

قصد النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ملك المناذرة في الحيرة. ومدحه ونال أعطياته، مثلما كان ينال أعطيات الحارث الغساني.

وعاد إلى الغساسنة ومدح عمراً الذي تولى بعد أبيه الحارث. وأعطاه عمرو بن الحارث، فشكره. وغضب النعمان بن المنذر. فاعتذر إليه النابغة بقصائد من أشهر ما قال. ورضي عنه النعمان بن المنذر.

قالوا غضب عليه النعمان بن المنذر (ونذكر اسمه كاملاً كل مرة لأن الغساسنة كان عندهم نعمانٌ آخر)، لأن النابغة وصف زوجته وتغزل بها، وقالوا بل غضب عليه لأنه هجاه، وقالوا بل غضب عليه لأنه لم يستطع أن يجعله خالصته.

ظل النابغة سيداً في قومه، وعاش طويلاً. على أن قوله الشعر واستعطاءه

الملوك غض من مكانته السياسية، ونزل به عن كونه السفير الذي يربأ بنفسه عن مدح من يسفر إليهم. وهذا يشبه وضع الصحفي الذي يزداد التصاقه بالسياسي فينزل في عين مهنة الصحافة، وإن ارتفع رصيده المصرفي.

قضى النابغة السنوات الأخيرة من شيخوخته في قومه بني ذبيان رجلاً ثرياً، له من السيادة نصيب.

ولن نطيل الحديث عن شعر النابغة، فقد انتخبنا قلائده، وهي بين يديك. وقد عده القدماء أحد أهم ثلاثة شعراء جاهليين، والآخران زهير بن أبي سلمى، وامرؤ القيس.

١ يا دار مية (المعلقة)

قال يمدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه. وكان النعمان وجد عليه إذ بلغه أن النابغة وصف «المتجردة» زوجة النعمان:

يـا دارَ مَـيَّـةَ بِـالـعـلـيـاءِ فـالـسَّـنَـدِ   أَقْوَتْ، وطَالَ عليْها سَالِفُ الأَبَدِ

خاطب الأطلال فقال: يا دار المحبوبة «مية» في هذين الموضعين، العلياء فالسند، ثم «التفت» فصار يخاطبنا نحن ويقول: قد أقوت، أي أقفرت وخلت من أهلها، وطال عليها سالف الأبد (والأبد هو الدهر) وهي خاوية

وقفْتُ فيـهـا أُصَـيْلانـاً أُسـائِلُـهـا   عَيَّتْ جَواباً، وما بِالرَّبْعِ مِن أَحَدِ

وقفت وسط أطلال هذه الدار أصيلاناً، أي ذات أصيل قبيل الغروب، أسألها عن أهلها، فعجزت عن الجواب، والجواب معروف.. فليس في المكان أحد وأهله رحلوا

أَمْسَتْ خَلاءً، وأَمْسَى أهلُها احتَمَلُوا   أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ

أمست الدار خالية من الناس، وأهلها حملوا أمتعتهم وغادروها، وقد أخنى عليها، أي خربها، الزمن الذي كان أخنى على «لبد»، ولبد هو النسر السابع من نسور لقمان. وكانت الصفقة أن يعيش لقمان قدر عمر سبعة أنسر، يموت نسر فيؤتى بفرخ نسر مكانه، وكان آخرها النسر «لبد» وعاش طويلاً، لكنه في النهاية مات، ومات بموته لقمان. وقالوا عاش هذا النسر السابع أربعمئة عام. ليقولوا ما شاءوا فلا نحن حضرنا حياته وموته، ولا العقل حضر في رؤوس أصحاب الأساطير. ما يغيظ المرء أن بعض الباحثين المحدثين ينقل هذه الخرافات دون أدنى إشارة إلى أنها محض أساطير. وهذا اقتراح لبعض أدبائنا: مثلما صنع يوهان غوته الألماني قبل مئتي عام فأخذ خرافة أوروبية عن فاوست الذي اشتهى المعرفة وأراد أن يلتهمها التهاماً فباع روحه للشيطان مقابل سنين، يمكن لنا أن نطور قصة لقمان ونسوره، فلقمان كان يطلب الحكمة. ونالها، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

فَعَدِّ عمَّا تَرى إذْ لا ارْتِجاعَ لـه   وانْمِ القُتُودَ على عَيْرانَةٍ أُجُدِ

اترك هذا الذي تراه، فلا رجعة لما مضى، وانم القتود، أي ارفع السرج والمتاع، على ناقة ضخمة متينة تشبه العَيْر، أي حمار الوحش في النشاط، وهي أجد أي قوية

مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ، بَازِلُها   له صَرِيفٌ صَرِيفُ القَعْوِ بِالمَسَدِ

هذه الناقة كأنها قذفت قذفاً بدخيس النحض، أي باللحم المتكاثف؛ وبازلها، أي نابها، له صوت إذ تحك أسنانها، كصوت القعو، أي البَكَرة وعليها المسد، أي الحبل عند البئر

كَأَنَّ رَحْلِي، وقد زالَ النهارُ بِنا   يومَ الجَلِيلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ

كأنني أضع سرجي، وقد انتصف النهار وبدأ وقت الزوال وأنا وسط شجر الجليل، وهو الثمام، كأنني أضع السرج على ثور وحشي مستأنس، أي متجنب للإنس، ومتوحد منفرد.. وسيبدأ في وصف الثور الوحشي الآن..

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ   طَاوِي المَصِيرِ، كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ

هذا الثور من وحش موضع «وجرة»، وقوائمه مرقطة موشَّاة، وهو طاوي المصير، أي جائع المصران، يعني ضامر البطن، وجلده يلمع كأنه السيف المفرد بغير غمده وقد خرج من يد الصيقل، أي صانع السيوف

أَسْرَتْ عليهِ مِنَ الجَوْزاءِ سَارِيَةٌ   تُزْجِي الشَّمالُ عليهِ جَامِدَ البَرَدِ

أمطرت على الثور غيمة سارية، أي سائرة ليلاً، سببها نوْء الجوزاء، وكانوا يعرفون مواسم المطر بمواقع النجوم، وقد ساقت عليه ريحُ الشمال البَرَد الصلب

فارتَاع مِنْ صوتِ كَلَّابٍ، فباتَ له   طَوْعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ ومِنْ صَرَدِ

خاف الثور من صوت صيَّادٍ صاحبِ كِلاب، فأصبح من خوفه ومن صرده، أي مما به من شدة البرد، طوع الشوامت، مثاراً لفرح الشامتين

فَبَثَّهُنَّ عليهِ، واستَمَرَّ بِهِ   صُمْعَ الكُعُوبِ بَرِيئاتٍ مِنَ الحَرَدِ

فأطلق الصياد الكِلاب على الثور؛ واستمر بالثور، أي أنهضه، قوائمُ صمع الكعوب أي شديدة ليس فيها حرد ولا استرخاء

وكانَ «ضُمْرانُ» مِنه حيثُ يُوزِعُهُ   طَعْنَ المُعَارِكِ عند المُحْجَرِ النَّجُدِ

المعنى الملموح: كان الكلب «ضمران» قد اقترب فصار من الثور بحيث استطاع الثور أن يطعنه بقرنه طعنة محارب شجاع

شَكَّ الفَرِيصَةَ بالمِدْرَى فَأَنْفَذَها   طَعْنَ المُبَيْطِرِ إذْ يَشْفِي مِنَ العَضَدِ

شك الثور فريصة الكلب، وهي عضلة الكتف، وهي مقتل؛ شكها بالمدرى، بالقرن، مثلما يشك طبيب الإبل الجمل كي يشفيه من داء في عضُده. ما الذي يجبرنا على فك كل هذه الألغاز! إن وصف الثور عند النابغة مما قلده فيه الشعراء من بعد.. فاصبر له

كأنَّه، خَارِجاً مِنْ جَنْبِ صَفحَتِهِ، سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عندَ مُفْتَأَدِ

كأن قرن الثور وهو خارج من جنب الكلب سفود شرب، سيخ شواء لقوم شاربين، تركوه عند المفتأد، وهو مكان شيّ اللحم. فالقرن مدمًّى من طرفه المدبب وقد علق فيه الكلب كأنه قطعة لحم

فظَلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْقِ مُنقَبِضاً في حالِكِ اللَّوْنِ صَدْقٍ غيرِ ذي أَوَدِ

ظل الكلب يمضغ أعلى القرن، وجسمه يتقبَّض ألماً، والقرن مسودّ اللون، صَدْق، أي صلب، غير ذي اعوجاج

لمَّا رأى «وَاشِقٌ» إقْعَاصَ صَاحِبِهِ ولا سبيلَ إلى عَقْلٍ ولا قَوَدِ

رأى الكلب الآخر واسمه ـ على ذمة النابغة ـ «واشق» إقعاص، أي طعن، صاحبه، ولا سبيل إلى عقل، أي دية، ولا قود، أي أخذ النفس بالنفس. هذه نفهمها على أنها فكاهة من النابغة. فكاهات الجاهلية دلع العجايز، وكل شي جايز حتى..

قالتْ لهُ النَّفْسُ: إنِّي لا أرى طَمَعاً وإنَّ مَوْلاكَ لمْ يَسْلَمْ ولم يَصِدِ

حدث الكلب الثاني نفسه قائلاً: لا أرى مطمعاً في هذا الثور، ومولاي، أي رئيسي، أي الكلب الأول، لم يسلم ولم يصد، فعلام أخاطر بنفسي

فتِلْكَ تُبْلِغُني النُّعمانَ، إنَّ له فَضْلاً على الناسِ في الأدْنَى وفي البَعَدِ

هذه الناقة، التي شبهتُها بالثور الوحشي، ستبلغني النعمان، وله فضل على الناس: القريب منهم والبعيد

ولا أَرَى فَاعِلاً في الناسِ يُشبِهُهُ ولا أُحَاشي مِنَ الأقوامِ مِنْ أَحَدِ

لا أرى فاعلاً للخير يشبهه، ولا أستثني أحداً

إلَّا سُلَيْمَانَ إذْ قالَ الإلَهُ له قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عَنِ الفَنَدِ

إلا سليمان إذ أمره الله بأن يقوم في الناس ويمنعهم من الفند، أي الخطأ

وخَيِّسِ الجِنَّ، إنِّي قد أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

وقال له الله: خيس الجن، ذلِّلهم، فقد أذنت لهم ببناء تدمر بالصفاح، الحجارة المبسَّطة، والأعمدة. واليوم، بعد أربعة آلاف سنة من بناء تدمر، كائناً من بناها من كان، سعى في تدمير آثارها المتشددون الذين احتلوها، يعينهم في ذلك طيران الحكومة، حدث ويحدث هذا الآن، ونكتب في آخر نوفمبر/تشرين الثاني من عام ٢٠١٥

فمَنْ أَطَاعَكَ فانْفَعْهُ بِطَاعَتِهِ كما أطاعَكَ، وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ

ويأمر الله سليمان بالإحسان إلى من أطاعه جزاء طاعته

ومَنْ عَصَاكَ فَعاقِبْهُ مُعَاقَبَةً تَنْهَى الظَّلُومَ، ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ

وأما العاصي فله عقاب يردع الظالمين. ولا تقعد يا سليمان مكتفياً بالضمد، أي الحقد على الظالم، بل اردعه ردعاً

فلا لَعَمْرُ الذي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ   ومَا هُريقَ عَلى الأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

يحلف النابغة بالله الذي مسّح كعبته، أي طاف بها، ويحلف بما هريق، أي أُريق على الأنصاب، حجارة الذبح، من جسد، أي دم..

والمُؤْمِنِ العَائِذاتِ الطَّيْرَ يَمْسَحُها   رُكْبانُ مَكَّةَ بينَ الغَيْلِ والسَّعَدِ

ويحلف بالله الذي يضمن الأمان للطير العائذة بالحرم التي يمسحها، أي يمر بها، قُصّاد مكة الكائنة بين ماءيْ الغيل والسعد

ما قُلْتُ مِنْ سيّءٍ ممَّا أُتيتَ بِهِ   إذَنْ فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ يَدي

ما قلت شيئاً سيئاً من هذا الذي جاءك به الواشون، ولو قلت فلتَشَلَّ يدي، ولا استطاعتْ الإمساك بالسوط على خفته

إلَّا مَقالَةَ أَقْوامٍ شَقيتُ بِها   كانتْ مقالَتُهُمْ قَرْعاً على الكَبِدِ

إن هي إلا أقوال ناس ابتُليت بهم، وكان قولهم مثل الدق على كبدي

أُنْبِئْتُ أنَّ أَبا قَابُوسَ أَوْعَدَني   لا قَرارَ على زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ

لقد بلغني أن النعمان، أبا قابوس، أوعدني، تهددني، فلا اطمئنان لي، فتهديده إياي مثل زئير الأسد

مَهْلاً، فِدَاءً لَكَ الأَقوامُ كُلُّهُمُ   ومَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ ومِنْ وَلَدِ

تمهل، يفديك الناس كلهم، ويفديك أولادي وما أجمعُ لهم من مال

لا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لا كِفَاءَ لَهُ   وإن تَأَثَّفَكَ الأَعْداءُ بِالرِّفَدِ

لا تقذفني بركن ضخم، هو أنت، لا يوجد من يقوم له ويوازيه، حتى لو تأثّفك، وتحلق حولك، أعدائي يرفدونك بالأكاذيب

فَمَا الفُرَاتُ إذا هَبَّ الرِّياحُ لَهُ   تَرْمي غَوارِبُهُ العِبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ

فليس نهر الفرات إذا عصفت الرياح وأخذت غواربه، أمواجه، ترمي الشاطئين بالزبد.. بداية تشبيه جديد..

يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ   فيهِ رُكَامٌ مِنَ اليَنْبُوتِ والخَضَدِ

ويرفد الفرات وديان مترعة بالماء ولها خرير عالٍ لجب، وفي كل وادٍ ركام من أغصان شجر الينبوت، وهو الخروب، ومن الخضد، الفروع المقصوفة

يَظَلُّ مِنْ خَوفِهِ المَلَّاحُ مُعْتَصِماً   بِالخَيْزُرَانَةِ بعدَ الأَيْنِ والنَّجَدِ

ويظل الملاح فيه متشبثاً بالخيزرانة، بعصا يوازن بها القارب، أو لعلها الدفة، وهو يعاني الأين، التعب، والنجد، العَرَق

يوماً بِأَجْوَدَ منهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ ولا يَحُولُ عَطاءُ اليومِ دُونَ غَدِ

هذا الفرات الزاخر ليس أجود من النعمان سيب نافلة، أي عطاءً. وعطاؤه اليوم لا يمنعه من تكراره غداً

هذا الثَّنَاءُ فإنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَناً فَلَمْ أُعَرِّضْ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - بِالصَّفَدِ

هذا ثنائي عليك، تراه حسناً، ولكنني لم ألمّح فيه تلميحاً بقصد طلب الصفد، أي العطاء، بل هو مديح خالص

ها إنَّ ذي عِذْرَةٌ، إلَّا تَكُنْ نَفَعَتْ فَإِنَّ صاحِبَها مُشَارِكُ النَّكَدِ

هذا اعتذاري، فإن لم يجد في نفسك موقعاً، فما أشد نكدي وحزني

٢ فإنك كالليل

قال يمدح النعمان، ويعتذر إليه، ويقول إن ما بلغه عنه إنما هو وشاية:

عَفَا ذُو حُسىً مِنْ «فَرْتَنَى»، فَالفَوَارِعُ فَجَنْبَا أَرِيكٍ، فَالتِّلاعُ الدَّوَافِعُ

خلا «ذو حُسىً»، هذا الموضع من الحبيبة فرتنى، وكذا خلت كل المواقع المذكورة، فالحبيبة رحلت عنها كلها، ويبدو أن هذه المواقع كانت «منازل» لأولئك القوم وهم يرتحلون في اتجاه معين

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَها عليهِ حَصِيرٌ نَمَّقَتْهُ الصَّوَانِعُ

في هذا الموقع، ذي حُسىً، أرى أن مكان جر الرياح الرامسة، الطامسة، ذيولَها صار يشبه الحصير المنمق صنعته النسوة

فَكَفْكَفْتُ مِنِّي عَبْرَةً فَرَدَدْتُها على النَّحْرِ، مِنْهَا مُسْتَهِلٌّ ودَامِعُ

كفكفت دمعتي، أي دموعي، التي سقطت على أعلى صدري، ومن الدموع ما كان يسيل ومنها ما كان يترقرق في العين

على حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ على الصِّبَا وقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ؟

هذا في وقت كنت فيه أعاتب نفسي، وأنا كبير لحق بي المشيب، على الصبا، أي العشق، وأقول: ألا تكف يا رجل، ألا يَزَعُك، يردعك، الشيب؟

وقد حَالَ هَمٌّ دونَ ذَلكَ شَاغِلٌ مَكانَ الشِّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ

حال دون سكينة النفس هم شاغل كأنه يغلف القلب بدلاً من غلافه الذي هو «الشغاف»، وهذا القلب تجسه أصابع الطبيب وهو يريد معرفة ما بي من سقم

وَعِيدُ أَبي قَابُوسَ في غيرِ كُنْهِهِ   أَتَاني ودُوني رَاكِسٌ فالضَّوَاجِعُ

والهم هو تهديد النعمان، أبي قابوس، القائم على غير كنه، حقيقة؛ وقد جاءني هذا الوعيد وأنا قريب من ذينك المكانين

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْني ضَئيلَةٌ   مِنَ الرُّقْشِ في أنيَابِها السُّمُّ نَاقِعُ

بتُّ كأنما هاجمتني حية ضئيلة، والضئيلة في الأفاعي سامة خبيثة، وهي مرقشة وفي أنيابها سم راسخ كامن

يُسَهَّدُ مِنْ لَيْلِ التِّمامِ سَليمُها   لِحَلْيِ النِّساءِ في يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

والسليم، أي الملسوع - ويسمونه سليماً تيمناً بسلامته - يُجبر على السهر، ويعلقون به حلي النساء التي تقعقع لمنعه من النوم خوف سريان السم في جسمه

أَتَاني - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّكَ لُمْتَني   وتِلكَ التي تَسْتَكُّ منها المَسَامِعُ

أتاني أنك لمتني وهذا أمر تستك، تُضرَب ضرباً، به الآذان لهوله

لَعَمْري وما عَمْري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ   لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عَلَيَّ الأَقَارِعُ

أقسم بحياتي، وليست حياتي بهينة عليَّ، أن ما قاله عني «الأقارع» إنما هو وشاية باطلة

حَلَفْتُ، فلَمْ أَتْرُكْ لِنفسِكَ رِيبَةً   وهلْ يَأْثَمَنْ ذُو إِمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ

قد حلفت لك، وأملي أن يكون في ذلك زوال شكوكك، وهل يحلف آثماً كاذباً رجل له إمة، أي خلق مستقيم

لَكَلَّفْتَني ذَنْبَ امْرِئٍ، وتَرَكْتَهُ   كَذي العُرِّ يُكْوَى غيرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

لقد كلفتني حمل ذنب غيري وتركت المذنب؛ وهذا كفعلهم في الإبل إذ يكوون الجمل السليم ويتركون ذا العُر، المتقرح جلده، راتعاً. وقيل كان بعضهم يفعل ذلك بالإبل

فَإِنَّكَ كاللَّيلِ الذي هُوَ مُدْرِكي   وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنكَ وَاسِعُ

أنت كالليل الذي لا مهرب منه، مهما ظنه المرء بعيداً

خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتينَةٍ   تَمُدُّ بِها أَيْدٍ إلَيْكَ نَوازِعُ

وسطوتك كبيرة فكأنَّ ثمة خطاطيف، حدائد معقوفة، مربوطة بحبال، وتمسكها الأيدي وتشدها نحوك. أي أن يدك طائلة ولا يفلت منك أحد

أَتُوعِدُ عَبْداً لم يَخُنْكَ أَمَانَةً   وتَتْرُكُ عَبْداً ظَالِمَاً وَهْوَ ضَالِعُ؟

أتهدد أميناً وتترك ظالماً ضالعاً، أي مائلاً عن الحق؟

٣ راعي النجوم وراعي الهموم

وقال النابغة يمدح عمرو بن الحارث الغساني، حين لجأ النابغة إلى الشام لما خاف ملك المناذرة النعمان:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وليلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكواكِبِ

دعيني يا أميمة لهم متعب انتابني، والليل طويل أقاسيه كأن كواكبه بطيئة الحركة لا تزول. ورووا «أميمة» بالفتح، وتعبوا في تعليلها. عللها الخليل بأن العرب درجت على ترخيم المؤنث، فهو أراد أن يقول «يا أميمَ» فألجأه الوزن إلى «يا أميمة» فأبقى الفتح

تَطاوَلَ حتى قُلتُ: ليس بِمُنْقَضٍ وليس الذي يَرعَى النجومَ بِآيِبِ

طال ليلي حتى ظننته لن ينقضي ويزول، وحتى ظننت أن الراعي الذي يرعى الكواكب ـ فكأنها الإبل السارحة ـ لن يؤوب بها. يشبه النجوم بالإبل وهو ينتظر رجوعها إلى مباركها وخلو السماء من النجوم بطلوع الصباح، ولكن راعي الإبل لا يعود بإبله، والصباح لا يطلع.. انتظرْ تشبيهاً عظيماً في البيت التالي:

وصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيلُ عَازِبَ هَمِّهِ تَضاعَفَ فيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

تفسير كلمتين: أراح (أرجع الإبل إلى مباركها مساء)، العازب (الراعي البائت في المرعى بعيداً عن أهله). شرح: لئن كان راعي النجوم، في البيت السابق، لم يرجع بنجومه وظلت تتلألأ، فإن العازب (أي الراعي الذي بات في المرعى ولم يعد إلى أهله) قد أراحه الليل (أرجعه) إلى صدري، وهو عازب الهم، أي هو الهم العازب.
شرح أخصَر: هموم صدري العازبة أرجعها الليل إلى صدري

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعمةٌ ـ بعدَ نعمةٍ لِوالِدِهِ ـ ليستْ بِذاتِ عَقارِبِ

لعمر بن الحارث عليّ نعمة ـ وهي تأتي بعد نعمة كان والده أسداها إليّ ـ وهي نعمة خالصة بغير عقارب، أي لا يتبعها منٌّ وتكدير

وَثِقْتُ له بِالنصرِ إذ قيلَ قد غَزَتْ كتائِبُ مِنْ غَسَّانَ غيرُ أَشَائِبِ

وثقت أنه سينتصر إذ غزت كتائب قبيلة غسان التي ليس فيها أشائب (أخلاط من قبائل أخرى)

إذا ما غَزَوْا في الجيشِ حَلَّقَ فوقَهُمْ عَصائِبُ طَيرٍ تَهتَدي بِعصَائِبِ

عندما يغزون تحلق فوقهم أسراب من الطيور تهتدي بأسراب قبلها فتلحق بها

يُصَاحِبْنَهُمْ حتى يُغِرْنَ مَغَارَهُمْ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ

تصاحب الطيور المقاتلين حتى تغير مثلهم وتأكل من الجثث، وهي طيور من الضاريات والدوارب بالدم (المتعودة عليه)

تَراهُنَّ خَلْفَ القومِ خُزْراً عُيونُها　　جُلوسَ الشُّيوخِ في ثِيابِ المَرَانِبِ

وقبل الالتحام بين المقاتلين ترى الطيور، وهي النسور في الغالب، خلف المقاتلين جالسة جلوس الشيوخ اللابسين المرانب (الأكسية الغليظة). وانظر إلى النسر في صورة من صور الإنترنت جاثماً على الأرض، فهو بحق كما صوره النابغة

جَـوانِـحَ قـد أَيْـقَـنَّ أنَّ قَـبـيـلَـهُ　　إذا ما التَقَى الجَمعانِ أَوَّلُ غَالِبِ

الطيور الجوانح (أي المنقضَّة كاسرةً أجنحتَها) أيقنت أن قوم عمرو بن الحارث سيغلبون أعداءهم. قال ابن قتيبة: «الطير قد تتبع العساكر للقتلى، ولكنها لا تعلم أيهما يغلب» ورد عليه محقق «الشعر والشعراء» أحمد شاكر ببعض غضب: «اعتراض غير جيد. وقد فسر الوزير أبو بكر البيت على وجهه، قال: «يريد أنها اعتادت بمصاحبتهم أن تقع على قتلى من يعاديهم، فهذا هو يقينها، لا أنها تعلم الغيب.».»

لَـهُـنَّ عـلـيْـهِـمْ عَـادَةٌ قـد عَـرفْـنَـهـا　　إذا عُـرِّضَ الـخَـطِّـيُّ فوقَ الـكَـوائِـبِ

فالطيور متعودة على ما يفعل هؤلاء القوم عندما يُعرض الخطي (ينصب الرمح) فوق كوائب الخيل (الكائبة مكان قريب من عنق الفرس)

ولا عيـبَ فـيهِـمْ غيـرَ أنَّ سيوفَهُـمْ　　بِـهِـنَّ فُـلـولٌ مِـنْ قِـراعِ الـكَـتـائِـبِ

سيوفهم لا عيب فيها سوى أنها مثلمة لكثرة المضاربة مع كتائب الأعداء. المعنى: ليس للورد عيب سوى أنه أحمر الخدين

تُـوُرِّثْـنَ مِـنْ أَزْمَـانِ يـومِ حَـلـيـمَـةٍ　　إلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التَّجارِبِ

ورثوا سيوفهم من زمن معركة يوم حليمة المشهورة، ومنذ ذلك العهد والسيوف تخوض المعارك. وقد أغضب هذا البيت النعمان ملك المناذرة لأن يوم حليمة كان المعركة التي انتصر فيها الغساسنة وقتلوا ملك المناذرة جد النعمان

مَـحَـلَّـتُـهُـمْ ذاتُ الإلَـهِ، ودِيـنُـهُـمْ　　قَـويـمٌ فـمَـا يَـرْجُـونَ غـيـرَ الـعَـواقِـبِ

مكان الغساسنة هو «ذات الإله» أي القدس فهم مسيحيون، ودينهم متين فلا يرتقبون إلا نتائج أعمالهم الخيرة

رِقَـاقُ الـنِّـعَـالِ طَـيِّـبٌ حُـجُـزَاتُـهُـمْ　　يُحَيَّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يومَ السَّبَاسِبِ

نعالهم رقيقة ـ ونعل كل سيد رقيقة لأنه غير مضطر للسعي، فهو مخدوم ـ وحجزاتهم، أي ثيابهم، طيبة كناية عن عفافهم. وهم سادة يحييهم الناس بالرياحين في يوم السباسب (عيد السعانين/الشعانين)

ولا يَـحْـسَـبُـونَ الـخيـرَ لا شَـرَّ بـعـدَهُ　　ولا يَـحْـسَـبُـونَ الـشَّـرَّ ضَـرْبَـةَ لازِبِ

وهم عاقلون لا يركنون إلى الرخاء بل يتحسبون أن يأتي بعده ضيق، ولا يحسبون ضيق المعيشة أو كل شر ضربة لازب (أمراً محتماً)

حَبَوْتُ بِها غَسَّانَ إذْ كنتُ لاحِقاً بِقَومِي، وإذْ أعْيَتْ عَلَيَّ مَذاهِبي

حبوت، أي منحت، قبيلة غسان هذه القصيدة وأنا متجه نحو قومي في وقت لم أكن فيه عارفاً أين أذهب، فالنعمان غاضب علي، وأنا مرتقب شراً من جانبه

٤ المَتالف والمَلاهي

قـالـتْ: أَراكَ أَخـا رَحْـلٍ وراحِـلَـةٍ تَغْشَى مَتالِفَ لنْ يُنْظِرْنَكَ الهَرَما

قالت: أراك صاحب متاع ومطية، وتغشى، أي تأتي، أماكن خطرة فيها التلف، وهذا سيميتك ولن يرجئك لكي ترى الشيخوخة. وهذه امرأة لاهية تدعوه إلى نفسها

حَـيَّـاكِ رَبِّـي فَـإِنَّـا لا يَـحِـلُّ لَـنـا لَهْوُ النِّساءِ، وإنَّ الدِّينَ قد عَزَمَا

قال لها: حياك الله، لكن لا يحل لنا اللهو مع النساء، وقد دعانا الدين إلى الحج. . فهو ذاهب في طريقه إلى مكة ليحج حج الجاهلية

٥ أنا والهموم

قال، وذُكر له أن النعمان عليل:

كَتَمْتُكَ لَيْلاً بِالجَمُومَيْنِ سَاهِرا وَهَمَّيْنِ: هَمّاً مُسْتَكِنّاً وظاهِرا

كتمت عنك خبر ليل قضيته ساهراً بموضع «الجمومين»، وكتمتك همَّين من همومي: أحدهما دفين مستكن، والآخر ظاهر

أَحَادِيثَ نفْسٍ تَشْتَكي ما يَرِيبُها ووِرْدَ هُمُومٍ لن يَجِدْنَ مَصادِراً

كتمتك هواجس نفسي التي تشتكي ما يقلقها، وورود الهموم التي لا تجد لها مصادر، أي طرق انصراف

تُكَلِّفُني أنْ يُغْفِلَ الدهرُ هَمَّهَا وهلْ وجَدَتْ قَبلي على الدهرِ قادِراً؟

نفسي تحثني على الاقتناع بأن الدهر سيغفل عنها ولا يصيبها بالهموم، وهل قدر أحد قبلي على مصائب الدهر؟

٦ أي الرجال المهذب؟

قال يمدح النعمان ويعتذر إليه:

أَتاني - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّكَ لُمْتَني وتِلكَ التي أَهْتَمُّ منها وأَنْصَبُ

جاءني أنك لمتني، وهذا ما أهتم منه، يصيبني الهم منه، وأنصب، أي أتعب

فَبِتُّ كأَنَّ العَائِداتِ فَرَشْنَني هَراساً، به يُعْلَى فِراشي ويُقْشَبُ

بت مهموماً كأن زائراتي فرشن لي هراساً، أي شوكاً، يعلو فراشي، وكلما قَدُم به العهد فهو يقشب، أي يجدد

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لِنفسِكَ رِيبَةً وليسَ وراءَ اللهِ لِلمرءِ مَذْهَبُ

حلفت لك أنني لم أقل شيئاً مما ذكره الوشاة، وليس هناك بعد الحلف بالله ما يمكن فعله

لَئِنْ كنتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّي خِيانَةً لَمُبْلِغُكَ الوَاشي أَغَشُّ وأَكْذَبُ

من بلَّغك عني أنني خنت عهدك كاذب

ولكنَّني كنتُ امْرَأً لِيَ جَانِبٌ مِنَ الأَرضِ فيهِ مُسْتَرادٌ ومَذْهَبُ

كل ما في الأمر أنه كان لي موضع من البلاد لي فيه مستراد، مكان ورود واستقاء، فكنت أذهب إليه

مُلوكٌ وإِخوانٌ إذا ما أتيتُهُمْ أُحَكَّمُ في أَموالِهِمْ وأُقَرَّبُ

أولئك ملوك وإخوان ـ يقصد الغساسنة ـ كانوا يقربونني ويحكمونني في أموالهم أطلب ما أشاء

كَفِعلِكَ في قَوْمٍ أَراكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ في شُكْرِ ذلكَ أَذْنَبُوا

وهذا ما تفعله أنت مع قوم اصطنعتهم، أي اتخذتهم صنائع أي مقربين تحسن إليهم، وأنت لم ترهم قد أذنبوا إذ شكروا صنيعك

فلَا تَتْرُكَنِّي بِالوعيدِ كأنَّني إلى الناسِ مَطْلِيٌّ بهِ القَارُ أَجْرَبُ

فلا تجعلني بين الناس ـ بتهديدك لي ـ كالبعير الأجرب المطلي بالقار يتجنبه الجميع

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أعطاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دونَها يَتَذَبْذَبُ

لك سورة، وثبة، ويتذبذب ويضطرب بسببها كل الملوك

فإِنَّكَ شَمْسٌ والملوكُ كواكِبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كوكبُ

أنت كالشمس تخفي ببهائك كل الملوك الذين هم كالكواكب

ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ عَلى شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ؟

لا يحتفظ المرء بأخ، أي بصديق، إلا كان عليه أن يلم شعثه، أي يجمع ما تفرق من طباعه قابلاً الحسن منها والرديء. وهل في الرجال من هو مهذب كامل؟

فإنْ أَكُ مَظلُوماً فعبدٌ ظَلَمْتَهُ وإنْ تَكُ ذا عُتْبَى، فمِثْلُكَ يُعْتِبُ

إن كنتُ مظلوماً فأنا عبدك، وإن كنتَ ذا عفو، فمثلك من يعفو

٧ سقط النصيف

وقال النابغة يصف «المتجردة» زوجة النعمان، وكانت، في بعض دخلاته على النعمان، قد فاجأته وفاجأها فسقط نصيفها عنها، والنصيف نصف ثوب، كأنه فستان بلا أكمام معلق بشريط على كتف واحدة ـ كفساتين نجمات هوليوود ـ فإن انزلق هذا الشريط انزلق كل شيء. فعندما انزلق غطت وجهها بمعصمها، فقال النابغة:

أَمِـنَ آلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أو مُـغْـتَـدِ عَـجْـلانَ ذا زَادٍ وغـيـرَ مُـزَوَّدِ

أأنت مرتحل لاحق بأهل المحبوبة صبحاً أو مساء؟ أكان رحيلك على عجل متزوداً بزاد الرحلة أم غير متزود؟ المعنى الملموح: أهل المحبوبة على وشك الرحيل، على أي وجه من الوجوه

زَعَـمَ الـغُـرابُ بِـأَنَّ رِحْـلَـتَـنـا غَـداً وكَـذاكَ تَـنْـعَـابُ الـغُـرابِ الأَسْـوَدِ

الغراب أنذرني بالرحيل غداً، وكذا نعيب الغراب الأسود، فهو يأتي منذراً بالرحيل

لا مَـرحـبـاً بِـغَـدٍ، ولا أَهـلاً بِـهِ إن كـان تَـفْـريـقُ الأَحِـبَّـةِ فـي غَـدِ

حَـانَ الـرَّحـيـلُ ولـم تُـوَدِّعْ مَـهْـدَداً والـصُّـبْـحُ والإِمْـسـاءُ مـنـهـا مَـوعِـدي

حان الرحيل، ولم تودع «مهدد» ـ غيَّر اسم محبوبته على عادة الشعراء ـ وموعدي معها مثل موعدي مع الصبح والمساء، أي أنني سأتذكرها طول الدهر وإن لم يكن لقاء

فـي إِثْـرِ غَـانِـيَـةٍ رَمَـتْـكَ بِـسـهـمِـهـا فـأَصـابَ قـلـبَـكَ، غـيـرَ أنْ لـم تُـقْـصِـدِ

سترحل إثر غانية جميلة رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أنها لم تُقْصِد، لم تقتل

نَـظَـرَتْ بِـمُـقْـلَـةِ شَـادِنٍ مُـتَـرَبِّـبٍ أَحْـوَى أَحَـمِّ الـمُـقْـلَـتَـيْـنِ مُـقَـلَّـدِ

عينها عين الشادن، الظبي الصغير، المتربب، الذي في رعاية أمه، الأحوى، ذي الخطين الأسودين على جنبيه، الأحم المقلتين، الأسودهما، المتقلد، الذي في جيده قلادة

والـبَـطْـنُ ذو عُـكَـنٍ لَـطـيـفٌ طَـيُّـهُ والـنَّـحْـرُ تَـنْـفُـجُـهُ بِـثَـدْيٍ مُـقْـعَـدِ

بطنها ضامر وفيه عكن، ثنيات.. ولو كانت متكرشة لما كان في بطنها تلك الثنيات، ونحرها قد نفجته، رفعته، بثدي قاعد في مكانه ليس متدلياً

مَـخْـطُـوطَـةُ الـمَـتْـنَـيْـنِ غـيـرُ مُـفَـاضَـةٍ رَيَّـا الـرَّوادِفِ بَـضَّـةُ الـمُـتَـجَـرَّدِ

كأنها تلبس ما فيه خطان على الجانبين، وهي غير سمينة، وأردافها ممتلئة، ومعراها يبين عن بضاضة، أي طراوة. ونساء بلدي كن يصفن بعض الفتيات بحسن «المَعرى» إذ يرينها عارية في حمام ونحوه، فأما نحن الرجال فلا نراها إلا وهي متلففة في الثياب فلسنا نستعمل كلمة «مَعْرى»

نَظَرَتْ إِليكَ بِحاجَةٍ لم تَقْضِها نَظَرَ السَّقِيمِ إلى وُجوهِ العُوَّدِ

نظرت تلك المحبوبة إليك، يا نابغة، وفي عينيها حاجة لم تقضها، وتلك الحاجة هي الحديث، ففي ساعة الوداع صعب عليها أن تحادثك وسط قومها، وكانت نظرتها نظرة حزن واستجداء كنظرة المريض في وجوه زائريه

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسْقاطَهُ فَتَناوَلَتْهُ، واتَّقَتْنا بِاليَدِ

ههنا وصف لموقف آخر: فقد سقط النصيف، وهو ثوب يغطي نصف الجسم، أو كتفاً دون أخرى، ولم تسقطه عمداً، فتناولته واتقت نظراتنا بيدها. لعلها دفعت بكفها في وجوههم كما يفعل المشاهير في ساعة الفضيحة إذ يدفعون بالأكف في وجه كاميرات المصورين

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنانَهُ عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَّطافَةِ يُعْقَدُ

اتقتنا بكف فيها خضاب، أي حناء، وكأن بنانها، أي أطراف أصابعها، ثمر العنم المحمر من رؤوسه، وأصابعها دقيقة تكاد لدقتها أن تعقد عقداً في أنشوطة. وكانت الملكة إليزابيث الأولى مشهورة بجمال يديها ودقة أصابعها، وتفنن الرسامون في إبراز ذلك منها. وفي القافية إقواء فدال «يعقد» حقها الكسر

زَعَمَ الهُمَامُ بِأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شَهِيُّ المَوْرِدِ

زعم النعمان بأن ثغرها بارد عذب على التقبيل، شهي الرضاب، أي الريق

زَعَمَ الهُمَامُ ـ ولم أَذُقْهُ ـ أَنَّهُ عَذْبٌ إذا ما ذُقْتَهُ قُلْتَ: ازْدَدِ

وزعم ـ ولم أذق ذلك ـ بأن فاها عذب

زَعَمَ الهُمَامُ ـ ولم أَذُقْهُ ـ أَنَّهُ يُشْفَى بِرَيَّا ريقِها العَطِشُ الصَّدي

وبأن ريقها يروي العطشان

أخَذَ العَذَارَى عِقْدَهُ فَنَظَمْنَهُ مِنْ لُؤْلُؤٍ مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدِ

كأن ثغرها عقد نظمته الفتيات من لؤلؤ منسوق

لو أَنَّها عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبَدَ الإِلَهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ..

لو أنها بدت لراهب أشمط، قد اختلط بياض شعره بسواده، صرورة، أي معتكف في صومعته يعبد الله..

لَرَنَا لِرُؤْيَتِها وحُسْنِ حديثِها ولَخَالَهُ رَشَداً وإنْ لم يَرْشُدِ

لانتبه لها ولحسن حديثها، ولظن ذلك أمراً حسناً، وإن كانت فيه غواية

بِتَكَلُّمٍ لو تَستَطيعُ كَلامَهُ لَدَنَتْ لَهُ أَرْوَى الهِضابِ الصُّخَّدِ

وهي تتحدث بكلام لو يستطيع المرء ترديده، لأغوى به وعول الهضاب الصخد، الصخرية الملساء، فنزلت من هضابها

وبِـفَـاحِـمٍ رَجْـلٍ أثـيـثٍ نَـبْـتُـهُ   كَالكَرْمِ مَالَ على الدِّعَامِ المُسْنَدِ

ولها شعر أسود كثيف كأنه عناقيد العنب التي تميل بثقلها على الدعامات

وإذا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَجْثَمَ جَاثِماً   مُـتَـحَـيِّـزاً بِـمَـكَـانِـهِ مِـلْءَ الـيَـدِ

وإذا لمست ذلك الموضع منها وجدته ذا حجم، متحيزاً، أي مالئاً حيزه، جاثماً كالطير، يكاد يملأ كفك

وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ في مُسْتَهْدِفٍ   رَابِي الـمَـجَـسَّـةِ بِـالـعَـبـيـرِ مُـقَـرْمَـدِ

فإن طعنت في ذلك الموضع من المرأة، فإنما تطعن في عضو مستهدف، مرتفع مشرئب، رابي المجسة، سمين إذ تجسه، ومطلي بالزعفران

وإذا نَزعتَ نَزعتَ عن مُسْتَحْصِفٍ   نَـزْعَ الـحَـزَوَّرِ بِـالـرِّشَـاءِ الـمُـحْـصَـدِ

فإن نزعت ذلك الشيء في الرجل، فأنت تنزعه من عضو مستحصف، ضيق، كما ينزع الحزور، الشاب، الرشاء، الحبل المفتول من البئر

وإذا يَـعَـضُّ تَـشُـدُّهُ أعـضَـاؤُهُ   عَـضَّ الـكـبـيـرِ مِـنَ الـرِّجَـالِ الأَدْرَدِ

وذلك العضو يعض كما يعض الشيخ الأدرد الذاهب الأسنان

٨ الاستقاء بالأعجاز

قال يصف نخلات:

مِنَ الوَارِدَاتِ الماءَ بِالقَاعِ تَستَقي   بِأَعْجَازِها قبلَ استِقَاءِ الحَناجِرِ

ترد هذه النخلات الماء بالقاع، السهل، وتستقي بأعجازها، بجذورها لا بأفواهها كما تستقي البهائم

٩ ما وراءكَ يا عصام

كان النعمان قد حجب النابغة لِما بلغه عنه من أنه تغزل بزوجته، فكان النابغة إذا أراد الدخول على النعمان جعل عصامٌ حاجب النعمان يخبره أنه عليل، فقال النابغة لعصام:

أَلَـمْ أُقـسـمْ عـلـيـكَ لَـتُـخْـبِـرَنِّـي   أَمَـحْـمُـولٌ عـلـى الـنَّـعْـشِ الـهُـمَـامُ

أما كنت حلفت عليك أن تخبرني إن كان الزعيم الهمام، أي المقدام، مريضاً مرض موت؟

فـإِنِّـيَ لا أُلامُ عـلـى دُخُـولٍ   ولـكـنْ، مـا وَراءَكَ يـا عِـصَـامُ

لا يلومني أحد على ترك الزيارة لأنني محجوب أصلاً، ولكن.. أخبرني ما عندك بشأن الزعيم؟

فَإِنْ يَهْلِكْ أبو قَابُوسَ يَهْلِكْ   رَبيعُ النَاسِ والشهرُ الحَرامُ

إن مات النعمان، أبو قابوس، مات ربيع الناس، أي رزقهم، والشهر الحرام، أي الأمان.. فالناس في زمن الملك يحترمون الأشهر الحرم ولا يقتتلون فيها، ولو مات لدبت الفتنة واحتربوا

ونُمْسِكْ بعدَه بِذُنَابِ عَيْشٍ   أَجَبِّ الظَهْرِ ليس له سَنامُ

وإن مات فسوف يصبح عيشنا صعباً، كأننا نمسك بناقة من ذيلها، وكأن هذه الناقة مقطوعة الظهر بلا سنام، والناقة يضمحل سنامها في زمن قلة العشب

١٠ مظنة الجهل الشباب

قال عامر بن الطفيل للنابغة في قصة: (أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عنِّي زِياداً غَدَاةَ القَاعِ، إذْ أَزِفَ الضِّرَابُ) وزياد هو اسم النابغة. فلما بلغ هذا الشعر شعراء بني ذبيان أرادوا هجاءه، وائتمروا له، فقال لهم النابغة: إن عامراً له نجدة وشعر، ولسنا بقادرين على الانتصار منه، ولكن دعوني أجبه، وأصغِّر إليه نفسَه، وأفضِّلْ عليه أباه وعمه، فإنه يرى أنه أفضل منهما، وأعيره بالجهل، فقال:

فإنْ يَكُ عامِرٌ قد قالَ جَهلاً   فإن مَظِنَّةَ الجهلِ الشبابُ

لئن قال جهلاً، قولا فيه رعونةً، فإن مظنة، أي موضع، الرعونة هو سن الشباب

فَكُنْ كأبيكَ، أو كأبي بَراءٍ   تُوافِقْكَ الحُكُومَةُ والصَّوابُ

ليتك كنت كأبيك، أو كأبي براء ـ وهو عم عامر بن الطفيل ـ فعندئذ تصح حكومتك، أي حكمك على الأمور

ولا تذهبْ بِحِلْمِكَ طَامِياتٌ   مِنَ الخُيَلاءِ ليس لَهُنَّ بَابُ

ولا تدع الأمواج الطامية المرتفعة من الخيلاء والتكبر تذهب بعقلك، فهذه الأمور ليس لها باب يغلق فتنتهي..

فإنَّكَ سوفَ تَحْلُمُ أو تَنَاهى   إذا ما شِبْتَ، أو شَابَ الغُرابُ

وسوف تصبح عاقلاً، أو على الأقل تنتهي وتمتنع عن الرعونة إذا لحق بك الشيب.. ولعلك لن تصل إلى هذا أبداً حتى لو شاب الغراب

١١ رياح ومناخل

قال في وقعة عمرو بن الحارث الغساني ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان:

أَهَاجَكَ مِنْ أَسماءَ رسْمُ المَنازِلِ   بِروضَةِ نُعْمِيٍّ فَذَاتِ الأَجَاوِلِ

هل أهاج مشاعرك بقايا مواضع كانت تنزل بها أسماء.. وذَكَر هذه المواضع

أَرَبَّتْ بِهـا الأَرْوَاحُ، حتَّى كـأنَّـما تَـهَادَيْـنَ أعـلَى تُرْبِـها بِـالمَـنَاخِـلِ

أربت، أي مكثت، الرياح بتلك المنازل، تروح عليها وتجيء وكأنها تتناوب الرمل وتنخله بالمناخل.. هذه صورة طيبة جداً: الرياح يهدي بعضها إلى بعض تلك الرمال.. ووسيلة استقبال الرمال هي المناخل.. وينزل بعض الرمل في هذه اللعبة على الأرض منخولاً ناعماً.. وكذا وجه الأرض الرملية التي مرت بها الرياح السافية

تَـرى كـلَّ ذَيَّـالٍ يُـعَـارِضُ رَبْـرَبَـاً على كُلِّ رَجَّافٍ مِنَ الرَّمْلِ هَائِلِ

ترى هناك كل ثور طويل الذيل يتصدى للربرب، القطيع، على كثيب الرمل الرجاف، المتقلقل، الهائل، أي الذي يهيل وتتساقط رماله عن جوانبه

يُثِرْنَ الحَصَى حتى يُباشِرْنَ بَرْدَهُ إذا الشَّمْسُ مَجَّتْ رِيقَها بِالكَلاكِلِ

تثير أبقار الوحش الحصى ويحفرن الأرض لكي يصلن إلى التراب البارد تحتُ، هذا والشمس تمجُّ، تبصق، ريقها على الكلاكل، أي الصدور.. وملاحظة الأعلم الشنتمري التي نقلها عن الأصمعي بارعة، يقول: «ريق الشمس شيء تراه بالهاجرة، إذا اشتد الحر، كأنه يسيل»

نَصحتُ بَني عَوْفٍ فلم يَتَقَبَّلُوا وَصَاتِي، ولم تَنْجَحْ لَديْهِمْ وَسائلي

نصحت بني عوف ولم يقبلوا نصحي..

فـخَـلُّوا لـه بـيـنَ الـجَـنـابِ وعَـالِـجٍ فِـراقَ الـخَـليـطِ ذي الأَذاةِ الـمُـزَايِـلِ

قلت لهم: اتركوا للملك الغساني هذه المنطقة بين الجناب وعالج، وفارقوه كما يفارق الخليط، القوم، من هو ذو أذى

ولا أعْـرِفَـنِّـي بـعـدمَـا قـد نَـهَـيْـتُـكُـمْ أُجَـادِلُ يـومـاً فـي شَـوِيٍّ وجَـامِـلِ

لن تروني بعد إذ نهيتكم أفاوض في رد الشوي والجامل، الشياه والجمال التي ستؤخذ منكم

وبِـيـضٍ غَـريـراتٍ تَـفـيـضُ دُمـوعُـهـا بِـمُـسْـتَـكْـرَهٍ يَـذْرِيـنَـهُ بِـالأَنَـامِـلِ

ولن أفاوض في رد نسائكم البيض الغريرات، فتيات غير مجربات، الباكيات بدمع يستخرجنه من أعينهن استخراجاً للتخفيف عما بهن من ألم السبي، ثم يذرينه بالأنامل، يمسحنه بأطراف الأصابع

وقد خِفْتُ حتى قد تَزيدُ مَخافَتي على وَعَلٍ في ذي المَطَارَةِ عَاقِلِ

قد خفت خوف وعل عاقل، متخذ معقِلاً، في موضع ذي المطارة، فالوعل شديد الخوف يفر لأدنى حركة ويعتصم بالقمم

مَـخَـافَـةَ عَـمْـروٍ أن تـكـونَ جـيـادُهُ يُـقَـدْنَ إلـيْـنـا بـيـنَ حَـافٍ ونَـاعِـلِ

خفت عمراً أن يقود خيله إلينا، ما بحوافره نعال وما ليس بحوافره نعال، أي جميع ما عنده من خيل.. وفسروا أيضاً أن الناعل الفرس، والحافي الجمل

١٢ قصة الحية

وقال فيما كان بينه وبين يزيد بن سنان المري:

ألا أَبْلِغَا ذُبْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً فقد أصبحَتْ عن منهَجِ الحقِّ جَائِرَهْ

يا صاحبيَّ أبلغا بني ذبيان، قبيلتي، رسالة، فقد انحرفت عن طريق الحق

أَجِدَّكُمْ، لا تَزْجُرُوا عن ظُلَامَةٍ سَفيهاً، ولن تَرْعَوْا لِذي الوُدِّ آصِرَهْ

أجدكم، أهذا معقول! أنكم لا تزجرون السفيه الذي ظلمَ غيره، ولا ترعون لأصدقائكم آصرة، علاقة

وإِنِّي لأَلْقَى مِنْ ذَوِي الضِّغْنِ مِنهُمُ كما أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنَ الوَجْدِ سَاهِرَهْ

أنا ألقى من ذوي الحقد من بني مرة، وهم من ذبيان ولكنهم كانوا على خلاف مع عشيرة النابغة، ما تلقاه امرأة ساهرة من الحزن

كما لَقِيَتْ ذاتُ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا وما انْفَكَّتِ الأَمثالُ في الناسِ سَائِرَهْ

وكما لقيت ذات الصفا، الأفعى الملازمة للصفا وهو الصخر، من حليفها، أي المجاور لها، وهذا أمر سارت به الأمثال..

فقالتْ لهُ: أدعُوكَ للعَقْلِ وافِياً ولا تَغْشَيَنِّي منكَ بِالظُّلْمِ بَادِرَهْ

قالت الحية لجارها: لأنني لدغت أخاك وقتلته فأنا أدعوك لقبول الدية، شرط ألا تأتي عليَّ منك بادرة ظلم

فَواثَقَها بِاللَّه حينَ تَراضَيَا فكانتْ تَدِيهِ المَالَ غِبّاً وظَاهِرَهْ

فحلف لها باللّه، فكانت تعطيه الدية بالمال غباً، أي يوماً بعد يوم، وظاهرة، أي كل يوم.. فهي تعطيه الدنانير الذهبية باستمرار.. وإن ليس بانتظام

فَلَمَّا تَوَفَّى العَقْلَ إِلَّا أَقَلَّهُ وجَارَتْ بهِ نَفْسٌ عنِ الحَقِّ جَائِرَهْ

لما كاد أن يستوفي العقل، الدية، وبقي القليل، انحرفت به نفسه عن الحق

أَكَبَّ على فَأْسٍ يُحِدُّ غُرَابَهَا مُذَكَّرَةٍ مِنَ المَعَاوِلِ بَاتِرَهْ

عكف على فأس، وأخذ يشحذ غرابها، أي حدها، وهي من المعاول المذكرة، القوية، الباترة

فقامَ لها مِنْ فوقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ لِيَقْتُلَهَا أوْ تُخْطِئَ الكَفُّ بَادِرَهْ

قام للحية عند جحرها، فحاول قتلها، طمعاً ليأخذ كل الدنانير الذهبية، فاخطأتها كفه

فلمَّا وَقَاها اللهُ ضَربَةَ فَأْسِهِ، ولِلْبِرِّ عينٌ لا تُغَمِّضُ نَاظِرَةْ

لما وقاها الله ضربة فأسه، وعين الحق لا تنام

فقالَ: تَعالَيْ نَجْعَلِ اللَّه بيْنَنا على مَا لَنا، أوْ تُنْجِزِي لِيَ آخِرَهْ

قال للحية: تعالي نحلف بالله على الوفاء، وتكملي لي ما بقي من الدية

فقالتْ: يَمينَ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنَّني رأيتُكَ مَسْحُوراً يَمينُكَ فَاجِرَةْ

حلفت له الحية أنها لن ترضى بذلك، لأن يمينه فاجرة، أي كاذبة، ولأنه مسحور، أي غير عاقل

أَبى لِيَ قَبْرٌ لا يَزالُ مُقَابِلي وضَرْبَةُ فَأْسٍ فوقَ رَأْسِيَ فَاقِرَةْ

وقالت الحية: أبى القبر الذي أراه مقابلي ودفنتَ فيه أخاك الملدوغ، وأبت لي ضربة الفأس الفاقرة، التاركة أثراً، أن أثق بعهدك أو أن تغفر لي

١٣ الغازي الحنون

ونسب للنابغة في هجاء النعمان بن المنذر. لكن، قال ابن الأعرابي: هذا لعبد القيس بن خفاف البرجمي:

يَجْمَعُ الجيشَ ذا الألوفِ فَيَغْزُو ثُمَّ لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتيلا

يجمع جيشاً كبيراً ويغزو، ولكنه لا يُلحق أي ضرر بعدوه

١٤ في وصف طنجرة

وقال النابغة يمدح النعمان بن الجلاح الكلبي:

لهُ بِفِناءِ البيتِ دَهْمَاءُ جَوْنَةٌ تَلَقَّمُ أَوْصَالَ الجَزُورِ العُرَاعِرِ

له في ساحة البيت قدر ضخمة سوداء، يلقِّمونها أجزاء الجزور، أي الجمل المذبوح، العراعر، الضخم، فتتسع لها

بَقِيَّةُ قِدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُوُرِّثَتْ لِآلِ الجُلاحِ كَابِراً بعدَ كَابِرِ

هذه القدر بقية من قدور موروثة في آل الجلاح أباً عن جد

يَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَها كما ابتَدَرَتْ كَلْبٌ مِياهَ قُراقِرِ

الجواري يسارعن إلى قديح القدر، ما اغتُرف منها من لحم ومرق، مثلما تغترف قبيلة كلب بدلائها الماء من نبع قراقر

١٥ هذا عليها، وهذا تحتها

وقال النابغة يرثي أخاه لأمه، وأمهما عاتكة بنت أنيس الأشجعي. وكان أخوه ذهب يطلب إبلاً له فمات:

لا يَهْنِئِ الناسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلأٍ ... ومَا يَسُوقُونَ مِنْ أهلٍ ومِنْ مَالِ

لا وجد الناس الهناء بما ترتعي إبلهم من عشب فتفيض عليهم لبنا ولحماً، ولا وجدوا هناء في أهلهم ولا في مالهم..

بعدَ ابنِ عَاتِكَةَ الثَّاوي لَدى أبَوَى ... أَمْسَى بِبَلْدَةٍ لا عَمٌّ ولا خَالِ

.. بعد موت ابن عاتكة الثاوي، الراقد، في موضع «أبوى» البعيد، وقد أمسى غريباً ليس معه لا عم ولا خال

حَسْبُ الخَليلَيْنِ نَأْيُ الأرضِ بينَهُما ... هذا عليْها، وهذا تحتَها بالِ

يكفي الصديقين من البعد أن تكون الأرض هي مسافة البعد بينهما، إذ أحدهما فوقها والآخر تحتها دفيناً بالي الجثمان

١٦ دار نعم

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ ... مَاذا تُحَيُّونَ مِنْ نُؤْيٍ وأَحْجَارِ

ميلوا بنا لنحيي داراً كانت تنزل بها الحبيبة نعم، ولكن ما الذي نحييه: مجرد نؤي، أي قناة حول خيمة لمنع ماء المطر من دخول الخيمة، وبضعة أحجار!

فَاسْتَعْجَمَتْ دارُ نُعْمٍ ما تُكَلِّمُنا ... والدارُ لو كَلَّمَتْنَا ذاتُ أَخبارِ

دار نعم عجماء خرساء لا تكلمنا، ولو كلمتنا لقصت علينا أخبار الحبيبة

فما وَجَدْتُ بِها شيئاً أَعُوجُ بِهِ ... إلَّا الثُّمامَ وإلَّا مَوْقِدَ النَّارِ

لم أجد ما أميل إليه، سوى نبات الثمام، وموقد النار

وقَد أَرانِي ونُعْمَاً لاهِيَيْنِ مَعاً ... في الدهرِ، والعيشُ لم يَهْمُمْ بِإمْرَارِ

كنت ألهو مع نعم، قبل أن يشتد العيش ويقسو

أَيَّامَ تُخْبِرُنِي نُعْمٌ وأُخْبِرُها ... مَا أَكْتُمُ الناسَ مِنْ حَاجِي وأَسراري

لولا حَبائِلُ مِنْ نُعْمٍ عَلِقْتُ بِها ... لَأَقْصَرَ القلبُ عنها أيَّ إقْصَارِ

لولا ما تعلق بي من حب لها لنسيها القلب

أُنبِئْتُ نُعْمَاً على الهِجْرانِ عَاتِبَةً سَقْيَاً ورَعْيَاً لِذاكَ العَاتِبِ الزَّاري

تعتب علي لطول الهجر، وما لدي سوى التحسر على أيام هذه المحبوبة العاتبة الزارية، اللائمة. هذا شيء يشبه كلام عمر بن أبي ربيعة

رَأَيْتُ نُعْمَاً وأَصحابِي على عَجَلٍ والعِيسُ لِلْبَيْنِ قد شُدَّتْ بِأَكْوَارِ

رأيتها وكنت في جمع من أصحابي، وكانت الجمال تشد عليها الأكوار، أي الرحال وخشبها، استعداداً للرحيل

بَيضاءَ كالشمسِ وافَتْ يومَ أَسْعُدِها لم تُؤْذِ أَهْلاً ولم تُفْحِشْ على جَارِ

كانت بيضاء كأنها الشمس، وهي فتاة لطيفة لا تؤذي أحداً

يُلاثُ، بعدَ افْتِضَالِ الدِّرْعِ، مِنْطَقُها لَوْثاً على مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الهَاري

بعد أن تفتضل درعها، أي تخلع ثوبها الداخلي، يلاث، أي يُلَفُّ، منطقها، شالها، على ردفين كأنهما دعص هارٍ، أي كثيب رمل يهيل

والطِّيبُ يَزدَادُ طيباً أنْ يكونَ بِها في جِيدِ وَاضِحَةِ الخَدَّيْنِ مِعْطارِ

المسك ونحوه من صنوف الطيب تصبح أطيب رائحة إذا كانت على عنق هذه الفتاة البيضاء الخدين المحبة للعطر

تَسقي الضَّجيعَ إذا اسْتَسْقَى بِذي أُشَرٍ عَذْبِ المَذَاقَةِ بعد النومِ مِخْمَارِ

تسقي ضجيعها إن طلب السقي بثغرها ذي الأسنان ذات الأشر أي المحززة، وكذا أسنان الفتيات الصغيرات، وريقها عذب، وهو كالخمر، حتى لو كانت قد أفاقت من نومها.. فنحن ـ البشرَ العاديين ـ يكون ريقنا ذا رائحة رديئة عند الاستيقاظ، ولا كذلك صاحبة النابغة

كأنَّ مَشْمُولَ صِرْفٍ عَلَّ رِيقَتَها مِنْ بعدِ رَقْدَتِها، أو شَهْدَ مُشْتَارِ

كأن ثغرها، إذ تقوم من النوم، قد شرب من خمر مشمولة، باردة ضربتها ريح الشمال، وصافية؛ أو كأن في ثغرها عسل المشتار، جامع العسل

أَقُولُ والنجمُ قد مالتْ أَوَاخِرُهُ إلى المَغيبِ تَبَيَّنْ نَظْرَةً حَارِ

أقول وقد بدا النجم يتجه للمغيب، وبدا الصبح يطلع، دقق النظر يا حار، حارث

أَلَمْحَةً مِنْ سَنَا بَرْقٍ رأى بَصَري أم وَجْهَ نُعْمٍ بَدا لي أمْ سَنَا نَارِ؟

أهذا الذي نراه ضوء برق، أم هو وجه نعم، أم هو ضوء نار؟

بل وَجْهُ نُعْمٍ بَدا واللَّيلُ مُعْتَكِرٌ فَلاحَ مِنْ بينِ أَبوابٍ وأَسْتَارِ

لا، بل هو وجه نُعم. وقد بدا وسط الليل المعتكر، الدامس، فبدا لنا واخترق الأستار والأبواب

١٧ جئتك على خوف

أَتَــانِــي أَنَّ دَاهِــيَــةً نَــآدَى   عــلــى شَـحَـطٍ أَتَـاكَ بِـهَـا مَـيُـونُ

جاءني أن هناك مصيبة نآدى، كبيرة، وقد أتى بها على شحط، وأنت بعيد، رجل ميون، كاذب

فَـبِـتُّ كـأَنَّـنـي حَـرِجٌ لَـعِـيـنٌ   نَـفَـاهُ الـنـاسُ أو دَنِـفٌ طَـعِـيـنُ

قضيت الليل وكأنني ملعون، منبوذ، أو كأنني مريض مطعون جريح

أَغيـرَكَ مَـعْـقِـلاً أَبْغـي وحِـصْـنـاً   فَـأَعْـيَـتْـنـي الـمَـعـاقِـلُ والـحُـصُـونُ

كيف لي أن أبتغي غيرك أيها الملك حصناً؟ لقد أتعبتني الحصون، فلا حصن غيرك، ولا أمان إلا عندك

فَـجِـئْـتُـكَ عَـارِيـاً خَـلَـقَـاً ثِـيـابـي   عـلـى خَـوْفٍ تُـظَـنُّ بِـيَ الـظُّـنُـونُ

جئتك معتذراً مشعث الثياب كأنني عارٍ، وخائفاً، وموضع شبهات

فَـأَلْـفَـيْـتُ الأَمَـانَـةَ لـم تَـخُـنْـهَـا   كَـذلـكَ كـان نُـوحٌ لا يَـخُـونُ

فرأيتك لم تخن العهد، وكنت كالنبي نوح في حفظه للأمانة

١٨ أكل.. وشرب

سَـأَلَـتْـنـي عـن أُنَـاسٍ هَـلَـكُـوا   أَكَـلَ الـدهـرُ عـلـيْـهِـمْ وشَـرِبْ

١٩ مخالب الدهر

مَنْ يَطْلُبِ الدهرَ تُدْرِكْهُ مَخالِبُهُ   والدهرُ بِالوِتْرِ نَاجٍ غَيْرُ مَطلوبِ

من أراد الانتقام من الدهر، فراح يطالبه بثأر، تأذى من مخالب الدهر. فالدهر ينجو ولا يُطلَب بثأر

مَا مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي مَجْدٍ ومَكْرُمَةٍ   إِلَّا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ الذِّيبِ

وكل أهل المجد والقوة سيهجم عليهم الزمن هجمة الذئب المفترس

٢٠ سخيٌّ وناره

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ   تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِندَها خَيْرُ مُوقِدِ

إذا أتيت هذا الرجل الكريم وأنت تتبين بعينين أرهقتهما الظلمة ضوء ناره، فستجد أفضل نار عندها أفضل من يوقد النار

٢١ المصير

الـمَـرْءُ يَـأْمُـلُ أنْ يَـعـيـ ـشَ، وطُـولُ عَـيْـشٍ قـد يَـضُـرُّهْ
تَـفْـنَـى بَـشَـاشَـتُـهُ، ويَـبْـ ـقَـى بَـعْـدَ حُـلْـوِ الـعَـيْـشِ مُـرُّهْ
وتَـخُـونُـهُ الأيَّـامُ حـتَّـ ـى لا يَـرى شَـيْـئـاً يَـسُـرُّهْ
كَـمْ شَـامِـتٍ بـي إنْ هَـلَـكْـ ـتُ، وقَـائِـلٍ لـلَّـهِ دَرُّهْ

٢٢ عصام

قال في عصام، حاجب النعمان، وكان من أصل ضعيف وصعد بكده، ومن هنا قيل لكل مجتهد رفع نفسه عصامي:

نَـفْـسُ عِـصَـامٍ سَـوَّدَتْ عِـصَـامـا
وعَـلَّـمَـتْـهُ الـكَـرَّ والإقْـدَامـا
وصَـيَّـرَتْـهُ مَـلِـكـاً هُـمَـامـا
حـتَّـى عَـلا وجَـاوَزَ الأقْـوَامـا

٢٣ لكل حاملة تمام

ولَـسْـتُ بِـدَاخِـرٍ أَبَـداً طـعـامـاً جِـذَارَ غَـدٍ، لِـكُـلِّ غَـدٍ طَـعـامُ

لن أدّخر مالاً للغد، فكل يوم له رزقه

تَـمَـخَّـضَـتِ الـمَـنُـونُ لـه بِـيَـومٍ أَتَـى، ولِـكُـلِّ حَـامِـلَـةٍ تَـمَـامُ

المنون، أي الموت، كالمرأة الحبلى، تكون في مخاضها، ثم لا بد لها من إتمام حملها.. وكذا الموت لا بد أن يزور المرء يوماً

٢٤ ممتاز، لكنه ممتاز

فَـتـىً تَـمَّ فـيـهِ مـا يَـسُـرُّ صَـديـقَـهُ عـلـى أنَّ فـيـهِ مـا يَـسُـوءُ الأَعـادِيَـا

فتى فيه كل الفضائل التي تسر الصديق وتسوء العدو

فَـتـىً كَـمُـلَـتْ أَخْـلاَقُـهُ، غَـيْـرَ أنَّـهُ جَـوادٌ فَـمـا يُـبْـقِي مِـنَ الـمـالِ بَـاقِـيـا

أخلاقه كاملة، لكنه سخي فلا يبقي على ماله.. وهذه فضيلة أخرى ساقها الشاعر وكأنه يستثني. ومثل هذا قوله، وأوردناه سابقاً: ولا عيبَ فيهِمْ، غيرَ أنَّ سيوفَهُمْ/ بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائِبِ

النابغة الذبياني

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

الأعشى الكبير
(٧٠ ق هـ ــ ٧هـ)

أحدثكم عن آخر شعراء الجاهلية: الأعشى ميمون بن قيس.

سمع بالإسلام وكاد يُسلم، ولم يسلم. ومات سنة سبع للهجرة.

سكير ولا كأبي نواس، وداعر ولا كامرئ القيس، مذهبه في الحياة طلب اللذة أيان وجدت.

كنتُ أضربتُ في هذه المختارات عن اقتباس أبيات تداعر فيها ما شاء. كأنما أدركتني غَيْرةٌ وأنا أقرأ الديوان قراءةَ اقتباس وتنخيل؛ على أنني عدت وأثبتُّها، فابحث عنها في هذه المختارات، ولن أقول لك على أي رويٍّ هي حتى لا تترك هذه المقدمة وتنطلق إلى تلك الأبيات. وإنما رجعتُ عن رأيي الأول متأسياً بابن قتيبة في «الشعر والشعراء»، فهذا القاضي الدَّيِّن استحسن للأعشى ثلاثةَ نُتَفٍ، وشاء أن تكونَ اثنتان منهنَّ في الخمر. وهكذا كان أوَّلونا: يكون أحدهم صاحب ورع وتقوى ثم يروي الشعر المتهتك ويستجيده، فكأن للشعر معياراً غير معيار الأخلاق والدين، معياران يتوازيان ولا يلتقيان أبداً. تلك مدرسة الفن للفن.

فماذا صنع الفقهاء بشعر رُميت فيه المحصنات؟ كيف صنعوا بشعر جرير الذي زنَّى فيه نسوة سماهن بأسمائهن؟ لم يصنعوا شيئاً، رووا كل ذلك واستشهدوه على قاعدة نحوية أو على لفظة وردت في حديث أو حتى في قرآن. ذلك كان منهجهم. ولعل بعض معاصرينا ـ من دَيِّن وغير دَيِّن ـ يشمئز من هذا المنهج، ويقول إنه يجب أن يكون للشعر رسالة. ونحن في عملنا نعرض الشعر العربي كما كان، ونسترِطُه إلى معدة تقبل ألواناً كثيرة.

وفي الشعر، سوى المعنى، جَرس، وفيه شيء خفي يميزه عن النثر، ولقد يمر بك شعر أجمع النقاد على أنه قليل «الفائدة»، يعنون أن معناه سطحي، ثم تجدهم يقتبسونه مرة ومرة في كتبهم، وتجده جارياً على كل لسان سائراً إلى كل مكان.

الشعر صورة كما يقول أهل زمننا من النقاد. هو صورة نعم، وليس هذا بالأمر الذي يحتاج إلى برهان، ولا إلى طويل كلام. وقد أغشى أساتيذ الجامعات نفوسنا وهم يشرحون لطلابهم في الصفحات الكثيرة كيف أن الشعر صورة، فيفسرون الأبيات و«يستخرجون» ما فيها من «صور».

لكن الشعر شيء آخر أيضاً.

الشعر كلمة تجاور كلمة فيكون لهما من الأثر ما يحرك في النفس شيئاً.

وهو وزن وقافية.

سنطرفك بأبيات للأعشى طالما تغنى بها المغنون، فهو صناجة العرب. ولكننا سنكتب لك أسطراً عن الرجل.

ولد «ميمون» في الرياض عاصمة السعودية، قبل أن يكون هناك رياض أو سعودية. فإن ذهبتَ إلى الرياض اليوم، فاقصد حي منفوحة الملاصق للدائري الجنوبي. هناك ولد الأعشى. هذه المنطقة هي منطقة اليمامة التي كانت تسكن قراها في أواخر الجاهلية وأوائل الإسلام قبائل حنيفة، وقيس بن ثعلبة، ويربوع. وفيها كان مسيلمة الكذاب وبعض حروب الردة، وفيها عاش جرير شاعر يربوع التميمية.

في الجاهلية سكنت اليمامةَ قبيلة حنيفة وكانوا أهل زراعة، وسكنتها قيس بن ثعلبة وكانوا أهل رعي، وحرب. ويغلب على أهل الرعي أن يكونوا أهل حرب. ويبدو أن العلاقة بين القبيلتين كانت مبنية على تبادل المنافع، وكلتا القبيلتين تنتسبان إلى بكر بن وائل، التي هي فرع من ربيعة. ولعل القارئ يريد خريطة مبسطة لقبائل العرب:

عرب الجنوب منهم طيء وكندة والأوس والخزرج، وغيرها كثير. وهم نصف العرب. ليس لدينا إحصاء، ولكننا نعرف أن نصف المشاهير من شعراء العرب كانوا من اليمانية. ومعظم قبائل الجنوب كانت تسكن في الشمال، في الشام والحجاز والعراق. هاجرت إلى الشمال قبل الإسلام بعشرات السنين.

وكانوا سألوا نسَّابةً أيهم أكثر عرب الشمال أم عرب الجنوب؟ فأجاب: إن تمعددت قضاعة، أي انتسبت إلى معدٍّ أبي عرب الشمال، فنزار أكثر، وإن تيمنت فاليمن أكثر.

وعرب الشمال قسمان: مضر، ومنهم تميم وقريش. وربيعة، ومنهم تغلب وبكر. ومن بكر فرع قيس بن ثعلبة.

ومن قيس بن ثعلبة كان الأعشى ميمون بن قيس بن جندل.

مات أبوه جوعاً في كهف انسد بصخرة عظيمة، فلقبه الناس قتيل الجوع. ولقب الناس ابنه ميموناً أبا بصير، تيمناً لأنه كان أعشى، لا يبصر في العتمة. ولعل ميموناً أحب اللقب فاكتنى به، وسمَّى ولده بصيراً. وهو في شعره يزجي النصح لـ«بصير»، ولكننا لسنا على ثقة من أن هذا الشعر شعره. ولا نحن على ثقة بأن أي شعر جاهلي هو للجاهليين. تلك قضية نفض منها يديه بعض الدارسين، وجادل فيها بعضهم. وفي قصائد كثيرة للأعشى شكك القدماء والمحدثون.

صحة نسبة شعره إليه

كان القدماء يشكون في الشعر الجاهلي، ولكنهم كانوا يحبون هذا الشعر القديم حب تقديس. فهو الأصل، وهو الوعاء الذي يحمل اللغة الصحيحة «الأصليَّة». . فكل ما يتكلمون به في عصرهم العباسي ذاك خليط، وكل أساليبهم في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم أساليب محدثة دخلها الفساد و«العجمة». كانت نظرتهم إلى اللغة نظرتهم إلى النص المقدس. حتى لقد زعم كثيرون منهم أن اللغة العربية بكلماتها وأساليبها مخلوقة مع آدم.

هؤلاء القدماء شككوا في الشعر الجاهلي، وقدسوه في الوقت نفسه، وبحثوا بإخلاص عن أي مفتاح يعينهم على تخليص ما وصلهم منه من الفاسد الموضوع.

ورأس المشككين من المحدثين المستشرقون الذين استقر في ثقافتهم في بلادهم أن اللغة كائن متغير، وقد عالجوا الشعر الجاهلي بمبضع جراح غير ماهر - فأما لماذا غير ماهر، فلأن هؤلاء المستشرقين لا يتذوقون الشعر العربي كأهله - على أنهم بقوة المنطق والعلم، شككوا. وجاء طه حسين فاتبعهم بعض اتباع، واقتنع كبير اقتناع. وثار عليه مقدسو اللغة من المحدثين. وأكثر ما

أخاف المحدثين ـ المستمسكين بصحة الشعر الجاهلي كأنه أعراض أمهاتهم ـ أن التشكيك في نص الشعر الجاهلي سيعرض النص المقدس للشك. والأكثر تضرراً من منهج التشكيك الحديث النبوي. فقد روي رواية، ولم يكتب إلا بعد أكثر من مئة سنة من وفاة الرسول.

وقامت معركة الشك في الشعر الجاهلي، وأحسبها لا تزال قائمة. ولا أقف موقفاً وسطاً.

رأيت الناس ينشدون الشعر النبطي الذي قاله شعراء البادية قبل مئة سنة ومئتين. فمنهم من ينشد البيتين والثلاثة من القصيدة، يستشهد على حادثة أو على فكرة. ومنهم من هو أحسن حفظاً وأذلق لساناً فتراه ينشد القصيدة كلها، ويأتي آخر فينشد القصيدة نفسها برواية مختلفة تتغير فيها مواضع الأبيات، وتتبدل عشرات الكلمات، وتنقص القصيدة أو تزيد. ذلك أن الرجلين كليهما تلقيا القصيدة شفاهاً، وكلاهما متقن لهذه اللهجة وقادر أن يصلح ما وصله مختلاً. وبعد عدة أجيال من الرواة يبقى من القصيدة وزنها وقافيتها، وبعض كلماتها. ولعله يبقى أيضاً شيء غير قليل من روحها. ولعل النسخة الحديثة منها أن تكون أضبط ضبطاً وأحلى حلاوة من النسخة الأصلية. ولعل قصائد نبطية كثيرة منسوبة إلى شاعر بعينه لا تكون من شعره أساساً، بل هي لشاعر آخر أحدث منه أو أقدم.

ونقول إن الشعر النبطي القديم الذي يرويه الناس في مضافاتهم، أو ديوانياتهم، في أيامنا هذه يمثل بمجموعه تراث حقبة معينة، ويحمل روحها سواء بأبياته الأصلية أم بأبياته التي دخلها التبديل الكثير أو حتى الوضع والنحل.

وشعرنا الجاهلي مجموعة من القصائد تمثل روح تلك الحقبة، وتشكل أساساً فنياً بنى عليه الشعراء الأمويون والعباسيون شعرهم، واتخذوه نبراساً، وظلوا يحاولون الاقتراب من مبانيه ـ وأحياناً من معانيه ـ في صوغهم شعرهم. حتى المجدد الذي كسر القوالب عارفاً بما يصنع، كأبي نواس وأبي تمام، فقد كان يسعى جاهداً لتخير مفرداته وأساليبه بحيث تكون صحيحة جاهلياً. وهذا موجود في زمننا، فترى المرء إذا أورد كلمة عامية في شعر له أو نثر فزع إلى علامتي تنصيص يضع بينهما الكلمة العامية طالباً من القارئ المعذرة.

ديوان الأعشى

طبع المستشرق ردولف غاير شعر الأعشى سنة ١٩٢٨، ثم رتب هذه الطبعة وزاد عليها شروحاً وفهارس محمد محمد حسين سنة ١٩٥٠، وجاءت طبعته غاية في الوضوح والأناقة والصحة والالتزام بطبعة غاير. لا بل لقد كلف سيِّدةً بترجمة المقدمة الألمانية فجاءت ترجمتها مرآة للأصل لم تنحرف عنه قيد شعرة. وقد عارضتُ طبعة غاير على طبعة محمد حسين بيتاً بيتاً فعجبت من الرجلين. هذا الألماني يصدر ديوان الأعشى في نشرة علمية بديعة خالية من الخطأ وهو مصاب بالفالج، وهذا المصري يعيد طبعها طباعة أنيقة ويزينها بشتى الشروح، ولا يكاد يتسلل إلى طبعته خطأ مطبعي، فإن تسلل، وقليلاً ما تسلل، ضبطه بجريدة للخطأ وصوابه في ذيل الكتاب. وصنع جدولاً طريفاً آخر بالكلمات التي بدَّلها في الطبعة الأوروبية. هذا إلى فهارس أخرى عديدة.

ليت محمد حسين اشتغل بتحقيق الدواوين القديمة أو حتى بضبط التحقيقات القديمة لها، لكنه انصرف فيما يبدو لي إلى تأليف الكتب لتلامذته في الجامعة قبل وبعد عمله في ديوان الأعشى. جزاه الله خيراً.

أقول: ذلك المحقق المصري كان ـ كما يبدو من كتبه الأخرى ـ عروبياً مستمسكاً بعرى الدين، ناعياً على طه حسين تشكيكه في الشعر الجاهلي تشكيكاً ساحقاً. ومع ذلك نراه في الموضع بعد الموضع من طبعته لديوان الأعشى يشكك في العشرات من القصائد، ولا يرى أنه سَلِمَ لنا من ديوان الأعشى سوى بضعٍ وثلاثين قصيدة. فتأمل.

حياة الأعشى

أراه رجلاً قصيراً، على شيء من البدانة، يلبس في أصابع يديه الخواتم: فهذا خاتم عقيق من اليمن، وهذا خاتم ذهب من أمير اليمامة هَوْذة بن علي، وهذا خاتم فضة اشتراه بماله في شبابه، ولم ينزعه من إصبعه لكثرة ما لمس هذا الخاتم من أجساد الحسان اللائي يفتخر الأعشى بأنه عاشرهن.

وكل هذه المعلومات محض افتراء، وما سيلي ليس صافياً كل الصفاء.

كان كثير الأسفار. ونبغ في الشعر شاباً، وصار مشهوراً، ومخشي معرة اللسان. يسافر مع قبائل التجار.

هو هكذا.. يحب السفر.

لي صديق أتعجب منه كثيراً. يقول لي: أعشق السفر، ولا أسأل عن هدف الرحلة ولا عن تفصيلاتها، فما إن تتاح الرحلة حتى أعد حقيبتي. أتعجب منه لأنني أنا لست كذلك. فإذا عرضت لي سفرة حملت همها وتمنيت في أعماقي أن تلغى لأي سبب. فإذا سمعت أنها ألغيت فرحت فرحاً طفولياً.

كان الأعشى كصاحبي. يأتيه الخبر وهو في منفوحة باليمامة أن قافلة ستنطلق إلى اليمن، فيعد حقيبته. ويرحب به التجار رفيق سفر، فسوف ينزلون ببركته على أمراء اليمن وأساقفة نجران، ثم إن رفيقهم سيكون شاعراً يروي لهم من قصيده ويؤنسهم. ويقيم الأعشى في اليمن أشهراً، ويمدح الأمير، وينال عطية جزيلة أو قليلة. وإلى الحيرة على الفُرات يسافر، ويلقي شعره على راويته يحيى، وللأعشى أكثر من راوية.

ويسمع أن قافلة أخرى ستتوجه إلى الحجاز، فيمضي معها، ويحضر سوق عكاظ، ويلقى الشعراء والكبراء.

يلقى هناك عامر بن الطفيل وقد اشتدت خصومته مع ابن عمه علقمة، فينصر الأعشى عامراً، ويهجو علقمة. وتتسامع جزيرة العرب بقصائد الأعشى في تلك المنافرة المشهورة. ويبكي علقمة من قسوة الهجاء. وفي سفرة أخرى للأعشى يقع شاعرنا بيد علقمة، فيحبسه عنده غير ضيف، حتى يخلّص الأعشى نفسه بأبيات يمدح فيها علقمة ويعتذر إليه عما بدر منه.

ويعود الأعشى إلى منفوحة، ويجد ابنته قد كبرت، وأولاده يركضون في الحي ويرعون أغناماً كان ابتاعها لهم. ويأتيه رجال من قبيلة زوجته الجديدة التي تزوجها وظل يتركها ويسافر، فيطالبونه بطلاقها، فيطلقها. ثم تعن له سفرة عراقية، فتتعلق به ابنته، تريده ألا يسافر، ولكنه ـ كزميلي عاشق السفر ـ يسافر، ثم يزعم لنا الرواة أنه حضر مجلس كسرى.

يمدح الأمراء في كل مكان، وينال أعطياتهم، وفي كل حاضرة من حواضر هؤلاء الأمراء يلتمس الأعشى أخبية القيان، يرافقه إليها بعض التجار، فيشربون ويشوون اللحم، وينالون مبتغاهم من النساء.

ويشيب الأعشى ويزداد عَشاً، ولعله كما قال ابن قتيبة فقد بصره. ويحن إلى أيام اللهو ويقول في ذلك شعراً. ويسمع وهو باليمامة أن قريشاً تعاني مع

ابنها الذي تقول إنه يقول إنه نبي. فلا يأتي عكاظاً، فهو شيخ كفيف، ولا يريد أن ينغمس في منافرة أخرى كتلك التي انغمس فيها بين عامر وعلقمة. ثم يسمع أن النبي هاجر إلى يثرب، وأنه بدأ يحقق الانتصارات، فيشد الرحال إليه، ويعد قصيدة يمدحه فيها.

يأتي مكة أولاً، فيراه أبو سفيان، ويعرف أنه قاصد محمداً. فيقنعه بالعدول عن رحلته، ويجمع له مالاً من قريش التي لا تريد أن يتعزز الإسلام بشاعر مشهور. ويرضى الأعشى وينصرف عن مكة عائداً إلى اليمامة، وهو يقول لنفسه: لعلي أعود في مرة قادمة، والأمر قد استتب لمحمد، وإلَّا فقد كسبت نياق قريش. عاد إلى اليمامة. وفيها وقع عن ناقته ـ أوقعه عنها الأخباريون الذين أرادوا له ميتة قاسية لأنه لم يُسلم ـ ومات. وعندما صعد إلى السماء وضعه أبو العلاء المعري في الجنة بسبب قصيدته التي مدح بها النبي، لكنه حرمه من الخمر. وهذه بقية سيرة الأعشى نقتبسها من رسالة الغفران للمعري، والمتكلم الأعشى:

«سحبتني الزبانية إلى سقر، فرأيت رجلاً في عرصات القيامة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر، والنَّاس يهتفون به من كلِّ أوْبٍ: يا محمَّد يا محمَّد، الشفاعة الشفاعة! نَمُتُّ لكذا ونمتُّ بكذا. فصرختُ في أيدي الزبانية: يا محمّد، أغثني فإنَّ لي بك حرمةً! فقال: يا عليُّ، بادِرْه فانظر ما حرمته؟ فجاءني عليُّ بن أبي طالبٍ، صلوات الله عليه، وأنا أُعْتَلُ كي أُلقى في الدَّرك الأسفل من النَّار، فزجرهم عني، وقال: ما حرمتك؟ فقلت: أنا القائل:

نـبـيٌّ يـرى مـا لا تَـرَوْنَ، وذكـرُهُ أغـارَ لَـعَـمْـري فـي الـبـلادِ وأَنـجـدا

فذهب عليٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا أعشى قيس قد رُوِيَ مدحُه فيك، وشهد أنَّك نبيٌّ مرسلٌ. فقال: هلاّ جاءني في الدّار السَّابقة؟ قال: عليٌّ: قد جاء، ولكن صدَّته قريشٌ وحبُّه للخمر. فشفع لي، فأُدخلت الجنَّة على أن لا أشرب فيها خمراً؛ فقرَّت عيناي بذلك، وإنَّ لي منادح في العسل وماء الحيوان. وكذلك من لم يتب من الخمر في الدار الساخرة، لم يُسْقَها في الآخرة.» اهـ.

سلْق الأكاديميين

قد رأيتنا أيها القارئ استفدنا من جهد رجل أكاديمي، هو محمد حسين، فمدحناه، ووفيناه حقه. أليس كذلك؟ إذن فالعادة التي جرينا عليها من السخرية من الأكاديميين والاستهزاء بهم لم تكسف عنا صنيع من أتقن عمله منهم. وقد

كتبنا ما كتبنا أعلاه ـ بعد أن كنا انتقينا ما انتقينا من شعر الأعشى ورَقَّنَّاهُ وشَكَّلْنَاه وشرحناه كما سترى أدناه ـ، وانتهينا من هذه المختارات بصدر منشرح، لم نشتم أحداً ولم نتعرض لأحد.

ثم حدث شيء.

ذكرتُ للصديق اللغوي المدقق أحمد عبد الرحيم، في عرض حديث، أنني انتهيت من عصر الأعشى (أعني عصره عصراً)، وأنني استندت إلى طبعتيْ غاير ومحمد حسين. فهتف بي صديقي: ألم يأتك نبأ الطبعة الجديدة التي تملأ مجلدين وتستند إلى ثلاث نسخ خطية بكر، وتضم من الشعر الكثير مما لا يوجد في تينك الطبعتين؟ قلت: لا.

ثم جاءني بالمجلدين. فرأيته قد زين صفحاتهما التي ناهزت الثمانمئة بالمئات الكثيرة من العلامات والملاحظات، فقلت: مرحى! ننتفع بالطبعة الجديدة، وبملاحظات صديقنا المتمكن من لغته.

أقول لإخوتي الكرام في دول الخليج الثرية ـ والطبعة التي نحن بصددها صادرة في دولة خليجية ثرية ـ: نشدتكم الله يا إخوتي إلَّا ما كففتم عن الخوض فيما ليس لكم فيه! خاصمتكم أمام العرش يا أهل المال، أما تتركون تحقيق الكتب، واستئجار الناس الذي لا يعرفون كيف يحققون الكتب؟ لَعَت نفسي ولقِستْ، وحامت كبدي وخبُثتْ من هذا المسخ الذي رميتموني به.

هذا الكتاب صنعه رجل وصف نفسه بالدكتور، وصنعت المؤسسة الخليجية تلك ما لم تصنعه دار نشر في طول العالم العربي وعرضه: وظفت رجلاً (دكتوراً أيضاً) ليقوم بـ«المراجعة اللغوية» وصرحت بذلك على قفا صفحة العنوان الداخلي. أرأيتم دكتوراً يحقق ديواناً جاهلياً ثم يحتاج إلى مراجع لغوي يكنس أخطاءه النحوية من ورائه؟

اصبروا، فالمهزلة مستمرة.

على صفحة الغلاف اسم الشاعر (الأعشى الكبِير) وتحت الباء كسرة.. حتى لا نغلط ونظنه «الكُبَيْر». ونقول للناشر: جبر الله كسرك وأقام أَمْتك لهذه الكسرة التي أنعشتَ بها الذاكرة. ثم «ميمون بن قِيْس» ولا ندري من أي المصادر الخطيرة عثر القوم على قِيْسٍ هذه. لكن، هي كسرة أخرى! وسترى معي كسراً كثيراً فيما سيأتي، وسترى قِيْس المكسورة تتكرر في كلمة الناشر.

بدأنا نقرأ. وفي الصفحة الأولى كلمة الناشر، صفحة مكتوبة بقلمٍ هزيل ثرثار، قلمِ من لم يذق شعراً في عمره.

ثم مقدمة «المحقق»: هل أصف للقارئ التسعين صفحة التي سودها السيد الدكتور المحقق؟ سيقتضيني ذلك تسعين صفحة من مُرِّ الكلام. لقد أغثى النفس بتحميداته وتسبيحاته ودعواته لنفسه ولكل من ساعده في الحصول على النسخ، حتى كادت مقدمته أن تصبح خطبة منبرية. ولم ينس في الفقرة الأولى من المقدمة أن يتحفنا بغلطة لغوية ـ أشار إليها وإلى أمثالها صديقي اللغوي أحمد عبد الرحيم ـ. ثم تجده في الصفحة الثانية من المقدمة يثني على الألماني غاير أعطر الثناء، ويقذف المصري محمد محمد حسين بعبارة «أين الثرى من الثريا». وأخذ بعد ذلك يعبث باللغة عبثاً لا نرضاه من طالب في الإعدادية، بلهَ من كاتب في صحيفة، بلهَ ممن سمى نفسه محققاً.

يكتب اسم المستشرق الألماني بجيم مثلثة النقاط حيناً وبجيم ذات نقطة حيناً، ويرتكب ثلاثة أخطاء نحوية في الصفحة الثالثة من المقدمة، وتراه بعد ذلك يبدأ الجملة بمبتدأ، وابحث ـ إن كان معك وقت ـ عن الخبر. ثم يصدر حكماً: «ضربت صفحاً عما أثير من شكوك حول بعض شعر الأعشى، إذ لم تعد لمثل هذه الشبهات في مجال البحث العلمي والتحقيق قيمة تذكر». هذا ما يقوله صاحب «البحث العلمي» الذي بدأ كلامه بعبارة «أستبيح القارئ عذراً»، وهو، وأيم الحق، قد استباح العلم، واستباح القارئ فعلاً.

وفي مطلع الفقرة بعد الفقرة يروي لنا هذا الدكتور كيف أن الأمر الفلاني أو الفلاني قد أذهله (في إحدى رواياته لهذه الكلمة يقول «أذلهتني»، نقول ذلك لكي يعلم الدكتور أن آلاف الأخطاء المطبعية التي حفل بها كتابه لم تنزلق عنها أبصارنا مثلما انزلقت عنها العيون الأربع: عيناه وعينا المراجع اللغوي الذي وظفوه له).

بعد تسعين صفحة من الكلام المضطجع في مراقد الركاكة بدأنا نقرأ شعر الأعشى. ونقول للسيد الذي سمى نفسه محققاً: ليست في الكتاب بجزأيه صفحة واحدة تخلو من خطأ، ومن خطأين، وثلاثة، وعشرة. يا أخي، اتق الله! أليس لأهلك حقل تزرعه، أو دكان تقعد فيه تبيع وتشتري. لقد شكرتَ نصف أمة محمد في مقدمتك لما أسدوه إليك من معونة، قد والله فضحتهم.

قد استغنينا عن كتابك يا سيد.

نخل لنا القدماء شعر الأعشى ومخضوه مخضاً في زمن كان فيه شعر

الأعشى برواياته المختلفة بين أيديهم، واستغنينا. عرفنا عيون شعره مما حصل في أيدينا من انتقاءات القدماء، فلا نريدك ولا نريد كتابك السمين غير الثمين. وكنتَ في المقدمة قد هددتنا بإصدار جزء ثالث، ونظنه إن وفيت سيلتهم ورقاً كثيراً، ونقول لك: رفقاً بالأشجار في الغابات الموسمية.

وكلمة محاسبة أخيرة ـ ولا أتعهد لك أن تكون الأخيرة، فقلبي منك ملآن ـ: وعدتنا بشرح الأبيات شرحاً أفضل من شرح محمد حسين الذي عبته وتنقصت منه بلهجة الأستاذ، فأين شرحك؟ قد اكتفيت من الشرح بسرقة بعض ما خطته أنامل الراحل الذي لن يستطيع أن يقول لك من قبره: امسك حرامي. نحن نقولها لك. ونقول لك: ليس في كتابك شرح.

وكلمة أخرى: هوامشك تخاليط. ومقابلتك بين النسخ تنحط عن أدنى ما يصنعه الشداة في هذا الفن.

١ ودِّع هريرة (المعلقة)

قال ليزيد بن مسهر الشيباني، أبي ثابت:

ودِّعْ «هُـرَيْـرَةَ» إنَّ الـرَّكْـبَ مُـرتَـحِـلُ   وهـل تُـطـيـقُ وَداعـاً أيُّـهـا الـرجـلُ

غَـرَّاءُ فَـرْعـاءُ مـصـقـولٌ عَـوارِضُـهـا   تمشي الهُوينا كما يمشي الوَجي الوَحِلُ

غراء (بيضاء) فرعاء (كثيفة الشعر)، مصقولة عوارضها (أسنانها القواطع)، تمشى الهوينا (ببطء) كما يمشي الوجي (الحافي) الوحل (الماشي في الوحل). والماشي في الوحل متمهل لأنه لا يرى إن كان تحت الوحل حجر مسنون أو نحوه، فكيف إذا كان حافياً

كـأنَّ مِـشـيـتَـهـا مِـنْ بـيـتِ جـارتِـهـا   مَـرُّ الـسـحـابـةِ لا رَيْـثٌ ولا عَـجَـلُ

تمشي كالسحابة فلا ريث (بطء) ولا سرعة

تَسمَعُ للْحَلْيِ وَسْواساً إذا انصرفتْ   كـمـا اسـتـعـانَ بـريـحٍ عِـشْـرِقٌ زَجِـلُ

تسمع لحليها وسواساً (خشخشة) مثلما يخشخش نبات العشرق الزجل (المخشخش إذ تجف بذوره وأغلفتها) عندما تهب عليه الريح

ليستْ كَمَنْ يكرهُ الجيرانُ طلعتَها   ولا تَـراهـا لِـسِـرِّ الـجـارِ تـخـتَـتِـلُ

يحب الجيران طلعتها، ولا تختتل (تسترق السمع) على أسرار الجيران

يـكـادُ يـصـرعُـهـا لـولا تـشـدُّدُهـا   إذا تـقـومُ إلـى جـاراتِـهـا الـكَـسَـلُ

يكاد الكسل يصرعها (يلقيها أرضاً) لولا أنها تتشدد عند القيام، وذلك لثقل أردافها

هِـرْكَـوْلَـةٌ فُـنُـقٌ دُرْمٌ مَـرافِـقُـهـا   كـأنَّ أخـمَـصَـهـا بـالـشَّـوْكِ مُـنْـتَـعِـلُ

هركولة (عظيمة الوركين) فنق (منعّمة)، مرافقها درمٌ (مفاصلها مكسوة بالشحم، فلا تبين في المرفق عظمة المفصل)، وكأنها تلبس نعلاً من الشوك تلتصق بأخمصيها، فهي لذلك بطيئة المشي

ما رَوْضَـةٌ مِنْ رياضِ الـحَـزْنِ مُعشِبَـةٌ   خـضـراءُ جـادَ عـلـيـهـا مُـسْـبِـلٌ هَـطِـلُ

بدأ تشبيهاً: ليست الروضة من رياض الحَزن (الهضبة) المعشبة الخضراء التي جادها مطر مسبل (منهمر)، ليست. .

يـومـاً بِـأطْـيَـبَ مـنـهـا نَـشْـرَ رائـحـةٍ   ولا بـأحـسَـنَ مـنـهـا إذْ دنَـا الأُصُـلُ

ليست هذه الروضة أطيب من هريرة من حيث النشر (الرائحة)، وليست أحسن منها مع دنو الآصال (قبيل الغروب)

عُـلِّـقْـتُـهـا عَـرَضـاً وعُـلِّـقَـتْ رجـلاً   غـيري وعُـلِّقَ أُخرى غـيرَهـا الرجلُ

تعلقت بحبها عرضاً (صدفة) وهي تعلقت برجل غيري، وهو تعلق بغيرها

قـالـتْ هُـرَيْـرةُ لـمَّـا جئتُ زائـرَهـا: ويْلي عليكَ وويْلي منكَ يا رجلُ

لا اختلاف بين النقاد القدماء على أن هذا أخنث بيت قالته العرب

يـا مَـنْ يرى عَـارضـاً قـد بِـتُّ أرقُـبُـه   كـأنَّـمـا الـبـرقُ فـي حـافـاتِـه الـشُّـعَـلُ

يغير الموضوع: يرى الرائي عارضاً (غيماً) في أطرافه بروق كأنها شعل من نار

لـم يُـلْـهِـنـي الـلَّـهـوُ عـنـه حـينَ أرقُـبُـه   ولا الـلَّـذاذةُ مِـنْ كـأْسٍ، ولا الـكَـسَـلُ

لم يشغلني عن هذا الغيم البارق لهوي وكأسي، ولا كسلي

فقلتُ للشَّرْبِ في «دُرْنَى» وقد ثَمِلُوا   شِيمُوا، وكيف يَشِيمُ الشاربُ الثَّمِلُ

فقلت للشرب (الشاربين) وقد سكروا: شيموا (راقبوا البروق، والعرب تشيم البرق لتخمين اتجاه الغيم الماطر كي ترتحل في سبيل العشب)، ولكن، كيف يشيم البروق السكران؟

وبـلـدةٍ مـثـلِ ظـهـرِ الـتُّـرسِ مُـوحـشـةٍ   لـلـجـنِّ بـالـلـيـلِ فـي حـافـاتِـهـا زَجَـلُ

رب بلدة موحشة جرداء كظهر الترس (ظهره هو ما يواجه الخصم ويكون صقيلاً)، ويسمع فيها زجل الجن، وهو عزيف الجن، ولا أدري كيف يكون صوت الجن فلم أسمعه قط

جـاوزْتُـهـا بِـطَـلـيـحٍ جَـسْـرَةٍ سُـرُحٍ   فـي مِـرْفَـقَـيْـهـا إذا اسـتـعـرضْـتُـهـا فَـتَـلُ

قطعت هذه البلدة بطليح (ناقة مهزولة من مشقة السفر) جسرة (ناقة ضخمة) سرح (سلسة السير)، وترى في مرفقيها (الثفنتين اللتين تبرك عليهما الناقة من أمام) الفتل (ولعل هذا الفتل هو تباعد ما بين المرفقين بسبب التعب)

فقد أُخالِسُ ربَّ البيتِ غفْلَتَه وقد يُحاذِرُ مِنّي ثم مَا يَئِلُ

أخالس (أستغفل) الرجل ويحذر مني ثم لا يئل (لا ينجو)، فأنا أواصل زوجته

وقد أَقُودُ الصِّبَا يوماً فَيتْبَعُني وقد يُصاحِبني ذو الشِّرَّةِ الغَزِلُ

أبادر إلى الصبا (اللهو) ويلحق بي، أو يصحبني صديق ذو غزل وشرة (عرامة الشباب)

وقد غَدوْتُ إلى الحانوتِ يتبعُني شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

أذهب إلى الحانوت (الحانة) ويتبعني شاوٍ (من يشوي اللحم) وهو مشل وشلول وشلشل وشول (وكلها تعني نشيط، وانتقد ابن قتيبة البيت لهذه المترادفات، وراح بعضهم يزعم أن لكل لفظة من هذه معنى قائماً برأسه)

في فِتيةٍ كَسيوفِ الهندِ قد عَلِمُوا أنْ ليس يَدْفَعُ عن ذي الحيلةِ الحِيَلُ

أجلسُ وسط فتية تشرق وجوههم وهم يتبعون فلسفتي وهي أن الحيل التي يتخذها المرء ذو الحيلة الواسعة لا تدفع عنه المقدر، لذا فعلينا أن نقطع العمر بطلب اللذة

نازعْتُهُمْ قُضُبَ الريْحَانِ متَّكِئاً وقَهوةً مُزَّة راوُوقُها خَضِلُ

كنت آخذ وأعطي عروق الريحان مع هؤلاء الفتية، وأنا متكئ، وأتعاطى معهم خمرة مزة (طعمها بين الحموضة والمرارة) راووقها خضل (وعاء تصفيتها مبتلٌّ دائماً لأنه عامر بالخمر لا يفرغ)

لا يَستَفيقُونَ منها وَهْيَ راهِنةٌ إلا بِهَاتِ، وإن عَلُّوا وإنْ نَهِلُوا

لا يصحون من سكرهم والخمر راهنة موجودة إلَّا كي يقولوا: هات كأساً أخرى، يقولونها حتى وإن علوا (شربوا أولاً) ونهلوا (شربوا ثانيةً)

يَسعَى بها ذو زُجاجاتٍ له نُطَفٌ مُقَلِّصٌ أسفلَ السِّرْبالِ مُعْتَمِلُ

الساقي له نطف (لؤلؤات صغيرات، وأتخيل هذا الساقي ولداً في شحمة أذنه شذرة فضة أو خرزة)، والساقي قد شمر عن ساقيه، وهو معتمل (نشيط في عمله)

ومُسْتَجِيبٍ تخالُ الصَّنْجَ يَسمَعُهُ إذا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ

ورب عود يستجيب لصوت القينة (المغنية) وتحسب أن الصنج (الصاجات في أصابع الراقصة أو المغنية) يسمع العود ويتابعه، وهذه المغنية ترجع صوتها وهي فُضُل (تلبس القليل)

أَبلِغْ يزيدَ بني شيبانَ مَأْلُكَةً: أبا ثُبَيْتٍ أما تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ

أبلغ يزيد مألكة (رسالة)، فيا يزيد يا أبا ثبيت لماذا تظل تأتكل؟ (تُفسِد)

أَلستَ منتهياً عن نَحْتِ أَثْلَتِنا ولستَ ضائِرَها ما حَنَّتِ الإِبِلُ

ألا تتوقف عن نحت أثلتنا (التعريض بنا، والأثلة: من الأشجار الكبيرة)، ولست مؤثراً في مجدنا أبداً.. ما دامت الإبل تصدر صوت الحنين

كَنـاطِحٍ صَـخرةً يـوماً لِيُـوهِـنَـهـا   فلـم يَضِـرْهَـا وأَوْهَـى قَـرنَـه الـوَعِـلُ

أنت كالوعل الذي ينطح الصخرة، فلن يضيرها بل يضعف قرنه

نحن الفوارسُ يومَ الحِنْوِ ضاحِيَةً   جَنْبَيْ «فُطَـيْـمَـةَ» لا مِيـلٌ ولا عُزُلُ

نحن فرسان يوم الحِنو (ذي قار) ضاحية هذه الفرسان (مقاتلة في العراء بلا استتار) في فطيمة، ولم نكن ميلاً (غير ثابتين فوق الخيل) ولا عزلاً من السلاح

قالوا الرُّكُوبَ، فقلنا: تلكَ عادتُنا،   أو تـنـزلـونَ، فـإنَّـا مـعـشَـرٌ نُـزُلُ

نحارب راكبين، وننزل للمجالدة بالسيوف، فنحن نحارب بكل طريقة

٢ دبلوماسية

سأُوصِي بَصيراً إنْ دَنَوْتُ إلى البِلى   وَصاةَ امرِئٍ قَاسى الأمورَ وجرَّبا:

البِلى: تحلل الجسم بعد الموت. ولعله كان للأعشى فعلاً ابن اسمه بصير، لا أنه كني بأبي بصير لعشا بصره

بـأنْ لا تَـبَـغَّ الـوُدَّ مِـنْ مُـتـبـاعِـدٍ،   ولا تَـنْـأَ عـن ذي بِـغْـضـةٍ إنْ تَـقَـرَّبـا

لا تبتغِ مودة من يبتعد عنك، ولا تبتعد عن ذي بغضة (كراهية) إن هو تقرب إليك

فـإنَّ الـقـريـبَ مَـنْ يُـقـرِّبُ نـفـسَـه،   لَعَـمْـرُ أبيكَ الـخيرَ، لا مَـنْ تَـنَـسَّـبـا

٣ وصف الهركولة

بـانـتْ سـعـادُ وأمـسـى حـبـلُـهـا رابَـا   وأحـدَثَ الـنـأيُ لـيِ شـوقـاً وأَوْصَـابـا

راب الحبل: من الريبة، أي داخل وصلها الشك. أوصاب: أوجاع

وأجـمَـعَـتْ صُـرْمَـنـا سُـعـدى وهِـجْـرَتَـنـا   لـمَّـا رأتْ أن رأسـيِ الـيـوم قـد شـابـا

الصُّرم: القطيعة

هِرْكَوْلَةٌ مِثْلُ دِعْصِ الرَّملِ أسفلُها   مكسُوَّةٌ مِنْ جمالِ الحُسنِ جِلبابا

هركولة: عظيمة الوركين. الدعص: الكثيب

تُميلُ جَثْلاً على المتنيْنِ ذا خُصَلٍ   يـحـبُـو مَـواشِـطَـهُ مِـسْـكـاً وتَـطْـيـابـا

الجثل: الشعر الكثيف. تميل بشعرها الذي يعطي المواشط (جمع ماشطة، أي كوافيرة ذلك الزمن) مسكاً وطيباً

٤ نذير الفناء

إنَّ الـقُـرى يـومـاً سـتـهــ ـلِـكُ قـبـلَ حَـقِّ عَـذابِـهـا

ستهلك قبل أن ينزل بها العذاب الذي تستحق

وتَـصـيـرُ بـعـد عِـمـارَةٍ يـومـاً لأَمـرِ خـرابِـهـا

أَوَلَـمْ تَـرَيْ حِـجْـراً ـ وأنـ ـتِ حـكـيـمـةٌ ـ ولِـمَـا بِـهـا

حجر: بلاد ثمود شمال الحجاز

إن الـثـعـالـبَ بـالـضـحـى يَـلـعـبـنَ في مِـحـرابِـهـا

المحراب هنا: القصر

٥ الاغتياب

مـا بـالُ مَـنْ قـد كـانَ حـظِّـ ـيِ مِـنْ نـصـيـحـتِـه اغـتِـيـابُـهْ

يزعم أنه ينصحني ثم يروح يغتابني

يُـزْجـي عـقـارِبَ قـولِـه لـمَّـا رآنـيَ لا أهـابُـهْ

٦ التداوي منها بها

ألـم تَـنْـهَ نـفـسَـكَ عـمَّـا بِـهـا بَـلَـى عـادَهـا بـعـضُ أَطْـرابِـهـا

أطرابها: أشواقها

وكـأسٍ شـربـتُ عـلـى لَـذَّةٍ وأخـرى تـداويـتُ مـنـهـا بـهـا

قالوا قديماً، وحديثاً أيضاً، إن شرب بعض الخمر في الصباح بعد ليلة ساكرة ينفي الخُمار، أي صداع السكر. وهذا المعنى للأعشى مشهور، أخذه أبو نواس حين قال «وداوني بالتي كانت هي الداء»

لـكيْ يـعـلـمَ الـنـاسُ أنّـي امْـرُؤٌ أتـيـتُ الـمـعـيـشـةَ مِـنْ بـابِـهـا

كُـمَـيْـتٍ يُـرى دونَ قَـعْـرِ الإِنَـى كـمـثـلِ قَـذى الـعـيـنِ يُـقْـذى بِـهـا

الخمر كميت (داكنة اللون) وهي مع ذلك صافية صفاء يجعلك ترى الشائبة الصغيرة بحجم قذى العين في قعر الإناء

وشـاهِـدُنـا الـوردُ والـيـاسـمـيـ ـنُ، والـمُـسْـمِـعـاتُ بـقُـصَّـابِـهـا

المسمعات: المغنيات. قصابها: عازفو القصب، أي الناي، فهؤلاء ـ ومعهم الورد والياسمين ـ يحضرون سكرتنا تلك

مـضَـى لـيِ ثـمـانـونَ مِـنْ مـولـدي كـذلـكَ تـفـصِـيـلُ حُـسَّـابِـهـا
فـأصـبـحـتُ وَدَّعْـتُ لَـهْـوَ الـشـبـا بِ والـخـنـدريـسَ لأصـحـابِـهـا

الخندريس: الخمر المعتقة

٧ تهديد

قال لشيبان الجَحدري:

أَبـا مِـسْـمَـعٍ إِنِّـي امْـرُؤٌ مِـنْ قـبـيـلـةٍ بَـنـى لـيَ مـجـداً مـوتُـهـا وحـيـاتُـهـا

مجدي هو مجد قبيلتي في حياتها وفي مصارع رجالها

فـلا تَـلـمَـسِ الأفـعـى يـداكَ تـريـدُهـا ودَعْـهـا إذا مـا غـيَّـبَـتْـهـا سَـفـاتُـهـا

سفاتها: ترابها

أبـا مِـسْـمَـعٍ أَقْـصِـرْ فـإنَّ قـصـيـدةً متى تـأْتِـكُـمْ تَـلْـحَـقْ بـهـا أَخَـواتُـهـا
أَعَـيَّـرْتَـنـي فـخـرِي، وكـلُّ قـبـيـلـةٍ مُـحَـدِّثَـةٌ مـا أورَثَـتْـهـا سُـعـاتُـهـا

سعاتها: الساعون لتحقيق مجدها

٨ وقَلَّتِ

يمدح شيبان بن ثعلبة بيوم ذي قار، الذي انتصرت فيه العرب على الفرس:

فِـدَىً لِـبَـنـي ذُهْـلِ بـنِ شَـيْـبـانَ نـاقـتـي وراكـبُـهـا يـومَ الـلِّـقـاءِ، وقَـلَّـتِ

أفديهم بناقتي وبراكبها (أي بنفسي)، وقليل لهم ذلك

هُـمُ ضـربـوا بـالـحِـنْـوِ حِـنْـوِ قُـراقِـرٍ مُـقَـدِّمـةَ الـهـامَـرْزِ حـتـى تَـولَّـتِ

حنو قراقر: مكان قرب الكوفة. الهامرز: قائد الفرس في ذي قار

٩ نبي يرى ما لا ترون

ألـم تـغـتَـمِـضْ عـيـنـاكَ لـيـلـةَ أرمَـدَا وعـادَكَ مـا عـادَ الـسَّـلـيـمَ الـمُـسَـهَّـدا

لم تغمض لك عين ليلة كنت كالأرمد، المصاب في عينيه بالرمد، ولحق بك ما يلحق بالسليم (الملدوغ، يسمونه سليماً تيمناً بشفائه) المسهد (الساهر، وكانوا يمنعون الملدوغ من النوم كيلا يسري السم في جسمه)

شـبـابٌ وشِـيـبٌ وافـتـقـارٌ وثـروةٌ فَـلِـلَّـهِ هـذا الـدهـرُ كـيـفَ تَـرَدَّدَا

وما زِلْتُ أبغي المالَ مُذْ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حينَ شِبْتُ وأَمْرَدا

الأمرد: من لم تنبت له لحية

فإنْ تسألي عني فيا رُبَّ سائلٍ ... حَفِيٍّ عَنِ الأعشى به حيثُ أصْعَدَا

حفيّ: مهتم، أصعد: ذهب

ألا أيُّهذا السَّائلي أين يمَّمَتْ ... فإنَّ لها في أهلِ يثربَ موعدا

من يسألني: «أين يممت (قصدت) ناقتي»، فالجواب أن لها موعداً في يثرب

فآليتُ لا أرثي لها مِنْ كَلالَةٍ ... ولا مِنْ حَفَىً حتى تَزورَ محمَّدَا

آليت (حلفت) لا أرحم ناقتي من الكلالة (التعب)، ولا من الحفى (تسلخ أخفافها) حتى تزور محمداً

متى ما تُناخي عند بابِ ابنِ هاشِمٍ ... تُريحي وتَلْقَيْ مِنْ فواضلِه يدَا

اليدُ: المعروف

نبيٌّ يرى ما لا تَرَوْنَ، وذكرُهُ ... أغارَ لَعَمْري في البلادِ وأنجدا

له صَدَقاتٌ ما تُغِبُّ ونائلٌ ... وليس عطاءُ اليومِ مانِعَهُ غدا

ما تغب: لا تنقطع

أجِدَّكَ لم تسمعْ وَصَاةَ محمدٍ ... نَبِيِّ الإلهِ حين أوصَى وأَشْهدَا

إذا أنتَ لم ترحَلْ بزادٍ مِنَ التُّقَى ... ولاقيْتَ بعد الموتِ مَنْ قد تزوَّدَا

ندِمْتَ على أَلَّا تكونَ كمثلِه ... وأنَّكَ لم تُرْصِدْ لِمَا كان أرْصَدا

تُرصد: تدَّخر

وذا النُّصُبُ المنصوبُ لا تَنْسِكَنَّهُ ... ولا تعبُدِ الأوثانَ، واللَّهَ فاعبُدَا

وصَلِّ على حينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى ... ولا تَحمدِ الشيطانَ، واللَّهَ فاحمَدا

ولا تقربَنَّ جارةً إن سِرَّها ... عليكَ حرامٌ، فانْكِحَنْ أو تأبَّدا

تأبدَ: تعزَّبَ، وبقي بلا اتصال مع النساء

١٠ الخيال الزائر

إن كنتِ لا تَشفِينَ غُلَّةَ عاشقٍ ... صَبٍّ بحبِّكِ يا جُبيْرةُ صادِ

غلة: عطش. صاد: عطشان

فانْهَيْ خيالَكِ أن يزورَ، فإنه ... في كلِّ مَنزِلَةٍ يَعودُ وِسادي

١١ يؤامرني في الشمول

أَتـانـي يُـؤَامِـرُنـي فـي الـشَّـمـو ... لِ لـيـلاً، فـقـلـتُ لـه: غَـادِهـا

جاءني يشاورني في شرب الخمر ليلاً، فقلت له غادها، أي انطلق إليها مبكراً

فـقـام فـصـبَّ لـنـا قـهـوةً ... تُـسَـكِّـنُـنـا بـعـد إرْعـادِهـا

كُـمَـيْـتـاً تَـكَـشَّـفُ عـن حُـمْـرةٍ ... إذا صَـرَّحَـتْ بـعـد إِزْبـادِهـا

صرحت: صفت من الرغوة. وتصريح الحليب زوال الرغوة عن وجهه، ومن هنا قولنا اليوم «بصراحة»

١٢ الليل الأعمى

ألا حَـيِّ مَـيّـاً إذ أَجَـدَّ بُـكـورُهـا ... وعَرِّضْ بِقولٍ: هل يُفادَى أسيرُها

أجد بكورها: حدث تبكيرها بالرحيل، وقل لها على سبيل التعريض أما حان أن يفادى (يطلَقَ بفدية) أسيرك؟

فَـيا مَـيَّ لا تُـدْلي بـحـبـلٍ يـغُـرُّنـي ... وشَـرُّ حـبـالِ الـواصِـلـيـنَ غَـرورُهـا

فإن شئتِ أن تُهْدَيْ لِقومِيَ فاسأَلي ... عن العزِّ والإحسانِ أين مصيرُها

إن شئت هدايةً ومعرفةً بحقيقة قومي فهم أهل العز والإحسان

تـريْ أنَّ قِـدري لا تـزالُ كـأنَّـهـا ... لِـذي الـفَـرْوةِ الـمَـقْـرورِ أمٌّ يـزورُهـا

قدري (طنجرتي) مثل الأم التي يلجأ إليها المقرور (البردان) اللابس فروة الذي نزل بنا كي نطعمه

مـبـرَّزَةٌ لا يُـجْـعـلُ الـسِّـتْـرُ دونَـهـا ... إذا أُخْـمِـدَ الـنـيـرانُ لاحَ بـشـيـرُهـا

مكشوفة قِدرنا لا يغطيها إلا دخان نارها، وهي تبشر الجائع بالطعام

إذا الشَّوْلُ راحتْ ثم لم تَفْدِ لحمَها ... بِأَلْبانِها ذاقَ السِّنَانَ عقيرُها

إذا الشول (النياق) راحت (رجعت من مراعيها) فعليها أن تفدي لحمها بأن تدر لنا اللبن، فإن لم تفعل فسوف يذوق الذبح بالسنان عقيرها (من سيذبح منها)

وإنـي لـتـرَّاكُ الـضَّـغـيـنـةِ قـد أرى ... قَذاها مِنَ المَولى فلا أستثيرُها

نسب البيت إلى غير الأعشى، انظر القطعة ١١٧ من باب الحماسة في هذا الكتاب

وَقُورٌ إذا ما الجهلُ أعجبَ أهلَه ... ومِنْ خيرِ أخلاقِ الرجالِ وقورُها

وليلٍ يقولُ القومُ مِنْ ظُلُماتِه: ... سَواءٌ بَصيراتُ العيونِ وعورُها

تجاوزْتُه حتى مَضى مُدْلَهِمُّهُ ... ولاحَ مِنَ الشمسِ المضيئةِ نورُها

١٣ كن كالسموأل

قال يمدح شريح بن حصن بن عمران بن السموأل:

شُرَيْحُ لا تَترُكَنِّي بعدما عَلِقَتْ حبالُكَ اليومَ بعدَ القِدِّ أَظفَاري

لا تتركني يا شريح إذ تعلقت بك بعد القد (بعد أن أسروني وجعلوا في يدي القيود من أشرطة الجلد)

قد طُفْتُ ما بينَ بَانِقْيَا إلى عدنٍ وطالَ في العُجْمِ تَرْحالِي وتَسياري

فكانَ أَوْفاهُمُ عهداً، وأمنعَهُمْ جاراً، أبوكَ بِعُرْفٍ غيرِ إنكارِ

كان أوفى من سمعت به وأحماهم للمستجير به أبوك (يعني جدك الأعلى)، وهذا معلوم لا ينكره أحد

كالغيثِ ما استمطَرُوهُ جادَ وابِلُه وعند ذِمَّتِه المستأسِدُ الضَّاري

كنْ كالسَّمَوأَلِ إذ سَارَ الهُمامُ له في جَحفلٍ كَسَوادِ الليلِ جرَّارِ

كن كجدك السموأل عندما قصده الهمام (الشجاع، وهو الحارث بن ظالم) في جيش كبير كأنه سواد الليل..

بِالأبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ منزلُه حِصْنٌ حصينٌ وجارٌ غيرُ غدَّارِ

كان منزل السموأل الحصن المسمى الأبلق، وهو حصن فرد لا شبيه له، والسموأل يجير ولا يغدر

إذْ سامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ، فقالَ له: مهما تقلْهُ فإنِّي سَامِعٌ «حَارِ»..

سامه الحارث (فرض عليه) خطتي خسف (خيارين ظالمين)، فقال له السموأل: ها أنا ذا أسمعك يا حارِ (يا حارث)

فقال ثُكْلٌ وغَدْرٌ أنتَ بينهُما فاخْتَرْ وما فيهِما حظٌّ لمختارِ

قال الحارث: ابنك بيدي قد أمسكت به خارج الحصن، وكان ذاهباً يصيد، وأمامك الثكل (أن تفقد ولدك)، والخيار الثاني الغدر، بأن تسلمني الدروع التي وضعها عندك امرؤ القيس وتغدر به ولا تفي له بالوعد في حفظ الدروع

فَشَكَّ غيرَ قليلٍ ثم قالَ له: أُقتُلْ أسيرَكَ إنِّي مانعٌ جاري

تردد السموأل، ثم قال للحارث اقتل ابني الذي تأسره، وسأمنع جاري (سأدافع عمن استجار بي)

إنَّ له خَلَفاً إنْ كنتَ قاتِلَه وإن قتلتَ كريماً غيرَ عُوَّارِ..

ولئن قتلت ابني فله من سيخلفة، مع أنه كريم غير عوار (غير جبان)

مالاً كثيراً وعِرضاً غيرَ ذي دَنَسٍ وإِخْوَةً مثلَه ليسوا بأشرارِ

سيخلفه مال لي كثير، وعرض نقي، وإخوة له

جَـرَوْا عـلـى أَدَبٍ مِـنِّـي بِـلا نَـزَقٍ   ولا إذا شَـمَّـرَتْ حـربٌ بَـأَغْـمَـارِ

هم على أدب أدبتهم به، وليسوا متسرعين، وفي الحرب غير أغمار (غير قليلي الخبرة)

وسـوف يُـعْـقِـبُـنِـيـهِ إن ظـفِـرتَ بـه   ربٌّ كـريـمٌ وبـيـضٌ ذاتُ أَطْـهَـارِ

وسيعقبنيه (سيعوضني عنه) إن قتلته ربي الكريم، والنساء الشابات ذوات الأطهار (اللائي يأتيهن الحيض ومن بعده الطهر)

لا سِـرُّهُـنَّ لـديـنـا ضـائـعٌ مَـذِقٌ   وكـاتِـمـاتٌ إذا اسـتُـودِعْـنَ أسـراري

سرهن (جماعهن، والسر هو الجماع) لا يضيع سدى بل يؤدي إلى حمل، وهو غير مذق (غير ممزوج/يريد القول إنه جماع للاستيلاد، لا للذة)

فـقـالَ تَـقْـدِمَـةً إذْ قـامَ يـقـتُـلُـه: أَشْرِفْ سَمَوْأَلُ فانظُرْ للدَّمِ الجاري

أَأَقْتُلُ ابـنَـكَ صَـبـراً أو تَـجِـيءُ بِـهـا   طَـوْعـاً، فـأَنْـكَـرَ هـذا أَيَّ إنـكـارِ

أأقتل ابنك صبراً (إعداماً) أم ستجيء بالدروع؟ فأنكر السموأل هذا الخيار كل الإنكار

فشَكَّ أوداجَه، والصَّدرُ في مَضَضٍ   عـلـيـه مُـنْـطَـويـاً كـالـلَّـذْعِ بـالـنـارِ

شك الحارث أوداج الفتى (عروق رقبته). وكان صدر الوالد في مضض (عذاب) على ابنه، ينطوي على نار تلذعه

واخـتـارَ أَدْرَاعَـهُ أنْ لا يُـسَـبَّ بـهـا   ولـم يـكـنْ عـهـدُه فـيـهـا بِـخَـتَّـارِ

اختار السموأل الحفاظ على الدروع حتى لا يُسب بقلة الوفاء، ولم يكن عهده ختاراً (خداعاً)

وقـال لا أشـتـري عـاراً بـمَـكْـرُمَـةٍ   فـاخـتـارَ مكرمةَ الدنيا على العارِ

والـصبرُ منه قَـديـمـاً شيـمـةٌ خُـلُـقٌ   وزَنْـدُهُ فـي الـوفـاءِ الـثَّـاقِـبُ الـواري

الزند: أداة قدح النار، الثاقب: المشتعل، الواري: المتقد

١٤ الثبات

قال لبني جَحدَر:

فـقـد صـبَـرْنـا ولـم نُـوَلِّ   ولـيـس مِـنْ شـأنِـنـا الـفِـرارُ

وقـد فَـرَرْتُـم ومـا صَـبـرتُـم   وذاكَ شَـيْـنٌ لـكُـم وعَـارُ

١٥ وقيدني الشعر في بيته

قال في سياق مدح قيس بن مَعْديكَرِب:

ففاضَتْ دمُوعِي كفيْضِ الغُرُو ... بِ إمَّا وَكِيفاً وإمَّا انحِدارا

الغروب: الدلاء، السطول؛ وكيفاً: انهماراً

كما أسلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِه ... لآلِئَ منحدِراتٍ صِغارا

السلك: خيط العقد. يشبه دموعه بلآلئ قد انفرط عقدها وانتثرت

إلى حاملِ الثِّقْلِ عن أهلِه ... إذا الدهرُ ساق الهَناتِ الكبارا

أتوجه إلى هذا الممدوح الذي يحمل ثقل الهنات (الأزمات) عن أهله

ومَنْ لا تُفَزَّعُ جاراتُه ... ومَنْ لا يُرى حِلْمُه مُستعارا

وهو يجير النساء فلا يصل إليهن العدو لكي يسبيهن، وحلمه خلق أصيل

هو الواهبُ المئةَ المُصطفا ... ةَ إمَّا مِخاضاً وإمَّا عِشارا

يهب الناس المئة ناقة وفيهن المِخاض (من قاربت الوضع)، والعشار (من ثقلت بحملها)

فما أنا، أمْ ما انتِحَالِي القَوافِـ ... ـيَ بعدَ المَشيبِ كَفَى ذاكَ عارا

كيف لي أن آخذ شعر غيري، وقد شاب الرأس؟ هذا عار

وقيَّدَنِي الشعرُ في بيتِه ... كما قَيَّدَ الآسِراتُ الحِمارا

تم تقييدي بسبب الشعر، مثلما تقيد الآسرات (السيور الجلدية) الحمار (الحمار هو الخشبة التي تصل بين قطع السرج/وكنا نسمي الحديدة التي بين مقعد الدراجة وبين مقودها «الجحش» ولعل هذا من ذاك). يتذكر الأعشى حادثة جرت له مع النعمان في شبابه إذ لم يصدق النعمان أنه صاحب الشعر، فحبسه في مكان حتى يصنع شعراً جديداً يثبت به أنه شاعرٌ حقاً

١٦ حكَّمْتموني

قال يهجو علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل في منافرة جرت بين الرجلين:

شاقَتْكَ مِنْ «قَتْلَةَ» أطلالُها ... بالشطِّ فالوِتْرِ إلى حاجِرِ

دارٌ لها غيَّرَ آياتِها ... كلُّ مُلِثٌّ صَوْبُهُ، زَاخِرِ

غيَّر آيات (علامات) تلك الديار المطر الملث (المستمر)، الذي صوبه (سحابه) زاخر (مملوء ماء)

وقـد أراهـا وَسْـطَ أتـرابِـهـا   في الحيِّ ذي البهجةِ والسَّامِرِ

يتذكر حبيبته وسط صويحباتها

كَـدُمـيَـةٍ صُـوِّرَ مـحـرابُـهـا   بِـمُـذْهَـبٍ مِـنْ مَـرْمَـرٍ مَـائِـرِ

كأنها لعبة وهي في محرابها (صدر البيت) المزين بالتذهيب على مرمر لامع يمور كما تمور المياه

يَشْفي غَليلَ النفسِ لَاهٍ بِها   حَوْراءُ تَسْبي نظرَ الناظرِ

عهديِ بها في الحيِّ قد سُرْبِلَتْ   هيفاءَ مثلَ المُهرةِ الضَّامِرِ

على الأقل «قد سربلت»، أي هي لابسة شيئاً

لو أَسْنَدَتْ مَيْتاً إلى صدرِها   عاشَ ولم يُنقلْ إلى قابِرِ

حتى يقولَ الناسُ ممَّا رَأَوْا: يا عجباً لِلميِّتِ النَّاشِرِ

دعْهَا فقد أعذَرْتَ في حبِّها،   واذْكُرْ خَنَا عَلقَمَةَ الفَاجِرِ

دعها (كلمة يذكرها الجاهليون عند الانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة)، فقد بينت عذرك في حبها بعد إذ عددت مفاتنها، فلا لوم عليك أنك أحببتها. ولنذكر خنا (فُحش) علقمة بن علاثة

سُدتَ بنيِ الأحْوَصِ لم تَعْدُهُمْ   وعامرٌ سادَ بني عامرِ

يا علقمة أنت سيد فرع بني الأحوص ولم تعدهم (لم تتعدَّهم)، وأما عامر بن الطفيل فقد ساد كل القبيلة وهي بنو عامر

حكَّمْتُمونيِ فقضَى بينَكُمْ   أَبلَجُ مثلُ القمرِ الباهرِ

حكمتماني في المنافرة بينكما، وأنا الأبلج (ذو الطلعة البهية)

لا يأخذُ الرَّشْوَةَ في حكمِه   ولا يُبالي غَبَنَ الخاسرِ

علقمَ لا تَسْفَهْ، ولا تَجْعَلَنْ   عِرضَكَ للوَارِدِ والصَّادِرِ

قد قلتُ قولاً فقضى بينَكُمْ   واعترفَ المَنفورُ للنَّافِرِ

قلت لكما قولاً فقضى قولي بينكما، واعترف المنفور (الخاسر في المنافرة) للنافر (الفائز)

ولستَ في السِّلْمِ بذي نائلٍ   ولستَ في الهيجاءِ بالجَاسِرِ

وأنت يا علقمة لست ذا نائل (عطاء للآخرين) في السلم، ولست في الحرب بالجريء

عضَّ بما أبقَى المواسيِ له   من أُمِّهِ في الزَّمنِ الغابرِ

وليعض علقمة هذا ببظر أمه، على الأقل بما بقي من هذا العضو بعد أن أخذته المواسي (السكاكين) في الزمن الماضي

١٧ صيَّرتني الأمور إليك

قال يعتذر إلى علقمة بن علاثة على هجوه له، ذلك بعد أن ظفر به علقمة على بعض الروايات:

أَعَلْقَمَ قد صيَّرتْنيِ الأمورُ   إليكَ، وما كان لِي مَنْكَصُ

قد وقعت بيدك ولا منكص لي (رجوع)

كَساكُمْ عُلاثةُ أثوابَه   وورَّثَكُمْ مجدَه الأَحْوَصُ

أبوكم علاثة ورثكم سمعته، والأحوص ورثكم المجد

وإنْ فَحَصَ الناسُ عن سيِّدٍ   فسيِّدُكُمْ عنه لا يُفْحَصُ

فهبْ لي ذنوبيِ فَدَتْكَ النفوسُ   ولا زِلْتَ تَنْمِي ولا تَنقُصُ

١٨ مسافر يعني مسافر!

قال يمدح هَوْذَةَ بنَ علي الحنفي:

تقولُ بِنْتي، وقد قَرَّبْتُ مرتحِلاً:   يا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصابَ والوَجَعا

قالت بنتي وقد قربت ناقتي للرحيل: جنب يا رب أبي الأوصاب (الأوجاع)

واستَشْفَعَتْ مِنْ سَرَاةِ الحيِّ ذا شَرَفٍ   فقد عَصَاها أَبُوها، والذي شَفَعا

طلبت شفاعة أحد ذوي الشرف من سراة الحي (وجهاء العشيرة)، لكن أباها عصاها وعصى الشفيع

مَهلاً بَنِيَّ فإنَّ المرءَ يبعَثُهُ   هَمٌّ إذا خالَطَ الحَيْزُومَ والضِّلَعا

يا أبنائي، الذي يبعث المرء (يدفعه للرحيل) الهم الذي ينزل بالحَيزوم (الصدر) والأضلاع

عَليكِ مِثْلُ الذي صَلَّيْتِ، فاغتَمِضي   يوماً فإنَّ لِجَنْبِ المرءِ مُضْطجَعا

لك يا ابنتي مني مثل ما صليت (مثل دعوتك لي)، فاغتمضي (اطمئني) فالمرء في النهاية سيضطجع ميتاً

واستَخْبري قافِلَ الرُّكْبانِ، وانتَظري   أَوْبَ المسافرِ إن رَيْثاً وإن سَرَعا

اسألي قافل الركبان (العائدين على نياقهم) عن أخباري، وانتظري أوبي (عودتي) إن ريثاً (بطيئاً) وإن سرعا (سريعاً)

١٩ كشفنا عن جماجمنا

قال عن وقعة بين قبيلته بكر، وبين قبيلة أسد:

لما التَقينا كَشفْنا عنْ جَماجِمِنا   لِيعلَموا أنَّنا بَكْرٌ فَينْصَرِفوا

كشفنا عمائمنا ليعرفوا أننا من بكر فينصرفوا، لكنهم قاتلونا

قَالوا: «البَقِيَّةَ»، والهِنديُّ يحصُدُهُمْ ولا بَقِيَّةَ إلَّا النارُ فانْكَشَفوا

قالوا «البقية» (و«البقية» كلمة يصرخ بها المقاتلون من الطرفين أو من طرف واحد عندما يتبين أن القتل قد استحر، وأن من الأفضل للطرفين التوقف والإبقاء على من تبقى)، وقالوها والسيوف تحصدهم، ولم يبق لهم إلا الهزيمة فقد انكشف معسكرهم

وجُنْدُ كِسرى غَداةَ الحِنوِ صَبَّحَهُمْ مِنَّا كتائبُ تُزْجِي الموتَ فانصرَفوا

وكذا فإننا في معركة «الحِنو» - ذي قار - جئنا لجنود كسرى صباحاً بكتائب تزجي (تقدِّم) الموت

إذا أَمالوا إلى النُّشَّابِ أَيدِيَهُمْ مِلْنا بِبِيضٍ، فَظَلَّ الهامُ يُختَطَفُ

إذا اختاروا الرمي بالنشاب (النبال) اخترنا البيض (السيوف) وأخذنا نختطف الهام (الرؤوس)

وخَيْلُ بَكْرٍ فما تَنْفَكُّ تَطحَنُهُمْ حتى تَوَلَّوْا وكادَ اليومُ يَنتَصِفُ

لو أَنَّ كلَّ مَعَدٍّ كانَ شارَكَنا في يومِ ذي قَارَ ما أَخطَاهُمُ الشَّرَفُ

معدّ: جد قبائل عرب الشمال كلهم من ربيعة ومضر معاً، وكانت ربيعة هي التي قامت بذي قار.
أخطاهم: أخطأهم وتجاوزهم

٢٠ وبات على النار الندى والمحلق

نزل الأعشى بالمحلق فأكرمه، وكان للمحلق ثلاث أخوات لم يتزوجن، فمدحه الأعشى بهذه القصيدة، فتهافت الناس على أخواته فتزوجن جميعاً. وثمة رواية تجعل للمحلق هذا ثماني بنات، وتلك الرواية تزوجهن جميعاً أيضاً:

أَرِقْتُ، وما هذا السُّهَادُ المؤَرِّقُ وما بِيَ مِنْ سُقْمٍ وما بِيَ مَعْشَقُ

وقد أَقْطَعُ اليومَ الطَّويلَ بِفِتْيَةٍ مَساميحَ تُسْقَى والخِبَاءُ مُرَوَّقُ

أقطع يومي مع فتية مساميح (ذوي سماحة) يسقَوْن الخمر في خباء مروق
(خيمة ذات رواق في مقدمها)

ورَادِعَةٍ بالمِسْكِ صَفْرَاءَ عندنا لِجَسِّ النَّدامَى في يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ

ومعنا مغنية رادعة (ملطخة) بالمسك، وهي صفراء (شقراء، أو أنها صبغت وجنتيها بالزعفران)، وفي كم درعها (ثوبها) فتق مخصص كي يجس الندامى لحمها. هذا ترتيب رسمي للتجميش، أي التحسيس. وقد يكون الأعشى قصد شيئاً آخر ولكننا رأينا شيئاً كهذا في معلقة طرفة (انظر باب بقية المعلقات رقم ١) ففهمنا البيت هذا الفهم

إذا قُلْتُ غَنِّي الشَّرْبَ قامَتْ بِمِزْهَرٍ يكادُ إذا دارتْ له الكَفُّ يَنطِقُ

المزهر: العود

وشَاوٍ إذا شِئْنا كَمِيشٍ بِمِسْعَرٍ   وصَهباءَ مِزْبَادٍ، إذا ما تُصَفَّقُ

رجل يشوي اللحم (لحم الحيوان) كميش (مشمر) ويحمل مسعراً (حديدة تقليب الجمر)، ومعنا صهباء (خمر صفراء) تصبح ذات زَبَد عندما تصفق (تصفًّى)

تُرِيكَ القَذَى مِنْ دونِها وَهْيَ دونَه   إذا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ

تظهر الشوائب الموجودة في قعر الكأس فكأنها في أعلاه. وقدم ثعلب في طبعة ردولف غاير رواية أخرى بكلمة «تختها» بدل دونها، ولعلنا نخترع رواية أخرى «تريك القذى في سطحها وهو دونه». يريد أن يقول إن الخمر صافية جداً، والسلام. وأما يتمطق فمعناها يلصق لسانه بسقف حلقه وهو يتذوق هذه الخمر

وما كنتُ شَاحَرْدًا ولكنْ حَسِبْتُنِي   إذا مِسْحَلٌ سَدَّى لِيَ القَولَ أَنْطِقُ

لست شاحردا (فارسية، أي تلميذاً) ولكن، إذا سدَّى (أصلح) مسحل (اسم شيطان الأعشى) لي القول فأنا أنطق بالشعر

شَريكانِ فيما بينَنا مِنْ هَوَادَةٍ   صَفِيَّانِ إِنْسِيٌّ وجِنٌّ مُوَفَّقُ

أنا وشيطاني شريكان فيما يقع بيننا من هوادة (مخاطبة سلسة)، ونحن صفيان (صاحبان متصافيان)

يقولُ فلا أَعْيَا لِشَيءٍ أقولُه   كَفَانِيَ لا عَيٌّ، ولا هُوَ أَخْرَقُ

أنا لست عَيّاً (ألكن، غير فصيح)، وهو ليس بأخرق (أحمق)

جِماعُ الهَوى في الرُّشْدِ أَدنى إلى التُّقَى   وتَرْكُ الهَوى في الغَيِّ أَنْجى وأَوْفَقُ

إذا حاجَةٌ وَلَّتْكَ لا تستطيعُها   فخُذْ طَرَفاً مِنْ غيرِها حين تُسْبَقُ

لا تبك على ما فات، وابدأ بشيء جديد

فذلِكَ أدنَى أن تنالَ جسِيمَها   ولَلْقَصْدُ أَبْقَى في المَسيرِ وأَلْحَقُ

القصد: الاعتدال، يبقي على قوتك في السير ويجعلك تلحق بما تريد اللحاق به

لَعَمْري لقد لاحَتْ عيونٌ كثيرةٌ   إلى ضَوْءِ نارٍ باليَفَاعِ تَحَرَّقُ

اليفاع: الهضبة

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيانِها   وباتَ على النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ

النار تشب (توقد) لمقرورين (شخصين يشعران بالبرد).. وهما الندى (الكرم) والمحلق. أعجب القدماء جداً بما في هذا البيت من اختصار: فالمحلق والسخاء شخصان في شخص واحد، فالمحلق مرادف للكرم

رَضِيعَيْ لِبانٍ ثَدْيِ أُمٍّ تَحَالَفا   بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ

المحلق والسخاء أخوان رضعا حليباً واحداً، من حلمة نهد سحماءً (سوداء)، وقالا لن نفترق عوض (أبداً). أو أن الأسحم هو الليل الذي قعد فيه المحلق يصطلي

يَـدَاكَ يـدا صِـدْقٍ فَـكَـفٌّ مُـفِـيـدَةٌ وأخـرى إذا مـا ضُـنَّ بـالـزَّادِ تُـنـفِـقُ

ترى الجودَ يجري ظَاهراً فوق وجهِه كـمـا زانَ مـتـنَ الـهُـنـدُوانِـيِّ رَوْنَـقُ

الجود يجعل وجه المحلق يشرق كما يزين سطح السيف الرونق (البريق)

نَفَى الذمَّ عن آلِ المحلَّقِ جَفْنَةٌ كـجابِيَـةِ الـسَّـيْـحِ الـعِـرّاقِـيِّ تَـفْـهَـقُ

آل المحلق تجنبوا الذم بجفنة (قصعة) كبيرة مثل جابية السيح العراقي (حوض الفيضان في الفرات بالعراق) تفهق (تفيض)

٢١ ذُوقي غيري

قال وقد طلق امرأته المزنية:

أيـا جَـارتـي بِـيـنـي فـإنَّـكِ طَـالـقـةٌ كَـذاكِ أُمـورُ الـنـاسِ غَـادٍ وطَـارِقَـةْ

يا جارتي (يقصد زوجتي) بيني (فارقي)، فالأمور هكذا غادية (آتية صباحاً) أو طارقة (آتية ليلاً)

ومـا ذاكَ مِـنْ جُـرْمٍ عـظـيـمٍ جَـنَـيْـتِـهِ ولا أن تَـكُـونـي جـئـتِ فـيـنـا بِـبـائِـقَـةْ

ليس من ذنب لك، ولا أنت جئت ببائقة (مصيبة)

وبِـيـنـي حَـصَـانَ الـفَـرْجِ غيـرَ ذَمـيـمـةٍ ومَـوْمُـوقَـةً فـيـنـا كـذاك ووامِـقَـةْ

فارقي وأنت حصان الفرج (عفيفة)، وموموقة (محبوبة) ووامقة (مُحِبَّة)

وذُوقـيِ فَـتـى قَـومٍ فـإِنِّـيَ ذَائِـقٌ فـتـاةَ أُنـاسٍ مـثـلَـمـا أنـتِ ذَائـقَـةْ

تمتعي بغيري، وسأتمتع بغيرك

٢٢ درة الغواص

في هذه القصيدة تشبيه طويل، كان صنعه المسيب بن علس، خال الأعشى، وكان شاعرنا راوية له. والحكاية عند المسيب في قصيدته «أصرمت حبل الوصل من فتر» آنق منها عند الأعشى. وسيسرق الفرزدق التشبيه ويمضي به إلى الغاية، على أن تشبيه الفرزدق أقرب إلى تشبيه المسيب بن علس منه إلى تشبيه الأعشى. قال الأعشى:

أَسْهُو لِهَمِّي ودائي، فَهْيَ تُسْهِرُني بانَتْ بقلبي، وأَمْسى عندَها غَلِقَا

ذهبتْ آخذةً قلبي معها، وأمسى قلبي معها غلقاً (غير ممكن فكاكه، كالرهن الذي ينتهي أمده)، فالحلية المرهونة تصبح ملكاً للحائز الثاني بعد أمد معلوم

كـأَنَّـهـا دُرَّةٌ زَهْـراءُ أَخـرجَـهـا غَوَّاصُ دَارِينَ يَخْشَى دونَها الغَرَقَا

كأن المحبوبة لؤلؤة لامعة أخرجها غواص من دارين بالبحرين، وكان يخشى بسببها الموت غرقاً

قد رَامَها حِجَجاً مُذْ طَرَّ شارِبُهُ حتى تَسَعْسَعَ يرجُوها وقد خَفَقا

وكان قد رامها (طلبها) سنوات، منذ أن نبت شاربه حتى تسعسع (كبر واهتزت مشيته)، وهو على الدوام يرجو الحصول عليها

لا النَّفْسُ تُوئِسُهُ منها فيتركَها وقد رأى الرَّغْبَ رأيَ العينِ فاحتَرَقا

لا ييأس منها فيتركها، وقد بدا له هذا الرغب (الشيء المرغوب) ورآه بعينه فاحترق فؤاده

ومَاردٌ مِنْ غُوَاةِ الجِنِّ يَحْرُسُها ذو نِيقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دونَها تَرَقا

وهذه اللؤلؤة يحرسها مارد جني شرير ذو نيقة (تأهب) وقد استعد (أعدَّ) قربها ترقا (درجاً لا بد من الارتقاء فيه للحصول عليها)

ليستْ له غَفْلَةٌ عنها، يُطيفُ بها يَخشَى عليها سُرَى السَّارِينَ والسَّرَقا

الجني لا يغفل عن اللؤلؤة، وهو يحوم حولها، يخشى اعتداء من يمر بجانبها، وسرقتها

مَنْ نالَها نالَ خُلْداً لا انقِطاعَ له وما تمنَّى، فأَضْحَى ناعِماً أَنِقَا

من نال اللؤلؤة كانت له دوام الثروة، والعيش الناعم الأنيق

تلكَ التي كَلَّفَتْكَ النفسُ تأمُلُها وما تعلَّقْتَ إلا الحَيْنَ والحَرَقَا

فمثل هذه اللؤلؤة محبوبتك الصعبة التي تؤمل نفسك بالحصول عليها، ولكنك ما اقتربت إلا من الحيْن (الموت) والحَرَق (النار)

٢٣ إنني منهم

إنَّني مِنْهُمُ، وإنَّهُمُ قَوْ مِي وإنِّي إلَيْهِمُ مُشْتَاقُ

اَلمُهِينِينَ مَالَهُمْ لِزمانِ السُّـ وءِ حتى إذا أفاقَ أفاقُوا

٢٤ حمَّال الأعباء

قال يمدح هَوْذَةَ بن علي الحنفي، زعيم حنيفة باليمامة:

وخَرْقٍ مَخُوفٍ قد قَطَعْتُ بِجَسْرةٍ إذا الجِبْسُ أَعْيَا أن يَرومَ المَسَالِكا

رب خرق (خلاء) يخافه الناس قطعته بجسرة (ناقة ضخمة)، بينما الجبس (الجبان) يعجز أن يروم (يطلب) سلوك هذه الطرق

بِأَدْمَاءَ حُرجُوجٍ بَرَيْتُ سَنَامَها بِسَيْرِي عليها بعدَما كانَ تَامِكا

عبرت بأدماء (ناقة بيضاء) حرجوج (قوية) بريت سنامها بريًاً (والناقة مع المشي الشديد تفقد شحم السنام فيهزل) وكان سنامها من قبل تامكاً (سناماً مكتنزاً)

إلى هَوْذَةَ الوَهَّابِ أَهْدَيْتُ مِدحَتي أُرَجِّي نَوالاً فاضِلاً مِنْ عَطائِكا
فتىً يحملُ الأعباءَ لو كان غيرُهُ مِنَ الناسِ لم ينهضْ بها مُتَماسِكا
وأنتَ الذي عوَّدتَني أن تَرِيشَني وأنت الذي آويتَني في ظِلالكا

تريشني: تُنبت لي الريش كما ينبت ريش الطائر بالغذاء

وما ذاكَ إلّا أنَّ كَفَّيْكَ بالنَّدَى تَجُودانِ بالإعطاءِ قبل سُؤَالِكا
ورَبَّيْتَ أَيْتاماً، وأَلحَقْتَ صِبْيَةً وأَدْركْتَ جَهْدَ السَّعْيِ قبلَ عَنَائِكا

ربيت الأيتام، واستكملت تربية الصبية، وأدركت جهد السعي (غاية السخاء) قبل أن تتعب

٢٥ كل من فوقها لها

قال في شيء كان بينه وبين بني عباد وبني مالك:

فَيَا أَخَوَيْنا مِنْ عِبادٍ ومَالِكٍ ألم تَعلما أنْ كلُّ مَنْ فوقَها لها

كل من فوق الأرض سيصبح تحتها

وكائِنْ دفَعْنا عنكُمُ مِنْ مُلِمَّةٍ وكُرْبَةِ موتٍ قد بَتَتْنَا عِقالَها

وكثيراً ما دفعنا عنكم من ملمة (من أزمة) ومن كربة مميتة بتنا عقالها (قطعنا حبلها قبل أن تتصل بكم)

وأرملةٍ تسعَى بِشُعْثٍ كأنَّها وإيَّاهُمُ رَبْداءُ حَثَّتْ رِئالَها

ورب أرملة تسير بأطفال شعث (جمع أشعث وهو المضطرب الهيئة والثياب) فكأنها معهم ربداء (نعامة) تسوق رئالها (صغار النعام)

هَنَأْنا ولم نَمْنُنْ عليها فأَصْبحتْ رَخِيَّةَ بالٍ قد أَزَحْنا هُزالَها

أنجدناها دون منٍّ، وأرحنا بالها، وأطعمناها

٢٦ ذكرى قُتيلة

صحا القلبُ مِنْ ذكرى «قُتَيْلَةَ» بعدما يكونُ لها مثلَ الأَسيرِ المكبَّلِ
لها قَدَمٌ رَيّا سِبَاطٌ بنانُها قد اعتدلَتْ في حُسْنِ خَلْقٍ مُبَتَّلِ

يصف صاحبته فقدمها سمينة ذات أصابع طويلة، وهي ذات قد معتدل وخلق مبتل (جسم متناسق)

وساقانِ مَارَ اللَّحْمُ مَوْراً عليهِما إلى منتهى خَلْخَالِها المُتَصَلْصِلِ

وساقاها ممتلئتان تترجرجان باللحم الذي يمور (يرتج كالماء)، وساقاها ممتلئتان حتى الخلخال المتصلصل (الرنان)

إذا التُمِسَتْ أُرْبِيَّتاها تَسانَدَتْ لها الكَفُّ في رَابٍ مِنَ الخَلْقِ مُفْضِلِ

إذا التُمست (لُمست) أربيتاها (فلقتا عجيزتها) تساندت الكف لها (استندت إليها) فكانت ذات خَلق راب (خلقة مرتفعة) مفضل (زائد عن المعتاد). يصف عجيزتها بأنها كبيرة

إلى هَدَفٍ فيه ارتفاعٌ تَرى له مِنَ الحُسْنِ ظِلّاً فوق خَلْقٍ مُكَمَّلِ

ثم ينطلق صاحبنا إلى وصف «هدف»؛ فذلك الشيء الذي لا يسمى مرتفع، ويشكل شبه هضبة تترك على جسم الفتاة ظلاً

إذا انبَطَحَتْ جَافَى عن الأرضِ جنبُها وخَوَّى بها رابٍ كَهَامَةِ جُنْبُلِ

إذا انبطحت على جنبها فخصرها يرتفع عن الأرض، ويظهر ذلك الهدف الرابي الذي يشبه رأس الجنبل (القدح الخشبي). هذا هو المعنى الملموح. ولم يشرح لنا ثعلب في نسخته التي نشرها غاير هذه القصيدة

إذا ما عَلاها فَارسٌ مُتَبَذِّلٌ فنِعْمَ فِراشُ الفارسِ المتبذِّلِ

إذا علاها رجل متبذل (يلبس ثياب المنزل)، فهي خير فراش له

يَنوءُ بها بُوصٌ إذا ما تفضَّلَتْ تَوَعَّبَ عَرْضَ الشَّرْعَبِيِّ المُغَيَّلِ

يتعبها بوصها (مؤخرتها)، وإذا تفضلت (لبست لباساً خفيفاً) فهذا الجزء من جسمها يتوعب (يملأ) الشرعبي (الثوب) المغيل (الواسع)

رَوَادِفُهُ تَثْني الرِّدَاءَ تَسانَدَتْ إلى مثلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ المُتَهَيِّلِ

روادف عجيزتها تجعل الرداء يتثنى ـ لا سيما مع دقة خصرها ـ وهذه الأرداف تفضي إلى المؤخرة التي تشبه دعص (كثيب) الرمل المتهيل (غير المتماسك)

وثَدْيانِ كالرُّمَّانتيْنِ، وجيدُها كَجيدِ غزالٍ غيرَ أنْ لم يُعَطَّلِ

جيدها (عنقها) كعنق غزال، لكنه لم يعطل (لم يعدم الحلي)

فدعْها وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِجَسْرَةٍ تَزَيَّدُ في فَضْلِ الزِّمَامِ، وتَغْتَلي

فدعها.. يريد أن يغير الموضوع.. وانس الهم بجسرة (ناقة ضخمة) تتزيد (تمد عنقها للأمام ماضية بسرعة) جاذبة بقية الزمام المربوط بعنقها، وتغتلي (تسرع)

فَأَيَّةُ أرضٍ لا أَتَيْتُ سَراتَها وأَيَّةُ أرضٍ لم أَجُبْها بِمِرْحَلِ

زرت السراة (الوجهاء) في كل أرض، وجبت كل أرض بِمِرحل (بجمل قوي)

ونحن رَدَدْنا الفَارسيِّينَ عَنوةً ونحن كسرنا فيهِمُ رُمْحَ عَبدَلِ

رددنا الفرس في «ذي قار» وكسرنا فيهم رمح عبد القيس، كناية عن هزمهم

٢٧ أصبت طحالها

قال يمدح قيس بن معديكَرِب:

رحلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أجمالَها غَضبَى عليكَ فما تقولُ بَدا لها؟

رحلت سمية أجمالها، أي وضعت الرحال فوق الجمال، صباحاً، وهي غضبى عليك، فما سبب الغضب يا ترى؟

سَفَهاً، وما تَدرِي سُمَيَّةُ ويحَها أن رُبَّ غانِيَةٍ صَرَمْتُ حِبَالَها

لعله سفاهة منها، وهي لا تعلم أن ثمة غانية قد قطعت علاقتي بها، وسمية ليست أحسن من غيرها فلتحذر!

ومَصابِ غادِيَةٍ كأنَّ تِجارَها نَشَرَتْ عليه بُرودَها ورِحالَها

رب مكان هو مصاب غادية (المكان الذي أصيب بمطر السحابة) والمكان فيه أزهار شتى ونبات فكأن التجار نشروا فوقه أقمشتهم ورحالهم (متاعهم)

قد بِتُّ رائدَها؛ وشَاةِ مُحَاذِرٍ حَذَراً يُقِلُّ بعينِه أَغْفَالَها

قد كنت رائد هذه السحابة، والرائد هو الرجل الذي يتقدم قبيلته باحثاً عن مواضع العشب. فقد أتيت إلى هذا الموضع الذي نزل به قوم، وهناك شاة محاذر (زوجة رجل شديد الحذر غيرة عليها) وهو يتعقب بعينيه مواضع الغفلة حفاظاً على امرأته. هذا هو المعنى الملموح

فظَلِلْتُ أرعاها، وظَلَّ يحُوطُها حتى دَنَوْتُ إذا الظلامُ دنَا لها

ظللت أراقبها، وظل يحوطها بنظره، فإذا ما دنا الظلام دنوت إليها

فرميْتُ غَفْلَةَ عينِه عن شَاتِه فأصبتُ حَبَّةَ قلبِها وطِحَالَها

رميت غفلته عنها فأصبت هذه المرأة وحصلت عليها. طبعاً هو كذاب. . فقط يحب أن يرى نفسه غازياً زانياً. والنقاد القدامى سخروا من هذا البيت، ليس للزنا، بل لأن الطحال لا يدخل الشعر إلا أفسده

حَفِظَ النهارَ وباتَ عنها غافلاً فخَلَتْ لِصاحِبِ لَذَّةٍ وخَلا لَها

زوجها حفظها بالنهار، وغفل عنها في الليل، فخلا الجو لي

وسَبِيئةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بابِلٌ كَدَمِ الذبيحِ سِلَبْتُها جِرْيَالَها

يغير الموضوع: رب سبيئة (خمرة مشتراة) معتقة من زمن بابل، وهي حمراء كالدم، وشربتها وبُلْتُها بيضاء فكأنني سلبتها جريالها (لونها). التفسير من ثعلب عن أبي عمرو بن العلاء

وغَريبةٍ تَأتِي الملوكَ حكيمةٍ قد قلتُها ليقالَ مِنْ ذا قَالَها

ورب قصيدة غريبة (ترتحل على أفواه الرواة فهي موجودة بكل أرض لذا فهي غريبة) وأنا بها مفتخر، وما قلتها إلا لكي يتعجب الناس ويقولوا من الذي قالها؟

وجَـزورِ أيْـسَـارٍ دَعَـوْتُ لِـحَـتْـفِـهـا   ونِـيـاطِ مُـقْـفِـرَةٍ أخـافُ ضَـلالَـهـا

ورب جزور أيسار (ناقة يجري عليها الميسر لاقتسام لحمها)، ورب نياط مقفرة (مجال صحراء جدبة) أخاف الضياع فيها، لكنني قطعتها..

ولقد نزلتُ بخيرِ مَنْ وَطِئَ الحَصَى   قَيْسٍ، فَأثْبَتَ نعلَها وقِبالَها

ونزلت ضيفاً على خير البشر، وهو قيس، فأثبت نعل ناقتي وقبالها (شسع النعل، سير يربط به نعلها). وكانت الناقة تشكو الحفا لطول السير فلعلهم كانوا يعينونها بنعل. فالممدوح أراح له ناقته كناية عن أنه كفاه السفر بما أعطاه من مال

فـكـأنـهـا لـم تَـلْـقَ سـتـةَ أشـهُـرٍ   ضُـرّاً إذا وَضَـعَـتْ إلـيـكَ جِـلالَـهـا

كأن الناقة، عندما وضعت عندك جلالها (ما يجللها من رحل وسرج)، لم تلق التعب ستة أشهر. الأصمعي يقول: هو كَيْذَبان، ولا أراه سار إلى ممدوحه أكثر من عشرين يوماً

عَـوَّدْتَ كِـنْـدَةَ عـادةً فـاصْـبِـرْ لـهـا   اِغـفِـرْ لِـجَـاهـلِـهـا، وَرَوِّ سِـجَـالَـهـا

عودت قبيلتك كندة على كرمك فاصبر لما يصنعه الجاهل، وروِّ سجالها (املأ دلاءها)

وإذا تَحُلُّ مِنَ الخُطُوبِ عَظِيمَةٌ،   أهلي فداؤُكَ، فاكْفِهِمْ أثقالَها

وإذا حل بقومك مكروه فاحمل عنهم ثقله

٢٨ ما بكاء الكبير بالأطلال

قال يمدح الأسود بن المنذر اللخمي:

مـا بـكـاءُ الـكـبـيـرِ بـالإطـلالِ   وسـؤالـي، فـهـل تَـرُدُّ سـؤالـي؟

ما قيمة بكاء الكبير بأطلال الأحبة؟ وما قيمة سؤالي عمن رحلوا ولا ردَّ عند الطلول؟

دِمْـنَـةٌ قَـفْـرَةٌ تَـعَـاوَرَهـا الـصَّـيْـ   ـفُ بِـريـحـيْـنِ مِـنْ صَـبَـاً وشَـمَـالِ

هذه دمنة (خربة) مقفرة، تعاورها الصيف (تجاذبها) بريحي الصبا والشمال

لاتَ هَـنَّـا ذِكْـرَى جُـبَـيْـرَةَ أَوْ مَـنْ   جـاءَ مِـنـهـا بِـطَـائِـفِ الأَهْـوالِ

لات هنَّا ذكرى جبيرة: ليس هذا موضع تذكر جبيرة، أو من حمل أخبار هجرها المؤلمة

رُبَّ خَرْقٍ مِنْ دونِها يُخْرِسُ السَّفْـ   ـرَ، ومِـيـلٍ يُـفـضـي إلـى أَمـيـالِ

رب خرق (صحراء واسعة) بيني وبين جبيرة، يجعل السفْر (المسافرين) يصمتون، ورب ميل يؤدي إلى أميال (الميل قياس مسافة، وهو «مد البصر» فكل ما ناله بصرك داخل في الميل، والميل كلمة يونانية معناها ألف، وعند اليونان والرومان فالميل ألف خطوة، وأخذنا الكلمة في جاهليتنا وفسرناها على كيْفنا)

وادِّلاجٍ بعدَ المَنامِ وتَهجِيـ ـرٍ وقُفٍّ وسَبْسَبٍ ورِمَالِ

وربّ ادِّلاج (سير ليلي) وتهجير (سير في النهار)، وقفّ (أرض وعرة) وسبسب (أرض مستوية)

فَلَئِنْ شَطَّ بي المَزارُ، لقدْ أغْـ ـدُو قليلَ الهمومِ نَاعِمَ بَالِ

فلئن شط (ابتعد) بي المزار (التغرب) فقد كنت قليل الهموم منعماً من قبل بصحبة الحبيبة

فاذهبِي، ما إليكِ أدرَكَنِي الحِلْـ ـمُ، عَدانيِ عن ذِكْرِكُمْ أشغالي

فاذهبي أيتها الحبيبة فقد أدركني الحلم (كبرت)، وانشغلت بغير ذكرك

٢٩ الأرض حمَّالة

قال يمدح سلامة ذا فائش:

إنَّ مَحَلّاً وإنَّ مرتَحَلا وإنَّ في السَّفْرِ ما مَضَى مَهَلا

إن للمرء محلاً وإن له مرتحلاً في هذه الدنيا، والسفر (المسافرون) ما داموا ماضين في طريقهم فليمضوا متمهلين

إستَأثَرَ اللَّهُ بالوفاءِ وبالـ ـعدْلِ ووَلَّى المَلامَةَ الرَّجُلا

ومن هذا البيت استنتج القدماء أن الأعشى كان يقول بأن الإنسان مخير

والأرضُ حمَّالَةٌ لِمَا حَمَّلَ الـ ـلَّـهُ، ومَا إنْ تَرُدُّ ما فَعَلا

ليس في هذه الأبيات معنى غريب، ولكن لها جرساً جميلاً

قَلَّدْتُكَ الشِّعْرَ يا سَلامَة ذا التَّـ ـفْضَالِ، والشَّيءُ حيثُما جُعِلا

أي أنت تستحق هذا المدح، فهذا مكانه المناسب. وأعجب الممدوح بهذا البيت، وأعطى الأعشى كرشاً مملوءة عنبراً، ونبهه على قيمتها حتى لا يخدعه التجار

والشِّعْرُ يَستَنْزِلُ الكريمَ كما اسـ ـتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحابَةِ السَّبَلا

الشعر يستنزل (يستدر) المال من الكريم كما يستدر الرعد ـ في كتاب العلوم الذي درسه الأعشى ـ السبل (المطر) من السحاب

٣٠ ستندم

قال الأعشى يهجو عمير بن عبد الله بن المنذر:

لئنْ كنتَ في جُبٍّ ثَمانينَ قَامَةً ورُقِّيتَ أسبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ..

لو كنتَ في بئر عمقها ثمانون قامة، ولو صعدت إلى السماء بسلم..

لَيَسْتَدْرِجَنْكَ القولُ حتَّى تَهِرَّهُ   وتَعلَمَ أنّي عنكَ لستُ بِمُلْجَمِ

فسوف يستدرجك تبادل الاتهامات حتى تكره ذلك، وحتى تعلم أنني لست ملجماً (صامتاً عنك)

وتَشْرَقُ بالقولِ الذي قد أذعتَه   كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ مِنَ الدَّمِ

وستشرق بما قلت ونشرت، مثلما يشرق صدر القناة (أعلى الرمح) بالدم

فمَا أنتَ مِنْ أهلِ الحُجُونِ ولا الصَّفَا   ولا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ مِنْ ماءِ زَمْزَم

الحجون والصفا موضعان بمكة

٣١ شارب السخاميَّة

ألمَّ خيالٌ مِنْ قُتَيْلَةَ بعدَما   وَهَى حبلُها مِنْ حبلِنا فَتَصَرَّمَا

جاءني طيفها بعدما وهى حبلها فتصرم (أصبحت علاقتنا واهية ضعيفة، ثم انقطعت)

فبِتُّ كأنِّي شَاربٌ بعدَ هجْعَةٍ   سُخَامِيَّةً حمراءَ تُحسَبُ عَنْدَمَا

كأني شربت بعد هجعة (بعدما نام الناس) خمراً سخامية (سلسلة تنزلق في الحلق) يحسبها الرائي عَندماً (والعندم نبات ذو ثمر أحمر)

لها حَارِسٌ ما يبرَحُ الدَّهْرَ بيتَها   إذا ذُبِحَتْ صَلَّى عليها وزَمْزَمَا

هذه الخمر يحرسها خمار لا يفارق بيتها، فإذا ذبحت (أي شُقَّ دنها بالمبزل) صلى وزمزم (قال كلاماً غير مفهوم بلغته فكأنه يدعو بدعاء عند ذبح الدن)

٣٢ التي تستل الزكام

قال يمدح إياس بن قَبِيصة الطائي:

وقد قالتْ قُتَيْلَةُ إذْ رأتْني   وقد لا تَعْدَمُ الحسناءُ ذَامَا..

قالت قتيلة، و«لا تعدم الحسناء ذاما» مثل قديم أي أن لكل حسناء عيباً

أراكَ كَبِرْتَ، واستَحدَثْتَ خُلْقاً   ووَدَّعْتَ الكَواعِبَ والمُدَاما

تقول له كبرت وتغيرت طباعك ولم تعد تهتم بالكواعب (الفتيات برزت صدورهن)

فإنْ تَكُ لِمَّتي يا «قَتْلُ» أضْحَتْ   كأنَّ على مَفارِقِها ثَغَاما

إن أضحت لمتي (شعري) وكأن عليها الثغام (نبت له زهر أبيض)

وأَقْصَرَ بَاطِلي، وصَحَوْتُ حتَّى   كأنْ لم أجْرِ في دَدَنٍ غُلاما

ولئن أقصر باطلي (كففت عن اللهو) وصحوت عن عبثي حتى كأنني لم أكن أجري في الددن (اللعب) كالغلام

فــإنَّ دوائــرَ الأيــامِ يُــفْــنــي تــتــابُعُ وقــعِهــا الــذكــرَ الــحــســامــا

فإن دوائر (مصائب) الزمن يفني تواليها السيف الذكر (القاطع)

وأدْكَــنَ عــاتِــقٍ جَــحْــلٍ سِــبَــحْــلٍ صَــبَــحْــتُ بــراحِــهِ شَــرْبــاً كِــرامــا

رب دن خمر كبير داكن اللون لما طلي به من قار، وهو جحل وسبحل (كبير) وقد جئت بخمرته صباحاً لشرب (شاربين) كرام

مِــنَ الــلَّاتــي حُــمِلْــنَ عــلى الــرَّوَايا كَــريــحِ الــمــسكِ تَــسْــتَــلُّ الــزُّكَــامَــا

هذا الدن من الدنان التي حملت على الروايا (جمال نقل الماء)، ورائحة خمره كالمسك يضيع منها أثر الزكام

٣٣ قتلنا القَيْل هامَرْز

قال يفتخر بيوم ذي قار:

أُبــاةُ الــضَّــيْــمِ لا يُــعــطــو نَ مَــنْ عَــادَوْهُ مَــا حَــكَــمــا

أَبَــتْ أعــنــاقُــهُــمْ عِــزّاً فَــمَــا يُــعْــطُــونَ مَــنْ غَــشَــمــا

غشم: ظلم

عــلــى جُــرْدٍ مُــسَــوَّمَــةٍ عَــوابِــسَ تَــعــلُــكُ الــلُّــجُــمــا

يركبون الجرد المسومة (الخيل ذات الشعر القصير والمعلمة بعلامة تميزها) وهي كالعابسة وتعلك اللجم (جمع لجام) متحفزة

قَــتَــلْــنــا الــقَــيْــلَ هَــامَــرْزٍ ورَوَّيْــنَــا الــكَــثــيــبَ دَمــا

القيل: الملك، هامرز: قائد الفرس في ذي قار

٣٤ تقول ابنتي حين جد الرحيل

قال يمدح قيس بن معديكرب:

ومــا مُــزْبِــدٌ مِــنْ خــلــيــجِ الــفُــرا تِ جَــوْنٌ غَــوارِبُــهُ تَــلْــتَــطِــمْ..

يبدأ تشبيهاً: ليس ماء الفرات المزبد (الذي علاه زبد من الموج) الجون (الأبيض) غواربه تلتطم (أمواجه تتلاطم).. (والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

يَــكُــبُّ الــخَــلِــيَّــةَ ذاتَ الــقِــلا عِ، قَــدْ كــادَ جُــؤْجُــؤُهــا يَــنْــحَــطِــمْ..

يكب الخلية (يقلب السفينة) ذات القلاع (الأشرعة) حتى ليكاد جؤجؤها (صدرها) يتحطم..

تَـكَـأْكَـأَ مَـلَّاحُـهـا وَسْـطَـهـا   مِنَ الـخـوفِ كَـوْثَـلَـهـا يَـلْـتَـزِمْ. .

والملاح يتكأكأ (يتمايل)، ثم يلتزم كوثَلَها (يمسك بمؤخرتها التي لم تغرق بعد). .

بِـأَجْـوَدَ مـنـهُ بِـمـا عِـنـدَه   إذا مـا سمـاؤُهُـمُ لـم تَـغِـمْ

ليس الفرات الموصوف أعلاه أجود من قيس عندما ينحبس المطر ولا يوجد غيم في سماء القوم

تقولُ ابنَتي حينَ جَدَّ الرَّحيلُ   أرانـا سَـواءٌ وَمَـن قـد يَـتِـمْ

يتم: صار يتيماً

أبـانـا فَـلَا رِمْـتَ مِـنْ عـنـدِنـا   فـإنَّـا بِـخَـيْـرٍ إذا لـم تَـرِمْ

رام يريم: رحل

ويَـا أَبَـتَـا لا تَـزَلْ عـنـدَنـا   فـإنَّـا نـخـافُ بـأنْ تُـخـتَـرَمْ

تخترم: تموت

أرانَـا إذا أَضْـمَـرَتْـكَ الـبِـلا   دُ نُجْفَى وتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

إذا أضمرتك البلاد (أخفتك وجعلتك في ضميرها) فسوف يجفونا الأقارب

أفي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى؟   وكَـمْ مِـنْ رَدٍ أهْـلَـه لـم يَـرِمْ

يجيبها: السفر لا يميت، وكم من رد (ميت) لم يرحل عن أهله

وقـد طُـفْـتُ لِـلـمـال آفَـاقَـهُ   عُـمَـانَ فَـحِـمْـصَ فَـأُورِيشَـلِـمْ

أَتَـيْـتُ الـنَّـجَـاشِـيَّ فـي أرضِـه   وأرضَ الـنَّـبِـيطِ وأرضَ الـعَـجَـمْ

يقول المثل الفلسطيني: «لا أكذبَ من شاب تغرب إلا شيخ ماتت أجياله» والأعشى جمع الاثنتين فهو تغرب كثيراً وعاش حتى الثمانين، ولا شيء يثبت أنه عبر البحر إلى الحبشة

٣٥ خير أهل اليمن

قال يمدح قيس بن معديكرب:

لَـعَـمْـرُكَ مَـا طُـولُ هـذا الـزَّمَـنْ   عـلـى الـمـرءِ إلَّا عَـنـاءٌ مُـعَـنّ

معنّ (أي يُعَنّي ويتعب)

يَـظَـلُّ رَجِـيـمـاً لِـرَيْـبِ الـمَـنـونِ   ولـلـسُّـقْـمِ فـي أهـلِـه والـحَـزَنْ

المرء يظل رجيماً للموت (معرضاً للرجم من الموت)

ومـا إنْ أرى الـدهـرَ فـي صَـرْفِـهِ   يُـغـادِرُ مِـنْ شَـارِخٍ أو يَـفَـنْ

شارخ: فتى، يفن: شيخ

فـهـل يَـمْـنَـعَـنِّـي ارتـيـادي الـبِـلا   دَ مِـنْ حَـذَرِ الـمـوتِ، أنْ يَـأْتِـيَـنْ

في البيت تقديم وتأخير لا يكاد به المعنى يستقيم وإن كان في غاية الوضوح: الامتناع عن السفر لا يمنع الموت أن يأتي

وأَقْـرَرْتُ عـيـنـي مِـنَ الـغَـانـيـا   تِ إِمَّـا نِـكَـاحـاً وإِمَّـا أُزَنّ

نلت شبعاً من ذلك الشيء، إما زواجاً وإما زنىً

ومِـنْ كـلِّ بـيـضـاءَ مَـمْـكُـورَةٍ   لـهـا بَـشَـرٌ نَـاصِـعٌ كـالـلَّـبَـنْ

ممكورة: ممتلئة، البشر: البشرة

ونُـبِّـئْـتُ قَـيْـسـاً ولـم أَبْـلُـهُ   كـمـا زَعـمـوا خَـيْـرَ أهـلِ الـيَـمَـنْ

فـجـئـتُـكَ مُـرتَـادَ مـا خَـبَّـرُوا   ولـولا الـذي خـبَّـرُوا لـم تَـرَنْ

لم ترن: لم ترني

فـلا تَـحْـرِمَـنِّـي نَـداكَ الـجـزيـلَ   فـإِنِّـي امْـرُؤٌ قَـبْـلَـكُـمْ لـم أُهَـنْ

٣٦ مشغوف بهند

خَـالَـطَ الـقـلـبَ هـمـومٌ وحَـزَنْ   وادِّكَـارٌ بـعـدمَـا كـان اطْـمَـأَنّ

ادكار: تذكُّر

فَـهْـوَ مَـشـغـوفٌ بـهـنـدٍ هـائِـمٌ   يَـرعَـوي حِـيـنـاً وأحـيـانـا يَـحِـنّ

يرعوي: يرجع عن غيِّه

خُـلِـقَـتْ هـنـدُ لِـقـلـبـي فـتـنـةً   هـكـذا تَـعْـرِضُ لـلـنـاسِ الـفِـتَـنْ

وطِـلاءٍ خُـسْـرُوانِـيٍّ إذا   ذَاقَـهُ الـشـيـخُ تَـغـنَّـى وارْجَـحَـنّ

طلاء: خمر، خسرواني: من عهد خسرو، أي كسرى، ارجحن: تمايل

وطَـنـابـيـرَ حِـسـانٍ صـوتُـهـا   عـنـد صَـنْـجٍ كُـلَّـمـا مُـسَّ أَرَنّ

الطنبور والصنج من الآلات الموسيقية

٣٧ وصية

سَأُوصي بَصيراً إن دَنَوْتُ مِنَ البِلَى وكلُّ امْرِئٍ يوماً سيُصبحُ فانيا

البلى: تحلل الجسم بعد الموت

بأنْ لا تَأَنَّ الوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ ولا تَنْأَ إنْ أَمْسَى بِقُربِكَ راضِيا

لا تتأنّى (تنتظر) الود ممن يجفوك، فإن اقترب منك فلا تبتعد أنت عنه

فَذَا الشَّنْءِ فَاشْنَأْهُ، وذا الوُدِّ فَاجْزِهِ على وُدِّهِ أو زِدْ عليه العَلانِيا

ذو الشنء (البغض) أبْغِضه، وأما من يودك فبادله وداً وزد عليه بأن تعلن ودك له

وآسِ سَرَاةَ الحَيِّ حيثُ لَقيتَهُمْ ولا تَكُ عن حَمْلِ الرَّبَاعَةِ وَانِيا

آس (ساعد) سراة الحي (وجهاء القوم) بأن لا تتوانى عن المشاركة في حمل الرباعة (الدية)

وإنْ بَشَرٌ يوماً أَحَالَ بوجهِهِ عليكَ فَحُلْ عنه وإنْ كانَ دانِيا

من أشاح بوجهه فابتعد عنه ولو كان ذا قرابة أو مجاورة

ولا تَعِدَنَّ الناسَ ما لَستَ مُنْجِزاً ولا تَشْتُمَنْ جاراً لَطيفاً مُصَافِيا

ولا تَزْهَدَنْ في وَصْلِ أهلِ قَرابةٍ ولا تَكُ سَبْعاً في العشيرةِ عَاديا

عادياً: معتدياً

الأعشى الكبير

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

حسان بن ثابت
(٥٠ ق هـ ــ ٤٠ ب هـ)

قيل لم يُحمَل على أحد من الشعر ما حُمِل على حسان، فهو أهم شاهد عيان على عصر النبوة، ليس أنه أهم صحابي، ولا أنه أفصح صحابي، بل لأنه الصحابي الذي قال كلاماً موزوناً يؤتى به في روايات المؤرخين فيجعلونه وثيقة، ثم يأتي مؤرخون آخرون بعد بضع عشرات من السنين تَوَفَّر لهم من أدوات الكتابة أكثر مما توفر للأوائل فيكتبون ما سمعوا منسوباً إلى حسان، ويكتبون ما سمعوا بغير نسبة وينسبونه إلى حسان. فلا يسمع المؤرخ منهم نتفة أو قطعة رويت في رثاء الرسول إلا جعلها لحسان، ويحلو له أن يحمل على حسان كثيراً مما قيل في فتنة الدار يوم قتل الخليفة عثمان، لأن حساناً كان ذا موقف واضح في هذه الفتنة، فكثير مما وافق رأي حسان جُعل له.

وشهدت الدولة العربية بعد موت حسان ببضعة عقود انشطاراً بين خليفتين: عبد الملك في الشام ومصر، وابن الزبير في الحجاز والعراق. فحُمِل على حسان شعر جعل فيه نفسه أموي الهوى، وحمل عليه شعر مدح فيه الزبير بن العوام. وبعد عقود أكثر ذهبت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس، فإذا بشعر حسان ينطق بمدح جد الأسرة العباسية.

وكان بين القبائل من التنافر بعد الفتح ما كان، فأصبح لحسان شعر في هجاء مخزوم وشعر في ذم سُلَيْم.

كانت كتب السيرة من أحفل المصادر بشعر حسان، وأكدت لنا الروايات القديمة أن كتاب السيرة لم يكونوا يتحرون في سوْق الشعر منسوباً إلى حسان.

نعم، لقد أنجب حسان ـ من زوجته سيرين، أخت مارية زوجة الرسول ـ ولداً صار شاعراً معروفاً هو عبد الرحمن بن حسان، وكان له من الأحفاد شاعر

اسمه سعيد. ولا شك في أن الرواة استأنسوا بهذين في معرفة أشعار حسان. غير أن الاضطراب الذي دخل ذلك الشعر كان علة مزمنة. ويقدر وليد عرفات، أهم دارسي حسان، في مقالته عنه في دائرة المعارف الإسلامية، الشعر المنسوب لحسان، وليس له، بما يتراوح بين ستين وسبعين بالمئة.

وعلى هذا فقد كان ديوان شاعرنا حسان بن ثابت ـ الذي عاش في ضوء ساطع من أضواء التاريخ، في فترة مشهودة مشهورة هي ثلاث عشرة سنة من حياة النبي في المدينة، ومثلاها في عصر الراشدين ـ من أكثر الدواوين التي شك النقاد القدماء في نسبة أشعارها إلى صاحب الديوان.

على أن هذا الشعر يظل مع ذلك حاملاً روح عصره. وهو يمثل صدر الإسلام في معانيه، وفي كثير من لغته وطريقته.

ولأننا لا نسوق هذه الصفحات على أنها «دراسة» لشعر حسان، ولا على أنها «تحقيق» للديوان، اكتفينا بما جاء في الديوان المشهور الموجود بأيدي الناس، واخترنا منه أجمل ما فيه من شعر، وشرحناه بما فتح الله علينا. وقد أحسن وليد عرفات إلى ديوان حسان تحقيقاً وتخريجاً، فأصدره في جزئين خاليين من الشرح. وأحسن إلى الديوان عبد الرحمن البرقوقي فشرحه وزينه بالشكل. وأفدنا من هذين الكتابين.

ثم رأينا تلك الكتب السقيمة التي أصدرها بعض خلق الله في الزمن الأخير وجعلوا أنفسهم على أغلفتها «محققين»، واكتفينا بتنحيتها جانباً.. وبكثير من الاشمئزاز.

سمعنا القول المشهور: «العملة الرديئة تطرد العملة الصحيحة»، فلم نصدقه. فالدول تلحق الدينار الزائف، وتلاحق من أعطاه ومن أخذه حتى تقف على رأس التزييف، وله عندها السجن. ولكن هذا القول صادق الصدق كله فيما يخص نشر دواوين الشعر القديمة. انزل إلى السوق وابتغ ديوان حسان. وستجد الطبعات المسروقة تحتل أرفف المكتبات، ولن تجد طبعة أرهق صاحبها نفسه سنين وهو يحققها. تتناول هذا الكتاب المزيف بين كفيك فترى له غلافاً ملوناً يسر العين. وتفتحه فترى صاحبة الدكتور فلان، وأحياناً يضع ألفاً مهموزة قبل الدكتور كي تفهم أن مرتبته الأكاديمية هي «أستاذ دكتور» فصاحبنا اللص ليس دكتوراً فحسب. وتراه قد كتب مقدمة، وما كان أغناه عن فضح نفسه، فطريقته في رصف الكلمات في مقدمته ـ ولنقف وقفة قصيرة عند أسلوبه

قبل أن نمضي في فحوى كلامه ـ طريقة ولد من أولاد المدارس. لغة انحطت عن لغة الجرائد، وانحطت عن لغة رجل من العوام يكتب سطرين في ذيل سند قبض. لغة مقززة. تراه يسوق كلاماً مما كان قاله كل الناس قبله. يقول كلاماً من قبيل «لا شك في أن تمسك كل أمة بتراثها من الأمور المهمة..» أشياء بليدة كهذه. ثم يلخص لك تلخيصاً سمجاً ما ورد عن حسان في الكتب، وقد يتنطح صاحبنا فيأخذ في امتداح الشاعر ورفعه فوق كل شاعر، ويأخذ في الرد على ما أخذه القدماء والمحدثون على حسان، ويدافع وينافح كأنه كان وحساناً رضيعي لبان. ثم يقول لك كلمتين عن «عمله» في الديوان. ولا يذكر صاحبنا للديوان أي طبعة سابقة. ولا يذكر لك مصادره. فكأن حسان جاءه في المنام وألقى في صدره الواسع شعره كله.

حسانٌ شاعر الرسول. هذه ليس فيها شك. وهو كان من بني النجار من الخزرج، الخؤولة البعيدة للرسول. وكانت له في الجاهلية أشعار في مدح قومه وهجاء القبيلة الأخرى في يثرب: الأوس، وفي مدح آل جفنة سادة الشام في الجاهلية، وهم الغساسنة الذين يمتون بصلة نسب إلى قبيلتي يثرب، فالكل يمن. قيل عاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام. وهذه من خرافات القدماء. وتدور كلمة الدارسين الجادين على أن حساناً عاش خمسين سنة قبل الهجرة وأربعين بعدها.

كان ذا مال في الجاهلية، وكان له أُطُمٌ، أي حصن، معروف بيثرب. جاءه المال تلاداً، فهو ابن قوم موسرين، وجاءه طريفاً فهو شاعر جوال مداح. كان يزور بلاط الغساسنة في الجابية وجلق بالشام، وكان ينال أعطياتهم. ولعل القصة التي أزارته بلاط النعمان وجمعت هناك بينه وبين النابغة صحيحة في عمومها. وحسان معم مخول، وأمه الفريعة من الخزرج من بيت معروف، وخاله من زوْر الملوك أيضاً.

وقد كان أخو حسان من وفد يثرب الذي دعا الرسول إلى الهجرة. وقد قتل هذا الأخ في أحد، وقتل له أخ ثان في وقعة بعد أحد. فأما حسان فلم يشهد مع الرسول مشهداً. وقال الذين لا يحبون حسان إنه كان جباناً، وعزوا قولهم بقصة يصعب على المرء تصديقها. ويميل وليد عرفات إلى أن جبن حسان خرافة، فقد كان أسنَّ عندما بدأت الغزوات. وقيل كانت به علة بيمناه فلم يكن يستطيع حمل سيف.

لحسان خبر آخر في الجاهلية جمعه بالنابغة وبالخنساء، ولا يصدقه الدارس الجاد بتفاصيله.

يكاد يجمع القدماء على أن شعره في الجاهلية أمتن من شعره في الإسلام. لا جرم أنهم جعلوا الشعر الجاهلي المثال الذي يقاس عليه، وقدسوه تقديساً. وشعر حسان الجاهلي جار على طريقة الجاهليين، يضاف إلى ذلك عنصران نراهما يؤيدان القول إن شعره في الجاهلية أقوى من شعره في الإسلام. فما قاله صاحبنا في جاهليته انطلق من رغبتين: رغبة في صلات الممدوحين، ورغبة في المنافحة عن قبيلته وهجاء خصومها، فكان هذا الشعر ينطلق عن شهوة جشع، وعن اندفاع رجل يقف في ميدان الخصومة القبلية شاهراً لسانه. وأما شعره في الإسلام فكان يواكب حالة صعود.. كان تابعاً للحالة الإسلامية. ألا ترى اليوم فرقاً بين شاعر مناضل تلاحقه السلطات وشاعر يعمل موظفاً في وزارة الإعلام؟ كان حسان في كنف الدولة الإسلامية الناشئة موظفاً في مؤسسة كبيرة صاعدة ناجحة، وأما في الجاهلية فكان لسان الخزرج.

لا نفيض في هذا الأمر لأننا لا نحقق في نسبة ما بين أيدينا من شعر حسان إلى حسان إلا قليلاً. والموضوع عليه في الإسلام أكثر بكثير من الموضوع عليه في الجاهلية.

١ نبوءة

قال قبل فتح مكة، ويهجو شاعر قريش أبا سفيان بن الحارث:

عَدِمْنا خَيْلَنا إن لم تَرَوْها   تُثيرُ النَّقْعَ، مَوعِدُها كَدَاءُ

فلنفقد خيولنا ولنعدمها إن لم تروها يا أهل قريش قد جاءتكم وأخذت تثير النقع، أي الغبار، والموعد «كَداء» قرب مكة

يُنازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ   على أكتافِها الأَسَلُ الظِّمَاءُ

تحاول الخيول جذب الأعنة، أي المقاود أي الحبال التي بها تقاد، وهي مصغية، مائلة برؤوسها. وعلى أكتاف الخيول الأسل، أي الرماح، الظماء، أي العطشى.. والرمح الظامئ يكون قد أُتقن تجفيفه أثناء صنعه فهذا أخفّ له في يد الفارس، «وحميد من القناة الذبول» (وقال الشراح، ومنهم البرقوقي إن الرماح الظماء إنما هي عطشى لدماء أهل مكة، ولم نر ذلك)

تَـظَـلُّ جِـيَـادُنـا مُـتَـمَـطِّـراتٍ تُـلَـطِّـمُـهُـنَّ بِـالـخُـمُـرِ الـنـسـاءُ

عندما ستأتيكم خيولنا ستظل متمطرة، أي مسرعة، وستلطمها النساء في مكة على وجوهها بالخُمُر، جمع خمار أي غطاء الرأس، لمنعها من التقدم. قد تحقق ذلك بالفعل وتعجبوا من بصيرة حسان، قالوا كأنما أوحي إليه

فـإمَّـا تُـعْـرِضُـوا عـنَّـا اعْـتَـمَـرْنـا وكـان الـفـتـحُ وانـكـشـفَ الـغِـطـاءُ

إن تركتمونا اعتمرنا، وكان الفتح وانتهى الأمر. ألا تشير كلمة «الفتح» إلى أن البيت موضوع؟

وإلَّا فـاصـبِـرُوا لِـجِـلادِ يـومٍ يُـعِـزُّ الـلَّـه فـيـهِ مَـنْ يَـشـاءُ

وإلا فاصبروا لجلاد، مضاربة بالسيوف، في يوم سينصر الله فيه من يشاء

ألا أَبْـلِـغْ أبـا سُـفْـيـانَ عَـنِّـي فـأنـتَ مُـجَـوَّفٌ نَـخِـبٌ هَـوَاءُ

أبلغ هذا الشاعر القرشي بأنه مجوف نخب، والنخب هو المجوف أيضاً، وهواء.. أي أنه جبان لا قلب له في جوفه

فَـمَـنْ يـهـجُـو رسولَ الـلَّـهِ مـنـكُـمْ ويَـمْـدَحُـهُ ويَـنْـصُـرُهُ سَـواءُ

هَـجَـوْتَ مـحـمـداً فَـأجـبـتُ عـنـهُ وعـنـد الـلَّـهِ فـي ذاكَ الـجَـزَاءُ

أَتَـهْـجُـوهُ ولَـسْـتَ لـهُ بِـكُـفْءٍ فَـشَـرُّكُـمـا لِـخَـيْـرِكُـمـا الـفِـدَاءُ

كيف تهجو محمداً وأنت في المنزلة دونه؟ فليكن الشرير منكما فداء للخيّر

فَـإنَّ أَبـي ووالِـدَهِ وعِـرْضـي لِـعِـرْضِ مـحـمـدٍ مـنـكُـمْ وِقَـاءُ

أقي وأحمي محمداً بأبي وبوالد أبي وبعرضي

وسـوف يُـجِـيـبُـكُـمْ عَـنِّـي حُـسـامٌ يَـصُـوغُ الـمُـحْـكَـمَـاتِ كـمـا يَـشَـاءُ

وسيكون جوابي أيضاً بالسيف الذي يصوغ أبياتاً محكمة النسج، لكن من نوع آخر. البيت أورده «وليد عرفات» في الذيل؛ وجدَه في «المزهر»

لِـسـانـي صَـارِمٌ لا عـيْـبَ فـيـهِ وبَـحْـري لا تُـكَـدِّرُهُ الـدِّلاءُ

على أن لساني صارم أيضاً، وليس فيه تقصير، ومقدرتي الشعرية واسعة كالبحر الذي لا يتكدر ماؤه مهما انتشلت منه الدلاء، جمع دلو

٢ إنَّ خالي..

قال في يوم أحد، ويهجو عبد الله بن الزِّبَعْرَى الشاعر القرشي:

مَـنَـعَ الـنـومَ بِـالـعِـشـاءِ الـهُـمـومُ وخَـيـالٌ إذا تَـغُـورُ الـنـجـومُ

الهموم منعتني من النوم وقت العشاء، وخيال المحبوبة زارني فجراً عندما غارت، أي غابت، النجوم

شَأْنُها العِطْرُ والفِرَاشُ، ويَعْلُو هَا لُجَيْنٌ ولُؤْلُؤٌ منظومُ

المحبوبة مهتمة بعطرها وبفراشها الذي لا تغادره إلا متأخرة، لأنها من بنات النعمة، وأعلاها لجين، أي فضة: كأنما يصف نحرها فهي بيضاء يبدو أعلى صدرها كأنه الفضة، وعلى نحرها انتثرت لؤلؤات عقدها. كأنه تخيلها مستلقية على فراشها ذاك (الذي تحبه جداً، ولا تغادره إلا وقد ارتفع النهار) وعقدُها قد تعرج على صدرها

لو يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عليها لأَنْدَبَتْها الكُلُومُ

لو يمشي الحولي، أي النمل، من ولد الذر، والذر هو النمل الصغير، على جسمها لصنع فيه ندوباً وكلوماً، أي جروحاً، لفرط نعومتها

إنَّ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الجَوْ لانِ عندَ النُّعْمَانِ حينَ يَقُومُ

خال حسان، مسلمة بن مخلد، كان يغشى مجلس النعمان (نعمان الغساسنة لا المناذرة) بالجابية في الجولان بالشام وكان خطيب قومه والمتكلم باسمهم في مجلس الغساسنة

لا تَسُبَّنَّنِي فَلَسْتَ بِسِبِّي إنَّ سِبِّي مِنَ الرجالِ الكريمُ

لا تشتمني فلست سِبَّاً لي، لست مكافئاً لي، ومكافئي من الرجال الكريم، ولست به

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الما لِ، وجهلٍ غَطَّى عليهِ النَّعِيمُ

حكمة: قد يكونٌ الرجل حليماً ولكن فقره يغطي على هذه الخصلة، ورب جاهل متهور ستر خصلته الرديئة هذه ما عنده من مال

٣ الحرب دول

وقال يجيب ابن الزبعرى بعد أحد:

ولقد نِلْتُمْ ونِلْنَا مِنكُمُ وكذاكَ الحَرْبُ أحياناً دُوَلْ

هزمناكم أولاً ثم هزمتمونا، والحرب دول، أي مرة لك ومرة عليك

إذْ شَدَدْنا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَأْناكُمْ إلى سفحِ الجبلْ

شددنا عليكم وهجمنا فأجأناكم، أي جعلناكم تجيئون، إلى سفح الجبل

٤ تقتيل الأوس

نَهُزُّ القَنا في صُدورِ الكُمَا ةِ حتَّى نُكَسِّرَ أَعْوَادَها

نهز القنا، الرماح، في صدور الكماة، المسلحين، حتى تنكسر فيهم

وفي كلِّ يومٍ لنا غارةٌ على الأَوْسِ نَقْتُلُ آسَادَها

وفي كل يوم نغير على قبيلة الأوس، ونقتل أسودها، أي شجعانها. وحسان من الخزرج

٥ عندما ترقص الكأس

لــلّــهِ دَرُّ عِــصَــابَــةٍ نَــادَمْــتُــهُــمْ   يَــومـاً بِـجِـلَّـقَ فـي الـزمـانِ الأوَّلِ

لله در جماعة صحبتهم على الشراب نديماً لهم في جلق، قرب دمشق، في الزمن القديم

الـخـالِـطـونَ فـقـيـرَهُـمْ بِـغَـنِـيِّـهِـمْ   والمنعمونَ على الضعيفِ المُرْمِلِ

يترفق أغنياؤهم بفقرائهم ولا يعتزلونهم، وهؤلاء القوم ينعمون على الضعيف المرمل، أي الفقير الذي قعد على الرمل فاقداً حتى بساطه

أَوْلادُ جَـفْـنَـةَ عـنـد قـبـرِ أَبـيـهِـمُ   قـبـرِ ابنِ مَـارِيَـةَ الـكـريـمِ الـمـفْـضِـلِ

آل جفنة مقيمون عند قبر أبيهم، ابن مارية المشهورة وبها ضرب المثل، فهم مستقرون في نعيم ولا يرتحلون طلباً للعشب كالبدو الفقراء

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ «البَريصَ» عليْهِمُ   بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

ويسقون من يأتيهم في منطقة البريص ماء نهر بردى، لكن بعد أن يصفق، يمزج بالرحيق السلسل، الخمر اللينة على الحلق

يُـغْـشَـوْنَ حـتـى مـا تَـهِـرُّ كِـلابُـهُـمْ   لا يَـسـأَلـونَ عـنِ الـسَّـوَادِ الـمـقْـبِـلِ

يُزارون كثيراً حتى إن كلابهم ملت من الهرير، النباح، لاعتيادها الضيوف. وهم لا يسألون عن السواد المقبل، الجماعة الكبيرة من الناس، لا يسألون: من هؤلاء الضيوف؟ فالخير كثير

بِـيضُ الـوُجـوهِ كَـريـمَـةٌ أَحـسـابُـهُـمْ   شُـمُّ الأُنـوفِ مِـنَ الـطِّـرازِ الأوَّلِ

البياض صفة السؤدَد عند العرب، فهؤلاء بيض ذوو حسب طيب، وشامخون بأنوفهم وفيهم عزة، ومن الطراز الأول، أفضل الناس

ولقد شَرِبْتُ الـخـمرَ في حَانُوتِها   صَـهـبـاءَ صَـافـيـةً كَـطَـعْـمِ الـفُـلْـفُـلِ

يبدو أن حسان ذهب في دمشق إلى حانوت، خمارة، وشرب خمراً صهباء، شقراء، صافية، تلذع اللسان لذْع الفلفل

يَـسْـعَـى عَـلَـيَّ بِـكـأْسِـهـا مُـتَـنَـطِّـقٌ   ويُـعِـلُّـنـي مـنـهـا وإن لـم أَنْـهَـلِ

يقدمها ولد متنطق، يضع في خصره نطاقاً أي زناراً، وهو يعلني، يسقيني مجدداً، وإن لم أكن نهلت، أي شربت المرة الأولى.. والتفسير في البيت الذي يليه

إنَّ الـتـي نَـاولْـتَـنـي فَـرَدَدْتُـهـا   قُـتِـلَـتْ، قُـتِـلْـتَ، فَـهـاتِـهـا لـم تُـقْـتَـلِ

الكأس الأولى التي ناولتنيها رددتها عليك لأنها قد قتلت، مزجت بالماء، فقاتلك الله.. هات كأساً أخرى غير مقتولة.. دون مزجها بالماء

كِلتَاهُمَا حَلَبُ العَصِيرِ، فَعاطِنِي   بِـزُجَاجَـةٍ أَرْخَـاهُـمـا لِـلـمَـفْـصِـلِ

الخمر الممزوجة، والخمر غير الممزوجة كلتاهما من عصير العنب فعاطني، أعطني مرة بعد أخرى، بالزجاجة، أي الكأس، التي تسبب ارتخاء المفاصل أكثر من غيرها. ونقل البرقوقي عن أبي العلاء أن المفصل هو اللسان، فالساكر يرتخي لسانه. و«المِفْصَل» بمعنى اللسان مكسورة الميم مفتوحة الصاد، و«المَفْصِل» بمعنى الغضروف الفاصل الواصل بين العظام بعكسها تشكيلاً

بِزُجَاجَةٍ رَقَصَتْ بِمَا في قَعْرِها   رَقْصَ القَلُوصِ بِراكِبٍ مُستَعْجِلِ

اسقني الخمر بزجاجة، بكأس، تتحرك وترقص بالقليل الذي في قعرها، كما ترقص القلوص، تتمايل الناقة، وفوقها راكب مستعجل يحثها. والرقص نوع من سير الإبل، وعند العرب رقصت الإبل قبل أن يرقص البشر. هذا البيت من بدائع حسان

ولـقـد تُـقَـلِّـدُنـا الـعـشـيـرةُ أمـرَهـا   فـنُطِيقُ أمرَ الـمعْـضِـلاتِ ونَـعْـتَـلـي

يفتخر بقومه: العشيرة تقلدنا أمرها، تكلفنا بشؤونها، فنحتمل كبريات المشكلات ويسمو قدرنا ونسود

وتَـزُورُ أبـوابَ الـمـلـوكِ رِكـابُـنـا   ومتى نُـحَكَّـمْ في الـعـشـيرةِ نَـعْـدِلِ

وتزور إبلنا الملوك، فنحن الوسطاء بين قومنا وبين الدول ذوات الجيوش، ونحن عادلون في أحكامنا ضمن القبيلة

٦ لنا الجفنات الغر

وإِنَّا لَنَقْرِي الضيفَ إن جاءَ طارِقاً   مِنَ الشَّحْمِ ما أَمْسَى صَحيحاً مُسَلَّما

نقري الضيف، نطعمه، إن جاءنا طارقاً، والطارق هو الآتي ليلاً، ونطعمه شحم سنام الناقة التي ذبحناها سليمةً لا من مرض

إذا اغْبَرَّ آفَاقُ الـسـمـاءِ فأصبَحَتْ   كأنَّ عليها ثَوبَ عَصْبٍ مُسَهَّمَا. .

عندما يصبح الجو قاتماً بالغبار فالسماء داكنة تتخللها أشعة الشمس قليلاً راسمة خيوطاً فكأن السماء لبست ثوباً يمانيا مخططاً. .

حَسِبْتَ قُدورَ الـصَّـادِ حَوْلَ بُيُوتِنا   قَـنـابِلَ دُهْـمـاً في الـمَحَلَّةِ صُـيَّـمَـا

. . في هذا الجو الشتائي سترى حول بيوتنا قدور الصاد، النحاس الأصفر، وتحسبها قنابل دهماً، أي خيولاً قاتمة اللون، صُيَّماً، أي واقفة، حول بيوتنا

وَلَدْنَا بَني العَنقاءِ وابْنَيْ مُحَرِّقٍ   فَأَكْرِمْ بِـنا خَـالاً وأكرِمْ بِـنا ابْـنَـمـا

نحن أخوال بني العنقاء، وابني محرق (وهم ناس مشهورون بالسيادة والملك) فما أكرمنا أخوالاً وما أكرمنا أبناءً لآبائنا، والكرم هو الشرف والنسب العالي. وعابوا على حسان أنهم افتخر بمن وَلَدَت نساء قومه ولم يفتخر بآبائه، فالواجب في عرف نقاد الشعر أن يفتخر المرء بآبائه لا بأبنائه

نُسَوِّدُ ذا المالِ القليلِ إذا بَدَتْ مُرُوءَتُهُ فينا، وإن كان مُعْدِمَا

نجعل الفقير فينا سيداً إذا كان ذا مروءة، والمروءة أن ينهض المرء لنجدة الناس بهمة، والمعدِم: الفقير

لنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلمَعْنَ بِالضُّحَى وأَسيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

لنا الجفنات، أوعية الطعام، الغر البيض التي تلمع في شمس الضحى؛ هذا عن السخاء، فأما الشجاعة فإن أسيافنا تقطر من دم الأعداء عندما نهب لنجدة من يُعتدى عليه. وعابوا على حسان في هذا البيت أموراً عدة: قال «جفناتٍ» و«أسيافاً» وهما من جمع القلة. وللكثرة يقال جفان وسيوف. وجعل السيوف تقطر، فهذا دم قليل، ولم يجعلها تسيل بالدماء، وجعل الجفنات يلمعن في الضحى، وفي الضحى كل شيء يلمع، ألا جعلها تلمع في الدجى! هذا ما نسبه النقاد إلى النابغة الذبياني وإلى الخنساء، وهو من خرافات النقاد. ونحن نعيب على حسان أن جعل قصاع الطعام تلمع، فكأنها فارغة

٧ حلو تعتريه مرارة

قال يرد على قيس بن الخطيم:

لَعَمْرُ أَبيكِ الخَيْرِ يا «شَعْثُ» ما نَبَا عَلَيَّ لِساني في الخطوبِ ولا يَدي

يخاطب المحبوبة شعثاء: وحياة أبيك الطيب يا شعثاء ما انحرف ولا أخطأ لساني في المواقف الخطيرة، ولا انحرفت يدي وبها السيف

وإنْ أَكُ ذا مَالٍ كَثيرٍ أَجُدْ بِهِ وإن يُعْتَصَرْ عُودي على الجَهْدِ يُحْمَدِ

إن كانت موسراً فأنا أجود بالمال، وإن كنت قليل المال ثم أتى الفقراء واعتصروني رغم جهدي، أي قلة مالي، فهم ينالون شيئاً، ويحمدون هذا العود الذي اعتصروه

وأُعْمِلُ ذاتَ اللَّوْثِ حتى أَرُدَّهَا إذا حُطَّ عنها رَحْلُها لم تُقَيَّدِ

وأسيِّر ناقتي ذات اللوث، أي الشديدة، حتى أردها، أي أجعلها، إذا وصلتُ إلى الممدوح وأنزلتُ عنها حلسها، أي سرجها، حرة غير مقيدة.. ليس رأفة بها بل لأنها تكون متعبة لا تطيق حراكاً فلا حاجة إلى تقييدها

أُكَلِّفُها أن تُدْلِجَ اللَّيْلَ كلَّهُ تَروحُ إلى بابِ ابنِ سَلمى وتَغْتَدي

فأنا قد جشمتها أن تدلج، أن تسير الليل، حتى تروح، أي تصل.. والرواح هو الوصول ليلاً، والغدوّ الوصول صباحاً. وابن سلمى هو النعمان بن المنذر

تَزورُ امْرَأً أَعْطَى على الحَمْدِ مَالَهُ ومَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ المَحَامِدِ يُحْمَدِ

هذا امرؤ يعطي المال مقابل المدح، لذا فهو يستحق المدح

وإنِّي لَحُلْوٌ تَعتَرِيني مَرارَةٌ وإنِّي لَتَرَّاكٌ لما لم أُعَوَّدِ

أنا لين مع الناس، لكن تنتابني مرارة إذا ما ظلمني أحد. وأنا أبيٌّ لا أرضى بأمور لم أتعود عليها

فَلا تَعْجَلَنْ يا قيسُ، وارْبَعْ فإنَّما قُصاراكَ أنْ تُلْقَى بِكُلِّ مُهَنَّدِ

فلا تستعجل يا قيس بن الخطيم، واربع، قف مكانك، فمنتهاك وأقصى أمرك أن ترى سيوفنا أشهرت في وجهك

حسامٍ وأرماحٍ بِأيْدي أعِزَّةٍ مَتَى تَرَهُمْ يا ابْنَ الخَطيمِ تَبَلَّدِ

ترى السيوف والرماح بأيدي قوم ذي عز وقوة، تراهم فتتبلد ارتباكاً

لُيوثٍ لَدَى الأَشْبالِ تَحمي عَرينَها مَداعيسَ بِالخَطِّيِّ في كلِّ مَشْهَدِ

السلاح بأيدي أسود تقف عند أشبالها تحمي عرينها؛ ورجالنا هؤلاء مداعيس، طاعنون، بالخطي، بالرمح، في كل معترك

٨ سؤال، ولا جواب

فَلاقَيْناهُمُ مِنَّا بِجَمْعٍ كَأُسْدِ الغَابِ مِنْ مُرْدٍ وشِيبِ

المرد: الشباب لم تنبت لحاهم، والشيب: الكهول

فغَادَرْنا أبا جَهْلٍ صَريعاً وعُتْبَةَ قد تَرَكْنا بِالجَبُوبِ

فتركنا أبا جهل قتيلاً. وعتبة بن ربيعة تركناه مُلقىً بالجبوب، الأرض الوعرة، وذلك في معركة بدر

يُنَادِيهِمْ رسولُ اللَّهِ لما قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ في القَلِيبِ..

قُذفتْ جثث قتلى قريش كباكب في القليب، أي جماعات في البئر،
ووقف عليهم الرسول يسائلهم..

أَلم تَجِدُوا حَديثي كان حَقّاً وأَمْرَ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالقُلوبِ

يسائلهم الرسول قائلاً: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ أي من سوء العاقبة. فقيل: يا رسول الله، أتنادي جيفاً؟ قال: «ما أنتم بأسمعَ منهم، ولكنْ لا يجيبون»

فمَا نَطَقُوا، ولو نَطَقُوا لَقَالُوا: صَدقْتَ، وكنتَ ذا رأيٍ مُصيبِ

٩ عهد للرسول

فلما أَتَانا رسولُ الإلَـ ـهِ بِالنُّورِ والدِّينِ بعدَ الظُّلَمْ

رَكَنَّا إليهِ، ولم نَعْصِهِ غَداةَ أَتَانا مِنَ ارضِ الحَرَمْ

وقُلنا: صَدقْتَ بما جِئْتَنا هَلُمَّ إلينا، وفينا أَقِمْ

تعال إلينا، وعش بيننا

فَنادِ بِمَا كنتَ أخْفَيْتَهُ نِداءَ جِهاراً ولا تَكْتَتِمْ

فَإِنَّا وأولادَنا جُنَّةٌ نَقِيكَ، وفي مالِنا فاحْتَكِمْ

جُنَّة: وقاية

١٠ جبريل روَّاح بها غدَّاء

اللَّهُ أكرَمَنا بِنصرِ نَبِيِّهِ وبِنا أقامَ دعائمَ الإسلامِ

يَنْتَابُنا جِبريلُ في أبياتِنا بِفرائِضِ الإسلامِ والأحكامِ

يأتينا جبريل مرة بعد مرة في بيوتنا، بالآيات وفيها فرائض الإسلام وأحكامه

نحن الخِيارُ مِنَ البَرِيَّةِ كلِّها ونِظامُها وزِمامُ كلِّ زِمامِ

الخَائِضُو غَمَراتِ كلِّ مَنِيَّةٍ والضَامِنُونَ حَوادِثَ الأيَّامِ

نخوض غمرات الموت، مياهه العميقة، ونضمن السلامة لمن حولنا إذا ألمت بهم مصائب الدهر

١١ بالله عليكم أجيبوني!

وأَنْشُدُكُمْ، والبَغْيُ يَصْرَعُ أهلَهُ، إذا ما شِتاءُ المحْلِ هَبَّتْ زَعَازِعُهْ..

أسألكم، واصدُقوني، فالظلم يصرع أهله: إذا كان شتاءٌ وكان قحط، وهبت الزعازع، أي الريح التي تحرك الخيام وتزعزع الأشياء..

إذا مَا وَلِيدُ الحَيِّ لم يُسْقَ شَرْبَةً وضَنَّ عليهِ بِالصَّبوُحِ مَراضِعُهْ..

وإذا ما لم يجد الوليد في الحي ما يرضع، وبخلت عليه المرضعات بحليب الصباح لأن أثداءهن جفت من الجوع..

أَلَسْنا نَكُبُّ البُزْلَ وَسْطَ رِحالِنا ونَسْتَصْلِحُ المولَى إذا قلَّ رَافِعُهْ؟

أسألكم.. عندما تكون هذه هي الحال ألسنا ننحر البزل، أي الجمال الكبيرة التي برزت أسنانها، ونصلح من حال المولى، الجار المقيم بين ظهرانيْنا، إذا لم يجد من يرفعه ويعينه؟

وإن رَابَهُ أمرٌ وَقَتْهُ نفوسُنا وما نَالَنا مِنْ وَاسِعٍ فَهْوَ وَاسِعُهْ

وإذا رابه أمر، أخافه شيء، فنحن نحميه بأرواحنا؛ وكل ما ينالنا من سعة في العيش فهو مشاركنا فيه

وأَنْشُدُكُمْ، والبَغْيُ يَصْرَعُ أهلَهُ، إذا الخصمُ لم يُوجَدْ لهُ مَنْ يُقَارِعُهْ..

وأسألكم، واصدقوني الجواب، إذا لم يوجد للخصم من يقارعه ويتصدى له

أَلَسْنا نُوَازِيهِ بِجَمْعٍ كأنَّهُ   أَتِيٌّ أَمَدَّتْهُ بِلَيلٍ دَوَافِعُهْ . .

ألسنا نقف إزاءه بجمع من رجالنا كأنه الأتيُّ، أي السيل، الذي أمدته دوافعه، أي مجاريه، بالمياه الهاطلة طول الليل؟

١٢ ما أحببتُ حبي إياك

انْظُرْ خَلِيلي بِبابِ جِلَّقَ هَلْ   تُؤْنِسُ دونَ البَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ

انظر يا صاحبي وأنت بباب جلق، وهي دمشق أو مكان بقربها، هل تؤنس، تبصر، عند البلقاء أحداً؟ والبلقاء اليوم هي منطقة السلط في الأردن، وقال القدماء إنها موقع قرب دمشق

أَجْمَالَ شَعْثَاءَ قد هَبَطْنَ مِنَ الـ   ـمَحْبَسِ بينَ الكُثْبانِ فَالسَّنَدِ

هل ترى إبل قوم شعثاء وقد جاءت إلى هذا المكان الواقع بين هذين المكانين؟

يَحْمِلْنَ حُوّاً حُورَ المدَامِعِ في الرَّ   ـيْطِ، وبِيضَ الوُجُوهِ كَالبَرَدِ

تحمل الإبل نساء حُوّاً، سمر الشفاه، وحور المدامع، أي حور العيون، فسواد عيونهن صاف في بياض صاف، ويلبسن الريط، جمع ريطة وهي الملاءة أو الثوب الواسع، ووجوههن بيض كالبرَد

إِنِّي ورَبِّ المُخَيَّسَاتِ ومَا   يَقْطَعْنَ مِنْ كلِّ سَرْبَخٍ جَدَدِ..

يحلف: ورب المخيسات، أي النياق المذللة المروَّضة، ورب ما يقطعن من سربخ، أي أرض وعرة، وجدد، أي طريق ممهد. .

ما حُلْتُ عن خيرِ مَا عَهِدْتِ، ومَا   أَحْبَبْتُ حُبِّي إِيَّاكِ مِنْ أَحَدِ

والله ما حلتُ، تَحَوَّلْتُ، عن أفضل ما قد عرفتِه من طباعي، وما أحببت أحداً حبي إياك

تقولُ شَعثاءُ لو تُفيقُ مِنَ الـ   ـخَمْرِ لأُلْفِيتَ مُثْرِيَ العَدَدِ

تقول لي شعثاء: ليتك تترك الخمر كي تصبح غنياً. وكان الغنى يقاس بعدد ما يملكه المرء من جمال

أَهْوَى حديثَ النَّدْمانِ في فَلَقِ الصُّـ   ـبْحِ، وصوتَ المسَامِرِ الغَرِدِ

لكنني أهوى حديث الندمان، أي النديم صاحبي على الخمر، ونحن نشرب حتى بزوغ شمس الصباح، وأهوى صوت المسامر المغني

لا أَخْدِشُ الخَدْشَ بِالنَّديمِ، ولا   يَخْشَى نَديمِي إذا انْتَشَيْتُ يَدي

لا أؤذي نديمي ولا يخشى أن أعربد عليه إذا انتشيت، أي سكرت

١٣ الخلابيس

قال، وقد تهدده قوم وضربوه إثر حديث الإفك:

أَمْسَى الخَلابِيسُ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا　　وابْنُ الفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ

الخلابيس، اللئام الذين لا أصل لهم، أصبحوا أقوياء وكُثْراً؛ وغدا ابن الفريعة، أي حسان نفسه لأن الفريعة اسم أمه، بيضة البلد، أي كبيضة النعامة المتروكة في الصحراء

أمَّا قُريشٌ فإنِّي غيرُ تارِكِهِمْ　　حتَّى يُنيبُوا مِنَ الغَيَّاتِ لِلرَّشَدِ

وأما قريش فإنني لن أتركهم من كلامي القاسي إلى أن ينيبوا، يرجعوا عن غيهم، ويسلكوا طريق الرشد

ويَتْركُوا اللَّاتَ والعُزَّى بِمَعْزِلَةٍ　　ويَسْجُدُوا كلُّهُمْ لِلواحِدِ الصَّمَدِ

وحتى يتركوا عبادة الأصنام

١٤ أكيل السبع

وقال لعتيبة بن أبي لهب، وقد سُلِّط عليه الليث، وكان الرسول دعا الله أن يسلط عليه كلباً من كلابه:

أَسْلَمْتُمُوهُ وَهْوَ يَدعُوكُمُ　　بِالنَّسَبِ الأدنَى وبِالجَامِعِ

يعير أصحاب عتيبة: انخذلتم عنه وهو يناديكم ويناشدكم بالقرابة وما يجمعكم من أواصر

واللَّيثُ يَعلُوهُ بِأَنْيابِهِ　　مُنْعَفِراً وَسْطَ الدَّمِ النَّاقِعِ

والليث فوقه يمزقه بأنيابه، والرجل منعفر، ممرغ في التراب، وسط دمه الناقع، أي الطريّ

مَنْ يَرْجِعُ العامَ إلى أهلِهِ　　فَما أكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ

سيرجع كل إلى أهله، فأما الذي أكله السبع فلن يرجع

١٥ تناولْ سُهيلاً

أَهَاجَكَ بِالبَيْدَاءِ رَسْمُ المَنَازِلِ؟　　نعمْ، قد عَفَاها كلُّ أَسْحَمَ هَاطِلِ

هل حرك مشاعرك في الصحراء بقايا منازل الأحبة؟ حقاً. وقد عفاها، أي مسح أثرها، كل سحاب أسحم، مسود، هاطل بالمطر

دِيارُ التي رَاقَ الفُؤادَ دَلالُها　　وعَزَّ علينا أن تَجُودَ بِنائِلِ

هذه ديار التي أحب القلب دلالها، وصعب علينا نيل شيء منها

تَناوَلْ سُهيْلاً في السماءِ فإنَّهُ   ستُدْرِكُنا إن نِلْتَهُ بالأَنامِلِ

يفتخر: مدَّ يدك كي تتناول نجم سهيل، فإنك ستدرك مجدنا إن استطعت نيل النجم بأصابعك.
يقول: مستحيل أن تلحق بنا في مضمار المجد

أَلَسْنا بِحَلَّالِينَ أَرْضَ عَدُوِّنا   تَأَرَّ قليلاً سَلْ بِنَا في القَبائِلِ

ألسنا ننزل وننصب خيامنا في أرض العدو غير مبالين به فترعى إبلنا حيث شئنا؟ تأرَّ يا هذا، أي انظر وتمهل، واسأل عنا في قبائل العرب لتعرف قدرنا

وإنِّي لَسَهْلٌ للصَّديقِ وإنَّني   لأَعدِلُ رأسَ الأَصْعَرِ المُتَمايِلِ

ألين لصديقي، ولكنني أعاند الأصعر الرأس، المتكبر الذي يميل برأسه كبراً

وأَجعلُ مَالِي دونَ عِرْضِي وِقَايَةً   وأَحْجُبُهُ كي لا يَطيبَ لِآكِلِ

أنا كريم أحفظ عرضي من الذم ببذل المال، وأحجب عرضي بسخائي حتى لا ينهشه أحد

وأيُّ جديدٍ ليس يُدْرِكُهِ البِلَى   وأيُّ نَعيمٍ ليس يوماً بِزائِلِ

البلى: الاهتراء

١٦ وارث اللؤم

قال يهجو الحارث بن هشام:

أَجْمَعْتُ أَنَّكَ أنتَ أَلْأَمُ مَنْ مَشَى   في فُحْشِ مُومِسَةٍ وزَهْوِ غُرابِ

ألأم من مشى: أي ألأم البشر، الزهو: التكبر

واللُّؤْمُ مِنكَ وِراثَةٌ مَعْلومَةٌ   هَيهاتَ مِنْكَ مَكارِمُ الأَنْسابِ

١٧ البغال والعصافير

وقال يهجو بني عبد المدان:

لا بَأْسَ بِالقَوْمِ مِنْ طولٍ ومِنْ عِظَمٍ:   جِسْمُ البِغالِ وأَحْلامُ العَصافيرِ

أحلام: عقول

كأَنَّهُمْ قَصَبٌ جُوفٌ أَسَافِلُهُ   مُثَقَّبٌ فيه أرواحُ الأَعاصِيرِ

وهم مثل القصب المجوف، تنظر في أسفله فتراه مثقوباً، وتدخل فيه الأرواح، أي الريح. كأنَّ حساناً تخيل قصبة الزمار التي تراها من أسفل وهو يزمر فتجدها مجوفة، ويدخل فيها الهواء فيصفر. ووصْف شخص بأنه مجوف يعني أنه بغير قلب، كناية عن الجبن. وقد جعلت العرب الشجاعة في القلب

١٨ مَنظَر ومَخبَر

وكان مدح بني عبد المدان قائلاً:

وقـد كُـنَّـا نـقـولُ إذا رأيْـنـا   لِـذي جِـسْـمٍ يُـعَـدُّ وذي بَـيـانِ

كـأنَّـكَ أيُّـهـا الـمـعْـطَـى بَـيـانـاً   وجِـسْـمـاً مِـنْ بَـنـي عـبـدِ الـمـدَانِ

١٩ ليس الكريم على القنا بمحرم

لَعَمْرُكَ مَا الـمُـعْـتَـرُّ يَأتِي بلادَنا   لِـنَـمْـنَـعَـهُ بِـالـضَّـائِـعِ الـمُـتَـهَـضَّـمِ

وحياتِك لا يكون المعتر، اللاجئ الملتصق بنا، الذي يأتي بلادنا كي نمنعه، أي نحميه، ضائعاً ولا متهضَّماً، مظلوماً

وما ضـيـفُـنـا عـنـد الـقِـرَى بِـمُـدَفَّـعٍ   ولا جـارُنـا فـي الـنـائـبـاتِ بِـمُـسْـلَـمِ

وضيفنا لا نمنعه من القرى، الطعام، وجارنا، أي المستجير بنا، لا نُسْلمه، لا نتخلى عنه، عندما تحل به النائبات والمصائب

وما السـيِّدُ الجبَّارُ، حينَ يُريدُنا   بِـكَـيْـدٍ، عـلـى أرْمـاحِـنـا بِـمُـحَـرَّمِ

والجبار الذي يريد لنا الشر ليس محرماً على رماحنا، بل هو حلال لنا

نُبيحُ الحِمَى ذِي العِزِّ حينَ نُريدُهُ   ونَحْمي حِمانا بِالوَشيجِ المُقَوَّمِ

نستبيح الأرض المحمية من قوم ذوي عز وقوة إذا أردنا ذلك، ونحمي أرضنا من أن يحل بها ويرعاها غيرنا بالوشيج المقوم، أي بالرماح المستقيمة المثقفة

وتَلقَى على أبْيَاتِنا حينَ تَجْتَدي   مَـجَـالِـسَ فـيـهـا كـلُّ كَـهْـلٍ مُـعَـمَّـمِ

وتلقى في منازلنا، حين تجتدي، تطلب ذلك، مجالس فيها الكهول المعممون الحكماء

رَفيعِ عِمَادِ البيتِ يَسْتُرُ عِرْضَهُ   مِنَ الذَّمِّ مَيْمُونِ النَّقِيبَةِ خِضْرِمِ

وكل واحد من هؤلاء الكهول له بيت رفيع العماد، خيمة عمودها عال كناية عن كبرها، وهو يحمي شرفه، وهو ميمون النقيبة، نقي النفس، خضرم، متدفق بالعطاء

جَوادٍ عـلـى الـعِـلَّاتِ رَحْـبٍ فِـنـاؤُهُ   إذا سُئِلَ المَعروفَ لـم يَـتَـجَـهَّـمِ

وهو يجود بماله على العلات، أي رغم ضيق الحال، وساحته واسعة للضيوف، ولا يتجهم، ينبقبض ويكشر، إذا سئل

٢٠ الجنيَّة

قـد أدرَكَ الـواشُـونَ مـا حَـاوَلُـوا   فـالـحَـبْـلُ مِـنْ شَـعْـثَـاءَ رَثُّ الـزِّمَـامْ

حقق الوشاة هدفهم، فعلاقتي بشعثاء صارت حبلاً مهترئاً

جِـنِّـيَّـةٌ أَرَّقَـنـي طَـيْـفُـهـا   يَـذهَـبُ صُبْـحـاً ويُـرَى فـي الـمَـنـامْ

هي جميلة كأنها من الجن لا من البشر، ويأتيني طيفها نائماً ويذهب صباحاً

٢١ لا أسرق الشعر

إنَّ الـحَـوادِثَ لا تُـضَـعْـضِـعُـنـي   إذْ لا يَـضـيـقُ بِـحـاجَـتـي صَـدْري

لا تزعزعني المصائب، وأحتفظ بهمي لنفسي لصلابتي

لا أَسْـرِقُ الـشُّـعَـراءَ مـا نَـطَـقُـوا   إذْ لا يُـخَـالِـطُ شِـعْـرَهُـمْ شِـعْـري

مبدع أنا في الشعر لا أُلمُّ بمعاني الآخرين ولا أسرق أبياتهم، فشعري متفرد لا يشبه شعر أحد

٢٢ نحن أَوْلى

قال يحتج على أن قدَّم النبي بني سليم يوم الفتح:

عَـلامَ تُـدْعَـى سُـلَـيْـمٌ وَهْـيَ نَـازِحَـةٌ   أَمَـامَ قـومٍ هُـمُ آوَوْا وهُـمْ نَـصَـرُوا

لماذا يؤتى بقبيلة سُليم، وهي بعيدة، ويتم تقديمها على الأنصار الذين لهم شرف إيواء النبي والمهاجرين ونصرهم

نُـجَـالِدُ الـنـاسَ لا نُـبْـقِـي عـلـى أحدٍ   وَلَّـى، ونَـتْـبَـعُ مَـا تُـوحـي بِـهِ الـسُّـوَرُ

نحن نجالد الناس، نضاربهم بالسيوف، ونلحق من ولى وهرب، ونتبع ما أنزله الوحي من سور القرآن

٢٣ خير الخلق

واللَّهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى ولا وَضَعَتْ   مِـثْـلَ الـنبيِّ رَسولِ الرحمةِ الـهَـادي

ولا مَشى فوق ظَهْرِ الأرضِ مِنْ أحدٍ   أَوْفَـى بِـذِمَّـةِ جـارٍ أو بِـمِـيـعَـادِ

٢٤ رثاء النبي

مـا بَـالُ عَـيْـنِـيَ لا تَـنـامُ كـأنَّـمـا   كُـحِـلَـتْ مِـآقِـيـهـا بِـكُـحْـلِ الأَرْمَـدِ

لا تنام عيني كأن مآقيها، أطرافها حيث تجري الدموع، مكحولة بالكحل الذي يوضع في عين الأرمد، المصاب بالرمد

جَـزَعـاً عـلـى الـمَـهْـدِيِّ أَصـبـحَ ثَـاوِيـاً   يـا خـيـرَ مَـنْ وَطِـئَ الـحَـصَـا لا تَـبْـعَـدِ

هذا من جزعي، حزني، على النبي المهديِّ بهداية ربه، الذي أصبح ثاوياً، مقيماً في قبر. فيا خير من وطئ الحصى، أي يا خير البشر، لا تبعد (و«لا تبعد» كلمة تقال للميت، بمعنى لا أبعد الله ذكرك)

والـلَّـهِ أَسْمَعُ ما بَقِيتُ بِهالِكٍ   إِلَّا بَكَيْتُ على النبيِّ محمَّدِ

والله «لا» أسمع بعد اليوم بموت شخص إلا تذكرت النبي فبكيت عليه

فَرِحَتْ نَصارَى يَثْرِبٍ ويَهُودُها   لـمَّا تَوارَى في سواءِ المَلْحَدِ

فرحوا عندما ووري النبي في سواء الملحد، وسط القبر

٢٥ رثاء أبي بكر

إذا تَذَكَّرْتَ شَجْواً مِنْ أخي ثِقَةٍ   فَاذْكُرْ أخاكَ أبا بَكْرٍ بِمَا فَعَلا

إذا تذكرت شجواً، شيئاً يحزنك، من شخص كان ذا ثقة فاذكر أبا بكر الصديق

خَيْرُ البَرِيَّةِ أَتْقَاها وأَعْدَلُها   بعدَ النبيِّ وأَوْفَاها بِمَا حَمَلا

أحسن الناس بعد النبي، وقد حمل العبء وأنجز

عاشَ حَميداً لِأَمْرِ اللَّهِ مُتَّبِعاً   بِهَدْيِ صَاحِبِهِ المَاضي وما انْتَقَلا

اتبع أمر الله ولم يتحول عن عهد صاحبه الماضي، الرسول

وكانَ حِبَّ رَسولِ اللَّهِ قد عَلِمُوا،   مِنَ البَرِيَّةِ لم يَعْدِلْ بهِ رَجُلا

كان حِب الرسول، حبيبه، ولم يكن الرسول يجد من كل البرية، أي البشر، أحداً يساوي أبا بكر

٢٦ رثاء عمر

وفَجَّعَنا فَيْرُوزُ لا دَرَّ دَرُّهُ   بِأَبْيَضَ يَتْلُو المُحْكَماتِ مُنِيبِ

فجَعَنا فيروز، قاتل عمر، بهذا السيد الأبيض، والبياض عندهم من علامات السؤدَد، الذي كان يتلو المحكمات، أي الآيات، وكان منيباً، راجعاً في شؤونه لله

رَؤُوفٍ على الأَدْنَى، غَليظٍ على العِدا   أَخي ثِقَةٍ في النَّائِباتِ نَجيبِ

رحيم على القريب، وشديد على العدو، ويوثق به، ولا سيما عند حلول المصائب

متى ما يَقُلْ لا يَكْذِبُ القَوْلَ فِعْلُهُ   سَريعٍ إلى الخيْراتِ غَيْرِ قَطُوبِ

يقول فلا يخالف فعله قوله، وسريع إلى الخير، وليس متجهماً ولا مكشراً

مُطيعٍ لِأَمرِ اللَّهِ بِالحقِّ عَارِفٍ   بَعيدُ الأنامِ عندَهُ كَقَريبِ

٢٧ الموقف من قتل عثمان

إنْ تُمْسِ دَارُ بَني عُثْمَانَ خَالِيَةً   بابٌ صَريعٌ وبابٌ مُحْرَقٌ خَرِبُ. .

لئن أمست دار الخليفة عثمان خالية بعد مقتله، لها باب صريع، مطروح أرضاً، وباب محترق. .

فقد يُصَادِفُ بَاغِي الخيرِ حاجَتَهُ فيها، ويأْوِي إليها العُرْفُ والحَسَبُ

فقد كان طالب المعروف يلقى في هذه الدار حاجته، وكان يسكن هذه الدار العرف، المعروف، والحسب، الشرف العالي

يا أيُّها الناسُ أَبْدُوا ذاتَ أَنْفُسِكُمْ لا يَسْتَوِي الصِّدقُ عند اللّهِ والكَذِبُ

أيها الناس أفصحوا عن موقفكم بشأن مقتل عثمان، ولا تقفوا في الوسط. وكان كثيرون من الصحابة اتخذوا هذا الموقف الوسط: لم يحموا عثمان، ولم يناصروا قاتليه

٢٨ رثاء عثمان

قَتَلْتُمْ وَلِيَّ اللَّهِ في جَوْفِ دَارِهِ وجِئْتُمْ بِأَمْرٍ جَائِرٍ غيرِ مُهْتَدِ

فَهلَّا رَعَيْتُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَسْطَكُمْ وأَوْفَيْتُمْ بِالعهدِ عهدِ محمَّدِ

٢٩ قتلة عثمان

يا قَاتَلَ اللَّهُ قَوْماً كانَ شَأْنُهُمُ قَتْلَ الإِمَامِ الأَمينِ المُسلِمِ الفَطِنِ

ما قَتَلُوهُ على ذَنْبٍ أَلَمَّ بِهِ إِلَّا الذي نَطَقُوا إِفْكاً، ولم يَكُنِ

لم يقتلوه لذنب ارتكبه، بل قالوا عليه الإفك، الكذب، الذي لم يكن، لم يحدث

٣٠ الغدر بعثمان

أَتَرَكْتُمُوهُ مُفْرَداً بِمَضِيعَةٍ تَنْتَابُهُ الغَوغَاءُ في الأَمْصَارِ

أتركتموه وحده ضائعاً، أيها الصحابة (الذين لم يتخذوا موقفاً حازماً) تنتابه، وتتوالى عليه غوغاء الأمصار؟ فقتلة عثمان جاءوا من الأمصار المفتوحة ولا سيما مصر، وليسوا من أهل المدينة

لَهْفَانَ يَدعُو، غائِباً، أنصارَهُ يا وَيْحَكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ

تركتموه ملهوفاً يدعو أنصاره وهم غائبون عن نصرته، فالويل لكم يا معشر الأنصار

جِيرانُهُ الأَدْنَوْنَ حولَ بُيوتِهِ غَدَرُوا ورَبِّ البيتِ ذي الأَسْتَارِ

الساكنون قريباً منه غدروا به ورب الكعبة ذات الأستار. وكان قتلته تسللوا إلى دار عثمان من البيوت المجاورة

لا يَحْسَبَنَّ المُرْجِفُونَ بِأَنَّهُمْ لن يُطْلَبُوا بِدِماءِ أهلِ الدَّارِ

لا يظنَّنَّ المرجفون، ناشرو الفتنة، بأنه لن ينالهم أذى عندما يثأر الثائرون بدم أهل الدار، أي دار عثمان التي بها قتل

٣١ الله أكبر يا ثارات عثمانا

وقد رَضِيتُ بِأَهْلِ الشَّامِ زَافِرَةً وبِالأَميرِ وبِالإِخْوانِ إِخْوانا

رضيتُ بأهل الشام المطالبين بالثأر لعثمان زافرة، أعواناً، ورضيت بأميرهم، معاوية، ورضيتهم إخواناً لي. وكان النبي عندما آخى بين المهاجرين والأنصار جعل حسَّاناً أخاً لعثمانَ

إنِّي لَمِنْهُمْ وإن غَابُوا وإن شَهِدُوا حتى المَمَاتِ وما سُمِّيتُ حَسَّانا

هم غابوا أم حضروا، وحتى الممات، وما دام اسمي حساناً

صَبْراً فِدَىً لَكُمُ أُمِّي ومَا وَلَدَتْ قد ينفعُ الصبرُ في المَكْرُوهِ أحيانا

فاصبروا يا أهل الشام على هذه المصيبة

يا ليتَ شِعْرِي وليتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُني ما كان شَأْنُ عَلِيٍّ وابْنِ عَفَّانا

ليتني أعرف، وليت الطير تخبرني، والطير عند العرب تبشر وتنذر، ما الذي كان من عداوة بين علي وعثمان بن عفان حتى لا يتقدم علي لنصرته؟

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنوانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسبِيحاً وقُرْآنا

قد ضحى القتلة بشيخ أشمط، اختلط سواد شعره ببياضه، وفي وجهه أثر من السجود، ويقطع ليلة بالتسبيح وتلاوة القرآن

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكاً في دِيارِهِمُ اللَّهُ أَكبرُ يا ثاراتِ عُثْمَانا

ستسمع قريباً في ديار القتلة صراخ طالبي الثار

٣٢ التنصُّل

حَصَانٌ رَزَانٌ لا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ

عائشة امرأة حصان، عفيفة، رزان، وقور رزينة، لا تزن بريبة، لا تتهم بتهمة، وهي غرثى، جائعة من لحوم النساء الغافلات، أي لا تأكل لحم الغائبات، أي لا تغتاب الناس

فإنْ كنتُ قد قلتُ الذي قد زَعَمْتُمُ فلا رَفَعَتْ سَوطِي إِلَيَّ أنامِلي

فإن كنت قد قلت فيها شراً كما تزعمون فشَلَّتْ يدي ولم تستطع أناملي الإمساك بالسوط

٣٣ تقريع تميم

قال، وقد علم أن تميماً أتوا الرسول وأنشد شاعرهم بحضرته يفاخر:

مَنَعْنا رسولَ اللَّهِ إذ حَلَّ وَسْطَنا   على أنفِ راضٍ مِنْ مَعَدٍّ وراغِمِ

منعنا، حمينا، الرسول رغم أنف الراضي والراغم، الرافض، من قبائل معد (عرب الشمال)، وتميم التي جاء وفدها إلى المدينة من أكبر قبائل مَعَدّ

مَنَعْناهُ لَمَّا حَلَّ وَسْطَ بُيوتِنا   بِأسيافِنا مِنْ كلِّ باغٍ وظَالِمِ

جَعَلْنا بَنينا دُونَهُ وبَناتِنا   وطِبْنا له نَفْساً بِفَيْءِ المَغانِمِ

حميناه بأولادنا وبناتنا، وطابت نفوسنا باقتطاع النبي جزءاً من الفيء، المكسوب بغير حرب من المغانم

ونحن ضَربْنا الناسَ، حتى تَتابَعُوا   على دِينِهِ، بِالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ

ضربنا الناس بالسيوف المرهفة، الحادة، الصوارم، القاطعة، حتى دخلوا في الإسلام قبيلاً بعد قبيل

ونحن وَلَدْنا مِنْ قُرَيْشٍ كَريمَها   وَلَدْنا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ آلِ هَاشِمِ

وذلك أن أم جد الرسول، عبد المطلب، من بني النجار من الخزرج. فكان يقال ـ على بعد الشقة ـ إن الأنصار أخوال النبي

هلِ المَجْدُ إلَّا السُّؤْدَدُ العَوْدُ والنَّدَى   وجَاهُ المُلوكِ واحتِمَالُ العَظائِمِ

هل المجد إلا السؤدَد العود، القديم، والكرم، وتحصيل الجاه والمرتبة عند الملوك، والقيام بالواجب الثقيل؟

لنا المُلْكُ في الإشْراكِ والسَّبْقُ في الهُدَى   ونَصْرُ النَّبِيِّ واقتِنَاءُ المَكارِمِ

لنا الملك في الجاهلية أيام الشرك، ولنا السبق إلى الإسلام، ونصر النبي، واقتناء، حيازة، المكارم

بَني دَارِمٍ لا تَفْخَرُوا إنَّ فَخْرَكُمْ   يَعُودُ وَبالاً عندَ ذِكْرِ القَمَاقِمِ

يا بني دارم، من تميم، لا تفخروا، ففخركم يعود عليكم وبالاً، مكروهاً، عندما تذكر القماقم، السادة الأشراف

هُبِلْتُمْ! عَلَيْنا تَفخَرُون وأَنْتُمُ   لَنا خَوَلٌ مِنْ بَيْنِ ظِئْرٍ وخَادِمِ

هبلتم، ثُكِلتم! أتفخرون علينا وأنتم خول لنا، أتباع، فمنكم الظئر، أي المرضع المأجورة، ومنكم الخادم

٣٤ الذوائب من فهر

قال في التعريض بتميم وقد وفدوا على الرسول وفاخره شاعرهم الزبرقان بن بدر:

إنَّ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتَهُمْ ... قد بَيَّنُوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ

إن الذوائب، الأعالي، من فهر، جد قريش، وإخوتهم الأنصار قد بينوا سنة، أي طريقة، يتبعها الناس

قومٌ إذا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حَاوَلُوا النَّفْعَ في أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

حاولوا: سعوا، الأشياع: الحلفاء

سَجِيَّةٌ تلكَ منهُمْ غيرُ مُحْدَثَةٍ ... إنَّ الخَلائِقَ، فاعْلَمْ، شَرُّهَا البِدَعُ

ونفع الصديق والإضرار بالعدو سجية، طبع، قديم فيهم. والخلائق، أي الطباع، شرها ما كان جديداً

إنْ كان في الناسِ سَبَّاقُونَ قَبْلَهُمْ ... فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

إن كان قد سبقهم ناس في الماضي، فكل سبق للمكارم لا يقاس بأدنى سبقهم

لا يَرْقَعُ الناسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ ... عند الدِّفَاعِ ولا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا

لا يرقع الناس ما تهتك أكفهم في مواقف الدفاع عن الشرف، ولا يوهون، لا يضعضون، ما يرقعون. يقول: إذا أنزلوا الضرر بقوم فلا قومة لهم منه، وإذا نصروا قوماً فلا يضعفهم أحد

لا يَجْهَلُون وإن حاولتَ جَهْلَهُمُ ... في فَضْلِ أحلامِهِمْ عن ذاكَ مُتَّسَعُ

أبناء فهر وإخوتهم الأنصار لا يجهلون، لا يتهورون، مهما سعيت في حملهم على التهور، ففي أحلامهم، عقولهم، سعة تقيهم التهور

كم مِنْ مُوالٍ لَهُمْ نَالُوا كَرامَتَهُ ... ومِنْ عَدُوٍّ عليْهِمْ جَاهِدٍ جَدَعُوا

ينالون التكريم من الموالين لهم، ويجدعون أنف عدوهم الجاهد، الدائب في العداوة

خُذْ مِنْهُمُ ما أَتَوْا عَفْواً إذا غَضِبُوا ... ولا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا

إذا غضبوا فعليك أن تأخذ منهم عفواً، ما يسمحون به، ولا تطمح إلى نيل ما منعوكه

لا فَخْرَ إنْ هُمْ أَصابُوا مِنْ عَدُوِّهِمُ ... وإنْ أُصِيبُوا فَلَا خُوْرٌ ولا جُزُعُ

لا يفخرون بالنصر على عدوهم، فهذا مألوف، وإن أصيبوا فليسوا خُوراً، ضعفاء، ولا جازعين، مرتبكين

كأَنَّهُمْ في الوَغَى والموتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بِبَيْشَةَ في أَرْسَاغِها فَدَعُ

كأنهم في الحرب، والموت مكتنع، قريب، أسود في مأسدة بيشة المشهورة، في مفاصلها فدع، اعوجاج

أَعْطَوْا نَبِيَّ الهُدَى والبِرِّ طَاعَتَهُمْ فمَا وَنَى نَصْرُهُمْ عنهُ وما نَزَعُوا

المهاجرون والأنصار أطاعوا النبي، وما ونى، أي ما فتر ولا توانى، نصرهم له، وما نزعوا، أي ما أقلعوا، عن نصره

إنْ قَالَ سِيرُوا أَجَدُّوا السَّيْرَ جَهْدَهُمْ وقَال عُوجُوا علينا سَاعةً رَبَعُوا

إن قال لهم سيروا إلى الأعداء ساروا بهمة، وإن قال لهم عوجوا، ميلوا إلى ناحية بعض الوقت، ربعوا، أي أقاموا

ما زالَ سَيْرُهُمْ حتى اسْتَقَادَ لَهُمْ أَهْلُ الصَّلِيبِ ومَنْ كانتْ له البِيَعُ

يواصلون السير حتى يستقيد لهم، يخضع لهم، المسيحيون. والبيع: الكنائس الصغيرة

أَكْرِمْ بِقَوْمِ رسولُ اللَّهِ قَائِدُهُمْ إذا تَفَرَّقَتِ الأَهْواءُ والشِّيَعُ

ما أكرم القوم الذين يقودهم رسول الله في وقت تتفرق فيه أهواء الناس وتحالفاتهم

أَهْدَى لَهُمْ مِدَحِي قلبٌ يُؤَازِرُهُ فيما يُحِبُّ لِسانٌ حَائِكٌ صَنَعُ

أهدَى لهم مدائحي قلبي الذي يؤازره ويساعده في رغباته لسان حائك للقصيد صَنَع، أي متقِن لصناعته

٣٥ القدوم على بدر

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ المَاذِيِّ يَقْدُمُهُمْ جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رِعْدِيدِ

مضوا إلى بدر مستشعري حلق الماذي، لابسين الدروع الماذية البيض شعاراً أي على جلودهم، فالشعار هو الفانيلا التي تلبسها على اللحم، وفي مقدمتهم الرسول وهو جلد النحيزة، أي قوي الطبيعة، وغير رعديد، غير جبان

أَعْنِي الرَّسُولَ، فإنَّ اللَّهَ فضَّلَهُ على البَرِيَّةِ بِالتَّقْوَى وبِالجُودِ

وقد زَعَمْتُمْ بِأَنْ تَحْمُوا ذِمَارَكُمْ ومَاءُ بَدْرٍ زَعَمْتُمْ غيرُ مَوْرُودِ

زعمتم يا قريش أنكم تحمون ذماركم، شرفكم، وزعمتم أننا لن نرد ماء بدر

ثُمَّ وَرَدْنَاهُ لم نسمعْ لِقَوْلِكُمْ حتى شَرِبْنا رَوَاءً غيرَ تَصْرِيدِ

فقد وردنا، وشربنا حتى الري، وبلا تصريد، والتصريد هو الشرب القليل

فِينا الرسولُ وفِينا الحقُّ نَتْبَعُهُ حتى المماتِ، ونَصْرٌ غيرُ مَحدودِ

غير محدود: غير ممتنع علينا

مُبَارَكٌ، كَضِياءِ البدرِ صُورَتُهُ، ما قالَ كانَ قَضاءً غَيْرَ مَرْدُودِ

مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غيرِ مُنْجَذِمٍ مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حبالِ اللّهِ مَمْدُودِ

نستعصم، نحتمي، بحبل التقوى غير المنجذم، غير المقطوع، والمستحكم، المحكم الفتل، وقد مده لنا الله

٣٦ اللين الشديد

قال يمدح سعد بن زيد الأشهلي:

إذا أَرَدْتَ الـلَّـيِّـنَ الأشَـدَّا

مِـنَ الـرِّجـالِ فـعَـلَـيْـكَ سَـعْـدَا

لـيـس يَـرى مِـنْ ضَـرْبِ كَـبْشٍ بُـدَّا

الكبش: البطل

٣٧ في مدح المهاجرين

أَقامُوا عَمُودَ الدِّينِ حتى تَمَكَّنَتْ قـواعـدُهُ بِـالـمُـرْهَـفَـاتِ الـبَـواتِـرِ

المرهفات: السيوف الحادة، البواتر: القاطعة

هُـمُ عَـقَـدُوا لـلّـهِ ثـم وَفَـوْا لـهُ بِـمَـا ضَـاقَ عـنـهُ كـلُّ بَـادٍ وحَـاضِـرِ

عاهدوا الله ووفوا بوعدهم متجشمين صعاباً يضيق عنها البادي والحاضر، البدو والحضر

٣٨ هجاء هوازن

أَبْـلِـغْ هَـوَازِنَ أَعْـلاهـا وأَسْـفَـلَـهـا أنْ لَـسـتُ هَـاجِـيَـهـا إلَّا بِـمـا فـيـهـا

أبلغ قبيلة هوازن، أبلغ «عليا هوازن» و«عَجُزَ هوازن» معاً، أنني لن أهجوهم إلا بما فيهم من ذميم الخصال

قـبـيـلـةٌ أَلأَمُ الأحـيـاءِ أكـرَمُـهـا وأَغْـدَرُ الـنـاسِ بـالـجـيـرانِ وافـيـهـا

أكرم من في هوازن هو ألأم البشر، وأوفاهم أكثر الناس غدراً بالجيران، أي المستجيرين بهم

وشَرُّ مَنْ يَحْضُرُ الأَمْصَارَ حَاضِرُهُمْ وشَـرُّ بَـادِيَـةِ الأَعْـرابِ بَـادِيـهـا

أسوأ من يأتي الحواضر، المدن، من يأتون من هوازن؛ وباديهم، الساكن البادية، هو شر الأعراب

تَـبْـلَـى عِـظَـامُـهُـمُ إمَّـا هُـمُ دُفِـنـوا تَحت الترابِ ولا تَفْنَى مَخازِيها

إن دفنوا وبليت عظامهم فإن مخازيهم لا تفنى

كأنَّ أَسْنَانَهُمْ مِنْ خُبثِ طِعْمَتِهِمْ   أَظْفارُ خَاتِنَةٍ كَلَّتْ مَواسِيها

أسنانهم ـ لقذارة ما يأكلون من ضب ونحوه ـ تشبه أظفار الخاتنة التي كلت مواسيها، تثلمت سكاكين الختان التي تقص بها ذلك الشي من البنت، فاستعملت أظفارها في الختان. تريد أن تقول لي إنك سمعت تشبيهاً أخبث من هذا؟

٣٩ نصرنا وآوينا

بَنَى العِزُّ بَيْتاً فاستقَرَّتْ عِمَادُهُ   علينا، وأعيَا الناسَ أنْ يَتَحَوَّلا

العز بنى بيتاً، خيمة، فاستقر عمود الخيمة عندنا، وأتعب الناس وهم يحاولون نقله فلم ينتقل من عندنا

وإنَّكَ لن تَلقَى مِنَ الناسِ مَعشراً   أعزَّ مِنَ الأنصارِ عِزّاً وأفْضَلا

لَنا حَرَّةٌ مَأْطُورَةٌ بِجِبالِها   بَنَى العِزُّ فيها بَيْتَهُ فَتَأَهَّلا

لنا حرة، منطقة الحرَّة ذات الحجارة السود قرب المدينة، مأطورة، أي محاطة، بجبالها، وفيها بنى العز بيته وأصبح من أهل المكان

مَنَعْنا بِها خيرَ البَرِيَّةِ كلِّها   إماماً، ووَقَّرْنا الكتابَ المُنَزَّلا

منعنا، أي حمينا، في بلدنا خير البشر واستقبلناه إماماً، وبجَّلنا القرآن

نَصَرْنا وآوَيْنا، وقَوَّمَ ضَرْبُنا   له بِالسُّيُوفِ مَيْلَ مَنْ كان أمْيَلا

نصرناه وآويناه وأصحابه، وقوَّم ضربُنا بسيوفنا ميلَ من مال عن دينه

٤٠ الصفقة الخاسرة

أُتْرُكِ الناسَ فلا تَشْتُمْهُمُ   وإذا سَابَبْتَ فَاسْبُبْ ذا حَسَبْ

إنَّ مَنْ سَبَّ لَئِيماً كالذي   يَشتري الصُّفْرَ بِعِقْيَانِ الذَّهَبْ

من سب لئيماً خسر من شرفه، ولكن اللئيم لا يخسر سوى القليل لأن شرفه قليل.. فهذا شبيه بمن يبادل الذهب الذي يملكه بالصفر أي النحاس. والعقيان: الذهب الخام

٤١ أشعر بيت

وإنَّما الشِّعرُ لُبُّ المَرْءِ يَعرِضُهُ   على المَجالِسِ: إنْ كَيْساً وإنْ حُمُقا

الشعر لب المرء، أي عقله. والمرء يعرض عقله على الناس في مجالسهم من خلال شعره أكان كيساً، أي كياسة ورجاحة عقل، أم كان حمقاً

وإنَّ أَشْعَرَ بيتٍ أنت قَائِلُهُ   بيتٌ يُقالُ إذا أنشدْتَهُ صَدَقا

٤٢ الشعر والغناء

تَغَنَّ في كلِّ شِعْرٍ أنتَ قائِلُهُ   إنَّ الغِناءَ لِهذا الشِّعْرِ مِضْمَارُ

٤٣ سُعدى والإنصاف

فَابْكِ مَا شِئتَ على مَنْ قَضَى   كُلُّ وَصْلٍ مُنْقَضٍ ذَاهِبُ

لَوْ يَرُدُّ الدَّمعُ شيئاً لقد   رَدَّ شيئاً دمعُكَ السَّاكِبُ

لم تكنْ سُعْدَى لِتُنصِفَني   قلَّما يُنصِفُني الصَّاحِبُ

٤٤ مدح الزبير

قال حسان وقد حث الزبيرُ الناس على الاستماع لإنشاده:

أَقامَ على عهدِ النَّبِيِّ وهَدْيِهِ   حَوَارِيُّهُ، والقَولُ بِالفِعْلِ يُعْدَلُ

التزم حواري النبي، أي تلميذه المرافق، الزبير بن العوام بعهد النبي وبهديه، وأفعال الزبير تعادل أقواله

لهُ مِنْ رسولِ اللَّهِ قُربَى قَريبَةٌ   ومِنْ نُصْرَةِ الإِسلامِ مَجْدٌ مُؤَثَّلُ

له قربى من الرسول، والزبير ابن عمة الرسول، وله من نصرة الإسلام مجد مؤثل، قديم راسخ

ثَناؤُكَ خيرٌ مِنْ فَعالِ مَعَاشِرٍ   وفِعْلُكَ يا ابْنَ الهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ

ثناؤك عليَّ بالكلمة أثقل في الميزان من فعل آخرين، وفعلك يا ابن الهاشمية ـ فالزبير من بني هاشم أباً وأماً ـ أفضل من القول

٤٥ ميزان يثرب

ويَثْرِبُ تَعلَمُ أَنَّا بِها   إذا التَبَسَ الحَقُّ مِيزانُها

يثرب تعلم أنا ميزان الحق عندما يحصل اللُّبس ويختلط الحق بالباطل

ويَثْرِبُ تَعلَمُ أَنَّا بِها   إذا خَافَتِ الأَوْسَ جِيرانُها

ونحن ـ الخزرج ـ نجير كل أهل يثرب من الأوس

متى تَرَنا الأوسُ في بَيْضِنا   نَهُزُّ القَنا تَخْبُ نيرانُها

عندما ترانا الأوس وقد لبسنا السلاح وهززنا الرماح تخبو نيران عداوتها

وتُعْطِ القِيَادَ على رُغْمِها   ويَنْزِلْ مِنَ الهَامِ عِصْيانُها

وتعطينا قيادها وتخضع لنا،   ويزول ما برأسها من العصيان

٤٦ هجاء العابديين

قال يهجو صيفي بن عابد من مخزوم:

ولـن أَنْـفَـكَّ أَهْـجُـو عَـابِـدِيَّـاً   طَـوالَ الـدهـرِ مـا نَـادَى الـمُـنـادي

سأظل أهجو العابديين طول الدهر، وما دام هناك منادٍ ينادي

وقـد سَـارَتْ قَـصـائِـدُ بَـاقِـيـاتٌ   تَـنَـاشَـدَهـا الـرُّوَاةُ بِـكُـلِّ وَادِ

وقصائدي فيهم قد انتشرت وأنشدها الرواة في كل مكان

٤٧ بقية قوم لوط

ذَهـبـتْ قـريـشٌ بِـالـعَـلاءِ، وأَنـتُـمُ   تَـمْشُـون مَشْيَ الـمُـومِسَـاتِ الـخُـرَّعِ

قريش حازت المكارم، وأنتم تمشون كالمومسات العاهرات الخرَّع، أي المتثنيات

أَنـتُـمْ بَـقـيَّـةُ قـومِ لُـوطٍ فـاعـلَـمُـوا   وإلـى خِـنَـاثِـكُـمُ يُـشَـارُ بِـإِصْـبَـعِ

فيكم اللواط، ويشير الناس إلى مخنثيكم بالأصابع

وإذا قُـريـشٌ حُـصِّـلَـتْ أَنـسـابُـهـا   فَبِـآلِ شِجْـعٍ فَافْخَرُوا في الـمَـجْـمَـعِ

بعد أن تحصل الأنساب، أي تُميَّز وتُصفَّى، فليس لكم في المجمع، حيث يجتمع الأقوام، إلا الفخر بأشجع، وأشجع قبيلة من غطفان

خُـرْقٌ مَـعـازِيـلٌ إذا جَـدَّ الـوَغَـى   بُـطْـنٌ إذا مـا جَـارُهُـمْ لـم يَـشْـبَـعِ

خرق، جمع أخرق أي حمقى، ومعازيل، بلا سلاح إذا احتدم القتال؛ وبُطُنٌ، أي أنهم كبيرو البطون، في حين من يجاورهم جائع لم يشبع

٤٨ قصيدة من السماء

أجازت ابنته أبياتاً له ببيت جميل هو (مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا/ كرام يعاطون العشيرة سولها) فغضب من ابنته، فعاهدته ألا تقول شعراً أبداً، فقال:

وقَـافِـيَـةٍ عَـجَّـتْ بِـلـيْـلٍ ثَـقـيـلَـةٍ   تَـلَـقَّـيْـتُ مِـنْ جَـوِّ الـسـماءِ نُـزولَـهـا

رب قافية، قصيدة، عجت ليلاً، ازدحمت عليَّ، وقد هبط الإلهام عليَّ من السماء

يَهابُ الذي لا يَنطِقُ الشِّعْرَ مِثلَها   ويَـعْـجِـزُ عن أمثـالِـهـا أن يقـولَـهـا

الذي لا يعرف الشعر يهاب وقع هذه القصيدة ويدرك عجزه عن أن يأتي بمثلها. وكان حق حسان أن يجعل «الشاعر» يهاب فهذا أبلغ وأوقع

٤٩ نبي أتانا

وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسْمِهِ   إذا قال في الخَمْسِ المؤذِّنُ أَشْهَدُ

في الصلوات الخمس يقول المؤذن «أشهد ألا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله»

نَبِيٌّ أتانا بعد يأسٍ وفَتْرَةٍ   مِنَ الرُّسْلِ، والأوثانُ في الأرضِ تُعْبَدُ

جاءنا النبي بعد يأس من صلاح الحال، وبعد «فترة» من الرسل، والفترة هي المدة بين رسولين.
قال البوصيري (ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومَها بك الأنبياء)

وأنذَرَنا ناراً وبَشَّرَ جَنَّةً   وعَلَّمَنا الإسلامَ، فاللهَ نَحْمَدُ

تَعالَيْتَ رَبَّ الناسِ عن قولِ مَنْ دَعَا   سِواكَ إلَهاً أنتَ أعلى وأَمْجَدُ

٥٠ هجاء بني عدي بن كعب

قومٌ لِئامٌ أَقَلَّ اللَّهُ خيرَهُمُ   كما تَنَاثَرَ خلفَ الرَّاكِبِ البَعَرُ

جعل الله خيرهم قليلاً متناثراً كالبعر يرميه البعير خلفه

كأنَّ رِيحَهُمُ في الناسِ إذْ خَرَجُوا   رِيحُ الكِلابِ إذا ما بَلَّها المَطَرُ

رائحتهم كرائحة كلاب تبللت بالمطر

قد أبرَزَ اللَّهُ قَوْلِي فوقَ قَولِهِمُ   كما النُّجومُ تَعَالَى فوقَها القَمَرُ

غلبتهم في الهجاء، وعلوت عليهم كما يعلو القمر فوق النجوم

٥١ هند الهنود

قال يهجو هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان:

أَشِرَتْ لَكَاعِ وكان عَادَتُها   لُؤْمٌ إذا أَشِرَتْ مَعَ الكُفْرِ

أشرت، كانت شرسة، لكاع، المرأة اللئيمة، وفوق ذلك كفر

لَعَنَ الإلَهُ، وزَوْجَها مَعَها،   هَنْدَ الهُنُودِ طَوِيلَةَ البَظْرِ

لعنها الله ولعن زوجها أبا سفيان، ويعيرها بما لا يَعرف

٥٢ السعيد والحسود

وإنَّ امْرَأً أَمْسَى وأَصْبَحَ سالِماً   مِنَ النَّاسِ، إلَّا مَا جَنَى، لَسَعِيدُ

من أمسى في مسائه ثم أصبح في صباحه وهو سالم من كيد الناس ـ باستثناء ما يستحقه ـ فهو سعيد

وإنَّ امْرَأً عادَى الرجالَ على الغِنى، ولم يَسأَلِ اللّهَ الغِنَى، لَحَسُودُ

من يعادي الناس لأنهم أغنياء، ولم يكن سأل الله الغنى، فهذا حسود

٥٣ النبي الكامل

وأَحْسَنُ منكَ لم تَرَ قَطُّ عَيْني وأَجْملُ منكَ لم تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كلِّ عَيْبٍ كأنَّكَ قد خُلِقْتَ كما تَشَاءُ

خلقت أيها الرسول خالياً من أي عيب، فكأنك خلقت كما تشاء

٥٤ القوافي والمثاني

ومَنْ لِلقَوافي بعدَ حَسَّانَ وابْنِهِ ومَنْ لِلْمَثاني بعدَ زَيْدِ بن ثَابِتِ

من للشعر بعدي وبعد ابني عبد الرحمن، وكان ابنه شاعراً، ومن للمثاني ـ والمثاني هي القرآن لاقتران آية الرحمة بآية العذاب فيه.. كذا قالوا، وقالوا غيره ـ بعد زيد بن ثابت كاتب الوحي، وزيدٌ من بني النجار عشيرة حسان

٥٥ مرحباً يا خير داع

لقد خَابَ قومٌ غَابَ عنهُمْ نَبِيُّهُمْ وقُدِّسَ مَنْ يَسْري إليْهِمْ ويَغْتدي

خابت قريش بغياب النبي عنها، وقُدس الأنصار الذين يسري النبي مساء ويغتدي صباحاً وهو يعيش بينهم

تَرَحَّلَ عن قَومٍ فَضَلَّتْ عقولُهُمْ وحَلَّ على قومٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ

لقد نَزلَتْ منهُ على أهلِ يَثْرِبٍ رِكَابُ هُدَىً حَلَّتْ عليْهِمْ بِأَسْعُدِ

السعد هو الفأل الحسن والأَسْعُد لا بد أن تكون الفؤول الحسان

نَبِيٌّ يَرى ما لا يَرى الناسُ حَولَهُ ويَتلُو كتابَ اللَّهِ في كلِّ مَشْهَدِ

وإن قالَ في يومٍ مَقالَةَ غَائِبٍ فتَصْدِيقُها في اليومِ أو في ضُحَى الغَدِ

إن قال النبي يوماً قولاً لا برهان عتيداً عليه، فتصديقه بالبرهان سرعان ما يأتي

٥٦ بطيبة رسم

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسولِ ومَعْهَدُ مُنيرٌ، وقد تَعْفُو الرُّسُومُ وتَهْمَدُ

بطيْبة، وطيبة اسم ليثرب، رسم للرسول، بقية منه، ومعهد، مكان نعهده ونعود إليه، ومكان الرسول منير بينما رسوم الديار تعفو، أي تمَّحي، وتهمد، أي تهبط

وهَل عَدَلَتْ يوماً رَزِيَّةُ هَالِكٍ رَزِيَّةَ يَوم مَاتَ فيهِ مُحمَدُ؟

هل تساوي المصيبة في أي ميت مصيبتنا في اليوم الذي مات فيه الرسول؟

وما فقدَ المَاضُونَ مِثْلَ مُحمدٍ ولا مِثلُهُ حتى القِيامَةِ يُفْقَدُ

٥٧ عروس وعروسها

قال، يحث أبا بكر على عزل خالدٍ بعد اليمامة، بعد إذ قتل عدوه وتزوج زوجته:

أَتَرْضَى بِأَنَّا لم تَجِفَّ دِماؤُنا وهذَا عَرُوسٌ بِاليَمَامَةِ خَالِدُ

أيرضيك أننا حاربنا المرتدين وقُتل منا القتلى ثم هذا خالد عروساً، والعروس الرجل أيضاً، يلهو مع زوجة جديدة

يَبيتُ يُنَاغي عِرْسَهُ ويَضُمُّها وهَامٌ لنا مَطرُوحَةٌ وسَوَاعِدُ

يبيت يلهو مع عرسه، زوجته الجديدة، وهامنا، رؤوسنا، وسواعدنا مطروحة في أرض المعركة

إذا نحن جئْنا صَدَّ عنَّا بِوجْهِهِ وتُلْقَى لِأَعْمَامِ العَروسِ الوَسَائِدُ

العروس هنا المرأة، إلقاء الوسائد: الرجل يلقي لضيفه، إذا دخل مجلسه، وسادة ليتكئ عليها

فإن تَرْضَ هذا فالرِّضَا مَا رَضيتَهُ وإلَّا فَغَيِّرْ، إنَّ أمْرَكَ رَاشِدُ

٥٨ من شاء بعدك فليمت

كنتَ السَّوَادَ لِناظِري فَعَمي عليكَ النَّاظِرُ

كنت سواد عيني وبموتك عَمِيَ عليك، أي بالبكاء عليك، ناظري، بصري

مَنْ شَاء بَعدَكَ فَلْيَمُتْ فعلَيْكَ كنتُ أحَاذِرُ

٥٩ بعد العَمَى

إنْ يَأخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُما ففي لساني وقَلبي مِنْهُما نُورُ

قَلبي ذَكِيٌّ وعِرْضي غيرُ ذي دَخَلٍ وفي فَمي صَارِمٌ كالسَّيْفِ مَأْثُورُ

عرضي غير ذي دخل، أي فساد، وفي فمي لسان صارم كأنه السيف المأثور، الذي في متنه أثر

٦٠ هجاء بني الحماس

أمَّا «الحِمَاسُ» فإنِّي غيرُ شَاتِمِهِمْ لا هُمْ كِرامٌ، ولا عِرْضي لَهُمْ خَطَرُ

خطر: عديل ومماثل

قـومٌ لِـئـامٌ أَقَـلَّ الـلّـهُ عِـدَّتَـهُـمْ   كـمـا تَـسَـاقَـطَ حـولَ الـفَـقْـحَـةِ الـبَـعَـرُ

هم لئام، وعددهم قليل ويشبهون في قلتهم وتفرقهم البعر المتساقط حول فقحة، دبر، الشاة

أَوْلادُ حَـامٍ فـلـن تَـلـقَـى لـهُـمْ شَـبَـهاً   إلَّا الـتُّـيـوسَ عـلـى أَكْـتـافِـهـا الـشَّـعَـرُ

يبدو أنهم سود، والعرب تنسب السود إلى حام ولد نوح، ويشبههم بالتيوس وشعرها الأسود

٦١ بيان ابن عباس

إذا قَـالَ لـم يَـتْـرُكْ مَـقـالاً ولـم يَـقِـفْ   لِـعِـيٍّ ولـم يَـثْـنِ الـلِّـسَـانَ عـلـى هُـجْـرِ

لم يترك في القضية لغيره ما يقوله، ولا يقف في كلامه لعي، لقلة فصاحة، ولا يحرك لسانه ويثنيه بهجر، بقول شائن

يُـصَـرِّفُ بِـالـقـولِ الـلِّـسَـانَ إذا انْـتَـحَـى   ويَـنْـظُـرُ فـي أَعْـطَـافِـهِ نَـظَـرَ الـصَّـقْـرِ

يصرف الكلام بلسانه إذا تصدى للقول، وينظر في عطفيه، في جانبيه بكبرياء نظر الصقر

٦٢ تغريبة بني يمن

قال يذكر انخزاع خزاعة بمكة ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة وغسان إلى الشام:

فـلـمَّـا هَـبـطْـنَـا بَـطْـنَ مَـرٍّ تَـخَـزَّعَـتْ   خُـزَاعَـةُ مِـنَّـا فـي حُـلُـولِ كَـراكِـرِ

لما هبطت قبائل اليمن هذا المكان تخزعت قبيلة خزاعة، أي تفرقت، في حلول كراكر.. يقصد في أمكنة متعددة.. هذا المعنى الملموح

حَـمَـوْا كـلَّ وادٍ مِـنْ تِـهَـامَـةَ، واحْـتَـمَـوْا   بِـصُـمِّ الـقَـنـا والـمُـرْهَـفَـاتِ الـبَـواتِـرِ

حموا وديان تهامة، أي اتخذوها حمى لرعي ماشيتهم، وحموا أنفسهم بصم القنا، بالرماح المصمتة الصلبة، وبالمرهفات البواتر، بالسيوف الحادة القاطعة

خُـزاعَـتُـنَـا أَهْـلُ اجْـتِـهـادٍ وهِـجْـرَةٍ   وأَنـصـارُنـا جُـنـدُ الـنَّـبِـيِّ الـمُـهَـاجِـرِ

وسِـرْنَـا فَـلَـمَّـا أَن هَـبَـطْـنـا بِـيَـثْـرِبٍ   بِـلا وَهَـنٍ مِـنَّـا ولا بِـتَـشَـاجُـرِ

نحن سرنا شمالاً وهبطنا يثرب لا عن تعب منا، ولا بحدوث مشادات وشجار

بَـنُـو الـخَـزْرَجِ الأَخْـيـارِ والأَوْسُ إِنَّـهُـمْ   حَـمَـوْهـا بِـفِـتـيـانِ الـصـبـاحِ الـبَـواكِـرِ

الخزرج والأوس حموا يثرب بفتيان يغيرون صباحاً، والصباح هو وقت الغارة عند العرب

نَـفَـوْا مَـنْ طَـغَـى في الـدهـرِ عـنـهُـمْ، وذَبَّـبُـوا   يَـهُـودَ بِـأَطْـرافِ الـرمـاحِ الـخَـواطِـرِ

أبعَدوا الظالمين وذببوا، أقصوا، اليهود بالرماح الخواطر، التي تتحرك بالطعن

وسَارَتْ لنا سَيَّارَةٌ ذاتُ قُوَّةٍ بِكُومِ المَطَايا والخُيولِ الجَمَاهِرِ
وسارت سيارة منا، قوم سائرون، ومعهم كوم المطايا، الإبل الكبيرة، والخيول الكثيرة

يَؤُمُّونَ نَحْوَ الشامِ حتَّى تَمَكَّنُوا مُلُوكاً بأرضِ الشامِ فوقَ المَنابِرِ
يتجهون نحو الشام، وهناك أصبحوا ملوكاً لهم منابر يخطبون من عليها بالناس

أُولاكَ بَنُو ماءِ السَّماءِ تَوارَثُوا دِمَشْقَ بِمُلْكٍ كَابِراً بعدَ كَابِرِ
أولاك، أي أولئك، الغساسنة من بني ماء السماء الذين توارثوا دمشق أباً عن جد

٦٣ الشجاع

كَمْ قد وَلَدْنَا مِنْ كريمٍ مَاجِدٍ دامِي الأَظَافِرِ أو ربيعٍ مُمْطِرِ
ما أكثر ما أنجبنا من رجل كريم شجاع تدمى أظفاره من دماء الأعداء،
لكنه أيضاً كالربيع الممطر جوداً

يَلْقَى الرِّماحَ بِوجْهِهِ وبِصدْرِهِ ويُقيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ المِغْفَرِ
وهو يتصدى لرماح الأعداء بوجهه وبصدره، ويجعل هامته، أي رأسه، مكان المغفر، وهو حلقات
حديد تحت الخوذة تحمي الرقبة

ويَقولُ للطِّرْفِ اصْطَبِرْ لِشَبَا القَنا فَهَدَمْتَ رُكْنَ المَجْدِ إن لم تَصْبِرِ
يقول للطرف، للحصان، اصبر لشبا القنا، أسنة الرماح؛ فإنك ستهدم ركن مجدنا إن لم تصبر

وإذا تَأَمَّلَ شَخصَ ضيفٍ مُقْبِلٍ مُتَسَرْبِلٍ سِرْبَالَ ثَوْبٍ أَغْبَرِ . .
إذا رأى ضيفاً مقبلاً نحوه وهو متسربل، أي لابس، ثوباً مغبراً من طول السير في الصحراء . .

أَومَا إلى الكَوْمَاءِ: هذا طَارِقٌ نَحَرَتْنِيَ الأَعداءُ إن لم تُنْحَري
أومأ، أي أشار، إلى الكوماء، الناقة الكبيرة، قائلاً: هذا طارق، زائر ليلٍ، ولتذبحني الأعداء إن
لم أذبحك لإكرامه

٦٤ المسير إلى بدر

قَوْمِي الذينَ هُمُ آوَوْا نَبِيَّهُمُ وصَدَّقُوهُ وأَهلُ الأرضِ كُفَّارُ
وقَاسَمُوهُ بِها الأموالَ إذ قَدِمُوا مُهَاجِرينَ، وقِسْمُ الجَاحِدِ النارُ
قومي الأنصار قاسموا النبي والمهاجرين أموالهم، وأما قِسْم، أي نصيب، الجاحد بدعوة النبي،
فهو جهنم

سِرْنَا وسَارُوا إلى بَدْرٍ لِحَيْنِهِمُ لو يَعلَمونَ يَقينَ العِلْمِ ما سَارُوا

سرنا وسار الجاحدون إلى بدر لحينهم، أي لهلاكهم، ولو علموا بما ستكون عليه النتيجة لما ساروا

٦٥ عاشوا بلا فرقة

قال في النبي وأبي بكر وعمر:

ثَلاثَةٌ بَرَّزُوا بِسَبْقِهِمُ يَنْصُرُهُمْ رَبُّهُمْ إذا نُشِرُوا

برزوا: تفوقوا، نشروا: بُعثوا يوم القيامة

عاشُوا بلا فُرْقَةٍ حَياتَهُمُ واجتَمَعُوا في المماتِ إذ قُبِرُوا

فليسَ مِنْ مُسْلِمٍ لهُ بَصَرٌ يُنْكِرُ مِنْ فَضلِهِمْ إذا ذُكِرُوا

٦٦ قوم همُ شهدوا

قال، وتُروَى لابنه عبد الرحمن بن حسان:

قومٌ هُمُ شَهِدُوا بَدْراً بِأَجْمَعِهِمْ مَعَ الرسولِ فَما أَلَّوْا ومَا خَذَلُوا

الأنصار شهدوا مع النبي وقعة بدر، فما ألُّوا، ألَّى أي قصَّر وتهاون، وما خذلوا وتراجعوا. قوله بأجمعهم فيه نظر: فحسان نفسه لم يشهد بدراً ولا أي موقعة أخرى، كان يؤثر السلامة

وبَايَعُوهُ فلم يَنْكُثْ بهِ أَحَدٌ منهُمْ، ولم يَكُ في إيمانِهِمْ دَخَلُ

بايعوا الرسول فلم ينكث أحد، يتراجع، ولم يكن في إيمانهم دخل، أي فساد

ويومَ صَبَّحَهُمْ في الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَرِّ النارِ مُشْتَعِلُ

وشهدوا معه عندما صادفهم في معركة أحد الضرب الرصين، الموجع

ويومَ خَيْبَرَ كانوا في كَتِيبَتِهِ يَمْشُونَ كلُّهُمُ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ

بِالبِيضِ تَرْعَشُ في الأَيْمانِ عَارِيَةً تَعْوَجُّ في الضَّرْبِ أَحياناً وتَعْتَدِلُ

تسلحوا بالسيوف وهي تتحرك وترتعش في الأيمان، الأيدي اليمنى، مسلولة عارية، تضرب الأعداء مائلة ومعتدلة في حركتها

ويومَ سَارَ رسولُ اللَّهِ مُحْتَسِباً إلى تَبُوكَ وهُمْ رَايَاتُهُ الأُوَلُ

كانوا في المقدمة في غَزَاةِ تبوك

أُولئِكَ القومُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ هُمُ قَومي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حينَ أَتَّصِلُ

أولئك الأنصار، وهم قومي الذين إليهم أنتسب

ماتُوا كِراماً ولم تُنْكَثْ عُهودُهُم   وقَتْلُهُمْ في سبيلِ اللّهِ إذْ قُتِلُوا

مات من مات منهم كريماً، وما قتلوا إلا في سبيل الله

٦٧ عيون القطط

ثَريدٌ كَأنَّ السَّمْنَ في حَجَراتِهِ   نُجُومُ الثُّرَيَّا أو عُيونُ الضَّيَاوِنِ

يصف ثريداً يلمع السمن في جوانبه كأنه النجوم أو عيون الضياون، أي القطط

٦٨ مني بيت ومنه بيت

إذا مَا تَرَعْرَعَ فينا الغُلامُ   فَمَا إنْ يُقَالُ لهُ مَنْ هُوَهْ

ما يكبر غلامنا إلا ويكون معروفاً بأفعاله فلا يسأله أحد من أنت

ولِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصَبانِ   فَطَوْراً أَقُولُ وطَوْراً هُوَهْ

لي رديف من بني الشيصبان، أي من الجن، يلهمني الشعر، فأنا أقول بيتاً وهو يقول بيتاً

حسان بن ثابت
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

الأخطل، غِيَاث بن غوث التغلبي
(٢٠هـ ـ ٩٥هـ)

مسكين أيها العجوز النصراني! ظل جرير يعيرك بدينك سنواتٍ طوالاً، وأنت لا تستطيع أن تعيره بدينه. لا نظن هذا أدباً منك، ولا تقوى. فلا أنت مؤدب، ولا أنت تقي. أنت تعيش في كنف الدولة الإسلامية الغالبة، وتصبر على بذاءات جرير، وترقِّع روحك المجروحة بالتمسك بدينك، فكنت تعلق صليبك الذهبي في صدرك أينما ذهبت، في مجلس الخليفة تعلقه، وفي إنشادك شعراً أمام القوم تعلقه، وكنت به تفتخر. بهذا فقط رددت على جرير؟ بل لقد رددت بشيء آخر.. رددت بشعر صلب أعجب الراسخين في العربية كثيراً. وكان جل هؤلاء الراسخين متدينين ورعين، لكنهم لم يكونوا يفضلون شعراً على شعر إلّا بما فيه من شعر.

قد قربك الخليفة الأموي لمصلحة له فيك، ولم يلتفت لما يعتمل في نفسك من ألم بسبب ذلك الهجاء الديني البغيض. ثم مضت ألف سنة ومئة، وانتصر لك الدارسون المسيحيون بأن اهتموا بشعرك كل الاهتمام. فأنفق الأب صالحاني اليسوعي أربعين سنة وهو يجمع شتات ديوانك، وأحسن في ذلك الإحسان كله، وترك لنا شعرك في أحسن صورة ممكنة. وتعصب لك على صاحبيك، جرير والفرزدق دارسون مسيحيون كثر في عصرنا، ولكن من وضع شعرك في طبعة أنيقة وبشرح جميل كان الدكتور فخر الدين قباوة.

ومن الطبعة الثانية لديوان الأخطل بتحقيق وشرح قباوة استفدت كثيراً وأنا أشرح منتخباتي هذه. وكان قباوة في علمه عميقاً، وفي خلقه متيناً، فشكر الأب صالحاني وأقر له بمجهوده الكبير. وفي هذه المنتخبات كنت في بعض الأحيان آخذ برواية جاء بها الأب صالحاني، وفي أحيان أخرى برواية أوردها قباوة.

لقد طبع ديوان الأخطل كثيرون، وسرقوا جهد غيرهم بقحة. ولم نذكر إلا تينك الطبعتين؛ ونرجو أن تتاح لنا سويعة نرجع فيها إلى تلك الطبعات السقيمة كي نبسط اللسان في أولئك الأكاديميين الذين عرضوا مقابحهم وكشفوا عن سوآتهم.

يا أبا مالك، نذكر للمسيحيين الذين اهتموا بشعرك أنهم كانوا غاية في الخلق الحسن فلم يتعرضوا لمسألة الدين، لا بل إن بعضهم فضل جريراً عليك، ذلك مارون عبود في كتابه «الرؤوس».

لست مسكيناً يا أشعر المسيحيين، فقد كنت جاهلياً في تفكيرك وسلوكك، وكنت قبلياً، وجباناً كنت، وسيء الخلق، وسكيراً، وبعيداً عن تعاليم دينك. كنت شاعراً فصيحاً، وكان في شعرك بعض وثبات الخيال الجميلة، ولكننا لا نقر جمهور الدارسين على أنك ذو خيال مجنح. ربما منعنا من إدراك هذا الذي نسبوه إليك من تميُّزٍ بالـ «خيال» لغتك الجاهلية القاسية. فمع أنك ولدت بعد الهجرة بعشرين سنة فنحن نسميك «آخر الجاهليين».

ولماذا أنفق بعض القليل الباقي من ساعات عمري عليك؟

مالت شمس العمر غرباً، وبدأت ألملم أشيائي. وجدت بين هذه الأشياء بضعة آلاف من الأبيات كنت انتقيتها من دواوين اثنين وأربعين شاعراً، هم أهم شعراء العربية، وقلت لنفسي: قدِّم هذه الأبيات، وأولئك الشعراء، للأجيال اللاحقة.. وقدمها لهم مشروحة، وقدم لهم شعراءها بكلام يضعهم في جو كل شاعر.

أعيش هذه الساعات وبلاد العرب تتفكك، أعيشها وشعوب العرب تقيء على نفسها ما أكلته في الستين سنة الماضية من أمجاد زائفة، وأنا أكتب في أيلول سبتمبر عام ٢٠١٥. نصرخ صرخات مغناجة في ردهات الإنترنت شاتمين الغرب، ونبكي على أنفسنا، ونشتم أنفسنا، ونعود بعد شتم الذات لنرفع رؤوساً حشوها الجهل لنقول: لا وألف لا. لسنا الملومين، بل الغرب المجرم هو الملوم. ونصرخ صرخات المظلوم. صرخات ترسم على شفاه أمم الأرض ابتسامات الشفقة والسخرية. نحن أحق أن نشتم أنفسنا ونقف عند ذلك الحد. لا تشمخ أيها العربي وأنت بلا عمود فقري. اقعد، واصنع شيئاً بدل الكلام.

تهورتُ.

فلماذا أكتب هذا عن شاعر شبه جاهلي؟

الشعر يصف الروح العربية والعقل العربي أحسن مما تصفه كتب المفكرين. ولنفترض أن قصيدة عمرو بن كلثوم «إذا بلغ الفطامَ لنا صبي.. تخر له الجبابر ساجدينا» منحولة، وأنها كتبت بعد الجاهلية بمئة سنة، لا ضير. هي تمثل العصر الجاهلي وقيمه. والذي كتبها جعلها تعبر عن روح الجاهلية.

قد عرفتُ العرب في زمني معرفة طيبة. عملتُ في لندن عقداً من الزمن، وكان زملائي هناك من كل بلاد العرب، وعملت في الخليج عقداً ولم يبق بلد عربي إلا والتقيت ببعض أهله؛ حتى البلاد التي لا تعد نفسها عربية، كإثيوبيا وإريتريا، فقد التقيت بناس منها لسانهم عربي. وعرفت وصاحبت البربر والنوبيين والكرد ممن أتقنوا العربية وحذقوها كأهلها.

عرفت المتعلمين كثيراً، وعامة الناس قليلاً. وأحسست عند المتعلمين أن ما تلقوه في المدارس من الشعر العربي القديم رسخ عميقاً في نفوسهم. لست أصدر حكماً بشأن الشبان الصغار، ولا أعرف ما تحتويه كتب المدارس في كل بلد عربي. ولعل الحكم عام: فكل فتى وفتاة يرتبط برباط حب وشوق، وبرباط كره واشمئزاز أيضاً، بما تعلم في المدرسة من نصوص أدبية. ولاحظت أن المرء يرتبط بما فهم وبما لم يفهم من نصوص شعرية. ولعله يرتبط بما لم يفهم أكثر قليلاً. لعل حالة المرء هنا تشبه حالته عندما يرتبط عاطفياً بأغنية سمعها قديماً وتغلغل لحنها في نفسه وفي ذاكرته، وغابت عنه بعض كلماتها، فيظل للأغنية في نفسه سحر، فإذا ما عرف الكلمات التي غابت عنه في صباه زال السحر أو كاد، ثم لقد تراه ينسى الكلمات الصحيحة بعد حين ويعود يدندن الأغنية بالكلمات الخطأ.

ونعود إلى حال العرب قبل أن نعود إلى الأخطل.

قد عرفتني وعرفت تعريفي لكلمة عربي، فأنا ممن يرى أن العربي إنما هو عربي اللسان لا غير. فاللغة ـ التي هي من النظرة السطحية مجرد قالب ـ تقوم بدرجة كبيرة مقام النسب والتاريخ المشترك، والأرض المشتركة. هي قالب آسر.

والعرب اليوم تضعضعوا كثيراً، وعرفوا أنهم في ميزان الأمم شيء صغير. لكن ميراثهم اللغوي والأدبي كبير، وعميق الجذور. وبعد أن تستقر أوضاع

المنطقة العربية سياسياً، ويحدث مزيد من التفكك، ومزيد من إدراك «الحقيقة الاقتصادية» المرة، سيكتشفون أنهم ما زالوا عرباً ـ بحسب تعريفي، لا تنس ـ، وسيلعقون جراحهم. وسينطلقون إلى العمل لبناء حقيقة اقتصادية جديدة ليس فيها أوهام.

«الحقيقة الاقتصادية» كلمتان عليهما سيماء المصطلح. ولأنني لم أسمع به من قبل، ولأنني أحسب أنني سككته الآن، فلا بد من كلمة عنه: أنت تعيش في قرية، وتزرع بأساليبك البدائية، وعندك بندقية تخيف بها اللص، وأنت ـ بنشاطك الليلي ـ تملأ بيتك أفواهاً. وتجلس في ديوانيتك وتنشد أشعاراً وأزجالاً في تمجيد أسلافك الأبطال. هذا كله يسميه المختصون فيما يسمى بعلم الإنسان «طريقة حياة». ويقسم الغربيون المتحضرون النابذون للعنصرية أغلظ الأيمان أنهم من دعاة السماح لكل قوم باتخاذ «طريقة الحياة» التي يريدونها، وأنهم يدينون التعدي على هذه الـ «طريقة حياة». لكن الحقيقة الاقتصادية غلابة. ثمة واقع اقتصادي شرس.

«الحقيقة الاقتصادية» للأقوام المتخلفين عن ركب التمدن الغربي هي أنهم فقراء وضعفاء ـ رغم البندقية الصدئة ـ، ومعرضون للهزيمة في صراع الأقوام. قد يسمح التنافس الاستعماري للدولة العثمانية أن تعيش في غرفة الإنعاش مئتي سنة. ولكن حقيقتها الاقتصادية ستجعلها فريسة في نهاية المطاف.

«الحقيقة الاقتصادية» للعالم العربي اليوم صعبة. الجهل كثير، والمتعلمون أنصاف وأرباع متعلمين، وحملة الشهادات العليا كذابون، والساسة بالطبع كذابون.. كذابون بمعنى أردأ مما تتصور. فكل الساسة في كل العالم كذابون. تعرف ذلك! لكن ساستنا أكذب، بمعنى أنهم يكذبون كذبات طويلة الأمد، بطول جلوسهم على كراسيهم. وأقصد بالساسة: الوزراء والصحفيين المطبلين للوزراء، والمدراء العامين، وكل أفراد «الطبقة الحاكمة». فالجميع يفرز أوهاماً. ليس عن غباء، بل بإحساس عميق ومدرَك بأنهم يصنعون الأوهام. قد يصدقون أوهامهم للحظة، ثم في أول مفاتحة تراهم عارفين كل شيء.

أراضي بلادنا العربية، وهي واسعة، لا تقيم أود الثلاثمئة مليون. ولا تحتمل معدل التكاثر الحالي. ونحن بحاجة حقيقية لتنظيم النسل. والملايين القليلة من البشر الذي صدروا أنفسهم من المنطقة العربية إلى أميركا وكندا وأوروبا هم أولئك الذين تعلموا وأنفق عليهم أهاليهم من خيرات بلادنا

الشحيحة، وأصبحوا قادرين ـ لو أرادوا ـ على أن يساعدوا هذه الأرض كي تنتج أكثر، وأن يساعدوا هذه الشعوب كي تصنع. لكنهم فروا إلى الخارج آخذين في لحم أكتافهم ذلك الخير الذي سرقوه من بلادهم، فروا إلى بلدان غنية أصلاً. وهناك أجبرهم إيقاع الحياة ونظم المجتمع على أن ينتجوا ويشتغلوا بجد. ولست ألومهم لوماً فردياً. ليس لأنني كنت أحدهم، فاغتربت أوروبياً وخليجياً، بل لأن الفرد في مثل هذه المعمعات الكبرى لا يلام. فأما الحكومات فتتحمل قسطاً من اللوم. والبنية الطبقية للمجتمع تتحمل اللوم الأكبر.

الأغنياء يحكمون كل بلد. فإن اغتصبت الحكم عصابة عسكرية فسرعان ما تتحالف مع الأغنياء وتتماهى معهم. وكبار الموظفين والأطباء والمهندسين يساهمون في الحكم، وكل هؤلاء خمسة بالمئة من الناس. يبقى خمسة وتسعون بالمئة. هؤلاء يتدرجون على سلم الفقر. وفي كثير من البلاد العربية يجلس معلم المدرسة على درجة منخفضة في هذا السلم.

الخمسة بالمئة الذين يحكمون البلد يكتفون بالسمسرة للأجنبي، ويبيعونه الخامات وحقوق الصيد والأثر السياسي والموقع الجغرافي بفتات لا يرونه فتاتاً لأنهم فئة صغيرة. ويمنع الثورة على هذه الطبقات الحاكمة ذلك التدرج في الفقر، إذ لا توجد طبقة مسحوقة كبيرة. مثل هذا الوضع الهلامي مكن الثورة المضادة من القفز سريعاً على الربيع العربي. وتدخلت الدول الكبرى كلها: أوروبا وأميركا وروسيا والصين لحماية مصالحها. أستطيع أن أفهم لماذا أغلق ماوتسي تونغ، وستالين قبله، البلد إغلاقاً محكماً: لا يسمح بخروج الكفاءات، ولا بدخول اليد الخارجية العابثة. وأفهم أن ما جرى في ذينك البلدين من إرهاب للشعب، ومن مجازر دنيئة، وكبت للحريات، كان يتم على هامش عملية هندسة اجتماعية طبقية. ولأن التاريخ لا يكرر نفسه بالضرورة فليكن عندنا أمل في أن تنهض الشعوب العربية دون دفع ذلك الثمن الباهظ.

في مثل هذه الظروف العربية أقعد إلى منضدتي وأشرح أبيات الأخطل. أقول لنفسي: لا بأس. العرب ملايين كثيرة، فلن يضير نهضتهم المنشودة أن ينسحب واحد منهم ليجلس في قوقعته ويتسلى بغربلة هذا الإرث العجيب.

ذات يوم كانت أمه ترقصه وهو صغير وتقول له: يا دوبل. أي «أيها الخنزير الصغير». وسمعتها الجارة فتضاحكت، وحفظ الأخطل هذه الحادثة، ولم يقلها إلا لبعض أصحابه الخلص. ثم بعد بضع عشرات من السنين إذا بجرير يذكرها في شعره. قال الأخطل: «والله ما سمتني أمي دوبلاً إلا نهاراً واحداً، فمن أين سقط إلى هذا الخبيث؟»

وتزوج أبو الأخطل زوجة ثانية، غير عابئ بتعاليم دينه. وكانت زوجة الأب قاسية على الصبي «غياث». ترسله ليرعى الأعنز، وتمنعه طرائف الطعام. فيسرق ما اختزنت من زبيب ويأكله، وتغضب. كانت مضارب قومه من قبيلة تغلب في العراق على الفرات، غير بعيد عن الكوفة. ونشأ غياث في قبيلة عربية من قبائل ربيعة هي تغلب. ولد في آخر خلافة عمر، وعندما قتل عثمان كان في الخامسة عشرة من عمره. وشهد مجالس قبيلته، وسمعهم ينشدون تلك الأشعار التي قيلت في مقتل عثمان، وكان موقف تغلب شبيهاً بموقف حسان بن ثابت.. كانوا عثمانيين، ثم سفيانيين. وفي تلك المجالس سمع الأخطل شعر قومه في الجاهلية، كانت تغلب لا تمل إنشاد معلقة شاعرها الجاهلي عمرو بن كلثوم، أما قال القائل «ألهى بني تغلب عن كل مكرمة.. قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم»؟ وكان في تغلب شعر. كان شاعرها آنذاك كعب بن جعيل. ولم تحفل القبيلة بدخول كعب هذا في الإسلام، فكثيرون من تغلب دخلوا في الإسلام، لكن العصبية العربية ظلت هي المظلة التي تجمع كل تغلب، (هذا رأينا، ويرى إيليا الحاوي، الذي كتب كتاباً كبيراً عن الأخطل، أن القبيلة اغتاظت لدخول كعب في الإسلام، ولكنها كظمت). وتعرض الصبي المشاكس غِيَاث لشاعر القبيلة وهجاه. ولفوره أدرك كعب أن شاعراً فحلاً قد نبغ في القبيلة. ولعل كعباً هو الذي أطلق على هذا الصبي لقب الأخطل، أي السفيه.

نشأ الأخطل فاقدَ حنانٍ، فأمه ليلى من قبيلة إياد، وأغلب الظن أنها رجعت إلى قومها بعد طلاقها تاركة ولدها البكر لأبيه، وكان هذا هو الآيين عند عرب ذلك الزمان. وقد شهدت في زمني في مطلع القرن الحادي والعشرين آباء عرباً متحضرين ومتعلمين تُطَلَّق بناتُهم ويقول الواحد منهم لابنته: ارمي له أولاده، وتعالي كي أزوجك خيراً منه.

عاش غِياث في بيت لا يحبه.. ولا يحبه، مع إخوةٍ له لأبيه آثرتهم أمهم

عليه. وكان يجد في مجلس القوم سلواه، فهو في مجلس رجال القبيلة فرد ككل فرد، والرجال يأنسون بهذا الفتى السفيه لأنه يحفظ أشعار القدماء، فما يأخذ أحدهم في المجلس برواية قصيدة ويقف متلجلجاً في وسطها إلا وتأتي النجدة من الفتى السفيه المغرم بالشعر. وشب الأخطل، واكتهل شاعر القبيلة كعب بن جعيل. ولم يكن الأخطل يقدر أن يُطاول شاعر القبيلة كعب بن جعيل كثيراً، رغم أنه أتحفه بأهجية صغيرة. فكعب يغشى بلاط الخليفة في دمشق، وقد شهد مع معاوية صفين، وله في الأمويين مدائح. وله بابن الخليفة يزيد علاقة طيبة، ويزيد شاعر ويقدر الشعر. فأما الأخطل فقاعد في قبيلته يحفظ شعر الأقدمين، وينشد القوم، ولعله تزوج امرأة تغلبية وبدأ يكثّر قطيع أغنامه. وبلغ الأخطل الثلاثين من العمر. قل ثلاثة وثلاثين، أو قل حتى خمسة وثلاثين. . لا أدري. هذا تقدير وصلت إليه بقرائن كثيرة أعفيك منها. بلغها وهو عند قومه على شاطئ الفرات يرعى غنماته وربما أيضاً نخلاته.

وكان كعب بن جعيل مع يزيد ابن الخليفة معاوية عندما جاء الخبر بأن شاعر الأنصار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يتغزل بأخت يزيد رملة. سمع معاوية بهذا الشعر فلم يأبه به. لكن يزيد اغتاظ. فالأنصار الذين منهم عبد الرحمن هذا وقفوا مع علي في صفين ـ شذ منهم حسان شاعر الرسول، والنعمان بن بشير الذي قاتل مع معاوية ـ. فما لهذا الشاعر يخرج عن خط أبيه ويتعرض للأمويين بالتغزل بابنة الخليفة؟ أراد يزيد الانتقام، ولكنه لا يستطيع المساس بعبد الرحمن بن حسان فأمه أخت زوجة الرسول، وإبراهيم ولد الرسول المتوفى طفلاً ابن خالته. ثم إن التعرض لشاعر إنما يكون بالشعر.

طلب يزيد من كعب أن يهجو الأنصار. فقال له كعب: أرادي أنت عن الإسلام. لا والله لا أهجو قوماً نصروا الرسول. ولكنني أدلك على فتى نصراني من قومنا له لسان كلسان الثور.

وهكذا، أرشد شاعر تغلب الأمويين إلى الأخطل الذي سيصبح شاعر تغلب وشاعر الأمويين.

هجا الأخطل الأنصار وأوجعهم، «ذهبت قريش بالمكارم والعلا . . واللؤم تحت عمائم الأنصار». وفزع النعمان بن بشير إلى معاوية شاكياً. ولكن معاوية استرضاه، وصرفه.

مدح الأخطل يزيد بن معاوية بقصائد عديدة، ثم تولى يزيد الخلافة

والأخطل كهل في الخمسين. كان يشرب ويسمع الغناء ويخرج إلى الصيد مع يزيد الأمير، وظل معه وهو خليفة، ولكن مدة يزيد لم تطل فمات بعد أن قتل الحسين وأشعل نار فتنة جديدة.

ومضت سنوات قليلة، ثم تولى عبد الملك بن مروان الخلافة، وقضى ثماني سنوات يقارع عبد الله بن الزبير الذي استقل بالحجاز، وأخاه مصعباً الذي تولى لأخيه العراق. ثم قُتل الأخوان. وخلصت الخلافة لعبد الملك. وفي هذه السنوات احتربت قبائل العرب في العراق كثيراً، وكانت بينها أيام قتل فيها الرجال وبقرت بطون الحوامل. وكانت تغلب في المعمعة، وكانت بينها وبين قيس ثارات.

وضع عبد الملك حداً للحروب القبلية في العراق. وقعد على سريره في دمشق، وجاءه الشعراء يمدحونه، وتزلفوا إليه بسب آل الزبير، وتشدد مع أولئك الذين كانوا مدحوا الزبيرية. لكنه رحب بالأخطل الذي كان هواه مع البيت الأموي.

مدح الأخطل عبد الملك، ومدح أخاه بشراً والي العراق. وصار شاعر الأمويين غير منازع. نافسه عليهم جرير. ولكن الأخطل ظل المفضل عند عبد الملك، ثم ابنه الوليد.

لم يفارق الأخطل سفهه. كان يدخل على عبد الملك بن مروان مخموراً، فيدعوه الخليفة إلى الإسلام فيأبى، ويواجه الخليفة بكلام يمجد فيه الخمر، ثم يقول في ذلك شعراً، ويضحك الخليفة. ولسفهه وحمقٍ متأصل في نفسه كان الأخطل يتعرض لجلساء الخليفة. شتم زفر بن الحارث الشيخ القيسي الجليل الذي كان عدواً للأمويين فصالحهم بعد انقضاء عهد ابن الزبير، وحاول الأخطل أن يحمل الخليفة على نقض عهده لزفر والانتقام منه، وكاد أن ينجح في مسعاه.

وجر الأخطل على قومه بسفهه شراً عظيماً عندما تعرض لرجل آخر في مجلس الخليفة.

كان الجحاف السلمي جالساً عند عبد الملك، وكان الأخطل جالساً. وكانوا يأكلون تمراً. فأخذ الأخطل ينشد مذكراً الجحاف بما تعرض له قومه بنو سليم من قتل على أيدي بني تغلب «ألا سائل الجحاف هل هو ثائر.. بقلى أصيبت من سُليم وعامر»، فذهل الجحاف لهذا الاجتراء، ولتأريث العصبية بعد

أن هدأت الأمور. قالوا أخذ يذهب بالتمرة إلى فمه فيضعها في عينه لشدة الغضب. ثم خرج الجحاف من المجلس وقد سقط جانب ردائه، وهو يجره جراً. فحم الأخطل خوفاً. فقال له عبد الملك: أنا أجيرك منه. قال الأخطل: تجيرني يقظان، فمن يجيرني نائماً؟ يعني أن الجحاف سيأتيه في كوابيسه.

خرج الجحاف وجمع جمعاً، وأغار على بني تغلب وقتل منهم كثيراً، حتى لقد أنتنت الجثث ولم يقو بنو تغلب على دفنها فأحرقوها، وبقر الجحاف بطون الحوامل، ونال الأخطل نفسه من ذاك ما ناله فقتل له ابن في هذه الوقعة ـ يوم البشر ـ وأُسر أبوه، وقيل إن الأخطل نفسه كان وقتئذ عند قومه وأسره بنو سليم وعليه ثوب وسخ، فقال لهم إنه عبد فأطلقوه. وتتمة قصة يوم البشر هذا أن الجحاف فر إلى الروم، فاسترضاه عبد الملك على أن يدفع ديات القتلى، فجاء الحجاجَ في العراق فحملَ عنه الديات، وقالوا إن العرب لم تعرف حمالة أبهظ من تلك الحمالة لكثرة من قتلهم الجحاف وقومه.

وأدى سفه الأخطل بالأخطل إلى أن يهجو شاعراً من تميم كان مشتبكاً مع ابن عم له.

كان للأخطل بيت في العراق يستقبل فيه الأضياف فيشربون ويقصفون ويسمعون الغناء. وفي بيته هذا التقى بالفرزدق، وشربا وتصادقا، وجمع بينهما السفه برباط أخوي وثيق. كان الفرزدق يتهاجى مع ابن قبيلته جرير. فكلاهما من تميم المضرية، والأخطل من تغلب الربعية. وأبى للأخطل سفهه أن يترك الجروين في هراشهما، فدخل ثالثاً ينصر الفرزدق على جرير. فسبه جرير بقصائد كثيرة، وسب الأخطل جريراً، وكان بشر بن مروان والي العراق، وأخو الخليفة عبد الملك، سعيداً بهذا التهاجي كل السعادة، وكان يؤجج نار الهجاء بين كل الشعراء.

تحير النقاد القدماء في أي هؤلاء الثلاثة أحسن شعراً. وكان جرير نفسه، عدو الأخطل، أعرف الناس بقيمة خصمه الأدبية، وقال ذلك مراراً. لكنه ظل يهجوه. حتى لقد هجاه بعد موته، فجرير في السفه لا يقل عن صاحبيه. ويقدر الدارسون أن الأخطل والفرزدق لدتان، ومولدهما في عام عشرين للهجرة، وأن جريراً أصغر منهما بعشر سنين.

ثم مات الأخطل، ربما سنة ٩٥ للهجرة، وله خمس وسبعون سنة.

شعر الأخطل مكثف مكتنز، تضيق ألفاظه عن معانيه. زد على هذا صعوبة

ألفاظه تدرك معاناة الأقدمين والمحدثين معه. ولم نجد له شرحاً وافياً نستند إليه، فتوكلنا على الله، وتبلغنا بما صنعه فخر الدين قباوة، فهو قد فتح كثيراً من الأبيات في هوامشه، تاركاً الشرح القديم، شرح أبي سعيد السكري، في المتن تحت الأبيات. ورغم أن الديوان وصلنا بروايات جيدة ومعارضات حسنة، وفي نسخ وافرة، فإن صعوبة الأبيات، وتلك اللغة الجاهلية للأخطل، جعلت القدماء يضطربون في الرواية. غير أننا نثق في أن هذا الذي بين أيدينا هو شعر الأخطل التغلبي. يستحق ديوان الأخطل أن يصنع صنعة جديدة بشرح واف. ويستحق هذا ديوان جرير، وديوان الفرزدق، ودواوين كثيرة جداً. حتى دواوين المحدثين كشوقي وحافظ والزهاوي تنتظر الأكاديمي المخلص كي يشرحها. ولو آنست من نفسي قدرة لكنت فعلت شيئاً من ذلك، ولكنني بددت سنواتي في أشغال أخرى فما تعمقت في تاريخ العرب وشعرهم ولغتهم بما يمكنني من شرح دواوين كاملة. فانتخبت من الشعر ما فهمت، وعللت النفس بأن ما فهمته هو ما يناسب عصرنا، وشرحت بقدر ما فهمت، واجتهدت وما أَلَوْت.

١ سائل الجحَّاف

أَلَا سائِلِ الجَحَّافَ هل هُوَ ثائرٌ بِقتلَى أُصيبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وعامِرِ

ثائر: آخذ بالثأر. قال الأخطل هذا البيت في مجلس عبد الملك بن مروان في حضور «الجحاف السُّلَمي» يعيره بمقتلة قبيلته سليم وقبيلة عامر. سمع الجحاف هذا فخرج من المجلس يتميز غضباً فجمع جمعاً وانتقم شر انتقام من قبيلة الأخطل «تغلب»

٢ الخمرية الكبرى

قال الأخطل يمدح خالد بن عبد الله بن أَسيد الأموي، وذكر وقعة البشر:

كَأَنِّي غداةَ انْصَعْنَ لِلبيْنِ مُسْلَمٌ بِضربةِ عُنْقٍ أو غَوِيٌّ مُعَذَّلُ

كأنني صبيحة انصرافهن للبين (الفراق) مُسلَمٌ (تم تسليمه للسلطان) بضربة عنق (لضرب عنقه)، أو كأنني غوي (سكير) معذل (ملوم)، فأنا مستكين حزين

صَريعُ مُدامٍ يَرفعُ الشَّرْبُ رأسَهُ لِيحيَا، وقد ماتتْ عِظامٌ ومَفْصِلُ

صريع مدامٍ (منطرِح أرضاً بالخمر) يرفع الشرب (الشاربون) رأسه، كي يحيا (يفيق)، وقد ماتت عظامه ومفاصله

نُهادِيهِ أحياناً، وحيناً نَجُرُّه وما كادَ إلَّا بالحُشاشةِ يَعقِلُ

نهاديه (نرفع رأسه) أحياناً، وأحياناً نجره، ولكنه لا يعقل إلا بالحشاشة (ببقية وعيه)

شَـرِبْـتُ ولاقـانـي لِـحِـلِّ أَلِـيَّـتـي قِـطارٌ تَـرَوَّى مِـنْ فِـلَـسْـطِـيـنَ مُـثْـقَـلُ

بعد أن شبه نفسه بالسكران لفراق الأحبة يمضي في وصف الخمر والشراب. شربت الخمر ولاقاني لحل أليّتي (وقت تحللي من قسمي) قطار (صفٌّ من الإبل) تروّى (حمل الروايا أي الزقاق) من فلسطين. وكان الأخطل حلف لا يشرب الخمر عشرة أيام بعد هزيمة قومه

فقلتُ: اصبَحوني لا أَبا لِأبيكُمُ، وما وَضَعُوا الأثقالَ إلَّا لِيفعَلوا

قلت اصبحوني (ناولوني خمرة الصباح) لا أبا لأبيكم (دعاء تظرف لا شتم)، وهم ما أنزلوا قِرَبَ الخمر إلا كي يسقوني

أَناخُوا فَجَرُّوا شاصِياتٍ كأَنَّها رِجالٌ مِنَ السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا

أناخوا جمالهم وجروا شاصيات (قِرَباً) كأنها رجال سود بغير ثياب. فزقاق الخمر من جلود الماشية، وهيئة الزق كهيئة العنز وقد طلي بالزفت حتى لا ينسرب الخمر، فهو أسود

وجاءُوا بِبَيْسانِيَّةٍ هِيَ بعدَما يُعَلُّ بها السَّاقي أَلَذُّ وأَسْهَلُ

جاءوا بخمر من بيسان بفلسطين، وهي بعدما يُعل بها (يسقى مرة بعد مرة) الساقي (المسقيّ) تزداد لذة وسهولة انحدار في الحلق. قلنا الساقي = المسقي، مثل الكاسي أي المكسوّ، وخالفنا في فهمنا الكلمة الأب صالحاني وربما أيضاً السكري صاحب النسخة

تَمُرُّ بِها الأَيدِي سنِيحاً وبَارِحاً وتوضَعُ بِاللَّهُمَّ حَيٍّ وتُحْمَلُ

تمر الأيدي بكؤوس الخمر سنيحاً وبارحاً (من اليمين ومن الشمال)، ويضع الشاربون كؤوسهم ويرفعونها قائلين: اللهم حيّ (يقولون في زمننا للضيف: حيَّا الله!)

وتُوقَفُ أحياناً فيفْصِلُ بينَنا غناءُ مغَنٍّ أو شِواءٌ مُرَعْبَلُ

وبين الشرب والشرب نتوقف لنسمع الغناء، أو لنأكل اللحم المشوي المرعبل (المشرَّح)

فما لَبِثَتْنا نَشْوَةٌ لَحِقَتْ بِنا توابِعُها مما نُعَلُّ ونُنْهَلُ

وما لبثتنا (قد عاجلتنا) نشوة الخمر وما تبعها من سكر لكثرة ما نعل وننهل (نشرب مرة بعد مرة، والنَّهَل: الشرب الأول، والعلَل: الثاني وما بعده)

تَدِبُّ دبيباً في العظامِ كأنهُ دَبيبُ نِمَالٍ في نَقاً يَتهَيَّلُ

تتسلل الخمر إلى العظام كأنها دبيب النمل على النقا (كومة الرمل) والرمل يتدحرج من مشي النمل عليه

فقلتُ اقتُلوها عنكُمُ بِمِزاجِها فأَطِيبْ بِها مقتولةً حين تُقتَلُ

قلت اقتلوها عنكم (خففوا أثرها عليكم) بمزجها بالماء، وما أطيبها حين تمزج، فهذا يطيل وقت الشرب

أَعـاذِلَ إِلّا تُـقـصِـري عـن مَـلامـتـي   أَدَعْـكِ وأَعْـمِـدْ لِـلَّـتـي كـنـتُ أفعـلُ

يا عاذلتي إلّا (إن لم) تقصري (تكُفي) عن لومي أتركك، وأعكف على ما كنت أفعل

وبـيـداءَ مِـمْـحـالٍ كـأنَّ نَـعـامَـهـا   بِـأَرجـائِـهـا الـقُـصْـوَى أَبَـاعـرُ هُـمَّـلُ

رب صحراء قاحلة تراها من بعيد فترى طيور النعام في أرجائها البعيدة كأنها أباعر (جمال) همل (متروكة)

تَـرى لامـعـاتِ الآلِ فـيـهـا كـأنـهـا   رجـالٌ تَـعَـرَّى تـارةً وتَـسَـرْبَـلُ

ترى الآل (السراب) يلمع فكأن النعام رجال يتعرون حينا ويلبسون حيناً، بحسب حركتها إزاء السراب

مَـلاعِـبُ جِـنَّـانٍ كـأن تـرابَـهـا   إذا اطَّـرَدَتْ فـيـه الـريـاحُ مُـغَـرْبَـلُ

هذه الصحراء كأنها ملاعب الجن، وترابها كأنه يغربل بالغرابيل عندما تطرد (تتوالى) عليه الرياح يمينا ويساراً

أَجَـزْتُ إذا الـحِـرْبـاءُ أَوْفَـى كـأنـه   مُـصَـلٍّ يَـمـانٍ أو أسـيـرٌ مـكـبَّـلُ

هذا الصحراء أجزتها (قطعتها) في عز الظهر، في وقت كان الحرباء فيه قد أوفى (انتصب) كأنه يصلي متجهاً نحو اليمن لتحريكه رأسه باتجاه الشمس، أو كأنه أسير مقيد يحرك رأسه دون الانتقال من مكانه

إلـى ابـنِ أَسِـيـدٍ خـالـدٍ أَرْقَـلَـتْ بـنـا   مـسـانِـيـفُ تَـعْـرَوْرِي فَـلاةً تَـغَـوَّلُ

قطعت الصحراء قاصداً أسيد بن خالد، وإليه أرقلت (أسرعت) بنا الأبل المسانيف (المهزولة لطول السير) التي تعروري الفلاة (تركبها وهي عارية من كل نبت) والفلاة تتغول (تُضِلُّ الناس). أما الرجل الذي «يعروري» الفرس فهو الذي يركبه دون سرج

تَـرى الـثَّـعـلـبَ الـحَـوْلِـيَّ فـيـهـا كـأنـه   إذا مـا عَـلا نَـشْـزاً حِـصَـانٌ مُـجَـلَّـلُ

ترى الثعلب الحولي (الذي بلغ عاماً من عمره) في هذه الصحراء وقد علا نشزاً (مرتَفَعاً) كأنه حصان مجلل (عليه السرج)

فـمـا زالَ عـنـهـا الـسَّـيْـرُ حـتـى تَـواضَـعَـتْ   عـرائِـكُـهـا مِـمَّـا تُـحَـلُّ وتُـرحَـلُ

فما انقطع سير الإبل حتى تواضعت (هبطت) عرائكها (أسنمتها) لكثرة الحل والترحال. وسنام الجمل يذوب مع الهزال

أخـالِـدُ مَـأواكُـمْ لِـمَـنْ حَـلَّ واسـعٌ   وكَـفَّـاكَ غَـيْـثٌ لـلـصَّـعـالـيـكِ مُـرْسَـلُ

مأواكم (بيتكم) واسع لمن حل ضيفاً، وكفاك مطر مرسل (هاطل) للصعاليك (الفقراء)

أبى عـودُكَ الـمَـعْـجـومُ إلّا صَـلابـةً   وكـفَّـاكَ إلّا نـائـلاً حـيـنَ تُـسـأَلُ

أبى عودك المعجوم (طبعُك المختَبَر، كما يختبر المرء عوداً ليعرف مدى صلابته) إلا أن يكون صلباً، وأبت كفاك إلا عطاء حين يسألك السائلون

الا أيُّـهـا الـسَّـاعـي لِـيُـدرِكَ خَـالـداً   تَـنَـاهَ وأَقْصِرْ بعضَ ما كنتَ تفعلُ

يا من يريد إدراك خالد في السخاء، تناه (كُفَّ) وأقصِرْ (كُفَّ)

لقد أوقعَ الجَحَّافُ بِالبِشْرِ وَقْعَةً   إلى اللّهِ منها المُشْتَكى والمُعَوَّلُ

أوقع بنا الجحاف في يوم «البشر» وقعة، نشتكي منها إلى الله، ونعوّل عليه في الانتقام. وكان الجحاف السلمي قتل رجال تغلب وبقر بطون الحوامل في وقعة عظيمة

فـسـائِـلْ بـنـي مَـروانَ مـا بَـالُ ذِمَّـةٍ   وحـبـلٍ ضـعـيـفٍ لا يـزالُ يـوَصَّـلُ

فاسأل يا أخطل بني مروان: ما هذه الذمة (العهد)، والحبل الضعيف (الصلة بيننا وبينكم) الذي نصله مرة بعد مرة. وكان لقوم الأخطل من تغلب ذمة (فهم مسيحيون من أهل الذمة)

فـإلّا تـغـيِّـرْهـا قـريـشٌ بِـمُـلْـكِـهـا   يَـكُـنْ عن قُريشٍ مُسْتَمازٌ ومَزْحَلُ

فإن لم تغير قريش (وبنو مروان من قريش) موقفها المتردد منا وتنصرنا بما لها من الملك والسلطة، فلنا عنها مستماز (ذهاب) ومزحل (انصراف)

ونَـعْـرُرْ أُنـاسـاً عَـرَّةً يـكـرهُـونَـهـا   ونـحـيـا كـرامـاً أو نـمـوتُ فـنُـقْـتَـلُ

ونعرر (نُخزِ) أناساً بثلب يكرهونه، ونقاتل حتى النصر أو الموت

وإن تَحمِلُوا عنهُمْ فما مِنْ حَمالَةٍ   وإن ثَـقُـلَـتْ إلّا دَمُ الـقـومِ أثـقَـلُ

فإن حملت قريش الحمالة عن الذين قُتلوا منا (أي تدفع الديات عنهم) فإن أي حمالة لا تفي بالدم المسفوك

وإن تَعرِضُوا فيها لنا الحقَّ لم نَكُنْ   عن الحقِّ عُمياناً بلِ الحَقَّ نسأَلُ

ونحن نقبل الحق، أي نقبل المال عوضاً عمن قتل

وقد نـنـزِلُ الثَّـغْـرَ الـمَـخُـوفَ ويُـتَّـقَـى   بـنـا الـبـأسُ والـيومُ الأغَـرُّ الـمُـحَـجَّـلُ

ونحن أيضاً نأتي الثغر (جبهة القتال) المشحون بالخوف، ويتقى بنا البأس (تُدفَع بشجاعتنا الشدائد) ويوم القتال الأغر المحجل (المشهور، كالحصان ذي الغرة البيضاء والبياض في قوائمه فهو حصان مشهور)

٣ القضاعي غول

يـا أيُّـهـا الـراكـبُ الـمُـزجـي مَـطِـيَّـتَـه   أَسْـرِعْ فـإنَّـكَ إن أُدرِكْـتَ مـقـتـولُ

أيها الراكب الذي يزجي (يسوق) مطيته (دابته)، أسرعْ فإنك إن أُدركت ولحقوا بك فستقتل

لا يـخـدَعـنَّـكَ كَـلْـبِـيٌّ بِـذمَّـتِـه	إن الـقُـضَـاعِـيَّ إن جـاوَزْتَـه غُـولُ

لا تنخدع بذمة (عهد) الكلبي (وقبيلة كلب هي بعض قضاعة) والقضاعي إن جاوزته (غادرته) غول (قاتل يغتالك). وهل هناك أقبح ممن يضيفك ويحميك وأنت في جواره، فإذا غادرت مضارب قبيلته تبعك ليقتلك ويسلبك متاعك؟ في هذين البيتين وفي غيرهما كثير صححت طبعة قباوة أوهام طبعة الأب صالحاني، الذي هو «بسبق حائز تفضيلا»

٤ المولجة سوالفها

قال يمدح عبد الملك بن مروان:

لَعَمْرِي لقد أَسْريتُ، لا لَيلَ عاجزٍ،	بِسَاهِمَةِ العينينِ طَاوِيَةِ القُرْبِ

والله لقد أسريت (سرت ليلاً) ليس لعجز عن حماية نفسي، ولكن لأن السير في برد الليل أهون وأسرع، وكان مسيري بناقة ساهمة (غائرة) العينين، طاوية (ضامرة) القرب (الخاصرة)

مُعارِضَةً خُوصاً حَراجيجَ شَمَّرَتْ	بِنُجْعَةِ مَلْكٍ لا ضَئيلٍ ولا جَأْبِ

وناقتي هذه كانت معارضة (مسابقة) خوصاً (نياقاً غائرة الأعين) حراجيج (ضامرة) شمرت (أسرعت) كي تنتجع (تطلب العطاء) من ملك لا هو بالضئيل ولا الجأب (الغليظ الجافي)

إذا صَخَبَ الحادي عَليْهِنَّ بَرَّزَتْ	بعيدةَ ما بينَ المَشَافِرِ والعَجْبِ

إذا رفع الحادي (سائق الإبل) صوته صاخباً برَّزت نياقي (سبقت) ومدت كل ناقة جسمها، وإن المسافة بين مشافرها (شفتيها) وعجبها (أصل ذنبها) لطويلة، أي هي ناقة كبيرة الجرم

وكَمْ جاوَزَتْ بَحْراً ولَيْلاً يَخُضْنَهُ	إليكَ أميرَ المؤمنينَ ومِنْ سَهْبِ

عبرتْ نياقي البحار (يقصد الأنهار) وعبرت الليل والسهوب (الصحارى)، وخاضت هذا كله لتصل إلى أمير المؤمنين

يَخِذْنَ بِنا عن كلِّ شيءٍ كأنَّنا	أَخَارِيسُ عَيُّوا بالسَّلامِ وبِالنَّسْبِ

يخدن (يسرعن) بنا عن كل شيء (متجاوزات كل شيء وغير متوقفات) فكأننا أخاريس (بكم، خرس لا نتكلم) عيوا بالسلام وبالنسب (عجزوا عن الكلام مع الأقوام الذين نمر بهم، وعن الانتساب بذكر قبيلتنا كما ينبغي للضيف)، فنحن نمر سريعاً بالأقوام ولا نكلمهم

**إذا طَلَعَ العَيُّوقُ والنَّجْمُ أَوْلَجَتْ	سَوالِفَها بينَ السِّمَاكَيْنِ والقَلْبِ**

إذا بدا نجم «العيوق» والنجم (يقصد الثريا)، أدخلت الناقة سوالفها (خديها) بين السماكين (نجمان) والقلب (نجم). في هذا البيت يصف الأخطل المنظر من زاوية راكب الناقة، فهو يقعد منخفضاً قرب ذنبها بينما رأسها عالٍ، ويراها تضع رأسها بين النجمين وتسير في الليل. وأن تضع الناقة رأسها بين نجمين عبارة فيها من الشعر ما فيها

إلـيـك أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ رحـلـتُـهـا على الطائرِ الميْمونِ والمنزلِ الرَّحْبِ

رحلت ناقتي (جهزتها بالرحل أي بالسرج وتوابعه) إليك، على الطائر ميمون (على أمل أن الطير يتجه يميناً فهذا فأل حسن) وعلى أمل المنزل الرحب في كنفك

إلى مُؤمنٍ تجلُو صَحيفَةُ وجهِه بَلابِلَ تَغْشَى مِنْ هُمُومٍ ومِنْ كَرْبِ

وجه الخليفة يجلو البلابل (يكشف القلق ويزيله) التي تغشى (تأتي)

مُناخُ ذَوي الحاجاتِ، يَسْتَمْطِرونَه عَطاءَ كريمٍ مِنْ أَسَارَى ومِنْ نَهْبِ

الخليفة مناخ ذوي الحاجات (موضع نزول إبلهم) ويستمطرونه (يطلبون أن يمطر عليهم بالعطاء) ويطلبون الجواري والغلمان من الأسارى (الأسرى) والنهب (الغنيمة)

تَرى الحَلَقَ المَاذِيَّ تَجري فضولُه على مُسْتَخِفٍّ بِالنوائبِ والحَرْبِ

ترى الدرع المسرودة من حلقات ماذية (حديدية) تنسدل وتجري فضولها (ذيولها) على جسم الخليفة، هذا الخليفة المستخف بالمصائب والحروب

أخُوها، إذا شَالَتْ عَضُوضاً سَمَا لها على كلِّ حالٍ مِنْ ذَلُولٍ ومِنْ صَعْبِ

هو أخو الحرب، فإذا شالت (تهيَّأت، كما تشول الناقة رافعة ذنبها للقاح) عضوضاً (شديدة) سما لها (ارتفع وتهيأ) مهما تكن حالها: أهي ذلول (ناقة أنيسة) أم صعبة جامحة

وفي كلِّ عامٍ منكَ للرومِ غَزْوَةٌ بعيدةُ آثارِ السَّنابِكِ والسَّرْبِ

تتغلغل في بلاد الروم تاركاً آثار سنابك خيلك (حوافرها)، ولك فيها سرب (دخول) عميق

أَهَلُّوا مِنَ الشهرِ الحرامِ فأصبَحُوا مَوالِيَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ

أهل بنو أمية (خرجوا) من الشهر الحرام فإذا هم موالي (أصحاب) ملك غير طريف (غير جديد، فهم ملوك منذ القدم) ولا غصب (لم يغصبوا الملك بل هو حقهم)

ولم تَرَ عيني مِثْلَ مُلْكٍ رأيتُه أتاكَ بِلا طعنِ الرماحِ ولا الضَّرْبِ

الطعن للرماح، والضرب للسيوف

ولكنْ رآكَ اللَّهُ مَوْضِعَ حقِّه على رُغْمِ أعداءٍ، وصَدَّادةٍ كُذْبِ

صدادة كذب: الذين يصدون عن الحق ويكذبون

لَحَى اللَّهُ صِرْماً منْ كُلَيْبٍ كأنَّهُمْ جِدَاءُ حِجَازٍ لاجِئَاتٌ إلى زَرْبِ

لحى الله (لعن) صرماً (جماعة) من كليب (قبيلة جرير) كأنهم غنم محجوزة مدجنة تلجأ إلى زرب (زريبة من قصب)

بـنـيِ الـكَـلْـبِ لـولا أنَّ أولادَ دَارِمٍ   تُذَبِّبُ عنكُمْ في الهَزاهِزِ والحَرْبِ . .

يا بني الكلب (مسبة كالتي نسمعها اليوم، فأما «كلب» وحدها فقبيلة أخرى بعيدة) ولولا أن قبيلة دارم تذبب (تدافع) عنكم في الهزاهز (الشدائد) والحرب . .

إذن لاتَّـقَـيْـتُـمْ مَـالِـكـاً بِـضَـريـبـةٍ   كذلكَ يُعطِيها الذليلُ على الغَضْبِ

. .لكنتم اتقيتم شر مالك بن حنظلة بدفع ضريبة،
والذليل يدفع على الغصب (مجبراً)

٥ سبايا

ألا مَـنْ مُـبـلِـغٌ قـيـسـاً رسـولاً   فـكـيـف وجَـدْتُـمُ طَـعـمَ الـشِّـقـاقِ

أَصَـبْـنـا نِـسْـوَةً مـنـكُـمْ جِـهَـاراً   بِـلا مَـهْـرٍ يُـعَـدُّ، ولا سِـيَـاقِ

مهر يعد: المهر الذي يكون بالدراهم تُعَدُّ عداً، والسياق: ما يساق من إبل في المهر

٦ شماتة بالزبيرية

أَقْفَرَتِ البُلْخُ مِنْ عَيْلانَ فَالرُّحَبُ   فَالمـَحْلَبِيَّاتُ فَالخابورُ فَالشُّعَبُ

أقفرت كل هذه الأماكن من قبيلة عيلان التي أجليت عنها بعد هزيمة ابن الزبير في العراق والحجاز، وكانت قيس عيلان زبيرية الهوى

فـأَصـبَحُـوا لا يُـرَى إلَّا مـسـاكِـنُـهُـمْ   كـأنَّـهُـمْ مِـنْ بـقـايـا أُمَّـةٍ ذَهـبُـوا

الشطر الأول بعض آية قرآنية، لعل الأخطل استعمله بعد الفرزدق، الأمم الذاهبة: المنقرضه كعاد وثمود والعماليق

فاللَّهُ لـم يَرْضَ عن آلِ الزُّبَيْرِ ولا   عن قيسِ عَيْلانَ حَيّاً طالَما خَرَبُوا

طالما خربوا: كثيراً ما سرقوا

يُعاظِمُونَ أبا العـاصيِ، وهُـمْ نَفَرٌ   فـي هَـامَـةٍ مِـنْ قُـريـشٍ دونَـهـا شَـذَبُ

يعاظمون (يفاخرون) أبا العاصي (عبد الملك بن مروان)، وهم (الأمويون) في هامة (رأس) من قريش دونها شذب (تحتها شوك، فهم كالثمر في رأس الشجرة ودون الوصول إليه شوك يحميه، كناية عن عز الأمويين)

إن يَحْلُمُوا عنكَ فالأحلامُ شيِمَتُهُمْ   والموتُ ساعةَ يَحْمَى منهُمُ الغضبُ

الأحلام (العقول الراجحة) شيمتهم (طبيعتهم) فإذا حمي غضبهم فهم الموت

كـأنـهُـمْ عـنـد ذَاكُـمْ لـيـس بـيـنَـهُـمُ   وبـيـنَ مَـنْ حاربُـوا قُـرْبَـى ولا نَـسَـبُ

ينسون في الغضب القرابة والنسب. فابن الزبير من قريش وبينه وبين الأمويين القرشيين نسب قريب. لا بل كان بين عبد الملك وبين مصعب ابن الزبير، الذي كان يتولى العراق لأخيه عبد الله، صداقة ومحبة عميقة وصحبة في أيام الشباب. وقتل جند عبد الملك مصعباً، وجاءوه برأسه فقال كلمته المأثورة: «الملك عقيم»

كـانـوا مَـوَالِـيَ حَـقٍّ يَـطْـلُـبـونَ بـه   فـأَدْركُـوُه ومـا مَـلُّـوا ولا لَـغَـبـوا

الأمويون موالي (أصحاب) حق (والحق هو ثأر عثمان، كما سيأتي)، وأدركوه (وصلوا إليه) وما لغبوا (تعبوا)

هُـمُ سَعَوْا بابْنِ عَفَّانَ الإمَامِ، وهُـمْ   بعدَ الشِّمَاسِ مَرَوْها ثُمَّتَ احْتَلَبُوا

سعوا في طلب الثأر من قتلة عثمان، وبعد الشماس (جموح الناقة، كناية عن اشتعال الفتنة) مروها (هدّأوها بمسح ضرعها) ثمت (ثم) حلبوها

حَرْباً أَصابَ بنـي الـعَـوَّامِ جانِبُـها   بُعْداً لِمَنْ أَكَلَتْهُ النارُ والحَطَبُ

حرباً (يا لها حرباً) أصابت بني العوام (أبناء الزبير بن العوام)

حتى تَناهَتْ إلى مصرٍ، جَماجِمُهُمْ   تعدُو بِها البُرْدُ مَنصُوباً بِهَا الخَشَبُ

تناهت (وصلت) الحرب إلى مصر، ومنها عادت جماجم قاتلي عثمان منصوبة فوق الأعواد. وبمصر قتل الأمويون محمد بن أبي بكر الصديق أحد من كانوا بالدار من أعداء عثمان، ومن مصر جاء كثيرون ممن ثاروا على عثمان

٧ وإذا دعونك عمهن

مـا إنْ رأيـتُ كَـمَـكْـرِهِـنَّ إذا جَـرى   فـيـنـا، ولا كَـحِـبـالِـهِـنَّ حِـبَـالا

لم أر كمكر النساء ولا كحبالهن (شباكهن)

الـمُـهْـدِيـاتِ لِـمَـنْ هَـوَيْـنَ مَـسَـبَّـةً   والـمُـحْـسِـناتِ لِـمَـنْ قَـلَـيْـنَ مَـقـالا

يشتمن من يحببن، ويحسنَّ القول لمن يقلين (يكرهن)

إنَّ الـغَـوانِـيَ إنْ رَأَيْـنَـكَ طَـاوِيـاً   بُـرْدَ الشبابِ طَـوَيْـنَ عنكَ وِصَالا

إذا رأتك الغواني (الحسان) قد طويت برد الشباب (طويت ثياب شبابك، أي ذهب شبابك)، طوين وصالهن (قطعن العلاقة)

وإذا وَعَـدْنَـكَ نـائـلاً أَخْـلَـفْـنَـهُ   ووجـدْتَ عـنـد عِـداتِـهِـنَّ مِـطَـالا

النائل (العطاء، من سهرةٍ تحت نخلة، أو ما فوق ذلك)، وعداتهن ممطولة: وعودهن فيها تسويف

وإذا دَعَــوْنَــكَ عَـمَّــهُــنَّ فــإنــه   نَـسَـبٌ يـزيـدُكَ عـنـدَهُـنَّ خَبَـالا

إذا قالت لك الحسناء يا عمي، فهذا نسب يزيدك خبالاً (فساداً)

وإذا وَزَنْتَ حُلومَهُنَّ إلى الصِّبا   رَجَحَ الصِّبَا بِحُلُومِهِنَّ فَمَالا

لو وزنت (قارنت) حلومهن (عقولهن) بالصبا (الطيش) لوجدت الطيش أرجح منها فكفته تميل نازلة، وكفة عقولهن تشيل صاعدة

أَهِيَ الصَّرِيمَةُ مِنْكِ أُمَّ مُحَلِّمٍ   أم ذا الدَّلالُ، فطَالَ ذاكَ دَلالا

أهذه هي الصريمة (القطيعة) منك يا أم محلم؟ أم هو فقط دلال؟ فما أطول هذا الدلال!

إنَّا نُعجِّلُ بالعَبِيطِ لِضَيْفِنا   قبلَ العِيالِ، ونَقتُلُ الأبطالا

نعجل بالعبيط (اللحم) للضيف قبل أولادنا، ونحن شجعان في الحرب

أَبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّذا   قَتلا الملوكَ وفَكَّكا الأغْلالا

يا بني كليب (قوم جرير) إن اثنين من أعمامي هما من قتل الملوك، وفكَّ أغلال (قيود) الأسرى. فقد قتل رجلان من تغلب في الجاهلية ملكين من الملوك هما المنذر بن النعمان، وعمرو بن هند

ولقد بَكَى الجَحَّافُ مِمَّا أَوْقَعَتْ   بِالشَّرْعَبِيَّةِ إذْ رأَى الأهوالا

بكي الجحاف السلمي مما أوقعت رجالنا بقومه في معركة «الشرعبية» من قتل

ولقد جَشِمْتَ، جريرُ، أمراً عاجِزاً   وأَرَيْتَ عَوْرةَ أُمِّكَ الجُهَّالا

لقد جشمت (كلفت نفسك) يا جرير أمراً عاجزاً (معجزاً لك)، ودللت السفهاء على عورة أمك بتعرضك لي وهجائي لك، فأنا قد كشفت عورات أهلك

وإذا سَما لِلمجدِ فَرعَا وَائِلٍ   واستَجْمَعَ الوادي عَليكَ فَسَالا . .

إذا سما (ارتفع) فرعا وائل (بكر وتغلب) للمجد، وجمع الوادي ماءه وسال عليك فجأة . .

كُنْتَ القَذَى في مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ   قَذَفَ الأَتِيُّ بِه فَضَلَّ ضَلالا

كنت في هذا السيل القذى (ما يحمله السيل من أغصان وأوساخ) تسبح في الموج المكدر ذي الزبد، وهذا القذى قذف به الأتيّ (السيل المفاجئ) فأخذ يتخبط وضلَّ ضلالاً

فَانْعَقْ بِضَأْنِكَ يا جريرُ، فإنَّما   مَنَّتْكَ نفسُكَ في الخَلاءِ ضَلالا

انعق (اصرخ على غنماتك) ولا تزد على ذلك. فقد تمنيت الأماني المضللة في الخلاء (تمنيت وحدك بلا قريع يردعك، ومن أراد أن يغلب بسهولة لعب الشطرنج وحده، وقالت العرب: كل مجر في الخلاء يسر، أي أن الذي يُجري فرسَه وحده فسوف يأتي سابقاً لا محالة)

مَنَّتْكَ نفسُكَ أن تُسَامِيَ دَارِماً   أو أن تُوازِنَ حَاجِباً وعِقَالا

تسامي: تباري، وهؤلاء هم أجداد الفرزدق الشاعر، وكان الأخطل ينصر الفرزدق على جرير

الـمـانِـعـيـنَ الـمـاءَ حتى يَـشْـرَبـوا عِـفَـواتِـهِ، ويُـقَـسِّـمُـوهُ سِـجَـالا

قوم الفرزدق أقوياء يمنعون غيرهم من ارتياد حياض الماء حتى يشربوا عفواته (الصافي منه) وحتى يقسموا الماء بسجالهم (دِلائهم، جمع دلو) على النياق لتحمله إلى مضاربهم

وابـنُ الـمَـرَاغَـةِ حَـابِـسٌ أَعْـيَـارَهُ قَـذْفَ الـغَـريـبـةِ، مـا يَـذُقْـنَ بِـلالا

وابن المراغة (ابن الحمارة، لقب جرير عند خصومه) حابس أعياره (حميره، وكان قوم جرير أصحاب حمير)، ينتظر أن يستقي، وحميره قد أقصيت عن الماء مثل الناقة الغريبة التي تدخل ديار قوم فيقذفونها بالحجارة لتذهب عنهم كيلا يتهموا بسرقتها، وحمير جرير لا تذوق بلالاً (ما يبل عطشها)

٨ حليبها أو دمها

ومَحْبُوسَةٍ في الحَيِّ ضَامِنَةِ القِرَى إذا اللَّيْلُ وافَاها بِأَشْعَثَ سَاغِبِ

رب إبل نحتفظ بها في الحي لتضمن القرى (طعام الضيف) عندما يوافيها الليل بضيف أشعث الشعر زري الهيئة ساغب (جائع)

مُعَقَّرَةٍ لا تُنْكِرُ السيفَ وسْطَها إذا لم يَكُنْ فيها مَعَسٌّ لِحَالِبِ

الإبل معقرة (معدة للذبح) ولا تستغرب السيف ونحن نلوح به بينها، فكثيراً ما نأتيها لنذبح إحداها إن لم يكن في هذه الإبل معس لحالب (مطلب لمن يحلبها، أي نذبحها إن لم يكن فيها حليب للضيف)

٩ مطالبة

إذا وُزِن الأقوامُ لم يُلْفَ فيهِمُ كَبِشْرٍ، ولا ميزانُ بِشْرٍ يُعَادِلُهْ

إذا قدرت أقدار الناس لم تُلْفِ (تجد) مثل بشر بن مروان والي العراق، ولم تجد شخصاً يعادل ميزان (مقدار) بشر

أَغَرُّ عليه التَّاجُ، لا مُتَعَبِّسٌ ولا وَرَقُ الدُّنْيا عن الحَقِّ شَاغِلُهْ

ويبدو أن الأمويين اتخذوا التيجان، فعبيد الله بن قيس الرقيات يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان بـ «يعتدل التاج فوق مفرقه.. على جبين كأنه الذهب». وهذا بشر أو عبد الملك يلبس تاجاً، وورق الدنيا (نعيمها) لا يشغله عن الحق

إذا انفَرَجَ الأَبْوابُ عنه رَأَيْتَه كَصَدْرِ اليَماني أَخْلَصَتْهُ صَياقِلُهْ

كأنما كانت تفتح أبواب المجلس حين يؤذن للناس فيدخلون فيرون في صدر المجلس بشراً قاعداً على سريره مهيباً وضاءً كأنه السيف الذي أجاد صقله الصياقل (صانعو وصاقلو السيوف)

فلا تَجْعَلَنِّي يا ابنَ مروانَ كامْرِئٍ غَلَتْ في هَوى آلِ الزُّبَيْرِ مَراجِلُهْ

فلا تعاملني يا بشر بن مروان كمن كانت مراجله (قدوره) تغلي بما ارتزق من آل الزبير قبل زوال حكمهم، وكان مصعب بن الزبير والي العراق يعطي الشعراء بما يملأ قدورهم ويطعم عيالهم. نقل الأخطل «غلي القدور باللحم» إلى «غلي الصدور بالهوى»

يُبَايِعُ بِالكَفِّ التي قد عَرفْتَها   وفي قلبِه نَامُوسُهُ وغَوَائِلُهْ

فهذا الذي كان يناصر الزبيريين يصافحكم الآن مبايعاً، وقد انتصرتم، بالكف التي تعرف يا بشر أنها كانت عليكم، وظل في قلبه ناموسه (غشه) وغوائله (أحقاده)

١٠ استغاثة بقريش

قد كَشَفَ الحِلْمُ عنِّي الجَهْلَ فانقَشَعَتْ   عنِّي الضَّبَابَةُ: لا نِكْسٌ ولا وَرَعُ

الحلم (العقل) أزاح عني الجهل (التهور) فانقشعت (انكشفت) عني الضبابة (الغمامة) وزالت أوهام صباي، فلا أنا نكس (نكرة، ساقط) ولا ورَع (جبان)

إنِّي وربِّ النَّصارى عند عيدِهِمُ،   والمسلمينَ إذا ما ضَمَّها الجُمَعُ..

يحلف برب النصارى في عيدهم، والمسلمين في أيام الجمعة..

ورَبِّ كلِّ حَبيسٍ فوق صَوْمَعةٍ   يُمْسِي ولا همُّهُ الدنيا ولا الطَّمَعُ..

ويحلف برب كل راهب حبس نفسه في صومعته زاهداً..

لقد مَدَحْتُ قُريشاً، واستغثْتُ بِهِمْ   إذْ مَا أَنَامُ، إذا ما صُحْبَتي هَجَعُوا

استغثت بقريش وأنا خائف لا أنام إذا أصحابي هجعوا (ناموا)

وإذْ وَشَى بِيَ أقوامٌ فأَدْرَكَني   رَهْطُ الذي رفعَ الرحمنُ، فارتَفَعُوا

ذلك عندما وشى بي ناس، ولكن أدركني (نجدني) رهط (قوم) النبي محمد الذي رفعه الله، فارتفعوا به. والأمويون أقرب قريش إلى بني هاشم، فهما كلاهما من عبد مناف

إنِّي دَعاني إلى بِشْرٍ فَواضِلُهُ   والخيرُ، قد عَلِمَ الأقوامُ، مُتَّبَعُ

دعاني إلى مدح بشر بن مروان والي العراق فواضله (تفضله بالعطاء) والخير كما تعلمون متبع (يتبعه الناس).. وكما قال اللاحق: يسقط الطير حيث ينتثر الحب.. وتغشى منازل الكرماء

١١ الحجاج نخاساً

أَحْيَا الإلهُ لنا الإمامَ فإنه   خيرُ البَرِيَّةِ، لِلذُّنوبِ غَفُورُ

أبقى الله الإمام، الخليفة، فهو خير البرية (البشر)، وهو يغفر الذنوب

نُورٌ أَضاءَ لنا البلادَ، وقد دَجَتْ   ظُلَمٌ تَكادُ بها الهُدَاةُ تَجُورُ

الخليفة نور أضاء البلاد بعد أن دجت (اسودت) ظلم (عتمات) حتى لقد كادت الهداة (الناس الذين يهدون الآخرين) تجور (تنحرف عن الطريق السوي)

فَعليكَ بِالحجَّاجِ لا تَعْدِلْ به أَحداً إذا نَزلَتْ عليكَ أُمورُ

فعليك يا عبد الملك بالحجاج فلا أحد مثله. وعبد الملك، وبعده ابنه الوليد، في غنى عن مثل هذه النصيحة فقد كان الحجاج حبة عين الخليفتين

ولقد عَلِمْتَ، وأنتَ أعلَمُنا به، أنَّ ابْنَ يُوسُفَ حَازِمٌ مَنصورُ

علمت أيها الخليفة أن الحجاج بن يوسف حازم منصور

وأَخُو الصَّفَاءِ فما تزالُ غَنِيمَةٌ منهُ يَجيءُ بها إليكَ بَشيرُ

وهو رجل صافي الضمير لا يحتجن، لا يحتفظ بالغنائم لنفسه، بل يبعث إليك من يبشرك بها.. ثم طبعاً تأتيك الغنائم بعد البشارة

وتَرى الرَّوَاسِمَ يَختَلِفْنَ، وفَوقَها وَرَقُ العِراقِ: سَبائِكٌ وحَريرُ

ترى الرواسم (الإبل المسرعة، التي تسير «الرسيم») يختلفن (يأتين مرة بعد مرة)، وعليها وَرَق (مال) العراق من سبائك وحرير. ومن قرأ ورِق بكسر الراء فتلك الفضة، وبالكسر قرأ قباوة

وبَناتُ فَارِسَ كلَّ يومٍ تُصْطَفَى يَبْلُونَهُنَّ، ومَا لَهُنَّ مُهُورُ

يختارون لك ما يختارون من سبايا الفرس ويبلونهن (يختبرونهن). قال السكري الشارح: «كان قتيبة بن مسلم لما قتل فيروز بن كسرى يزدجرد بعث بابنتيه إلى الحجاج فأمسك إحداهما وبعث بشاهَفْريد إلى الوليد فأولدها يزيد»

١٢ يزيد والفرات

أبا خالدٍ دافعْتَ عنِّي عَظِيمَةً، وأَدْرَكْتَ لَحْمِي قبلَ أن يتبَدَّدا

أبو خالد: يزيد بن معاوية، دافعت عني عظيمة: دفعت عني مصيبة، أدركت لحمي قبل أن يتقطّع (كان الأخطل مهدداً بقطع لسانه)

وأَطْفَأْتَ عَنِّي نارَ نُعْمَانَ، بَعدَما أَغَذَّ لِأَمْرِ عَاجِزٍ وتَجَرَّدا

أخمدت نار غضب نعمان (النعمان بن بشير الأنصاري الذي غضب لهجاء الأخطل الأنصار) بعدما أغذ (أسرع) لأمر عاجز (شديد يُعجِز المرء) وتجرد (استعد). القصة باختصار: هجا الأخطل الأنصار بطلب من يزيد بن معاوية، فجاء النعمان إلى معاوية غاضباً، وطلب أن يسل لسان الأخطل، فجاراه معاوية، ففزع الأخطل إلى يزيد، فكلم أباه فنجا الأخطل

ولَمَّا رأَى النُّعْمانُ دُونِي ابنَ حُرَّةٍ طَوَى الكَشْحَ، إذْ لم يَستَطِعْنِي وعَرَّدَا

لما رأى النعمان دوني (أمَامي ويحميني) ابن حرة (و«يزيد» ابن ميسون الكلبية لا ابن جارية) طوى الكشح (انصرف) إذ عرف أنه لا ينالني، وعرد (أحجم وهرب)

وَمَا مُزْبِدٌ يَعْلُو جَزائِرَ حَامِزٍ   يَشُقُّ إليها خَيْزُراناً وغَرْقَدا..

يبدأ تشبيهاً: ليس الفرات المزبد (الذي يعلو الزبد صفحته لتدفقه) الذي يعلو جزر حامز (بين الرقة ومنبج) عندما يفيض، شاقاً نحوها غابات الخيزران والغرقد (ضربان من الشجر)..

تَحَرَّزَ منهُ أهلُ عَانَةَ، بعدما   كسا سُورَها الأعلى غُثَاءً مُنَضَّدا..

.. وقد تحرز (تحصن) من النهر أهل قرية عانة بعد أن فاض ورمى فوق أعلى أسوارها بالغثاء المنضد (ورق الشجر والأغصان المتراكمة مما يحمل النهر في فيضانه)..

يُقَمِّصُ بِالمَلَّاحِ حتَّى يَشُفَّه الـ   حِذَارُ، وإن كانَ المُشِيحَ المُعَوَّدا..

هذا النهر الهائج يقمص بالملاح (يتلاعب بسفينته) حتى يشفه الحذار (يُذهب عقله التيقظ الشديد) حتى وإن كان هذا الملاح المشيح (الحاذق) المعوِّد (المجرب)..

بِمُطَّرِدِ الآذِيِّ جَوْنٍ، كأنَّما   زَفَا بِالقَراقيرِ النَّعَامَ المُطَرَّدَا..

يتلاعب الآذي (الموج) المطرد (المتتابع) الجون (الأبيض بما فوقه من زبد)، وتراه قد زفا (طرد وفرَّق) القراقير (السفن) وكأنها النعام المطرد (المبعد المطرود)..

كأَنَّ بَناتِ الماءِ في حَجَراتِه   أباريقُ أَهْدَتْها دِيَافُ لِصَرْخَدا..

كأن بنات الماء (طيور الماء) في حجراته (نواحيه) أباريق (لطول أعناقها) مما يحمله التجار من قرية دياف لقرية صرخد..

بِأَجْوَدَ سَيْباً مِنْ يَزيدَ إذا غَدَتْ   به بُخْتُه يَحْمِلْنَ مُلْكاً وسُؤْدَدا

ليس هذا الفرات المتدفق بمائه بأجود (بأسخى) من يزيد إذا غدت (سارت) به بخته (والبخت نوع من الإبل الكريمة) وفوقهن الملك والسيادة. وعلى الفرات قتل رجال يزيد الحسين بن علي لتبدأ فتنة جديدة لم تنته بعد

١٣ الحولية الكبرى

خَفَّ القَطِينُ فَراحُوا منكَ أو بَكَروا   وأَزْعَجَتْهُمْ نَوىً في صَرفِها غِيَرُ

خف (أسرع) القطين (القاطنون بجوارنا) فراحو (ذهبوا مساء) أو بكروا (ذهبوا صباحاً) منك (تركوك)، وأزعجتهم (جعلتهم يرحلون) نوى (نية الرحيل) في صرفها غير (في ظروفها تغير للأسوأ). فهم رحلوا بحثاً عن العشب بعد أن اشتدت بهم الحال

كأنَّني شارِبٌ يومَ استُبِدَّ بِهِمْ   مِنْ قَرْقَفٍ ضُمِّنَتْها حِمِصُ أو جَدَرُ

دخلت في مزاج تأملي يوم استبد بهم (غُلبوا على أمرهم)، فكأنني شارب من قرقف (خمر) من خمور حمص أو جدر

جَادَتْ بها مِنْ ذواتِ القَارِ مُتْرَعَةٌ   كَلفاءُ يَنْحَتُّ عن خُرطُومِها المَدَرُ

جادت بتلك الخمر خابية مترعة (مملوءة) من ذوات القار (مما طُلِي بالزفت) كلفاء (داكنة اللون) ينحتُّ (يُقشر) عن فوهتها المدر (الطين)

شوقاً إليْهِمْ ووَجداً يومَ أُتْبِعُهُمْ   طَرْفي، ومنهُمْ، بِجَنْبَيْ «كَوكَبٍ»، زُمَرُ

هذا لشوقي إليهم ووجدي (شغفي) وأنا أُتبعهم طرفي (ألاحقهم ببصري)، ومن هؤلاء القوم زمر (جماعات) في ناحيتي منطقة «كوكب»

حَثُّوا المَطِيَّ فَوَلَّتْنا مَناكِبَها   وفي الخُدورِ إذا بَاغَمْتَها الصُّوَرُ

حثوا المطي (أسرعوا بالإبل) فأعطتنا مناكبها (ظهورها)، وفي الخدور (الهوادج) الصور (الحسان اللائي كالدمى) نراها حين نباغمها (نكلمها بكلام غير مفهوم كأنه بغام الظباء)

يُبْرِقْنَ للقومِ حتى يَخْتَبِلْنَهُمُ   ورأْيُهُنَّ ضعيفٌ حين يُخْتَبَرُ

يبرقن (يلمحن تلميحاً) للقوم حتى يحتبلنهم (يصدنهم صيداً)، مع أن رأيهن ضعيف عند التجربة (عقولهن غير ناضجة). احبس رجلاً في خدر تر عقله صار ضعيفاً أيضاً

يا قَاتَلَ اللَّهُ وَصْلَ الغانياتِ إذا   أَيْقَنَّ أنَّكَ مِمَّنْ قد زَهَا الكِبَرُ

زهاك الكبر: أضعفك

أَعْرضْنَ لمَّا حنَى قَوسي مُوَتِّرُها   وابْيَضَّ بعد سَوادِ اللِّمَّةِ الشَّعَرُ

أعرضت الحسان عندما حنى الله قامتي فصارت كالقوس، والله قد وتَّر القامة فكأنها القوس الذي وضع له وتر، وعندما ابيضت اللمة (الشعر)

ما يَرْعَوِينَ إلى دَاعٍ لِحَاجَتِه   ولا لَهُنَّ إلى ذي شَيْبَةٍ وَطَرُ

لا يرعوين (يتركن التكبر) ويلبين صاحب الحاجة، وليس لهن وطر (حاجة) عند شائب

شَرَّقْنَ إذْ عَصَرَ العِيدانَ بَارِحُها   وأَيْبَسَتْ غيْرَ مَجرى السِّنَّةِ الخُضَرُ

رحلن شرقاً عندما عصر العيدان (جففها) بارحها (الريح الباردة)، وأيبست الخضر، أي أصبحت يابسة، ما عدا مجرى السنة (مجرى سن المحراث، فالزرع هناك آخر ما يجف)

وَقَعْنَ أُصْلاً، وعُجْنَا مِنْ نَجائِبِنا،   وقد تُحُيِّنَ مِنْ ذي حَاجَةٍ سَفَرُ..

وقعن (نزلن) أصلاً (مساءً، عند الأصيل)، وعجنا نحن نجائبنا (أملنا إبلنا) عندما حان وقت سفر ذوي الحاجات، أي نحن..

إلى امْرِئٍ لا تُعَرِّينا نَوافِلُهُ   أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلْيَهْنِئْ له الظَّفَرُ

نسافر إلى رجل لا تعرينا نوافله (لا تتركنا عطاياه محرومين)، وقد انتصر فهنيئاً له

الخَائِضِ الغَمْرَ، والميْمُونِ طائِرُهُ   خليفةِ اللَّهِ يُستَسْقَى به المطَرُ

ذهبنا إلى الخائض الغمر (الذي يخوض الماء العميق، أي الشدائد/ لا تنس أن الأخطل نشأ بجانب الفرات ويعرف الفيضانات، ومن هنا كثير من تشبيهاته)، وإلى الميمون طائره (ذي الحظ الحسن) وبوجهه الوضيء نستسقي (كانوا يأخذون رجلاً صالحاً وضيء الوجه إذا أرادوا دعاء الاستسقاء)

والمُسْتَمِرِّ به أَمْرُ الجميعِ، فَما   يَغْتَرُّهُ بعدَ تَوكيدٍ له غَرَرُ

المستمر (المفتول بإحكام) به أمر الناس جميعاً، والذي لا يغتره (يخدعه) الغرر (الخداع) بعد أن استقام له أمر الخلافة

وما الفُراتُ إذا جَاشَتْ حَوالِبُهُ   في حَافَتيْهِ وفي أَوْسَاطِهِ العُشَرُ

يبدأ تشبيهاً: ليس الفرات إذا جاشت (امتلأت بالماء) حوالبه (روافده)، وأصبح في حافتيه (شاطئيه) وفي وسطه أغصان شجر العشر.. [وكان محمد النويهي يشرح هذا البيت لطلبته في جامعة الخرطوم، وأخذ يصف شجر العشر، فرآهم يتبسمون.. قالوا له: يا أستاذ، انظر من النافذة، ذاك شجر العشر. وعندما ذهبت إلى الخرطوم، كنت أقف أمام بوابة المركز القومي للإعلام وحولي تلامذتي من الصحفيين المتدربين، قلت لهم: أين أجد شجر العشر؟ فقالوا: انظر هناك. كانت شجرة من هذا الشجر مقصوفة وملقى منها غصن كبير على الرصيف الآخر، وعبرنا الشارع، ورأيت شجر العشر، وله ثمر كبير أجوف ينز حليباً كحليب التين]

وذَعْذَعَتْهُ رياحُ الصيفِ، واضطربتْ   فوقَ الجَآجِئِ مِنْ آذِيِّهِ غُدُرُ

وذعذعت النهر (حركته وفرقته) رياح الصيف، واضطربت فوق جآجئ (صدور) آذيه (أمواجه) غدر (جمع غدير)..

مُسْحَنْفِراً مِنْ جِبالِ الرومِ، يَسْتُرُهُ   منها أكافِيفُ فيها دونَهُ زَوَرُ

مسحنفراً (مسرعاً) وهو يأتي من جبال الروم وهناك بين الجبال تستره أكافيف (مناكب الجبال) التي فيها زور (تعرج). فالمقبل على النهر في تلك الجبال لا يراه من بعيد فالجبال تحتضنه بجوانبها، فإذا أشرف المرء على النهر رآه يتلوى بين الجبال

يوماً بِأَجْوَدَ منه حينَ تسألُه،   ولا بِأَجْهَرَ منه حين يُجْتَهَرُ

هذا النهر الزاخر ليس أسخى من الخليفة، ولا أجهر (أهيب) منه حين تراه

مُفْتَرِشٌ كافتراشِ الليثِ كَلْكَلَهُ   لِوَقْعةٍ كائنٍ فيها له جَزَرُ

يفترش الخليفة كلكله (صدره) كالأسد متأهباً لوقعة (معركة) سيكون له فيها جزر (قتلى)

مُقَدِّماً مِئتَيْ أَلْفٍ لِمَنْزِلَةٍ   ما إن رأى مِثْلَهُمْ جِنٌّ ولا بشرُ

يقدم من جنوده مئتي ألف لمنزلة (مكان النزال في الحرب)،
ولم ير جن ولا إنس من قبل هذا العديد

يَغشَى القناطرَ يبنيها ويهدِمُها، مُسَوَّمٌ فوقَه الراياتُ والقَتَرُ

يغشى (يأتي) الجيشُ القناطر بانياً هادماً، وهو مسوم (عليه سمات الحرب) وفوقه الرايات، والقتر (الغبار)

حتَّى يكونَ لَهُمْ بِالطَّفِّ مَلْحَمَةٌ وبِالثَّوِيَّةِ لم يُنْبَضْ بها وَتَرُ

حتى تكون المعركة في «الطف»، وفي «الثوية». وهي معركة التحام بالسيوف والرماح، ولم ينبض (يشدَّ) بها وتر، أي لم يكن فيها رمي من بعيد فكلها التحام. وتلك المعارك غلب فيها عبد الملك مصعب بن الزبير

وتَستَبينَ لِأَقوامٍ ضلالَتُهُمْ ويستقيمَ الذي في خدِّهِ صَعَرُ

وحتى يعرف الذين ضلوا وحالفوا ابن الزبير ضلالتهم، ويستقيم الذي في خده صعر (ميل). فإن كنت لاحظت بعض المتعجرفين يميل برأسه وينفخ خده كبراً فأنت تعرف ما «تصعير الخد»

ثم استَقَلَّ بِأثقالِ العراقِ، وقد كانتْ له نِعْمَةٌ فيهِمْ ومُدَّخَرُ

ثم استقل (حمل) أثقال العراق (مشكلاته)، وأنعم على الناس وتألَّفهم وكان له فيهم مدخر (صنيعة يدخرها في نفوسهم)

في نَبْعَةٍ مِنْ قُريشٍ يَعصِبُونَ بها ما إنْ يُوازَى بأعلى نبتِها الشَّجَرُ

عبد الملك راسخ المكانة في نبعة (النبع نوع من الشجر كبير) من قريش، هي بنو أمية، والناس يعصبون بها (يلتفون حولها)، وشجرة النبع هذه أعلى من كل ما حولها

تَعلُو الهِضابَ وحَلُّوا في أَرُومَتِها، أهلُ الرِّبَاءِ، وأهلُ الفخرِ إن فَخَروا

أمية شجرة فوق هضبة، والمروانيون في أرومتها (أصلها)، وهم أهل الرباء (الكثرة) والفخر

حُشْدٌ على الحقِّ، عَيَّافُو الخَنا أُنُفٌ إذا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكرُوهَةٌ صَبروا

حشد (محتشدون) لنصرة الحق، عيافون (كارهون) للخنا (الفحش) أنف (يأنفون الصغائر)، وصابرون على المكروهة (المصيبة)

وإن تَدَجَّتْ على الآفاقِ مُظْلِمةٌ كان لَهُمْ مَخْرَجٌ منها ومُعْتَصَر

إن تدجت (أظلمت) مصيبة كان لهم منها معتصر (مخرج)

أَعطاهُمُ اللَّهُ جَدّاً يُنْصَرونَ به لا جَدَّ إلَّا صغيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرُ

أعطاهم الله جداً (حظاً)، وكل حظ غيره محتقر (ضئيل)

شُمْسُ العَداوةِ حتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وأَعْظَمُ الناسِ أَحْلاماً إذا قَدَرُوا

شمس (عنيدون جامحون) عند العداوة حتى يستقاد لهم (يُستسلَم لهم)
وأعظم الناس عفواً عند المقدرة

هُـمُ الـذيـن يُـبَـارُونَ الـرِّيَـاحَ إذا   قلَّ الطَّعامُ على العَافِينَ أو قَتَروا

إذا هبت الرياح، وهبوبها نذير جفاف، فهم يبارونها في سرعة تقديم الطعام، للعافين (الفقراء) إذا قتروا (افتقروا)

بَـنـي أُمَـيَّـةَ، نُـعـمَـاكُـمْ مُـجَـلِّـلَـةٌ   تَـمَّـتْ، فـلا مِـنَّـةٌ فـيـهـا ولا كَـدَرُ

نعمتكم مجللة (شاملة)، ولا تمنون على الناس ولا تكدرون العطاء

بَـنـي أُمَـيَّـةَ قـد نَـاضَـلْـتُ دُونَـكُـمُ   أَبـنـاءَ قَـومٍ هُـمُ آوَوْا وَهُـمْ نَـصَـرُوا

قد ناضلت دونكم (دافعت عنكم) أبناء الأنصار الذين آووا الرسول ونصروه. ذلك، عندما هجا الأخطل شاعر الأنصار بطلب من يزيد بن معاوية

أَفْحَمْتُ عنكُمْ بني النَّجَّارِ، قد عَلِمَتْ   عُـليا مَـعَـدٍّ، وكـانـوا طَـالَـمَـا هَـدَرُوا

أفحمت (أسكتُّ) بالنيابة عنكم بني النجار من الأنصار، وقد علمت عليا معد (أشرف قبائل معد العدنانية) بفعلي ذاك مع الأنصار القحطانيين الذين كثيراً ما هدروا (استطالوا بالكلام)

حتى استَكانُوا وهُمْ مِنِّي على مَضَضٍ   والـقـولُ يَـنْـفُـذُ مـا لا تَـنْـفُـذُ الإِبَـرُ

فاستكانوا (خضعوا) وهم كارهون إياي، فالقول ينفذ، ويؤثر أكثر من الإبر (والإبرة زنابى العقرب التي تلسع بها)

بـنـي أُمَـيَّـةَ إنـي نَـاصِـحٌ لَـكُـمُ   فـلا يَـبِـيـتَـنَّ فـيـكُـمْ آمِـنـاً زُفَـرُ

لا تدعوا زفر بن الحارث بينكم. وكان عبد الملك أعطى زفراً، زعيم القيسية، الأمان بعد الانتصار عليه، وأخذ زفر يحضر مجلس عبد الملك مما أغاظ الأخطل

إنَّ الضَّغِينَةَ تَلقاهَا، وإن قَدُمَتْ،   كَـالـعَـرِّ يَـكْـمُـنُ حـيـنـاً ثـم يَـنْـتَـشِـرُ

الضغينة (الحقد) تكمن ثم تعود وتظهر، مثل العر (الجرب)

وقـد نُـصِـرْتَ أَمـيرَ الـمؤمـنـينَ بِـنـا   لَـمَّـا أتـاكَ بِـبَـطْـنِ الـغُـوطَـةِ الـخَـبَـرُ

نحن ـ بني تغلب ـ نصرناك في موطننا بالعراق، وأتاك خبر النصر وأنت بالشام. وعندما أنشد الأخطل هذا البيت قال عبد الملك: بل الله نصرني

ولـم يَـزَلْ بِـسُـلَـيْـمٍ أَمْـرُ جـاهِـلِـهـا   حـتـى تَـعَـيَّـا بِـهـا الإِيـرادُ والـصَّـدَرُ

وظلت قبيلة سليم تعاني مما أنزله بها جاهلها (زعيمها «المتهور» عمير بن الحباب) حتى تعيا بها (صعب عليها) الإيراد والصدر (الدخول والخروج، أي التصرف في شأنها)

إذْ يـنظرونَ وهُـمْ يَـجْـنُـونَ حَـنظَـلَـهُـمْ   إلى الزَّوابي، فقُلنا بُعْدَ مَا نَظَرُوا

ينظرون وهم في موطنهم الصحراوي حيث ينبت الحنظل، إلى الزوابي (مناطق نهري الزاب التي تسكنها تغلب)، فقلنا: ما أبعد ما نظروا وطمحوا!

كَرُّوا إلى حَرَّتَيْهِمْ يَعْمُرُونَهُما كَما تَكُرُّ إلى أَوْطانِها البَقَرُ

كروا (رجعوا) بعد الهزيمة إلى حرتيهم (منطقتين في حجارتهما سواد) يعمرونهما (يسكنونهما)، مثلما ترجع البقر إلى زرائبها بعد المرعى

ومَا سَعَى فِيهِمُ سَاعٍ لِيُدْرِكَنا إلَّا تَقَاصَرَ عنَّا وَهْوَ مُنْبَهِرُ

لا يحاول منهم من يسعى لإدراكنا إلا قصَّر به سعيه وانبهر (انقطع نفسه)

وقد أَصابَتْ كِلاباً مِنْ عَداوَتِنا إحدى الدَّواهِي التي تُخْشَى وتُنْتَظَرُ

وقبيلة كلاب القيسية أصبناها بداهية مما يخشاه المرء وينتظره (يتوقعه)

أَمَّا كُلَيْبُ بْنُ يَربوعٍ فليس لَهُمْ عندَ التَّفَارُطِ إِيرادٌ ولا صَدَرُ

وقبيلة كليب بن يربوع ليس لها عند التفارط (التسابق نحو الماء) إيراد ولا صدر (لا يردون الماء ولا يصدرون عنه، لأن غيرهم يسبقهم ويغلبهم عليه)

مُخَلَّفُونَ ويَقْضِي الناسُ أَمْرَهُمُ وَهُمْ بِغَيْبٍ، وفي عَمياءَ ما شَعَروا

مخلفون وراء القوم عند اتخاذ القرارات الصعبة، والناس تتخذ القرار وهم بغيب (بأرض منخفضة، أي أنهم غائبون) وفي عمياء (جهالة)، ولا يشعرون بضعتهم

مُلَطَّمونَ بِأَعْقَارِ الحِياضِ فما يَنْفَكُّ مِنْ دَارِمِيٍّ فِيهِمُ أَثَرُ

يلطمهم الناس في أعقار الحياض (أطراف أحواض الماء) ويبعدونهم، ولا تخلو وجوههم من أثر ضرب أو لطم من دارمي (وبنو دارم، وشاعرهم الفرزدق، كانوا يناكفون بني يربوع، وشاعرهم جرير، مع أنهما كلاهما من تميم)

قومٌ تناهَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْزِيَةٍ وكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بِها مُضَرُ

كل المخازي تناهت (استقرت وتجمعت) في يربوع، وكل فاحشة منسوبة إلى القبيلة العظمى «مضر» فإنما سببها يربوع

الآكِلونَ خَبيثَ الزَّادِ وَحْدَهُمُ والسَّائِلونَ بِظَهْرِ الغيبِ ما الخبرُ

يأكلون وحدهم بخلاً، وزادهم خبيث من لحوم الضب مثلاً [ألم يقل أبو نواس: إذا ما تميمي أتاك مفاخراً/ فقل عَدِّ عن ذا، كيف أكلُك للضب؟]، وهم بعيدون عن مركز القرار ويسألون عما جرى في مجالس القبيلة الكبرى لأنهم غائبون عنها

ثم الإِيَابُ إلى سُودٍ مُدَنَّسَةٍ لا يَسْتَحِينَ إذا ما احْتَكَّتِ النُّقَرُ

ثم يرجعون إلى نساء سود مدنسة، وليس عندها حياء إذا احتكت الفروج، فنساؤهم وقحات

وأَقْسَمَ المجدُ حقاً لا يُحالِفُهُمْ حتى يُحالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعَرُ

المجد لا يقاربهم مثلما لا يقارب الشعر راحة الإنسان

١٤ الثور الراتع

وَمَهْمَهٍ طَامِسٍ تُخْشَى غَوائِلُهُ　　قَطَعْتُه بِكَلُوءِ العَيْنِ مِسْهارِ

رب مهمه (خلاء) طامس (مطموس: كما قالوا للأحمق لاسعاً بمعنى ملسوع، وللماء المفقود في الأنابيب فاقداً) تُخشى غوائله (مخاطره المميتة) قطعته بناقة كلوء العين (صاحية) مسهار (قوية على مشي الليل وسهره)

بِحُرَّةٍ كأَتانِ الضَّحْلِ، أَضْمَرَها　　بعدَ الرَّبَالَةِ تَرحالي وتَسْيَاري

قطعت البر بحرة (ناقة كريمة) كأتان الضحل (صخرة الوادي، وتكون ملساء ضخمة لم يستطع السيل جرفها) أضمرها (أنحلها) بعد الربالة (السِّمَن) ترحالي وسيري الكثير

أُخْتِ الفَلاةِ، إذا شُدَّتْ مَعاقِدُها　　زَلَّتْ قُوَى النِّسْعِ عن كَبْدَاءَ مِسْفَارِ

هي مصاحبة للفلاة (الصحراء) فإذا شُدَّت معاقدها (الحبال التي تَربِط الرَحل بالنياق) انزلقت قوى النسع (حبال الرحل) عن جسم ناقة كبداء (كبيرة الصدر) مسفار (قوية على السفر)

كأَنَّها بُرْجُ رُومِيٍّ يُشَيِّدُهُ　　لُزَّ بِجَصٍّ وآجُرٌّ وأَحجارِ

الناقة كالبرج من أبراج الروم قد لُزَّ (أحكم بناؤه) بجص (جبصين، شيء كالأسمنت) وآجر (طوب، طابوق) وحجارة

أو مُقْفِرٌ خَاضِبُ الأَظْلَافِ جَادَ له　　غَيْثٌ تَظَاهَرَ في مَيْثَاءَ مِبْكَارِ

أو كأنها ثور مقفر (يعيش في القفر) خاضب الأظلاف (مخضوبها بالعشب) وقد جاد له بالعشب المطر الذي تظاهر (تتابع) في ميثاء مبكار (روضة بكر نبتها)

فَباتَ في جَنْبِ أَرْطَاةٍ. تُكَفِّئُهُ　　رِيحٌ شَآمِيَةٌ هَبَّتْ بِأَمْطارِ

سكن الثور البري قرب أرطاة (نبتة صحراوية). وتكفئه (تتناوبه) ريح شآمية (ريح الشمال) ومعها المطر

يَجُولُ لَيلَتَهُ والعينُ تَضْرِبُهُ　　فيها بِغَيْثٍ أَجَشِّ الرَّعْدِ نَثَّارِ

يجول ليلاً والعين (السحابة) تسح عليه مطراً مع رعد صوته أجش (خشن) نثَّار (ينثر المطر)

إذا أَرادَ بِها التَّغْمِيضَ أَرَّقَهُ　　سَيْلٌ يَدِبُّ بِهَدْمِ التُّرْبِ مَوَّارِ

يمنعه الغمض في ليلته سيل موار (متحرك) يحمل التراب

كأَنَّه إذْ أَضاءَ البَرْقُ بَهجَتَه　　في أَصْفَهانِيَّةٍ أو مُصْطَلي نارِ

يلمع البرق فيبدو الثور وقد لمع جلده، فكأنه يرتدي حلة أصفهانية مزعفرة صفراء، أو كانه يصطلي ناراً ينعكس ضوءُها عليه

حتَّى إذا انْجَابَ عنه اللَّيلُ، وانْكَشَفَتْ　　سماؤُه عن أَدِيمِ مُصْحِرٍ عَارِ

فإذا انجاب (انحسر) الليل، وكشفت السماء أديمها (وجهها) المصحر (الصافي) العاري من الغيوم

آنسَ صَوتَ قَنيصٍ، أوْ أَحَسَّ بِهِمْ   كَالجِنِّ يَهفُونَ مِنْ جَرْمٍ وأَنْمَارِ

آنس (سمع) صوت قنيص (صائدين) وأحس بهم كأنهم محاربون من قبيلتي جرم وأنمار يهفون (يسرعون) مثل الجن

فَانصَاعَ كالكَوكَبِ الدُّرِّيِّ مَيْعَتُه   غَضْبانَ يَخْلِطُ مِنْ مَعْجٍ وإِحْضَارِ

فانصاع (مضى) كالكوكب الدري (المتوقد) ميعته (سرعته)، يركض وهو غضبان يخلط المعج (الجري الشديد) بالإحضار (الجري المتوسط) وهو يتلوى بين الأشجار

فَأرسَلُوهُنَّ يَذْرِينَ التُّرابَ كَما   يَذْرِي سَبائِخَ قُطْنٍ نَدْفُ أَوْتَارِ

فأرسل الصيادون الكلاب يذرين (يُثِرن) التراب المبتل كما يثير ندف أوتار المنجِّد، الذي ينفش قطن الفراش بمندفته، سبائخ قطن (قطع القطن)، فالتراب مبتل وهو كقطع القطن لا بهيئة غبار

حتى إذا قُلْتُ نَالَتْهُ سَوابِقُها   وأَرْهَقَتْه بِأنيَابٍ وأَظْفَارِ..

فإذا قلت قد نالت أسبق الكلاب الثورَ وأرهقته بأنيابها وأظفارها..

أَنْحَى إِلَيْهِنَّ عَيْناً غيرَ غَافِلَةٍ   وطَعْنَ مُحْتَقِرِ الأَقْرانِ كَرَّارِ

أنحى (وجَّه) الثور إلى الكلاب عيناً يقظة، وواجههن بطعنِ كرار (مهاجم) يحتقر الأقران (الخصوم) لقوته

فَعَفَّرَ الضَّارِيَاتِ اللَّاحِقاتِ به   عَفْرَ الغَريبِ قِدَاحاً بينَ أَيْسَارِ

فعفر الكلاب الضارية (رماها أرضاً)، كما يجيل، أي يرمي، الرجل الغريب القداح (السهام التي يقامرون بواسطتها) بين أيسار (مقامرين)، ويختارون غريباً ليقسم بينهم قِداح الميسر

يَعُذْنَ منه بِحُزَّانِ المِتَانِ، وقد   فُرِّقْنَ عنه بِذي وَقْعٍ وآثار

يعذن منه (يلجأن) بحزان المتان (بالأرض المرتفعة الوعرة) بعد أن فرقهن بقرن له وقع وأثر في أجسام الكلاب

حتى شَتَا وَهْوَ مَغْبُوطٌ بِغَائِطِه   يَرعَى ذُكُوراً أَطَاعَتْ بعدَ أَحْرارِ

ثم قضى شتاءه مسروراً في غائطه (أرضه المنخفضة) يرعى الذكور (البقل الغليظ) بعد أن يأتي على الأحرار (البقل الطري)

فَرْدٌ تُغَنِّيهِ ذِبَّانُ الرِّياضِ كما   غنَّى الغُوَاةُ بِصَنْجٍ عندَ إِسْوارِ

متفرِّد يسمع طنين ذباب الرياض، فهو بالنسبة إليه كغناء الغواة (اللاهين) عند إسوار (قائد الفُرس)

كأنَّه مِنْ نَدَى القُرَّاصِ مُغْتَسِلٌ   بِالوَرْسِ، أو خَارِجٌ مِنْ بيتِ عَطَّارِ

كأنَّ هذا الثور وقد مسَّ الندى المنتشر على نبات القراص الشوكي ذي الزهر الأصفر، كأنه قد اغتسل بالورس (الكركم، صبغ أصفر) أو خرج من دكان عطار

وشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَأْسِ نَادَمَنِي   لا بِالحَصُورِ ولا فيها بِسَوَّارِ

رب شارب مربح (سخي يذبح لأضيافه) نادمني على الشراب، وهو غير حصور (بخيل) ولا سوار (معربد)

نَازَعْتُه طَيِّبَ الراحِ الشَّمُولِ، وقد   صَاحَ الدَّجاجُ، وحَانَتْ وَقْعَةُ السَّاري

عاطيته الخمر الشمول (الباردة) عند الفجر وقت صياح الدجاج (يريد الديكة)، وحانت وقعة (نومة) الساري (الذي سار ليلته)

مِنْ خَمْرِ عَانَةَ يَنْصَاعُ الفُراتُ لها   بِجَدْوَلٍ صَخِبِ الآذِيِّ مَوَّارِ

هذه الخمر من قرية عانة التي ينصاع (يسرع) لها ماء الفرات بجدول صخب الآذي (الموج) موار (متحرك) ليسقي كرومها

لَها رِدَاءَانِ: نَسْجُ العنكَبُوتِ، وقد   لُفَّتْ بِآخَرَ مِنْ لِيفٍ ومِنْ قَارِ

للخمر في جرتها رداءان: الخارجي نسج العنكبوت لطول ما عتقت، والآخر من الليف والقار (الزفت)

عَذْرَاءَ لم تَجْتَلِ الخُطَّابُ بَهجَتَها   حتى اجْتَلاها «عِبَادِيٌّ» بِدينارِ

لم يفضَّ جرة الخمر هذه أحد فهي كالعذراء النى لم يجتل (ير) الخطاب جمالها، حتى جلاها لنا عبادي (من قوم «العِبَاد» من أهل الحيرة النصارى) مقابل دينار

إنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصاتِ، ومَا   أضحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وأَسْتارِ

حلفت برب النياق الراقصات (السائرات المتمايلات المتجهات إلى مكة)، وبما في مكة من أستار الكعبة

لَأَلْجَأَتْنِي قُريشٌ خَائِفاً وَجِلاً   ومَوَّلَتْنِي قُريشٌ بعدَ إقْتَارِ

لالجأتني قريش خائفاً وجلاً (لقد آوتني من خوف)، وأعطتني المال بعد إقتار (فقر)

المُنْعِمونَ بَنُو حَرْبٍ وقد حَدَقَتْ   بِيَ المَنِيَّةُ، واسْتَبْطَأْتُ أَنْصاري

أنعم بنو حرب (آل أبي سفيان) وقد حدقت (أحاطت) بي المنية (الموت) واستبطأت النصرة

قَومٌ إذا حارَبوا شَدُّوا مآزِرَهُمْ   دونَ النِّسَاءِ ولو باتَتْ بِأَطْهَارِ

هؤلاء قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم (ملابسهم) دون النساء (فلا يقربون النساء) حتى لو باتت بأطهار (غير حائضة)، فهم يوجهون كل همتهم للحرب ويحلفون لا يقربون النساء إلا بعد ملاقاة العدو

١٥ يا ابن غير المختونة

عَفَا «الجَوُّ» مِنْ سَلْمى فَبادَتْ رسُومُها　　«فذَاتُ الصَّفَا» صَحراؤُها فَقَصيمُها

عفا (خلا) الجو (اسم مكان) من سلمى ورهطها، وبادت (فنيت) رسومها (بقاياها بعد الرحيل)، وكذا من «ذات الصفا» فلم يعد هناك شيء من آثار القوم في الصحراء أو في القصيم (منبت شجر الغضا)

ولو حَمَّلَتْنِي السِّرَّ سَلْمَى حَمَلْتُه　　وهل يَحمِلُ الأَسرارَ إلَّا كَتُومُها

إليكَ أَبا مروانَ يَمَّمَ أركُبٌ　　أَتَوْكَ بِأَنْضَاءٍ خِفافٍ لُحُومُها

يمم إليك (قصدك) يا أبا مروان (بشر بن مروان أمير العراق) أركب (رجال راكبون إبلاً)، جاءوك على أنضاء (إبل مهزولة) وقد خف لحمها لطول السير

تحَسَّرْنَ، واستقبلْنَ لِلْقَيْظِ وَقْدَةً　　تُغَيِّرُ أَلْوانَ الرِّجَالِ سَمُومُها

تحسرن (تعبن) وتعرضن لوقدة القيظ (شدة الحر) التي تجعل سمومها (ريحها الحارة) أوجه الرجال مسمرَّة متغيرة اللون

إذا بَلَغَتْ بِشْرَ بنَ مروانَ ناقتي،　　سَرَتْ خَوفَها نَفسي، ونَامَتْ هُمومُها

إذا وصلت ناقتي الأمير، سرت (ألقت) نفسي الخوف، ونامت همومي

أَبُوكَ أَبو العاصي، عَلَيْكُمْ تَعَطَّفَتْ　　قريشٌ، لَكُمْ عِرْنينُها وصَميمُها

أبوك هو أبو العاصي المعروف، وقد تعطفت (انضمت) عليكم واحتضنتكم قريش التي لكم عرنينها (أنفها الشامخ) وصميمها (أصلها)

بِكُمْ أَدْرَكَ اللَّهُ البَرِيَّةَ، بعدَما　　سعى لِصُّها فيها، وهَبَّ غَشُومُها

بكم أدرك الله (أنقذ) البرية (الخلق) بعدما سعى في الناس اللص (سارق السلطة ابن الزبير) وهب الغشوم (الظالم) يطلب الخلافة لنفسه. وكان بشر بن مروان الممدوح والياً على العراق بعد أن تغلبت بنو أمية على مصعب بن الزبير والي العراق وأخيه عبد الله الذي أعلن نفسه خليفة بمكة

وإِنَّكَ لَلْمَأْمولُ والمُتَّقَى به　　إذا خيفَ مِنْ تِلكَ الأُمورِ عَظيمُها

أنت المأمول، وأنت من نتقي به (نحتمي) إذا خفنا عظائم الأمور

فَلا تُطْعِمَنْ لَحْمِي الأَعاديَ، إنَّهُ　　سَريعٌ إِلَيْكُمْ مَكْرُها ونَمِيمُها

لا تتركني فريسة للأعداء من قبائل قيس، فحقدهم دفين عليكم وسريعاً ما يمكرون (يخدعون) وينمُّون (يُرجفون وينشرون الشائعات). وكان الأخطل يُدِلُّ على بني أمية بأن قومه بني تغلب نصروهم، بينما كانت قبائل قيس مع ابن الزبير، وكان الأمير بشر يحرض الشعراء بعضهم على بعض، ومن هؤلاء الشعراء من كان زبيري الهوى

وَمَـا أَنَـا إنْ مُـدَّ الـمَـدى بِـمُـقَـصِّـرٍ   ولا عَـضَّـةٌ مِـنِّـي بِـنَـاجٍ سَـلِـيـمُـهـا

وما أنا إن مد المدى (في نهاية المطاف) بمقصر في هجاء الشعراء، والعضة مني (الأهجية) لا ينجو سليمها (الملسوع بها)

يُـغَـنِّـي ابْـنُ يَـربُـوعٍ بِـشَـتْـمِـيَ أُمَّـهُ   وما انفَلَتَتْ منِّي صَحيحاً أَدِيمُها

ليس لجرير إلا أن يغني بقصائدي في شتم أمه، فما أفلتت مني وأديمها (جلدها) صحيح، بل مزقته تمزيقاً، أي مزق عرضها

وَمَـا وَجَـدُوا أُمَّـاً لَـه عَـرَبِـيَّـةً   وما أَسْـهَـرَتْـها مِنْ خِتانٍ كُلُومُها

وليست أمه عربية، وما جعلتها كلومها (جروحها) بسبب الختان تسهر من الألم. فهي ليست مختونة كبنات العرب

وَجَـدْتُ كُـلَيْـباً أَلْأَمَ الـنـاسِ كُـلِّـهِـمْ   وأنـتَ إذا عُـدَّتْ كُـلـيْـبٌ لَـئـيـمُـهـا

كليب: قبيلة جرير

١٦ خذلتموني

ألا أَبْـلِـغْ بـنـي شَـيْـبَـانَ عَـنِّـي   فَـمـا بَـيْـنِـي وبـيـنَـكُـمْ ذُحُـولُ

ذحول: ثارات. وشيبان من ربيعة، فهم لتغلب ـ قبيلة الأخطل ـ من الأقارب

وكـنـتُـمْ إِخْـوَتـي فَـخَـذَلْـتُـمـونـي   غَـدَاةَ تَـخَـاطَـرَتْ تِـلْـكَ الـفُـحُـولُ

خذلتموني غداة (صبيحة) تخاطرت (تسابقت وتبارت) فحول الرجال في المكارم. وغيركم أعطاني لدفع ديات قومي، وأنتم امتنعتم

١٧ نقيق الضفادع

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هندُ، هندَ بَنِي بَدْرِ   وإن كـانَ حَيَّـانا عِدَىً آخِرَ الـدَّهـرِ

اسلمي يا هند، وإن كان حيانا (قبيلتانا) متعاديتين حتى آخر الدهر

أَسِيلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ، أَمَّا وِشَاحُها   فَجَارٍ، وأَمَّا الحِجْلُ منها فَمَا يَجْرِي

أسيلة مجرى الدمع (طويلة الخد)، ووشاحها على خصرها يجري (يتحرك) لأنها نحيلة الخصر، وحجلها (خلخالها) ثابت لأن ساقها سمينة

تَـنِـقُّ بِـلا شـيءٍ شُـيـوخُ «مُـحَـارِبٍ»   وما خِلْتُها كانتْ تَرِيشُ ولا تَبْرِي

رجال قبيلة محارب يهذرون كنقيق الضفادع، ولا أظنهم يريشون (يضعون الريش على السهم) ولا يبرونه، أي أنهم غير ذوي تأثير

ضَفادِعُ في ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجاوَبَتْ فَدَلَّ عليها صَوْتُها حَيَّةَ البحرِ

هم كالضفادع في الظلام تتجاوب أصواتها بالنقيق، فتدل على مكانها حية البحر (السمكة الكبيرة التي تأكل الضفادع). أي أن رجال محارب يقولون كلاماً تافهاً فيجرون على أنفسهم هجاء مؤلماً

ونحنُ رَفَعْنَا عن «سَلُولٍ» رِمَاحَنا وعَمْداً رَغِبْنا عن دِماءِ بَنِي نَصرِ

ترفعنا عن سلول وبني نصر ورغبنا عن دمائهم (كرهنا قتالهم)

ولو بِبَني ذُبْيَانَ بَلَّتْ رماحُنا لَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي، وَبَاءَ بِهِمْ وِتْرِي

لو بلت (ظفرت) رماحنا ببني ذبيان لقرت عيني (استرحت) وباء وتري (استراح ثأري)

شَفَى النفسَ قَتْلَى مِنْ سُلَيْمٍ وعَامِرٍ ولم تَشْفِها قَتْلَى غَنِيٍّ ولا جَسْرِ

سليمٌ وعامر وغني وجسر: قبائل

لَعَمري لقد لاقَتْ سُلَيْمٌ وعَامِرٌ على جَانِبِ الثَّرْثَارِ رَاغِيَةَ البَكْرِ

لاقت هاتان القبيلتان على جانب نهر الثرثار في المعركة المشهورة راغية البكر (المصيبة المبيدة)

أَعِنِّي أميرَ المؤمنينَ بِنَائِلٍ وحُسْنِ عَطَاءٍ ليس بالرَّيِّثِ النَّزْرِ

يطلب معونة الخليفة بنائل (عطاء)، ليس بالريث (المؤجل)، ولا النزر (القليل)

ولمَّا تَبَيَّنَّا ضَلالَةَ مُصْعَبٍ فَتَحْنا لأَهْلِ الشَّامِ باباً مِنَ النَّصْرِ

عندما بدا لنا أن مصعب بن الزبير والي العراق ضال، انضممنا لبني أمية وأهل الشام، وبنا بدأت تباشير انتصارهم

إليكَ أميرَ المؤمنينَ نَسيرُها تَخُبُّ المطايَا بِالعَرانِينِ مِنْ بَكْرِ

نسير (نُسَيِّر) الإبل نحوك يا أمير المؤمنين وهي تخب (تسرع) بالعرانين من بكر (بسادات قبيلة بكر القيسية وهي غير بكر الربعية) نحملهم إليك أسرى

فَأَسْرَيْنَ خَمْساً ثم أَصْبَحْنَ غُدْوَةً يُخَبِّرْنَ أخباراً أَلَذَّ مِنَ الخَمرِ

أسرت الإبل (سارت ليلاً) خمس ليال، وأصبحن صباحاً في الشام ومعهن أخبار سارة

١٨ طِعان فضِراب

وكُنَّا إذا احْمَرَّ القَنا عندَ مَعْرَكٍ نَرى الأرضَ أَحْلَى مِنْ ظُهورِ جِيادِ

إذا احمرت القنا (الرماح) من دماء الأعداء نزلنا عن الخيل لكي نضاربهم بالسيوف

فلا تُوعِدُونا بِاللِّقَاءِ، وأَبْرِزُوا إِلَيْنا سَواداً نَلْقَهُ بِسَوَادِ

لا توعدونا (تهددونا) باللقاء مجرد تهديد، أبرزوا (أظهروا) لنا سوادكم (جمعكم) لنلقاه بجمعنا

١٩ المطربة البحاء

يمدح مصقلة بن هبيرة الشيباني:

وقد لَبِسْتُ لِهذا الدَّهرِ أَعْصُرَهُ حتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ واشْتَعَلا

لبست لهذا الدهر أعصره (عشته) حتى تجلل (غطى) رأسي الشيب، واشتعل به كأنه نار فوق رأسي

وقد أكونُ عَميدَ الشَّرْبِ، تُسْمِعُنا بَحَّاءُ تَسْمَعُ في ترجيعِها صَحَلا

وقد أكون («قد» هنا تؤكد لا تشكك.. هكذا في لغة أيامهم) عميد الشرب (كبير الشاربين، وكان للأخطل في الحيرة دار ضيافة يستقبل فيها الناس والغرباء وكانت محل منادمة وشراب)، ونسمع الغناء من مغنية بحاء (في صوتها بحة)، وعندما ترجِّع الغناء (يتذبذب صوتها بين درجة ودرجة على سلم النغم فيما يسمونه الـ «تريل») تسمعُ فيه الصحل (البُحَّة)

مِنَ القِيانَ هَتُوفٌ، طالَما رَكَدَتْ بِفِتْيَةٍ يَشتهُونَ اللَّهْوَ والغَزَلا

قينة (مغنية) هتوف (صيتة، لها غناء عالٍ) كثيراً ما ركدت (قعدت!) مع فتية يحبون اللهو والغزل

فَبانَ مِنِّي شَبابي بعد لَذَّتِه كأنَّما كانَ ضَيْفاً نازلاً رَحَلا

بان: فارقَ

إذْ لا أُطَاوِعُ أَمْرَ العاذلاتِ، ولا أُبقِي على المالِ إن ذُو حاجَةٍ سَأَلا

وكنت في شبابي أعصي العاذلات (اللائمات) لي على الإسراف وأعطي من يسألني

وكاشِحٍ مُعرِضٍ عنِّي غَفَرْتُ له وقد أُبَيِّنُ منهُ الضِّغْنَ والمَيَلا

ورب كاشح (منصرف يعطيني جنبه) غفرت له، وقد أبين (أتبيَّنُ وأرى) منه الضغن (الحقد) والميلا (الانحراف عني)

ولَوْ أُواجِهُهُ مِنِّي بِقَارِعَةٍ ما كان كالذِّيبِ مَغْبُوطاً بِما أَكَلا

ولو واجهته بقارعة (قصيدة هجاء) لما كان كالذئب المغبوط بالحمل الذي اختطفه وأكله، بل كان سيدفع ثمن جفانه

٢٠ دواء الشيب

هَلِ الشبابُ الذي قد فاتَ مَردُودُ أم هل دَواءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجودُ؟

أيعود الشباب، أم هناك دواء يرد (يصد) الشيب؟

لن يَرجِعَ الشِّيبُ شبَّاناً ولن يَجدُوا عِدْلَ الشبابِ لَهُمْ ما أَوْرَقَ العُودُ

لن يرجع الشيب (الشائبون) شباناً ولن يجدوا عدلاً (مساوياً) لعهد الشباب ما أورق العود (ما دام الغصن يخرج الورق، أي أبداً)

إن الشَّبابَ لَمَحْمُودٌ بَشاشَتُه   والشَّيْبُ مُنْصَرَفٌ عنه ومَصْدُودُ

بشاشة عهد الشباب يحمدها الناس، وينصرفون عن الشيب وأهله. ترى الشاب ضاحكاً لاهياً فإذا كبر وشاب غلب عليه العبوس وما على الأشيب ألّا يستمتع بشيء آخر! سأذهب إلى كولونيا لأشتري زجاجة كولونيا. وككل شيخ يتعطر ويتأنق، سأبدأ رحلة مع العطر. رأيت مرة في لندن الصحفي الفلسطيني ناصر الدين النشاشيبي وقد قدم من سويسرا، رأيته مجلوّاً كالعروس، حليقاً لابساً ملابس كبار الأثرياء ـ وهو من عائلة ثرية ومعروفة ـ متأنقاً، ورأيت في معصمه سواراً ذهباً، فتعجبت كثيراً من هذا الشيخ، وكان يزحف إلى الثمانين. وهذا الأخطل.. كان ذا أناقة يحنّي شعره ويجلس في بيته الذي جعله منتدى. وقد اعترتني أمس فقط حُمَّى الكولونيا، فلم أكتف بماء الليمون من شبراويشي الذي ظل بالنسبة إليَّ قاتل جراثيم لا عطراً، فابتعت زجاجة من عطر البهار العتيق «أولد سبايس»، وشممت منها رائحة أيام صارت بعيدة. وأنا الآن عازم ـ ولست ثرياً مثل النشاشيبي ﷺ، غير أنني لست فقيراً ـ على الذهاب إلى كولونيا لشراء ماء كولونيا (والألمان يسمون هذا الضرب من العطر «كولنيش فاسر» ويقول الفرنسيون «أيو دي كولون» والمعنى لكليهما: ماء كولونيا). عند الكاتدرائية الكبرى في تلك المدينة دكان رقمه ٤٧١١، ويبيع عطراً اسمه ٤٧١١. ذلك أن نابليون رقم بيوت ودكاكين مدينة كولونيا الألمانية عندما فتحها. فسمى ذلك العطار عطره برقم دكانه. وكانت أمي رحمها الله تحب هذا العطر، فكنت آتيها به من كولونيا. من يدري فقد أدخل أيضاً حرم العطور الزيتية الخليجية، فقد كان يبيع أشباهاً رخيصةً لهذه العطور رجل في بلدنا كان يطوف بسفطه في الأسواق. وكنا نأتيه صغاراً ونصافحه، فيصافحنا ويفرك يده بأيدينا. ثم أصبح الناس يسمون هذا الضرب من العطر «عطر الأموات» فنزل من العيون، أقصد من الأنوف، وانصرف الناس عنه إلى العطور الباريسية الكحولية، وإلى ماء كولونيا. وقد اهتم القدماء بالمشموم مثلما اهتموا بالمأكول والمشروب، وكتبوا في ذلك الكتب. المشموم أبعث للماضي من أي شيء. وما أحوج الشيخ إلى الماضي

أَمَّا يَزِيدُ فإِنِّي لستُ نَاسِيَهُ   حتَّى يُغَيِّبَنِي في الرَّمْسِ مَلْحُودُ

سأظل ذاكراً معروف يزيد بن معاوية حتى يغيبني في الرمس (القبر) ملحود (شق بجانب القبر)

٢١ مسيحي وأفتخر

قال الأخطل ودعاه بعضهم إلى الإسلام:

ولستُ بِصَائِمٍ رمضانَ طَوْعاً   ولستُ بِآكِلٍ لَحْمَ الأَضاحي

ولستُ بِقائِمٍ أبداً أُنادي   قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ على الفَلاحِ

ولَكِنِّي سَأَشْرَبُها شَمُولاً   وأَسْجُدُ عند مُنْبَلَجِ الصَّباحِ

سأشربها شمولاً (خمرة باردة) وأسجد بعد انبلاج (ظهور) الصباح

٢٢ أمير عليك

دعاه عبد الملك بن مروان للإسلام فأبى بحجة أنه لا يصبر عن الخمر فقال له صفها، فقال:

إذا ما نَديمي عَلَّني ثم عَلَّني ... ثَلاثَ زُجَاجاتٍ لَهُنَّ هَديرُ

علني (سقاني)، زجاجات (كؤوس) هدير (غليان). كأنه يرى فقاقيعها فيشبهها بماء يغلي، ولا نظنه عرف النبيذ الساخن «النبيذ اللامع، غلوفاين» الذي يبيعونه في الأسواق في ألمانيا في أيام عيد الميلاد

جَعَلْتُ أَجُرُّ الذَّيْلَ مِنِّي، كأنني ... عليكَ، أَميرَ المؤمنينَ، أميرُ

جررت ذيل ثوبي مفتخراً كأنني أمير عليك، يا أمير المؤمنين

٢٣ شراب كسرى

تَعيبُ الخَمْرَ وهْي شَرابُ كِسْرَى ... ويَشْرَبُ قَومُكَ العَجَبَ العَجِيبا . .

تعيرني، يا جرير، بشرب الخمر، وكان كسرى يشربها، وقومك يشربون العجب العجيب . .

مَنِيُّ العَبْدِ عَبْدِ أَبي سُوَاجٍ ... أَحقُّ مِنَ المُدامَةِ أن تَعيبا

يشربون منيَّ عبد أبي سواج وهو أحق أن تعيبة من الخمر . . وكان أبو سواج هذا قد جعل عبداً له يأتي أمَة ثم يفرغ منيَّه في قعب، ثم صب فوقه اللبن الحليب، وقدمه لرجل من قبيلة يربوع، قبيلة جرير، ليشربه محتالاً عليه بحيلة، فشربه

٢٤ المنبهر وغير المنبهر

ولقدْ أَكونُ لَهُنَّ صَاحِبَ لَذَّةٍ ... حتَّى تَغَيَّرَ حَالُهُنَّ وحَالي

قد أكون (و«قد» للتوكيد) صاحب استمتاع بالنساء، ثم تغيرت حالي بالكبر، وتغيرت حال النساء معي فانصرفن عني

والناسُ هَمُّهُمُ الحياةُ، ومَا أَرَى ... طُولَ الحياةِ يَزيدُ غَيْرَ خَبالِ

كلٌّ همه الحياة، وطول العمر يزيد خبال (فساد) المرء

وإذا افْتَقَرْتَ إلى الذَّخَائِرِ لم تَجِدْ ... ذُخْراً يكونُ كَصالِحِ الأَعمالِ

الذخائر (التحويشة، ما ادخرته من مال)

ولَئِنْ نَجَوْتُ مِنَ الحوادثِ سالماً ... والنَّفْسُ مُشْرِفَةٌ على الآجَالِ . .

إذا نجوت من حوادث الدهر، مع أن النفس تظل مشرفة (مقبلة) على الآجال (نهاية الرحلة) . .

لأُغَلْغِلَنَّ إلى كريمٍ مِدْحَةً ... ولأُثْنِيَنَّ بِنائِلٍ وفَعَالِ

فسوف أغلغل (أرسل رسالة) فيها مدح لهذا الكريم وثناء عليه، وسأقدم النائل (المال) وأصنع الفعال الحسن. فمِن ماله سأعطي قومي الذين أرسلوني لطلب المال في حمالة، أي لدفع الديات

إنَّ ابْـنَ رِبْـعِـيٍّ كَـفـانِـيَ سَـيْـبُـهُ   ضِـغْـنَ الـعَـدُوِّ، وَنَـبْـوَةَ الـبُـخَّـالِ

ابن ربعي (عكرمة الفياض) كفاني سيبه (جنبني عطاؤه) ضغن (حقد) العدو، ونبوة البخال (وصدود البخلاء). فهذا الرجل أعطاه بعد أن صده رجل قبله ولم يعطه

إن الـلـئـيـمَ إذا سَـأَلْـتَ بَـهَـرْتَـهُ   وتَـرى الـكـريـمَ يَـراحُ كـالـمُـخْـتَـالِ

إذا سألت اللئيم مالاً بهرته (جعلته يأخذ نفساً عميقاً للتفكير في عذر)، والكريم يراح (تأخذه الأريحية، ويهتز للعطاء) فكأنه سعيد مختال بطلبك وبمنحك المال

وإذا عَـدَلْـتَ بـه رِجـالاً لـم تَـجِـدْ   فَـيْـضَ الـفُـرَاتِ كَـراشِـحِ الأَوْشَـالِ

فإن قارنت به رجالاً آخرين فستجد فرقاً بين الفرات إذ يفيض وبين راشح الأوشال (المياه القليلة التي ترشح رشحاً)

وإذا تَـبـوَّعَ لِـلْـحَـمَـالَـةِ، لـم يَـكُـنْ   عـنـهـا بِـمُـنْـبَـهِـرٍ ولا سَـعَّـالِ

إذا تبوع (بسط باعه واسعاً) ليؤدي الحمالة (مال الديات) لم ينبهر (يأخذ شهيقاً وزفيراً لانقطاع النفس)، ولم يسعل (يتنحنح متردداً)

٢٥ العيون الزواني

فـلا تَـدْخُـلْ بُـيـوتَ بـنـي كُـلَـيْـبٍ   ولا تَـقْـرَبْ لَـهُـمْ أَبَـداً رِحَـالا

بنو كليب: قوم جرير، الرحال: الهوادج فوق الجمال

تَـرَى فـيـهـا الـلَّـوامِـعَ مُـبْـرِقَـاتٍ   يَـكَـدْنَ يَـبِـكْـنَ بِـالـحَـدَقِ الـرِّجَـالا

في هوادجهم نساء لوامع (متزينات) مبرقات (بارزات الوجوه للرجال)، ويكدن يبكن (وصحّف الباء) بالحدق (بعيونهن) الرجال للشبق، أو طلب الفاحشة

٢٦ قطع الضباب

أتـيـتُـكَ سـائِـلاً فَـحَـرَمْـتَ سُـؤْلـي   ومَـا أَعْـطَـيْـتَـنـي غـيـرَ الـتُّـرابِ

السؤل: الطلب

وعـبـدُ الـقـيـسِ مُـصْـفَـرٌّ لِـحَـاهَـا،   كـأَنَّ فُـسَـاءَهـا قِـطَـعُ الـضَّـبَـابِ

كانت هذه القبيلة تسمى «الفساة»

٢٧ سَيْب من الله

هُـمُ الـذيـن أَجـابَ الـلَّـهُ دَعْـوَتَـهُـمْ   لمَّا تَلاقَتْ نَواصِي الخيلِ فاجْتَلَدُوا

أجاب الله دعوة الأمويين عندما تلاقت نواصي (وجوه) الخيل والتحم الفرسان في المعركة واجتلدوا (تضاربوا)

قَومٌ إذا أنعَمُوا كانتْ فَواضِلُهُمْ سَيْباً مِنَ اللَّهِ، لا مَنٌّ ولا حَسَدُ

كانت فواضلهم (عطاياهم) سيباً (عطاء) كأنه من الله بلا واسطة، وعطاء الله لا فيه مَنٌّ ولا حسد

ويَومَ صِفّينَ والأَبْصارُ خاشِعَةٌ أَمَدَّهُمْ إذْ دَعَوْا مِنْ رَبِّهِمْ مَدَدُ

في يوم صفين، بين معاوية وعلي، كانت الأبصار خاشعة (منخفضة لهول الموقف) وأمد الله بني أميه بمدد من عنده. لعل هذا المدد كان اسمه حيلة عمرو بن العاص

٢٨ رأيتموني وأنا ميت؟

أَعاذِلَتَيَّ اليومَ وَيْحَكُما مَهْلا وكُفَّا الأذى عَنِّي، ولا تُكْثِرا عَذْلا

العذل: اللوم

ذَراني تَجُدْ كَفِّي بِمالِي، فإنني سأُصبحُ لا أَسْطيعُ جُوداً ولا بُخْلا

اتركاني كي أجود بمالي، فبعد الموت لا أستطيع أن أسخو ولا أن أبخل. فحياة آخرها الموت الجود فيها خير من البخل

إذا وَضَعُوا بعد الضَّريحِ جَنادِلاً عَلَيَّ وخَلَّيْتُ المَطِيَّة والرَّحْلا

هذا عند الموت: عندما يضعون عليَّ بعد الضريح (شق القبر) جنادلَ (صخوراً) وعندما أترك إبلي فلا سفر ولا انتقال

ويا رُبَّ غادٍ وَهْوَ يُرجَى إِيابُه وسوف يُلاقي دونَ أَوْبَتِه شُغْلا

رب رجل غاد (ذاهب) يرجى له إياب (عودة) لكنه يلاقي من الموت ما يشغله عن العودة

ذَكَرْتَ انْقلابَ الدهرِ فاذْكُرْ «وَسِيمَةً» فقد خِلْتُ حَقّاً حبَّها قاتِلِي قَتْلا

هيا يا أخطل اذكر الأمور الجميلة ودعك من الموت وانقلاب الدهر (تغيره).. ظننت حب «وسيمة» سيقتلني قتلاً

غَداةَ بَدَتْ غَرَّاءَ غَيْرَ قَصِيرةٍ تُذَرِّي على المَتْنَيْنِ ذَا عُذَرٍ جَثْلا

صبيحة بدت غراء (مشرقة الوجه) ذات طول حسن، تذري (تنشر) على المتنين (الجنبين) شعراً ذا عذر (خصلات) جثلاً (كثيفاً)

٢٩ العوارم المعتلجات

وقال يهجو نابغة بني جعدة:

ومَا أنَا إنْ أردْتُ هِجاءَ قَيْسٍ بِمَخْذُولٍ ولا خَاشِي الجَنانِ

لن يخذلني قومي إن هجوت قيساً فغضبوا، ولست خاشي الجنان (خائف القلب)

أَهُـمُّ بِـشَـتْـمِـهِـمْ ويَـكُـفُّ حِـلـمـي   عَـوارِمَ يَـعْـتَـلِـجْـنَ عـلـى لـسـانـي

أهم بشتمهم ولكن حلمي (سماحة نفسي) يكف (يمنع) عوارم (أبيات عارمة متدفقة) يعتلجن (يصخبن ويتدافعن) على لساني

٣٠ افتخار بالثارات

وما تَـرَكَـتْ أَسـيَـافُـنـا مِـنْ قَـبـيـلـةٍ   تُـحـارِبُـنـا إلَّا لـهـا عِـنـدَنـا وِتْـرُ

الوتر: الثأر. فقبيلتنا قتلت ناساً من قبائل كثيرة فعليها ثأرات كثيرة، وهذا دليل قوتها

٣١ نظرات الكراهية

وإنِّـي صَـبُـورٌ مِـنْ سُـلَـيْـمٍ وعَـامـرٍ   ونَصْرٍ على البَغْضَاءِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ

صبور من هذه القبائل على البغضاء (الكراهية) والنظرات الحادة، فلست لأعطيهم أي اهتمام

إذا ما الـتَـقَـيْـنـا عـنـد بِـشْـرٍ رَأَيـتَـهُـمْ   يَغُضُّونَ دُوني الطَّرْفَ بِالحَدَقِ الخُضْرِ

نلتقي عند الأمير بشر بن مروان في الكوفة فيغضون بصرهم بعيونهم الخضر (السود). معاجمنا القديمة مصابة بعمى الألوان، فخذ ما أتاك

وأَوْجُـهِ مَـوْتُـوريـنَ فـيـهـا كَـآبَـةٌ   فَرَغْماً على رَغْم، وَوَقْراً على وَقْرِ

يغضون أوجه ناس موتورين (لهم ثأر) وفي وجوههم كآبة، فليرغم الله وجوههم (يعفرها في التراب)، وليحمل عليهم وقراً (ثقلاً) فوق وقر

٣٢ حاطب العودين

وإنْ أَتَـعَـرَّضْ لِـلـولـيـدِ فـإنـه   نَـمَـتْـه إلـى خيـرِ الـفُـروعِ مَـضـارِبُـهْ

إن أتعرض للوليد (أطلب العطاء منه) فهو أصيل نمته مضاربه (جذوره) إلى خير فروع قريش

تَـجـيـشُ بِـأَوْصَـالِ الـجَـزُورِ قُـدُورُهُ   إذا المَحْلُ لم يَرْجِعْ بِعُودَيْنِ حَاطِبُهْ

تجيش (تمتلئ) بأوصال الجزور (أطراف الذبيحة) قدوره في وقت المحل (القحط) الذي يذهب فيه المرء يحتطب ثم لا يرجع بعودين لتلف المزروعات

وما بَـلَـغَـتْ خيـلُ امْـرِئٍ كـانَ قـبـلَـه   بـحـيـثُ انـتـهـتْ آثـارُه ومَـحـارِبُـهْ

ولم تبلغ خيل أي خليفة قبله ما بلغته خيله ومحاربه (حروبه) من التعمق في الشرق والغرب. وفي زمن الوليد كان فتح الأندلس وبلاد كثيرة في الشرق

وتُـضْـحـي جبـالُ الرومِ غُـبْـراً فِـجَـاجُـهـا   بِـمَـا أَشْـعَـلَـتْ غـاراتُـه ومَـقَـانِـبُـهْ

فجاج (دروب الجبال) في بلاد الروم اغبرت من حوافر خيل الخليفة في غاراتها، ومن مقانبه (كتائبه)

٣٣ ضحية المنجنيق

عَدا زُفَرُ الشَّيْخُ الكِلابِيُّ طَوْرَهُ   فقدْ أَنْزَلَتْهُ المَنجَنيقُ مِنَ القصرِ

زفر بن الحارث الكلابي زعيم قيس، كان زبيرياً ولما أدبر حال الدولة الزبيرية صالحه عبد الملك بعد أن نصب عليه المجانيق في معقله بقرقيسيا قرب دير الزور حالياً ثم وسع له في مجلسه. وكان الأخطل يكثر من تذكير عبد الملك بأن زفر ما زال يبطن العداوة

بَني عامِرٍ لم تَثْأَرُوا بِأَخيكُمُ   ولكنْ رَضيتُمْ باللِّقاحِ وبالجُزْرِ

يا بني عامر لم تأخذوا ثأر أخيكم عمير بن الحباب، وكانت تغلب قتلته، وعمير هذا صاحب زفر وحليفه، ولكنكم رضيتم باللقاح (النياق) في الدية وبالجزر (الإبل المعدة للذبح، جمع جَزور)

إذا عُطِفتْ وَسْطَ البيوتِ، احْتَلَبْتُمُ   لها لَبَناً مَحْضاً أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

إذا عطفت هذه النياق وسط بيوتكم (أي حنيت رؤوسها كي تشم صغارها وتدر لبناً) حلبتم من لبنها محضاً (صافياً) لكنه أمر من الصبر لأنه حليب جاءكم بدلاً من أخذ الثأر

ولَمَّا رأى الرحمنُ أنْ ليسَ فيهِمُ   رشيدٌ ولا ناهٍ أخَاهُ عن الغَدْرِ . .

أَمالَ عليهِمْ تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ   فَكانوا عليهِمْ مِثلَ رَاغِيَةِ البَكْرِ

بعث الله قبيلة الأخطل، تغلب ابنة وائل، لتكون شؤماً على بني عامر كشؤم فصيل ناقة صالح الذي ظل يرغو (يصيح) حول أمه بعد أن قتلها قوم صالح، ثمود، ثم كان فناؤهم بعد ثلاث. راغية البكر: المصيبة

فَسيرُوا إلى أهلِ الحِجازِ فإنَّما   نَفيْنَاكُمُ عن مَنْبِتِ القَمْحِ والتَّمْرِ

منبت القمح والتمر: العراق

٣٤ بولي على النار

ما زالَ فينا رِبَاطُ الخيلِ مُعْلَمَةً   وفي كُلَيْبٍ رِباطُ الذُّلِّ والعارِ

في قبيلتنا رباط الخيل (مرابطها) المستعدة للغزو وهي معلمة (عليها علامات الحرب)، وقبيلة كليب، قبيلة جرير، فيها ذل وعار

النَّازِلينَ بِدارِ الذلِّ إن نَزَلوا   وتَسْتَبيحُ كُلَيْبٌ مَحْرَمَ الجارِ

ينزلون بدار الذل، بعد أن يطلبوا من غيرهم السماح لهم بالنزول للرعي، وهم يستبيحون حرمة من يجاورهم أو يستجير بهم

والظاعِنينَ على أَهْواءِ نِسْوَتِهِمْ   وما لَهُمْ من قَديمٍ غيرُ أَعْيارِ

الظاعنين (الراحلين) بعد استشارة النساء، وليس لهم سوى الأعيار (الحَمير) لفقرهم

قَومٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيافُ كَلْبَهُمُ   قالوا لِأُمِّهِمُ بُولي على النارِ

إذا استنبح الأضياف كلبهم (نبحوا ليجيبهم الكلب ويعرفوا موضع القوم)، قال بنو كليب لأمهم: بولي على النار، لكيلا يعرف الأضياف مكانهم إذ لا يريدون أن يُضيِّفوهم. وكان التائه في الصحراء يوالي النباح، يريد أن يَسمع كلباً يرد عليه فيعرف موضع البشر، وزعم الأخطل أن بيته هذا أهجى بيت: فقد وصم قوم جرير بأنهم بخلاء، ويهينون أمهم، ونارهم صغيرة تطفئها بولة لذلتهم وضعفهم. واشتكى الأخطل من أن بيت جرير «والتغلبي إذا تنحنح للقرى.. حك استه وتمثل الأمثالا» سار أكثر من بيته هو

فتُمْسِكُ البَوْلَ بُخْلاً أن تَجودَ به   وما تَبُولُ لَهُمْ إلَّا بِمِقْدارِ

فتمسك عجوزهم بولها باخلة به، فلا تبول إلا قليلاً. هذا استكمال للصورة الكاريكاتيرية لا يبعد أن يكون أضافَهُ آخرون، فالبيت موجود في نسخ، مفقود من نسخ، وهو أشبه بطريقة جرير منه بصلابة الطريقة الأخطلية

والخبزُ كالعَنْبَرِ الوَرْدِيِّ عندَهُمُ   والقَمْحُ سَبعونَ إرْدَبّاً بِدينارِ

الخبز عند قوم جرير كأنه العنبر الوردي الثمين جداً، لبخلهم به، مع أن القمح رخيص

فاقْعُدْ جريرُ فقدْ لاقَيْتَ مُطَّلَعاً   صَعباً، ولاقاكَ بحرٌ مُفْعَمٌ جارِ

اقعد يا جرير فقد لاقيت طريقاً صاعداً صعباً بتعرضك لي،
ولاقاك مني بحر (نهر) مفعم (زاخر)

هَلَّا كَفَيْتُمْ مَعَدّاً يومَ مُعْضِلَةٍ   كَما كَفَيْنا مَعَدّاً يومَ ذي قارِ..

هلا كنتم كفيتم قبائل معد في الأيام الصعبة مثلما كفينا معداً يوم ذي قار..

جاءتْ كَتائِبُ كِسرى وَهْيَ مُغْضَبَةٌ   فَاسْتَأْصَلُوها وأَرْدَوْا كلَّ جَبَّارِ

في يوم ذي قار جاءت كتائب كسرى غاضبة، فاستأصلها بنو ربيعة ـ أساساً بنو شيبان، لكنهم من أقارب تغلب قبيلة الأخطل ـ وأردوا (قتلوا) كل فارس بطل

٣٥ ذئب الأخطل

أَلَا يا اسْلَمَا على التَّقَادُمِ والبِلَى   «بِدُومَةِ خَبْتٍ» أَيُّها الطَّلَلانِ

رغم قدم العهد والبِلى (الخراب) اسلما أيها الطللان (الخربتان) في موضع دومة خبت

فلو كنتُ مَحْصُوباً بِدُومَةَ مُدْنَفَاً   أُسَقَّى بِرِيقٍ مِنْ سُعادَ شَفاني

لو كنت مصاباً بالحصبة في هذا الموضع، ومدنفاً (مريضاً) وذقت ريق سعاد لشفيت

وكيف يُداوِيني الطَّبيبُ مِنَ الجَوَى ... و«بَـرَّةُ» عـنـد الأعْـوَرِ بـنِ بَـيَـانِ

وكيف أشفى من الجوى (حرارة العشق) و«برة» الجميلة عند زوجها «الأعور بن بيان». وكان هذا الرجل، وهو تغلبي من قبيلة الأخطل، استضاف الأخطل فرأى شاعرنا زوجة الرجل الجميلة. سقاه الرجل خمراً وأكرمه وسأله: هل ترى عندنا عيباً. قال الأخطل: ليس لبيتك عيب سواك. وحسده على زوجته الجميلة

وأرَّقَنـي مِنْ بَعْـدِ مـا نِـمْـتُ نَـوْمَـةً ... وعَضْبٌ جَلَتْ عنهُ القُيونُ بِطَاني . .

أرقني بعد أن نمت وبطاني، أي عند بطني، عضب (سيف) جلت عنه القيون (صقله الحدادون). .

تَصاحُبُ ضَيْفَيْ قَفْرَةٍ يَعرفَانِها: ... غُـرابٍ وذِئْـبٍ دائِـمِ الـعَـسَـلانِ

أرقني صحب اثنين من سكان القفر: غراب وذئب دائم العسلان (التمايل في مشيه)

إذا غَشِيانـي هِيلَتِ النفسُ منهُما ... قُشَعْرِيرةً، وازْدَدْتُ خَوفَ جَنانِ

إذا غشياني (أتياني) هيلت النفس (فزعت) منهما، وانتابتني قشعريرة، وخوف جنان (قلب)

إذا حَضَرانـي عـنـد زَادِيَ لـم أَكُـنْ ... بَـخِـيـلاً، ولا صَـبّـاً إذا تَـركَـانـي

فإن حضرا وأنا آكل من زادي لم أبخل عليهما، وإن تركاني فلست صباً بهما (حريصاً عليهما). . على أن صاحبنا لم يزعم كالفرزدق أنه قعد يتعشى مع الذئب، ولا كالبحتري أنه قتل الذئب

٣٦ أنا وأروى والهماليج

دَنا البينُ مِنْ «أَروى» فَزالَتْ حُمُولُها ... لِتَشْغَلَ أَرْوَى عن هَواهَا شُغُولُها

دنا البين (الفراق) وزالت عن المكان حمول (هوادجها) أروى، واشتغلت أروى عن الهوى بالرحيل

ومَا خِفْتُ مِنْها البينَ حتى تَزَعْزَعَتْ ... هَمالِيجُها، وازْوَرَّ عَنِّي دَليلُها

وما خفت الفراق إلا عندما تزعزعت (تحركت متثاقلة) هماليجها (نياقها)، وازور (مال) بالجمال الدليل مبتعداً في طريقٍ ملتوٍ

وكمْ بَخِلَتْ أَرْوَى بِمَا لا يَضيرُها ... وكم قَتلتْ، لو كان يُودَى قَتيلُها

كثيراً ما بخلت علينا بأمور لا تضيرها (نظرة، أو. . ، أو. .)، وكثيراً ما قَتلت، وللأسف لا يودى قتيلها (لا ينال أهله ديته)

إذا الشُّعَراءُ أَبْصَرَتْني تَثَعْلَبَتْ ... مَقاحِيمُها، وازْوَرَّ عَنّي فُحولُها

إذا رأتني مقاحيم الشعراء (الجريئون منهم) أصبحوا كالثعالب فاختبأوا، وازور (مال مبتعداً) عني الفحول

ومُعْتَرِضٍ لـو كنتُ أَزْمَعْتُ شَتْمَهُ ... إذنْ لَكَفَتْهُ كِلْمَةٌ لو أَقولُها

ورب شاعر اعترضني لو نويت شتمه لكفته مني كلمة، هذا لو نويت

٣٧ في مدح همَّام

تَبَيَّنْ خَليلي نَاصِحَ الطَّرْفِ هل تَرى   بِعيْنِكَ ظُعْناً قد أُقِلَّتْ حُمُولُها؟

انظر يا صاحبي يا ناصح الطرف (صحيح النظر)، هل ترى ظعناً، أي نساء راحلات، قد رُفعت حمولها، أي هوادجها فوق الإبل؟

تَمايَلْنَ لِلأَهْوَاءِ، حتى كأنَّما   يَجُورُ بِها في السَّيْرِ عَمْداً دَلِيلُها

يملن بإبلهن بحسب ما يشتهين ويسرن سيراً متعرجاً، فكأن دليل القوم يجور (يميل) بهم عمداً

فلمَّا استوى نِصفُ النَّهارِ وأظهَرَتْ   وقد حَانَ مِنْ عُفْرِ الظِّباءِ مَقِيلُها

عندما أظهرت (حان وقت الظهيرة) وحان وقت هجعة الظباء العفر (المحمرة مع بياض)

حَثَثْنَ المَطايا فَاصْمَعَدَّتْ لِشأْنِها   ومَدَّ أَزِمَّاتِ الجِمَالِ ذَمِيلُها

حثثن المطايا (أسرعن بالإبل المركوبة) فاصمعدت (أسرعت)، ومد الذميل (السير السريع) أزِمَّات الجمال (مقاود الجمال) فهي عندما تسرع ترمي أعناقها للأمام وتسحب الحبل الذي به تقاد

فَلَمَّا تَلاحَقْنَا نَبَذْنا تَحِيَّةً   إِليهِنَّ والتَذَّ الحديثَ أَصِيلُها

لما تلاحقنا (تلاقينا) نبذنا تحية (رمينا بتحية) إليهن، والتذ بالحديث الرجل الأصيل.. ولا أرى الأصيل في مكانها هنا، ولم أجد رواية أحسن

فكانَ لَدَيْنا السِّرَّ بَيْني وبينَها   ولَمْعَ غَضِيضاتِ العيونِ رَسولُها

فكان رسولُ المحبة فيما بيننا السر (السرار والحديث الخافت) ولمع العيون الغضيضة (المطرقة). فالمرأة تنزل جفونها ثم ترفعهما وتبرق عيناها فيما بين ذلك. قالت كاتبة فرنسية ما معناه.. المرأة إذ تحرك جفونها كأنها تتعرى.. إن عثرت على اسم الكاتبة فسأكتبه لك في طبعة قادمة

رأَيتُ قُرُومَ ابْنَيْ نِزارٍ كِلَيْهِما   إذا خَطَرَتْ عند الإمامِ فُحولُها..

رأيت قروم (سادات) ابني نزار كليهما (أي كل عرب الشمال من مضر وربيعة) عندما يخطر فحولهم (يأتي كبارهم ماشين مشية افتخار) ويدخلون على الإمام (الخليفة)..

يَرَوْنَ لِهَمَّامٍ عليْهِمْ فَضِيلَةً   إذا ما قُرُومُ الناسِ عُدَّتْ فُضُولُها

.. وجدتهم يرون أن همَّاماً له فضيلة عليهم، إذا نظر الناس في فضائل السادة

سَبُوقٌ لِغاياتِ الحِفَاظِ إذا جَرى،   ووهَّابُ أَعْناقِ المِئينَ حَمولُها

هو يسبق غيره لغايات (أقصى مدى) الحفاظ (حفظ الشرف)، ووهاب (منَّاح) أعناق المئين (مئات النياق) حمولها (يحمل الديات)

وَدَفَّاعُ ضَيْمٍ، لا يُسَامُ دَنِيَّةً   وَقَطَّاعُ أَقْرانِ الأُمُورِ وَصُولُها

ويدفع الضيم (الظلم) ولا يسام دنية (لا يرضى الذل أو الصغائر)، وهو يقطع ويصل أقران (حبال) الأمور، أي أنه رجل واسع الحيلة والتصرف

ثَنَى مُهْرَهُ والخيلُ رَهْوٌ كأنَّها   قِدَاحٌ على كَفَّيْ مُفِيضٍ يُجِيلُها

ثنى مهره نحو الأعادي بينما الخيل رهو (متتابعة) كأنها قداح (سهام الميسر) يرميها من كفيه مفيض (رام للقداح) يجيلها (يبعثرها)، فرامي السهام عند الميسر يرشق السهام من يديه رشقاً فتنطلق سريعة

وأَعْلَمُ أن المرءَ ليس بِخالدٍ   وأن منايا الناسِ يسعَى دليلُها

نهاية المرء موت، والمنايا (الحتوف، الموت) يسعى دليلها يدلها على الناس واحداً فواحداً

فَإِنْ عاشَ هَمَّامٌ لنا فَهْوَ رحمةٌ   من اللَّهِ، لم تُنْفَسْ علينا فُضولُها

فإن عاش همام كان رحمة لنا لم تنفس فضولها (لم نحسد على خيرها) لأن خيره يصيب الجميع

وإن ماتَ لم تَستَبْدِلِ الأرضُ مثلَه   لأخذِ نَصيبٍ، أو لأَمرٍ يَعُولُها

وإن مات لم يأت بعده مثله لكي تأخذ الأرض منه نصيبها من الخير أو لكي ينقذها من أمر يعولها (يرهقها)

٣٨ في الكنيسة

إنَّ مَنْ يدخُلِ الكَنيسَةَ يوماً   يَلْقَ فيها جَآذِراً وظِباءَ

في الكنيسة نساء كالجآذر (بقر الوحش في سعة العيون) وكالظباء (في ملاحة العيون والأعناق)

مَالَتِ النَّفْسُ بعدَها إذْ رَأَتْها   فَهْيَ ريحٌ، وصَارَ جِسمي هَبَاءَ

مالت نفسي إليها (إلى الجآذر والظباء) فهي كانت كالريح، وجسمي صار كأنه الهباء المعلق في الريح لشدة ما انتابني من شغف

لَيتَ كانَتْ كَنيسةُ الرُّومِ إذًّا   كَ علَيْنا قَطِيفَةً وخِبَاءَ

ليت الكنيسة كانت قطيفة نجلس عليها وخباء (خيمة) نجالس فيها أولئك النسوة لا معبداً ليس لنا فيه إلا النظر

٣٩ الفرزدق صخرة

إنَّ الفرزدَقَ صخرةٌ عاديَّةٌ   طَالَتْ فليس تنالُها الأَوْعَالُ

الفرزدق صخرة عادية (قديمة من عهد عاد) وقد طالت وبعدت في رأس جبل فلا تصل إليها حتى الأوعال التي مساكنها في الجبال

٤٠ لليدين وللفم

لـقـد عَـثَـرَتْ بَـكْـرُ بـنُ وَائِـلَ عَـثْـرَةً فـلـو عَـثَـرَتْ أخـرَى فَـلِـلْـيَـدِ والـفَـمِ

عثرت قبيلة بكر بن وائل وأساءت التقدير، ولو كررت الأمر فلليد والفم
(لتسقط على يديها ووجهها/ لا أقال الله عثرتها)

٤١ لبن ودم

فَـنَـبَّـهْـتُ سَـعْـداً بـعـدَ نـوم لِـطَـارِقٍ أتَـانَـا ضَـئِـيـلاً صـوتُـه حـيـن سَـلَّـمَـا

أيقظت سعداً، بعد أن كان نام، لطارق (لخدمة مسافر أتانا ليلاً)، وصوت هذا الطارق ضئيل حين سلّم علينا لما به من الإرهاق

إذا لـمْ تَـذُدْ أَلْـبَـانُـهـا عـن لُـحـومِـهـا حَـلَـبْـنـا لـه مـنـهـا بَـأَسْـيـافِـنـا دَمَـا

وإذا لم تذد (تدافع) ألبان الإبل عن لحومها بأن تدر الكثير من اللبن، فسوف نحلب له دماً بأسيافنا
(أي سنذبح له بعيراً)

٤٢ أروى القتول

وكَـمْ قَـتَـلَـتْ أَرْوَى بِـلا تِـرَةٍ لَـهـا وأَرْوَى لِـفُـرَّاغِ الـرجـالِ قَـتُـولُ

ما أكثر ما قتلت أروى الرجال، ولا ترة (ثأر) لها،
وهي للرجال الفارغين من العشق قتالة إذ يعشقونها هي

فـلـو كـانَ مَـبْـكَـى سَـاعَـةٍ لَـبَـكَـيْـتُـهـا ولـكـنَّ شَـرَّ الـغَـانـيـاتِ طَـويـلُ

العشق لا تبدده ساعة بكاء، والتعلق بالحسان شر طويل

وإن امْـرَأً لا يـنـتـهـي عـن غَـوايَـةٍ إذا مـا اشـتَـهَـتْـهـا نـفـسُـه لَـجَـهُـولُ

٤٣ يمشين على هديره

يَمْشِينَ مَشْيَ الهِجَانِ الأُدْمِ رَوَّحَها عندَ الأَصيلِ هَديرُ المُصْعَبِ القَطِمِ

تمشي هؤلاء النسوة مشيَ الهجان (الإبل الكريمة) الأدم (البيض) روحها (عاد بها مساء)
عند الأصيل (قرب المغيب) هدير المصعب القطم (صوت الجمل الفحل الهائج)،
فالنياق تمشي متبخترة على صوت الفحل

٤٤ المفتخرة بهودج سيدتها

بَـكَـرَ الـعَـواذِلُ يَـبْـتَـدِرْنَ مَـلامَـتـي والـعـاذلـونَ، فـكُـلُّـهُـمْ يَـلْـحَـانـي

جاءت العواذل (العاذلات) باكراً وبادرنني باللوم، والعاذلون أيضاً، الكل يلحاني (يلومني بشدة)

يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتورِ بِأَعْيُنٍ نُجْلٍ، يُمِتْنَ العَاشقينَ، حِسانِ

النساء ينظرن من خلل الستور (الفرجات بين ستر وستر) بأعين نجل (واسعة) جميلة تميت العاشقين

وإذا رأَينَ الشيْبَ لم يقْرَبْنَهُ والغَانِياتُ عن الكبيرِ غَوَانِ

ولا يقربن صاحب الشيب، والغانيات (المستغنيات بجمالهن عن الزينة) غوان (مستغنيات) عن الكبير في السن

يَقْطَعْنَ عنهُ كلَّ حبلِ مَوَدَّةٍ جَهلاً، وهُنَّ إلى الشبابِ رَوَانِ

يقطعن العلاقة الودية مع الكبير جهلاً (طيشاً من جانبهن)، وهن روانٍ (متطلعات) إلى الشباب

إنِّي أُدِيمُ لِذي الصَّفاءِ مودَّتي وإذا تغيَّرَ كنتُ ذا أَلوانِ

أنا أديم المودة مع الصديق المصافي، فإن تغير تغيرت عليه

وأُفارِقُ الخُلَّانَ مِنْ غيرِ القِلَى وأُمِيتُ عندي السِّرَّ بِالكِتْمانِ

وأفارق الخلان (الأصحاب) دون قلى (جفاء)، وأحفظ السر

قَبَحَ الإلَهُ بني كُلَيْبٍ، إنهُمْ لا يَحفَظُونَ مَحارِمَ الجِيرانِ

بنو كليب قوم جرير لا يحفظون محارم من جاورهم، إمَّا بالسكنى عندهم أو بطلب الجوار فيهم

أَجَريرُ إنَّكَ والذي تَسْمُو له كَأَسيفَةٍ فَخَرَتْ بِحِدْجِ حَصَانِ

يا جرير إنك والله الذي تسمو (ترتفع) نفسي له، كأسيفة (أمة) تفخر بحدج (هودج) حصان (امرأة حرة). فأنت تفخر بقبيلة تميم وإنك لمن أوضع بطونها

حَمَلَتْ لِرَبَّتِها فَلَمَّا عُولِيَتْ نَسَلَتْ تُعارِضُها مع الأَظْعانِ

حملت الأمة لربتها (سيدتها) متاعها فلما عوليت (ركبت سيدتها في الهودج) نسلت (أسرعت) الأمة تلحق بها مع الأظعان (الإبل)

في «دَارِمٍ» تَاجُ الملوكِ وصِهْرُها أيامَ يَربُوعٍ مع الرُّعْيانِ

في قبيلة دارمٍ الملوك (الزعماء) لتميم كلها، وهم يصاهرون الملوك، بينما كانت قبيلة يربوع ترعى مواشيها (وجرير من كليب، وكليب من يربوع، وهما من تميم، أمَّا دارم فمن أشرف بطون تميم)

وإذا وَضَعْتَ أباكَ في مِيزانِهِمْ رَجَحُوا، وشَالَ أَبوكَ في الميزانِ

أبوك لا يعادل دارماً، بل تشيل (تصعد) به كفة الميزان لخفته

٤٥ أحقاد

إذا ما قُلْتُ قد صَالَحْتُ بَكْراً أَبىَ الأَضْغَانُ لا النَّسَبُ البعيدُ

كلما قلت صالحت قبيلة بكر أبت الأضغان (الأحقاد) لا النسب البعيد، فبكر وتغلب كلتاهما من ربيعة

وأيَّــامٌ لــنــا وَلَــهُــمْ طِــوالٌ   يَـعَـضُّ الـهَـامَ فـيـهِـنَّ الـحَـديـدُ

بيننا حروب طويلة كان حديد السيوف يعض فيها الهام، أي الرؤوس

هُـمَـا أَخَـوانِ يَـصْـطَـلِـيَـانِ نـاراً   رِداءُ الـمـوتِ بـيـنَـهُـمـا جـديـدُ

٤٦ أشباه العبيد

وكـنـتُ إذا لَـقـيـتُ عـبـيـدَ تَـيْـمٍ   وتَـيْـمـاً قُـلْـتُ أَيُّـهُـمـا الـعـبـيـدُ

لَـئـيـمُ الـعـالَـمِـيـنَ يَـسُـودُ تَـيْـمـاً   وسَـيِّـدُهُـمْ وإن كَـرِهُـوا مَـسُـودُ

٤٧ «مصر والسودان لنا.. وانجلترا إن أمكنَّا»

ونَحْنُ قَسَمْنا الأرضَ نِصْفَيْنِ: نِصفُها   لـنـا، ونُـرامـي أن تَـكـونَ لـنـا مَـعَـا

جعلنا الأرض نصفين: نصف لنا، ونصف لكل الآخرين، ونرامي (نرمي ونهدف) أن يكون النصفان كلاهما لنا

إذا مَا أَكَلْنا الأرضَ رَعْيَاً تَطَلَّعَتْ   بِنا الخيلُ حتى نَسْتَبِيحَ المُمَنَّعا

إذا ما رعت إبلنا فأكلت العشب كله، تطلعنا بخيولنا إلى أراضي الآخرين حتى نستبيح الممنع (المحميّ)

٤٨ المستضعفون في الحوض

وقال يهجو قبيلة زيد اللات:

قُـبَـيِّـلَـةٌ مـا يَـغْـدِرُونَ بِـذِمَّـةٍ   ولا يَظْلِـمونَ الناسَ مِثْقالَ دِرْهَـمِ

يهجوهم بأنهم لا يغدرون، ولا يظلمون أحداً لضعفهم

ولا يَـرِدُونَ الـمـاءَ إلَّا عَـشِـيَّـةً   على طُولِ أَظْمَاءٍ، وَوَجْهٍ مُلَطَّمِ

ولا يردون حوض الماء لتشرب إبلهم إلا عشاء حين يقل عدد الواردين، رغم طول الظمأ، ويَرِدون بوجوه ملطومة مضروبة من الآخرين الذين يشربون قبلهم ويؤخرونهم

٤٩ لكم دينكم ولي دين

إذا لانَ الـصَّـفَـا عـن طُـولِ نَـحْـتٍ   فـإنَّ صَـفَـاةَ تَـغْـلِـبَ لا تَـلِـيـنُ

إذا لان الصفا (الصخر) لطول ما ينحته المرء، فصخرة قبيلة تغلب لا تلين

فَقَبْلَكَ رامَها الجبَّارُ فينا   فكانَ لنا ولِلجبَّارِ دِينُ

وقبلك رامها (قصدها) الجبار، فكان لنا وله شأن. في البيت إشارة إلى سعي عمر بن الخطاب إلى فرض الجزية على تغلب، ورفض تغلب الأمر، ورفضها الدخول في الإسلام، وإقامتها على المسيحية

٥٠ كواكب الكأس

ومُتْرَعَةٍ كأنَّ الوَردَ فيها   كَواكِبُ لَيْلَةٍ فَقَدَتْ غَماما

رب كأس مترعة (مليئة) كأن الورد (الخمر الوردية اللون) فيها، وقد علتها الفقاقيع اللامعة، كواكب في ليلة صافية بلا غيوم

سَقَيْتُ بِها عُمارَةَ أو سَقانِي   إذا ما الجِبْسُ عن ضَيْفَيْهِ نَاما

سقيت ضيفي عمارة أو سقاني عندما يضيّفني، فأما الجبس (اللئيم) فيترك أضيافه وينام ولا يؤنسهم

٥١ أهل القرقور

وقال الأخطل يرد على جرير عندما قال: «فما لك في نجد حصاة تعدها»:

ولكِنْ لنا بَرُّ العراقِ وبَحْرُهُ   وحيثُ تَرَى القُرْقُورَ في الماءِ يسبَحُ

القرقور: السفينة

إذا ابْتَدَرَ الناسُ السِّجَالَ وجَدْتَنا   لنا مِقْدَحا مَجْدٍ وللناسِ مِقْدَحُ

إذا ابتدر الناس السجال (بدأوا بالتفاخر) فلنا مقدحا (مغرفتا) مجد وللناس كلهم مغرفة واحدة

٥٢ عمائم الأنصار

ذهبَتْ قُريشٌ بِالمَكارِمِ والعُلَا   واللؤمُ تحت عمائِمِ الأنصارِ

أخذت قريش كل المكارم والمجد، وبقي للأنصار اللؤم

فذَرُوا المَعالِيَ لَسْتُمُ من أهلِها   وخُذُوا مَساحِيَكُمْ بَنِي النَّجَّارِ

يا بني النجار (من الخزرج، من الأنصار) اتركوا السعي للمعالي (المجد) فلستم أهلاً لها، وأمسكوا مساحيكم (مجارف التراب) فأنتم زراع لا يد لكم بالمجد والحرب

إنَّ الفَوارِسَ يَعرِفُونَ ظُهورَكُمْ   أَوْلادَ كُلِّ مُقَبَّحٍ أَكَّارِ

الفرسان يعرفون ظهوركم لكثرة ما تفرون في المعارك، يا أولاد كل مقبح (الموصوف بالقبائح والعيوب) أكار (المزارع)

وإذا نَسَبْتَ ابنَ الفُرَيْعَةِ خِلْتَهُ كَالجَحْشِ بينَ حِمَارَةٍ وحِمَارِ

ابن الفريعة (حسان بن ثابت، ويعني ابنه عبد الرحمن بن حسان)، الجحش: الحمار الصغير

٥٣ صيال بلا وصول

تَصُولُ إلى العُلا أَسَدٌ وتَأْبَى مَخازِيها وأَيْدِيها القِصَارِ

تصول (تهجم) قبيلة أسد للوصول إلى العلا، ولكن مخازيها، وأيديها القصار (ضعفها) تمنعها

٥٤ لستم سِبِّي

وأَمَّا تَمَنِّيكُمْ قُريشاً فإنَّها مَصابيحُ يَرمِيها بِعيْنَيْهِ نَاظِرُ

تمنيكم الوصول إلى مرتبة قريش وهُم، فإنهم مصابيح ينظر إليها الناظر لا غير

فما أنتُمُ منهُمْ، ولكنَّكُمْ لَهُمْ عبيدُ العَصا، ما دامَ للزَّيْتِ عاصِرُ

لستم من قريش، بل ستظلون عبيد العصا لهم (عبيداً يضرَبون) ما دام هناك من يعصر الزيت (أي للأبد)

فمَا خُتِمَتْ أكتافُكُمْ لِنُبُوَّةٍ وأَسْتَاهُكُمْ قد أَنْكَرَتْها المنابِرُ

ففي قريش النبوة، وأنتم ليس على أكتافكم ختم النبوة، وأقفاؤكم لم تجلس يوماً على منبر. وربما جلس الخطيب على كرسي فوق المنبر قبل أن يقوم فيخطب

بَني أَسَدٍ لَسْتُمْ بِسِبِّي فَتُشْتَمُوا ولكنَّما سِبِّي سُلَيْمٌ وعَامِرُ

يا بني أسد، أنتم لستم بسبي (كفئاً لي فأسبكم وتسبوني)، فأولئك بنو سليم وبنو عامر

٥٥ يا مرسل الريح

يا مُرْسِلَ الريحِ جَنوباً وصَبَا

يا رب، يا مرسل ريح الجنوب وريح الصبا

إنْ غَضِبَتْ «زَيْدٌ» فَزِدْها غَضَبا

واكْسُ بَني زِيدِ بنِ عَمْرٍو نُقَبا

ألحق ببني زيد نقباً (بقعاً من الجرب)

ليستْ مِنَ البَزِّ ولَكِنْ جَرَبا

البز (القماش)

٥٦ فعلت به أفعالها

اربَـعْ عـلـى دِمَـنٍ تَـقـادَمَ عـهـدُهـا «بِالجَوْفِ» واستَلَبَ الزمانُ حِلالَها

قف على دمن (خرائب) قديمة في موضع الجوف، وقد استلب الزمان (أخذ) حلالها (أهلها الذين حلوا فيها)

دِمَـنٌ لِقَـاتِـلَـةِ الـغَـرانِـقِ، مـا بِـهـا إلَّا الوُحوشُ، خَلَتْ له وخَلا لَها

هذه الخرائب هي للتي قتلت الغَرانق (الشبان الوسيمين)، وليس بالخرائب الآن سوى الوحوش التي خلت لموضع الجوف، وخلا من كل أحد وبقي لها وحدها

بَـكَـرَتْ تُـسَـائِـلُ عـن مُـتَـيَّـم اهـلَـهِ وَهِـيَ الـتـي فَـعَـلَـتْ بـه أَفـعـالَـهـا

بكرت (أتت صباحاً) هذه الفتاة التي قتلت الشبان تسأل عن متيم (عاشقٍ) أهله، مع أنها هي التي تيمته.. والبيتان مما أورده أبو تمام في الحماسة منسوباً لغير الأخطل، وجئنا بالبيتين هنا للسياق

كـانـتْ تُـرِيـكَ إذا نـظـرتَ أمـامَـهـا مَجْرَى السُّمُوطِ، ومَرَّةً خَلخَالَها

كانت تريك مجرى السموط (العقود.. أي عنقها) وخلخالها. تفتنك بمفاتنها

اخْسَـأْ إلـيـكَ جـريـرُ، إنَّـا مـعـشـرٌ نِـلْـنـا الـسَّـمـاءَ نـجـومَـهـا وهِـلالَـهـا

اخسأ إليك (خسئت وبعدت) يا جرير فنحن أشرف منك بكثير، وشرفنا وصل السماء

مـا رَامَـنـا مَـلِـكٌ يُـقِـيـمُ قَـنـاتَـنـا إلَّا اسْـتَـبَـحْـنـا خَـيْـلَـهُ ورِجَـالَـهـا

ما رامنا (طلبنا) ملك يريد أن يقيم قناتنا (يخضعنا) إلا استبحنا خيله وفرسانها

٥٧ تميت وتحيي

شَـرِبْـنـا فَـمُـتْـنـا مِـيـتَـةً جـاهِـلِـيَّـةً مَـضَـى أهلُها لـم يَعرفوا ما مُحَمَّدُ

ثَـلاثَـةَ أيـام فـلـمَّـا تَـنَـبَّـهَـتْ حُـشَـاشَـاتُ أَنْـفـاسٍ أَتَـتْـنـا تَـرَدَّدُ..

ظللنا سكَّرانين ثلاثة أيام، فلما عادت إلينا حشاشات أنفاس (بقيةٌ من صحو)

حَـيِـيـنـا حَـيـاةً لـم تـكـنْ مِـنْ قِـيـامَـةٍ عـلـيْـنـا ولا حَـشْـرٍ أَتَـانَـاهُ مَـوْعِـدُ

كنا كمن عاش بعد موت، لكن بدون يوم قيامة ولا حشر جاء موعده

حَياةَ مِراضٍ، حَوْلَهُمْ بعدَمَا صَحَوْا مِـنَ الـنـاسِ شَـتَّـى عـاذِلـونَ وعُـوَّدُ

عشنا حياة قوم مرضى من الخُمار، صداع السكر، وحولنا الناس بعضهم عاذل (لائم) وبعضهم عائد (زائر المريض)

وقُـلْـنـا لِـسـاقِـيـنـا عـلـيـكَ فَـعُـدْ بِـنـا إلى مثلِها بالأمسِ، فالعَوْدُ أَحْمَدُ

وقلنا لساقينا عد بنا للسكر

فَـجـاءَ بِـهـا كـأنَّـمـا فـي إنـائِـه	بِها الكوكبُ المِرِّيخُ، تَصْفُو وتُزْبِدُ

فجاء بالخمر، كأن في إنائه المريخ، الكوكب الأحمر، وهي تصفو إذا راقت وتزبد إذا مزجت أو سكبت في الأقداح

تَـفُوحُ بِمـاءٍ يشبـهُ الطِّيـبَ طِيبُهُ	إذا ما تَعاطَـتْ كـأسَـها مِنْ يدٍ يَدُ

تفوح رائحتها الطيبة مع تداول كؤوسها بين الشاربين

**نُمِيتُ وتُحْيِي بعدَ موتٍ، وموتُها	لـذيـذٌ، ومَـحْـيَـاهـا أَلَـذُّ وأَمْـجَـدُ**

٥٨ بيت الدمية

حُلُمٌ سَرى بعد المنامِ، فَزارني	مِـنْ «أُمِّ بَـكْـرٍ» مَـوْهِـنـاً بِـخَـيـالِ

حلم سرى (سار ليلاً) وأتاني وزارني بخيال أم بكر موهناً (في منتصف الليل)

فَـلَـهَـوْتُ لَـيْـلَـةَ نَـاعِـمٍ ذي لَـذَّةٍ	كَـقَـريـرِ عَـيْـنٍ أوْ كَـنـاعِـمِ بَـالِ

فاستمتعت باللهو، وكأنني قرير العين (راضٍ) وناعم البال (مسترخٍ، مستريح)

بِـغَـريـرَةٍ نَـفَـجَ الـنَّـعـيـمُ شبـابَـهـا	غَرْثَى الوِشاحِ، شَبِيعَةِ الخَلْخَالِ

لهوت بغريرة (صغيرة جاهلة) نفج (مثل نفخ، فشبابها منفوخ: وقد استدار من جسمها ما استدار)، غرثى الوشاح (وشاحها جائع: خصرها نحيل)، وخلخالها شبعان (ساقاها ممتلئتان)

في صُـورةٍ تَـمَّـتْ وأُكْـمِـلَ خَـلْـقُـهـا	لـلـنـاظِـريـنَ كـصـورةِ الـتِّـمـثـالِ

هي كاللعبة. كان لنا جار يبرز زوجته للناس مفتخراً بجمالها ـ وكانت نساء مدينتنا لذلك العهد سوافر. . كلهن ـ وكان يقول: انظروا، هذه وردة أشمها! وكنت أجد كلامه مهيناً للمرأة، وأنا بعد صغير لم أسمع عن النسويات والنسويين. على أنني أفتخر بأن مدينتي «نابلس» بفلسطين كان يكاد الطلاق فيها ينعدم أيامئذ، ولم يكن عندنا تعدد زوجات. وكانت أوروبا قبل قرن ونصف قرن لا ترى غرابة في أن تعتبر المرأة لعبة، ثم جاء النرويجي «هنريك إبسن» بمسرحيته «بيت الدمية»، فبدأت عملية شاقة انتهت بأن نالت المرأة كثيراً من الحقوق، والأهم: كثيراً من الاعتبار، فتأكد للقوم أنها ليست لعبة. لكن، سيظل في أعماق عقولنا الذكورية شيء من هذا طويلاً. والحركة النسوية في بلدي تصارع اليوم التاريخ كله، وتصارع متشددي الفقهاء، وتصارع كثيرات من النسوة اللائي يحلو لهن أن يكُنَّ دمىً

تَمَّتْ لِمَنْ نَعَتَ النساءَ، وأُكْمِلَتْ	نَـاهِـيـكَ مِـنْ حُـسْـنٍ لَـهـا وجَـمـالِ

امرأة كاملة تشتهي أن ترى في صورتها عيباً. بعض النساء كذلك. يغتاظ الرجل أن يرى جمالاً كاملاً، وصحيح أنه يقول: سبحان الله؛ لكنْ، تتصاعد من صدره أدخنة الرغبة والحسرة

وَمَـلاحَـةٍ فـي مَـنْـطِـقٍ مُـتَـرَخِّـمٍ مـنـهـا وحُـسْـنِ تَـقَـتُّـلٍ ودَلالِ

جميلة وكلامها رخيم، وفيها التقتل (الغنج) والدلال (التمادي)

تَـرنُـو بِـمُـقْـلَـةِ جُـؤذَرٍ بِـخَـمِـيـلَـةٍ وبِـمُـشْـرِقٍ بَـهِـجٍ، وجِـيـدِ غَـزالِ

ترنو (تنظر) بمقلة جؤذر (بعين بقرة وحشية) في خميلة (روضة)، وبوجه مشرق بهج (فيه لون الزهر)، وبعنق غزال

وبِـــوارِدٍ رَجِـــلٍ كـــأنَّ قُـــرُونَـــه مِـنْ طُـولِـهِ مَـوْصُـولَـةٌ بِـحِـبـالِ

وبوارد (شعر) رجل (متكسر) كأن قرونه (خصلاته) موصولة بحبال لطوله. علق أبو سعيد السكري: «لم يصنع الأخطل في هذا التشبيه شيئاً، وينبغي أن يكون قاله في شيخوخته!». إيه، بل صنع كثيراً.. وأي شيء أبعث على وصف الحسان من شيخوخة محرومة من وصالهن يا أبا سعيد!

مـا رَوْضَـةٌ خَـضْـراءُ أَزْهَـرَ نَـوْرُهـا بِـالـقَـهْـرِ بـيـن شَـقـائِـقٍ ورِمَـالِ..

ليست الروضة الخضراء التي أزهر نوّرها (براعم زهرها) في موضع «القهر»، بين الشقائق (الأراضي الوعرة) والرمال..

بَـهِـجَ الـربـيـعُ لـهـا فـجـادَ نـبـاتُـهـا ونَـمَـتْ بِـأَسْـحَـمَ وابِـلٍ هـطَّـالِ..

بهج الربيع لها (منحها الزهر)، ونمت هذه الروضة بأسحم (سحاب داكن) يهطل بالمطر..

نَفَتِ الصَّبا عنها الجَهامَ، وأَشْرَقَتْ لـلـشـمـسِ غِـبَّ دُجُـنَّـةٍ وطِـلَالِ..

ثم إن ريح الصبا نفت (أبعدت) الجهام (الغيم المسود)، وأشرقت الروضة للشمس (أشرقت عليها الشمس) غب (بعد) دجنة (عتمة) وطِلال (أمطار)..

يَوْماً بِأَمْلَحَ مِنكِ بَهْجَةَ مَنْطِقٍ بـيـنَ الـعَـشِـيِّ وسـاعَـةِ الآصـالِ

ليست هذه الروضة بأجمل منك وأنت تتحدثين بين العشي وساعة الأصيل (الغروب). ولعله أراد بين الأصيل والعشي.. لكن، وصلت الفكرة

تَـشـفـي الـضَّـجـيـعَ إذا أَرادَ عِـنـاقَـهـا بِـمُـقَـبَّـلٍ عَـذْبِ الـمَـذَاقِ زُلالِ

تشفي ضجيعها (ملازمها في المخدع) بمقبل (ثغر) زلال (عذب)

شَـبِـمٍ كـأنَّ الـثـلـجَ شـابَ رُضَـابَـه بِـسُـلافِ خَـالِـصَـةٍ مِـنَ الـجِـرْيـالِ

فمها شبم (بارد)، كأن الثلج شاب (خالط) رضابه (ريقه)، بسلاف (خمر) خالصة من الجريال (الخمر). والسلاف في الخمور أعلى من الجريال، فكأن تلك الخمر خالصة من الشوائب. وقالوا الجريال لون الخمر، فخمرته على هذا صافية خالصة من الجريال، كالعَرَق مثلاً

صَـهـبـاءَ صَـافِـيـةٍ تَـنَـزَّلَ تَـجْـرُهـا بِـبِـلادِ «صَـرْخَـدَ» مِـنْ رُؤُوسِ جِبالِ

هذه الخمر صهباء (صافية اللون) نزل بها تجرها (تجارها) في بلاد صرخد من جبالهم

مِنْ قَهوةٍ نَفَحَتْ، كأنَّ سَعِيطَها مِسْكٌ تَضَوَّعَ في غَدَاةِ شَمَالِ

هذه قهوة نفحت (أطلقت رائحتها) فكأن سعيطها (رائحتها) مسك تضوع (انتشر) في صبحٍ هبت في ليلته ريح الشمال

فَدَعِ الغَوانيَ والنَّشيدَ بِذِكرِها واصْرِفْ لِذِكْرِ مَكارِمٍ وفَعالِ

فدع ذكر الحسان، والإنشاد بمحاسنها، واصرف القول للفَعال (المكارم)

إنَّا لَنَقْتَادُ الجِيادَ على الوَجَا نحوَ العِدَى بِمَسَاعِرٍ أبطالِ

نقود جيادنا نحو الأعداء على الوجا (الحفا)، فنحن نسرع ولا نحذو الخيل لما عندنا من نجدة، وعلى الخيل مساعر (رجال أشداء يسعرون الحرب ويوقدون نارها)

في كلِّ ذي لَجَبٍ كأنَّ زُهاءَه لَيْلٌ تَعَرَّضَ أو رِعَانُ جبالِ

هذه الخيل يتضمنها ذو لجب (جيش له قعقعة وفيه أصوات) كأن زهاءه (كثرته) ليل منتشر أو رعان جبال (رؤوس الجبال)

ما بينَ أوَّلِه وآخِرِ جَمْعِهِ يَوْمٌ يُسارُ ولَيلَةُ البَغَّالِ

بن أول الجيش وآخره مسيرة يوم، ومسيرة ليلة البغال
(صاحب البريد الذي يسير طول الليل بلا توقف)

٥٩ جيئوا من مكان واحد

هَجَاني الألأَمانِ ابْنَا دُخَانٍ وأيُّ الناسِ يقتُلُه الهِجاءُ

هجاني هذان الرجلان، والهجاء لا يقتل المهجو!

وُلِدْتُمْ بعدَ إخْوَتِكُمْ مِنَ اسْتٍ فَهَلَّا جِئْتُمُ مِنْ حيثُ جاءُوا

يا بني دخان! ولدتم من وراء، أما كنتم تجيئون من أمام! هذا هجاء جريري المذاق

٦٠ الجندبية

تَنْزُو إذا شَجَّها بِالماءِ مازِجُها نَزْوَ الجَنادِبِ في رَمْضَاءَ تَلْتَهِبُ

تنزو (تثب) فقاقيع الخمر ـ ويبدو أنه يتحدث عن ضرب من الخمر يشبه الشمبانيا ـ إذا شجها (جرحها) بالماء مازجها، كوثب الجنادب (نوع من الجراد صغير) في رمضاء (أرض شديدة السخونة). كأنه توهم تقافز الجنادب مسبباً عن سخونة الأرض، هي تقفز في كل أرض

راحُوا وَهُمْ يَحْسَبونَ الأرضَ في فَلَكٍ، إنْ صُرِعُوا وَقَتِ الرَّاحَاتُ والرُّكَبُ

راح الشاربون يظنون الأرض دائرة في فلك - في زمن الأخطل لم تكن الأرض تدور -، فهم لسكرهم يتطوحون ويقعون أرضاً وراحات أيديهم وركبهم تقيهم عند السقوط فلا يقعون على وجوههم

الأخطل

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

الفرزدق، همَّام بن غالب
(٢٠هـ ـــ ١١٤هـ)

شرحِ شعر الفرزدق صعب. تستنجد المعجم على كلمة فرزدقية أَغلَقت دونك بيتاً فتجد المعجم مستشهداً ببيت الفرزدق نفسه الذي تسعى إلى فهمه؛ فهذا تفسير الماء بالماء. وصاحبنا ذو طريقة عنيفة مضطربة في معانيه وفي رصفِه ألفاظَه، لا يبالي أن يعامل الجمع معاملة المثنى، والمفرد معاملة الجمع، والمنصوب معاملة المرفوع؛ ولا أن يعطيك المعنى بألفاظ نصفها ظاهر لعينيك، ونصفها كامن في بطنه. ولئن كان الاجتزاء بقليل اللفظ عن كثير المعنى معدوداً من البلاغة في أحوال، فإنه يُحشَر في الغوامض والمعمَّيات التي تشين الكلام في أحوال غيرها.

وقد اخترنا من شعر الفرزدق أجمله وأحسنه، ووقع في اختياراتنا شيء من تلك الألغاز، واجتهدنا في حلها.

سنحدثك في هذه المقدمة عن الفرزدق وعصره، وهو أحد ثلاثة متعاصرين يشبه شعر أحدهم شعر أخيه؛ والآخران جرير والأخطل. وكان قدماء النقاد والنحاة وأهل اللغة يجدون لذة في لعبة يلعبونها: كانوا يفاضلون بين الثلاثة، ويتعصب كل واحد منهم لواحد من هؤلاء الشعراء. لا بل إن شعراء معاصرين للثلاثة استمرأوا اللعبة، وقالوا الأشعار في تفضيل أحد الثلاثة على زميليه. ولن نلعب معهم.

أُنظرْ إليَّ الآن قاعداً أكتب هذه المقدمة لمختاراتي من شعر الفرزدق مقوس الظهر متعباً، بعد أن أتممت شرحي للأبيات، والتمسْ لي العذر.

العالم يموج حولي بالأحداث والأفكار. العالم يمشي نحو المستقبل. يستقبل غده بالأمنيات والمخاوف، وتعتلج في جوفه براكين تبحث عن الخاصرة

اللينة حتى تنفجر. وأنا قاعد في ركن هادئ من العالم أراقب. وتأتيني لحظة أقول لنفسي فيها: لأهاجرْ إلى أوروبا القارة العجوز الآمنة، كي أرى العالم منها. ثم أقول: بل إلى أميركا كي أكون في جوف الحدث. ثم أراني قاعداً أشرح شعر الفرزدق. أريد أن أذهب بعيداً عن بلاد العرب كي أرى بلاد العرب بوضوح. ولكنني قاعد أشرح شعر الفرزدق.

لعل ما يجعلني أشرح هذا الشعر القديم، الذي ولد صاحبه في خلافة عمر، أنني مرتحل في الزمن إلى الوراء كي أرى الحاضر بوضوح. ودنيا العرب الآن ـ وأكتب في أكتوبر عام ٢٠١٥ ـ مضطربة، والعرب مضطربون.

استطراد

عندما احتل الأميركيون الفلبين قبل ١١٧ عاماً خسروا أربعة آلاف وثلاثمئة جندي، وقتلوا ربع مليون فلبيني. قالوا إنهم يفعلون ذلك في سياق جلب المدنية والرقي للفلبين. الجنرال لويد ويتون أمر جنوده أن يبيدوا سكان القرى والمدن في دائرة قطرها ٣٥ كيلومتراً، أمرهم أن يقتلوا من هو فوق العاشرة من العمر. وفعلوا. كتب جندي أميركي آنذاك: «دماؤنا تغلي، وكلنا يريد قتل هؤلاء العبيد، هذا أجمل من اصطياد الأرانب بما لا يقاس».

والعراق ماثلة؛ وكما لاحظ بعضهم فإن أميركا تقصف الناس الآن، بطائرات بطيار وبغير طيار، في ست دول إسلامية.

في الفكر السياسي الغربي اليوم اتجاهان: اتجاه يبرز جرائم الغرب إبرازاً. عنوان هذا الفكر «الإمبراطورية الأميركية: أميركا المجرمة». وصوت هذا الاتجاه ضعيف في الغرب، قوي عندنا، فنحن نترجم تشومسكي وصحبه ونقرأهم. واتجاه ينظر إلى الدول المتخلفة، وإلى ما فيها من ظواهر كالإسلام السياسي، ويحاول أن يشخص التخلف.

وكلا الاتجاهين مفيد ما التزم أصحابه الأمانة الفكرية. ولا يغيب عن القارئ أن جماعة «أميركا المجرمة» ينسون أن يعطونا ـ نحن العرب والمسلمين وباقي دول إفريقيا المتخلفة ـ نصيبنا من اللوم، وينصرفون بحماسة زائدة لكشف جرائم الغرب، وأن جماعة «تشخيص التخلف» تركز أنظارها علينا تركيزاً ينسيها أن نصف اللوم في تخلفنا يقع على الغرب.

يسرني أنني قاعد أقرأ هؤلاء وهؤلاء بالتناوب، ويسرني أنني شحذت

حسي النقدي شحذاً طيباً على مِسنّ بضعة كتب في الفكر السياسي قرأتها مؤخراً. أقرأ بين الحين والحين بعض ما نكتبه نحن، ولم أنصرف كل الانصراف عن كثير مما كتبناه في ماضينا القريب أو السحيق في موضوع «الفكر السياسي»: أكان بأقلام أهل الفكر الحر المعاصرين كعلي الوردي، أم بأقلام القدامى من أصحاب التواريخ وكتب السياسة كالطبري والماوردي والطرطوشي. غير أن رؤية أنفسنا بعيون الآخر تكشف من الحجب ما لا تكشفه رؤيتُنا أنفسَنا بعيوننا. وستظل، ولسنين كثيرة، الكتبُ المكتوبة من اليسار إلى اليمين خير ما يصف حالنا في الماضي وفي الحاضر.

هذا الكلام كله لا علاقة له بالفرزدق، وبصراحة.. لا من قريب ولا من بعيد. أنا فقط أضعك في جوِّي النفسي والمعرفي في هذا الأوان، أو أنني على الأصح أحاول أن أتفلَّت من التفكير في أحوال الدنيا فلا أستطيع إلى ذلك سبيلاً. عاش الفرزدق تسعين سنة، وعاشت الخلافة الأموية تسعين سنة. وتواكبا إلى حد كبير.. فقد شهدها تبدأ وهو شاب في نحو العشرين وعاشها سبعين سنة. عاش في زمن كان العرب فيه يصعدون.. وقبيلته تميم - أكثر من غيرها - قد صعد نجمها، وهي من طليعة من وصل بنفوذ العرب إلى خراسان.

ونحن اليوم نعيش هبوطاً مؤلماً من شأنه أن يفقدنا الثقة بالنفس. فهل تظنُّ أنني أريد استعادة أمجاد الماضي بالحديث عن الفرزدق؟ ما أكثر ما بعُدتَ عن الحق! محدثك لا يحلم بالإمبراطورية، ولم يعد يحلم بالوحدة العربية التي عاش أحلامها يافعاً. أقارن بين عصرين لأن المقارنة خطرت ببالي. ولأنني أبحث عن منصة أنطلق منها إلى الحديث الذي كنت هجرته قبل نصف دقيقة، وهو الحديث عن الشعوب في عصرنا وعن تخلفها، وتقدمها.

يطيب لي كثيراً الحديث عما يمكن لنا نحن أن نفعله كي ننهض، وأميل بعض الميل إلى ترك مسألة أميركا المجرمة، وإسرائيل المجرمة. فرغم أنني من بلد استكملت إسرائيل احتلاله وأنا في الحادية عشرة من عمري، ورغم أنني رأيت تلك الدولة المسخ تأكل بلدي قطعة قطعة بما سموه الاستيطان، ورغم معرفتي العميقة بما يصنعه الغرب بالدول المتخلفة، فإنني أفتقد إلى حرارة الإحساس بالمظلومية التي أجدها عند كثيرين من أبناء العرب، ربما لأنني من تلك الطبقة المتوسطة المائعة التي لم تحس بفداحة ظلم الظالمين، وقد استطعت أن أعيش - وبأعجوبة - بعيداً عن سجون الاحتلال، وبعيداً في الوقت

نفسه عن النضال، وعندما اشتعلت الانتفاضة الأولى في بلدي حضرت منها ثمانية أشهر فقط، ثم سافرت لأعيش في أوروبا سنوات كثيرات، وعندما اشتعلت الانتفاضة الثانية أحسست بلسعتها، لكنني كنت أعمل مراسلاً إذاعياً، فكان لها بعض الخير على جيبي.

ثمة سبب آخر - وأراه مهماً - يدفعني دفعاً إلى ترك الحديث عن مظلوميتنا، والأخذ بالحديث عن ظلمنا لأنفسنا. ذلك أن كل الناس يفيضون في الكلام على هذه المظلومية، فلا أستطيع أن أضيف شيئاً ذا بال.

تربطني بالتونسي وبالعراقي وبكل من يتكلم العربية وشائج لا أقلل من قيمتها. ولكن مسألة الاتحاد في دولة عربية أمر حالت دونه سايكس بيكو قديماً، وحالت دونه شعوب العرب بعد استقلالها. وحسبنا من التوحد ذلك الشعور العذب بأننا نشترك في كثير. فإن زاد ذلك عن ذلك فكان تضامناً، فنحن بخير.

أكره افتخار العربي بعروبته كرهاً عميقاً. ولكنني أسوق لك من فخر الفرزدق بآبائه - وهذا أسوأ - أبياتاً كثيرة. ولي موقف قد يكون مستغرباً عندك: أدعو دعوة صادقة إلى أن نهجر كثيراً من تراثنا، فقد قامت إمبراطوريتنا الأموية على استعباد العرق العربي للشعوب، وقامت على ما قامت عليه دول تلك العصور من استبداد ولي الأمر بكل الأمر، وجعله نفسه ظل الله على الأرض. ثم قامت الدولة العباسية على استبداد شبيه، وصعد العنصر الفارسي ثم التركي، وظللنا تتقلب علينا الدول المستبدة، وعندما نلنا الاستقلال عن الأوروبيين استمررنا في الاستبداد. العرب - وأعني كل من يتكلم العربية - متربون على الاستبداد. تجده في البيت والعمل وفي الدولة، وفي أعماق النفوس. ونحن متربون على الاستهانة بالمؤسسات التي تسوي بين الناس، أي بالقانون؛ ومتربون على احترام المؤسسات القديمة: أساساً العشيرة. وإلى أن يتغير ذلك سنواصل الهبوط.

في كل مجلس أجلس فيه يَطلُع عليَّ رجل يقول «هذه الأمة». تفقع مرارتي هذه الكلمة. في الغالب يعني صاحبنا الأمة الإسلامية. وقد آمن بهذا بعض الباحثين الغربيين، فأخذوا يعاملون المسلمين جميعاً كأمة واحدة. بعضهم يصنع ذلك بسوء نية، فيصم هذه الأمة بالتعصب والتعالي والإرهاب والجهل. وبعضهم يضعنا في تلك البوتقة الواحدة وينظر فيها بعين فاحصة محاولاً معرفة

سبب المواجهة التي نرى مظاهرها بين الغرب والمسلمين. ولن أقول له: نحن العرب أمة وحدنا، ولن أقول إن الروابط بين المسلم العربي والمسلم الأفغاني أو الإندونيسي وهمية. بل أقول: لا شعوب العرب تمثل أمة، ولا شعوب المسلمين.

على أن الإسلام يشكل رابطة مهمة. وكنت أتمنى لو كان يمثل مؤسسة، لكنه في أيامنا هذه لا يمثل. وقد وجدت المتدينين أكثر التماساً للمعاذير من غيرهم، ووجدتهم يلتمسون في أحكام الفقهاء طرقاً يَجرُّون بها الدنيا إليهم.

فهل آن أن نتحدث عن الفرزدق؟

آن.

حياة الفرزدق

ولد عام ٢٠ للهجرة، في كاظمة، التي نسميها اليوم الكويت. وكانت بها نخلات لقومه، غير أن قومه، بني تميم، كانوا معرقين في البداوة. وكان أبوه غالب يغشى البصرة كثيراً، وبها كان ينحر الإبل تباهياً، وقد نحر في مرة واحدة - قيل - المئات منها. فلا بد أن الأب، غالب، كان يملك مئات كثيرة من الإبل التي ترعى، ومعها عبيده وأبناء عشيرته، في بوادي نجد. والقبيلة الكبرى هي تميم. وقد حافظت هذه القبيلة الكبيرة على قدر من التماسك بعد الإسلام، أمسكها زعماء أقوياء كالأحنف بن قيس.

قيل إن تميمَ كانت في تهامة بالحجاز قبل الإسلام بنحو مئة سنة بل أكثر، وأُجليت عنها إلى شرق الجزيرة العربية بعد حرب كبيرة. هذا ما قاله عبد الله بن الزبير معيراً الفرزدق، ورددته كتب القدماء.

نحن الآن في زمن الخلفاء الراشدين، وتميم تعيش في الكويت وفي قطر وفي عمان وتمتد شمالاً إلى بادية العراق لتحاذي قبائل ربيعة، ويعيش بعض تميم في اليمامة (الرياض) مجاوراً قطعة من قبائل ربيعة هي قبيلة حنيفة التي كانت تحكم اليمامة. كانت حنيفة تفلح الأرض وتجني التمر، وأما تميم اليمامية فكانت ترعى الإبل وتعيش حياة أقرب إلى البداوة. وكان جواراً حسناً. وعندما أسس عمر بن الخطاب البصرة والكوفة كان لتميم خمس من أخماس البصرة وربع من أرباع الكوفة. وكثرت تميم في حاضرتي الإسلام، وامتدت إلى خراسان بقيادة الأحنف، واستقرت طائفة كبيرة من تميم بخراسان. واعتبر

اللغويون الذين كتبوا كتب اللغة في أوائل العصر العباسي لغة تميم في ذروة الفصاحة، لأن تميم ظلت تعيش عيشة البداوة، ولأنها أنجبت جريراً والفرزدق أيضاً. وكثير من فُصْحانا اليوم تميمي. لا نشك في أن تميماً نطقت بالعربية بلهجة معينة، وبأن قريشاً وأهل الحجاز نطقوا بها بلهجة مختلفة، وشواهد أهل اللغة على ذلك بالمئات. لكنَّ مواسم العرب جعلت الشعراء يتقاربون في مفرداتهم وكلماتهم ويلتقون على لغة واحدة، ولعل فيها من لغة الحجاز كثيراً. الفصحى التي ورثها العصر العباسي مخلوق هجين، والقرآن نطق بلهجات عدة، وكانت لهجة تميم على رأسها.

سمع هَمَّام بنُ غالب بن صَعْصَعَة كثيراً من الشعر صغيراً، سمعه من أبيه ومن رجال عشيرته، فقد كان فيهم شعر، وسمع شعر شعراء ربيعة في الجاهلية، وذكر في شعره أنه وارث شعراء كثيرين، من ربيعة وغيرها، سمى منهم نحو عشرة في إحدى قصائده. ولا نظنه تعلم الكتابة. وقد كان له عندما نبغ في الشعر وطار صيته كاتب يكتب عنه، ـ سماه النقاد كاتباً، لا راوية، على أنه كان للفرزدق رواة كثر أيضاً ـ. ولا نلمس من أخباره أنه كان يخط شيئاً بيده.

لقبوه الفرزدق باكراً، وأحبَّ اللقب، وذكره في شعره مرات كثيرة. والفرزدق الرغيف فيما قال لنا القدماء. كان وجهه فيما يبدو كبيراً مضطرب الملامح كرغيف ذلك الزمن. وقالوا كان دميماً، ولعله كان قصير الرجلين وافي الجذع يحمل بين كتفيه رأساً كبيراً.

نشأ في بيت عز، في عشيرة سيادة من عشائر تميم الكثيرة، وفي أسرة حانية، فقد أحبه أبوه، وكان يسميه «هُمِيِّماً»، أو «هميميماً». وعاش له أبوه حتى كبر وشب، وكان له القدوة؛ وأحبته أمه، عرفنا أنها أرسلته يوماً يرعى الخراف، فأكل الذئب خروفاً منها، فقال الفرزدق في ذلك شعراً، ونعرف أنه حج بأمه. فهذا شاعر نشأ في بيت حنون.

ومثلما أحب أبويه وأحباه، أحب الفرزدق أولاده وبناته، ولا سيما ابنته مكية التي ولدتها له أَمَة سوداء. ولا نصدق أن ابنه لَبَطَة كان عاقاً. لعل الفرزدق غضب مرة على لبطة فقال فيه أبياتاً سرق نصفها من شاعر قديم. لعله ما قال تلك القصيدة إلا ليسرق تلك الأبيات! فأما لبطة فقد كان راوية والده ورسوله في المهمات الملمات.

أحب الفرزدق زوجته النوار حباً جارفاً ثلاثة أرباعه تعلُّقٌ بها لأنها ظلت

ناشزة من يوم تزوجها إلى يوم أصرت على الطلاق فطلقها، وبعد الطلاق ظل يحبها، وإلى يوم وفاتها أحبها. وقد أنجبت له لَبَطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة. ولا نظن أنه كان للنوار، ذات الاسم الجميل، يد في تسمية أولئك الأبناء. ولا نصدق أساساً كل ما قاله مؤرخو الأدب القدامى، لعلهم رأوا اسم لبطة غريباً فشفعوه بأسماء غريبة أخرى. غير أن النوار عاشت في كنف لبطة بعد طلاقها.

رغم كل هذا الحب والحنان الأسري فقد كان الفرزدق يتبعق أنانية وشراسة. كان مزواجاً، وكان زناء، وقاذفاً للمحصنات. وكان فيما بين الكبيرة والكبيرة يخاف الله. كان في عقليته جاهلياً يتذكر بين الفينة والفينة أنه مسلم. وكان في نفسيته غضوباً سريع الاهتياج.

كانت البصرة والكوفة في آخر عهد الخلفاء الراشدين محطة لشتى القبائل، الأزد وتميم وتغلب وغيرها، ينطلق الناس منهما في حملات الفتح. وعندما بدأت الفتنة، وقتل عثمان وتولى الخلافة علي غدا الاستقطاب السياسي الوصف الملائم: فالعراق مع علي، والشام مع معاوية. وفي الفتنة كانت تميم مع علي. وقد وفد غالب والد الفرزدق على الإمام علي ومعه ولده، وله من العمر نحو سبع عشرة سنة، وقال «غالب» لأمير المؤمنين علي إن ابنه بدأ يقول الشعر، فنصح علي للفتى أن يقرأ القرآن.

ثم اغتيل علي، وخلص الأمر لمعاوية.

كان الفرزدق في العشرين عندما استتبَّتْ دولة بني أمية في عام ٤١ للهجرة. كان قد استوى له الشعر، فقد تدرب على هجو الناس وهو يافع. قال أبياتاً في معاوية بن أبي سفيان، فطلبه والي البصرة زياد بن أبيه، ففر منه، وأخذ يتنقل بين القبائل، والخوف مستولٍ عليه. فزياد مخوف الجانب، وعقابه شديد، وعنده للفرزدق ملف سمين، فإذا ما اختار زياد الإغضاء عن كلام الفرزدق لمعاوية حفاظاً على مقام الخلافة، وحتى لا يكون قد جعل الفرزدق ومعاوية خصمين متكافئين، فهناك كثيرون ممن هجاهم الفرزدق وهتك أعراضهم، وما أيسر أن يؤخذ شاعرنا بتلك الجرائر.

قال الفرزدق أبياتاً كثيرة يعتذر فيها لزياد، ويذكر خوفه منه. ونقل إليه أن زياداً عفا عنه وطلبه كي يعطيه، ولكن الفرزدق خاف القدوم على زياد، وواصل فراره حتى أتى المدينة المنورة، وعليها سعيد بن العاص الصحابي الأموي

السخي. بادره الفرزدق بالقول: لم استحلَّ دماً ولا مالاً، فآواه سعيد، فمدحه الفرزدق. وعاش في المدينة يسمع الشعر والغناء، ويرتاد بيوت القيان، ويزني أو يزعم أنه يزني، ويقول في ذلك شعراً، والوالي سعيد بن العاص، وكان فيه لين، يغضي عن أقواله وأفعاله. ثم تولى المدينة مروان بن الحكم، وكان شديداً، فأخرج الفرزدق عن المدينة، فذهب إلى مكة، وعاد سيرته الأولى يرتجف خوفاً من زياد بن أبيه، ولم يمض طويل وقت حتى جاءه خبر موت زياد فتنفس الصعداء، وعاد إلى البصرة وهو رجل في نحو الثالثة والثلاثين.

قد شهد الفرزدق في المدينة ومكة مجالس العلماء والشعراء. لقي شعراء الحجاز وانتبه إلى ما في شعر عمر بن أبي ربيعة من قصة، فكان في شعر الفرزدق قصة. حتى الحطيئة المخضرم، الذي شهد قطعة صالحة من الجاهلية، فقد لقيه الفرزدق في مجلس الوالي سعيد بن العاص. وعندما رجع إلى البصرة كان قد ملأ رئتيه من جو الحجاز المترف. وعاد في مقبل حياته إلى الحجاز مرات كثيرة حاجاً وغير حاج.

عاد الفرزدق من منفاه ليجد ابن زياد قد تولى العراق خلفاً لأبيه، فمدحه وتقرب إليه.

لبث الفرزدق بالبصرة، يزور مسقط رأسه كاظمة، ويقوم على ماله، ويتزوج وينجب. لكن صفته الراسخة هي أنه شاعر يتغنى بأمجاد عشيرته دارم وقبيلته الكبرى تميم. وظل يعطف على أهل البيت غير ناس ذلك الولاء القديم الذي دانت به قبيلته تميم لعلي، غير أنه كغيره من الشعراء يخشى ولي الأمر ويطيعه.. ويمدحه.

مات معاوية سنة ٦٠ وتولى يزيد، وكانت فتنة أخرى سنة ٦١ بمقتل الحسين بن علي وهو يسعى في الخروج على الأمويين. وامتنع عبد الله بن الزبير في الحجاز عن البيعة ليزيد، واستقل بالحجاز، وأرسل أخاه مصعباً والياً على العراق. واستمر العهد الزبيري في الحجاز والعراق عشر سنوات، كان قلب الفرزدق فيها زبيرياً، وإن لم يمدح ابن الزبير. ففي عهده خادع الفرزدق ابنة عمه النوار واحتكما إلى ابن الزبير الذي نصرها عليه.

هذا ملخص قصته مع النوار: أرادت النوار أن تتزوج، فوكلت الفرزدق بتزويجها إلى رجل ارتضته، فزوجها الفرزدق من نفسه خديعة وغصباً. فرحلت إلى الحجاز واستجارت بابن الزبير فنصرها، قال لها: سأقنع الفرزدق بتطليقك،

فإن أبى قتلته. فقالت له: لا أرضى ذلك. ورضيت بالفرزدق على مضض، فرجع بها شاعرنا إلى البصرة.

كان العراق في عهد ابن الزبير يموج بالنزاعات بين القبائل، ولا سيما بين الأزد اليمنية وتميم المضرية. وكان الفرزدق لسان قومه. لكنه في هذا الزمن، في سنة ٦٦ للهجرة على التعيين، انخرط في معركة داخلية سوف تستمر ثمانية وأربعين عاماً.

في هذه السنة بدأ التهاجي بين فحلي تميم: جرير والفرزدق. جرير يرسل قصائده من اليمامة فتتردد أصداؤها في العراق، والفرزدق مقيم بالبصرة يهجو جريراً ويملأ محافل البصرة وغير البصرة بأشعاره.

انتهى العهد الزبيري في الحجاز بمقتل عبد الله بن الزبير، وفي العراق بمقتل مصعب بن الزبير، واستتب الأمر لبني أمية، واستتب الأمر للخليفة عبد الملك بن مروان. أرسل عبد الملك أخاه بشراً والياً على العراق. فمدحه الفرزدق، ومدحه جرير. واستطاب بشر التهاجي بينهما أكثر مما استطاب المدح، فكان يحرض كلاً منهما على صاحبه. ومات بشر بعد قليل، فجاء الحجاج والياً على العراق. وسيظل والياً عشرين سنة. وقد نال من مدح الجريرين كليهما الكثير.

والفرزدق في كل هذه السنوات مقيم في العراق، يمدح الولاة ولا يقترب من الخلفاء، ولا يزور دمشق، لكننا نجد له مدحاً في عبد الملك. أما جرير فكانت له قصائد في عبد الملك ثم في ابنه الوليد، وفيمن تلاهما.

وظل الفرزدق وجرير يتهاديان قصائد الهجاء الشنيعة، وانضم إليهما الأخطل مناصراً الفرزدق.

ومدح الفرزدق بعد الحجاج عمر بن هبيرة، ولم ينس أن يرثي الحجاج، ثم تذكر بعد حين أن يهجوه ميتاً. ومدح بعد عمر بن هبيرة خالد بن عبد الله القسري والي العراق، لكن بعد أن كان هجاه طويلاً.

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك زار الفرزدق الشام مادحاً. كان شيخا أناف على السبعين، وقد أحب سليمان وأكثر من مدحه، لكن سليمان مات بعد ثلاث سنين، وجاء عمر بن عبد العزيز خليفة، وليس للشعراء عند عمر شيء يذكر. ومات عمر بعد سنتين وللفرزدق ثمانون سنة. ومدح الفرزدق يزيد بن

عبد الملك ونال عطاياه، وبعد سنوات أربع، ودع الفرزدق خليفته الأموي التاسع. عاصرهم جميعاً واعياً وشاعراً وإن لم يلقَ إلا المتأخرين منهم، واستقبل خليفته الأموي العاشر هشام بن عبد الملك.

لم ينل حظوة عند هشام الذي لم يكن سخياً على الشعراء. فمدحه قليلاً وعرَّض به في أبيات قليلة فغضب عليه، وقيل سجنه ثم أطلقه، وكان له قبل سنوات كثيرة موقف مع هشام في مكة قبل أن يستخلف هشام، حين عرض بالأمير الشاب مادحاً زين العابدين حفيد الإمام علي في قصيدة طائرة الصيت.

عندما بلغ الفرزدق التسعين تزوج للمرة العاشرة أو العشرين.. وافتضح عجزه، وسبه به جرير.

مات الفرزدق عام ١١٤، في خلافة هشام، وعمره أربع وتسعون سنة قمرية. ورثاه جرير، وعاش بعده أشهراً. وانتهت بذلك أطول وأسخن معركة هجاء في تاريخ الشعر العربي.

انتفعتُ في سيرة الفرزدق بكتاب شاكر الفحام، وبما كتبه القدماء كأبي الفرج الأصفهاني وابن قتيبة وابن سلام الجمحي. وقد رأيت بيتاً من أجمل الشعر نسبه الثعالبي إلى الفرزدق، وليس في الديوان:

وإنَّـا وسَـعـداً كـالـفَـصـيـلِ وأُمِّـه   إذا وَطِـئَـتْـهُ لـم يَـضِـرْه اعـتـمـادُهـا

أي أننا وقبيلة سعد متآخيان، فإن وقع بيننا شر فهو لا يستطير، مثلما تدوس الناقة على فصيلها لكنها لا تؤذيه، لأنها أمه. ونقلوا بيتاً يشبه هذا قاله عبد المسيح بن كلال لأحد ملوك الغساسنة:

نـمـيـلُ عـلـى جـوانـبِـه كـأنَّـا   نـمـيـلُ، إذا نـمـيـلُ، عـلـى أبـيـنـا

وقد أخذنا ما أخذنا من شعر الفرزدق من الدواوين التي بأيدي الناس، وهي ضعيفة التحقيق؛ ونظرنا في النقائض. ولم نجد له ديواناً مشروحاً شرحاً حقيقياً، فأما النسخة التي كتبها إيليا الحاوي لتلامذته فشرْحُها شرحُ مَن كان مستعجلاً. وقد نشر مجموعة من شعره الفرنسي بوشير عن نسخة محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وبعده بربع قرن (١٩٠٠) نشر يوزف هيل مخطوطة القسطنطينية مصورة تصويراً، مكملاً عمل بوشير.

ولم أجد طبعة محققة. وكل ما وجدته مما صدر بلبنان منقول عن طبعة

الصاوي بمصر. وقد عقد شاكر الفحام فصلاً ضافياً ذكر فيه النسخ الخطية للديوان ووصفها وصفاً مفصلاً.

ومع توفر كل هذه النسخ من شعر الفرزدق أصبح ميسوراً على الباحث الجاد أن يصنع نشرة محققة تجمع الشتات؛ وأين باحث جاد!

وكنت عثرت برسالة لبعض أكاديميي الزمن الأخير عن الفرزدق، فقلبت أوراقها عسى أن تفتح لي باباً ألجه إلى هُجر الكلام، فأنا ـ قد علمتَ ـ مولع بهؤلاء القوم أستَنحُ السانحة حتى أبسط فيهم لساني وأستطيل عليهم بالقوارع، وأتناول جنوبهم بالمقامع، فوجدت صاحبنا أدق من أن يبرى، وأرق من أن يرى، فهو يشف شفوفاً عما وراءه، فهل أطعن الهباء أو ألطم الهواء؟ ووجدته يتمسح بأستاذه الذي أشرف ـ لا شرُف ـ على رسالته، فلا تمر من سن قلمه فقرة إلا ذيَّلها بهامش ينسب فيه إلى أستاذه رأياً أو يأخذ عنه قولاً. وتذكرت أنني كنت في مرة سابقة قد غضضت من ذلك الأستاذ ومزقت فروته، ووقعت فيه بكلام كشف عوراته ورصد عثراته، وأبان مقاتله. فكففت عن التلميذ، فقاموس السباب يضيق عنه، ومن لم يجد عند الزنبور عسلاً لم يطمع بما في بطن الذبابة. قد مضى زمن قاء فيه الأكاديميون كتباً حشوها الثرثرة والتعالم، ثم عشنا لنرى تلامذتهم يبزونهم في الفهاهة، ويتفيهقون، ويزيدون في الموال آهة، ويترنمون.

فأما كتاب شاكر الفحام، وهو بالمناسبة رسالة جامعية، فقد أفدت منه كثيراً.

وبعد، فهذا ما اخترته من شعر الفرزدق، أبي فراس، همام بن غالب.

١ أرمي عن ربيعة

يمدح عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني:

وما زِلْتُ أَرمي عن رَبيعةَ مَن رَمى ... إليها، وتُخشَى صَولَتي مِنْ ورائِها

أرمي: أطلق السهام، صولتي: هجمتي/يقول: ظللت أدافع عن قبيلة ربيعة وأردُّ على من يهجوها بالشعر، وظل الشعراء يخشون هجومي عليهم دفاعاً عنها

ستَمْنعُ بَكْراً أن تُرامَ قَصائدي، ... وأَخْلُفُها مَنْ ماتَ مِنْ شُعرائِها

ترام: يُقصَد إليها بشر، أخلفها: أعوضها/يقول: قصائدي ستمنع إلحاق الأذى بقبيلة بكر، وهي جزء من ربيعة، وسأعوضها عمَّن مات من شعرائها

٢ الآن استقر لكم الملك

يمدح عبد الملك بن مروان، وإن لم يكن وَفَد عليه:

تضاحَكَتْ أن رَأتْ شيباً تَفرَّعني كأنَّها أبْصَرَتْ بعضَ الأعاجيبِ

تفرعني: علاني، يقول: ضحكت لرؤيتها شيباً علا رأسي، كأنها أبصرت عجيبة من الأعاجيب

فقلتُ إنَّ الحواريَّاتِ مَعْطَبَةٌ إذا تَفَتَّلْنَ مِنْ تحتِ الجَلابيبِ

الحواريات: الفتيات الناعمات، معطبة: مَهلكة/الفتيات هلاك للرجل عندما تتفتل أجسامهن وتتلوّى ويبصبص عليها، ويتحراها ويتقراها، من وراء الجلابيب

يَأْبَى، إذا قُلْتُ أَنْسَى ذِكرَ غانيةٍ، قَلْبٌ يَحِنُّ إلى البِيضِ الرَّعَابيبِ

الرعابيب: الممتلئات، الريَّانات، غانية: حسناء/إن قلت لقلبي: انس ذكر إحدى الحسان أبى، وهو قلب يحن إلى البيض الممتلئات

يا أَيُّها الراكِبُ المُزجي مَطِيَّتَه يُريدُ مَجْمَعَ حَاجَاتِ الأَراكيبِ

المزجي مطيته: السائق جمله، الأراكيب: راكبو الإبل/المعنى الملموح: أيها الراكب الذي يسوق جمله إلى ساحة الخليفة، وهي مكان تلبية حاجات الزائرين القادمين على جمالهم

إذا أتيتَ أميرَ المؤمنينَ فقُلْ بِالنُّصحِ والعلمِ قولاً غيرَ مَكذُوبِ:

قل للخليفة قول ناصح أمين لا يكذب:

أَمَّا العِراقُ فقد أعطتْكَ طاعتَها، وعَادَ يَعْمُرُ منها كُلُّ تَخريبِ

التخريب: الفساد والسرقة/العراق دانت لك بالطاعة، وعمرت بالسلم وانعقد الصلح بين القبائل، بعد أن كف الناس عن الاحتراب والسرقة

فالأَرضُ لِلَّهِ، ولَّاها خَليفتَه وصاحِبُ اللَّهِ فيها غيرُ مَغلوبِ

هذه نظرية الحكم في العصور الوسطى بأوروبا: الأرض لله والحاكم ظل الله على الأرض. ونحن نسبق أوروبا في مثل هذه الأشياء دائماً

بَعدَ الفَسادِ الذي قد كانَ قامَ به كذَّابُ مَكَّةَ مِنْ مَكْرٍ وتَخريبِ

بعد الفساد والتخريب، انتهاب الأموال، من جانب كذاب مكة، عبد الله بن الزبير، الذي بويع له بالخلافة بمكة حتى قتل عام ٧٢هـ واستقر الأمر لعبد الملك

رامُوا الخلافَةَ في غدرٍ، فأَخْطَأَهُمْ منها صُدورٌ، وفَازوا بالعَراقيبِ

راموا: طلبوا، العراقيب: الرُّكَب، وأسفل الأطراف/أرادوا الاستيلاء على الخلافة غدراً، فلم يحصلوا إلا على أمور هامشية، وفاتهم قلب الخلافة

والناسُ في فِتنةٍ عمياءَ، قد تَركتْ أَشرافَهُمْ بينَ مقتولٍ ومَحْروبِ

محروب: مسلوب/ في ظلهم كان الناس في فتنة تركت أشراف الناس بين قتيل ومسلوب المال والمتاع. وكانت العصبيات القبلية - حتى البعيدة عن الصراع السياسي - شديدة في زمن حكم آل الزبير ولا سيما في العراق

فأصبحَ اللَّهُ وَلَّى الأمرَ خيرَهُمُ بعد اختلافٍ وصَدْعٍ غيرِ مَشْعُوبِ

صدع: شق، مشعوب: ملتئم مرتوق (من الأضداد)/ ولاك الله، وأنت خير الناس، بعد خلاف لم يكن يؤمل إصلاحه

تُراثُ عثمانَ كانُوا الأَوْلياءَ له، سِرْبالُ مُلْكٍ عليهِمْ غيرُ مسلوبِ

بنو أمية أولياء ميراث عثمان بن عفان (أصحابه فهو أموي)، وهذا التراث سربال (لباس) ملك لا يجوز سلبهم إياه

٣ نار غالب

ورَكْبٍ كأنَّ الريحَ تطلبُ عندَهُمْ لها تِرَةً مِنْ جَذبِها بِالعَصائبِ

ركب: مسافرون، ترة: ثأر، العصائب: العمائم/ رب مسافرين تعصف بهم الريح وتجذب عمائمهم كأن لها عندهم ثأراً

يَعَضُّونَ أَطرافَ العِصِيِّ، كأنَّها تُخَزِّمُ بِالأطرافِ شَوْكَ العَقَارِبِ

تخزم: تخِزُ وتخترق/ يمسكون عصيهم بأسنانهم كي يخفوا أيديهم داخل ملابسهم من البرد، وكأن الريح، وهي تخز الأطراف، إبر العقارب

سَرَوْا يَخْبِطُونَ الليلَ، وَهْيَ تَلُفُّهُمْ على شُعَبِ الأَكْوَارِ مِنْ كلِّ جانبِ

سروا: ساروا ليلاً، شعب الأكوار: أطراف سروج الجمال/ ساروا ليلاً على غير هدى، والريح تلفهم من جوانب رحل الجمل، وتهب عليهم من كل اتجاه

إذا مَا رَأَوْا ناراً يقولونَ: ليتَها، وقد خَصِرَت أَيديهِمُ، نارُ غالِبِ

خصرت: اشتد بها البرد/ إذا رأوا ناراً من بعيد، وقد بردت أيديهم، قالوا: ليتها نار «غالب»، والد الفرزدق، حيث الدفء والضيافة

٤ الباهلي والباهلية

إِنِّي أَسُبُّ قبيلةً لم يمنعُوا حوْضاً، ولا شَربوا بِصافي المَشرَبِ

أسب هذه القبيلة الضعيفة التي لم تمنع (تحمِ) حوض ماء، ولا استطاعت المزاحمة لسقي إبلها باكراً قبل تلوث المياه من حوض عام

والـبـاهِـلِـيُّ، ولـو رأى عِـرْسـاً لـه يُغْشَى حَرامُ فِراشِها، لم يَغضبِ

لو رأى ابن قبيلة «باهلة» عرساً له (زوجة) يغشى (يؤتى) فراشها من قبل غريب، لم يغضب

٥ الطائي والطائية

إذا رفـعَ الـطَّـائـيُّ عـيـنـيـهِ رَفْـعَـةً رآني على الجوزاءِ فوق الكواكبِ

الطائي في منزلة متدنية، ولو رفع عينيه مرة لرآني عالياً فوق الجوزاء في السماء

ومـا طَـيِّءٌ إلَّا قَـبـائـلُ أُنـزِلَـتْ إلى أهلِ «عينِ التَّمْرِ» من كلِّ جانبِ

طيء مجموعة قبائل لا موطن لها وجيء بها إلى «عين التمر» من هنا وهنا،
فهم شراذم لا قبيلة متماسكة

فـمـا عَـلِـمـتْ طائيَّةٌ مَن أبٌ لَـهـا ولو سألتْ عن أصلِها كلَّ نَاسِبِ

الطائية لا تعرف لها أباً، كأنما هي مولودة في فراش سبية من السبايا، ولن تعرف أباها حتى لو سألت كل ناسب (عالم بالأنساب). قد كان أتاك الرد يا فرزدق من حاتم الطائي، وسيأتيك بعد بضعة عقود من أبي تمام والبحتري الطائيين

٦ محتطب الأساود

وإنَّ امْـرَأً يـغـتـابُـنـي لـم أَطَـأْ لـه حَريماً، ولا تَنْهاهُ عنِّي أقارِبُهْ . .

الذي يغتابني دون أن أكون وطئت حريمه (زنيت مع امرأة له)، ثم لا تنهاه عن ذلك أقاربه . .

كَمُحْتَطِبٍ يوماً أَسَاوِدَ هَضْبَةٍ، أتاهُ بِها في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حاطِبُهْ

. . إنما هو كمن يجمع الحطب ليلاً، فيضم الأساود (الأفاعي) مع العيدان،
جاهلاً خطورة ما يصنع

٧ عين لم تكن لخليفة

حج هشام بن عبد الملك، وهو خليفة، فصحبه الفرزدق من المدينة إلى مكة، ورجع إلى المدينة، ورجع معه، فأمر له بخمسمئة درهم فقال:

يُـرَدِّدُنـي بـيـنَ «الـمـديـنـةِ» والـتـي إليها قلوبُ الناسِ يَهوي مُنيبُها

منيبها: الراجع لها/يروح ويأتي بي بين المدينة المنورة وبين مكة التي تشتاق إليها قلوب الناس فتهوي نحوها

يُقَلِّبُ عَيْناً لم تكُنْ لِخليفةٍ مُشَوَّهةً حَوْلاءَ بَادٍ عُيوبُها

هذا أول خليفة أحول. وكان هشام أحول

٨ أظفار العشيرة

ألا حَبَّذا البيتُ الذي أنتَ هَايِبُهْ   تزورُ بيوتاً حولَهُ وتُجانِبُهْ

حبيب إليك هذا البيت الذي تهابه فتزور ما حوله وتتجنبه

تُجانِبُهُ مِنْ غيرِ هَجْرٍ لأهلِهِ   ولكنَّ عيْناً مِنْ عَدُوٍّ تُراقبُهْ

تتجنبه ليس هجراناً لساكنيه، بل خوفاً من عدو تراقبه (تحذره)

وليس شَبابٌ بعد شَيْبٍ بِراجِعٍ   يَدَ الدهرِ، حتَّى يَرجِعَ الدَّرَّ حالِبُهْ

يد الدهر: طول الدهر/لن يرجع الشباب بعد الشيب أبداً، هذا مثل أن يَرجع (يُعيد) حالب الناقة الدر (الحليب) إلى ضرعها

ومَن يَتَخَمَّطْ بِالمظالِمِ أهْلَهُ   ولو كَرُمَتْ فيهِمْ وعَزَّتْ مَضارِبُهْ..

يتخمط: يغمس ويخلط/من يغمس أهله بتصرفات فيها مظالم لهم ولغيرهم، وحتى لو كانت مضاربه (بيوته ونسبه) كريمة وعزيزة..

يُخَدَّشْ بِأظْفَارِ العشيرةِ خَدُّهُ   وَتُجْرَحْ رُكُوباً صَفْحَتاهُ وغَارِبُهْ

صفحتاه: جنباه، غاربه: ظهره/.. فهو يتعرض للأذى من عشيرته، ويستعلون عليه فكأنهم يركبونه ويوسعونه ضرباً

٩ لو في الجاهلية

يخاطب معاوية بن أبي سفيان:

أَبُوكَ وعَمِّي يا مُعاوِيَ أوْرَثا   تُراثاً فأَوْلى بالتراثِ أقارِبُهْ

أبوك، أبو سفيان بن حرب، وعمي الحتات تركا ميراثاً، والأولى به الأقارب

وميراث معاوية هو الملك وما يأتي به من خراج وغنائم، وميراث «الحتات» التميمي هو نصيبه من ثروة الدولة. كان معاوية أعطى الحتات عشرة آلاف درهم، وأعطى الأحنف بن قيس أربعين ألفاً واستكتمه، وانصرف الرجلان وكلاهما سيد في تميم. وباح الأحنف للحتات، فرجع الحتات إلى معاوية، فكتب له بثلاثين ألفاً. وفجأة مات الحتات، فاستردَّ معاوية الثلاثين ألفاً..

فما بالُ مِيراثِ الحُتَاتِ أَكَلْتَهُ   ومِيراثُ حربٍ جَامِدٌ لكَ ذَائِبُهْ

فلماذا أخذت نصيب «الحتات» وظل لك ما ورثت عن «حرب» تتصرف به وقتما تشاء؟

فلو كان هذا الحكمُ في جاهليةٍ   عرفتَ مَنِ المَولَى القَليلُ حَلائبُهْ

المولى: السيد، حلائبه: أنصاره/لو كنا في الجاهلية لعرفت من السيد القليل الأنصار

١٠ الجلود اللئيمة

إذا لَبِسَتْ قيسٌ ثياباً سمعتَها تُسَبِّحُ مِن لُؤمِ الجُلودِ ثيابُها

جُعِلْتُ لِقيسٍ لعنةً نزلتْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ، لن يَرتَدَّ عنهُمْ عذابُها

هجائي لقيس لعنة إلهية لن تزول عنهم

١١ أباهل.. أنا جاهل

يهجو الأصم الباهلي:

أَبَاهِلَ، إنَّ الماءَ ليس بِغَاسِلٍ مَخازِيَ عنكُمْ، عارُها غيرُ ذاهبِ

يهجو قبيلة باهلة

وإنَّ سِبَابيكُمْ لَجَهْلٌ، وأنتُمُ تُباعونَ في الأسواقِ بَيْعَ الجَلائِبِ

سبابيكم (شتمي لكم) جهل مني لأنكم مجرد عبيد تباعون بيع الجلائب (من جلبوا من بعيد)

١٢ هب لي خنيساً

استجارت الأم بالفرزدق، كي يشفع لها عند الوالي تميم بن زيد فيعيد ابنها المقاتل من الثغور، فكتب الفرزدق هذه الأبيات وبعث بها إلى الوالي، ولما وصلت رقعة الفرزدق إلى الوالي لم يحقق اسم الابن أهو خنيس أم حبيش، فأمر بأن يعاد من البعثة كل من اسمه حبيش وخنيس:

تميمَ بنَ زيدٍ! لا تَهونَنَّ حاجتي لديكَ، ولا يَعْيا عليَّ جوابُها

أيها الوالي لا تعامل حاجتي التي أصبحت لديك باستهانة، ولا يعيا (يمتنع) عليَّ حصول استجابتك

ولا تَقْلِبَنْ ظَهراً لِبَطْنٍ صحيفتي، فشاهِدُ هَاجِيها عليكَ كِتابُها

ولا تقلب رسالتي على وجهها، فمجرد كتابها (كتابتها) دليل على أن الرسالة الهاجية قد تتبع

وهَبْ لي «خُنَيْساً»، واتَّخِذْ فيهِ مِنَّةً لِحَوْبَةِ أُمٍّ ما يَسوغُ شرابُها

هب لي (امنحني) خنيساً، واجعل من ذلك منة (معروفاً) تقدمه لحوبة (حاجة) أُمٍّ لم يعد يسوغ الماء في حلقها لفرط حزنها

١٣ رثاء الأخ

يرثي أخاه:

أَبى الصَّبرَ أَنِّي لا أَرى البدرَ طالعاً ولا الشمسَ إلَّا ذَكَّرا بِابنِ غالبِ

منع الصبر عني أنني لا أرى البدر أو الشمس إلا تذكرت أخي، الذي كان يشبههما بهاء

١٤ بعد موتي

زعموا أنه ردد هذين البيتين على فراش الموت:

أَرُونـي مَنْ يـقـومُ لـكُـمْ مَـقـامـي   إذا مـا الأمـرُ جَـلَّ عـنِ الـعِـتَـابِ

من يسد مسدي إذا تجاوز الخلاف بينكم وبين غيركم مجرد العتاب، فأصبحتم بحاجة إلى شاعر يدافع عن شرفكم

إلـى مَـن تَـفـزَعـونَ إذا حَـثَـوْتُـمْ   بِـأيـديـكُـمْ عـلَـيَّ مـن الـتُّـرابِ؟

إلى من ستفزعون (تلجأون) بعد أن تحثوا (تهيلوا) عليَّ تراب قبري؟

١٥ الزواج بالكواكب

يهجو جريراً، وقد عيره جرير بأنه ساق مهراً كبيراً لحدراء بنت زيق:

فلو كنتَ من أَكْفاءِ حَدْراءَ لم تَلُمْ   علـى دارِمِـيٍّ بيـنَ لـيـلَـى وغـالـبِ

لو كنت كفئاً لحدراء ذات النسب والحسب ما كنت لمتني وأنا رجل من قبيلة دارم، وليلى جدتي ابنة أشرف أشراف القبيلة، وغالب أبي ذو شرف عريض

ولو تُنْكِحُ الشمسُ النجومَ بناتِها   إذن لَـنَـكَـحـنـاهُـنَّ قبـلَ الـكـواكـبِ

لو كانت الشمس تزوج بناتها النجوم لتزوجناهن نحن. لم يكن ثمة تفريق علمي في زمنهم بين كوكب ونجم

١٦ الابن العاق

قال لابنه لَبَطَة وقيل إنه كان عاقاً:

أَإِنْ أُرعِشَتْ كفَّا أبيكَ، وأصبحتْ   يَـداكَ يَـدَيْ لَـيْـثٍ فـإنَّـكَ جـاذِبُـهْ؟

إإن كبر أبوك وأخذت كفاه ترتعشان، ثم قويت يداك أنت، فإنك تجذبه بغلظة؟

البيت في حماسة أبي تمام، نسخة أبي رياش والتبريزي، ولم يروه المرزوقي، وهو في الحماسة منسوب إلى قُرعان بن الأعرف يقوله لابنه منازل

إذا غَـلـبَ ابـنٌ بـالـشـبـابِ أَبـاً لـه   كـبـيـراً فـإن الـلَّـهَ لا بُـدَّ غـالِـبُـهْ

ولـمَّـا رآنـي قـد كَـبِـرْتُ، وأنـنـي   أَخُو الحِيِّ، واستغنَى عنِ المَسْحِ شارِبُهْ..

لما رآني كبرت، وصرت ملازماً للحي (مضارب القبيلة)، واستغنى شارب الابن (شفتاه) عن المسح عند الأكل، أي أنه لم يعد طفلاً. و«استغنى عن المسح شاربه» منسوبة لابن الأعرف في الحماسة

أصـاخَ لِـغِـرْبـانِ الـنَّـعِـيِّ، وإنَّـهُ   لأَزْوَرُ عـن بعـضِ الـمَقـالـةِ جـانـبُهْ

أصاخ (أرخى سمعه) لمن يمكن أن ينقل خبر موتي، أي استعجل موتي، وأصبح يزوَرُّ (يبتعد) عن قولي.. لم يعد يهتم بأحاديث والده الشيخ

١٧ أبوك قَبلك

كان جرير شكا من أن جاريته هجرته لأنه أسن، ولأنه لا يقدم لها أطايب الطعام من مرقق وصناب، فقال له الفرزدق:

لـئِـنْ تَـفْـرُكْـكَ عِـلْـجَـةُ آلِ زيـدٍ   ويُـعـوِزْكَ الـمُـرَقَّـقُ والـصِّـنـابُ

إن كان علجة آل زيد (الجارية التي اشتريتها منهم) فركتك (هجرتك)، وإن كان لا يتيسر لك المرقق (الرغيف) والصناب (إدام من خردل وزبيب)

فَـقِـدْمـاً كـان عـيـشُ أبـيـكَ مُـرّاً   يـعـيشُ بـمـا تـعـيشُ بـه الـكـلابُ

فقدماً (كثيراً في الماضي) كان أبوك يعيش عيش الكلاب

١٨ رِدَّة متأخرة

أتـابـعـةُ الأوثـانِ بَـكـرُ بـنُ وَائـلٍ   وقد أسلمتْ تِسعينَ عاماً وصَلَّتِ

١٩ في ظل عصفور

ومـا مـنـعـتْـنـا دارَهـا مِـن قـبـيـلـةٍ   إذا ما تـميـمٌ بـالسيوفِ استَظلَّتِ

ولـولا حِـذَارٌ أن تُـقـتَّـلَ طَـيِّءٌ   لـمـا سَـجَـدتْ لـلَّـهِ يـومـاً وصَـلَّـتِ

أسلمت طيء خوفاً

ولـو أن عُـصـفُـوراً يَـمُـدُّ جـنـاحَـهُ   على طَيِّءٍ في دارِهـا لاسْـتَـظَـلَّـتِ

قصيدة الفرزدق رد على قصيدة من فاخر الشعر للطرماح بن حكيم. وهذا البيت ينظر إلى أبيات الطرماح المشهورة:

تميمٌ بطُرْق اللؤم أهدى من القَطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت//فلو أن يربوعاً يزقِّق مَسكه إذن نهلت منه تميم وعلت//ولو أن برغوثاً على ظهر قملة يكر على صفي تميم لولت//ولو جمعت يوماً تميم جموعها على ذرة معقولة لاستقلت//ولو أن أم العنكبوت بنت لهم مِظلتها يوم الندى لأكنَّتِ

٢٠ أنا والعذارى

إذا ما العَذارَى قلنَ: عَمٍّ! فليتَني، إذا كانَ لي اسْماً، كنتُ تحتَ الصَّفائحِ

إذا بدأت العذارى ينادينني بيا عم، فليتني - إن كان هذا هو اسمي لديهن - كنت تحت الصفائح، والصفائح: حجارة مسطحة يطرد كل واحد منا عن ذهنه فكرة أنه سينام تحتها يوماً

دَنَوْنَ، وأَدناهُنَّ لي أن رأينَني أخذْتُ العصَا وابيَضَّ لونُ المَسائحِ

دنون (اقتربن)، وما جعلهن يقتربن مني إنما هو شعورهن بالأمان إذ بيدي عصا وقد ابيض لون المسائح (خصلات الشعر). . في العادة يقول الشاعر إن النساء يبتعدن عنه عندما يشيخ، ولكن الفرزدق كان فاتكاً زناء هجَّاماً على النساء، يبتعدن عنه شاباً ولا يقتربن منه إلا إن حمل العصا وتأكدن من ضعفه

٢١ تخشيني زياداً

وقامتْ تُخشِّيني زياداً، وأجفَلَتْ حَوالَيَّ في بُرْدٍ رقيقٍ ومِجْسَدِ

وقفت وراحت تخشيني (تخوفني) من سطوة زياد بن أبيه، وارتجفت وهي تتحرك حوالي لابسة برداً (رداءً) رقيقاً ومجسداً (ثوباً لاصقاً بجسدها. .) الصورة: هو جالس على حشية، وهي تجلس معه، ثم خطر لها زياد وبطشه، فوقفت قلقةً وأخذت تأتي شاعرنا من عن يمينه ومن عن شماله - يفعلن ذلك في السينما كثيراً -، وهي تكلمه عن زياد وتخوفه منه

فقلتُ ذَريني مِنْ زيادٍ، فإنني أرى الموتَ وقَّافاً على كلِّ مَرصَدِ

قلت لها: دعيني من زياد، فالموت واقف على كل مرصد (يراقبني من كل مكان)

حَوارِيَّةٌ تمشي الضُّحَى مُرْجَحِنَّةً، وتَمشي العَشِيَّ الخَيزَلَى رِخْوَةَ اليَدِ

حوارية (فتاة ناعمة) تمشي في وقت الضحى مرجحنة (متمايلة) أكسَلَها ما بها من بقية نوم، فالفتاة المدللة تصحو ضحى، وفي العشي تمشي الخيزلى (مشية هادئة) وقد أرخت يديها، فهي ليست كالنساء العاملات اللائي يمشين وقد ثنين الذراعين متهيئات للشغل. ليتخيل القارئ خادمة تمشي، أيراها ماشية ويداها مرتخيتان على جانبي جسمها؟

٢٢ السيف الخائن

قال الفرزدق وقد طلب إليه قطع عنق أسير في مجلس سليمان بن عبد الملك، فنبا سيفه، ولم يفعل شيئاً:

فإنْ يَكُ سيفٌ خانَ، أو قَدَرٌ أَبَى وتأْخيرُ نفسٍ، حَتْفُها غيرُ شاهِدِ. .

إن كان سيفي خانني ولم يقطع رأس الأسير، أو كان القدر قد أبى للأسير القتل، وتأخر أجل هذه النفس التي لم يكن حتفها (موتها) شاهداً (حاضراً) في ذلك الوقت. .

فسيفُ بني عبسٍ، وقد ضَربوا به، نَبَا بِيدَيْ وَرْقَاءَ عن رأسِ خالدِ

.. فإن سيف بني عبس في حادثة سابقة كان قد نبا (انحرف) عن رأس خالد عندما ضربَتْ به يد ورقاء

كَذاكَ سيوفُ الهندِ تنبُو ظُباتُها ويَقطَعنَ أحياناً نِياطَ القَلائِدِ

وسيوف الهند الأصلية هكذا: تنبو ظباتها (تنحرف شفراتها) أحياناً، لكنها أحياناً تقطع نياط (عروق) القلائد (الرقاب)

٢٣ فثَمَّ مَعدٌّ

أبتْ مُضَرُ الحَمْراءُ إلا تكَرُّماً على الناسِ، يَعلُو كلَّ جَدٍّ جُدودُها

مضر الحمراء (كذا لقب «مضر»/ قيل لأن الجد الأكبر «مضر» ورث عن أبيه الذهب، بينما ورث أخوه الخيل) أبت إلا أن تكون منعمة على الناس، وجدودها (نصيبها من المجد) تعلو كل جد

إذا ما قضَينا في البلاد قضيَّةً جرى بينَ عَرضِ المَشرقينِ بريدُها

إذا قررنا أمراً، فالخبر بذلك يحمله البريد بين عرض المشرقين (الشرق والغرب) لأن قرارنا له أثر في كل الناس

لقد علمَ الأحياءُ في كلِّ موطِنٍ بأنَّ تميماً ليسَ يُغْمَزُ عودُها

الأحياء: القبائل. ليس يغمز عودها: لا يتعرض لها أحد بالمناكفة على سبيل التجريب لهيبتها

ويوماً تميم: يومُ حربٍ ونجدةٍ، ويومُ مَقاماتٍ تُجَرُّ بُرودُها

تميم إما أن تكونَ محاربة وتهب لنجدة من استجار بها، أو تكون حاضرة المقامات (المحافل) ويكون سادتها في ثياب فاخرة يجرون أطراف البرود (الثياب)

كأنَّكَ لم تعرِفْ غَطارِيفَ خِنْدِفٍ إذا خَطبتْ فوق المنابرِ صيدُها

كأنك لم تعرف غطاريف (سادة) خندف (القبيلة الكبرى التي تضم تميماً وقريشاً وغيرهما) عندما تخطب على المنابر صيدها (سادتها المزهوون)

إذا اجتمعَ الحَيَّانِ: قيسٌ وخندفٌ فَثَمَّ مَعَدٌّ: هَامُها وعديدُها

إذا اجتمع الحيان (القبيلتان): قيس عيلان وخندف فثم (فهناك) قبائل معد هامها (رأسها) وعديدها (كثرتها الكاثرة)

وإنَّ امْرَأً يرجُو تميماً وعزَّها كباسِطِ كفٍّ للنجومِ يريدُها

من طلب أن يكون له مثل عز تميم كمن طلب أن يمسك النجوم بكفه

ومِنَّا نبيُّ اللَّهِ يتلُو كتابَه به دُوِّخَتْ أوثانُها ويهودُها

منا (من خندف) النبي الذي دوخ بالقرآن الأوثان واليهود

وما باتَ مِنْ قومٍ يُصَلُّونَ قِبْلَةً   ولا غيرُهُمْ، إلّا قُريشٌ تَقُودُها

قريش تقود كل من يصلون إلى أي قبلة، وغيرهم ممن لا يصلون لقبلة معينة

٢٤ بنى بيعة فيها الصليب

وأَبلِغْ أميرَ المؤمنينَ رِسالةً   فَعَجِّلْ هَداكَ اللَّهُ نزعَكَ خالدا

اعزل يا أمير المؤمنين خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق

بنَى بِيعَةً فيها الصليبُ لأُمِّهِ،   وهَدَّمَ مِن بُغضِ الصلاةِ المساجدا

بنى بيعة (صومعة عبادة) لأمه المسيحية، وهدم المساجد

٢٥ هرباً من الحجاج

فإنْ تُنْصِفُونا يَالَ مروانَ نقتربْ   إليكُمْ، وإلّا فأْذَنُوا بِبِعادِ

إن تنصفونا يا آل مروان (الخلفاء الأمويين من مروان بن الحكم إلى آخر عهد بني أمية) نقترب، وإلّا فأذنوا (خذوا إشعاراً) بالبعاد

فإن لَنا عنكُمْ مَزاحاً ومَذْهَباً   بِعيسٍ إلى ريحِ الفَلاةِ صَوَادِ

فلنا عنكم مزاح (بديل) ومذهب (ذهاب)، بعيس (إبل شقر) صواد (عطاش) إلى ريح الفلاة (الصحراء)

مُخَيَّسَةٍ بُزْلٍ تَخايَلُ في البُرَى   سَوَارٍ على طُولِ الفَلاةِ غَوَادِ

هذه الإبل مخيسة (مذللة) بُزْلٌ (قد بَزَلَتْ، أي خَرجت، أنيابها.. فهي فتية قوية) تتخايل (تتبختر بزهو) في البرى (وبأنوفها الحلقات) وهي سوارٍ (سائرة ليلاً) في الصحراء وغوادٍ (مبكرة في سيرها)

وفي الأرضِ عن ذي الجَوْرِ مَنأًى ومَذهبٌ   وكُلُّ بِلادٍ أوطَنْتَكَ بِلادي

وفي الأرض منأى (مكان قصي) عن ذي الجور (الظلم)، وكل بلد تحل بها فهي بلدك

وماذا عَسى الحجاجُ يبلُغُ جَهدُهُ   إذا نحن خَلَّفْنا حَفيرَ زِيادِ؟

وماذا عسى الحجاج أن يفعل مهما بذل من جهد إن نحن تجاوزنا حفير زياد (قناة زياد) وخلفناه وراءنا؟

٢٦ فخر بالصدأ

يمدح مسلمة بن عبد الملك:

جنودٌ لِدينِ اللَّهِ تَضربُ مَن طَغى   ومَسْلَمَةُ السيفُ الحسامُ يقودُها

تـرى صَـدَأَ الـمَـاذِيِّ فـوق جُـلـودِهِـمْ وفـي الـسِّـلْـمِ أَمْـلاكٌ رِقـاقٌ بُـرودُهـا

أشداء في الحرب حتى لترى صدأ الماذي (حديد السيوف والدروع) على جلودهم، ولكنهم في السلم أملاك (ملوك) يلبسون البرود (الأردية) الرقيقة التي يلبسها المترفون

أَبَـى لِـبَـنـي مَـروانَ إلَّا عُـلُـوُّهُـمْ إذا ما التقَتْ حُمْرُ المنايا وسودُها

ليس لبني مروان إلا العلو عند التقاء الموت الأحمر بالأسود في الحرب، الموت الأحمر: بالسيف والرمح، والأسود غرقاً أو دعساً بحوافر الخيل. (الأحمر والأسود يجمعان كل شيء، ففي الحديث «بعثت إلى الأحمر والأسود» أي لكل الناس، وكرهوا التعبير عن الإنسان الأبيض بلفظ البياض، لأن البياض البرص، فقالوا الأحمر)

أَرى كلَّ أرضٍ كان صَعباً طريقُها أُذِلَّ لـكُـمْ بِـالـمَـشـرفـي كَـؤُودُهـا

المشرفي: السيف، كؤودها: صعبها

٢٧ محيي الموؤودات

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّـا، بَـنـي دارِمٍ، زُرَارةُ مِـنَّـا أبـو مَـعْـبَـدِ

ومِـنَّـا الـذي مـنـعَ الـوائِـداتِ، وأَحْـيَـا الـوئـيـدَ فـلـمْ يُـوأَدِ

منا صعصعة الذي حال دون وأد البنات في الجاهلية، فكأنه أحياهن. وكان صعصعة، جد الفرزدق، يفتدي كل بنت يريد أبوها وأدها بناقتين أو ثلاث. قيل افتدى ستاً وتسعين بنتاً، وقيل بل أربعمئة. على الرقم اختلاف، لكن الفعل مؤكد. البداية كانت أن صعصعة أضاع ناقتين له، وراح ينشدهما، فوجدهما عند قوم، وسمع عند القوم عويلاً، فعرف أن المرأة أنجبت بنتاً، وأن الأب يريد دفنها حية. فقال صعصعة للرجل: خذ ناقتي هاتين وأبقِ على البنت. فقال الرجل: وتعطيني أيضاً جملك الذي تركبه؟ فرضي صعصعة. وعاشت البنت. وقال صعصعة لنفسه: هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب. ومضى يفتدي البنات

أَلَـسْـنـا الـذيـن تـمـيـمٌ بِـهِـمْ تَـسامَـى، وتَـفـخَـرُ فـي الـمَـشـهـدِ؟

ألسنا، بني دارم، من تتسامى (ترتفع) بهم قبيلة تميم وتفخر في المحافل؟

أَيَـطْـلُـبُ مـجـدَ بـنـي دارمٍ عـطـيَّـةُ كَـالـجُـعَـلِ الأَسـوَدِ؟

وكيف يطلب إحراز مجدنا عطية (والد جرير) وهو قميء كالجعل (الصرصور) الأسود؟

٢٨ أمامك شماريخ

كان الفرزدق في نحو الخامسة والأربعين من العمر. تذكَّر نصيحة علي بن أبي طالب له، عندما أخذه أبوه للقائه قبل ثلاثين سنة، بأن يجمع القرآن. فقيد نفسه في بيته بقيد، وحلف لا يفك نفسه إلا بعد أن يحفظ القرآن. ثم وجد الشعراء يتعرضون لنساء قومه بالشتم، فاستعاذت به النساء، ففك قيده، ومضى يرد على الشعراء:

أَحِينَ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا وَجُرِّدْتُ تَجرِيدَ اليَمَانِي مِنَ الغِمْدِ..

أعندما ألجأت تميم نساءها إليَّ لحمايتهن، وعندما جردت نفسي كما يجرَّد السيف اليماني من جرابه . .

وَمَدَّتْ بِضَبْعَيَّ الرَّبَابُ وَدَارِمٌ وعمروٌ، وسَالَتْ مِنْ وَرائِي بَنُو سعدِ

. . وعندما أسندتْ ضبعي (جانبيَّ) قبائل الرباب ودارم وعمرو، وسالت (تدفقت) بنو سعد من ورائي مؤيدة لي . .

تَمَنَّى ابْنُ رَاعِي الإِبْلِ حَرْبِي، ودُونَه شَمارِيخُ صَعْبَاتٌ تَشُقُّ على العبدِ

بعد كل هذا يتمنى ابن راعي الإبل (واسمه جندل/وهو ابن الشاعر راعي الإبل، وكان شويعراً سفيهاً) أن يحاربني؟ ودونه (قبل وصوله لمبتغاه) شماريخ (رؤوس جبال) يشق (يصعب) على عبد مثله أن يرتقيها

٢٩ الجائحات

يمدح عمر بن عبد العزيز:

وَجَائِحَاتٌ ثَلاثٌ مَا تَرَكْنَ لَنَا مَالاً به بَعْدَهُنَّ الغيثُ يُنتَظَرُ

ثلاث جائحات (مصيبات/سنوات قحط) لم تترك لنا مالاً (إبلاً وشاءً)، فلم نعد ننتظر المطر، لأننا فقدنا البهائم نفسها التي سترعى العشب

عامٌ أتى قبلَه عامانِ ما تَرَكَا مالاً، ولا بَلَّ عُوداً فيهما مَطَرُ

لم تترك سنوات القحط لنا مالاً (أنعاماً) ولم ينزل فيها مطر يبل عوداً

سِيرُوا، فإنَّ ابنَ لَيلَى مِنْ أَمَامِكُمُ وبَادِرُوهُ، فإنَّ العُرْفَ مُبْتَدَرُ

سيروا إلى ابن ليلى (الخليفة عمر بن عبد العزيز) وبادروا بالسؤال، فالعرف (العطية) يحتاج إلى سؤال

وبَادِرُوا بِابْنِ ليلى الموتَ، إن له كفَّينِ ما فيهما بخلٌ ولا حَصَرُ

بادروا (استبقوا) الموت بلقاء الخليفة، فله كفان ليس فيهما حصر (بخل)

أَلَيْسَ مروانُ والفاروقُ قد رفعا كفَّيْهِ؟ والعُودُ ماءَ العِرْقِ يَعتَصِرُ

هو سليل بني مروان والفاروق (وأم عمر بن عبد العزيز حفيدة عمر بن الخطاب)، وهذا النسب جعل كفيه عاليتين (واليد العليا هي التي تعطي)، والغصن إنما يستمد ثمره مما يعتصر ويمتص من ماء الجذر

أَلفَيْتَ قومَكَ لم يُتْرَكْ لأَثْلَتِهِمْ ظِلٌّ، وعنها لِحَاءُ الساقِ يُقْتَشَرُ

قد وجدت قومك لم يبق لأثلتهم (شجرتهم/والأثل نوع من الشجر) ورقٌ فلا ظل لها، وحتى اللحاء فقد أخذ يقتشر عن ساقها

فأَصبَحُوا قد أعادَ اللَّهُ نعمَتَهُمْ. إذْ هُمْ قُريشٌ، وإذْ ما مِثلُهُمْ بَشَرُ

ثم بفضل عمر بن عبد العزيز المأمول سيعيد الله النعمة،
هؤلاء قريش وليس في الناس لهم مثيل

لا يستَثيبونَ نُعماهُمْ إذا سلَفَتْ وليس في فضلِهِمْ مَنٌّ ولا كَدَرُ

لا يطلبون ثواباً مقابل عطاياهم، ولا يكدرون الفضل بالمن (التذكير بالمعروف)

ولن يَزالَ إِمامٌ منهُمُ مَلِكٌ إليهِ يَشخَصُ فوقَ المِنبرِ البصرُ

وسيظل منهم إمام (خليفة) مالك الأمور يشخص (يرتفع) إليه بصر الناس وهو على المنبر

٣٠ لا، وشكراً

هدد زياد بن أبيه والي البصرة ذو البطش الفرزدق، ففر منه، وأثناء تنقله بين القبائل فاراً نُقل إلى الفرزدق أن زياداً عفا عنه وتعهد له بعطاء، ولكن الفرزدق أبى العودة، والتجأ إلى المدينة المنورة:

دَعاني زيادٌ للعَطاءِ، ولم أَكُنْ لِأَقرَبَهُ، ما ساقَ ذو حَسَبٍ وَفْرا

دعاني زياد ليقدم لي العطاء، ولكنني لن أقربه أبداً؛ ما دام الرجل ذو الحسب يسوق المال الوفير صداقاً في زواج (أي: أبداً)

وعند زيادٍ لو يريدُ عطاءَهُمْ رجالٌ كثيرٌ قد يَرى بِهِمُ فَقْرا

فليعط زياد الناس الذين عنده من خيره، وليتركني بحالي

قُعُودٌ لَدى الأبوابِ طُلَّابُ حاجةٍ: عَوانٍ على الحاجاتِ أو حاجةٍ بِكْرا

عنده ناس قعود (قاعدون) لدى الباب بعضهم يطلب حاجة عواناً (مكررة/ والعوان هي المرأة التي سبق لها زواج وتقدم على زواج آخر)، وبعضهم يطلب بكراً (للمرة الأولى)

فلمَّا خشيتُ أن يكونَ عَطاؤُهُ أَداهِمَ سُوداً، أو مُحَدْرَجَةً سُمْرا..

عندما خشيت أن يكون العطاء المقصود الذي طلبني له أداهم (قيوداً) سوداً، أو محدرجة (سياطاً) سمراً..

فَزِعْتُ إلى حَرْفٍ أَضَرَّ بِنَيِّها سُرَى اللَّيلِ، واستِعراضُها البلَدَ القَفْرا

عندئذ فزعت (لجأت) إلى حرف (ناقة قوية) أضر بنيها (أهزل لحمها) سرى الليل (السير ليلاً)، واستعراضها (اجتيازها) البلد القفر (الصحراء)

٣١ لا نحالف

قصيدة تصف قصتُها المزاج النفسي للفرزدق. قال ابنه لبطة إن أبي وفد على أسد بن عبد الله الوالي في العراق ـ وأسد هذا يماني من بجيلة ـ وكان أبي قد شاخ فقلت له: أنشد الوالي شيئاً في مدح اليمن مما كنت قلته لآل المهلب. فسكت. ودخلنا على الوالي، فاستنشد أبي، فقال قصيدة مدح فيها مضر، لا اليمن. قال:

يَختلفُ الناسُ ما لم نجتمِعْ لَهُمُ، ولا اختلافَ إذا ما أَجمَعَتْ مُضَرُ

الناس في خلاف ما لم تجتمع مضر وتجمعهم حولها، فعندئذ لا خلاف

منَّا الكَواهِلُ والأَعناقُ تَقْدُمُها والرأسُ منَّا وفيه السَّمْعُ والبصرُ

منا الكواهل (أعالي الظهور/التي تحمل الأحمال) والأعناق منا، وكذا الرأس.. أي أن مضر هي الأساس لكل العرب

ولا نُحَالِفُ، إلَّا اللَّهَ، مِنْ أحدٍ غيرَ السيوفِ إذا ما اغْرَوْرَقَ النظرُ

لا نحالف قبيلة أخرى لقوتنا، نحالف الله وحده، ونحالف السيوف عندما يشتد الأمر ويغيم البصر وتنزل الدموع في غبار المعارك

ومَنْ يَمِلْ يُمِلِ المأثورُ ذِرْوَتَهُ حيثُ التَقى مِن حِفافَيْ رأسِه الشَّعَرُ

من مال عن إرادتنا أمال المأثور (السيف) ذروته (رأسه)، وضُرب في موضع التقاء الشعر من حفافي (جانبي الرأس)

أمَّا العدوُّ فإنَّا لا نَلينُ لَهُمْ حتى يَلينَ لِضِرْسِ المَاضِغِ الحجرُ

ولا نلين للعدو حتى يلين لضرس المرء الحجر فيصبح قابلاً للمضغ (أي لا نلين أبداً)

٣٢ شماتة

يهجو مسكين بن عامر الدارمي، لأنه رثى زيادَ بن أبيه:

أَمِسْكينُ أَبْكَى اللَّهُ عينَكَ، إنَّما جرى في ضلالٍ دمعُها إذ تحدَّرا

بكيت في ضلال عندما تحدر (نزل) دمعك في رثاء ذلك الظالم

أتبكي امْرَأً مِن أهلِ مَيْسَانَ كافراً كَكِسرَى على عِدَّانِهِ أو كَقَيْصَرا

أتبكي رجلاً كافراً من أهل ميسان (فهو ليس ابن أبي سفيان كما زعموا)، وهو في الكفر ككسرى على عدانه (في زمانه) أو كقيصر

أقـولُ لـه لـمَّـا أتـانـي نَـعِـيُّـهُ:   بهِ لا بِظَبْيٍ في الصَّرِيمَةِ أَعْفَرَا

قلت عندما جاءني نعي زياد: لينزل الموت به، ولا يفتدى من الموت، ولا حتى بظبي أعفر (بني اللون) في الصريمة (في الرمل). وسار قوله «به لا بظبي في الصريمة أعفرا» مسير المثل، يضرب في الشماتة بميت

٣٣ بعدما غضبت!

يهجو جريراً:

أَتسألُني أن أَخفِضَ الحربَ بعدَما   غضبتُ، وشَالتْ بي قُرومٌ هَوادِرُ

أأرسلت تطلب الهدنة بعد أن بلغ مني الغضب، وبعد أن شالت بي (رفعتني، وشجعتني على هجائك) قروم هوادر (جمال ذات صوت هادر/كناية عن رجالات قومه)

هِزَبْرٌ تَفَادى الأُسْدُ مِن وَثَباتِه   له مَرْبِضٌ عنهُ يَحيدُ المُسافرُ

أنا هزبر (أسد) تتفادى الأسود وثباته، وله مربض (موطن) يعرفه المسافرون ويحيدون عنه خوفاً

ولو كنتَ حُرَّ العِرْضِ أو ذا حفيظةٍ   جَرَيْتَ، ولكنْ لم تلِدْكَ الحرائرُ

لو كنت حراً وذا حفيظة (محاماة عن الشرف) لكنت جريت (سابقت، ولم تنسحب من السباق) لكنك لست ابن نساء حرائر

٣٤ الزاني المفتخر

أرانيَ إذا ما زرتُ لَيْلَى وبَعلَها   تَلَوَّى مِنَ البغضاءِ دُونِي مَشَافِرُهْ

إذا زرت ليلى وزوجها أخذت مشافره (شفتاه) تتلوى من بغضه لي

وإنْ زُرْتُها يوماً فليسَ بِمُخْلِفي   رَقِيبٌ يَرانِي، أو عدوٌّ أُحاذِرُهْ

وإن زرتها وهي وحدها فلن يتخلف عن ملاحقتي رقيب، أو عدو لي أحذره

كأنَّ على ذي الظِّنْءِ عيْناً بَصيرةً   بِمَقْعَدِهِ، أَوْ مَنظَرٍ هُوَ نَاظِرُهْ

وحتى لو لم يكن هناك رقيب فعلاً فإن ذا الظنء (الشخص المريب) يشعر أن عليه عيناً بصيرة وهو في مكانه، أو عندما يوجه بصره نحو موضع

يُحاذِرُ حتى يَحْسَبَ الناسَ كُلَّهُمْ   من الخوفِ لا تَخْفَى عليهِمْ سَرائِرُهْ

يصبح المريب حذراً، ويحسب من خوفه أن سرائره (مكنونات ضميره) بادية للناس

إذا عَبْرَةٌ وَرَّعْتُها فَتَكَفْكَفَتْ   قليلاً، جَرَتْ أُخرى بدمعٍ تُبادِرُهْ

الفرزدق المسكين يبكي بعبرة (دمعة)، فإذا ورَّعها (منعها) فتكفكفت (امتنعت عن النزول) قليلاً، جرت دمعة أخرى تستبق دموعاً

فلَوْ أنَّ عَيْناً مِنْ بُكاءٍ تَحَدَّرَتْ   دماً كان دمعي إذْ رِدائِيَ سَاتِرُهْ

لو كانت العين تتحدر (تنزل) الدم في بكائها لكان هذا دمعي وأنا أستره بردائي.
كل هذا شوقاً إلى محبوبته!

وجَوْنٍ عليه الجَصُّ فيه مريضةٌ   تَطَلَّعُ منه النَّفْسُ، والموتُ حاضِرُهْ

رب جون (قصر) مجصص بالجبس، فيه فتاة مريضة (من عشقها للشاعر الكذاب/أو أن عينيها مرتخيتان، فهما من النوع الذي يصفه الإنجليز بـ «كم تو بد آيز» أي «عينا هَيَّا للسرير»، وقد قالت العرب كثيراً في العيون المراض)، وهذا القَصْر تنقبض النفس من علوه، وتستحضر صورة الموت لرؤيته.. سنعرف لماذا بعد قليل..

حَلِيلَةُ ذي أَلْفَينِ شيخٍ، يَرى لها   كثيرَ الذي يُعْطِي قَليلاً يُحَاقِرُهْ

هذه الفتاة حليلة (زوجة) شيخ من الأشراف يبلغ مرتبه في ديوان العطاء ألفي درهم، وهو يعطيها كل ما تحب، ويحاقره (يستقله)، أي يرى ذلك قليلاً عليها

نَهَى أَهْلَهُ عنها الذي يَعْلَمُونَه   إليها، وزالتْ عن رَجَاها ضَرَائِرُهْ

نهى أهلَ الرجل عن التعرض لهذه الزوجة ما يعلمونه من منزلتها عند الزوج، وابتعدت عن رجاها (ناحيتها/والجمع الأرجاء) الضرائر (الزوجات الأخريات). الفرزدق يقول «ضرائره» ونحن نفهم «ضرائرها»، والفرزدق يفعل الأفاعيل من أجل القافية، ويفعل الأفاعيل حتى في جوف البيت

أتيتُ لها مِنْ مَخْتِلٍ كنتُ أَدَّرِي   به الوَحْشَ، ما يُخشَى عَلَيَّ عَوَاثِرُهْ

أتيت لقصر الفتاة هذا من مختل (مكان ختل الصيد) كنت فيه أدَّري (أختبئ عن) الوحش (الصيد من ظباء ونحوه)، وليس هناك خشية علي من التعثر في هذا المكان. ويبدو أن المكان الملاصق للقصر كان غابة فيها ما يصاد

فما زلتُ حتى أَصْعَدَتْني حبالُها   إليها، ولَيلي قد تَخَامَصَ آخِرُهْ

دلت له الفتاة الحبال من النافذة ليصعد، وكان الليل قد تخامص (تلاشى) آخره

فلمَّا اجتمعنا في العَلالِيِّ، بيْننا   ذَكِيٌّ أَتَى مِنْ أهلِ دَارِينَ تاجِرُهْ..

لما اجتمعنا في العلالي (الدور العلوي) وكان عندنا مسك ذكي الرائحة من واردات «دارين»..

نَقَعْتُ غَليلَ النفسِ، إلّا لُبانَةً   أَبَتْ مِنْ فُؤادي، لم تَرِمْها ضَمائِرُهْ

نقعت (رويت) غليل النفس (عطشها)، وبقيت لبانة (حاجة) في قلبي لم ترمها (تطلبها) مكنونات النفس

فلَمْ أَرَ مَنْزُولاً به بعدَ هَجْعَةٍ   أَلَذَّ قِرىً، لولا الذي قد نُحَاذِرُهْ

لم أر منزولاً به (مزوراً) بعد هجعة (بعد نوم الناس) ألذ قرى (والقرى في الأصل طعام الضيف، وهنا أطعمته فتاته ما لا نصرح به)، غير أن الحذر كان ينغص علينا بعض الشيء

أُحَـاذِرُ بَـوَّابَـيْـنِ قـد وُكِّـلا بِـهـا وأَسْـمَـرَ مِـن سَـاجٍ تَـئِـطُّ مَـسَـامِـرُهْ

كنت أحاذر (أتحسَّب من) بوابيْن موكلين بحراسة هذه الفتاة، وباباً من خشب الساج، تئط (تصدر صريراً) مسامره (مساميره)

فقلتُ لها: كيفَ النُّزُولُ فإنَّني أَرى الليلَ قد ولَّى، وصَوَّتَ طائِرُهْ

قلت لها كيف لي أن أنزل، فقد ذهب الليل وصوت طائره (صاح الديك)

فقالتْ: أقاليدُ الرَّتَاجَيْنِ عندَهُ، وطَهْمَانُ بالأبوابِ، كيف تُسَاوِرُهْ؟

قالت: أقاليد (مفاتيح) الرتاجين (البابين) عند زوجي. وطهمان (الحارس) واقف بالأبواب، فكيف تساوره (تنازله)؟

أَبِالسَّيْفِ، أمْ كيف التَّسَنِّي لِمُوثَقٍ عليه رَقيبٌ دائبُ الليلِ ساهِرُهْ؟

هل ستنازله بالسيف؟ وكيف التسني (التأتي والتحايل) للباب الموثق (المغلق) الذي عليه رقيب ساهر طول الليل؟

فقلتُ ابْتَغي مِنْ غيرِ ذاكَ مَحالَةً ولِلأَمْرِ هَيئَاتٌ تُصَابُ مَصَادِرُهْ

قلت لها: اطلبي محالة (حيلة) غير هذه. وللأمر هيئات (جوانب) أخرى لالتماس المصادر (المخارج)

لعلَ الذي أَصْعَدْتِني أنْ يَرُدَّني إلى الأرضِ إنْ لم يَقْدِرِ الحَيْنَ قادِرُهْ

لعل الحبل الذي به صعدت أن يرجعني إلى الأرض، هذا إن لم يقْدر الحين (يقدر الموت) لي قادره (مقدره وهو الله)

فجاءتْ بأَسْبابٍ طِوالٍ، وأَشْرَفَتْ قَسِيمَةُ ذي زَوْرٍ مَخُوفٍ تَراتِرُهْ

فجاءت بأسباب (بحبال) طويلة، وأطلت علينا في تلك الغرفة قسيمتها (ضرتها) لكي تنقذ الموقف من زائر يخشى أن يجر علينا التراتر (المصاعب).. هذا هو المعنى الملموح

أَخَذْتُ بِأَطْرافِ الحِبالِ، وإنَّما على اللَّهِ مِن عَوْصِ الأُمُورِ مَيَاسِرُهْ

أمسك الفرزدق بطرف الحبل، وتوكل على الله من عوص الأمور (الأمور العويصة الصعبة) طالباً تيسيرها

فقُلتُ اقْعُدَا، إنَّ القِيامَ مَزِلَّةٌ، وشُدَّا معاً بِالحبْلِ إنِّي مُخَاطِرُهْ

قال للمرأتين اقعدا أرضاً فالوقوف مزلة (يؤدي للزلل ولإفلاتكما طرف الحبل)، وأمسكا الحبل وشداه بقوة، وسوف أخاطر بالنزول

إذا قلتُ قد نِلْتُ البَلاطَ تَذَبْذَبَتْ حِبالِيَ في نِيقٍ مَخُوفٍ مَخَاصِرُهْ

وأنا أهبط أشعر أنني نلت البلاط بقدمي، ثم أرى الحبال تتذبذب على جانب النيق (القصر العالي الذي كالجبل) الذي أخاف مخاصره (مرتقياته).. المعنى الملموح: كلما قلت وصلت الأرض رأيت الحبال مشدودة تتذبذب كوتر العود فأعرف أنني ما زلت معلقاً في الهواء

فلما اسْتَوَتْ رِجْلايَ في الأَرضِ نادَتَا: أَحَيٌّ يُرَجَّى، أم قَتيلٌ نُحَاذِرُهْ؟

عندما وصلت الأرض أخيراً سمعتهما تناديان: أأنت حي ترجى له النجاة، أم قتيل نحذر أن يجر علينا الفضيحة؟

فقلتُ ارفَعا الأَسبابَ لا يَشْعُروا بِنا، وولَّيْتُ في أَعْجَازِ لَيلٍ أُبَادِرُهْ

قلت: ارفعا الأسباب، أي الحبال، حتى لا يشعر أحد بنا، ووليت (مضيت) في أعجاز (أواخر) الليل أبادر بالفرار

هُمَا دَلَّتَاني مِنْ ثَمانينَ قَامَةً كما انْقَضَّ بَازٍ أَقْتَمُ الريشِ كَاسِرُهْ

لقد دلتني المرأتان (كما يدلي المرء الدلو في البئر) من ارتفاع ثمانين قامة (وقامة الإنسان متر وسبعون سنتمتراً، والفرزدق قصير، فكانت قامته كذلك أو أقل)، وهبطت كما ينقض البازي (الصقر) ذو الريش الداكن، الذي يكسر جناحيه ويضمهما عند الانقضاض/ ولهذا سميت الطيور الجارحة كواسر

ويَحْسَبُها بَاتَتْ حَصَاناً، وقد جَرَتْ لنا بُرَتَاهَا بالذي أنا شَاكِرُهْ

وزوجها يظنها باتت حصاناً (عفيفة)، ولكن برتاها (خلخالاها) تحركتا حركة أنا لها من الشاكرين

فيَا رَبِّ إنْ تغفِرْ لنا ليلةَ النَّقَا فكلُّ ذنوبِي أنتَ يا ربِّ غافِرُهْ

يا رب، إن غفرت لنا تلك الليلة عند النقا (الكثيب) فلا شك أنك ستغفر ذنوبي كلها

٣٥ تحمل الرزء عامر

قال يرثي عبد الله بن ناشرة من بني عامر وهم من مجاشع:

وقفتُ فأَبْكتْني بِدارِ عشيرتي على رُزْئِهِنَّ الباكياتُ الحَوَاسِرُ

رزئهن: مصيبتهن، الحواسر: الكاشفات رؤوسهن حزناً

فلَوْ أن سَلْمَى نالَها مِثْلُ رُزْئِنا لَهُدَّتْ، ولكنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ عَامِرُ

لو أصاب جبل «سلمى» مثل مصيبتنا لانخسف، غير أننا نتحمل المصيبة بقلب شجاع

٣٦ رثاء بشر

يرثي بشر بن مروان:

أعيْنَيَّ إلَّا تُسْعِدانِي أَلُمْكُمَا فما بعدَ بِشْرٍ مِن عزاءٍ ولا صبرِ

يا عيني إن لم تسعداني (تساعداني) بالبكاء فعليكما اللوم، فبموت بشر ليس هنا عزاء (تهوين) ولا صبر

ولو أن قوماً قاتَلوا الموتَ قبلَنا بشيءٍ، لقَاتلْنا المَنِيَّةَ عن بِشْرِ

لو كان أحد قاتل الموت قبلنا لقاتلناه دفاعاً عن بشر

٣٧ بكيت على صقوري

بَنِيَّ أَصَابَهُمْ قَدَرُ المنايا فهل مِنْهُنَّ مِنْ أحدٍ مُجِيري؟

أكان هناك من يحميني من حلول الموت بأبنائي؟

ولو كانوا بَني جَبَلٍ فماتُوا لأَصبَحَ وهْوَ مُخْتَشَعُ الصُّخورِ

لو كنت جبلاً ومات أبنائي لأصبحت مختشع الصخور (هابطاً)

ولو كان البكاءُ يَرُدُّ شيئاً على الباكي بكيتُ على صُقُوري

إذا حَنَّتْ نَوارُ تَهيجُ مِنِّي حَرارةَ مِثْلِ مُلْتَهِبِ السَّعيرِ

إذا حنت (أصدرت صوت أنين) زوجتي نوار تهِيج (تحرك) فيَّ حزناً كأنه نار جهنم

حَنينَ الوَالِهينَ إذا ذَكَرْنا فؤادَيْنا اللَّذَيْنِ مَعَ القُبورِ

نحنُّ (نصدر صوت الألم) حنين الوالهين (المعذبين) إذ نتذكَّرُ قلبينا اللذين ذهبا مع من فقدنا للقبور

٣٨ حماة أرض المسلمين

ولو أَنَّ أرضَ المسلمينَ يَحُوطُها سِوانا مِنَ الأحياءِ ضَاعَتْ ثُغُورُها

يحوطها: يحميها، ثغورها: مدنها الحدودية

لنَا الجِنُّ قد دَانَتْ، وكلُّ قَبيلةٍ يَدينُ مُصَلُّوها لنا، وكَفُورُها

يزعم أن الجن خضعت لبني تميم، وكذا كل القبائل المسلمة وغير المسلمة

٣٩ بكاء على عمر

قال يرثي عمر بن عبيد الله التيمي القرشي:

أَمَّا قُريشٌ، أبا حَفْصٍ، فقد رُزِئَتْ بِالشَّامِ إذ فَارَقَتْكَ البأسَ والمَطرا

يا أبا حفص قد رزئت (بليت) قريش بفقدك بالشام البأس (القوة) والمطر (العطاء)

إنَّ الأرامِلَ والأيتامَ إذ هَلَكوا والخيلَ إذ هُزِمتْ، تَبكِي على عُمَرا

٤٠ تذبيح الكلاب

يمدح الوليد بن عبد الملك:

فقالوا أَغِثنا إنْ بَلَغْتَ بِدعوةٍ لنا عندَ خيرِ الناسِ إنَّكَ زَائِرُهْ

قال له قومه أنجِدنا إن بلغت (وصلت) خير الناس (الخليفة) الذي ستزوره بدعوة (بإيصال شكوانا إليه)

فقلتُ لَهُمْ: إنْ يُبْلِغِ اللَّهُ ناقتي وإيَّايَ، أُنْبِي بالذي أنا خَابِرُهْ

قلت لهم: إن أوصل الله ناقتي وأوصلني معها، سأنبي (سأخبر) بما خبرته من أحوالكم

بحيثُ رأَيْتُ الذئبَ كلَّ عشيَّةٍ يَروحُ على مَهْزُولِكُمْ، ويُبَاكِرُهْ

سأخبر الخليفة كيف رأيت الذئب في كل مساء يروح (يأتي مساء) لكي يفترس مهزولكم (جملاً هزيلاً لفقدان العشب) ويباكره (ويأتيه صباحاً)

لِيَجْتَرَّ منكُمْ إنْ رأى بَارِزاً لهُ مِنَ الجِيَفِ اللائي عليكُمْ حَظَائِرُهْ

وليجتر (ليجُرَّ) من مضارب القبيلة ما يرى من جيف (جثث النياق النافقة، يضعونها حول الحظائر كي تأخذها الذئاب ولا تفترس النياق الحية)

أَغِثْ مُضَراً، إنَّ السِّنينَ تَتابَعَتْ عليها بِحَزٍّ يَكْسِرُ العَظْمَ جازِرُهْ

أيها الخليفة أغث قبائل مضر فقد تتابعت السنين (مواسم القحط) بما يكسر العظم وينحر الإبل (القحط يفني الماشية)

وهَمَّتْ بِتَذْبيحِ الكِلابِ مِنَ الذي بها أَسَدٌ إنْ أَمْسَكَ الغَيْثَ مَاطِرُهْ

وهمت قبيلة أسد أن تذبح وتأكل الكلاب مما بها من جوع إن استمر الجفاف، ولم ينزل مطر

وإنَّكَ راعي اللَّهِ في الأرضِ، تَنتهي إليكَ نَواصي كلِّ أمرٍ وآخِرُهْ

وأنت راعي الله في الأرض (فالخليفة الراعي والناس الرعية)، وإليك مصير نواصي الأمور (وجوهها) وأواخرها (أنت الكل في الكل)

وقد خِفْتُ حتى لو أَرى الموتَ مُقْبِلاً لِيَأْخُذَني، والموتُ يُكْرَهُ زَائِرُهْ. .

يغير الموضوع: خفت حتى لو جاء الموت، مع أن زيارته كريهة. .

لَكانَ مِنَ الحَجَّاجِ أَهْوَنَ روعَةً إذا هُوَ أَغْضَى، وَهْوَ سَامٍ نَواظِرُهْ

. . لكان الموت أهون روعة (إخافة/ وترويعاً) من الحجاج عندما يغضي (يخفض بصره)، مع أنه سامي النظر (ناظر للأعلى، وأبيٌّ لا يخفض بصره خضوعاً) فإغضاء الحجاج بصره إغضاءٌ مؤقت عندما يفكر في قرار خطير. هكذا الجبابرة. . ينظرون في عيون رعاياهم وضحاياهم، ثم يخفضون بصرهم هنيهة، ثم يأتي القول الصاعق: اضربوا عنقه، إلخ

فَأَيْقَنْتُ أَنِّي إنْ نَأَيْتُكَ لم يَرِدْ بِيَ النَّأْيُ إلّا كلَّ شيءٍ أحاذِرُهْ

فأيقنت أيها الحجاج أنني إن نأيت عنك فاراً منك، فإن هذا النأي لا يوردني إلا على شيء أحاذره وأخشاه

وأنْ لو رَكبتُ الريحَ ثم طلبتَني لَكنتُ كشيءٍ أدركتْهُ مَقادِرُهْ

وأدركت أنني لو ركبت الريح فراراً منك، لكنت كشيء سعى نحو قدره، فيدُك طائلة ولا بد أن تمسك بي

فلم أرَ شيئاً غيرَ إقبالِ ناقتي إليكَ، وأَمْري قد تَعَيَّتْ مَصادِرُهْ

فلم أجد سوى أن أقبل بناقتي إليك، فأمري قد تعيت (استحالت) مصادره (مخارجه)

٤١ لساني لكم

يمدح أسد بن عبد الله القسري:

فمَا أَحْيَ لا أَجعَلْ لِساني لِغيرِكُمْ ولا مِدَحي مَا حَيَّ للزيتِ عاصِرُهْ

ما أحي (ما دمت حياً) فلن أمدح غيركم بشعري، ما حي للزيت عاصر (ما دام هناك من يعصر الزيت/أي أبداً)

فلولا أبو الأشبالِ أصبحتُ نائياً وأصبحَ في رِجْلَيَّ قَيْدٌ أُحاذِرُهْ

لولا أبو الأشبال (أسد بن عبد الله) لأصبحت معتقلاً في مكان بعيد

فمَا أنا إلّا منكُمُ ما تعلَّقَتْ حياتِي، إلى اليومِ الذي أنا صائِرُهْ

أنا منكم ما بقيت معي حياتي، وإلى اليوم الذي سأصير إليه (يوم الوفاة)

٤٢ تأخر القدر

قال لسليمان، وقد ضحك سليمان لأن سيف الفرزدق نبا:

أَيَعْجَبُ الناسُ إنْ أضحَكْتُ سيِّدَهُمْ خليفةَ اللَّهِ يُستَسْقَى به المَطَرُ

ضحك الخليفة عندما نبا سيف الفرزدق عن عنق الأسير، والخليفة وضيء الوجه شريف عظيم يطلب الناس به السقيا في المحل، وكانوا إذا انقطع المطر خرجوا لصلاة الاستسقاء واصطحبوا من يرون فيه الشرف والوسامة والتقوى

وما نَبا السيفُ مِنْ جُبْنٍ ولا دَهَشٍ عندَ الإمامِ، ولكنْ أُخِّرَ القَدَرُ

ما انحرف سيفي عن عنق الأسير جبناً ولا دهشاً (ارتباكاً) في حضرة الإمام (الخليفة)، ولكن قد تأخر قدر ذلك المسكين

٤٣ طلاق فندم

نَـدِمْـتُ نـدامـةَ الـكُـسَـعِـيِّ لَـمَّـا غـدتْ مِـنّـي مُـطَـلَّـقَـةً نَـوارُ

ندمت ندامة الكسعي عندما طلقت نوارَ (والكسعي رجل كانت لديه قوس عزيزة على قلبه، ورمى بها الظباء بخمسة سهام، وظن أنها طاشت جميعاً، فأهوى بقوسه على صخرة وكسرها حنقاً، ثم اكتشف أن السهام جميعاً كانت صائبة، وقد أردت الظباء الخمسة، فندم). . وكانت نوار زوجته وابنة عمه، وكانت تشارُه وتضاره كثيراً لأنه تزوجها بخديعة، وطلبت الطلاق مراراً، وأنجبت له عدة أولاد، ثم استجاب وطلقها رغم أنه ظل يحبها، ومع كل هذا الحب فإن الفرزدق ـ ويا لنذالة الرجال ـ اشترط عليها ألا تتزوج، وأن تبيح له مالها بعد الطلاق. وعاشت النوار في كنف ابنها لبطة بقية عمرها، وأما الفرزدق فقد عاش حتى أربى على التسعين، وكان مزواجاً، حتى لقد تزوج بعد التسعين وعجز. .

وكـانـت جَـنَّـتِـي فـخـرجْـتُ منـهـا كـآدَمَ حـيـن لَـجَّ بـه الـضِّـرارُ

كانت النوار جنتي وخرجت منها كما خرج آدم حين لج به الضرار (أكثر من المعاندة). . وكل ما صنعه آدم أنه أكل تفاحة، فأما الفرزدق فكان مزواجاً زنَّاءً

وكـنـتُ كـفَـاقِـئٍ عـيـنـيـهِ عَـمْـداً فـأصـبـحَ مـا يُـضـيءُ لـه الـنـهـارُ

كنت كمن قلع عينيه بيديه فعميَ

ولا يُـوفـي بـحـبِّ نَـوارَ عِـنـدي ولا كَـلَـفـي بـهـا إلَّا انـتـحـارُ

لا ينقذني من حبي لها وكلفي (ولوعي) بها إلا الانتحار

ولـو رَضِـيَـتْ يـدايَ بـهـا وقَـرَّتْ لـكـانَ لـهـا عـلـى الـقَـدَرِ الـخِـيـارُ

لو كنت رضيت بعشرتها، ولو قرت هي في بيتها، لتغير سير القدر

ومـا فَـارقْـتُـهـا شِـبَـعَـاً، ولـكـنْ رأيـتُ الـدهـرَ يـأخُـذُ مـا يُـعَـارُ

لم أفارقها أنني شبعت من عشرتها، ولكن الدهر هكذا يسترد ما أعار، في ذلك إشارة لاواعية إلى أنه تزوجها غصباً عنها

٤٤ مدح بني المهلب

لأَمْدَحَنَّ بَنـي الـمُـهَـلَّـبِ مِـدْحَـةً غَـرَّاءَ ظـاهـرةً عـلـى الأشـعـارِ

سأمدح بني المهلب بقصيدة غراء (جميلة) ظاهرة (غالبة) على الأشعار الأخرى

مـثـلَ الـنـجـومِ أمـامَـهـا قـمـرٌ لـهـا يَجلُو الدُّجى، ويُضيءُ لَيل السَّاري

يصف قصيدته بالقمر وحوله النجوم، لعله تخيل أبيات القصيدة

وَرِثُوا الطِّعانَ عنِ المُهَلَّبِ والقِرَى وخَلائقاً كَتَدَفُّقِ الأنهارِ

ورثوا عن أبيهم المهلب بن أبي صفرة الطعان (الطعن بالرماح في الحرب) والقرى (إطعام الضيف) والأخلاق الحميدة المتدفقة بالعطاء كالأنهار

كانَ المُهَلَّبُ للعراقِ سَكِينةً وَحَيَا الربيعِ، ومَعْقِلَ الفُرَّارِ

كان المهلب للعراق سكينة (اطمئناناً) وحيا الربيع (مطر الربيع) ومعقل الفرار (ملجأ الفارين من بطش)

إني رأيتُ يَزيدَ عندَ شَبابِه لَبِسَ التُّقَى ومَهَابَةَ الجبَّارِ

رأيت يزيد (ابن المهلب) تقياً، لكنه مهيب ذو جبروت

وإذا الرجالُ رَأَوْا يزيدَ رأيتَهُمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَواكِسَ الأبصارِ

والرجال يخضعون رقابهم (ينكسون رؤوسهم) ويخفضون أبصارهم لهيبته

٤٥ القدر الباكية

لو أنَّ قِدْراً بكتْ مِنْ طولِ ما حُبِسَتْ على الحُفوفِ بَكَتْ قِدْرُ ابنِ جَيَّارِ

لو أن القدر (الحلة، الطنجرة) تبكي لطول الحبس على الحفوف (الجفاف) لبكت قدر ابن جيار، فهو لا يطبخ للناس ولا يطعم أحداً

ما مسَّها دسمٌ مُذْ فُضَّ مَعْدِنُها ولا رأتْ بعد عهدِ القَيْنِ مِنْ نارِ

لم يمسَّها دسم منذ أن فُضَّ معدنها (جُليَ)، ولا عرفت النار بعد أن عالجها القين (الحداد) بناره. لعلهم كانوا يعبرون عن تبييض القدور النحاسية بالتفضيض، مع أن المعدن المستعمل هو شبيه الفضة، القصدير

٤٦ بنو كليب

ألا قَبَحَ الإلهُ بني كُلَيْبٍ ذَوِي الحُمُراتِ والعَمَدِ القِصارِ

قبحاً لبني كليب أصحاب الحمير (واشتهر بنو كليب، قوم جرير، بحميرهم)، والخيام القصيرة الأعمدة (وكلما طال عمود الخيمة كانت كبيرة وكان صاحبها ثرياً)

ولَوْ تُرْمَى بِلؤْمِ بني كُلَيْبٍ نجومُ الليلِ مَا وَضَحَتْ لِسَاري

لو أصاب لؤم الكليبيين النجوم لخمدت ولم تعد تضيء لساري الليل

ولو لَبِسَ النهارَ بنُو كليب لَدَنَّسَ لؤْمُهُمْ وَضَحَ النهارِ

ولو ارتدوا بالنهار لدنسوا بياضه

وما يغدُو عزيزُ بني كليب ... لِيَطْلُبَ حاجةً إلّا بِجَارِ

لا ينال العزيز (القوي) من بني كليب حاجته إلا مستجيراً بغريب، لضعف قبيلته

٤٧ مجاشع حمَّلتني أموراً

يهجو جريراً:

وجَرَّ المُخْزِياتِ على كُلَيْبٍ ... جريرٌ، ثمَّ ما مَنَعَ الذِّمَارا

جر جرير المخازي على قومه كليب بتعرضه لي، ثم لم يستطع أن يمنع (يحمي) الذمار (الشرف)

عَوى فأثارَ أَغْلَبَ ضَيْغَمِيّاً ... فَوَيْلُ ابنِ المَراغَةِ، ما اسْتَثَارا

عوى جرير إذ هجاني، فأثار أغلب (أسداً غليظ الرقبة) ضيغمياً (عضَّاضاً)، فويل لابن المراغة (لقب جرير عند أعدائه) مما أثار

وإنَّ بَني المَراغَةِ لم يُصيبُوا ... إذا اختاروا مُشَاتَمَتي اختيارا

قوم جرير لم يحسنوا الاختيار إذ اختاروا التسابَّ معي

ونامَ ابنُ المَراغَةِ عن كُلَيْبٍ ... فَجَلَّلَها المَخَازِيَ والشَّنَارا

ونام جرير عن نصرة قبيلته كليب لضعفه، فجللها (كساها) مخازي وشناراً (عاراً)

وإنَّ بني كُلَيْبٍ إذْ هَجَوْني ... لَكَالْجُعْلانِ إذ يَغْشَيْنَ نارا

هم بهجائهم إياي كالجعلان (الصراصير) التي تغشى (تأتي) النار

وإن مُجَاشِعَاً قد حَمَّلَتْني ... أموراً لن أُضَيِّعَها كِبارا..

وقبيلتي، مجاشع، حملتني أموراً عظيمة، ولن أضيعها (لن أتهاون فيها)..

قِرَى الأضيافِ لَيلَةَ كُلِّ ريحٍ ... وقِدْماً كنتُ للأضْيافِ جَارا

حملتني قرى الأضياف (إطعامهم) في الليلة التي تعصف فيها الرياح، وقدماً (دائماً) قد كنت مجيراً للأضياف

رأيتُ ابنَ المَراغَةِ حينَ ذَكَّى ... تَحَوَّلَ - غَيْرَ لِحْيَتِهِ - حِمارا

رأيت جريراً حين ذكَّى (كبر وأسنَّ) تحول في هيئته - لولا اللحية - إلى حمار

هَلُمَّ نُوافِ مَكَّةَ، ثم نَسْأَلْ ... بِنا وبِكُمْ، قَضَاعَةَ أو نِزَارا

هيَّا نواف (نأتِ) مكة لنسأل عن أحسابنا وأحسابكم قبيلة قضاعة أو نزار

هُنالِكَ لو نَسَبْتَ بَني كُلَيْبٍ ... وَجَدْتَهُمُ الأدِقَّاءَ الصِّغَارا

وستجد أن قبيلتك، كليب، أدقَّاء (رقاقاً، ليس لهم المجد المتين) صغاراً في القدر

وَمَا غَرَّ الوِبَارَ بَني كُلَيْبٍ بِغَيْثي حينَ أَنْجَدَ واسْتَطَارا

ولا أدري ما الذي غرَّ بني كليب الوبار (الأرانب) فلم يروا غيثي حين أنجد (بلغ نجداً) واستطار (تدفق وصار ذا شر مستطير)

هَرَبْنَ إلى مَدَاخِلِهِنَّ منهُ وجاءَ يُقَلِّعُ الصخرَ انحِدَارا

عندئذ هرب أشباه الأرانب إلى بيوتهن، وجاء السيل يقلع الصخر وهو منحدر، أي أن هجائي كان قاسياً متدفقاً

وإِنَّكَ والرِّهَانَ على كُلَيْبٍ لَكَالْمُجْرِي معَ الفرسِ الحِمَارا

والمراهن على قبيلة كليب كمن يجري (يسابق) الفرس والحمار

٤٨ كم خالة لك يا جرير..

يا ابنَ المَراغَةِ إنَّما جَارَيْتَني بِمُسَبَّقينَ لَدى الفَعَالِ قِصَارِ

يا جرير (وابن المراغة لقبه، وقيل إن المراغة هي الأتان التي تتمرغ في التراب) أنت تجاريني (تسابقني) بقومك المسبقين (المسبوقين) لدى الفعال (الأمجاد) القصار

والحَابِسينَ إلى العَشِيِّ لِيَأْخُذُوا نَزْحَ الرَّكِيِّ، ودِمْنَةَ الأَسْآرِ

وقومك حابسون إبلهم إلى المساء المتأخر لأنهم ضعاف لا يستطيعون المزاحمة على الماء، فيأخذون نزح الركي (بقية ما في الركية أي البئر) ودمنة (وسخ) الأسآر (الصبابات/ بقايا القاع).. فهم ينالون من الماء بعد أن يتعكر ويبقى منه سؤر، أي بقية، في قاع البئر

لن تُدْركُوا كَرَمي بِلُؤْمِ أبيكُمُ وأَوَابِدي بِتَنَحُّلِ الأشعارِ

لن تلحقوا بكرمي (مجدي) بلؤم أبيكم، ولن تلحقوا أوابدي (قصائدي النادرة المثال) بتنحل الأشعار (سرقتها)

قَبَحَ الإلهُ بَني كُلَيْبٍ، إِنَّهُمْ لا يَغْدِرُونَ ولا يَفُونَ لِجَارِ

قبحاً لبني كليب من قوم ضعاف، فهم أضعف من أن يغدروا، ومع ذلك ليس عندهم وفاء لمن يلجأ إليهم

يَستيقظونَ إلى نُهاقِ حِمارِهِمْ، وتَنامُ أَعيُنُهُمْ عن الأَوْتَارِ

يوقظهم نهاق حمارهم (فهم أهل حمير لا إبل)، ولكنهم غافلون عن الأوتار (الثأرات/ الأخذ بالثأر)

كم مِن أَبٍ ليَ يا جريرُ كأَنَّه قَمرُ المَجَرَّةِ أو سراجُ نهارِ

آبائي (الآباء والأجداد) كأن الواحد فيهم قمر المجرة (السماء) أو سراج النهار (أي الشمس)

وَرِثَ المكارمَ كابِراً عن كابِرٍ ضخمِ الدَّسيعةِ يومَ كلِّ فَخارِ

هذا الواحد من آبائي ورث مكارم أجداد كبار، وهو ضخم الدسيعة (القصعة الضخمة التي يوضع فيها الطعام للناس) في الأيام التي يتميز فيها الكريم عن غيره ويفتخر

إنَّ البِكارَةَ لا يَدَيْ لِصِغارِها بِزِحامِ أَصْيَدَ رأسُه هَدَّارِ

البكارة (الجمال) لا يدي لصغارها (لا قدرة لها) كي تزاحم أصيد (فحلاً مسيطراً) رأسه هدار (يصدر صوتاً ضخماً). هلّا قال: (بزحام أصيد مصعب هدار) فيخرج من تهمة الإقواء؟ والبيت بالرواية المثبتة محمول على أن رأسه فاعل لأصيد وهدار صفة لأصيد

قَرْمٍ إذا سمعَ القُرومُ هديرَهُ وَلَّيْنَهُ ورَمَيْنَ بِالأبعارِ

قرم (فحل شديد) إذا سمع الفحول صوته، هربت ورمت بأبعارها خوفاً منه

كَمْ خَالَةٍ لكَ يا جريرُ وعمَّةٍ فَدْعَاءَ قد حَلَبَتْ عليَّ عِشاري

ما أكثر خالاتك وعماتك الفدعاوات (المعوجَّة مفاصلهن) اللائي حلبن لي عشاري (نياقي) يعيره بأن نساء عشيرته خادمات

٤٩ اللؤلؤة القاتلة

ومُرْتَجَّةِ الأَرْدافِ مِن آلِ جعفرٍ مُخَضَّبَةِ الأطرافِ بيضٍ نُحورُها

يتغزل بها وبأردافها المرتجّة وأطراف أصابعها المخضوبة بالحناء، ونحرها الأبيض (النحر بين الصدر والعنق)

كأنَّ نَقاً مِن عالِجٍ أَزَّرَتْ به بِحَيثُ التقَتْ أوراكُها وخُصورُها

كأن مؤخرتها نقا (كثيب رمل) في منطقة «عالج» وقد أزرت به (لبست إزاراً، رداءً) والإزار مخصَّر في مكان التقاء أوراكها (ردفيها) وخصرها

فقد خِفْتُ مِن تَذْرافِ دَمعيَ إِثْرَها على بَصري، والعينُ يَعْمَى بَصيرُها

خفت من تذراف دمعي (نزوله) أن يضر ببصري، و«العين يعمى بصيرها» حشو

ومَا خِفْتُ وَشْكَ البينِ حتى رأيتُها يُسَاقُ على ذاتِ الجلاميدِ عيرُها

لم أكن أخشى وشك البين (أن يكون الفراق وشيكاً سريعاً) إلى أن رأيت عيرها (جمالها) تساق على ذات الجلاميد (الأرض الوعرة)

وما زلتُ أُزْجي الطَّرْفَ مِن حيث يَمَّمَتْ مِن الأرضِ حتى رَدَّ عيني حَسيرُها

وظللت أزجي الطرف (أرسل بصري) من (يقصد إلى) الأرض التي يممتها (قصدتها) حتى عاد بصري حسيراً (عاجزاً)

تَهادَى إلى بيتِ الصلاةِ، كأنَّها   على الوَعْثِ ذو سَاقٍ مَهِيضٍ كَسيرُها

تهادى (تمشي وتتمايل) ذاهبة إلى بيت الصلاة كأنها إذا تمشي على الوعث (الطريق الوعر) طائر ذو ساق مهيضة (مكسورة) لأنها تتمايل

كَدُرَّةِ غَوَّاصٍ رمَى في مَهيبَةٍ   بِأَجْرامِهِ، والنفسُ يَخشَى ضَميرُها..

يبدأ تشبيهاً طويلاً، هذه المرأة مثل لؤلؤة أراد غواص أن ينالها فرمى بأجرامه (بجسمه) في مهيبة (لجة البحر المخوفة)، و«النفس يخشى ضميرها» أي تخاف..

مُوَكَّلَةً بِالدُّرِّ خَرسَاءَ، قد بَكى   إليه مِنَ الغَوَّاصِ منها نَذيرُها

تخاف النفس حية موكلة (مكلفة) بحراسة اللؤلؤة، وقد أنذره الغواص القديم منها باكياً صارخاً

فقال: أُلاقِي الموتَ أو أُدرِكَ المُنى   لِنفسيَ، والآجالُ جَاءٍ دُهورُها

فقال الغواص الشاب: إما أن أموت أو أدرك الأماني، والأجل جاءٍ (آتٍ) على كل حال، أي «كلها موتة»

ولما رأى ما دُونَها خَاطَرَتْ به   على الموتِ نفسٌ لا يَنامُ فقيرُها

لما رأى الغواص ما دون الأفعى (أي ما بقربها، وهي اللؤلؤة العظيمة)
خاطر بنفسه التي يؤرقها الفقر

فَأَهْوى ونَابَاها حَوالَيْ يَتيمَةٍ   هِيَ الموتُ، أو دُنيا يُنادي بَشيرُها

أهوى بكفيه على اللؤلؤة، ونابا الحية يحميان هذه الدرة اليتيمة (النادرة)، واللؤلؤة هي الموت أو هي الحياة الرغدة التي يبشر نفسها بها

فَأَلْقَتْ بِكفَّيْه المَنِيَّةُ إذ دَنا   بِعَضَّةِ أنيابٍ سريعٍ سُؤُورُها

ورمت الحية في كفيه بعضة مميتة وأنشبت فيها أنياباً سريعاً سؤورها (تغلغلها.. لعله يقصد أن سمها يتغلغل ويصل منتهاه بسرعة)

فَحَرَّكَ أعلَى حَبْلِهِ بِحُشَاشَةٍ   ومِن فوقِه خَضْراءُ طام بُحورُها

فظل ممسكاً باللؤلؤة، وهز الحبل الذي دلاه رفاقه به، (وهزة الغواص الحبل معناها: ارفعوني)، هز الحبل بحشاشة نفسه (بما تبقى له من روح) وكان غائصاً وفوقه لجة خضراء (سوداء معتمة) طامية بالماء.. هذا في البحر طبعا، وأمَّا تعبير «طام بحورها» فتركيب فرزدقي لا معنى له سوى الوصول إلى القافية

فما جاءَ حتى مَجَّ، والماءُ دونَه،   مِن النفْسِ ألواناً عَبِيطاً نُحورُها

فما جاء (برز فوق الماء) حتى مج (بصق) من فمه دم قلبه فلوَّن به سطح الماء كما يلون الكبش العبيط (المذبوح) بالدم ما حوله

إذا مـا أرادُوا أن يُـحـيـرَ مَـدُوفـةً أَبى مِن تَقَضِّي نفسِه لا يَحُورُها

كلما أرادوه على أن يحير (يتغرغر بـ) مدوفة (خلطة علاجية ضد السم)، أبى لشدة ما فيه أن يقبلها. . كذا المعنى الملموح

فـلـمَّـا أَرَوْهـا أُمَّـهُ هَـانَ وَجْـدُهـا رَجَاةَ الـغِـنى، لـمَّـا أضاءَ مُـنـيـرُهـا

فلما أروا أمه اللؤلؤة هان وجدها (خف حزنها)، رجاة الغنى (توقعاً للإثراء) فقد أضاءت اللؤلؤة

وظَلَّتْ تَغالاها التِّجَارُ، ولا تُرى لـهـا سِيـمَـةٌ إلَّا قـلـيـلاً كـثـيـرُهـا

وظل التجار يتغالونها (يزيدون في السعر)، ولا يرى القوم أي سيمة (تقدير سعر) إلا وهي قليلة عليها. انتهى التشبيه، فهذه الدرة كتلك المرأة. والتشبيه جاهلي تجد مثله عند المسيب بن علس وعند الأعشى

وكـانَ نُـفَـيْـعٌ إذْ هَـجـانـي لِأُمِّـهِ كِـبـاحـثـةٍ عـن مُـدْيَـةٍ تَـسـتـثـيـرُهـا

نافع هذا عندما هجاني كان ـ جانياً على أمه ـ كالعنز الباحثة عن المدية (السكين) تستثيرها (تنبشها) لكي تُذبَح بها، مع فارق أنه سيجني على أمه، لا على نفسه، لأنني سأهتك عرضها. . والقصة أن نفيع هذا هجا الفرزدق، فأسرعت أم نفيع واستجارت بقبر غالب أبي الفرزدق طالبة العفو. . .

عجوزٌ تُصلِّي الخَمْسَ عاذَتْ بِغَالِبٍ فـلا والـذي عـاذَتْ بـه لا أَضـيـرُهـا

هي عجوز تؤدي الصلوات الخمس، وقد عاذت (لجأت) بقبر غالب، فلا وحق غالب لا أضيرها (أؤذيها)

فإنِّي ـ على إشْفاقِها مِن مَخافَتي وإن عَـقَّـهـا بـي نـافِـعٌ ـ لَـمُـجـيـرُهـا

سأجيرها من لساني، لأنها أشفقت على عرضها خوفاً مني، حتى وإن عقها ولدها نافع

إذا اجتمعَ الآفاقُ مِن كلِّ جانبٍ إلى مَنْسِكٍ، كانتْ إلـيْـنا أمورُها

إذا اجتمع الآفاق (الناس من كل مكان) لتأدية منسك من المناسك، فنحن القادة الذين نتولى أمر الناس جميعاً

رمى الناسُ عن قوسٍ تميماً، فما أَرى مُعاداةَ مَنْ عادَى تـمـيـماً تَضـيـرُهـا

رمى الناس جميعاً ومرة واحدة، كأنما بقوس واحدة، قبيلةَ تميم، ولكنني لا أرى هذه العداوة تؤثر في تميم

لَعمري لقد لاقتْ مِنَ الشَّرِّ جعفرٌ بِطِـخْـفَـةَ أيامـاً طـويـلاً قـصـيـرُهـا

قبيلة جعفر لقيت في معركة طخفة، أياماً صعبة طويلة بمآسيها رغم قصرها

وقـد عـلـمـتْ أفـنـاءُ جـعـفـرَ أنـه يَقِي جعفراً وقعَ العَوالِي ظُهورُها

وقد علمت أفناء جعفر (جيرانهم) أن قبيلة جعفر يتقون وقع العوالي (الرماح) بظهورهم، أي أنهم سريعون إلى الفرار فنُصيبهم في ظهورهم لا في صدورهم

٥٠ نهوض الشيب

إنّ الـمَـلامَـةَ مـثـلَ مـا بَـكَـرَتْ بـه مِـنْ تـحـتِ لـيـلـتِـهـا عـلـيـكَ نَـوارُ

اللوم المؤلم هو مثل الذي صبحتك به زوجتك نوار

وتقولُ كيف يميلُ مِثلُكَ للصِّبَا وعليكَ مِن سِمَةِ الحليمِ عِذَارُ

تقول نوار: كيف يميل مثلك للصبا (اللهو)، وعليك من سمة الحليم (هيئة العاقل) عذار (العذار السالف، يقصد سالفاً وَخَطَه الشيب)

والشَّيب يَنهَضُ في الشبابِ كأنَّه لـيـلٌ يَـصـيـحُ بِـجـانـبـيْـهِ نَـهـارُ

الشيب في سالفيك، فكأن وسط رأسك بشعره الأسود ليل، وقد صاح بجانبيه النهار المتمثل في الشيب. النهار لا يصيح طبعاً، ولكن الديك يصيح، فاعلم ذلك. قد طرب القدماء كثيراً لهذا البيت، ولعمري إن المرء ليحس بقعقعة طيبة من كلماته، وإن احتاج إلى ما يحتاج إليه كثير من شعر الفرزدق من التأويل، فالشيب ليس «كأنه ليل» بل الشعر الأسود هو الليل.. في كثير من أبيات الفرزدق عليك أن تفهم المعنى الإجمالي، ثم تبلع ريقك وتهز رأسك

إنَّ الـشـبـابَ لَـرَابِـحٌ مَـنْ بـاعَـهُ، والـشَّـيـبُ لـيـس لِـبـائِـعـيـهِ تِـجَـارُ

الشباب تجارة رابحة على النساء، والشيب ليس لبائعيه تِجار (تُجَّار) يشترونه منهم

يا ابْنَ المَراغَةِ أنتَ ألْأَمُ مَنْ مَشَى وأَذَلُّ مَـنْ لِـبَـنـانِـهِ أَظْـفَـارُ

يا جرير أنت ألأم من مشى فوق الأرض، وألأم من لبنانه (أطراف أصابعه) أظفار، أي أنت ألأم الناس

وإذا ذَكَـرتَ أبـاكَ أو أيَّـامَـهُ أَخـزاكَ حـيـث تُـقَـبَّـلُ الأحـجَـارُ

إذا ذكرتَ أباك عطية أو أيامه (مواقفه) لحق بك الخزي في مكة، حيث يقبل الناس الحجر الأسود. وكانوا في القديم يحتكمون إلى أقوام بمكة في المفاخرة بالأنساب

وإذا نـظـرتَ رأيـتَ فـوقَـكَ دارِمَـاً فـي الـجَـوِّ حيث تُـقَـطَّـعُ الأبـصـارُ

قبيلتي، دارم، فوقك عالية في الجو في مكان ينقطع فيه البصر ويعجز عن الرؤية لعلوها

إن الـزيـارةَ فـي الـحـيـاةِ، ولا أرى مَـيْـتـاً إذا دخـلَ الـقـبـورَ يُـزَارُ

أنت تزور قبر زوجتك.. فأي زيارة هذه لميت في قبره؟

ورَثَيْـتَـهـا وفـضَـحْـتَـهـا فـي قـبـرِهـا مـا مـثـلَ ذلـكَ تـفـعـلُ الأبـرارُ

ورثيت زوجتك ففضحتها، وليس هذا من فعل أهل الخير

٥١ وصية الأخطل

وزارَ الـقـبـورَ أبـو مَـالِـكٍ بِـرَغْـمِ الـعُـدَاةِ وأَوْتـارِهـا

مات أبو مالك (الأخطل) ميتة طبيعية، رغم أعدائه الذين توعدوه بالقتل، ورغم أوتارهم (ثاراتهم)

وأَوْصَى الفرزدَقَ عند المَماتِ بِـأُمِّ جـريـرٍ وأعـيـارِهـا

وأوصاني عند موته بالاستمرار في هجاء أم جرير وأعيارها (حميرها، يقصد أبناءها)

٥٢ أكل الخبيص

يهجو عمر بن هبيرة:

أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ وأنـتَ والٍ شفيقٌ، لستَ بِالوالي الحريصِ..

يا أمير المؤمنين، وأنت وال (تتولى الأمور) شفيق (راحم) ولست حريصاً (بخيلاً)..

أَأَطـعَـمْـتَ الـعـراقَ ورافِـدَيْـه فَـزَارِيًّـاً أَحَـذَّ يَـدِ الـقـمـيـصِ

أأطعمت خراج العراق ونهريه رجلاً فزارياً أحذَّ يد القميص (مقصوص كم القميص، لعله عنى أن ابن هبيرة مشمر لسرقة ما يجنيه من أموال بالعراق)

ولـم يَـكُ قبلَـهـا رَاعـي مَـخَـاضٍ لِـيَـأْمَـنَـهُ عـلـى وَرِكَـيْ قَـمِـيـصِ

ولم يكن أي راعي مخاض (راعي إبل) يأمن ابن هبيرة على وركي قميص (دابة)؛ لعل المعنى أن الراعي لم يكن يحس بالأمان إذا رأى ابن هبيرة متوركاً قميصاً (راكباً على وركي دابته)

تَـفَـيْـهَـقَ بـالـعـراقِ أبـو الـمُـثَـنَّـى وعَـلَّـمَ قـومَـه أكـلَ الـخَـبـيـصِ

تفيهق (تحذلقَ، وتشدق، ووسَّع فمه بالكلام) أبو المثنى (كنية المخنث) عندما تولى أمر العراق، وعلم قومه البدو أكل الخبيص (التمر المعجون بالسمن)

٥٣ عيون المها

مَـنَـعَ الحياةَ مِنَ الرجالِ وطيبَها حَـدَقٌ تُـقَـلِّـبُـهـا الـنـسـاءُ مِـرَاضُ

قصة الأبيات: كان الفرزدق في دكان سراج، يبيع سروج الخيل، فمرت حسناء، فخرج وتبعها بنظره، وهو ينقدُّ حسرة، وقال: إن ما يمنع الرجال من الاستمتاع بالحياة وطيبها شدة التعلق بالنساء ذوات الحدق (العيون) المراض (المسترخية). ومن بعض دلال المرأة أن تفتح عينيها نصف فتح، ليس خجلاً بل إغواء.. هذا كان كثيراً عند العرب، وهو كثير الآن عند العرب، ولكنه ليس خلقةً في المرأة

فَـكَـأَنَّ أَفـئـدةَ الـرجـالِ إذا رأَوْا حَـدَقَ الـنـسـاءِ لِـنَـبْـلِـهـا أَغْـراضُ

كأن قلوب الرجال أغراض (أهداف) لنبل عيون النساء (سهامها)

خَرَجَتْ إليكَ، ولم تكنْ خَرَّاجَةً   فأُصيبَ صَدْعُ فؤادِكَ المُنْهَاضُ

خرجت المرأة إلى السوق، وليست من أولئك النسوة الكثيرات الخروج، فأصابت صدع (شطر) قلبك المنهاض (المكسور). والمنهاض تصف الصدع. . كذا

٥٤ خاضب ساخط

خَضَبْتُ بِجَيِّدِ الحِنَّاءِ رأسِي   لِيُعْقِبَ حُمْرَةً بعدَ البَياضِ

خضبت (صبغت) بنوع جيد من الحناء رأسي، ليعقب (ليسبب) احمراراً بعد أن كان أبيض بالشيب

هُما لَوْنانِ مِنْ هذا وهذا   كلا اللَّوْنينِ لستُ له بِراضِ

هذان لونان، الشيب والحمرة، ولست راضياً أياً منهما

٥٥ حتى لا يجوع الذئب

تلومُ على أنْ صَبَّحَ الذئبُ ضَأْنَها   فَأَلْوى بِحُبْشٍ وَهْوَ في الرَّعْيِ رَاتِعُ

تلومني أمي ـ وقيل: هذا الشعر من أول ما قال الفرزدق ـ لأن الذئب أغار على ضأنها (خرافها) صباحاً، فألوى (ذهب) بحبش (اسم ذلك الخروف) وهو راتع (آكل لاعب) يرعى

وقَدْ مَرَّ حَوْلٌ بعدَ حَوْلٍ وأَشْهُرٌ   عليهِ بِبُؤْسٍ، وَهْوَ ظَمْآنُ جائعُ

كان مر على الذئب حول بعد حول (عام بعد عام) وهو جائع

فلَمَّا رأى الإِقْدامَ حزماً، وأنَّه   أخو الموتِ مَنْ سُدَّتْ عليه المَطالِعُ..

فلما رأى الإقدام (الهجوم) حزماً (قراراً صائباً) وأن أخو الموت (من سيموت) هو الذي سدت في وجهه المطالع (الطرق). .

.. أغارَ على خوفٍ، وصَادفَ غِرَّةً   فلاقَى التي كانتْ عليها المَطامِعُ

عنئذ أغار على الماشية وهو خائف، وصادف غرة (فرصة) فلقي ما كان يطمع فيه

وما كنتُ مِضياعاً، ولكنَّ هِمَّتي   سوى الرعيِ مفطوماً، وإذْ أنا يافِعُ

وأنا لست مضياعاً (مهملاً مضيعاً للمال) لكن همتي (طموحي) ليست في رعي الماشية منذ أن فطمت، وحتى شبت

٥٦ تعريف

إذا بَاهِلِيٌّ تحتَه حَنْظَلِيَّةٌ   لهُ ولدٌ منها، فَذاكَ المُذَرَّعُ

الباهلي الذي يتزوج حنظلية، وينجب منها، فولده هو المذرع (الذي أمه أشرف نسباً من أبيه)، أي أن قبيلة باهلة أدنى نسباً من حنظلة

٥٧ أولئك آبائي

وَمِنَّا الذي أَحيَا الوَئِيدَ، وغَالِبٌ ... وعمروٌ ومِنَّا حاجِبٌ والأَقَارِعُ

من قبيلتنا، دارم، صعصعة الذي أحيا الموؤودات، ومنا غالب وعمرو، إلخ

أولئِكَ آبائي، فجِئْني بمِثْلِهِمْ ... إذا جمعَتْنا يا جريرُ المَجامِعُ

هؤلاء آبائي (أجدادي) فهات مثلهم يا جرير عندما نتفاخر في المحافل

فيا عَجبي حتى كُلَيْبٌ تَسُبُّني، ... كأنَّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجَاشِعُ

وكليب قبيلة جرير، ونهشل ومجاشع من أجداد الفرزدق. وقيمة هذه الأبيات الثلاثة أنها منسابة انسياباً، فلو نثرتها ما كان لك إلا أن تؤديها بلفظها

فإنَّكَ إلَّا ما اعتَصَمْتَ بِنَهْشَلٍ ... لَمُسْتَضْعَفٌ يا ابنَ المَراغَةِ ضَائِعُ

وأنت يا جرير ـ وجرير من تميم كالفرزدق، ولكنه من فرع كليب ـ إن لم تعتصم (تحْتمِ) بفرع نهشل ـ ستظل مستضعفاً ضائعاً

إذا أنتَ يا ابْنَ الكلبِ أَلْقَتْكَ نهشلٌ، ... ولم تَكُ في حِلْفٍ، فَمَا أنتَ صانِعُ

إذا تخلت عنك نهشل (نهشل جد للفرزدق ونهشل هي العشيرة المكونة من أبنائه وأحفاده)، ولم تجد من تتحالف معه، فما الذي تصنعه؟

تَنَحَّ عن البَطْحاءِ، إن قَديمَها ... لنا، والجبالُ الباذِخاتُ الفَوارِعُ

تنح عن البطحاء (أواسط البلد، وهي مكان الأشراف، ومن ذلك بطحاء مكة)، فلنا فيها الأقدمية، ولنا الجبال الباذخات (العاليات) الفوارع (العاليات)

أخذْنا بآفاقِ السماءِ عليْكُمُ ... لنا قمراها والنجومُ الطَّوالِعُ

سددنا عليكم الآفاق بحضورنا وشهرتنا، ولنا قمراها (الشمس والقمر) والنجوم الطالعة

أَتعدِلُ أحساباً لئاماً أدِقَّةً ... بِأحسابِنا؟ إنِّي إلى اللَّهِ راجِعُ

أتسوي بين أحساب (أفعال) لئيمة دقيقة (نحيلة) بأحسابنا؟ إنا لله وإنا إليه راجعون!

وكنَّا إذا الجبارُ صَعَّرَ خدَّهُ ... ضربناه حتى تستقيمَ الأَخادِعُ

كنا إذا صعر (أمال) الجبار خده تكبراً، ضربناه حتى تعتدل الأخادع (عروق الرقبة) أي حتى يعتدل رأسه ويكف عن كبره

إذا قيلَ أيُّ الناسِ شَرٌّ قبيلةً ... أشارتْ: كُلَيْبٌ، بِالأَكُفِّ الأَصابعُ

إذا سئل عن أسوأ قبيلة أشارت أصابع أكف الناس إلى كليب (التقدير عند من رفع كليباً «أشارت الأصابع، هي كليبٌ»، ومن نصب كليباً فعلى نزع الخافض، ومن جرها فبحرف جر محذوف تقديره إلى)

٥٨ أهون مفقود

يَقولونُ زُرْ حَدْرَاءَ والتُّرْبُ دونَها   وكيف بشيءٍ وصلُهُ قد تقَطَّعا

يقولون لي زر قبر زوجتك حدراء، فكيف أزورها والتراب دونها (عليها)، وقد انقطع الوصل بيني وبينها؟

ولستُ وإنْ عَزَّتْ عليَّ بِزائرٍ   تُراباً على مَرْسُومَةٍ قد تَضَعْضَعَا

ولست ـ وإن كانت عزيزة علي ـ زائراً تراباً على مرسومة (مدفونة) قد تضعضع (هبط)

وأَهْوَنُ مفقودٍ إذا الموتُ نالَه   عَلى المرءِ مِنْ أَصحابِهِ مَنْ تَقَنَّعا

أهون مفقود (الأقل قيمة بين المفقودين) عند الموت من تقنع (من تنقب، أي المرأة)

يقولُ ابنُ خِنزيرٍ بَكيتَ. ولم تَكُنْ   على امرأةٍ عيني إِخالُ لِتَدْمَعا

يقول جرير إنني بكيت، ولكنني لا إخال (أظن) عيني ستبكي على امرأة أبداً

٥٩ منعوني من زياد

يمدح يزيد بن عبد الملك:

ولا جارَ بعدَ اللَّهِ خَيرٌ مِنَ الذي   وضَعْتُ إلى أبوابه رَحْلَ خائفِ

لا جار (مجير) لي بعد الله أفضل ممن وضعت رحْلي (سرجي ومتاعي) عن جملي ببابه وإنه رحل رجل خائف

فلا بَأسَ إنِّي قد أخذْتُ بِعُرْوَةٍ   هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقى لِخَيرِ الخَلائِفِ

لا بأس عليَّ وقد استمسكت بعروة (التزمت) هي العروة الوثقى (المأمونة) لخير خليفة

أَبُوهُ أبو العَاصِي وحَرْبٌ تَلاقيا   إليه بِمَجْدِ الأَكْرَمِينَ الغَطَارِفِ

أبوه (يعني جده) أبو العاصي وحرب (وهما جَدًّا الفرعين المرواني والسفياني من بني أمية) وقد جمعا له مجد الكرام الغطارف (السادة)

هُمُ مَنعوني مِنْ زِيادٍ وغَيْرِهِ   بِأيْدٍ طِوَالٍ أَمَّنَتْ كلَّ خَائفِ

بنو أمية منعوني (حموْني) من زياد بن أبيه والي العراق، ومن غيره، بأيد طوال (بقدرة وقوة) أَمَّنَتْ كل خائف

٦٠ عزفت بأعشاش

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وما كِدْتَ تَعزِفُ   وأَنْكَرْتَ مِن حَدراءَ ما كنتَ تعرِفُ

المعنى الملموح: عزفت (انصرفت) عن هذا المكان «أعشاش»، وما انصرف فؤادك عنه كل الانصراف، غير أنك فوجئت بما بدا من الحبيبة «حدراء» فأنكرت ذلك

وَلَجَّ بِكَ الهِجرانُ حتى كأنّما ترى الموتَ في البيتِ الذي كنتَ تألَفُ

لج (استمر) بك هجرانها حتى لقد صرت ترى الموت في بيتها الذي طالما ألفته

إذا انتبَهَتْ حَذْراءُ مِن نَومَةِ الضُّحى دَعَتْ، وعَليها دِرْعُ خَزٍّ ومِطْرَفُ..

إذا استيقظت «حدراء» من نومة الضحى - وهي نومة البنت المترفة التي لا شغل لديها - دعت (طلبت) وهي تلبس درع خز (قميصاً داخلياً من الحرير) ومطرف (رداء خفيفاً)..

بِأخْضَرَ مِنْ نَعمانَ، ثم جَلَتْ به عِذَابَ الثَّنايا، طَيِّباً حينَ يُرْشَفُ

طلبت عود سواك أخضر مما ينبت في وادي «نعمان»، ثم استاكت به وجلت ثناياها (أسنانها) العذبة التي يطيب للمرء ارتشافها

فكيف بِمَحْبوسٍ دَعاني ودُونَه دُرُوبٌ وأبوابٌ وقصرٌ مُشَرَّفُ

فهذه الآن قصة امرأة محبوسة دعتني، ودونها (يحول دون الوصول إليها) دروب وأبواب وقصر مشرف (عال)

وصُهْبٌ لِحَاهُمْ رَاكِزُونَ رِمَاحَهُمْ لَهُمْ دَرَقٌ دونَ العَوَالي مُصَفَّفُ

ويحميها أيضاً حراس ذوو لحى صهباء (شقراء) يركزون رماحهم، وتحت العوالي (الرماح) درق (تروس) مصفوفة

يُبَلِّغُنا عنها بِغيرِ كلامِها إلينا مِنَ القصرِ البَنَانُ المُطَرَّفُ

تبلغنا بما تريد ولكن دون أن تتكلم، فالذي يبلغنا هو إشارتها بالبنان المطرف (أطراف أصابعها المصبوغة بالحناء)، فكأنها كانت تشير إليه أن تعال..

دَعوتُ الذي سوَّى السمواتِ أيْدُهُ، ولَلَّهُ أَدْنَى مِنْ وَرِيدِي وأَلْطَفُ

دعوت الله الذي سوى السموات أيده (قدرته)، والله أقرب إلى المرء من حبل الوريد، وهو يسمع الدعاء..

لِيَشْغَلَ عنّي بعلَها بِزَمَانَةٍ تُدَلِّهُهُ عني وعنها فَنُسْعَفُ

دعوته أن يشغل عني زوجها بمرض مزمن، يدلهه (يذهب بعقله) عني وعنها، فهذا ما سوف يسعفنا

فأرسَلَ في عيْنيهِ ماءً عَلاهُما، وقد عَلِمُوا أَنِّي أَطَبُّ وأَعْرَفُ

فأرسل الله في عينيه ماء، فعمي، وقد علم القوم أنني خبير بالطب

فَداويْتُه عامَيْنِ وَهْيَ قريبةٌ أراها فتَدنُو لي مِراراً فَأَرْشُفُ

ولبثت أطببه عامين وهي بجانبي تدنو مني فأقبّلها وأرشف ريقها

فَيَا لَيتَنَا كُنَّا بَعيرَيْنِ لا نَرِدْ عَلى مَنْهَلٍ إلّا نُشَلُّ ونُقْذَفُ

ليتنا كنا بعيرين، ولا نردُ منهلاً (حوض ماء) إلا نشلُّ (نطرد) ونقذف بالحجارة. ليس بعيداً أن يكون الفرزدق سرق المعنى من كثير عزة، فالفرزدق قال قصيدته هذه وهو في المدينة، وفي المدينة عاش كثير عزة طويلاً، وكان معاصراً للفرزدق. غير أن الشاعرين مشهوران بالاصطراف أي سرقة الأبيات كاملة

كِلانا بِها عَرٌّ يُخافُ قِرَافُه على الناسِ مَطْلِيُّ المَسَاعِرِ أَخْشَفُ

وكلانا مصاب بالعر (الجرب)، ويخاف الناس قرافه (مخالطته)، ومطلي المساعر (الأفخاذ) أخشف (يابس الجلد)، فهذا يجعلنا نتفرد وحدنا ولا يقربنا أو يفرق بيننا أحد

إليكَ أميرَ المؤمنينَ رَمَتْ بِنا هُمومُ المُنَى، والهَوْجَلُ المُتَعَسَّفُ

إليك يا أمير المؤمنين رمتنا الهموم والأمنيات بالحصول على المال، ورمانا أيضاً الهوجل (الصحراء) المتعسف (الذي يسير فيه المرء فيضل طريقه)

وعَضَّ زَمانٌ يا ابْنَ مَروانَ لم يَدَعْ مِنَ المَالِ إلّا مُسْحَتاً أو مُجَرَّفُ

عضنا الزمان (أنهكنا القحط) يا ابن مروان (عبد الملك بن مروان) ولم يدع لنا من المال (الماشية) إلا المسحَت (ما يأتي بطريق السرقة) أو المجرف (الأعجف المهزول). وحق «مجرف» النصب، وللبيت مع النحاة قصة طويلة

وقد عَلِمَ الجيرانُ أنَّ قُدُورَنا ضَوَامِنُ للأرْزاقِ والرِّيحُ زَفْزَفُ

وقد علم الجيران (من ينزلون بنا ضيوفاً أو مستجيرين) أن قدورنا تضمن لهم الرزق (الطعام) عندما تكون الريح زفزفاً (عاصفة)

تُفَرَّغُ في شِيزَى كَأَنَّ جِفَانَها حِياضُ جِبىً منها مِلاءٌ ونُصَّفُ

تفرغ القدور في شيزى (قصاع كبيرة من خشب الشيز) كأن جفانها (الكبيرة منها) حياض جبى (أحواض جمع الماء) بعضها ملآن وبعضه بلغ الطعام منتصفه.. لو كان جعلها كلها ملأى! لكن هي القافية

تَرى حَوْلَهُنَّ المُعْتَفينَ كأنَّهُمْ على صَنَمٍ في الجاهِلِيَّةِ عُكَّفُ

ترى حول القصاع المعتفين (الفقراء) كأنهم عاكفون بصمت على صنم في الجاهلية، والجائع الآكل صامت منشغل بما هو خير من الكلام

قُعُوداً وخلفَ القاعدينَ سُطُورُهُمْ جُنُوحٌ، وأَيْدِيهِمْ جُمُوسٌ ونُطَّفُ

قاعدون في صفوف وهم جنوح (مائلون بأيديهم لتصل إلى القصاع) والأيدي جُموس (جامد عليها الدهن) ونُطّف (يسيل منها السمن والدهن)

ومَا قامَ مِنَّا قائِمٌ في نَدِيِّنا فيَنْطِقَ إلّا بالتي هِيَ أَعْرَفُ

لا يقوم أحد من رجالنا في النديّ (المجلس) ليخطب إلا نطق بمعروف وحكمة

وكُنَّا إذا نـامَتْ كُـلَيْبٌ عـن الـقِـرى   إلى الضيفِ نَمشي بالعَبيطِ ونَلْحَفُ

إذا نامت قبيلة كليب عن القرى (أهملت إطعام الضيف) مشينا إلى الضيف بالعبيط (اللحم) وباللحاف كي يتغطى من البرد

وَجَدْنا أعزَّ الناسِ أكثرَهُمْ حَصَىً   وأكـرَمَـهُـم مَـنْ بـالـمَـكـارِمِ يُـعـرَفُ

أعز الناس (أكثرهم عزاً وقوة) أكثرهم حصى (عدداً)، وأكرمهم من له في المكارم صيت

وبِاللَّه لـولا أن تـقـولـوا تـكـاثَـرَتْ   علينا تميمٌ ظَالمينَ، وأَسرَفُوا..

ولولا أن يقول الناس إن قبيلة تميم اجتمعت ضدهم ظالمة وأسرفت..

لَـمَـا تُـركَـتْ كـفٌّ تُـشـيـرُ بِإِصْبَـعٍ   ولا تُرِكَتْ عينٌ على الأرضِ تَطْرِفُ

.. لما كنا تركنا كفاً تشير بإصبع ولا عين تطرف (ترمش)، أي أننا قادرون على قتل الناس جميعاً لولا أننا نخشى الملامة

لـنـا الـعِـزَّةُ الـعَـلـيـاءُ والـعَـدَدُ الـذي   عـلـيـهِ إذا عُـدَّ الـحَـصَـى يَـتَـخَـلَّـفُ

لنا العزة (القوة) وعدد الرجال الذي يزيد عن عدد الحصى

ولا عِـزَّ إلَّا عِـزُّنـا قـاهـرٌ لـه   ويَسأَلُنا النِّصْفَ الذَّليلُ فَنُنْصِفُ

نقهر كل قوة، وإن طلب المقهور الذليل أن ننصفه أنصفناه

إذا هبطَ الناسُ المُحَصَّبَ مِنْ مِنَىً   عَشِيَّةَ يومِ النَّحْرِ مِنْ حيثُ عَرَّفُوا..

إذا جاء الناس أماكن الحج في مكة عشية يوم نحر الهديّ بعد أن يقفوا بعرفات..

تَرى الناسَ ما سِرْنا يَسيرونُ خلْفَنا   وإن نحنُ أَوْمَأْنا إلى الناسِ وَقَّفُوا

ترى الناس يسيرون خلفنا فإن أشرنا إليهم بالوقوف وقفوا

فـإِنَّـكَ إذ تَـسـعَـى لِـتُـدْرِكَ دارِمـاً   لأَنـتَ الـمُـعَـنَّـى يا جريرُ الـمُـكَـلَّـفُ

إذ تسعى يا جرير لتدرك أمجاد قبيلة دارم فإنك المعنى (المتعَب) الذي كلف نفسه فوق طاقته

٦١ ثمانون لحية

ونحن أَزَحْنا عن «خُوَيْلَةِ جَحْدَرٍ»   شَجَاً كان منها في مكانِ المُخَنَّقِ

أزحنا عن هذه المرأة شجاً (شوكةً) كانت في مكان المخنق منها (الحلق)

وكـانـتْ إذا ابْـنَـا مِـسْـمَـعٍ ذُكِـرا لـهـا   جَـرَتْ دُفَـعٌ مِـن دمـعِـهـا الـمُـتَـرَقْـرِقِ

فقد كانت إذا ذكر أمامها ابنا مسمع بكت وجرى دمعها متدفقاً

فَساغَ لها بَرْدُ الشرابِ، ولم يكنْ   يَسوغُ لها في صدرِها المُتَحَرِّقِ

فبعدما صنعنا لها ما صنعنا ساغ (طاب) لها الماء، وما كان يطيب لها لما في صدرها من لهيب

أَتَتْها، ولا تَمشي، ثمانونَ لِحْيَةً   جَماجِمُها مِنْ مُختَلَىً ومُفَلَّقِ

أتتها ـ دون أن تمشي ـ ثمانون لحية (ثمانون رأساً مقطوعاً)، والجماجم بين مختلى (مقطوع من العنق) ومفلق (مفلوق من أعلاه). فنحن انتقمنا لها وقتلنا كل هؤلاء

وذاتِ حَليلٍ أَنْكَحَتْنا رماحُنا   حَلالاً لِمَنْ يَبْني بها لم تُطَلَّقِ

ورب امرأة ذات حليل (زوج) زوجتْنا بها رماحنا، إذ أخذناها سبية في الحرب، وهي حلال لمن يبني بها (يتزوجها الذي سباها أو كانت من نصيبه) دون أن يطلقها زوجها

وكانتْ أَثافي قِدْرِنا رأسَ بَعْلِها   وعَمَّيْه، في أَيْدٍ سَقَطْنَ وأَسْوُقِ

وقبل أن نسبيها كنا قتلنا زوجها وعمَّين من أعمامه وجعلنا رؤوسهم أثافي (حجارة القدر)، هذا إضافة إلى أيدٍ وسيقان مقطوعة

٦٢ الفرزدق في يوم القيامة

إذا جاءني يومَ القيامةِ قائدٌ   عنيفٌ، وسَوّاقٌ يسوقُ الفَرَزْدَقا

الفرق بين القائد والسائق أن القائد يقود المرء وهو ماش أمامه، والسائق يسوقه وهو خلفه، ولأن الفرزدق لم يشهد يوم القيامة بعد فهو يضع الاحتمالين

أخافُ وراءَ القبرِ إن لم يُعافِني   أَشَدَّ مِنَ القبرِ التِهاباً وأَضْيَقا

أخاف بعد أن أصير إلى القبر ـ إن لم يعفُ الله عني ـ عذاباً هو أشد من ضيق القبر

إذا شَرِبُوا فيها الصَّديدَ رأَيْتَهُمْ   يذوبونَ مِنْ حَرِّ الصَّديدِ تَمَزُّقا

في الجحيم يشربون الصديد (القيح) وتذوب أجسامهم من حرارته وتتمزق

٦٣ الباهلي والباهلية

مَا البَاهِلِيُّ بِصادِقٍ لكَ وعدَه   ومتى تَعِدْكَ الباهِلِيَّةُ تَصْدُقِ

لا يفي الباهلي بوعده، ولكن الباهلية تفي، أي أنها غير عفيفة

٦٤ منتهى الخوف

إذا ذَكَرَتْ نَفسي زِياداً تَكَمَّشَتْ   مِنَ الخوفِ أحشائي، وشابَتْ مَفَارِقي

إذا مر ببالي زياد بن أبيه، وكان يطلب الفرزدق كي يعاقبه، فإن أمعائي تتكمش (تنقبض) ويشيب رأسي خوفاً

٦٥ عمائم البطارق

قال في الزعل بن عروة الجرمي:

حَباكَ بِوُدِّي يا ابْنَ عُرْوَةَ قَاسِمُ الـ ـحُظُوظِ وربٌّ عالِمٌ بالخلائقِ

حباك بودي (منحك محبتي) قاسم الحظوظ، وهو الرب الذي يعرف أخلاق الناس

حَبَوْتُ بها الجَرْمِيَّ، إني وجدْتُه مِنَ الأُسرةِ الحَامِينَ عند الحَقائقِ

حبوت بهذه القصيدة الجرمي فقد وجدته من أسرة تحمي وتدافع عند الحقائق (مواقف الحفاظ على الشرف)

على عهدِ ذي القرنينِ كانت سُيوفُهُمْ عَمَائِمَ هاماتِ المُلوكِ البَطارِقِ

هم شجعان. ومن عهد ذي القرنين (الإسكندر) وسيوفهم تضرب هامات (رؤوس) الملوك البطارق (رؤساء الروم)، فكأن السيوف عمائم لتلك الرؤوس

٦٦ إقرار بالفضل

يمدح أسد بن عبد الله:

ولا فضلَ - إلَّا فَضْلُ أُمٍّ على ابْنِها - كفضلِ أَبي الأشبالِ عند الفرزدقِ

فضل أبي الأشبال (لقب الممدوح) على الفرزدق أعظم فضل ولا أستثني سوى فضل الأم على ابنها

تَداركَني مِنْ هُوَّةٍ كان قَعْرُها ثَمانينَ باعاً للطَّويلِ العَشَنَّقِ

تداركني (أنقذني) من هوة (حفرة، أو هاوية) عمقها ثمانون باعاً من أبواع رجل عشنق (طويل).. والباع مقدار ما بين أصابع اليدين مع مد الذراعين على الجانبين، وباع الرجل الطويل أكبر من باع القصير

٦٧ استحالة الاستبالة

فإن امْرَأً يَسْعى يُخَبِّبُ زَوجَتي كَساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرى يَسْتَبِيلُها

كانت زوجة الفرزدق «النوار» ناشزاً، تطالبه بالطلاق باستمرار، وهو يتوهم أن الناس يحرضونها عليه. يقول: إن من يخبب زوجتي (يحرضها) إنما هو كالساعي إلى الأسود في مربضها بمنطقة الشرى يريد أن يستبيلها (يأخذ بولها). كانت العرب تسعى للإبل تأخذ بولها للتداوي به، ولم يكن سهلاً استبالة البعير، فهو ينفر ممن يحمل علبة يريد أن يجمع بها بوله أو هو يمتنع عن التبول، فما بالك بمن يريد أخذ بول الأسد؟

٦٨ موت الموت

قال يرثي أباه غالباً:

وقد خَمَدَتْ نارُ النَّدى بعد غالبٍ   وقَصَّرَ عن معروفِه كلُّ فاعلِ

بعد غالب خمدت النار التي يوقدونها ليراها الأضياف، والندى هو السخاء، وقصر الناس في المعروف

فَلَيْتَ المَنايا كُنَّ مُوِّتْنَ قبلَه   وعاشَ ابنُ ليلى للنَّدى والأرامِلِ

ليت الموت كان مات قبل ابن ليلى (غالب)، وليت غالباً عاش للندى (للسخاء)، ونجدة الأرامل

٦٩ بنت العز

لا توقِدُ النارَ إلّا أن تُثَقِّبَها   بِالعُودِ في مِفْضَلِ الخَزِّيَّةِ الغَالي

هذه الفتاة لا توقد النار للطبخ أو الاصطلاء، فهي ابنة عز، إنما تثقب النار (توقدها) بعود البخور كي تتطيب، وتكون لابسة مفضلاً (قميص نوم) من الخز (الحرير) الغالي

والطِّيبُ يَزْدَادُ طِيباً أن يكونَ بها،   وإنْ تَدَعْهُ تَدَعْهُ غيرَ مِتْفَالِ

الطيب يزيد طيباً على جسمها، وإن تترك التطيب فهي تتركه ولا تكون متفالاً (رديئة الرائحة)

٧٠ قلنا وقال

يمدح سعيد بن العاص الأموي:

أَرِقْتُ فلم أَنَمْ ليلاً طويلاً   أُراقبُ هل أرى النَّسْرَينِ زالا

أرقتُ وظللت أراقب اختفاء النسرين (وهما نجمان) بحلول الصباح

وكان قِرى الهُموم إذا اعْتَرَتْني   زَماعاً لا أُريدُ به بِدَالا

وعندما تعتريني الهموم فإنني أقدم لها من القرى (طعام الضيف) الزماع (العزم) الذي لا أريد التخلي عنه. فهو إذا استضاف الهموم واجهها بعزيمته، ولم يضعف أمامها

فَرَوَّحْتُ القَلُوصَ إلى سعيدٍ   إذا ما الشَّاةُ في الأَرْطَاةِ قَالا

روحت القلوص (مضيت بالناقة) إلى سعيد بن العاص، في وقت الظهيرة عندما يقيل (يغفو غفوة الظهيرة) الشاة (الثور الوحشي) في الأرطاة (بين أشجار الأرطى)

إليكَ فَرَرْتُ منكَ ومِنْ زيادٍ   ولم أَحْسَبْ دمي لكُما حَلالا

فررت إليك يا سعيد هارباً منك ومن زياد، ودمي ليس حلالاً لكما. وكان الفرزدق يتهاجى مع الشعراء ومنهم من كان من مداحي زياد بن أبيه، فطلبه زياد فهرب من العراق إلى المدينة المنورة ملتجئاً إلى واليها سعيد بن العاص، وكان خائفاً من أن يعاقبه سعيد، لكنه حماه

وَلٰكِنِّي هَجَوْتُ، وقد هَجَتْني مَعاشِرُ قد رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالا

هجوت وهُجيت، ورضخت (شججت) رؤوس الشعراء، وصببت لهم سجالاً (دِلاءً) من الهجاء على رؤوسهم.. هكذا أراد الفرزدق أن يقول، وضاق عن قوله البيت

فإنْ يَكُنِ الهِجَاءُ أَحَلَّ قتلي فقد قُلْنا لِشاعِرِكُمْ وقَالا

علامَ يجعل الهجاءُ قتلي حلالاً؟ لقد هجونا وهجينا، وانتهى الأمر. وعلى قول الجاحظ في البخلاء: «فيكون كلام بكلام، فأما كلام بفعال... فهذا ليس من الإنصاف، وهذا يخرج علينا فضلاً كبيراً»

تَرى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إذا ما الأمرُ في الحَدَثانِ عَالَا..

ترى الشم (رافعي الأنوف) الجحاجح (السادة) من قريش.. إذا عال الأمر (اشتد البلاء) في الحدثان (في الموقف العصيب)..

قِياماً ينظرونَ إلى سعيدٍ كأنَّهُمُ يَرَوْنَ به هِلالا

.. تراهم قياماً (واقفين) ينظرون إلى سعيد طالبين النجدة، كقوم واقفين ووجوههم نحو السماء يبحثون فيها عن هلال العيد

٧١ حمَّال اللؤم

يهجو جندل ابن الراعي النميري:

ألم أَرْمِ عنكُمْ، إذ عَجَزْتُمْ، عَدُوَّكُمْ بِجَنْدَلَتِي حتى تَكَسَّرَ بَازِلُهْ

ألم أرم عدوكم، دفاعاً عنكم عندما عجزتم، بجندلتي (بصخرتي) حتى تحطم بازله (سنه)؟.. أي أنني كسرت أسنان أعدائكم بقصائدي

إذا غَلَبَ اللؤْمُ امْرَأً أن يُطيقَهُ فإنَّ ابْنَ راعي الإبْلِ عنهُ لَحَامِلُهْ

إذا لم يستطع أحد أن يحمل اللؤم والخسة والدناءة، فلا مشكلة، فابن الشاعر «راعي الإبل النميري» يستطيع حمل كل هذا اللؤم

تُزايِلُ نفسُ العَامريِّ حياتَه فَيَبْلَى، ويَأْبَى لؤمُه لا يُزَايِلُهْ

يموت العامري ويبلى جسده في التراب، واللؤم لا يزايله (يتركه)

٧٢ إلى أبطال ذي قار

يمدح عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني:

فَلَسْتُ، وإنْ كانتْ ذُؤَابَةُ دَارِمٍ نَمَتْنِي إلى قُدْمُوسِ مَجْدٍ حُلاحِلِ..

لست - حتى وإن كانت ذؤابة قبيلة دارم (أعلاها، قمتها) قد نمتني (نسبتني) إلى قدموس مجد حلاحل (مجد قديم ضخم)

وإنْ حَلَّ بيتي مِنْ سَماءِ مُجَاشِعٍ بِمنزلَةٍ فاتَتْ يدَ المُتَناوِلِ..

وحتى إن حل بيتي في سماء قبيلة مجاشع، تلك المنزلة التي لا ينالها أحد..

بِناسٍ لِبَكْرٍ حُسْنَ صُنْعِ أخيهِمُ إليَّ لدى الخِذْلانِ مِنْ كُلِّ خَاذِلِ

مع كل ذلك فلست ناسياً معروف أخي بكر (ابن قبيلة بكر) إليَّ عندما خذلني الآخرون

كَفانا أُموراً لم يكنْ لِيُطيقَها مِنَ القومِ إلَّا كامِلٌ وابْنُ كامِلِ

كفانا هذا الرجل، عبد الله الشيباني، وشيبان من قبائل بكر، أموراً عظيمة لا يطيقها إلا الكامل من الرجال ابن الكامل

سَتأْتيكَ مني، إن بَقيتُ، قصائدٌ يُقَصِّرُ عن تَحبيرِها كلُّ قائلِ

سأمدحك، إن حييتُ، بقصائد يقصر عن تحبير وتدبيج وتنميق مثلها كل الشعراء

فَضَلْتُمْ بني شَيْبَانَ فَضْلاً وسُؤْدَداً كما فَضَلَتْ شيبانُ بَكْرَ بْنَ وَائلِ

أنتم خير بني شيبان فضلاً وسيادة، وشيبان خير قبائل بكر وائل

وقد فَضَلَتْ بَكْرٌ رَبيعَةَ كُلَّها بِفِعلِ العُلَى والمَكْرُماتِ الأوائلِ

وبكر خير قبائل ربيعة، لما لها من المكرمات الأوائل (المجد التالد القديم)

حَمَيْتُمْ مَعَدّاً يومَ كِسرى بْنِ هُرْمُزٍ بِضربَةِ فَصْلٍ قَوَّمَتْ كلَّ مَائلِ

حميتم يا شيبان كل قبائل معد (قبائل عرب الشمال جميعاً: مضر وربيعة) يوم تصديتم لكسرى بضربة فاصلة، قومت كل مائل (ردعت كل معتد)

غَلبْتُمْ بِذي قَارٍ، فمَا انْفَكَّ أَمْرُها إلى اليومِ أمرَ الخَاشِعِ المُتَضائلِ

كان ذلك يوم النصر على الفرس في ذي قار، وظل أمر الفرس حتى اليوم أمر الخاضع المتضائل (المنكمش)

فَسُمْتُمْ هَوانَ الذُّلِّ أَحْرارَ فَارِسٍ ولم تَخْفَ فيهِمْ غامِضَاتُ المَقاتِلِ

سمتم (ألحقتم) أحرار فارس الذل، ولم تغب عنكم مواضع المقتل منهم. و«الأحرار» لقب أطلقه العرب على الفرس، وسموهم أيضاً «الأبناء»، فقد كان في الجزيرة فرسٌ من أبناء الفرس الذين غزوا اليمن قبل الإسلام وكانت لهم مع الأحباش وقائع، وقد أسلم هؤلاء مع من أسلم باكراً بغير غزو فلم يكونوا موالي بل أحراراً

وهَابَكُمْ ذو الضِّغْنِ حينَ وَطِئْتُمُ رِقَابَ الأعادي وَطْأَةَ المُتَثاقِلِ

وهابكم ذو الضغن (الحاقد) عندما دستم رقاب الأعداء وثَقُلَتْ وطأتكم عليهم

٧٣ قامع الرشوة

إذا وَعَدَ الحجاجُ أو هَمَّ أَسْقَطَتْ مخافتُه ما في بطونِ الحَوامِلِ

إذا وعد (توعَّد، وهدد) الحجاج أو همَّ بالبطش، أسقطت مخافة بطشه ما في بطون الحوامل من أجنَّة

وكنَّا بِأرضٍ يا ابْنَ يُوسُفَ لم يَكُنْ يُبالِي بِها ما يَرْتَشِي كلُّ عامِلِ

كنا نعيش في أرض العراق، أيها الحجاج بن يوسف، ولم يكن العامل (الوالي) فيها يبالي بالأمانة، فتراه يرتشي بسهولة

يَرَوْنَ إذا الخَصْمانِ جَاءا إلَيْهِمُ أحقَّهُما بالحقِّ أَهْلَ الجَعَائِلِ

كان العمال يرون أن أحق الخصمين بأن يحكموا له من يقدم الجعائل (أموال الرشوة)، وجاء الحجاج فأنهى الرشوة

٧٤ وصف الجرح

قال، وفكَّ قيده، الذي قيَّد به نفسه كي يحفظ القرآن، ليحاميَ عن نساء عشيرته:

لَعَمْرِي، لئنْ قَيَّدْتُ نفسيِ لَطالَما سَعيتُ وأَوْضَعْتُ المَطِيَّةَ لِلْجَهْلِ

إن كنت قد قيدت نفسي بقيد وحلفت لا أفكه حتى أفقه القرآن، فإنني طالما سعيت وأوضعت (حثث) المطية (الدابة) في طلب الجهل (الرعونة)

ثلاثينَ عاماً ما أرى مِنْ عَمايَةٍ إذا بَرَقَتْ إلَّا شَدَدْتُ لها رَحلي

أمضيت ثلاثين عاماً لا أرى عماية (غيمة) يومض في جوانبها البرق إلا أسرعت نحوها بناقتي ورحلي (متاعي الذي فوق الناقة)، لا أرى فرصة لاقتناص الملذات إلا جريت خلفها

أَتَتْنِي أَحاديثُ البَعيثِ ودُونَهُ زَرودٌ فَشَاماتُ الشَّقيقِ إلى الرَّمْلِ

ثم بعد هذا الضلال أتتني أحاديث البعيث وشتمه لنساء قبيلتي، وهو في مكانه بعد «زرود» وتلك المناطق الأخرى

فإنْ يَكُ قَيْدِي كانَ نَذْراً نَذَرْتُه فمَا بِيَ عن أَحسابِ قَوْمِيَ مِنْ شُغْلِ

لئن كان تقييدي لنفسي نذراً ألزمت نفسي به، فإنني لن أنشغل عن الدفاع عن أحساب قومي (شرفهم)

أنا الضامِنُ الرَّاعِي عليْهِمْ، وإنَّما يُدَافِعُ عن أحسابِهِمْ أنا أو مِثْلي

أنا من يضمن حفظ شرفهم ويرعاهم ويدافع عنهم

ولـولا حَـيَـاءٌ زِدْتُ رأسَـكَ هَـزْمَـةً   إذا سُبِرَتْ ظَلَّتْ جوانِبُـهـا تَـغْلي

لولا الحياء لزدت رأسك هزمة (شجةً) عميقة إذا سبرت (قيس عمقها) ظلت تفور بالدم كأنها تغلي

بَـعـيـدةُ أَطـرافِ الـصُّـدُوعِ كـأَنَّـهـا   رَكِيَّةُ لُقْـمَـانَ الـشـبـيـهـةُ بـالـدَّحْـلِ

الشجة في رأسك واسعة وأطرافها بعيدة فكأنها ركية لقمان (الركية البئر غير المحاطة بالحجارة ففمها واسع) الشبيهة بالدحل (الحفرة الواسعة في بيت الأعرابي تستتر فيها المرأة)

إذا نـظـرَ الآسُـونَ فـيـهـا تَـقَـلَّـبَـتْ   حَماليقُهُمْ مِنْ هَوْلِ أَنيابِها الثُّعْلِ

إذا نظر الآسون (الأطباء) في هذا الجرح العميق تقلبت حماليقهم (عيونهم)
رعباً لما يرون من شذرات لحم خارجة من أطراف الجرح ومتراكبة كأنها
الأسنان الثعل (المتراكبة)

إذا ما رأَتْـهـا الـشـمـسُ ظَلَّ طبيبُـهـا   كَمَنْ ماتَ حتى الليلِ مُخْتَلَسَ العقلِ

إذا برزت هذه الشجة، الجرح، للشمس رآها الطبيب واضحة فأغمي عليه، وظل مسلوب العقل لا يدري ما يصنع

يَـوَدُّ لَـكَ الأَدْنَـوْنَ لـو مُـتَّ قـبـلَـهـا   يَـرَوْنَ بـهـا شَـرّاً عـلـيـكَ مِـنَ الـقـتـلِ

يود لك الأدنون (الأقربون) لو مت قبل هذه الضربة، فهي أشد من القتل

تـرَى فـي نَـواحِـيـهـا الـفِـراخَ كـأَنَّـمـا   جَـثَـمْـنَ حَـوالَـيْ أُمِّ أَرْبـعـةٍ طُـحْـلِ

ترى في جوانب الضربة اللحم كأنه فراخ جثمن (أقعين) حوالي دجاجة لها أربعة أفراخ طحل (لونهم مسود). كأن الدم جف على الجرح واسودّ

شَـرَنْـبَـثَـةٌ شَـمْـطَـاءُ، مَـنْ يَـرَ مَـا بِـهـا   تُـشِـبْـهُ ولو بينَ الـخُـمَـاسِيِّ والـطِّـفْـلِ

هذه الضربة شرنبثة (غليظة) شمطاء (اختلط سواد الدم فيها ببياض اللحم) والناظر إليها يشيب حتى لو كان ابن خمس سنين

إذا ما سَقَوْها السَّمْنَ أَقْبَلَ وجْهُها   بِعَيْنَيْ عَجُوزٍ مِنْ عُرَيْنَةَ أو عُكْلِ

ويسقون الجرح الغائر بالسمن فترى السمن يلمع في وسطه وحواليه الدم المسود، فكأن الجرح عين عجوز من عجائز قبيلة عرينة أو عكل..

جُـنَـادِفَـةٍ سَـجْـرَاءَ تـأْخُـذُ عـيـنُـهـا   إذا اكْتَحَلَتْ نِصفَ القَفيزِ مِنَ الكُحْلِ

هذه العجوز جنادفة (قصيرة) سجراء (حمراء) تضع في عينيها نصف قفيز (كيل كبير) من الكحل

٧٥ المعم المخول

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنى لنا بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطْوَلُ

إن الله الذي سمك (رفع) السماء، قد بنى لنا بيتاً (خيمة) دعائمه (أعمدته) عزيزة وطويلة. وكانت الخيمة العالية رمزاً للعز والقوة.. على أنه كان للفرزدق وقومه في البصرة، وربما أيضاً في كاظمة أي الكويت الحالية، بيوت من خشب ولبن، وكان الوالي في إحدى السنين هدم للفرزدق بيته بسبب تعرضه للناس بالهجاء. لعل الفرزدق هنا يقصد أن دعائم بيته أعز وأطول من السماء، لكنه في الغالب يقصد بأنها عزيزة وقوية فحسب. وكلمة «بيت» فسرناها على المعنى القريب، ولكن الشاعر يقصد بها أيضاً: العشيرة، فمثلما يسألك أهل الشام اليوم: أنت من بيت من؟ يعنون من عائلة ماذا؟ كانت العرب تعني بالبيت العائلة

بيتاً بناهُ لنا المَليكُ، وما بَنى حَكَمُ السماءِ فإنه لا يُنْقَلُ

بيتنا هذا بناه الله، وما بنى الله لا انتقال له

بيتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفنائِه ومُجَاشِعٌ وأبُو الفَوارِسِ نَهْشَلُ

وفي فناء البيت ترى زرارة محتبياً (قاعداً وقد جمع ظهره وركبتيه بشال)، وترى مجاشع ونهشل، وكل هؤلاء من سادة تميم

يَلِجُونَ بيتَ مُجَاشِعٍ، وإذا احْتَبَوْا بَرَزُوا كأنَّهُمُ الجبالُ المُثَّلُ

يدخلون بيت مجاشع، فإذا ما احتبوا كانوا كالجبال المثل (الشاخصة)

الأَكْثرونَ إذا يُعَدُّ حَصاهُمُ والأَكْرَمُونَ إذا يُعَدُّ الأوَّلُ

نحن الأكثرون إذا يعد حصاهم (عددهم) ونحن الأكرمون إذا يُعد الأول (السابقون، وأولنا: معناها «أجدادنا الكرام»)

ضَرَبَتْ عليكَ العَنكَبُوتُ بِنسْجِها وقَضَى عليكَ بها الكتابُ المُنْزَلُ

أما أنت يا جرير فبيتك بيت العنكبوت، وبيت العنكبوت واهٍ واهنٌ كما جاء في القرآن «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت»

إن الزِّحَامَ لِغَيرِكُمْ، فَتَحَيَّنُوا وِرْدَ العَشِيِّ، إليه يَخْلُو المَنْهَلُ

الزحام على حياض الماء للاستقاء لغيركم ممن يطيق مزاحمة الناس والفوز عليهم، فتحينوا أنتم (ترقبوا الفرصة) ورد العشي (ورود الماء مساء) عندما يخلو منهل الماء من الشاربين

حُلَلُ الملوكِ لِباسُنا في أهلِنا والسَّابِغَاتِ إلى الوَغَى نَتَسَرْبَلُ

نلبس حلل (ثياب) الملوك في السلم بين أهلنا، ونتسربل (نلبس) الدروع السابغات (الطويلة) إلى الوغى (الحرب)

أَحْـلامُـنـا تَـزِنُ الـجـبـالَ رزانَـةً   وتَـخـالُـنـا جِـنّـاً إذا مـا نَـجْـهَـلُ

أحلامنا (عقولنا) رزينة ثقيلة كالجبال، غير أنك تظننا من الجن نشاطاً وحيلة إذا جهلنا (غضبنا)

فـادْفَـعْ بِـكَـفِّـكَ إن أَرَدْتَ بـنـاءَنـا   «ثَهْلانَ» ذَا الهَضَباتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ

إن أردت نيل بنائنا ادفع بكفك جبل ثهلان ذا الهضبات، هل تراه يتحلحل (يتزحزح)؟

وأنـا ابْـنُ حـنـظـلـةَ الأَغَـرِّ، وإنـنـي   فـي آلِ ضَـبَّـةَ لَـلْـمُـعِـمُّ الـمُـخْـوِلُ

أنا ابن حنظلة (أحد أجداده) الأغر (المشهور المشرق الوجه)، وأنا في آل ضبة (أخوالي) معم مخول (ذو شرف من ناحية الأعمام والأخوال). والمرء عند أخواله يعتز بأعمامه، وعند أعمامه يعتز بأخواله. فإذا جاء المرء أخواله وكان أبوه من عائلة لئيمة شعر بأنهم لا يأبهون به، فالفرزدق يقول إنه في آل ضبة معم ومهم..

فَـرْعَـانِ قـد بـلـغَ الـسـمـاءَ ذُراهُـمـا   وإلَـيْـهِـمـا مِـن كـلِّ خَـوفٍ يُـعْـقَـلُ

فرعان (أعمامي وأخوالي) بلغ السماء ذراهما (الذروة: القمة)، وإليهما يُعقَل (يُلجأ)، فهما المَعقِل عند الخوف

يا ابْنَ الـمَراغَـةِ أيـنَ خـالُـكَ؟ إنـنـي   خَـالـي حُـبَـيْـشٌ ذو الـفَـعـالِ الأَفْـضَـلُ

من خالك يا جرير؟ أما أنا فخالي حبيش ذو الفعال (الأعمال المجيدة)

خالِي الذي غَصَبَ الملوكَ نفوسَهُمْ،   وإلـيـه كـان حِـبَـاءُ جَـفْـنَـةَ يُـنْـقَـلُ

خالي قتل الملوك، وكان ينال حباء (عطاء) آل جفنة ملوك الشام الغساسنة

إنّـا لَـنَـضْـرِبُ رأسَ كـلِّ قـبـيـلـةٍ   وأبـوكَ خـلـفَ أتَـانِـهِ يَـتَـقَـمَّـلُ

نحن نضرب بالسيف رأس أي قبيلة شئنا، وأما أبوك فقاعد خلف أتانه (حمارته) ينزع القمل عن جسمه

وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكِرامِ وما بَنَوْا   إن الـلـئـيـمَ عـنِ الـمَـكـارِمِ يُـشْـغَـلُ

وأنت منشغل عن نيل أمجاد الكرام وما بنوا من مفاخر، وهذه حال اللئيم

وَهَبَ القَصائِدَ لِي النَّوَابِغُ إذْ مَضَوْا   وأَبـو يَـزيـدَ وذُو الـقُـروحِ وجَـرْوَلُ

ورثت القصائد عن نوابغ الشعراء الماضين، ومنهم أبو يزيد (المخبل) وذو القروح (امرؤ القيس)، وجرول (الحطيئة) ويسمي الفرزدق في أبيات بعد هذا البيت، لم نوردها، شعراء كُثراً آخرين

لـيـس الـكـرامُ بِـنـاحِـلِـيـكَ أبـاهُـمُ   حـتـى تُـرَدَّ إلـى عَـطِـيَّـةَ تُـعْـتَـلُ

لا ينحلك (يعيرك) الكرام أباً كريماً.. إلا رأيت نفسك تعتل (تحمل حملاً شديداً) وتنسب إلى أبيك عطية

٧٦ عندما أكل الأسد جريراً

إنِّي وجدتُ بَني كُلَيْبٍ إنَّما   خُلِقُوا، وأُمِّكَ، مُذْ ثَلاثُ لَيالِ

وجدت بني كليب قد خلقوا ـ وأحلفُ بأمِّك ـ منذ ثلاث ليال فقط، فهم غير ذوي حسب ولا نسب

يُروِيهِمُ الثَّمَدُ الذي لو حَلَّهُ   جُرَذانِ مَا نَدَّاهُما بِبِلالِ

وهم قليلو العدد ويرويهم الثمد (الماء القليل) الذي لو سقط فيها جرذان ما نداهما (بلهما) ببلال (بماء)

تَبْكي المَراغَةُ بالرَّغامِ على ابْنِها   والنَّاهِقَاتُ يَنُحْنَ بِالإعْوالِ

المراغة (الحمارة، وسمى الفرزدق أم جرير بهذا الاسم) ابنها جرير بالرغام (وهي تحثو التراب على نفسها)، والناهقات (الأتن/إناث الحمير) نائحات معولات (باكيات)

قالوا لها: احتَسبي جَريراً، إنه   أوْدَى الهِزَبْرُ به أبو الأشبالِ

قيل لأمك: احتسبي جرير (مات فليكن لك الأجر محسوباً على الصبر عليه)، فقد أودى به (قتله) الهزبر (الأسد)، يعني أنه قتل جريراً بالهجاء

قد كنتُ لو نفعَ النذيرُ نَهَيْتُه   ألَّا يكونَ فَريسةَ الرِّئْبالِ

لو كان ينفع النذير (التحذير) لكنتُ ـ يقول الفرزدق ـ نهيت جريراً أن يعرض نفسه فيكون فريسة الرئبال (الأسد)

٧٧ ميراث جرير

ألا إنَّ ميراثَ الكُلَيْبِيِّ لابْنِه   إذا ماتَ رِبْقَا ثَلَّةٍ وحَبَائِلُهْ

ما تركه ابن قبيلة كليب لولده من ميراث ربقا (حبلا) ثلة (قطيع ماشية)

فأَقْبِلْ على رِبْقَيْ أبيكَ، فإنما   لكلِّ امرِئٍ ما أَوْرَثَتْهُ أوائِلُهْ

فيا جرير يا ابن قبيلة كليب خذ ربقي (حبليْ) أبيك، ولكل امرئ ما أورثته أوائله (أجداده)

فإن كنتَ تَرجُو أن تُوازِنَ دَارِماً   فَرُمْ «حَضَناً» فانْظُرْ متى أنتَ ناقِلُهْ

إن رجوت أن تقارن قومك بقبيلتي ـ دارم ـ فهذا كأنك تروم (تطلب) جبل حضن قاصداً أن تنقله من مكانه

وأرْسَلَ يرجُو ابْنُ المَراغَةِ صُلْحَنا   فَرُدَّ، ولم تَرْجِعْ بِنُجْحِ رسائِلُهْ

أرسل إلي جرير يطلب الصلح، فرددته خائباً ولم تنل رسائله النجح (التوفيق)

وقالتْ كُلَيْبٌ قَمِّشُوا لأخيكُمُ   فَفِرُّوا به، إنَّ الفَرزْدقَ آكِلُهْ

قالت قبيلة كليب قمشوا لأخيكم (اجمعوا له العون) لكي يفر حتى لا يأكله الفرزدق

فهل أَحَدٌ يا ابْنَ المَراغَةِ هَارِبٌ مِنَ الموتِ، إن الموتَ لا بُدَّ نائِلُهْ

ولكنْ، يا ابن المراغة (ابن الحمارة، لقب جرير عند الفرزدق)، هل يهرب أحد من الموت؟

فإنِّي أنا الموتُ الذي هُوَ ذاهبٌ بِنفسِكَ، فانظرْ كيف أنتَ مُحَاوِلُهْ

أنا عليك مثل الموت، فأرني بالله كيف ستحاوله (تتصرف معه)

أنا البدرُ يُعْشي طَرْفَ عينيكَ فالتَمِسْ بِكَفَّيْكَ يا ابْنَ الكلبِ هل أنتَ نَائِلُهْ

أنا البدر يغشي (يغطي) بصرك بغشاوة لشدة لمعانه، فهل تستطيع أن تنال البدر بكفك؟

وقد مُنِيَتْ مِنِّي كُلَيْبٌ بِضَيْغَمٍ ثقيلٍ على الحُبْلَى جَريرٍ كَلاكِلُهْ

منيت مني كليب بضيغم (أسد) ثقيلة كلاكله (صدوره) على جرير الشبيه بالمرأة الحبلى التي لا تستطيع التصرف بسهولة

شتيمِ المُحَيَّا، لا يُخَاتِلُ قِرْنَهُ ولكنه بالصَّحْصَحَانِ يُنازِلُهْ

وأنا أسد شتيم المحيا (مكشر الوجه)، لا يخاتل قرنه (لا يخادع خصمه)، بل ينازله بالصحصحان (أرض السهل)

هِزَبْرٍ هَريتِ الشِّدْقِ رِئبَالِ غَابَةٍ إذا سارَ عَزَّتْهُ يَداهُ وكَاهِلُهْ

أنا هزبر (أسد) هريت الشدق (واسع الفم) رئبال (أسد) في الغابة، إذا سار عزته (دعمته وقوّته) يداه وكاهله (ظهره)

٧٨ هذا ابن فاطمة

حج هشام بن عبد الملك وهو أمير شاب، وطاف بالبيت واجتهد أن يصل إلى الحجر الأسود فأعياه، فجلس على كرسي، وحوله جماعة من أهل الشام. وأقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (حفيد الإمام علي) فتنحى الناس له، وسار وسطهم حتى لمس الحجر الأسود. فقال هشام: من هذا؟ فقال الفرزدق هذه القصيدة جواباً على سؤاله. وقالوا إن الفرزدق قال أبياتاً قليلة ثم زاد عليها الزائدون:

هَذا الذي تعرفُ البَطحاءُ وَطْأَتَهُ والبيتُ يعرِفُهُ، والحِلُّ والحَرَمُ

هذا من تعرف بطحاء مكة (أرضها السهلة التي تسكنها علية قريش) وطأته (خبطة قدمه)، ويعرفه بيت الله، ويعرفه الحل (جوار مكة مما يحل فيه الصيد والقتال) والحرم (الكعبة حيث يحرم الصيد والقتال)

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللّهِ كلِّهِمُ هذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ

هذا ابن الرسول (حفيده) وهو علم (جبل) أي أنه مشهور

هذا ابْنُ فَاطِمَةٍ إن كنتَ جَاهِلَهُ   بجدِّهِ أنبياءُ اللَّهِ قد خُتِمُوا

وليس قولُكَ «مَنْ هذا؟» بِضائِرِهِ   العُرْبُ تَعرفُ مَنْ أنكَرْتَ والعَجَمُ

قولك «من هذا؟» لا يضيره (لا يهمه)، فالعرب والعجم تعرفه

ما قالَ «لا» قَطُّ إلَّا في تَشَهُّدِهِ   لولا التشهدُ كانتْ لاءَهُ نَعَمُ

زين العابدين لا يقول «لا» أبداً، إلا في التشهد، دعاء «لا إله إلا الله»، ولولا التشهد كانت كل لاء يقولها «نعم». و«لاءَه نعمٌ» لعشاق النحو في محل نصب خبر كان، واسمها محذوف تقديره «القضية»، وتحتمل أوجُهاً أخرى

إذا رأتْهُ قُرَيْشٌ قال قائلُها   إلى مكارمِ هذا ينتهي الكَرَمُ

هو أصل المكارم

يُغْضِي حَياءً، ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ   فما يُكَلَّمُ إلَّا حينَ يَبْتَسِمُ

فيه حياء فهو يغضي (لا يرفع بصره)، وفيه مهابة فالناس يغضون في حضرته، ولا يتكلمون أمامه إلا إذا ابتسم، لشدة هيبته

بِكَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ   مِنْ كَفِّ أرْوَعَ في عِرنِينِهِ شَمَمُ

هذه عصا خيزران ذات رائحة طيبة تمسكها كفه، وهي كف هذا الأروع (الشجاع) الذي في عرنينه (أنفه) شمم (ارتفاع قصبة الأنف دلالة على نبل الأصل)

يكادُ يُمْسِكُهُ، عِرْفَانَ راحتِه،   رُكْنُ الحَطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ

ركن الحطيم (ذلك الجدار في الكعبة) يكاد يمسك بزين العابدين ويبقيه عنده إذ يميز شخصيته من لمسة راحة يده عندما يأتي ليستلم (يلمس الركن)

اللَّهُ شَرَّفَهُ قِدْماً وعَظَّمَهُ   جرى بِذاكَ له في لَوْحِهِ القلمُ

الله شرفه منذ القدم، وهذا مكتوب في لوح أعماله

أيُّ الخَلائقِ ليستْ في رَقابِهِمُ   لأوَّلِيَّةِ هذا، أو لهُ، نِعَمُ

كل الناس في رقابهم نعمة (معروف) لزين العابدين أو لأوليته (لأجداده)

مَنْ يَشْكُرِ اللَّهَ يَشْكُرْ أوَّلِيَّةَ ذا   فالدينُ مِنْ بيتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ

شكر الله يستتبع شكر أولية (أجداد) زين العابدين، فهم أصل الدين

يَنْشَقُّ ثوبُ الدُّجَى عن نورِ غُرَّتِه   كالشمسِ تَنْجَابُ عن إشْراقِها الظُّلَمُ

نور طلعته البهية يشق ثوب الدجى (الظلام)، كما تنجاب (تنكشف) الظلمة بالشمس

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ، وبُغْضُهُمُ   كفرٌ، وقُربُهُمُ مَنْجىً ومُعْتَصَمُ

وهو من قوم حبهم من الدين، وبغضهم كفر، وقربهم معتصم (ملجأ) ونجاة من النار

مُـقَـدَّمٌ بـعـدَ ذِكْـرِ الـلَّـهِ ذِكْـرُهُـمُ ... في كـلِّ بَدْءٍ ومَـخْـتومٌ به الـكَـلِـمُ

بعد ذكر الله يذكر المرء آل النبي، في بدء الكلام وفي ختامه

إن عُـدَّ أهـلُ الـتُّقَى كـانوا أئِـمَّـتَهُـمْ ... أو قيلَ مَنْ خَيْرُ أهلِ الأرضِ؟ قيلَ: هُمُ

٧٩ ولداي السِّماكان

يرثي ابنين له:

أَرى كـلَّ حَـيٍّ لا يـزالُ طَـلـيـعَـةً ... الـمَـنـايـا مِـنْ فُـروجِ الـمَـخَـارِمِ

كل حي يظل الموت طالعاً عليه طلوعاً مفاجئاً من فروج (فتحات) المخارم (جروف الجبال، السفوح الواقفة وقوفاً)

ومـا أَحَـدٌ كـانَ الـمَـنـايـا وَراءَهُ، ... ولـو عـاشَ أيَّـامـاً طِـوالاً، بـسـالـمِ

ولا يكون المرء، والمنايا تلاحقه وتجري وراءه، سالماً، حتى وإن عاش طويلاً

يُـذَكِّـرُنـي ابْـنَـيَّ الـسِّـمَـاكـانِ مَـوْهِـنـاً ... إذا ارتـفَـعـا بـيـنَ الـنـجـومِ الـتَّـوائـمِ

يذكرني بولديَّ السماكان (نجمان) إذ يطلعان موهناً (ليلاً) بين النجوم (وكثير منها توائم، كالفرقدين إلخ)

فـقـد رُزِئَ الأقـوامُ قَـبْـلِـيَ بِـابْـنِـهِـمْ ... وإِخْـوانِـهِـمْ فَـاقْـنـي حَـيـاءَ الـكَـرائِـمِ

رزئَ (أصيب) قبلي الناس بفقد الابن والأخ، فاقني (احفظي) حياءك يا امرأة كالنساء الكرائم (ذوات الحسب) ولا تكثري من النوح

فما ابْنَاكِ إلَّا ابْنٌ مِنَ الناسِ، فاصبِري ... فـلَـنْ يَـرْجِـعَ الـمَـوتَـى حَـنـيـنُ الـمَـآتِـمِ

اصبري فابناك كأبناء الناس، وحنين المآتم (نواح النساء) لا يَرجِعُ الموتى، أي لا يعيدهم

٨٠ حملتهم على الجمر

وكَمْ مِنْ أسيرٍ قد فَكَكْنا، ومِنْ دَمٍ ... حَمَلْنا، إذا مَا ضَجَّ بِالثِّقْلِ غَارِمُهْ

ما أكثر ما فككنا من أسرى، وما حلمنا من دم (بدفع الديات) عندما يضج (يحتار ويشكو ويبعل بالأمر. هذه اليبعل هي خير ما جاءني، واحمد ربك أن لم أضعها كلمة أولى في التفسير) الغارم (المدين الذي عليه دفع الدية) بثقل الحمل

وكـنـتُ إذا عـادَيْـتُ قـومـاً حَـمَـلْـتُـهُـمْ ... على الجَمْرِ حتَّى يَحْسِمَ الدَّاءَ حَاسِمُهْ

إذا عاديت قوماً أوجعتهم بعدائي حتى يُحسم الأمر وتنتهي العداوة بنيلي حقي، أو بتمام ظلمي لهم

٨١ هجاء إبليس

أَطَعْتُكَ يا إِبْليسُ سَبعِينَ حِجَّةً فلمَّا انتهى شَيْبي، وتمَّ تَمامي..

أطعتك يا إبليس سبعين حجة (سنة) فلما اكتمل شيبي ووصلت أتم العمر..

فَرَرْتُ إلى ربي، وأيقنتُ أنني مُلاقٍ لأيَّامِ المَنونِ حِمامي

.. فررت إلى طاعة الله موقناً أنني سألاقي الموت قريباً

ألا طَالَ مَا قد بِتُّ يُوضِعُ نَاقتي أبو الجِنِّ إبليسٌ بِغيرِ خِطَامِ

كثيراً ما كان إبليس يُوضِعُ (يحث) ناقتي ويسير بها على هواه وهي تائهة بلا خطام (مقود)

يَظلُّ يُمَنِّيني على الرَّحْلِ وَارِكاً يَكونُ ورائي مَرَّةً وأَمامي

يجلس لي على رحل الناقة (سرجها) مائلاً على وركه، أراه يكون ورائي حيناً وأمامي حيناً

يُبَشِّرُني أنْ لن أَموتَ، وأنَّهُ سَيُخْلِدُني في جَنَّةٍ وسَلامِ

فقلتُ له: هَلَّا أُخَيَّكَ أَخْرَجَتْ يمينُكَ مِنْ خُضْرِ البحورِ طَوَامِ

قلت له: هلَّا أخرجتَ أخاك فرعون عندما غرق في لجة البحر الخضراء (السوداء) الطامية (المفعمة بالماء)؟

فَلَمَّا تَلاقَى فوقَه الموجُ طَامِياً نَكَصْتَ، ولم تَحْتَلْ له بِمَرامِ

لما اجتمع على فرعون الموج وغرق، نكصت يا إبليس (انكفأت راجعاً) ولم تحتل له (تجد حيلة) بمرام (بمخرج)

وما أنتَ يا إبليسُ بِالمرءِ أَبْتَغي رِضَاهُ، ولا يَقْتادُني بِزِمامِ

لستَ بالمرء الذي ابتغي رضاه، ولا الذي أسمح له أن يقتادني بمقود

٨٢ وصف قصيدة

لقد كَافَحَتْ مِنِّي العراقَ قَصيدةٌ رَجُومٌ مَعَ الماضي رُؤوسَ المَخارِمِ

كافحت (أرهقت) العراقَ قصيدة قلتها وهي رَجوم (ترجم) المخارم (جروف الجبال) إذ يمضي الرواة بها يحملونها من مكان إلى مكان

خفيفةُ أَفْواهِ الرواةِ، ثقيلةٌ على قِرْنِها، نَزَّالَةٌ بِالمَواسِمِ

وهي خفيفة في أفواه الرواة يستعذبون إنشادها، ولكنها ثقيلة على قرنها (خصمها)، ونزالة بالمواسم (تنزل هذه القصيدة في المحافل وتُنشَد)

٨٣ بيني وبين الجحيم

يهجو باهلة:

أَلَا كيفَ البقاءُ لِباهِلِيٍّ هَوى بينَ الفرزدقِ والجحيمِ

مسكين الباهلي.. كيف له أن يحيا وقد وقع بين الفرزدق وبين الجحيم.. فهو كافر مصيره نار الآخرة، وفي الدنيا له نار الفرزدق

فمنْ يَكُ تاركاً، ما كان، شيئاً، فإنِّي لا أُضيعُ بني تميمِ

من ترك شيئاً ـ كائناً ما كان هذا الشيء ـ فإنني لا أضيع (أتخلى عن) بني تميم

٨٤ هجاء البيروقراطي

قال في أبي عبيدة، وهو مولى لمخزوم كان مع عمر بن عبد العزيز وهو وال، وعطَّل حاجة للفرزدق:

أمرَ الأميرُ بِحاجَتي وقضائِها وأبو عُبيدةَ عندنا مَذْمومُ

أَبَتِ المَوالِي أن تكونَ صَميمَها، ونَفَتْكَ عن أحسابِها مَخْزُومُ

حتى الموالي (غير العرب، الملحقين إلحاقاً بالقبيلة العربية) يرفضون أن يكون أبو عبيدة من صميمهم (وسطهم)، ومخزوم قبل ذلك نفتك (أبعدتك) عن نسبها

٨٥ أنا والعذاب وهواك

يا أُخْتَ نَاجِيَةَ بنِ سَامةَ إنَّني أَخْشَى عليكِ بَنِيَّ إن طَلَبُوا دَمي

أيها المحبوبة من بني «ناجية بن سامة» ستقتلينني، وسيطلب أبنائي دمي (سيسعون في الثأر)

لن يَقْبَلُوا دِيَةً، ولَيسُوا ـ أو يَرَوْا مِنِّي الوَفَاءَ، ولن يَرَوْهُ ـ بِنُوَّمِ

ولن يقبلوا دية، وليسوا نائمين عن طلب الثأر، إلا أن يروا مني الوفاء (يقتلوا من يفي بي، يساويني في الشرف) ولا يوجد من يساويني شرفاً

ولقد ضَنيتُ مِنَ النساءِ، ولا أرى كَضَنىً بِنفسِي مِنْكِ أُمَّ الهيثَمِ

أرهقتني النساء، وأنت أرهقتني أكثر من غيرك

كيف السلامةُ بعدما تَيَّمْتِني وتركتِ قلبيَ مِثْلَ قَلْبِ الأَيْهَمِ

تيمتني: خلبت عقلي، الأيهم: اللاسع، الملتاث، المجنون

هل تذكُرينَ إذِ الرِّكَابُ مُناخَةٌ   بِرِجَالِها لِرَواحِ أهلِ المَوْسِمِ

هل تذكرين إذ الركاب (الإبل) مناخة (جاثمة) والرجال حولها يستعدون للرواح (المغادرة) بعد انتهاء الموسم (ومواسم العرب أسواقها ومحافلها)

إذْ نحن نَستَرِقُ الحديثَ، وفوقَنا   مثلُ الضَّبابِ مِنَ العَجَاجِ الأَقْتَمِ

عندئذ كنا نتحادث خفية، وفوقنا عجاج أقتم (غبار داكن) كأنه الضباب

إذْ نحن نُخْبِرُ بالحَواجِبِ بيننا   ما في النفوسِ، ونحن لم نتكلَّمِ

كنا نتحادث بلغة الحواجب، لا بالكلام

٨٦ لا أنامها

قد اقْتَسَمَتْ عيناكِ يومَ لقيتِنا   حُشَاشَةَ نَفسٍ ما يَحِلُّ اقتِسامُها

اقتسمت عيناك حشاشة نفسي (بقيتها) ـ لكل عين نصف ـ ولا يحل لك ذلك

وكائِنْ مَنَعْتُ القومَ مِنْ نومِ ليلةٍ،   وقد مَيَّلَتْ أعناقُهُمْ، لا أَنَامُها

وكثيراً ما سهرت مفكراً فيك في ليلة لا أنامها، ومنعت القوم من النوم كي يساهروني ويؤنسوني، بينما أعناقهم تميل نعاساً

٨٧ أمنية

ومما لم يرد في الديوان، وأخذته من كتاب شاكر الفحام:

أَلا لَيْتَنا نِمْنَا ثَمانينَ حِجَّةً   تَنامُ مَعي عُرْيَانَةً وأَنَامُها

يريد أن تنام معه ثمانين سنة

ضَجِيعَيْنِ مَسْتُورَيْنِ، والأَرْضُ تَحتَنا   يكونُ طعامي ضَمُّها والتِزامُها

ينامان على الأرض وعليهما غطاء، وطعامه ضمها والالتصاق بها

٨٨ اخترتكم

يمدح بني أبان بن دارم:

تَجَاوَزْتُ أَقواماً إليكُمْ، وإنَّهُمْ   لَيَدْعُونَني، فَاخْتَرْتُكُمْ للعَظائمِ

مررت بأقوام وتجاوزتهم مع أنهم يدعونني للنزول ضيفاً، وجئتكم لأنكم أهل لتلبية عظائم الطلبات

وأيـن مُـنـاخـيِ بـعـدَكُـم إنْ نَـبَـوْتُـمُ   عليَّ، وهـل تَـنْـبُـو صـدورُ الصَّـوارِمِ

وأين مناخي (نزولي) بعدكم إن نبوتم علي (انحرفتم عني)، ولكن صدور الصوارم (السيوف) لا تنبو (لا تنحرف بل تصيب)

٨٩ أكفاؤنا

وإنَّ هِـجـاءَ الـبَـاهِـلِـيِّـيـنَ دَارِمـاً   لإحْدَى الأمورِ المُنْكَراتِ العَظائِمِ

كيف لقبيلة باهلة أن تهجو دارماً ذات الشرف الرفيع؟ تلك من الكوارث

وهـل فـي مَـعَـدٍّ مِـنْ كِـفَـاءٍ نَـعُـدُّهُ   لنا، غيرَ بَيْتَيْ عبدِ شمسٍ وهَاشِمِ

وهل لنا كفاء (مساو) في كل قبائل معد (عرب الشمال كلهم) إلا عبد شمس (الأمويين) وهاشماً (آل النبي)

٩٠ تحمل الرزء دارم

وقال يرثي أحد بني مجاشع من تميم:

أُصِبنا بِما لو أن سَلْمَى أَصَابَها   لَهُدَّتْ، ولكنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ دَارِمُ

لو أصاب جبل سلمى ما أصابنا لتهدم. غير أن قبيلة دارم تتحمل الرزء (المصيبة)، قال بيتاً كهذا على قافية الراء يرثي رجلاً من عامر

كَأَنَّهُمْ تحتَ الخَوافِقِ، إذ مَشَوْا   إلى الموتِ، أُسْدُ الغَابَتَيْنِ الضَّرَاغِمُ

كأن دارم تحت الرايات الخافقة وهم يمشون إلى الحرب المميتة أسود الغابتين (اختر أي غابتين تريد.. ولو جعلها الفرزدق غابة واحدة لانكسر وزنه)

٩١ الحصى والمجد

أَخَذْتُ على الناسِ اثْنَتَيْنِ: لِيَ الحَصَى   معَ المَجْدِ مَا لي فيهِما مِنْ مُخَاصِمِ

أخذت على الناس (فقتهم) باثنتين: الحصى (العدد الكثير من أبناء قبيلتي)، والمجد، فلا أحد يخاصمني في هاتين

وما كنتُ أَخْشَى طَيِّئاً أن تَسُبَّنِي   وَهُمْ نَبَطٌ لم تَعْتَصِبْ بِالعَمائِمِ

لا أخشى قبيلة طيء وهجاءَها إيَّاي، فهم نبط (قوم من غير العرب) لا يعتصبون (يُحَلُّون رؤوسهم) بالعمائم فعلَ العرب

وإنَّ هِـجـائـي طَـيِّـئـاً، وَهْـيَ طَـيِّءٌ،   نَبِيطُ القُرَى إحْدَى الكِبارِ العظائمِ

ومجرد هجائي لطيء - وهي ما هي - هي نبيط القرى (من أهل الزراعة وليسوا عرباً أهل صحراء)، هو من العظائم (العجائب)

٩٢ ما الذي حشرك؟

قال لعمر بن لجأ، وقد دخل بينه وبين جرير:

وما أنتَ إن قَرْمَا تَميم تَسامَيَا أَخَا التَّيْمِ إلَّا كالشَّظِيَّةِ في العَظْمِ

أيها التيمي أنت مثل الشظية (السُّنَيفة، السُّفَيرة، العظمة المدببة الصغيرة) بين العظام، فما أدخلك بين قرمي تميم (فحلي تميم) وقد سما أحدهم للآخر (صاوله وخاصمه). ونقل عن جرير أنه قال: ما أنصفني الفرزدق إلا في قوله هذا

ولو كنتَ مَوْلَى العِزِّ أو في ظِلالِه ظَلَمْتَ، ولكنْ، لا يَدَيْ لَكَ بالظُّلْمِ

لو كنت مولى العز (صاحبه) أو حتى في ظلاله (متحالفاً مع قبيلة ذات قوة) لكنَّا توقعنا منك أن تتطاول وتظلم، ولكنك من قوم ضعاف ولا يديْ لك (لا قدرة لك) بالظلم

٩٣ الاستراحة عند الخليفة

يمدح هشام بن عبد الملك:

إلامَ تَلَفَّتينَ وأنتِ تَحتي وخيرُ الناسِ كُلِّهِمُ أمامي

إلى ماذا تتلفتين أيتها الناقة وأنت تحتي، بينما أنا متوجه إلى خير الناس

متى تأتي الرُّصافَةَ تستريحي مِنَ التَّهجيرِ والدَّبَرِ الدَّوامي

عندما تصلينَ الرصافة تستريحين من التهجير (سير الظهيرة) ومن الدبر الدوامي (الجروح الدامية في مفاصلك)

٩٤ على ساعة..

يهجو رجلاً من بلعنبر كان دليلاً وأضلهم:

وكيفَ يَضِلُّ العَنْبَرِيُّ ببلْدَةٍ بِها قُطِعَتْ عنه سُيورُ التَّمَائِمِ

هذا العنبري يزعم أنه ضل الطريق، وكيف يضل الطريق في بلدة نشأ فيها صغيراً، وبها قطعوا سيور (خيوط) التمائم (الخرزات التي تدفع الشر، وكانوا يعلقونها في عنق الطفل) عنه، أي أنه نشأ وكبر هناك، وهناك أزيلت عن عنقه التمائم

أَنَخْنا بِهَجْرٍ بعدَما وَقَدَ الحَصَى وذابَ لُعابُ الشمسِ فوق العَمائِمِ

أنخنا إبلنا في «هجر» والحصى يتوقد حرارة، وقد سلقتنا الشمس بأشعتها على رؤوسنا

ونحن بِذي الأَرْطَى يَقيسُ ظِماؤُنا لَنا بِالحَصَى شِرْباً صَحيحَ المَقَاسِمِ

ونحن في مكان ذي الأرطى والظمآنون يقيسون الشِّرب (نصيب كل فرد من الماء) بالحصى بدقة (يضعون حصاة صغيرة في الإناء ويصبون الماء حتى يغمرها.. فهذا نصيب كل نفر منهم عندما يعز الماء في سير الصحراء)

فلمّا تَصافَنّا الإداوَةَ أَجْهَشَتْ إليّ غُضُونُ العَنْبَرِيِّ الجُراضِمِ

لما تصافنَّا الإداوة (تقاسمنا ماء القربة الصغيرة بالحصاة)، أجهش (بدأ يخفق قبل البكاء) العنبري الجراضم (الجشع) وتغضن وجهه

وجاء بِجُلْمُودٍ له مِثلِ رأسِهِ لِيُسْقَى عليه الماءَ بين الصَّرائِمِ

وجاء بجلمود (حجر كبير) مثل رأسه، يريد أن نقسم له الماء عليه ونحن واقفون بين الصرائم (جماعات الإبل)

فآثَرْتُه لمَّا رأيْتُ الذي به، على القومِ، أخشَى لاحِقَاتِ المَلاوِمِ..

آثرته (خصصته بنصيبي) خشية أن ألام فيما بعد..

حِفاظاً، ولو أنَّ الإداوَةَ تُشْتَرى غَلَتْ فوقَ أثْمانٍ عِظامِ المَغارِمِ

فعلت ذلك حفاظاً (تكرماً)، وفعلته في وقت لو أن الإداوة (القربة الصغيرة) فيه تشترى لكان ثمنها غالياً يلحق المغارم (الخسائر) بالشاري

على سَاعَةٍ لو كان في القومِ حَاتِمٌ على جُودِهِ، ضَنَّتْ به نَفْسُ حاتِمِ

وكان هذا في ساعة تضن فيها النفس وتبخل بالماء حتى لو كانت نفس حاتم الطائي

٩٥ عندما ولد جدنا

يمدح سليمان بن عبد الملك، ويهجو جريراً:

جُعِلْتَ لأهلِ الأرضِ أَمْناً ورحمةً وبُرْءاً لآثارِ القُرُوحِ الكَوالِمِ

جعلك الله رحمة للناس وبرءاً (شفاء) للقروح الكوالم (الجارحة)

كما بعثَ اللّهُ النبيَّ محمداً على فَترةٍ والناسُ مثلُ البَهائِمِ

مثلما بعث الله محمداً على فترة (الفترة هي الزمن الذي يفتر فيه البعث فلا نبي فيه) والناس يعبدون الأصنام غير مفكرين في الآخرة كالبهائم

فما بينَ مَنْ لم يُعْطِ سمْعاً وطَاعَةً وبينَ تَميمٍ غيرُ حَزِّ الحَلاقِمِ

بين تميم وبين العاصي الذي لا يطيع أمر الخليفة لا مهادنة بل حز الحلاقم (قطع الأعناق)

فإنَّ تَميماً لم تكنْ أُمُّهُ ابْتَغَتْ له صِحَّةً في مَهْدِهِ بالتَّمائِمِ

وتميم (جدنا الأعلى) ولدته أمه غير عابئة بوضع التمائم (الخرزات الحاميات من الشر) في عنقه ابتغاء صحته، فقد ولد شديداً

كـأنَّ الأكُـفَّ الـقَـابِـلاتِ لِأُمِّـهِ رَمَـيْـنَ بِـعَـادِيٍّ الأُسـودِ الـضَّـرَاغِـمِ

كأن الأكف القابلات لأمه (أكف النسوة اللائي ولّدن أمه) رمين ولداً يشبه عادي الأسود (الأسود العادية، أي القوية المنسوبة إلى قوم عاد، وكل «عاديّ» في لغتنا القديمة هو القوي الشديد القديم)

تَـأَزَّرَ بـيـن الـقـابـلاتِ، ولـم يـكـنْ لــه تَـوْأَمٌ إلَّا دَهَـاءٌ لـحَـازِمِ

تأزر بالثوب هذا الطفل الوليد بين القابلات (الدايات) وهو فرد لا توأم له، إلا أن يكون توأمه الدهاء والحزم

وضَبَّةُ أَخْوالـي هُـمُ الـهَـامَـةُ الـتـي بِـهـا مُـضَـرٌ دَمَّـاغَـةٌ لـلـجَـمَـاجِـمِ

وأخوالي من قبيلة ضبة هم الهامة (الرأس) التي تدمغ (تفلق الدماغ) بها مضر (القبيلة الكبرى) جماجم الأعداء

فـمـا أنـتَ مِـنْ قـيـسٍ فَـتَـنْـبَـحَ دونَـهـا ولا مِـنْ تَـمـيـمٍ فـي الـرؤوسِ الأعـاظِـمِ

أنت - يا جرير - لست من قيس فتنبح دونها (تدافع عنها)، ولا من بيت شريف في تميم

تـرى كـلَّ مـظـلـومٍ إلـيـنـا فِـرارُهُ ويـهـرُبُ مـنَّـا جَـهْـدَهُ كـلُّ ظَـالِـمِ

كل مظلوم يفر ويلجأ إلينا، والظالم يهرب من وجوهنا

فلا نَقْتُلُ الأَسْرَى، ولكنْ نَفُكُّهُمْ إذا أَثْقَلَ الأعـنـاقَ حَمْلُ الـمَـغـارِمِ

ولا نقتل الأسرى بل نفكهم ونعتقهم، في وقت يثقل فيه الأعناقَ حمل المغارم (الأموال التي يفدى بها الأسرى، أو تدفع في الدية). وكان الفرزدق أقدم على أسير رومي يريد ضرب عنقه في مجلس سليمان بن عبد الملك فنبا سيفه، فسخر القوم منه، وهجاه جرير..

فـهـل ضَـرْبَـةُ الـرُّومِـيِّ جَـاعِـلَـةٌ لـكُـمْ أبـاً عـن كُـلَـيْـبٍ، أو أبـاً مِـثْـلَ دَارِمِ

فهل نبو سيفي في ضرب عنق الرومي يجعل لكم أباً (جَدّاً) عن كليب (بديلاً بأبيكم كليب الوضيع)، أو يجعل لكم أباً مثل أبي دارم؟

كَذاكَ سيوفُ الهندِ، تَنْبُو ظُبـاتُـهـا ويَـقْـطَـعْـنَ أَحـيـانـاً مَـنـاطَ الـتَّـمـائِـمِ

كذا هي سيوف الهند، أحياناً تنبو ظباتها (تنحرف شفراتها)، وأحياناً تقطع مناط التمائم (موضع تعليق الحرز، أي تقطع العنق)

٩٦ لو فقّأت عينيك!

يهجو جريراً:

يـقـولُ كِـرامُ الـنـاسِ إذْ جَـدَّ جِـدُّنـا وبَـيَّـنَ عـنْ أَحْـسَـابِـنـا كُـلُّ عَـالِـمِ:

يقول الكرام عندما جد الجد، وعرف أمجادنا كل عالم بالأنساب:

عَلامَ تَعَنَّى يا جَريرُ، ولم تَجِدْ   كُلَيْباً لَها عَادِيَّةٌ في المَكَارِمِ

على ماذا تعنّى (تتعنى أي تتعب نفسك) ولم تجد لقومك كليب عادية (مكرمة قديمة) من المكارم

ولَستَ، وإن فَقَّأْتَ عَيْنَيْكَ، وَاجِداً   أَباً لَكَ، إنْ عُدَّ المَساعي، كَدَارِمِ

لن تجد مهما فعلت ـ حتى لو فقأت عينيك ـ جداً تنتسب إليه حين تعد المساعي (الأمجاد) مثل جدي دارم

٩٧ الناهض للمعالي

قال في الزعل الجرمي:

وَرِثْتَ ـ فلَمْ تُضَيِّعْ ـ مَأْثُراتٍ   وقَصَّرَ عن بِنائِكَ كلُّ بَانِ

ورثت مأثرات (أمجاداً) ولم تضيعها، وقصر عن بنائك المجدَ كلُّ البناة

وتَنْهَضُ حين تَنْهَضُ لِلمْعالي   وتَنطِقُ حين تَنطِقُ بِالبَيانِ

وتُعطي العُرْفَ عَفْواً سَائِلِيهِ   وتُروي الزَّاغِبِيَّةَ في الطِّعَانِ

تعطي العرف (العطايا) عفواً (بأريحية) للسائلين، وتروي بدم الأعداء الزاغبية (الرماح) في الطعان (المطاعنة بالرماح في الحرب)

٩٨ وفاة المكارم

يرثي محمد بن موسى، وقتله شبيب بالأهواز:

نامَ الخَلِيُّ، ومَا أُغَمِّضُ ساعةً   أَرَقاً، وهَاجَ الشَّوْقُ لي أَحْزاني

نام الخلي (الخالي من الهم) وأنا ساهر أرقاً، وشوقي بعث لي الحزن

وإذا ذَكَرْتُكَ يا ابْنَ مُوسى أَسبَلَتْ   عيني بِدَمْعٍ دائمِ الهَمَلانِ

تنزل دموعي لدى تذكري إياك وتسبل عيني (تنهمر) بدمع دائم الهملان (الانهمار)

فالناسُ بَعدَكَ يا ابْنَ موسى أصبحوا   كَقَناةِ حَرْبٍ غيرِ ذاتِ سِنانِ

الناس بعدك كالقناة (عصا الرمح) التي لم يعد فيها سنان (حديدة مسنونة)

جُمِعَ ابنُ موسى والمكارمُ والنَّدَى   في القبرِ بينَ سَبائِبِ الأكفانِ

جُمِع ابنُ موسى المكارم والندى (السخاء)، وأصبحت هذه كلها بين سبائب (قماش) الأكفان، فالمكارم فقدت من الدنيا بموته

٩٩ في صحبة الذئب

وأَطْلَسَ عَسَّالٍ، وما كان صاحِباً، دَعَوْتُ بِناري مَوْهِناً فَأَتاني

رب ذئب أطلس (مغبر اللون) عسال (يتمايل في مشيته) وليس بصاحب للآدمي، دعوت بناري (أوقدتها) موهناً (مساء) فأتاني

فلمَّا دنا قلتُ: ادْنُ دُونَكَ، إنني وإيَّاكَ في زادي لَمُشْتَرِكانِ

لما اقترب قلت له: تعال، ودونك (خذ)، فسوف نشترك في زادي

فَبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْني وبَيْنَهُ على ضَوْءِ نارٍ مَرَّةً ودُخانِ

وبدأت أقسم الطعام بيني وبينه، والنار تضيء المشهد تارة ويغطينا الدخان أخرى

فقلتُ له لمَّا تَكَشَّرَ ضاحِكاً وقائِمُ سَيفي مِنْ يَدي بِمَكانِ:

قلت له لما تكشر فكأنه يضحك، وكانت يدي على قائم سيفي (مقبضه) مستعداً:

تَعَشَّ، فإنْ عاهَدْتَني لا تَخونُني نكنْ مثلَ مَنْ يا ذئبُ يَصطَحِبانِ

تعش أيها الذئب، فإن لم تخن صحبتي نكن كأننا صاحبان

وأنتَ امْرُؤٌ، يا ذئبُ، والغَدْرُ كنتُما أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعا بِلِبَانِ

لكنك يا ذئب أخو الغدر، الغدر ملازمك خلقةً، وكأنك رضعت بلبان أمك أنت والغدر معاً

ولو غَيْرَنا نَبَّهْتَ تَلتَمِسُ القِرَى رَمَاكَ بِسَهمٍ أو شَباةِ سِنَانِ

لو التمست (طلبت) القرى (طعام الضيف) من غيري لرماك بسهم أو شباة سنان (حد رمح)

وكلُّ رَفيقَيْ كُلِّ رَحْلٍ وإن هُما تَعاطَى القَنا قَوْماهُما أخَوانِ

والرفيقان على الرحل (على سرج الناقة/ وكان الرجلان يركبان الناقة ويتعادلان على جانبيها) أخوان حتى وإن تعاطى (تبادل) القنا (الطعن بالرماح) قوماهما

فهلْ يَرْجِعَنَّ اللَّهُ نفساً تشعَّبَتْ على أَثَرِ الغَادينَ كلَّ مَكانِ

هل يعيد الله نفسي إلي بعد أن تشعبت وذهبت تتبع الغادين (الذاهبين) إلى كل مكان

فأَصبَحتُ لا أدري أأَتْبَعُ ظَاعِناً أمِ الشوقُ مِنِّي للمُقيمِ دَعَاني

احترت أأتبع الظاعن (الراحل) أم الشوق يدعوني للبقاء مع من ظل مقيماً

وما مِنْهُما إلا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ من القلبِ، فالعينانِ تَبْتَدِرانِ

وكلاهما ـ الراحل والمقيم ـ قد ذهب بشقة (بقطعة) من القلب، فعيناي تبتدران (تسكبان الدمع)

وَلو سُئِلَتْ عَنِّي النَّوَارُ وقَوْمُها　　إذنْ لَمْ تُوَارِ النَّاجِذَ الشَّفَتَانِ

لو سئلت عني طليقتي النوار وقومها لضحكوا وبدت منهم النواجذ (الأضراس الخلفية)، وذلك بعد أن نالت الطلاق مني بطلبها

لَعَمْرِي لقد رَقَّقْتِني قبلَ رِقَّتِي　　وأَشْعَلْتِ فيَّ الشيبَ قبلَ زَماني

لقد رققت عظمي (أنهكتني) قبل أواني، وشيبتني يا نوار

وأَمْضَحْتِ عِرضي في الحياةِ، وشِنْتِهِ　　وأَوْقَدْتِ لي ناراً بِكُلِّ مكانِ

وأمضحت عرضي (فضحتني) وعبتني، وجعلت اللوم ينصب عليَّ من كل مكان. وكانت النوار تطالبه بالطلاق دوماً

تميمٌ إذا تَمَّتْ عليكَ رأَيْتَها　　كَلَيْلٍ وبَحْرٍ حينَ يَلْتَقِيانِ

تميم إذا اجتمعت عليك فهي كالليل والبحر يلتقيان، فهذا ظلام دامس مخيف

هُمُ دونَ مَنْ أَخْشَى، وإِنِّي لَدُونَهُمْ　　إذا نَبَحَ العَاوِي، يَدي ولِساني

هم دون من أخشى (يحمونني ممن أخاف)، وأنا دونهم (أدافع عنهم) إذا نبح العاوي (هجاهم الهاجي) بيدي ولساني

وإنَّا لَتَرْعَى الوحشُ آمِنَةً بِنا　　ويَرهَبُنا أَنْ نَغْضَبَ الثَّقَلانِ

ونحن نجير الخائف فيأمن، حتى إن الوحش (كثيران البر) ترعى آمنة في وجودنا غير خائفة أن يأتي صائد، إذ لا يدخل حمانا أحد. ويرهب غضبنا الثقلان (الإنس والجن)

فَضَلْنا بِثِنْتَيْنِ المَعَاشِرَ كُلَّهُمْ　　بِأَعْظَمِ أحلامٍ لنا وجِفانِ

تفوقنا على كل الأقوام باثنتين: أحلامنا (عقولنا) كبيرة، وجفاننا (قصاع الطعام) كبيرة

جِبالٌ إذا شَدُّوا الحُبَى مِنْ وَرائِهِمْ　　وجِنٌّ إذا طَاروا بِكُلِّ عِنانِ

رجال تميم كالجبال رزانة إذا عقدوا الحبى (الحبوة هي الشال يجمع به الرجل بين ظهره وركبتيه)، فأما في الحرب فهم يطيرون كالجن ممسكين بعنان (بمقود) كل فرس

١٠٠ ما ضرَّ تغلب

يا ابنَ المَراغَةِ، والهِجاءُ إذا التَقَتْ　　أَعناقُهُ، وتَمَاحَكَ الخَصْمانِ

يا جرير، في الهجاء عندما تلتقي الأعناق مثلما تلتقي أعناق الخيل في المعركة، وعندما يتماحك (يتلاحى ويتشاتم) الخصمان..

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهَجَوْتَها　　أم بُلْتَ حيث تَنَاطَحَ البَحْرانِ

في الهجاء لا يؤثر في قبيلة تغلب هجاؤك، مثلما لا أثر لك إن بلت حيث تناطح (تلاقى) البحران (دجلة والفرات)

يا ابْنَ المَراغَةِ إنَّ تَغْلِبَ وائلٍ   رَفَعُوا عِنانِيَ فوقَ كُلِّ عِنانِ

تغلب رفعت عناني (مقود فرسي) فوق كل عنان، أي أنها فضلتني ورفعتني عالياً

واسْألْ بِتَغْلِبَ كيف كان قديمُها   وقديمُ قومِكَ أَوَّلَ الأَزْمانِ

اسأل عن مجد تغلب القديم وعن قديم قومك الذين لا مجد لهم..

قومٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوَةً   عَمْراً، وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمانِ

تغلب قتلوا الملك عمرو بن هند، وقسطوا (اعتدوا) على النعمان

١٠١ رثاء الأبناء

يرثي ابنيه:

أَبَى الحُزْنُ أنْ أَسْلَى بَنِيَّ، وسَوْرَةٌ   أَرَاها إذا الأَيْدي تَلاقَتْ غِضَابُها

الحزن لا يدعني أسلى (أنسى) أبنائي المفقودين، والذي يجعلني أتذكرهم أيضاً سورة (هجمة) أشهدها عندما تتلاقى الأيدي الغضبى في عراك. فالمرء يفتقد أولاده الذين من شأنهم أن ينصروه في مواقف كهذه

وكانوا هُمُ المالُ الذي لا أَبيعُهُ   ودِرْعِي إذا ما الحربُ هَرَّتْ كِلابُها

كانوا مالي، ودرعي في الحرب إذا ما اشتعلت

وكَمْ قَاتِلٍ للجوعِ قد كان منهُمُ   ومِنْ حَيَّةٍ قد كانَ سُمّاً لُعَابُها

وكان من أولادي من يقتل الجوع بتقديم الطعام للناس، وكان منهم من هو حية ذات لعاب سام (قوي شديد على الأعداء)

فلا تَحْسَبا أَنِّي تَضَعْضَعَ جَانِبي   ولا أنَّ نارَ الحربِ يَخْبُو شِهَابُها

ولكن، لم يتضعضع (يتخلخل) جانبي وبقيت صلباً، ولا تحسبا نار الحرب قد خبا شهابها (خمدت نارها)

بَقِيتُ، وأَبْقَتْ مِنْ قَناتي مَصابَتي   عَشَوْزَنَةً زَوْرَاءَ صُمّاً كِعَابُها

قد عشت بعدهم، وبقي من قناتي (جسمي) بعد مصابتي (مصيبتي) قامة عشوزنة (قوية) زوراء (تميل بعز وفخر) صم كعابها (صلدة قوية). المعنى الملموح: المصيبة جعلتني أقسى وأشد

عَلى حَدَثٍ لو أنَّ سَلْمَى أصابَها   بِمثْلِ بَنِيَّ ارْفَضَّ منها هِضابُها

هذا رغم حدث لو أصاب جبل سلمى لارفضت (تفرقت وانهارت) هضابها

وأَقْعَتْ على الأَذْنابِ كلُّ قبيلةٍ   على مَضَضٍ مِنِّي، وذَلَّتْ رِقابُها

وقد أقعت (جلست) كل قبيلة على ذنبها إقعاء الكلب خاضعة الرقاب ذليلة بعد هجائي لها

١٠٢ ضيافة

وَمُسْتَنْبِحٍ والليلُ بيني وبينَه يُراعي بِعينيْهِ النجومَ التَّوَالِيَا

رب مستنبح (تائه في الصحراء ينبح التماساً لكلب يجيبه فيعرف مكان قوم لديهم مأوى وطعام)، والليل بيني وبينه، وهو ينظر إلى النجوم

سَرى إذ تَغَشَّى الليلُ، تَحْمِلُ صوتَه إِلَيَّ الصَّبا، قد ظَلَّ بالأمسِ طَاوِيا

سار وقد تغشى الليل (غطى الأشياء) وريح الصبا تحمل إلي صوت نباحه، وقد قضى أمسه طاوياً (جائعاً)

تَأَنَّيْتُ واسْتَسْمَعْتُ حتى فَهِمْتُها وقد قَفَّعَتْ نَكْباءُ مَنْ كان سَارِيَا

تمهلت، واستسمعت (أصغيت) حتى فهمتها (تأكدت أنه صوت إنسان) وكانت ريح نكباء (هوجاء جاءت بين ريحين) قد قفعت (جمدت أصابع) من يسري في الليل

فلمَّا رأيْتُ الريحَ تَخْلِجُ نَبْحَهُ وقَد هَوَّرَ الليلُ السِّمَاكَ اليَمَانِيَا

لما رأيت الريح تخلج (تذبذب) نباحه وتجعله يتموج في الأذن، وكان الليل قد هور (أسقط) نجم السماك اليماني

حَلَفْتُ لَهُمْ إن لَمْ تُجِبْهُ كلابُنا لأَسْتَوْقِدَنْ ناراً تُجِيبُ المُنادِيا

حلفت للقوم أنني سأوقد ناراً عظيمة تستجيب لصوته إن لم تجبه كلابنا بنباح

وقُلْتُ لِعَبْديَّ اسْعِراها فإنه كَفَى بِسَناها لابْنِ إِنْسِكَ دَاعِيَا

قلت للعبدين اسعراها (أوقدا النار)، فكفى بسناها (ضوئها) داعياً للإنسان

فَما خَمَدَتْ حتى أَضَاءَ وَقُودُها أَخَا قَفْرَةٍ يُزْجِي المَطِيَّةَ حَافِيَا

اشتعلت النار ولم تخمد حتى كان أخو القفرة (التائه في الصحراء) قد وصل وأضاءت النار وجهه، وكان يزجي المطية (يسوق ناقته) حافياً

فَقُمْتُ إلى البَرْكِ الهُجُودِ، ولم يكنْ سِلاحِي يُوَقِّي المُرْبِعاتِ المَتَالِيَا

فقمت إلى البرك الهجود (النياق الراقدة). وأنا رجل لا يوقي سلاحي (لا يوفر، ولا يترك) المربعات المتاليا (النياق الحوامل في الربيع التي يتلوها أولادها)

فَمَكَّنْتُ سَيفي مِنْ ذَوَاتِ رِمَاحِها غِشَاشاً، ولم أَحْفِلْ بُكَاءَ رِعَائِيا

أتيت إلى ناقة منها ومكنت سيفي من ذوات رماحها (من قوائمها التي ترمح، أي ترفس، بها) غشاشاً (في وقت يغشاه الظلام)، ولم أهتم ببكاء الرعاة

وقُمْنَا إلى دَهْمَاءَ ضَامِنَةِ القِرَى غَضُوبٍ إذا ما اسْتَحْمَلُوها الأثَافِيَا

وقمنا إلى قدر دهماء (سوداء) تضمن القرى (طعام الضيف) غضوب عندما نحملها فوق الأثافي (الحجارة التي توضع عليها القدر)، لعلِ غضب القدر لأنها تتقلقل قبل أن تثبت وتتوازن فوق الحجارة، عموماً سنراها تغضب أكثر بعد قليل

رَكُودٍ كَأَنَّ الغَلْيَ فيها مُغِيرَةٌ رَأَتْ نَعَمَاً قد جَنَّهُ اللَّيْلُ دَانِيا

هذه القدر ركود (ثابتة رصينة) كأن صوت غليان الماء واللحم بداخلها صوت مغيرة (جماعة تشن غارة) قد رأت نعماً (إبلاً) جنه الليل (أخفاه) ولكنه دان (قريب)

إذا اسْتَحْمَشُوها بِالوَقُودِ تَغَيَّظَتْ على اللَّحْمِ حتى تَتْرُكَ العَظْمَ بَادِيَا

إذا استحمشوها (أهاجوها) بالوقود (بوضع المزيد من الحطب تحتها) تغيظت على اللحم (هذه غضبة القدر الكبيرة على ما فيها من لحم) تنهكه حتى يتقلص فيبدو العظم

كأنَّ نَهِيمَ الغَلْيِ في حُجُراتِها تَمارِي خُصُومٍ عَاقِدِينَ النَّوَاصِيا

كأن نهيم الغليان (صوته المغمغم) في حجراتها (جوانب القدر) تماري خصوم (جدال بين خصوم) عاقدين النواصيا (رابطين رؤوسهم)

فمَا قَعَدَ العَبْدانِ حتى قَرَيْتُه حَليباً وشَحْماً مِنْ ذُرَى الشَّوْلِ وَارِيا

فما أتم العبدان المهمة وقعدا حتى قريت الضيف (أطعمته) حليباً وشحماً وارياً (سميناً) من ذرى الشول (سنام الناقة)

١٠٣ البكاء راحة

ألَمْ تَرَ أَنِّي يومَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَا لِيا

في ذلك المكان «جو سويقة»، وذلك اليوم، بكيت فنادتني هند: ما لك؟

فقلتُ لَها إنَّ البُكاءَ لَراحَةٌ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَلَّا تَلاقِيَا

البكاء راحة يشتفي به من أحس أن هذا آخر لقاء ولا تلاقيَ بعده

قِفِي وَدِّعِينا يا هُنَيْدُ، فَإِنَّنِي أَرَى الحَيَّ قد شَامُوا العَقِيقَ اليَمَانِيَا

ودعينا يا هند، فالحي (القوم) قد شاموا (تتبعوا بنظرهم) العقيق اليماني (البرق البادي من جهة اليمن) أي أنهم سيرحلون في اتجاه سير السحاب ذي البرق طلباً للعشب

أَرانِي إذا فَارَقْتُ هِنداً كأنَّنِي دَوَى سَنَةٍ مِمَّا التَقَى في فُؤَادِيَا

بفراقي هنداً كأنني دوى (مريض) مضت على مرضي سنة، مما تجمع في قلبي من أحزان

الفرزدق

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

جرير بن عَطيَّة بن الخَطَفى
(٣٠هـ - ١١٥هـ)

هذا شاعر متميز.

لا والله، ليس متميزاً، فعندنا منه نسخة أخرى اسمها الأخطل، وأخرى اسمها الفرزدق. ما الذي جعلني أبدأ بجملة بليدة كتلك الجمل التي يبدأ بها الأكاديميون مقالاتهم؟ لا أدري.

الثلاثة جميعاً كانوا شتامين، فاخرين، قوَّالين. نعم، أقرب مثال أجده القوَّالون في بلاد الشام. يدعو الرجل إلى عرس ابنه زجالاً قوَّالاً، ويدعو زجالاً آخر من طبقته، فيدخل الزجالان في معركة يتبادلان فيها السباب، ثم قد يتغزل أحدهم بمحبوبته السمراء، ويرد عليه الآخر مفضلاً البيضاء. ويمدحان العريس وأهله، والعروس وأهلها. ويتسلّى المدعوون.

هكذا كان بشر بن مروان أمير الكوفة يدعو الشعراء، ويحرض بعضهم على بعض ويجلس يستمتع. وكان جرير أحدهم.

يصف صاحب مقال «جرير» في موسوعة الإسلام المستشرقية شاعرنا بأنه «شكس» بطبيعته، ويجعل هذا الوصف - الذي يمكننا أن نترجمه بالمقاوح، والنكد، والشرس، ومثير الخصومة، وقليل السماحة، الخ - مفتاحاً لشخصية جرير. ويراه بعض الدارسين العرب حقوداً لأنه من بيئة فقيرة، ولأنه كان - زعموا - دميماً قصيراً. ولا نرى رأي المستشرق، ولا رأي أبناء جلدتنا. ونلتفت إلى تلك الأبيات الفكهة المنثورة نثراً في كل قصائد جرير، ونلتفت إلى مكانته الجليلة من قبيلته، ونلتفت إلى قول قديم بأنه كان طويلاً حسن الشَّعر. ونرى جريراً رجلاً سمحاً يحب النكتة، قريب الدمعة، يحب قبيلته وعائلته.. ليس فقط زوجته العزيزة خالدة وأولاده، وقال فيهم جميعاً شعراً رقيقاً، بل

أحب جده البخيل ووالده القميء ـ ولا بد من الاعتراف بأن والده كان قميئاً، فقد أجمع القدامى على هذا ـ، كانت علاقته بوالده علاقة الفقير بوالده، يتسابان قليلاً، ولكنهما يتعايشان.

عندما سب ابنٌ لجرير أباه، قالت له الأم: ويحك، أتقول هذا لأبيك؟ فقال لها جرير: دعيه، فوالله لكأني أسمعها من فمي أقولها لأبي.

بعد قليل سنحدثك عن حياة جرير فاصبر.

ليس لدينا مفتاح واحد يفتح شخصية جرير. مات العقاد وأخذ مفاتيحه. لكننا نقول إنه كان يتسلّى بحفلات الهجاء، وإنه كان يعرف تقاليد الشعر العربي. قيل كان جده الخطفى شاعراً. ولعل جريراً سمع شعراً كثيراً في مجالس العشيرة. وننبه أنفسنا إلى أن العروض لم يكن قد اخترع بعد ـ وسينتظر الناس سبعين سنة بعد موت جرير ليسمعوا أول مرة بالطويل والخفيف والكامل ـ. ولم يكن علم البلاغة قد اخترع بعد. لا، ولا النحو. جرير عتيق، ولد في خلافة عثمان. ولكنه كان يكتب. تعلم الكتابة في قريته أثيفيَّة باليمامة (غير بعيد من الرياض عاصمة السعودية اليوم).

درج في قريته بين أهله وأغنامهم، وحميرهم أيضاً. ولئن كانت قبيلته يربوع ذات مجد حربي قديم، فقد كانت عشيرته كليب ترعى أغنامها في اليمامة وادعة، لكن غيرَ ناسية أنها من يربوع، ولا أنها تنتمي فوق ذلك إلى تميم إحدى أكبر وأمنع قبائل العرب.

هاجر من تميم من هاجر مع الفتوح، وكانت لهم بالبصرة والكوفة خطط. ولكن جريراً وأهله ظلوا يعيشون في اليمامة على جاهليتهم. قد أسلموا وأدوا الصدقات، ولكن حياتهم لم تتغير كثيراً. قد لا يكون الطفل جرير ابن السابعة فهم حديث الناس عن قتل المسلمين خليفتهم عثمان، لكنه بالتأكيد سمع وقد تجاوز العاشرة بمقتل علي. واستتب الأمر لمعاوية، ولم تكن تميم المضرية القبيلة المقربة للخليفة الجديد، فقد حاربته في صفين مع علي، وظلت قبائل اليمن، لا مضر، ذراع معاوية.

وانشغل جرير بمهاجاة أبناء اليمامة ممن نطقوا بالشعر، ولمع نجمه.

كان الشعر في ذلك الزمن يسافر بأجنحة قوية: هي شهوة العرب المعروفة للشعر، وهي أن الشعر كان سلوتهم الوحيدة، وهي أن ذائقتهم لشعرهم كان حادة.

بايعت تميم معاوية، وظلت على بيعته العشرين سنة التي حكمها، تأخذ أعطياتها وتحتضن قلوباً تكره معاوية، ولكنها عاشت عيشة ناعمة في ظل سيدها الكبير الأحنف بن قيس الذي جمع من الحلم والدهاء ما جمع معاوية.

ومات معاوية وورث الحكم يزيد، ووفد عليه جرير فوجده قد سمع بشعره. ثم جاءت أمور كبار.. قتل يزيد الحسين بن علي، وشدد النكير على عبد الله بن الزبير في مكة كي يبايع، فلم يبايع، فاستقل ابن الزبير بالحرمين ثم أرسل أخاه مصعباً والياً على العراق. فكان من جلساء مصعب في الكوفة الأحنف. كانت تميم زبيرية الهوى، ولكنها عاشت في حلم الأحنف أربعين سنة، ومثلما أغمدت سيوفها في وقعة الجمل قعدت في هذا الزمن الزبيري ـ الأموي الذي دام نحو عشر سنين على السياج تشهد فحول قريش تنتطح على الحكم. وقبل موته لا بد أن الأحنف سمع وهو بالكوفة أن شاعرين من فخذين من تميم بدآ يتشاتمان، أحدهما الفرزدق والآخر جرير. ولعله تسلى بالأمر. ومات الأحنف، ولم تعرف تميم سيداً قوياً تجتمع حوله مثل الأحنف، فلم يجد الشاعران من يقدعهما. وظلا يتهاجيان ثماني أربعين سنة.

نعود إلى جرير نفسه.

ظل باليمامة حتى أواسط الثلاثين من العمر، ورحل إلى الشام، وأتى يزيد، ورجع عن يزيد. وجلس على السياج غير غامس لسانه في الصراع على الحكم، ثم استتب الأمر لعبد الملك بن مروان، وقضى على دولة ابن الزبير في العراق ثم في الحرمين، ودانت له الأمة في عام ٧٣. وولى أخاه بشراً العراق.

ما كان شيء أحب إلى قلب بشر من الوقيعة بين الشعراء. كان يجد في ذلك تسلية عظيمة. وكان جرير سريع الاستثارة، ليس لشكاسة فيه، ولا لشرّ، بل كان يتسلى هو أيضاً.. لم يكن ابن الراعي الفقير يجد غضاضة إذا شَتم وشُتم، وكان يجد من قبيلته يربوع من يشجعه، فالقوم لهم مآثر في الجاهلية، وجهاد في الإسلام، وإن لم تعرف لهم سيادة كسيادة أبناء عمومتهم مجاشع مثلاً.

ومات بشر أمير العراق بعد سنتين وجاء الحجاج، وقضى على «جيوب المقاومة» الخارجية بعض قضاء، وأسس مدينة له هي واسط. ومنع أحداً أن يدخلها إلا بإذن. ودخلها جرير بغير إذن. ولم يبطش به الحجاج الذي وصف نفسه قائلاً «ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دمٍ مني»، بل استمع إليه، وقربه. وأصبح جرير مداحاً للحجاج.

كان الحجاج بطاشاً كبيراً، لكنه لم يكن يتعدَّى مرتبته: هو الرجل الثاني، الذي يعرف أن الأمر لقريش لا لثقيف، فهو خادم مطيع لمن فوقه، جبار على من تحته. غير أنه كان من أفصح العرب، وكان يقدر الشعر. ولعله أخذ يشعر بالضيق من مدائح جرير.. فهذا مما قد يغير قلب الخليفة عليه. وخير ما يصنعه أن يبعث بشاعره هدية إلى الخليفة عبد الملك بن مروان.

كان الحجاج حريصاً الحرص كله على التخلص من جرير. فالخليفة في دمشق لن يكتفي بشاعره الأخطل، شاعر بني أمية الذي وضع مصيره في أيديهم، فهجا عنهم الأنصار قبل بضع سنين عندما غمزهم شاعر الأنصار عبد الرحمن بن حسان وعرَّض نفسه للموت في سبيلهم. وحتى لو اكتفى الخليفة بشاعره الأثير، فهو لن يغفر لواليه المطيع الحجاج أن يكون له شاعر في قامة جرير وقدرته.

كان عبد الملك ذواقة للشعر نقادة، أليس عندما جاءه ابن الرقيَّات وأنشده: «يعتدل التاج فوق مفرقه/ على جبين كأنه الذهب» قال له: تقول لي هذا، تمدحني كأنني من ملوك العجم، وتقول لمصعب: «إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء». ثم حرمه.

بعث الحجاج جريراً إلى عبد الملك هدية، وزيادة في حرصه على أن يقبل الخليفة الهدية بعث معه ابنه محمداً.

عبد الملك لا يريد شاعراً يمدحه مدحاً بارداً بعد إذ مدح واليه مدحاً قوياً. فرده مرة ومرة، ولكن ابن الحجاج ـ بوصية من أبيه ـ لم يبرح دمشق، وظل بباب الخليفة يستعطفه حتى أذن لجرير بالإنشاد، وعلى مضض. قال الخليفة لجرير: إنما أنت شاعر الحجاج. وشتمه بعد البيت الأول. ولكن جريراً مضى ينشد حتى قال: «ألستم خير من ركب المطايا»، فعرف عبد الملك أن الرجل شاعر صاحب صنعة، وأنه سيكون درة ثانية في عمامة خلافته.

وأعطاه عبد الملك مئة ناقة وثمانية رعاء، ورجع جرير إلى قومه باليمامة مظفراً. وتناول في اليمامة بعض الشعراء الذين هجوا قومه فهجاهم وأسكتهم. وعاد إلى دمشق في قدمة أخرى ورأى الأخطل في مجلس عبد الملك لأول مرة، ولم يعرفه حتى عُرِّف به. إذن فهذا شاعر بني أمية العجوز الذي تبرع بمناصرة الفرزدق عليه؟ شتمه واستطال عليه في مجلس الخليفة. ومن حسن حظ جرير أن عبد الملك كان كأخيه بشر يحب أن يتسلى بالشعراء. فما داما

كلاهما من مداحه فلا بأس في أن يستبَّا في حضرته.. وبقبيح الكلام. وعاد جرير إلى اليمامة في نجد، إلى أولاده الكثر وعائلته الكبيرة. فقد كان يعول ثمانين نفساً حسبما زعم.

ثم طلبته يربوع البصرة، فهو شاعرها ولسانها. فأقام في البصرة سنين يتهاجى مع الفرزدق وغير الفرزدق.. أحصوا الشعراء الذين هاجاهم جرير فكانوا ثلاثة وأربعين.

قصة جرير وراعي الإبل النميري

في البصرة نصر الشاعر النميري الملقب براعي الإبل الفرزدق على جرير. وكانت قصة.

قد رويتُ هذه القصة في الإذاعة يوم أن اشتغلت في إذاعة، وكتبتها في مكان آخر، ولكنها طريفة. فهل ترافقني فيها؟ وأنا أكتبها هنا كتْباً جديداً فراراً من معرة القص واللصق.

أراد جرير أن يوفر على نفسه عدوًّاً جديداً. فوقف في مكان خالٍ بالمربد ينتظر انصراف «الراعي» من مجلسه الذي تعود أن يجلس فيه مع الفرزدق، ولم يرد جرير أن يراه أحد، ولا أن يواجه الراعي في المجلس.

وانصرف الراعي راكباً بغلة، ووراءه ابنه جندل يركب مهراً. قال جرير للراعي: «يا أبا جندل، إنك شيخ مضر، وقد بلغني تفضيلك الفرزدقَ عليَّ، فإن أنصفتني وفضلتني كنتُ أحق بذلك، لأني مدحت قومك وهجاهم». ووضع جرير يده على عنق البغلة، وأردف: «الفرزدق ابن عمي، ولا عليك كلفة في أمري معه، وقد يكفيك من ذلك هين: أن تقول كلاهما شاعر كريم، فلا تحمل منه لائمة ولا مني».

سكت الراعي. ثم إذا بابنه جندل يلحق به، ويضرب عجز بغلته قائلاً: أراك واقفاً على كلب بني «كليب»، كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً. فرمحت البغلة جريراً، فوقعت قلنسوته عن رأسه. فتناولها. يقول جرير: «ما كانت القلنسوة بأغيظ أمره إليَّ، لو أنه عاج علي». ولكن الراعي مضى ولم يعج.

فانصرف جرير مُغْضباً إلى بيت رجل من يربوع كان نازلاً عنده بالبصرة.

فلما صلى العشاء، قال أسرجوا لي، وارفعوا لي باطية نبيذ. وصعد إلى عليته مع صاحبه، ومعهما كتف للكتابة. وأخذ يهمهم ويملي على صاحبه. «أقِلِّي اللوم عاذل والعتابن. . وقولي إن أصبت لقد أصابن» وكانت في جرير غنة، ينشد فكأنه يُدخل في حروفه نوناً. وسمى أهل اللغة هذه النون في تلك القصيدة نون الترنم.

أطلت امرأة على جرير فرأته عريان يحبو على أربع، فنزلت مسرعة وقالت: جُنَّ صاحبكم. فقالوا لها: دعيه فهذا شأنه عندما يأتيه الشعر. فلما بلغ جرير البيت: «فغض الطرف إنك من نمير. .» ظل يردد هذا الشطر طويلاً، فلصقت ذقن صاحبه بصدره ونالته إغفاءة. وجرير يبحث في تلافيف عقله الشعري عن الشطر الثاني. ثم إذا به يقول «الله اكبر» ويكررها. فصحا صاحبه مذعوراً، فقال له: «اكتب «فلا كعباً بلغت ولا كلابا»، أخزيته ورب الكعبة، وفضلت أخويه عليه».

ثم انطلق جرير إلى مكان الراعي والفرزدق في المربد، بعد أن استيقن أنهما أخذا مجلسهما. ركب حصانه ووقف من غير أن يسلم، وانطلق ينشد قصيدته بأبياتها التي زادت عن الثمانين بيتاً. وعندما سمع الراعي القصيدة قال لقومه: اركبوا فقد فضحكم جرير. وساروا وسارت القصيدة. وكانوا كلما نزلوا بمكان وجدوا القصيدة قد سبقتهم.

تقول الأسطورة إن بني نمير أخذوا يظنون أن لجرير أشياعاً من الجن ينشرون شعره. ولكن الحق أن العرب كانت تتذوق الشعر، وأنه كان يسير ويضرب في الأرض. وقد تركت هذه القصيدة بني نمير يستحون من نسبتهم زمناً. وسميت القصيدة الدامغة، أي التي تصيب الدماغ.

رَجْع إلى جرير الهجَّاء

ما استبَّ شاعران منذ كان للعرب شعر مثلما استب جرير والفرزدق. على أن جريراً كان يهاجي سوى الفرزدق اثنين وأربعين شاعراً آخر، ويتفق النقاد على أنه لم يصمد لجرير سوى الفرزدق والأخطل.

وستجد جريراً يسب الأخطل بدينه، ولو كان الخلق مما يوزن به الشعر لسقط جرير بهذا سقوطاً. فالأخطل لم يكن يستطيع ـ إن هو أراد أصلاً ـ أن يتعرض للإسلام وهو شاعر خليفة المسلمين. فهنا كانت مروءة جرير ناقصة

نقصاً معيباً، وكانت مروءته ناقصة وهو يزعم أن أخت الفرزدق زانية، وكان جديراً بأولي الأمر في دولة بني أمية أن يكفوه عن مثل هذا، ولكنهم كانوا يتسلون، وكان يطيب لهم أن يؤججوا العداوة بين القبائل. على أن شاعرنا لقي تعزيراً من والي المدينة عندما لج الهجاء بينه وبين عمر بن لجأ التيمي، فقد قيدا معاً ظهراً لظهر، وتركا في الشمس ساعات. ثم أفرج عنهما على ألا يعودا إلى التهاجي. فكف عمر، لكن جرير كان يستل الواحدة تلو الأخرى ويقول: هذه كانت قبل العهد.

وتولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، ولجرير من العمر خمس وستون سنة، ووفد عليه جرير، وظن أن الخليفة الجديد يحب التأريث بين الشعراء كوالده وكعمه، فأطلق لسانه في شاعر الخليفة عدي بن الرقاع، فكاد الخليفة أن ينتقم من جرير بجعله مطية لعدي في ذلك المجلس، لولا أن تدخل عمر ابن الخليفة الوليد.

قتل الأسرى وسبي السبايا

استخلف الوليد عشر سنين لم يكن لجرير فيها حظوة. ثم تولى الخلافة سليمان. فمدحه جرير وحضر مجلسه. وكان له في مجلسه حكاية مع الفرزدق، فيها ما يؤلم. فقد جيء بأسرى الروم كي تضرب أعناقهم في مجلس سليمان. وقال الخليفة لكل من جرير والفرزدق: ليضرب كل منكما رقبة علج من هؤلاء.

ضرب جرير رقبة أسير فقتله، وضرب الفرزدق بسيفه فنبا عن عنق الأسير. وكانت حادثة عيَّره جرير بها في أكثر من قصيدة.

وقد قرأت قصة هذه الحادثة في كتب الأدب القديمة والحديثة مراراً كثيرة، ووجدتهم يروونها بكل طريقة، وينشدون ما قاله جرير وما رد به عليه الفرزدق من شعر. ولم أجد أحداً وقف متأملاً في هذه الوحشية البغيضة. بغيض أن يُقتل الأسرى، وبغيض أن يقتلهم الخليفة في مجلسه، وبغيض جداً أن يجعل قتلهم تسلية له ولشعرائه.

لا أشك في أن الروم في القسطنطينية كانوا يقتلون أسرى المسلمين، وأكاد أراهم يفعلون بهم مثلما يفعل المسلمون. ولست أشك لحظة في أن السبايا الروميات اللائي ملأن قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء، كانت توجد مقابلهن سبايا مسلمات يخدمن في قصور القسطنطينية وفي أسِرَّة أثريائها. ولئن كان

المعتصم قد غزا الروم غزوة كبيرة انتقاماً لامرأة «هاشمية» جاءه أنها قالت: وامعتصماه، فإن المعتصم ومن قبله وبعده من الخلفاء لم يسمعوا صرخات سبايا المسلمين وهن يصرخن، ذلك أن السبايا من الطرفين كن من فتيات الفلاحين الفقراء على جانبي الحدود. ولعل آباءهن كانوا يقولون في أنفسهم فلتذهب هذه البنت إلى المعسكر الآخر، ولتعش حياة أهنأ مما نعيشه هنا تحت سوط السلطان ندفع الخراج ونجوع. انتهى سوق العبر.

نورد هذا الكلام ونحن نرى قضية السبايا تتكرر ولكن في غياب الروم، تتكرر على نساء من أقوام ضعاف يتمسكون بطريقة عيشهم وبدينهم، نكتب هذا في آب من عام ألفين وخمسة عشر، ونرجو أن نتغير وأن ننتصف من ظلم العالم، وأن نكون منصفين. وتسألني: فلماذا تورد إذن هذا الشعر الذي يسقط في ميزان الأخلاق؟ فأقول هذا إرثنا الشعري، وأنفُك منك وإن كان أجدع. وعيار الفن غير عيار الأخلاق.

وعهِد سليمان بالخلافة لعمر بن عبد العزيز، ووفد عليه جرير، ولم ينل شيئاً، ولكنه رضي، ومدح عمر ورثاه عندما مات بعد سنتين من خلافته. وجاء هشام فمدحه جرير، ومدح ابنه، ونال العطايا وهو شيخ كبير.

ومات الفرزدق عن تسعين سنة، فشمت به جرير هنيهة وقال بيتاً ندم عليه، ثم رثاه مرتين، وقال: لا أعيش بعده طويلاً. ومات جرير بعد الفرزدق بأشهر. مات جرير بين أهله في اليمامة.

وصلنا شعر جرير بحالة طيبة.. نسبياً. فقد كان له من أولاده وبناته وأحفاده شعراء اهتموا بشعره ورووه. وعندما كتبه الكاتبون بعد عقود كان لديهم ما يستندون إليه من روايات شفوية، وربما أيضاً مخطوطة.

يمكننا أن نطمئن إلى معظم ما في ديوان جرير. ويقول لنا نقاد الشعر القدماء إن البيت الفلاني أو الفلاني نسب إلى جرير خطأ، لكنهم لم يقولوا قط إن الكثير من شعره منحول. هو شعره بعجره وبجره. ولا تسل كثيراً عن ترتيب الأبيات، فجرير كشعراء الجاهلية قبله يقفز من موضوع إلى موضوع، ومن غزل بأمامة إلى غزل بسليمى، ولو بدل الرواة في رواياتهم مواضع الأبيات لما أضروا بشعره كثيراً، بل ربما جبروا بعض ما فيه من خلل. في كثير من الأبيات عليك أن تشتد على نفسك في التأول حتى تخلص إلى معنى البيت، وقد عانينا من ذلك نصباً. كان شاعرنا يريك طرف المعنى، مثلما يريك جبلُ الجليد قمتَه،

ويترك الباقي في بطنه. كذا كان شعر القدماء، وعندما ستسطع أضواء العصر العباسي سنجد الشعر أكثر تماسكاً، والمعنى أكثر التصاقاً بالمفردات، وأكثر التزاماً بقواعد النحو.

لا تنس وأنت تطالع شعر جرير الذي انتخبناه لك، وهو زبدة الزبدة، أن تلتقط أبيات الفكاهة، وفكاهة جرير حارة وجميلة. وقد سودنا لك أبياتاً هنا وهناك حتى نتشارك في الاستمتاع بها. وقد يكون لك رأي غير رأينا في أي الأبيات أجمل. اذهب واصنع مختاراتك أنت. فأما هذه فمختاراتي.

عن جرير قالوا الكثير، هو يغرف من بحر، وهو أستاذ الشعراء في الإسلام، الخ. ذلك تجده بأيسر سبيل في كل كتاب وكل موقع. ولم نكتبه لك. كتبنا لك رؤيتنا نحن لشعر جرير وحياته. ولم نخترع شيئاً؛ وكنا في سياقة حياة شعراء غيره نخترع ونكمل القصة من عندنا، مع الاعتراف بذلك قياماً بحق الأمانة. وتبقى في حياة جرير أمور تضطرب فيها كلمة مؤرخي الشعر، يزيدون سنة أو سنتين في تاريخ ميلاده، ووفاته، ويروون حكاياته بروايات تتقارب وتتباعد.

سلق الأكاديميين

قد عهدتنا نسلق الأكاديميين ببعض الأسطر في كل مرة نتناول فيها شاعراً. قد شرح ديوان جرير إيليا الحاوي لطلابه، ولم يكن رديئاً. واستند تماماً إلى نسخة كرم البستاني. ولم يشرح ما عجز عن شرحه ولم يقل لنا ذلك. ووجدنا نسخة الصاوي بغير شرح. وجاء أكاديمي بأخرة فطبع الديوان في ألف صفحة عن نسخة شارح قديم، ولم يكن شرحُ الشارح القديم كافياً، فقد ترك من الأبيات أكثر مما شرح. على أن الأكاديمي الأخير كسل عن تشكيل كثير من الكلمات. وأشعرنا بالاستسهال، رغم الجهد الذي بذله. ولو رأى ما صنع الأب صالحاني بنقائض جرير والأخطل لتضاءل وعزف عن الوقوف أمام المرآة زمناً، هذا لو كان فيه حياء.

ديوان جرير ينتظر محققاً لا يستسهل.

فإن أردنا أن نعتذر لمن أصدروا الديوان بعذر فهو إقرارنا بأن ما صنعناه أيسر بكثير مما كان عليهم أن يصنعوه، فنحن انتخبنا من ذلك الشعر ما راق لنا وما فهمناه، ولو أقدمنا على الديوان كله لربما كان بدا من عجزنا ما بدا من عجزهم.

وننظر حولنا فنرى مئات الجامعات في العالم العربي، وبها مئات كليات الأدب العربي، فماذا نرى؟ نرى أساتيذ نزلت بهم هممهم عن رتبة الإتقان، وتنطحوا لكتابة أسمائهم على أغلفة الدواوين، وهم يتكثرون في مقدماتهم بفضول القول في مدح النفس، ويتنطعون ما وسعهم بأنهم يخدمون التراث، وقد ترى أحدهم يتلمظ بركيك العبارة ويتمطق بسقيم الكلام وهو ينبئك بأنه ينافح عن العروبة والإسلام. ويصنع لهم طلبتهم رسائل دكتوراه تافهة عن الجانب الفلاني أو الفلاني في شعر فلان أو فلان، فتأتي رسائلهم وقد انحطت دركة عن مستوى أساتذتهم، ويذهب الطلبة فرحين بهذه الأسقاط إلى المطابع، فيجعلونها كتباً تشوه واجهات المكتبات، ثم ينصرفون إلى التدريس الجامعي لكي يتخرج على أيديهم جيل ينحط دركة أخرى عنهم، فيكون كالدرهم المسيح، أو كالكتاب المسروق بالأوفست صورة عن صورة.

١ زينب

لَقَد هَتَفَ اليومَ الحَمامُ لِيُطرِبا وعَنَّى طِلابُ الغَانياتِ وشَيَّبا

صَوَّت الحمام ليطرب (ليُحزِن)، فقد عنَّاني (أوجعني) طلاب الغنيات (تتبُّع الحسان) وشيَّب رأسي

وأَحبَبْتُ أهلَ الغَوْرِ مِنْ حُبِّ ذي فَناً وأَحبَبْتُ سُلْمانِينَ مِنْ حُبِّ زَينَبا

٢ إخضاع العفاريت

وكائِنْ بِالأَباطِحِ من صديقٍ يَراني لو أُصِبْتُ هُوَ المصابا

وكائنْ (ورُبَّ) صديق في الأباطح يتوجع لمصيبتي كأنها أصابته

ومسرورٍ بِأَوْبَتِنا إليه وآخرَ لا يُحِبُّ لنا إيابا

ورب مسرور برجوعنا، وآخر لا يتمنى لنا رجوعاً

صَبَرْتَ النفسَ يا ابنَ أبي عقِيلٍ مُحافَظَةً فكيف تَرى الثَّوابا

صبرت نفسك (صبَّرتها) أيها الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل محافظة (حفاظاً على الشرف) فهل ترى كيف كان النصر ثوابك

ولو لم يَرضَ ربُّكَ لم يُنزِّلْ مع النَّصْرِ الملائِكةَ الغِضابا

نصرك الله بالملائكة الذين غضبوا للشرف والدين، وهذا دليل رضا الله. (فالحجاج هدم جانباً من الكعبة بالمنجنيق، فكان لا بد للشاعر المنافق من أن يزوده بصك غفران من ملائكة تقاتل معه)

إذا سَعَرَ الخليفةُ نارَ حربٍ   رأى الحَجّاجَ أثقبَها شِهابا
سعر: أوقد، أثقبها: أشدها اشتعالاً، الشهاب: الشعلة من اللهب

عَفَاريتُ العِراقِ شَفيْتَ مِنْهُمْ   فَأمْسَوْا خَاضِعِينَ لكَ الرِّقابا
شفيت نفوسنا من عفاريت العراق (الشياطين الخارجين على الدولة كالخوارج)، فخضعتْ رقابهم لك

وقالوا لن يُجامِعَنا أميرٌ   أقامَ الحَدَّ واتَّبَعَ الكتابا
كانوا يقولون لن يجمعنا البلد مع أمير يقيم حدود الله ويتّبع كتابه..

إذا أخذوا، وكيدُهُمُ ضعيفٌ،   بِبابٍ يَمْكُرونَ فتحتَ بابا
فأصبحوا كلما دخلوا باباً للفتنة فتحت لهم باباً من الدهاء، وفي النتيجة كان كيدهم ضعيفاً

وأشمَطَ قد تَرَدَّدَ في عَماهُ   جعلتَ لِشَيْبِ لحيتِه خِضابا
ورب رجل أشمط (اختلط سواد شعره ببياض) يروح ويجيء في ضلاله، وقد خضبت (صبغت) لحيته بدمه، (وذلك هو عمير بن ضابئ البرجمي، الذي كان دخل على عثمان يوم قتل وداسه، قتله الحجاج سنة ٧٥هـ)

٣ أنا والغواني

نَعَبَ الغُرابُ فَمَا له مِنْ مَطْلَبِ   ما شئتَ إذ ظَعَنوُا لِبَيْنٍ فانْعَبِ
صوَّت الغراب ولا مطلب (غاية) له لأن صوته نذير برحيلهم، وهم الآن قد ظعنوا (رحلوا) فعلاً، فصوِّت كما تشاء

إنَّ الغَوانِيَ قد قَطَعْنَ مَوَدَّتي   بعد الهوى ومنعْنَ صَفْوَ المَشْرَبِ
وإذا وَعَدْنَكَ نائلاً أَخْلَفْنَهُ   وجَعَلْنَ ذلكَ مثلَ بَرْقِ الخُلَّبِ
النائل: ما يناله المرء، برق الخلب: برق السحاب الخادع، يبشر بمطر ولا يأتي مطر

٤ كل واشرب

فإنكَ يا خِنزيرَ تَغْلِبَ إن تَقُلْ   رَبيعَةُ وَزْنٌ مِنْ تَميمٍ تُكَذَّبِ
أبا مالِكٍ لِلحيِّ فضلٌ عليكُمُ   فَكُلْ مِنْ خَنانِيصِ الكِناسَةِ واشْرَبِ
الخنانيص: صغار الخنازير، كل لحم الخنزير واشرب الخمر. أو أنه جعل «واشرب» مجرد لاحقة لـ «كُل»!

٥ وظيفة المكارم

لـقـد عـلـمَ الـفـرزدقُ أنَّ قَـوْمـي يُـعِـدُّونَ الـمـكـارمَ لـلـسِّـبَـابِ

نحن ندخر المكارم لكي نرد بها على من يسبنا

إذا عَـدَّتْ مـكـارِمَـهـا تـمـيـمٌ فَـخَـرْتَ بِـمِـرْجَـلٍ وبِـعَـقْـرِ نَـابِ

كل فخرك وسط قبيلة تميم هو مرجل (موقد الحداد)، وأن أجدادك كانوا يعقرون النيب (يذبحون النياق).. وكان أبو الفرزدق قد تعاقر مع أحدهم (أي تبارى معه أيهما يذبح نياقاً أكثر) فعقر مئة ناقة وقيل أكثر، والتعاقر تفاخراً مما نهى عنه الإسلام، فلئن كان العقر للضيف وللجوعى محموداً فالتعاقر مذموم

وسيفُ أبـي الفرزدقِ قد علمتُمْ قَـدُومٌ غـيـرُ ثـابـتـةِ الـنِّـصَـابِ

سيف أبيك مثل القَدُوم (المطرقة) الجَرِج ذي اليد القلقة. يهجوه بأنهم أهل صناعة لا حرب، وكان الفرزدق جرب سيفه في أسير عند الخليفة فلم يقطع

أَمَـا يَـدَعُ الـزِّنَـاءَ أبـو فِـراسٍ ولا شُـرْبَ الـخـبـيـثِ مـن الـشَّـرابِ

ولامَـتْ فـي الـحُـدودِ وعـاتَـبَـتْـهُ فـقـد يَـئِـسَـتْ نَـوَارُ مـن الـعِـتَـابِ

لامته زوجته نوار في التعدي على حدود الله، ولكنها يئست منه

٦ ليست عنكبوتة

قد تَيَّمَ القلبَ حتى زادَهُ خَبَلاً مَنْ لا يُكَلِّمُ إلَّا وَهْوَ مَحجُوبُ

الخبل: الهوس

تَمَّتْ إلى حَسَبٍ ما فوقَهُ حَسَبٌ مَجْداً، وزَيَّنَ ذاكَ الحسْنُ والطِّيبُ

تَبدُو فَتُبدي جَمالاً زَانَه خَفَرٌ إذا تَزَأْزَأَتِ السُّودُ العَناكِيبُ

الخفر: الحياء، تزأزأت: مشت مسرعة واختبأت. فهي امرأة حيية تمشي وئيداً، وليست كالقبيحات اللائي يشبهن العناكب السود منظراً وحركة

٧ صراصير وقنافذ

أمَّا صُبَيْرٌ فإنْ قَلُّوا وإنْ لَؤُمُوا فَلَسْتُ هَاجِيَهُمْ ما حَنَّتِ النِّيبُ

قبيلة صبير مذمومة بقلة العدد وباللؤم، ومع ذلك لن أهجوهم ما دامت النيب (النياق) تصدر صوت «الحنين».. أي أبداً

أمَّا الرجالُ فَجِعْلانٌ، ونِسوتُهُمْ مثلُ القَنافِذِ لا حُسْنٌ ولا طِيبُ

جعلان: صراصير

٨ داء الركبتين

قال لسليمان بن سعد صاحب ديوان العطاء باليمامة، وقد منعه بعض رزقه:

لقد كان ظَنِّي يا ابْنَ سَعدٍ سَعادةً   وما الظنُّ إلَّا مُخطِئٌ ومُصِيبُ

تركتُ عِيالي لا فَوَاكِهَ عندَهُمْ   وعندَ ابنِ سعدٍ سُكَّرٌ وزَبيبُ

تَحَنَّى العظامُ الراجِفاتُ مِنَ البِلَى   وليسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتيْنِ طبيبُ

التوت عظامي المرتعشة من البلى (الاهتراء). رحم الله أمي، اشتكت ركبتيها طويلاً، ولم يكن عمرها يسمح بتركيب ركبتين صناعيتين، وكنت كلما سمعت شكواها أتذكر هذا البيت اللعين، ولم أقله لها بالطبع، وكانت إحدى قريباتي تمد كفيها ناظرة إلى أصابعها وتقول: لعنة الله على الكبر، انظروا كيف تتقوس الأصابع

مَنَعتَ عطائي يا ابنَ سعدٍ وإنَّما   سبقْتَ إليَّ الموتَ، وَهْوَ قريبُ

فإنْ تُرْجِعُوا رزقي إِلَيَّ فإنَّه   متاعُ لَيالٍ، والحياةُ كَذُوبُ

٩ طلبك ليس عندنا

قال لجارية ابتاعها، وكانت قبله عند «زيد» الثري:

تُكَلِّفُني مَعيشَةَ آلِ زيدٍ   ومَنْ لي بالصَّلائِقِ والصِّنابِ

الصلائق: رقائق اللحم المشوي، الصناب: إدام من خل وزبيب

وقالتْ لا تضُمُّ كَضَمِّ زيدٍ   وما ضَمِّي وليسَ معي شَبابي

تريده أن يضمها (المهذبون من الشراح قالوا بل الضم هو القيام بأمر البيت لا غير، ويقصّر شرحهم دون الشطر الثاني)

١٠ أخاف عليكم

أَبَني حَنيفَةَ أَحْكِمُوا سفهاءَكُمْ   إِنِّي أخافُ عليْكُمُ أن أَغضَبا

أَبَني حَنيفَةَ إِنَّني إنْ أَهْجُكُمْ   أَدَعُ اليَمَامَةَ لا تُواري أَرْنَبا

اليمامة: منطقة بني حنيفة في نجد، وكان يقيم بها قوم من تميم منهم جرير، وباليمامة وُلد

١١ كدت أبوح

أَلا حَيِّ لَيْلى إذْ أَجَدَّ اجتِنابُها   وهَرَّكَ مِنْ بعدِ ائتلافٍ كلابُها

تحية لليلى وقد جدَّ علينا هجرانها لنا، وصارت كلابها تهرنا (تنبحنا) بعد أن كانت تألفنا لكثرة زياراتنا

إذا ذُكِرَتْ للقلبِ كادَ لِذِكرِها يَطيرُ إليها، واعتَراهُ عذابُها

فهل مِنْ شَفيعٍ أو رسولٍ بحاجةٍ إليها، وإن صَدَّتْ وقَلَّ ثوابُها

ثوابها: عطاؤها، وصلها

بأَنَّ الصِّبا يوماً بِمَنْعِجَ لم يَدَعْ عَزاةً لِنفسٍ ما يُدَاوَى مُصَابُها

هل من رسول يقول لها إن الصِّبا (التشوق لزمن الصبا وللعشق) لم يترك لنا في «منعج» ما نعزي به أنفسنا المصابة بعشق لا دواء له

ويَوماً بِسُلْمانِينَ كِدْتُ مِنَ الهوى أَبُوحُ، وقد زُمَّتْ لِبينٍ ركابُها

كدت لفرط الهوى أبوح بحبها عندما زُمَّت (هيِّئت) ركابها (نياقها وعليها رحالها) للبين (الرحيل)

حَمَى أهلُها ما كان مِنَّا فأصبَحَتْ سواءٌ علينا نأيُها واقترابُها

حمى (منع) أهلها ما كان بيننا من وصل، فصار ابتعادها واقترابها سيان

أبا مالِكٍ مَالَتْ بِرأسِكَ نَشْوَةٌ وبِالبِشْرِ قَتْلَى لم تَطَهَّرْ ثيابُها

يخاطب الأخطل: مالت برأسك نشوة السكر، بينما في «البشر» قتلى من قبيلتك تغلب لم تكفن وتغسل من دمائها بعد

فإنَّ نَدامَاكَ الذين خَذَلْتَهُمْ تَلاقَتْ عليْهِمْ خيلُ قَيْسٍ وغابُها

من كانوا ينادمونك وخذلتهم تعرضوا لخيل قيس وغابها (رماحها)

ظَلَلْتَ تَقِيءُ الخَنْدَريسَ، وتَغْلِبٌ مَغَانِمُ يومَ البِشْرِ يُحْوَى نِهَابُها

الخندريس: الخمر، يوم البشر: وقعة كانت لبني سليم، من قيس، على بني تغلب رهط الأخطل، النهاب: الغنائم

لقد تَرَكَتْ قيسٌ دِياراً لِتَغْلِبٍ طويلاً بشطِّ الزَّابِيَيْنِ خرابُها

الزابيان: الزاب الصغير والزاب الكبير، رافدان لدجلة

عَجِبْتُ لِفخرِ التَّغْلِبيِّ وتَغْلِبٌ تُؤَدِّي جِزَى النَّيْروزِ خُضْعاً رِقابُها

جزى النيروز: ضريبة قديمة كان يفرضها الفرس والرومان على من يحتفلون بعيد الربيع، وفرضت في العصر الأموي غير أن عمر بن عبد العزيز ألغاها

أَيَفْخَرُ عبدٌ أُمُّهُ تَغْلِبِيَّةٌ قد اخْضَرَّ مِنْ أَكْلِ الخَنَانيصِ نابُها

أتفخر أيها الأخطل العبد، وأمك تغلبية اسودت أسنانها لكثرة ما أكلت لحوم الخنانيص (والخِنَّوْص: صغير الخنزير). كانوا في القديم ربما عبروا بالخضرة عن السواد

غَليظَةُ جِلْدِ المِنْخَرَينِ مُصِنَّةٌ على أَنْفِ خِنْزيرٍ يُشَدُّ نقابُها

هي فطساء، مصنة (كريهة الرائحة)، وأنفها أنف خنزير

أبا مَالِكٍ ليستْ لِتَغْلِبَ نَجْوَةٌ   إذا ما بُحُورُ المجدِ عَبَّ عُبابُها

لن تنجو تغلب من تدفق بحور المجد الذي للقبائل الأخرى وتغلب لا تملك منه شيئاً

كذلِكَ أَعطَى اللَّهُ قَيْساً وخِنْدِفاً   خَزائنَ لم يُفْتَحْ لِتغْلِبَ بابُها

خندف: شعب كبير منهم تميم قبيلة جرير

١٢ نتف الشوارب

يا تَيْمُ مَا خَطَبَ الملوكُ بَناتِكُمْ   رِيحُ الخَنافِسِ في مُسُوكِ ضِبَابِ

رائحة بناتكم كرائحة الخنافس، وهن في مسوك ضباب (في جلود حيوان الضب) أي يشبهن الضباب

قومٌ إذا حَضَرَ المُلوكَ وُفُودُهُمْ   نُتِفَتْ شوارِبُهُمْ على الأَبوابِ

١٣ وطء الجبين

ونَعْرِفُ حَقَّ النَّازِلينَ ولم تَزَلْ   فَوَارِسُنَا يَحمُونَ قَاصِيَةَ السَّرْبِ

نضيف من ينزل بنا، وفرساننا يفرضون حمايتهم على قاصية السرب (الطريق النائية)

على مُقْرَباتٍ هُنَّ مَعْقِلُ مِنْ جَنَى   وسَمُّ العِدَى والمُنْجِياتُ مِنَ الكَرْبِ

وفرساننا يركبون مقربات (خيل تكون قريبة دوماً ومهيَّأة للركوب) وهي معقل (حصن) من جنى جناية واحتمى بنا، وهي سم في حلوق الأعداء، وتنجينا من اعتداءاتهم

أَلَا رُبَّ جبَّارٍ وَطِئْنَ جَبِينَهُ   صَريعاً، ونَهْبٍ قد حَوَيْنَ إلى نَهْبِ

النهب: الغنيمة

١٤ قواف تلتهب التهابا

لقد طَرِبَ الحَمَامُ فَهاجَ شوقاً   لِقلبٍ ما يزالُ بِكُمْ مُصَابا

بِنفْسِيَ مَنْ أَزُورُ فلا أَرَاهُ   ويَضْرِبُ دونَهُ الخَدَمُ الحِجَابا

بنفسي: أفدي بنفسي

أخَالِدَ لَوْ سأَلْتِ عَلِمْتِ أَنِّي   لقيتُ بِحُبِّكِ العَجَبَ العُجَابا

أخالدَ: يا خالدةُ، وهي زوجته أم حزرة

ستَطْلُعُ مِنْ ذُرَى شُعَبَى قَوافٍ   على الكِنْدِيِّ تَلتَهِبُ التِهابا

ستخرج من قمم شُعَبَى قواف (قصائد) في هجاء «العباس بن يزيد الكندي» الذي يسكن هناك

١٥ فغض الطرف

قال يهجو «الراعي النميري»، وسميت القصيدة بالدامغة، وقصصنا قصتها في مقدمة هذا الباب:

أَقِلِّي اللَّومَ عاذِلَ والعِتَابا وقُولِي إن أَصبْتُ لقد أصابا

أقلي (قللي) يا عاذلة من لومك، واعترفي لي بالصواب حين أقول صواباً

أَجِدَّكَ مَا تَذَكَّرُ أهلَ نجدٍ وحَيّاً طالما انتَظروا الإيابا

يخاطب نفسه: أجدك يا جرير (بربِّك) ألا تتذكر أهل نجد، وذلك الحي (القوم) المنتظرين عودتك. قال جرير هذه القصيدة وهو بالبصرة، ولعله فعلاً مشتاق إلى موطنه بنجد

وهاجَ الشوقُ ليلةَ أذْرِعَاتٍ هَوَىً ما تستطيعُ له طِلابا

الشوق هاج (هيَّج وأيقظ) في تلك الليلة بأذرعات (درعا في حوران الشام) عشقاً مستحيلاً لا يمكنك السعي وراءه

ووجدٍ قد طَوَيْتُ يكادُ منهُ ضميرُ القلبِ يَلتَهبُ التِهابا

رب وجد كتمته يكاد يحرق قلبي

أَباحَتْ أمُّ حَزْرَةَ مِن فؤادي شِعابَ القَلبِ، إنَّ له شِعابا

ولا تَمْشي اللئامُ لها بِسِرٍّ ولا تُهْدِي لِجارتِها السِّبَابا

أَبَى لِيَ مَا مضَى لِيَ في تَميمٍ وفي فرْعَيْ خُزَيْمَةَ أن أُعابا

كأنَّ بَنِي طُهَيَّةَ رَهْطَ سَلمَى حِجَارَةُ خَارِئٍ يَرْمِي كِلابا

بنو طهية هؤلاء ـ وكان شاعر منهم خطب ابنة عمه «سلمى» ولكن أباها زوجها من غيره فمضى إليها وقتلها ـ ناس قميئون أشكالهم عجيبة غير متناسقة، فكأنهم تلك الحجارة التي يرمي بها رجل قعد القرفصاء يقضي حاجته فنبحته كلاب واقتربت فأخذ يرشقها بها. هذه صورة جريرية اقشعرت منها أبدان بني طهيَّة كثيراً

فَلا وأبيكَ ما لاقيتَ حَيّاً كَيَرْبُوعٍ إذا رَفَعوا العُقَابا

لن تجد مثلنا، آل يربوع، عندما نرفع العقاب (راية الحرب)

لنا تَحتَ المَحامِلِ سَابِغاتٌ كنسجِ الريحِ تَطَّرِدُ الحَبابا

نرتدي دروعاً سابغة (كاسية طويلة) تبلغ إلى ما تحت محامل السيوف (مكان تعليق السيوف عند الجنب) وهي منسوجة من زَرَدٍ كأنما هي سطح الماء المتكسر وقد مرت الريح فوق جدوله وأخذت تسحب من على السطح الحباب (الفقاقيع)

وذي تـاجٍ لـه خَـرَزَاتُ مُـلْـكٍ سلبنـاهُ الـسُّرادِقَ والـحِجابا

رب ملك صاحب تاج مرصع قد سلبناه خيمته الكبيرة وستوره

أَعَـدَّ الـلَّـهُ لـلـشـعـراءِ مِـنِّـي صَـواعِـقَ يَـخْـضَـعُـونَ لـهـا الـرِّقَـابـا

قَـرَنْـتُ الـعـبـدَ عـبـدَ بَـنـي نُـمَـيْـرٍ مَـعَ الـقَـيْـنَـيْـنِ إذْ غُـلِـبـا وخَـابـا

قرنت الراعي الشاعر مع القينين (الحدَّادين، وهما البعيث والفرزدق)

ألَـمْ تَـرَ أنَّ جِـعْـثِـنَ وَسْـطَ سَـعْـدٍ تُـسَـمَّـى بعـدَ فِـضَّـتِـهـا الـرُّحَـابـا

ألست ترى يا فرزدق أن أختك «جعثن» صارت تُلقب عند بني سعد بالرُّحاب (الواسعة) بعد أن افتضها منهم ذلك الرجل عمران بن مرة. وكان هذا الرجل قد اعترض أخت الفرزدق ونزع ثوبها، فاستنجدت بقومها فهرب الرجل ولما يفعل شيئاً، ولكن جرير في مواضع كثيرة يعير الفرزدق بالحادثة ويزعم المزاعم

تَـرى بَـرَصـاً بِـمَـجْـمَـعِ أَسْـكَـتَـيْـهـا كَـعَـنْـفَـقَـةِ الـفـرزدقِ حـيـن شـابـا

يرى المرء بمجمع (مكان التقاء) أسْكَتيها (شفري فرجها) بياضاً كأنه البرص وهو يشبه عنفقة الفرزدق (الشعر الذي تحت شفته) حين شاب

أتَـلْـتَـمِـسُ الـسِّـبَـابَ بـنـو نُـمَـيْـرٍ فـقـد وأبـيـهِـمُ لاقَـوْا سِـبَـابـا

أجـنـدلُ مـا تـقـولُ بـنـو نُـمـيـرٍ إذا مـا الأبـرُ فـي اسـتِ أبـيـكَ غـابـا

ويحتاج البيت إلى نقطة في مكان ما حتى يستقيم معناه. وجندل هو ابن الشاعر المهجو، وكان قد أهان جريراً في قصة طويلة، ذكرناها في المقدمة

ولـو وُزِنَـتْ حـلـومُ بـنـي نُـمـيـرٍ عـلـى الـمـيـزانِ مـا وَزَنَـتْ ذُبـابـا

فَـغُـضَّ الـطَّـرْفَ إنَّـكَ مِـنْ نُـمـيـرٍ فَـلا كَـعـبـاً بـلـغـتَ ولا كِـلابـا

عبقرية البيت بساطته. كعب وكلاب ونمير أبناء عمومة، وكل ما فعله جرير أنه فضل كعباً وكلاباً على نمير، والمفاضلة عند القدماء هي الهجاء «المقذع»

فـيَـا عَـجـبـي أَتُـوعِـدُنـي نُـمـيـرٌ بِـراعـي الإبْـلِ يَـحْـتَـرِشُ الـضِّـبَـابـا

أتهددني نمير بشاعرها «راعي الإبل» ـ وهذا لقبه لكثرة وصفه للإبل ـ هذا الذي يحترش الضباب (يصيد حيوان الضب مخرجاً إياه من جحره)

إذا نَـهَـضَ الـكـرامُ إلـى الـمـعـالـي نَـهـضْـتَ بِـعُـلْـبَـةٍ وأَثَـرْتَ نَـابـا

يا راعي الإبل إذا فعل الكرام ما يكسبهم حمداً، فأنت تأخذ العلبة (قصعة من جلد أو خشب يحلبون بها) وأقمت ناباً (ناقة) باركة كي تحلبها

إذا غَـضِـبَـتْ عـلـيـكَ بَـنُـو تَـمـيـمٍ حَـسِـبْـتَ الـنـاسَ كُـلَّـهُـمُ غِـضَـابـا

١٦ البازي والحباريات

أنا البازي المُطِلُّ على نُمَيْرٍ ... على رَغم الأنوفِ الرَّاغِمَاتِ
إذا سمِعَتْ نُميرٌ مَدَّ صَوتي ... حَسِبْتُهُمُ نِساءً مُنْصِتَاتِ
رَجَوْتُمْ يا بني وَقْبَانَ مَوْتي ... وأرجُو أن تَطولَ لكُمْ حياتي
إذا اجتمعوا عليَّ فَخَلِّ عَنهُمْ ... وعَنْ بَازٍ يَصُكُّ حُبَارَيَاتِ

يشبه نفسه بالصقر قد انفرد بطيور الحبارى فهو يصكها صكاً قبل أن يلتقط طيراً منها ويصيده، لست على يقين إن كان الصقر يفعل هكذا، لكن جرير رأى نفسه بازياً وسط ثلاثة وأربعين شاعراً اجتمعوا عليه ينهشونه فنتف ريشهم

١٧ نخاف ثم ننسى

تُرَوِّعُنا الجَنائِزُ مُقْبِلاتٍ ... فَنَلْهُو حينَ تَذْهَبُ مدْبِراتِ
كَرَوْعَةِ هَجْمَةٍ لِمَغَارِ سَبْعٍ ... فَلَمَّا غابَ عادَتْ رَاتِعَاتِ

نخاف من الموت خوْفَة هجمة (قطيع) لمغارٍ سبع (لإغارة سبع)، فلما انصرف عادت راتعة ترعى

١٨ رثاء الفرزدق

فَلا حمَلَتْ بعد الفرزدقِ حُرَّةٌ ... ولا ذَاتُ حَمْلٍ مِنْ نِفَاسٍ تَعَلَّتِ

لا حملت بعدك النساء، ولا تعلت (قامت سالمةً) امرأة نفساء، لأنهن لن ينجبن مثلك

هوَ الوَافِدُ المَجْبورُ، والرَّاتِقُ الثَّأَى ... إذا النَّعْلُ يوماً بِالعشيرةِ زَلَّتِ

كان الفرزدق الوافد على الملوك الذي يجبرون كسره (يعطونه مالاً لأهله)، وهو الراتق الثَّأَى (الذي يصلح الخرق) عندما تزل النعل (تقع أزمة) بالعشيرة

١٩ صولة الحجاج

قُلْ للجبانِ إذا تأخرَ سرجُهُ ... هل أنتَ مِنْ شَرَكِ المَنِيَّةِ نَاجِ

تأخر سرجه: إذا تأخر بحصانه في الخروج إلى القتال

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عليْهِمُ؟ ... أم مَنْ يصولُ كَصَوْلَةِ الحَجَّاجِ؟

من سد على المنافقين المطلع (الموضع العالي الذي يشرف منه المقاتلون على العدو)؟ ومن يصول ويهجم هجوم الحجاج؟

أم مَنْ يغارُ على النساءِ حفيظةً ... إذْ لا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الأَزْوَاجِ

حفيظة: حفاظاً على الشرف

٢٠ ألستم خير من ركب المطايا؟

قال يمدح عبد الملك بن مروان:

أَتَصْحُو؟ بل فؤادُكَ غيرُ صَاحِ عَشِيَّةَ هَمَّ صحبُكَ بالرَّوَاحِ

يخاطب نفسه عشية رحيل صحبه (أهل محبوبته!)

يقولُ العَاذِلاتُ عَلاكَ شَيْبٌ. أهذا الشَّيْبُ يمنعُني مَرَاحي

تَعَزَّتْ أمُّ حَزْرَةَ ثم قالتْ: رَأَيْتُ الوَارِدِينَ ذَوِي امْتِياحِ

تعزت (وجدت العزاء والتسرية عن النفس) أم حزرة (زوجته) قائلة إنها ترى الذين يردون الخليفة ذوي امتياح (نائلين العطاء)

تُعَلِّلُ وَهْيَ سَاغِبَةٌ بَنِيها بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبِمِ القَراحِ

تصبِّر أولادها وهي ساغبة (جائعة) بسقيهم أنفاساً (جرعات) من الماء الشبم (البارد) القراح (الصافي)

ثِقي بِاللَّهِ ليسَ له شَريكٌ ومِنْ عندِ الخَليفةِ بالنجاحِ

أَغِثْني، يا فِداكَ أَبي وأُمِّي، بِسَيْبٍ منكَ، إنَّكَ ذو ارْتِياحِ

السيب: العطاء. ذو ارتياح: ذو أريحية، يعطي وهو سعيد بنفس طيبة

فإِنِّي قد رأيتُ عَلَيَّ حقّاً زِيارَتِيَ الخليفةَ وامتِداحي

سأشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيشي وأَثْبَتَّ القَوادِمَ في جَناحي

رددت علي ريشي: أنعشتني. القوادم: الريشات الظاهرات في جناح الطير

أَلَسْتُمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المَطَايا وأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

دَعَوْتَ المُلْحِدينَ أَبَا خُبَيْبٍ جِمَاحاً، هلْ شُفِيتَ مِنَ الجِماحِ

يخاطب عبد الله بن الزبير: يا أبا خبيب لقد دعوت إليك الملحدين (الخارجين عن الدين) جماحاً (عصياناً). وكان قبيلة جرير تميل إلى ابن الزبير، وها هو يتنصل

فقد وَجَدُوا الخليفةَ هِبْرِزِيّاً أَلَفَّ العِيصِ ليس مِنَ النَّواحي

هبرزياً: خالصاً، نقي النسب. ألفَّ العيص: ذا شجر ملتفٌ، وليس من النواحي (الفروع)

فَمَا شَجَراتُ عِيصِكَ في قُريشٍ بِعَشَّاتِ الفُروعِ ولا ضَوَاحِ

شجرات عيصك (أصلك ومنبتك) ليست عشات الفروع (متفرقة) ولا ضواحيَ (مفردة بعيدة عن الأصل).. وينظر جرير في اختيار «العيص» ومعناها «الأصل» إلى «الأعياص» وهم أولاد أمية بن عبد شمس

٢١ ترقيع الأكيار

تـقـولُ نَـوارُ فَـضَـحْـتَ الـقُـيُـونَ   فَـلَـيْـتَ الـفَـرزدقَ لـم يُـولَـدِ

تقول نوار، زوجة الفرزدق، لقد فضحت بشعرك يا جرير القيون (الحدادين) وجرير يصم الفرزدق وآباءه بأنهم اتخذوا الحدادة صنعة. وكانت نوار كارهة لزوجها لأنه تزوجها بخديعة، وهي ابنة عمه، وسعت في التخلص منه بطلاق فلم تفلح، وظلت عنده تشاكسه

وقـالـتْ بِـذي حَـوْمَـلٍ والـرِّمَـاحِ:   شَـهِـدْتَ ولَـيْـتَـكَ لـم تَـشْـهَـدِ

قالت نوار في هذين المكانين: يا فرزدق لقد كنت موجوداً، لكن لم يكن لوجودك فائدة

وفَـازَ الـفـرزدقُ بـالـكَـلْـبَـتَـيْـنِ   وعِـدْلٍ مِـنَ الـحُـمَـمِ الأَسْـوَدِ

ورث الفرزدق الكلبتين (ملقط كبير يتنشل به الحديد المحمى من النار) وورث عدلاً (شوالاً، كيساً) من الحمم (الفحم) الأسود

فَـرَقِّـعْ لِـجَـدِّكَ أَكْـيَـارَهُ   وأَصـلِـحْ مَـتـاعَـكَ لا تُـفْـسِـدِ

رقع لجدك أكياره (منافيخه، وللحداد كير أي منفاخ يؤجج به الجمر)

وأَدْنِ الـعَـلَاةَ وأَدْنِ الـقَـدُومَ   ووَسِّـعْ لِـكـيـرِكَ فـي الـمَـقْـعَـدِ

العلاة: السَّندان

قَرَنْتُ البَعيثَ إلى ذي الصَّليبِ   معَ القَيْنِ في المَرَسِ المُحْصَدِ

في هجائي جمعت بين البعيث المجاشعي (من قوم الفرزدق) وبين ذي الصليب (الأخطل المسيحي)، مع القين (الحداد، يعني الفرزدق) في مرس محصد (حبل مفتول)

٢٢ حفيد الفاروق

إليكَ رَحَلْتُ يا عُمَرَ بنَ ليلَى   على ثقةٍ أزورُكَ، واعتِمَادا

عمر بن ليلى: عمر بن عبد العزيز وأمه ليلى حفيدة عمر بن الخطاب

إلى الفاروقِ ينتسِبُ ابنُ ليلى   ومَـرْوانَ الـذي رَفَـعَ العِمَادا

مروان بن الحكم: جد عمر بن عبد العزيز لأبيه

٢٣ جزاكم الله خيراً

قال وقد مرض وعاده ناس:

نَفْسي الفِداءُ لِقومٍ زَيَّنُوا حَسَبي   وإنْ مَرِضْتُ فَهُمْ أَهلي وعُوَّادي

إنْ تَجْرِ طَيْرٌ بأمْرٍ فيهِ عَافِيةٌ أو بِالفراقِ، فقد أحْسَنْتُمُ زَادي

إن جرت الطير (أي الفأل) بأن أقوم من مرضي، أو بأن أفارق الدنيا، فعلى كل حال زودتموني زاداً طيباً بزيارتي

٢٤ أذكر تميماً

أَلَا حَيِّ رَبْعاً بِاللِّوى ذَكَرَ العَهْدا مَحَتْهُ الصَّبا جَرَّ اليَمَانِيَّةِ البُرْدا

حيّ يا صاحبي هذا الموضع الذي ما زالت فيه ذكرى عهدنا مع الأحباب، لقد محته ريح الصبا مثلما تجر اليمانية (الفتاة اللابسة البُرد اليماني) بردها فهي بنت عز تلبس الثوب الكاسي الطويل وتجره جراً على الأرض. وقد رأى شارح هذا الشعر في بلاد العرب بالخليج فتيات يلبسن المسوح الكاسية يجررنها على الأرض وراءهن، وكان يقول لهن في عقله: يا حبيباتي ألا قصرتن برودكن قليلاً، أم أنكن تردن إخفاء الكعوب التي تجعلكن طويلات

لِهِنْدٍ، ولو أنَّ المقيمينَ بعدَها أرادُوا فِراقاً لم أجِدْ لَهُمُ فَقْدا

هذا العهد هو لهند، فأما من أقاموا بالربع بعد رحيلها فلا يهمنا أقاموا أم رحلوا

إذا ذَكَرتْ نفسي تَميماً تَذَكَّرَتْ أموراً تُنَسِّيني الضَغائِنَ والحِقْدا

يفخر بقبيله

فكيفَ تقولُ السَّيْفُ يُحمَلُ نصْلُهُ إذا فارقَ السيفُ المحاملَ والغِمْدا

فالسيف لا يحمل نصله وحده، لا بد له من محامل (سيور وعِلاقات يعلق بها) ولا بد له من غمد، وكذا الفرد لا بد له من قوم حتى يكون فاعلاً

شَكَوْنا إلى سُعْدَى جَوىً وصَبَابَةً وما كُلُّ مَا في النَّفسِ تُخْبَرُهُ سُعْدَى

ما أكثر ما كان الشعراء يغيرون اسم المحبوبة في وسط القصيدة. قال ذلك المزارع الهولندي، ونقل عنه أبراهام لنكولن: «لا تبدل حصانك وأنت تعبر الجدول»

٢٥ ناس بلا قلوب

وَجَدْنـا الأَزْدَ أكـرَمَـكُـمْ جِـواراً وَأَوْرَاكُـمْ إذا قَـدَحُـوا زِنـادا

أوراكم: أشدكم اشتعالاً، الزناد: حجر النار

ولـو فَـرَّجْـتَ قَـصَّ مُـجَـاشِـعِـيٍّ لِـتَـنْـظُـرَ مـا وجـدتَ لـه فـؤادا

فرجت القص: فتحت عظام الصدر، ومن لا قلب له هو الجبان. ومجاشع قوم الفرزدق

ولـو وازَنْـتَ لُـؤْمَ مُـجَـاشِـعِـيٍّ بِـلُـؤْمِ الـخـلـقِ أَضْـعَـفَ ثـم زَادا

لؤمه يزيد عن ضِعفِ لؤم البشرية

٢٦ حببتموني بالحياة

قال لهشام بن عبد الملك:

وأَعْـلَـمُ أنَّ إِذْنَـكُـمُ نَـجـاحٌ وأَنِّـي إِنْ بـلـغْـتُـكُـمُ سـعـيـدُ

مجرد منحكم الإذن بالدخول عليكم نجاح لمسعاي

تَـزيـدونَ الـحـيـاةَ إِلَـيَّ حُـبَّـاً وذِكْـرٌ مِـنْ حِـبـائِـكُـمُ حَـمـيـدُ

تحببون إلي الحياة، ويأتيني ذكر، أي سمعة حسنة بسبب حبائكم، أي عطائكم، لأنني أعطي قومي مما أعطيتموني فيشكرون

٢٧ تدمير

قال يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك:

لقد عَلِمْتُ وما أُخبِرْتُ مِنْ أَحَدٍ أنَّ الـهوى بِنَقَا يَبْرِينَ مُعْتَادي

الـلَّـهُ دَمَّـرَ عَـبَّـاداً وشِـيـعَـتَـهُ عَـاداتُ رَبِّـكَ فـي أَمـثـالِ عَـبَّـادِ

يشمت بعبَّاد الجحافي، وقد خرج على الخلافة باليمن فقتل

مَـنْ يَـهْـدِهِ الـلَّـهُ يَـهْـتَـدْ لا مُـضِـلَّ لـهُ ومَـنْ أَضَـلَّ فـمـا يَـهـدِيـهِ مِـنْ هَـادِ

لاقَوْا بُعُوثَ أميرِ المؤمنينَ لَهُمْ كالريحِ إِذْ بُعِثَتْ نَحْساً على عَادِ

فـيـهِـمْ مَـلائـكـةُ الـرحـمـنِ مـا لَـهُـمُ سـوى الـتـوكُّـلِ والـتـسـبـيـحِ مِـنْ زَادِ

كانت الملائكة تقاتل مع جيش الخلافة، وكما تعلمون فهؤلاء الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، فقط يتوكلون على الله ويسبحون

٢٨ فعلها أو يكاد

لَعَمْرِي لقد أَشفقتُ من شَرِّ نظرةٍ تَقودُ الهوى مِنْ «رَامَةٍ» ويقودُها

خفق قلبي إشفاقاً على نفسي من شر هذه النظرة إلى الحبيبة، فهي نظرة تأتي بالهوى، والهوى يقودني ويقود نظراتي.. شيء من هذا القبيل

ولو صَرَمَتْ حَبلِي أُمَامَةُ تبتغي زيادةَ حُبٍّ لم أَجِدْ ما أَزيدُها

إذا مِتُّ فـانـعَـيْـنـي لأَضـيـافِ لـيـلـةٍ تَـنَـزَّلَ مِـنْ صُـلْـبِ الـسـمـاءِ جـلـيـدُها

إذا مت فأبلغي خبري ضيوف الليلة الباردة التي ينزل فيها البَرَد، يقول إنه كريم وسيحزن الضيوف لموته

مـتَـى تَـرَ وَجْـهَ الـتَّـغْـلِـبِـيِّ تَـقُـلْ لـهُ   أَتَـى وَجْـهُ هَـذا سَـوْأَةً أو يُـريـدُهـا

إذا لم يصلك ما في الشطر الثاني من طرافة وقوة فاقرأه ثانية. ترى في معاشك شخصاً كَزَّ الوجه متقبضاً رافعاً أنفه كأنما شم لتوه غائطاً، فتقول: هذا الشخص قد ارتكب فاحشة أو أنه سيرتكبها قريباً

٢٩ شبيه عروة

باتَتْ هُمومي تَغَشَّاها طَوارِقُها   مِنْ خوفِ رَوْعَةِ بَيْنِ الظَّاعِنينَ غدا

باتت همومي العادية تتغشاها (تزورها) طوارقها (مصائبها) كلما انتابني الخوف من روعة (ارتياع) بين (فراق) الظاعنين (الراحلين). المعنى الملموح: أتذكر أنهم سيرحلون غداً فتتضاعف همومي

هل أنتِ شافِيَةٌ قَلباً يَهيمُ بِكُمْ   لم يَلْقَ عُرْوَةُ مِنْ عَفْراءَ ما وَجَدَا

عروة حبيب عفراء، ومات عشقاً

٣٠ غابوا أم حضروا

فَـأَنْـشِـدْ يـا فـرزدقُ غَـيْـرَ عـالٍ   فـقَـبْـلَ الـيـومِ جَـدَّعَـكَ الـنَّـشـيـدُ

اخفض صوتك، فقبل اليوم كنت قد غلبت في إنشاد الشعر وجُدِعَ أنفك (أُهنت)

خرجتَ مِنَ المدينةِ غيرَ عَفٍّ   وقامَ عليكَ بالحَرَمِ الشُّهودُ

كان الوالي أخرج الفرزدق عن المدينة المنورة لما فعل هناك من موبقات

تَـحِـبُّـكَ يـومَ عـيـدِهِـمُ الـنَّـصـارَى   ويـومَ الـسـبـتِ شـيـعَـتُـكَ الـيـهـودُ
أَزَيْـدَ مَـنـاةَ تُـوعِـدُ يـا ابـنَ تَـيْـمٍ؟   تَـبَـيَّـنْ أَيْـنَ تَـاهَ بِـكَ الـوَعـيـدُ

يتحول إلى هجاء التيم، وكان يشتبك مع شاعرهم عمر بن لجأ

أَتُـوعِـدُنَـا وتَـمْـنَـعُ مـا أَرَدْنـا   ونَـأْخُـذُ مِـنْ وَرائِـكَ مـا نُـريـدُ
ويُقضَى الأَمرُ حين تَغيبُ تَيْمٌ   ولا يُسْتَأْمَرُونَ وهُمْ شُهُودُ
ولا حَـسَـبٌ فَـخَـرْتَ بـهِ كَـريـمٌ   ولا جَـدٌّ إذا ازْدَحَـمَ الـجُـدودُ
لِـئَـامُ الـعـالَـمِـينَ كِـرامُ تَـيْـمٍ   وسَـيِّـدُهُـمْ وإن رَغِـمُـوا مَـسُـودُ
وإنَّـكَ لـو لَـقِـيـتَ عـبـيـدَ تَـيْـمٍ   وتَـيْـمـاً قُـلْـتَ أَيُّـهُـمُ الـعـبـيـدُ
أَرى لَـيْـلاً يُـخَـالِـفُـهُ نـهـارٌ   ولُـؤْمُ الـتَّـيْـمِ مـا اخـتَـلَـفـا جـديـدُ

يختلف الليل والنهار ويمضي الزمن، ولؤم تيم يتجدد ما دام هناك ليل ونهار، أي أنه أبدي

تَـمَـنَّـى الـتَّـيْـمُ أنَّ أبَـاهُ سَـعْـدٌ   فـلا سَـعْـدٌ أبُـوهُ ولا سَـعـيـدُ

التيم هنا جد قبيلة التيم

وإنَّ الـتَّـيْـمَ قـد خَـبُـثُـوا وقَـلُّـوُا   فـمـا طَـابُـوا ولا كَـثُـرَ الـعَـديـدُ

كانت قلة العدد مما يهجى به الأقوام

ثـلاثُ عـجَـائـزٍ لَـهُـمُ وكَـلْـبٌ   وأشْـيَـاخٌ عـلـى ثُـلَـلٍ قُـعُـودُ

الثلل: أكوام الحجارة والرمل

أتَـرْجُـو أن تُـسَـابِـقَ سَـعْـيَ قـومٍ   هُـمُ سـبَـقُـوا أبـاكَ وَهُـمْ قُـعـودُ

فـقـد سَـلَـبَـتْ عَـصـاكَ بَـنُـو تـمـيـمٍ   فـمـا تَـدري بِـأيِّ عَـصـاً تَـذُودُ

تميم سلبتكم المجد والقوة

إذا تَـيْـمٌ ثَـوَتْ بِـصَـعـيـدِ أرْضٍ   بَكَى مِنْ خُبْثِ رِيحِهِمُ الصعيدُ

ثوى: مكث، صعيد: تراب

إذا مـا قُـرِّبَ الـشُّـهَـداءُ يـومـاً   فـمـا لـلـتَّـيْـمِ يـومَـئـذٍ شـهـيـدُ

٣١ هات اليوم وهات غداً

قال يمدح الأمير معاوية بن هشام بن عبد الملك:

يـا ابنَ الـخـليـفةِ يـا مُعَاوِيَ إنَّـني   أرجو فُضُولَكَ فاتَّخِذْ عِندي يَدا

فضولك: فضلك، اتخذ عندي يدا: اصنع بي معروفاً أحفظه لك

إنَّـا لَـنَـأْمُـلُ مِـنْـكَ سَـيْـبـاً عـاجِـلاً   يا ابنَ الخليفةِ، ثم نرجوكُمْ غدا

٣٢ أصحاب الخنزير

رَهْطُ الفرزدقِ مِنْ نَصارَى تَغْلِبٍ   أو يَـدَّعـي كَـذِبَـاً دَعـاوَةَ زُورِ

حُجُّوا الصَّلِيبَ وقَرِّبُوا قربانَكُمْ   وخُذُوا نـصـيـبَـكُـمُ مِـنَ الـخِـنْـزيـرِ

٣٣ رثاء خالدة

قال يرثي زوجته:

لـولا الـحـيـاءُ لَـهَـاجَـنـي اسْـتِـعْـبَـارُ   ولَـزُرْتُ قـبـرَكِ والـحـبـيـبُ يُـزارُ

هاجني استعبار: غلبني البكاء

وَلَقَدْ نَظَرْتُ، وما تَمَتُّعُ نَظْرَةٍ في اللَّحْدِ حيث تَمَكَّنَ المِحْفَارُ

المحفار: الفأس

فَجزاكِ ربُّكِ في عَشيرِكِ نظرةً وسقَى صَداكِ مُجَلْجِلٌ مِدرَارُ

لينظر إليك الله نظرة رحمة جزاء ما قدمت لزوجك وليسق صداك (جثمانك) مطر مجلجل (صاحب برعوده) مدرار (غزير)

وَلَّهْتِ قَلبي إذْ عَلَتْنِيَ كَبْرَةٌ وذَوو التَّمائِمِ مِنْ بَنيكِ صِغارُ

ذوو التمائم: مَن عليهم القلائد التي فيها الحجب أو الخرزات، وكانوا يعلقونها في رقاب الصبية درءاً للشر عنهم

كانتْ مُكَرَّمَةَ العَشيرِ ولم يكنْ يَخشَى غَوائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ

غوائل: شرور

ولقد أَراكِ كُسِيتِ أَجملَ منظرٍ ومع الجَمالِ سكينةٌ ووَقَارُ

والرِّيحُ طَيِّبَةٌ إذا استَقْبَلْتُها والعِرْضُ لا دَنِسٌ ولا خَوَّارُ

إذا واجهْتُكِ فرائحتك طيبة، وعرضك نقي غير خوار (ضعيف)

وإذا سَرَيتُ رأيتُ نارَكِ نَوَّرَتْ وَجْهاً أَغَرَّ يَزينُهُ الإسْفَارُ

أسري ليلاً فأراك أوقدت ناراً للضيوف، والنار تنور وجهك الأغر (الأبيض) السافر

صَلَّى الملائكةُ الذين تُخُيِّرُوا والصالحونَ عليكِ والأبرارُ

لا يلبثُ القُرَناءُ أن يتفرَّقُوا ليلٌ يَكُرُّ عليْهِمُ ونهارُ

كانت إذا هجرَ الحليلُ فِراشَها خُزِنَ الحديثُ وعَفَّتِ الأسرارُ

حَدْرَاءُ أَنْكَرَتِ القُيونَ وريحَهُمْ والحُرُّ يمنعُ ضَيمَهُ الإنكارُ

ينتقل إلى هجاء الفرزدق، فخطيبته حدراء أنكرت (استهجنت) القيون (قومه الحدادين) وما ينبعث من رائحة عندهم. والإنسان الحر عندما ينكر شيئاً فهذا الإنكار يحول بينه وبين قبول الظلم

لمَّا رأَتْ صَدَأَ الحديدِ بجلدِهِ فاللونُ أَوْرَقُ والبَنانُ قِصارُ

قد أنكرته حدراء لما رأت صدأ الحديد عليه، وأنكرت لون جلده الأورق (بين بياض وسواد)، وأصابعه القصار

قال الفرزدقُ رَقِّعي أَكيارَنا قَالتْ: وكيفَ تُرَقَّعُ الأَكيارُ

الكير: منفاخ الحداد

رَقِّعْ مَتَاعَكَ، إنَّ جَدِّي خَالِدٌ والقَيْنُ جَدُّكَ لم تَلِدْكَ نِزارُ

تفخر بجدها، وتقول للفرزدق: جدك قين (حداد) ولست من أبناء نزار (أبي عرب الشمال)

قد كان قومُكَ يَحسَبُونَكَ شاعراً حتى غَرِقْتَ وضَمَّكَ التيَّارُ

لا يَخفَيَنَّ عليكَ أَنَّ مجاشعاً لو يُنفَخونَ مِنَ الخُؤُورِ لَطَاروا

الخؤور: الفراغ، ضده الصلادة

قد يُؤْسَرُونَ فما يُفَكُّ أَسيرُهُمْ ويُقَتَّلونَ فَتَسْلَمَ الأَوْتَارُ

تسلم الأوتار: لا يؤخذ لهم بثأر لضعفهم

٣٤ نشور مبكر

قال يهجو التيم:

فَلَوْ غيرُ تَيْمٍ يَفخَرونَ عَذَرْتُهُمْ أَتَيْمُ ابْنَ تَيمِ اللُّؤْمِ! يا سَوْأَةَ الدَّهرِ

ولو يُدفَنُ التَّيْمِيُّ ثم دَعَوْتَهُ إلى فَضلِ زادٍ جاءَ يسعى من القبرِ

ولا يَحْتَبِي التَّيْمِيُّ قُدَّامَ بيتِهِ ولا يَسْتُرُ التَّيْمِيُّ إلَّا على القِدْرِ

الاحتباء أن يجمع المرء ركبتيه إلى ظهره بشال أو نحوه، فيجلس كأنه متكئ، والسادة يحتبون أمام خيامهم يستقبلون الأضياف، ويسترون حريمهم، لكنهم لا يسترون القدر الكبيرة التي تغلي باللحم خارج الخيمة

ونُبِّئْتُ تيماً قد هَجَوْني لِيُذْكَرُوا فهذا الذي لا يشتهونَ مِنَ الذِّكْرِ

٣٥ المنجنيق

يا أَهلَ جُزْرَةَ لا حِلْمٌ فينفَعَكُمْ أو تَنتَهونَ فَيُنجِي الخَائفَ الحَذَرُ

يخاطب بني العنبر مو أهل «جزرة» في اليمامة: لن ينفعكم حلمي، فلن أكون حليماً معكم، والحل أن تكفوا عن التعرض لي خوفاً، ففي هذا نجاتكم

يا أهلَ جُزْرَةَ إِنِّي قد نَصبْتُ لَكُمْ بِالمَنْجَنِيقِ ولمَّا يُرسَلِ الحَجَرُ

٣٦ متدبرون لا مدبرون

وإنَّ الذي أعطى الخلافةَ أهلَها بَنَى لِيَ في قيسٍ وخِنْدِفَ مَفْخَرا

أهلها: مستحقوها، وهم بنو أمية حينذاك

مَـنـابِـرَ مُـلْـكٍ كـلُّـهـا مُـضَـرِيَّـةٌ   يُـصَـلِّـي عـلـيـنـا مَـنْ أَعَـزْنَـاهُ مِـنْـبَـرا

في قيس وخندف ملوك، وهم جميعاً من مضر، (الملك في لغة ذلك العصر الزعيم الذي يتولى ناحية، وقد يكون حكمه وراثياً وقد لا يكون)، وهؤلاء الذين نصبناهم ملوكاً يصلون (يحمدون) القبيلتين اللتين بسواعد رجالهما يقوم الملك

لقد كنتُ يا ابنَ القينِ ذا خِبرةٍ بِكُمْ   وعوفُ أبو قيسٍ بكـمْ كـان أَخْبَـرا

وكان عوف هذا قتل من آل الفرزدق رجلاً في القديم

فلا تتَّقونَ الشرَّ حتى يُصيبَكُمْ   ولا تـعـرفـون الأمـرَ إلا تَـدَبُّـرا

تدبراً: بعد أن يدبر وينتهي

أَلَا قَـبَـحَ الـلَّـهُ الـفـرزدقَ كـلَّـمـا   أَهَـلَّ مُـصَـلٍّ لـلـصـلاةِ وكَـبَّـرا

فلا يَقْرَبَنَّ الـمَرْوَتَيْنِ ولا الصَّفَا   ولا مسجدَ اللَّهِ الحرامَ المطهَّرا

فالفرزدق يقر في شعره بالزنا والكبائر، وقد أُجلي فعلاً عن المدينة

فإنَّكَ لـو تُـعطِي الـفـرزدقَ درهـمـاً   عـلـى دِيـنِ نَـصـرانِـيَّـةٍ لَـتَـنَـصَّـرا

٣٧ الضاحكون إلى الخنزير

خابتْ بنو تغلِبٍ إذ ضَلَّ فارِطُهُمْ   حوضَ المكارمِ، إن المجدَ مُبْتَدَرُ

فارطهم (رائدهم الذي يسبقهم كي يبحث عن مواضع العشب والماء) تاه عن حوض المكارم، والناس يتسابقون لتحصيل المجد

الظاعنونَ على العَمْياءِ إن ظَعنوا   والسائلون بِظَهرِ الغيبِ ما الخبرُ

لا تدبير عندهم فهم لا يرحلون بتخطيط لكي يردوا عشباً وماءً بل يرحلون على العمياء (عشوائياً)، وليس عندهم في قبيلتهم جهاز استخباري محكم، فهم لذلك يسألون عما حدث سؤال جاهل

إني رأيتُكُمْ ـ والحقُّ مَغْضَبَةٌ ـ   تَخْزَوْنَ أنْ يُذْكَرَ الجَحَّافُ أو زُفَرُ

يخزيكم ذكر هذين الفارسين اللذين أوقعا بتغلب وقتلا الكثيرين منها

قَادُوا إِليكُمْ صُدورَ الخيلِ مُعْلَمَةً   تَغْشَى الطِّعانَ وفي أعطافِها زَوَرُ

المعلمة: التي عليها شارة الحرب (كانوا يضعون صوفاً أحمر أو أبيض على الفرس عند الحرب)، تغشى الطعان: تأتي مكان المطاعنة بالرماح، وأعطافها (جوانبها) فيها زور (ميلان)

كـانـتْ وقَـائِعُ قُـلْـنـا لَـنْ يُـرَى أَبـداً   مِـنْ تـغـلِـبٍ بـعـدَهـا عـيـنٌ ولا أَثَـرُ

حتَّى سَمِعْتُ بِخِنزيرٍ ضَغَا جَزَعاً   منهُمْ فقلتُ: أَرَى الأَمواتَ قد نُشِرُوا

سمعت خنزيراً منهم ضغا (صاح) فقلت: قد نشر (قام) الأموات

أَحـيـاؤُهـم شَـرُّ أحـيـاءٍ وأَلأَمُـهُ   والأرضُ تَلْفِظُ مَوْتاهُم إذا قُبِروا

رِجْسٌ يكونُ إذا صَلَّوْا، أذانُهُمُ   قَرْعُ النَّواقيسِ لا يَدْرُونَ ما السُّوَرُ

فَما مَنَعتُمْ غَداةَ «البِشْرِ» نِسْوَتَكُمْ   ولا صَبرتُمْ لِقَيْسٍ مِثْلَما صَبَروا

نَرضَى عنِ اللَّهِ أنَّ الناسَ قد عَلِمُوا   أنْ لَنْ يفاخِرَنا مِنْ خَلْقِهِ بَشَرُ

نرضى: نحمد

ومَا لِتَغْلِبَ إنْ عَدَّتْ مَساعِيَها   نجمٌ يُضِيءُ ولا شمسٌ ولا قمرُ

الضَّاحِكِينَ إلى الخِنزيرِ شَهوَتَهُ   يا قُبِّحَتْ تلكَ أفوَاهاً إذا اكْتَشَروا

شهوته: اشتهاءً له

والمُقْرِعِينَ على الخِنزيرِ مَيْسِرَهُمْ   بِئْسَ الجَزُورُ وبئسَ القومُ إذ يَسَرُوا

بدلاً من الاقتراع على ناقة يقتسمون لحمها، كما كانت العرب تفعل، يقترعون على خنزير، فهذا ميسرهم (قمارهم)

والتَّغلِبِيُّ لئيمٌ حيثُ تَجْهَرُهُ   والتَّغلِبِيُّ لئيمٌ حيثُ يُخْتَبَرُ

تجهره: تحادثه لتسبر غوره

والتَّغلِبِيُّ إذا تَمَّتْ مروءَتُهُ   عبدٌ يَسوقُ رِكابَ القومِ مُؤْتَجَرُ

نِسوانُ تغلِبَ لا حِلْمٌ ولا حَسَبٌ   ولا جَمالٌ ولا دِينٌ ولا خَفَرُ

خفر: حياء

والتَّغْلِبيَّةُ في ثِنيَيْ عباءَتِها   بَظْرٌ طَويلٌ وفي بَاعِ ابنِها قِصَرُ

قصير الباع: المقصر عن المكارم

ما كانَ يَرضَى رسولُ اللَّهِ دينَهُمُ   والطَّيِّبَانِ أبو بَكرٍ ولا عمرُ

جاء الرسولُ بِدِينِ الحقِّ فانْتَكَثُوا   وهل يَضيرُ رسولَ اللَّهِ أنْ كَفَرُوا

انتكثوا: أبطلوا العهد

يا خُزْرَ تغلبَ إن اللؤْمَ حالَفَكُمْ   ما دامَ في مَارِدِينَ الزَّيْتُ يُعْتَصَرُ

خزر تغلب= تغلب الخزر (ذوو العيون الضيقة)، ماردين: بلد في جنوب تركيا على الحدود مع سوريا، واليوم يعصرون بها السمسم ويستخرجون زيته، فاللؤم ـ على هذا ـ مستمر في تغلب!

قالَ الكرامُ تَنَحَّوْا إنَّكُمْ نَجَسٌ   أفْواهُ تَغْلِبَ أَسْتَاهٌ بِها وَضَرُ

أستاه: جمع است وهو فتحة الشرج، وضر: وسخ

٣٨ صابرون.. ولكن

قال في هجاء ربيعة، ويذكر مالك بن حنظلة بن مالك:

أقولُ، وذَاكُمْ لِلعَجيبِ الذي أَرى: أَمَالِ بْنَ مَالٍ مَا ربيعةُ والفَخرُ!

أمال بن مال: يا مالك بن مالك

يُحَالِفُهُمْ فَقْرٌ قديمٌ وذِلَّةٌ وبئسَ الحَليفانِ المَذَلَّةُ والفقرُ

فَصَبراً على ذُلِّ رَبيعَ بنَ مَالِكٍ وكُلُّ ذَليلٍ خيرُ عادَتِهِ الصبرُ

٣٩ المداواة بالسم

ودَاوَيْتُ مِنْ عَرِّ الفرزدقِ نُقبَةً بِنَفْطٍ فأَمْسَتْ لا يُخَافُ نُشُورُها

العر: الجرب، نقبة: بقعة، النفط: القار، وبه كانوا يداوون الجرب، نشورها: انتشارها

وأَنْهَلْتُهُ بالسُّمِّ ثمَّ عَلَلْتُهُ بكأْسٍ مِنَ الذَّيْفَانِ مُرٌّ عصيرُها

أنهلته: سقيته أولاً، عللته: سقيته ثانياً، الذيفان: الصبر المر

رأيتُكَ لم تَعْقِدْ حِفَاظاً ولا حِجَىً ولكنْ مواخيراً تُؤَدَّى أُجورُها

الحفاظ: المحافظة على الشرف، الحجى: العقل، المواخير: بيوت الدعارة

أثرْتُ عليكَ المُخزِياتِ، ولم يَكُنْ لِيَعْدَمَ جانِي سَوْأَةٍ مَنْ يُثِيرُها

لقد نبَّهتُ على أفعالك المخزية، ولا يعدَم جاني السوأة (مكتسب العار) من يفضحه

٤٠ الخلافة قدره

قال يمدح عمر بن عبد العزيز:

إنَّا لنَرْجُو إذا ما الغيثُ أخلَفَنا مِنَ الخليفةِ ما نرجُو من المطرِ

إن فاتنا غيث (مطر) السماء نرجو من الخليفة أن يعوضنا

يا رُبَّ سَجْلٍ مُغيثٍ قد نَفَحْتَ به من نائلٍ غيرِ منزوحٍ ولا كَدِرِ

ربَّ سجل (دلو عظيمة) من نائلك (عطائك) قد نفحتنا به (أعطيتنا إياه) وهو غير منزوح (ناقص)

أَأَذْكُرُ الجَهْدَ والبَلْوَى التي نزلتْ أم قد كفاني الذي بُلِّغْتَ من خبري

كم بِالمواسِمِ من شَعثاءَ أَرْمَلَةٍ ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والنظرِ

ترى الكثيرين في المواسم (الأسواق) من الأرامل الشعث (ذوات الهيئة الزرية المغبرة) ومن اليتامى الذين أنهكهم الجوع

مِـمَّـنْ يَـعُـدُّكَ تـكـفـي فَـقْـدَ والِـدِهِ   كالفرخِ في العُشِّ لم يَدْرُجْ ولم يَطِرِ

يتيم كهذا يعدك بدلاً عن والد فقده، وهو كفرخ الطائر، لم يطر بعد ولا حتى درج على الأرض

أنـتَ الـمـبـاركُ والـمـهـديُّ سيـرتُـهُ   تَعصِي الهوى وتَقومُ الليلَ بالسُّوَرِ

نـالَ الـخِـلافَـةَ إذ كـانـتْ لـه قَـدَراً   كـمـا أَتـى ربَّـه مـوسـى عـلـى قَـدَرِ

وكان عمر بن عبد العزيز نال الخلافة بوصية مكتومَة من سليمان بن عبد الملك، وفوجئ بنو أمية باختيار عمر للخلافة مثلما فوجئ موسى بربه يكلمه على الطور

٤١ وقوف واستيقاف

لَـقـد طَرَفَـتْ عيْـنَـيَّ في الـدارِ دِمْـنَـةٌ   تَـعـاوَرَهَـا الأزمـانُ والـريـحُ والـقَـطْـرُ

أصابت عينيَّ بقذى دمنة (خربة) هي أطلال الديار، وقد تعاورتها الأزمان (تبادلتها) بالريح والقطر (المطر) مما أسرع في امِّحاء آثارها

فـقـلـتُ لأَدنَـى صَـاحِـبَـيَّ وإِنَّـنـي   لأَكْتُمُ وَجْداً في الجوانحِ كالجمرِ

لَـعَـمْـرُكُـمـا لا تَـعْـجَـلا إنَّ مَـوْقـفـاً   على الدارِ فيه القتلُ أو راحةُ الدهرِ

وقوفي على دار الحبيبة مهم جداً، فإما أن أموت شوقاً، أو أن أنفِّس عما في داخلي فأستريح

فـلِـلَّـهِ مـاذا هـيَّـجَـتْ مـن صَـبـابَـةٍ   على هالِكٍ يَهذي بِهندٍ وما يَدري

طَوى حَزَناً في القلبِ حتَّى كأنما   به نَفْثُ سِحْرٍ أو أَشَدُّ من السِّحْرِ

٤٢ الراحل بفضيحة

وهـل كـان الـفـرزدقُ غـيـرَ قِـرْدٍ   أصـابَـتْـهُ الـصَّـواعِـقُ فـاسـتَـدارا

وكـنـتَ إذا حَـلَـلْـتَ بِـدارِ قَـومٍ   رَحَـلْـتَ بِـخِـزْيَـةٍ وتـركـتَ عـارا

٤٣ هدايا متتالية

يـا تَـيْـمُ تـيـمَ عَـدِيٍّ لا أَبـالَـكُـمُ   لا يُـوقِـعَـنَّـكُـمُ فـي سَـوْأَةٍ عُـمَـرُ

لا أبا لكم (هُديتم) يا تيم، لا تتركوا شاعركم عمر بن لجأ يجلب عليكم العار

قد خِفْتُ يا ابنَ التي ماتَتْ مُنافِقَةً   من خبثِ بَرْزَةَ أن لا ينزِلَ المطرُ

خفنا من نفاق أمك «برزة» وخبثها أن يحبس الله المطر عنا

أَخْزَيْتَ تَيْماً وما تَحمي مَحارِمَها إذ أنتَ نَفَّاخَةٌ لِلقَيْنِ مُؤْتَجَرُ

أخزيت يا «عمر» قبيلتك تيماً بدل أن تحمي حماها، فأنت قد عملت عند الفرزدق القين (الحداد) نفاخةً (تنفخ على جمره بالمنفاخ)

إنّي لَمُهْدٍ لَكُمْ غُرّاً مُقَشَّبَةً فيها السَّمَامُ وأُخرى بعدُ تُنْتَظَرُ

سأهديكم قصائد غراً (بديعة) مقشبة (جديدة) فيها السم، وستتلوها قصائد

لا تُنْكِرُ التَّيْمُ يوماً أنْ يكونَ لَهُمْ سُؤْرُ العَشِيِّ وشُرْبُ التَّابِعِ الكَدِرُ

التيم ترضى بسؤر العشي (ورود الماء مع إبلهم مساء وشرب السؤر.. البقية في القعر) وشرب التابع الكدر (وشرب بواقي المياه من الحوض وتكون كدرة)

تُخْزِيكَ أحياءُ تَيْمٍ إن فَخَرْتَ بِهِمْ والخِزْيُ أمواتُ تَيْمٍ إنْ هُمُ نُشِرُوا

٤٤ سادتهم على كل حال

إنَّا تُفَضَّلُ في الحياةِ حياتُنا ونَسودُ مَنْ دَخَلَ القبورَ قُبورَا

اللَّهُ فضَّلَنا وأَخْزَى تَغلباً لن تستطيعَ لِمَا قَضَى تغييرا

فينا المساجدُ والإمامُ ولا تَرى في دارِ تغلبَ مسجداً مَعمُورا

تَلقَى إذا اجتمعَ الكرامُ بموطنٍ أشرافَ تغلبَ سائلاً وأَجيرا

الجاعِلِينَ لِمَارِ سَرْجِسَ حَجَّهُمْ وحجيجُ مَكَّةَ يُكْثِرُ التَّكبيرا

٤٥ فيم يشتمونني؟

يهجو سراقة البارقي وقومه:

يا صاحِبَيَّ هل الصباحُ مُنيرُ أم هل لِلَومِ عواذلي تَفْتيرُ

تفتير: تقليل

عاداتُ قلبِكَ حينَ خَفَّ به الهوى لولا تُسَكِّنُهُ لكادَ يَطيرُ

بِشْرٌ أبو مروانَ إن عاسَرْتَهُ عَسِرٌ وعندَ يَسارِهِ مَيْسُورُ

بشر والي الكوفة لأخيه عبد الملك كان يقرب الشعراء ويعبث بهم ويغري بعضهم ببعض، ويعطيهم..

قد كان حَقُّكَ أن تقولَ لِبارِقٍ: يا آلَ بارِقَ فيمَ سُبَّ جريرُ

.. وكان الأمير بشر مسروراً بالمهاجاة بين سراقة البارقي وجرير، وجرير يقول له: كان يجب عليك أن تسأل آل بارق «لأي سبب سب شاعرهم جريراً»

أَسُراقَ إِنَّكَ قد غَشِيتَ بِبارقٍ أمراً مَطالِعُهُ عليكَ وُعُورُ

يا سراقة لقد غشيت ببارق (قدمت بقومك) أمراً مطالعه (طرقه) عليك مليئة بالوعور

يا آلَ بارِقَ لو تقَدَّمَ ناصِحٌ لِلبَارِقِيِّ فإنَّه مَغرورُ

هلّا كنتم نصحتم لأخيكم قبل إقدامه على هجائي فهو مغرور (مغرر به، وواهم)

كالسَّامِرِيِّ غَدَاةَ ضَلَّ بِقَوْمِه والعِجْلُ يُعْكَفُ حولَه، ويَخُورُ

فهو مثل السامري الذي أضل قومه في التيه وجعلهم يعبدون عجلاً من الذهب مفتوحاً من فمه ومؤخرته ويصدر من مرور الهواء بداخله خواراً

تُؤْتَى الكِرامُ مُهورَهُنَّ سِيَاقَةً ونِساءُ بارِقَ ما لَهُنَّ مُهورُ

بنات الكرام تساق إليهن الإبل مهوراً

إنَّ المَلامَةَ والمَذَلَّةَ فاعلَمُوا قَدَرٌ لأَوَّلِ بَارِقٍ مَقْدُورُ

أول بارق: أسلاف البارقيين

أَسُرَاقَ إنكَ لو تُفَاضِلُ خِنْدِفاً بَثَقَتْ عليكَ مِنَ الفُراتِ بُحورُ

بثقت: تدفقت، وخندف: الشعب الكبير الذي منه تميم

٤٦ شماتة بميت

يهجو الأخطل، أبا مالك، بعد موته:

وزارَ القبورَ أبو مَالِكٍ فكانَ كَألأَمِ زُوَّارِها

تَنوحُ بناتُ أبي مَالِكٍ بِبُوقِ النَّصَارَى ومِزْمَارِها

٤٧ رثاء عمر

قال يرثي عمر بن عبد العزيز:

تنعَى النُّعَاةُ أميرَ المؤمنينَ لنا يا خيرَ مَنْ حَجَّ بيتَ اللَّهِ واعتَمَرا

حُمِّلْتَ أمْراً عظيماً فاصطبرتَ له وقمتَ فيهِ بأمرِ اللَّهِ يَا عُمَرَا

فَالشَّمْسُ كَاسِفَةٌ ليستْ بِطَالِعَةٍ تَبكِي عليكَ، نجومَ اللَّيلِ والقَمَرا

الشمس كاسفة كأنها تبكي لموتك، ولأنها كاسفة لم تُخفِ نجومَ الليل ولا القمرَ.
بيت فيه التواء

٤٨ عبدة الصليب

عَلِقَ الأُخَيْطِلُ في حِبالِيَ بعدَمَا عثرَ الفرزدقُ، لا لَعَاً لِلعاثِرِ

لا لعاً له: لا أقامه الله

إن القصائدَ قد وَطِئْنَ مُجَاشِعاً ووطِئْنَ تغلبَ، ما لها مِن زَاجرِ

مجاشع: قبيلة الفرزدق، تغلب: قبيلة الأخطل

نُبِّئْتُ تغلبَ يَعبُدونَ صليبَهُمْ بِالرَّقَّتَيْنِ إلى جنوبِ المَاخِرِ

يَستنصِرونَ بِمَارِ سَرْجِسَ وابنِه بعد الصليبِ، وما لَهُمْ مِنْ ناصرِ

أَدِّ الجِزَى ودَعِ الفَخارَ بِتَغلبٍ واخْسَأْ بمنزلةِ الذليلِ الصَّاغِرِ

بين الحَواجِبِ واللِّحَى مِنْ تغلبٍ لُؤْمٌ تُوُرِّثَ كابراً عن كابِرِ

بين الحواجب واللحى: أي في الوجوه

٤٩ غدار يا زمن

حَيوُّا المَقَامَ وحَيُّوا ساكِنَ الدَّارِ ما كِدْتَ تَعْرِفُ إلَّا بعدَ إنكارِ

يطلب من صحبه أن يحيوا المكان وصاحبه الراحل عنه، والشاعر لم يميز المكان إلا بعد أن شك فيه وأنكره لتغيره بعد أن هجره أهله

إذا تَقادَمَ عهدُ الحَيِّ هَيَّجَني خيالُ طَيِّبَةِ الأَرْدَانِ مِعْطَارِ

الأردان: الأكمام

لا يأْمَنَنَّ قَويٌّ نَقْضَ مِرَّتِه إني أرى الدهرَ ذا نَقْضٍ وإمْرَارِ

على القوي أن لا يأمن الزمن الذي ينقض مرته (يفك فتْله، أي يضعف قوته)، فالدهر ذو نقض (فك) وإمرار (فتل). يشبه المرء بالحبل المفتول من قوىً عدة، و«القوة» في الأصل هي الفتلة الواحدة من فَتَلات الحبل

قد أَطلُبُ الحاجةَ القُصْوَى فأُدْرِكُها ولستُ للجارةِ الدُّنْيا بِزَوَّارِ

قَومِي تميمٌ هُمُ القومُ الذين هُمُ يَنفُونَ تغلبَ عن بُحبُوحَةِ الدارِ

بحبوحة الدار: وسطها المتسع

النَّازِلونَ الحِمَى لم يُرْعَ قبلَهُمُ والمانعونَ بلا حِلْفٍ ولا جَارِ

تميم ينزلون الحمى (الأرض المحمية من جانب قبيلة معينة) الذي لم يجرؤ أحد قبلهم على انتهاكه، وهم يمنعون (يحمون حماهم الخاص) دون حاجة للتحالف مع غيرهم أو الاستجارة به

إن الـذيـن اجْـتَـنَـوْا مَـجْـداً ومـكـرمـةً   تِـلْـكُـمْ قُـرَيْـشـيَ والأنـصـارُ أنـصـاري

وتميم من مضر وقريش من مضر، أما الأنصار فمن اليمن، ولكن جرير يعدهم من أنصاره

لا تَـفْـخَـرُنَّ فـإنَّ الـلَّـهَ أنـزَلَـكُـمْ   يـا خُـزْرَ تـغـلـبَ دارَ الـذُّلِّ والـعـارِ

عليكم ألا تفخروا يا خزر تغلب (يا تغلب الخزر، يا ذوي العيون الضيقة)

٥٠ الله وقريش والأنصار معنا

يهجو الأخطل:

ورايـةِ مَـلْـكٍ كَـظِـلِّ الـعُـقَـابِ   ضَـرَبْـنَـا عـلـى الـرأسِ جـبَّـارَهـا

رب راية مَلِكٍ كأنها ظل العقاب ضربنا صاحبها الملك على رأسه

وكـنَّـا إذا حَـوْمَـةٌ أَعْـرَضَـتْ   نـخـوضُ إلـى الـمـوتِ أَغْـمَـارَهـا

حومة: ساحة حرب

ولـو أَصـبـحَ الـنـاسُ حـربـاً عِـدَىً   لِـقَـيْـسٍ وخِـنْـدِفَ مـا ضَـارَهـا

وأَدْعُـو الإلـهَ وتَـدْعُـو الـصَّـلِـيـبَ   وأَدْعُـو قُـرَيْـشـاً وأَنْـصَـارَهـا

٥١ قذف المحصنات

يهجو الفرزدق:

تـرجُـو الـهَـوادَةَ يـا فـرزدقُ بـعـدَمـا   أَطـفـأْتَ نَـارَكَ واصـطَـلَـيْـتَ بِـنَـاري

يزعم أن الفرزدق صار يرجو من جرير الهوادة (المهادنة) بعد إذ كف عن التصدي للشعراء والدفاع عن تميم (وهي القبيلة الكبيرة التي تجمعهما) وأخذ يتدفأ بنار جرير

أَبَـنِـي قُـفَـيْـرَةَ قـد أَنـاخَ إلـيـكُـمُ   يـومَ الـتَّـقَـاسُـمِ لُـؤْمُ آلِ نِـزارِ

قفيرة: أم الفرزدق، أناخ إليكم: حل عندكم

يَـتـلاوَمُـونَ وقـد أَبـاحَ حـريـمَـهُـمْ   قَـيْـنٌ أَحَـلَّـهُـمُ بِـدارِ بَـوَارِ

يلوم أهل الفرزدق بعضهم بعضاً وقد جعل القين (الحداد، يعني الفرزدق) حريمهم مباحاً للشتم، وأنزلهم بدار البوار (الخراب)

إن الـقـصـائـدَ لـم يَـزَلْـنَ سَـوائِـحـاً   بِـحـديـثِ جِـعْـثِـنَ مـا تَـرَنَّـمَ سَـارِ

جعثن: أخت الفرزدق، ويقول جرير ـ كاذباً ـ إنها اغتصبت. وها هو يقول إن القصائد ستروح وتجيء بذكرها إلى الأبد، ما دام هناك سارٍ (سائر ليلاً) يترنم بالشعر

تَبْكي الـمُغيبَةُ مِنْ بناتِ مُجَاشِعٍ   وَلْهَى إذا سمعتْ نَهِيقَ حِمارِ

المغيبة (التي غاب زوجها) من بنات مجاشع تبكي ولهاً (شوقاً) إذا سمعت نهيق حمار (ينهق لأنثاه مشتاقاً)

لا تبْتَغي كَمَراً بناتُ مُجَاشِعٍ   ويُرِدْنَ مثلَ بَيازِرِ القَصَّارِ

ولا تريد نساء مجاشع كمراً (والكمرة أداة الرجل) بل يردن شيئاً مثل بيزرة القصار (مِدقَّة غاسل الثياب)

٥٢ حي الهدملة

حَيِّ الهِدَمْلَةَ مِنْ ذَاتِ المَواعيسِ   فَالحِنْوَ أصبحَ قَفْراً غيرَ مَأْنُوسِ

أسماء أماكن خربة

بينَ المُخَيْصِرِ فالعَزَّافِ مَنزِلَةٌ   كالوَحْيِ مِنْ عَهْدِ موسى في القراطيسِ

هذه المنزلة (المكان) أصبحت معالمها ممحوَّة مثل الكلمات في أوراق التوراة

لا يستطيعُ امتِنَاعاً فَقْعُ قَرْقَرَةٍ   بين الطَّريقَيْنِ بالبِيدِ الأَمَالِيسِ

فقع القرقرة (الفطر النابت في الوادي) بين طريقين في البيد الأماليس (الصحارى الجرداء) لا يستطيع حماية نفسه من دوس الأرجل

وابنُ اللَّبُونِ إذا مَا لُزَّ في قَرَنٍ   لم يَستَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيسِ

ابن اللبون: الصغير الذي فُطم قريباً، إذا ما لُزَّ (حُشِر) في قرن (حبل) لا يستطيع أن يقاوم صولة البزل القناعيس (هجمة الجمال القوية)

هل مِنْ حُلُومٍ لِأقوامٍ فَتُنْذِرَهُمْ   ما جَرَّبَ الناسُ مِنْ عَضِّي وتَضْرِيسي

هل للقوم عقول تحذرهم مما جرب غيرهم من عضي وتضريسي (فتكي بالخصوم بالأسنان والأضراس)

٥٣ أنا جهنم

إنْ تَضْرِسانِي تَجِدَا مُضَرَّسا

إن تختبراني تجدا رجلاً كثير التجارب

قد لَبِسَ الدهرَ وأَبْقَى مَلْبَسا

لا نعرف كيف يلبس المرء الدهر، غير أن المعنى الملموح هو أنه عاين صنوف الرزايا، وبقيت فيه بقية

مَنْ شَاء مِنْ حَرِّ الجَحِيمِ اقْتَبَسا

٥٤ أفنيت الشعر

أَلَا لا تَلُومَا القلبَ أن يَتَخَشَّعَا فقد هَاجَتِ الأحزانُ قلباً مُفَزَّعَا
وجُودَا لِهِنْدٍ بالكرامةِ منكُما وما شئتُما أن تَمنَعا بعدُ فامْنَعا

جودا يا صاحبيَّ لهند بالوقوف ساعة على أطلال منازلها، وبعد ذلك لا أسألكما شيئاً

وأَدركتُ مَنْ قد كانَ قَبْلي ولم أَدَعْ لِمَنْ كان بَعديَ في القصائِدِ مَصْنَعا

أدركت الشعراء السابقين (صنعت في الشعر مثلما صنعوا) ولم أترك لمن بعدي في القصائد مصنعاً (شيئاً يصنعه)

٥٥ زعم الفرزدق..

بانَ الخَليطُ بِرامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوَكُلَّمَا رَفَعُوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ

بان الخليط: فارقَ القوم، رفعوا: وضعوا رحالهم فوق الإبل للرحيل

إن الشَّواحِجَ بالضُّحَى هَيَّجْنَنِي في دارِ زَينبَ، والحَمامُ الوُقَّعُ

الشواحج: الغربان

كيف العزاءُ ولم أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ قلباً يَقَرُّ ولا شَراباً يَنْقَعُ

بنتم: فارقتم، ينقع: يروي

ولقد صَدَقْتُكِ في الهوى وكَذَبْتِنِي وخَلَبْتِني بِمَواعِدٍ لا تَنْفَعُ

خلبتني: خدعتني

بَانَ الشبابُ حَمِيدةً أيَّامُهُ ولوَ انَّ ذلكَ يُشْتَرى أو يَرجِعُ
وتقولُ بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصَا هلَّا هَزِئْتِ بِغيرِنا يا بَوْزَعُ
ولقد رأَيتُكِ في العَذارى مَرَّةً ورأَيتُ رَأسِي وَهْوَ دَاجٍ أَفْرَعُ

داجٍ: أسود، أفرع: ذو شعر غزير، والفرع الشَّعر

حَيُّوا الديارَ وسائِلُوا أطلالَها هل تَرجِعُ الخبرَ الديارُ البَلْقَعُ

البلقع: الخربة

ولقد حَبَسْتُ بِها المَطِيَّ فلم يكنْ إلَّا السلامُ، ووَكْفُ عينٍ تَدْمَعُ

وَكف: انهمار

لما رأى صحبِي الدموعَ كأنها سَحُّ الرذاذِ على الرداءِ اسْتَرْجَعُوا

سح الرذاذ: هطول المطر الخفيف، استرجعوا: قالوا «إنا لله وإنا إليه راجعون»

هَـل تـذكـريـنَ زمـانَـنـا بِـعُـنَـيْـزَةٍ والأَبْـرَقَـيْـنِ، وذاكَ مـا لا يَـرْجِـعُ
أَعْـدَدْتُ لـلـشـعـراءِ كـأسـاً مُـرَّةً عنديِ مُخَالِطُها السِّمامُ المُنْقَعُ

السمام: السم، المنقع: الشديد

وَهَـنَ الـفـرزدقُ يـومَ جَـرَّبَ سـيـفَـهُ قَـيْـنٌ بِـهِ حُـمَـمٌ وآمٍ أَرْبَـعُ

ضعف الفرزدق حين ضرب بسيفه ذلك الأسير فنبا سيفه، والفرزدق قين (حداد) به حمم (فحم)، وآمٍ أربع (أربع إماء، أي أنه سليل جَدَّات أربع من الإماء)

أَخْـزَيْـتَ قـومَـكَ فـي مَـقـامِ قُـمْـتَـه ووجـدْتَ سـيـفَ مـجـاشـعٍ لا يَـقْـطَـعُ

مجاشع: قوم الفرزدق

ومـجـاشِـعٌ قَـصَـبٌ هَـوَتْ أجـوافُـهُ غَـرُّوا الـزُّبَـيْـرَ فـأَيَّ جَـارٍ ضَـيَّـعُـوا

مجاشع فارغون كالقصب الذي لا شيء في جوفه، وقد غروا الزبير بن العوام حين استجار بهم، فأخذه أعداؤه وقتلوه. والزبير ابن عمة الرسول، وقد خرج مع عائشة في يوم الجمل ضد علي بن أبي طالب، وانصرف عن القتال، فلاقاه رجل من مجاشع، رهط الفرزدق، فقال له: إليَّ إليَّ فأنا أمنعك. فقبل جواره، ولكن قوماً لحقوا به وقتلوه

لـمـا أَتَـى خـبـرُ الـزُّبـيـرِ تَـواضَـعَـتْ سُـورُ الـمـديـنـةِ والـجـبَـالُ الـخُـشَّـعُ

تواضعت: تهدمت، خشعت الجبال: همدت

هـلَّا سـألـتَ بـنـي تَـمـيـمٍ أَيُّـنَـا يَـحـمـي الـذِّمـارَ، ويُـسْـتَـجـارُ فَـيَـمْـنَـعُ

الذمار: العِرض

من كـان يَـسـتَـلِـبُ الـجـبـابِـرَ تَـاجَـهُـمْ ويَـضُـرُّ، إذْ رُفِـعَ الـحـديـثُ، ويَـنْـفَـعُ

من الذي يجرؤ على الملوك فيقهرهم، ومن الذي بيده أن ينفع ويضر عندما يأتي زمن الفعل ويذهب زمن القول

زعـمَ الـفـرزدقُ أن سَـيَـقْـتُـلُ مَـرْبَـعـاً أَبْـشِـرْ بِـطـولِ سَـلامَـةٍ يـا مَـرْبَـعُ

مربع: راوية جرير

أُخْـتُ الـفـرزدقِ مِـنْ أَبـيـهِ وأُمِّـهِ باتَـتْ وسيرتُها الوَجيِفُ الأَرْفَعُ

تلك جِعْثِنُ أخت الفرزدق التي تعرض لها رجل من منقر ولمسها أو سحب ثوبها يريد أن يهين قومها، فصرخت به فهرب، وملأ جرير شعره بقذفها، يقول إن سيرتها باتت الوجيف الأرفع (السائرة سيراً سريعاً كوجيف الإبل)

قـد تـعـلَـمُ الـنَّـخَـبَـاتُ أنَّ فَـتـاتَـهـم وُطِـئَـتْ كـمـا وُطِـئَ الـطـريـقُ الـمَـهْـيَـعُ

النخبات (النساء الغلمات الطالبات الجماع) علمن أن فتاتهم جعثن ديست كما يداس الطريق المهيع (الممهد)

نُبِّئْتُ جِعْثِنَ دَافَعَتْهُمْ باسْتِها   إذْ لم تَجِدْ لِمُجَاشِعٍ مَنْ يَدْفَعُ

لم تجد من قومها مجاشع من يدفع عنها الأذى فدفعته باستها

يبكي الفرزدقُ والدمَاءُ على اسْتِها   قُبْحاً لِتلْكَ غُروبَ عينٍ تَدْمَعُ

غروب: دموع

٥٦ لا يشبعون

أَشكو إليكَ فَأَشْكِني ذُرِّيَّةً   لا يَشبعون وأُمُّهُمْ لا تَشبعُ

أشكني (استجب لشكواي) في ذرية (أولاد) جياع

كَثُروا عَلَيَّ فما يموتُ كبيرُهُمْ   حتَّى الحسابِ ولا الصَّغيرُ المُرْضَعُ

رِشْنِي، فقد دخلتْ عَلَيَّ خَصَاصَةٌ،   مِمَّا جَمَعْتَ وكلَّ خيرٍ تَجْمَعُ

رشني (أنْبِت عليَّ ريشاً، أي أنعشني وقوِّني، وعلامة قوة الطائر أن ينبت ريشه) بشيء مما جمعتَه، وأنت تجمع كل خير، فقد دخلت عليَّ خصاصة (فقر)

٥٧ مدح أمير المؤمنين

يمدح عبد الملك بن مروان:

لولا الخليفةُ والقرآنُ يَقرأُهُ   ما قام للناسِ أَحْكامٌ ولا جُمَعُ

ما عَدَّ قومٌ بِإِحسانٍ صَنيعَهُمُ   إلَّا صَنيعُكُمُ فوقَ الذي صَنَعوا

أنتَ المباركُ يَهدي اللَّهُ شيعتَه   إذا تفرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

فكلُّ أمرٍ على يُمْنٍ أَمَرْتَ به   فينا مُطاعٌ، ومهما قُلْتَ مستَمَعُ

تَلقَى الرجالَ إذا ما خِيفَ صَوْلَتُهُ   يَمْشونَ هَوْناً وفي أَعناقِهِمْ خَضَعُ

تجد الرجال إذا ما خيفت صولة عبد الملك (إذا غضب) يمشون هوناً (مشياً وئيداً) وقد نكسوا رؤوسهم

إنَّ البَرِيَّةَ تَرضَى ما رَضِيتَ لها   إن سرتَ سَاروا وإنْ قلتَ ارْبَعُوا رَبَعُوا

اربعوا: انزلوا

٥٨ الملك يتبجبح

إذا ما استَضافَتْني الهُمومُ قَرَيْتُها   زِماعِي ولَيلَ الذَّامِلاتِ الهَوابِعِ

إذا جاءتني الهموم تطلب الضيافة قريتها (أطعمتها) زماعاً (عزيمةً) وليلاً أسير فيه على متون الذاملات الهوابع (النياق الماضية في سيرها وتمد أعناقها)

تَبَحْبَحَ هذا المُلْكُ في مُستَقَرِّهِ فليس إلى قومٍ سِواكُمْ بِراجِعِ

قعد الملك مستريحاً عندكم يا بني أمية

٥٩ صاحب المكرمات

يمدح عبد العزيز بن مروان:

رأَيْنَ تَغَيُّرِي فَجَزِعْنَ منهُ كَذُعْرِ الفَارِسِ البَقَرَ الرِّتَاعا

رأت الحسان تغيري بمرور الزمن فأصابهن بالجزع مثلما يصيب الفارس بالذعر البقر البرية الراتعة في عشبها

سَما عبدُ العزيزِ إلى المعَالي وفاتَ العالَمينَ نَدَىً وبَاعا

الندى: الكرم، الباع: القدرة

أَلَسْتَ ابنَ الأئِمَّةِ مِنْ قريشٍ وأرحَبَها بِمَكْرُمةٍ ذِراعَا

٦٠ صوت الضفادع

يهجو الفرزدق:

إذا أسْفَرَتْ يوماً نساءُ مُجَاشِعٍ بَدَتْ سَوْأَةٌ مِمَّا تُجِنُّ البَراقِعُ

تجن: تخفي

مَباشِيمُ مِنْ غِبِّ الخَزيرِ، كأنَّما تُصَوِّتُ في أَعْفَاجِهِنَّ الضَّفَادِعُ

مباشيم (مصابات بفساد معدة لكثرة الأكل) وذلك غب (نتيجة) أكل الخزير (دقيق يحاس بالماء أو المرق، وهي أكلة يعير بها جرير قوم الفرزدق)، ويصدر عن أعفاجهن (أسافل أمعائهن) صوت كنقيق الضفادع

أَتَعْدِلُ أَحساباً كِراماً حُماتُها بِأحسابِكُمْ؟ إنِّي إلى اللّهِ راجِعُ

لَقَوميَ أَحْمَى لِلحَقيقةِ مِنْكُمُ وأَضْرَبُ للجبَّارِ، والنَّقْعُ ساطِعُ

الحقيقة: الشرف، النقع: الغبار، ساطع: منتشر

إذا قيلَ أَيُّ الناسِ شَرٌّ قَبيلَةً وأَعْظَمُ عاراً قِيلَ تلكَ مُجَاشِعُ

٦١ هندستان وصينستان

قال في الوليد بن عبد الملك:

طلَبْنا أَميرَ المؤمنينَ ودونَهُ تَنائِفُ غُبْرٌ، واصَلَتْها تَنائِفُ

تنائف: صحارى

إذا قيلَ شَكْوَى بِالإمامِ تَصَدَّعَتْ   عليهِ مِنَ الخوفِ القلوبُ الرواجفُ

شكوى: مرض

أَتَتْنَا لكَ البُشْرى فَقَرَّتْ عيونُنا   ودارتْ على أهلِ النفاقِ المَخاوِفُ

ثم أتتنا البشرى بشفائه

هداكَ الذي يهدي الخَلائِفَ للتُّقَى   وأُعطِيتَ نصراً لم تَنَلْهُ الخَلائفُ

وأَدَّتْ إليكَ الهندُ ما في حصونِها   ومن أَرضِ صينِسْتَانَ تُجْبَى الطَّرائِفُ

استسلم المقاتلون في الهند ونزلوا من حصونهم، وبعثت الصين بالهدايا درءاً لغزوها

٦٢ أعطوا هنيدة

وقال في يزيد بن عبد الملك:

خَبِّرْ عن الحيِّ سِرّاً أو عَلانِيَةً   جَادتْكَ مُدْجِنَةٌ في عيْنِها وَطَفُ

أيها الربع خبرنا عمَّن رحلوا عنك، ولتهطل عليك أمطار سحابة مدجنة معتمة، وكأن للغيمة عين، وكأن بها وطف (سيولة)

ما استَوْصَفَ الناسُ عن شيءٍ يروقُهُمُ   إلَّا أرى أمَّ عمروٍ فوقَ ما وَصَفُوا

استوصف: التمسَ وصفاً

كأنها مُزْنَةٌ غَرَّاءُ واضِحَةٌ   أو دُرَّةٌ لا يُواري ضَوْءَها الصَّدَفُ

مزنة: سحابة، غراء: بيضاء

قالَ العواذِلُ هل تَنْهَاكَ تَجْرِبَةٌ   أما تَرى الشيبَ، والأَخدانَ قد دَلَفُوا

أما ترى أخدانك (رفاقك الذين في سنك) قد دلفوا (مشوا مشياً وئيداً وكبروا)

كَلَّفْتُ صَحبِيَ أهوَالاً على ثِقَةٍ   لِلَّهُ دَرُّهُمُ رَكْباً، وما كَلِفُوا

كلف صحبه مماشاته في رحلته واثقاً بقبولهم

لا وِرْدَ لِلقومِ إن لم يعرِفُوا بَرَدَى   إذا تَجَوَّبَ عن أعناقِهَا السَّدَفُ

لا ورد (ورود على ماء) لصحبي إن لم يجيئوا نهر بردى بالشام وقد تجوَّب (انزاح) عن أعناق الإبل السدف (الظلام)

صَبَّحْنَ تُومَاءَ، والنَّاقُوسُ يَقْرَعُهُ   قَسُّ النَّصارَى، حَراجِيجاً بِنا تَجِفُ

عند الصباح تصل الإبل إلى توماء (بدمشق) مع قرع القس الناقوس، وإبلنا هذه الحراجيج (الضامرة الهزيلة لطول السير) تصل وهي تجف (تسرع)

يا ابنَ الأُرومِ، وفي الأَعْياصِ مَنْبِتُها لا قادحٌ يرتَقي فيها ولا قَصَفُ

يا ابن الأروم (الجذور) التي منبتها في الأعياص (وسط الشجر المتكاثف)، والتي لا يصعد فيها قادح (سوس) ولا قَصَف (ضعف يؤدي إلى انقصاف)

أرجُو الفَواضِلَ إنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ يا قَبلَ نفسِكَ لاقَى نفسِيَ التَّلَفُ

أرجو الفواضل (العطايا)، وليقبض الله نفسي قبلك (كأنه يقول له: تقبرني)

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحدُوها ثَمانِيَةٌ ما في عَطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

لقد أعطوْني هنيدة (مئة ناقة/قد جاءك أنهم يسمون المليون جنيه «الأرنب»، فهذه الهنيدة مئة ناقة)، ويحدوها (يقودها) ثمانية من الرعاء، وليس في عطائهم منٌّ (استطالة على الآخذ) ولا إسراف

كُوماً مَهارِيسَ مِثلَ الهَضْبِ لو وَرَدَتْ ماءَ الفراتِ لكادَ البحرُ يُنْتَزَفُ

هذه النياق كوم (ضخمة) مهاريس (تهرس العشب هرساً ثم تدر اللبن الغزير) وهي كالهضاب، ولو وردت نهر الفرات لكاد ينتزف (ينضب)

إنِّي شَكَرْتُ، وقد جَرَّبْتُ أَنَّكُمُ على رجالٍ وإن لم يَشْكُروا عُطُفُ

يا رُبَّ قومٍ وقومٍ حاسِدينَ لكُمْ ما فِيهِمُ بَدَلٌ منكُمْ ولا خَلَفُ

ما أكثر الحساد، لكنهم لا يقومون مقامكم

أنتَ المُبارَكُ والميمونُ سيرتُه لولا تُقَوِّمُ دَرْءَ الناسِ لاختَلَفوا

درء: اعوجاج

تدعُو فَيَنْصُرُ أهلُ الشامِ، إنهُمُ قومٌ أطاعُوا وُلاةَ الحقِّ وائْتَلفوا

ما في قُلوبِهِمُ نَكْثٌ ولا مَرَضٌ إذا قَذَفْتَ مُحِلّاً خالِعاً قَذَفُوا

ليس في قلوبهم مرض (نفاق)، وإذا قذفت محلاً (من يحل حرمات الله) خالعاً (خالعاً للطاعة) فهم معك

٦٣ هبيرة ومشيته

أَبَنِي رَبيعةَ إِنَّما أَزْرَى بِكُمْ نَكَدُ الجُدودِ، ودِقَّةُ الأخلاقِ

يمشي هُبَيْرَةُ بعد مَقتلِ شيخِه مَشيَ المُراسِلِ أُوذِنَتْ بِطَلاقِ

هبيرة يمشي مختالاً ولم يأخذ بثأر أبيه مشيَ المراسل (المطلقة التي تراسل الرجال كي تتزوج) أوذنت (أبلغت) بطلاقها

٦٤ يا زيق.. يا زيق

يا زِيقُ أَنْكَحْتَ قَيْناً بِاسْتِهِ حُمَمٌ ... يا زِيقُ ويحَكَ ما أَنْكَحْتَ يا زِيقُ

زوج زيق ابنته حدراء للفرزدق على مئة ناقة، فهذا جرير يوبخه: قد زوجت قيناً (حداداً) في مؤخرته حمم (سواد من فحم مرجله الذي يحمي به الحديد)

يـا رُبَّ قـائِلَـةٍ بـعـد الـبِـنَـاءِ لَـهُ ... لا الصِّهْرُ راضٍ، ولا ابْنُ القَيْنِ مَعشُوقُ

البناء: الزواج، إذ كان الرجل «يبني» فعلاً على عروسه خيمة جديدة، فغدا كل زواج بناء

٦٥ لولا إسحاق

يهجو سراقة البارقي:

يـا رُبَّ قـائِـلَـةٍ تـقـولُ وقـائِـلٍ: ... أَسُـرَاقَ إِنَّـكَ قـد خَـزِيـتَ سُـرَاقـا

إن الـذيـن عَـوَوْا عُـوَاءَكَ قـد لَـقُـوا ... مِـنِّـي صَـواعِـقَ تُـخْـضِـعُ الأَعْـنـاقَـا

فـإذا لَـقِـيـتَ مُـجَـيْـلِـسـاً مِـنْ بَـارِقٍ ... لاقَـيْـتَ أَطْـبَـعَ مـجـلِـسٍ أَخْـلاقـا

أطبع: أسوأ

الـنـاقِـصِـيـنَ إذا يُـعَـدُّ حَـصـاهُـمُ ... والـجـامِـعِـيـنَ مَـذَلَّـةً ونِـفـاقـا

حصاهم: عددهم

ولـقـد هـمـمْـتُ بـأنْ أُدَمِّـرَ بـارقـاً ... فَـرَقَـبْـتُ فـيـهِـمْ عـمَّـنـا إِسـحَـاقـا

أردت أن أدمرهم ولكنني رقبت (راعيت) عمنا إسحق (فهم يهود من أبناء إسحق الذي هو «عمُّ» العرب، إذ أبو العرب أخوه إسماعيل)

٦٦ عقاب الحجاج

أُعـالِـجُ بَـرْحـاً مِـنْ هـواكِ، وشَـفَّـنـي ... فـؤادٌ إذا مـا تُـذكَـريـنَ خَـفـوقُ

أعالج (أعاني) برحاً (ألماً) من هواك، وشفني (آلمني) فؤاد خافق كلما ذُكِرْتِ

أَوَانِـسُ أَمَّـا مَـنْ أَرَدْنَ عـنـاءَهُ ... فَـعَـانٍ، ومَـنْ أَطْـلَـقْـنَ فَـهْـوَ طَـلِـيـقُ

من أردن عناءه (إيلامه) فهو عانٍ (أسير)

ومَـنْ يَـأْمَـنُ الـحـجَّـاجَ؟ أَمَّـا عِـقـابُـه ... فَـمُـرٌّ، وأَمَّـا عَـقْـدُهُ فَـوَثـيـقُ

لا يأمن الحجاج منافق

ومـا ذُقْـتُ طَـعْـمَ الـنَّـوْمِ إلا مُـفَـزَّعـاً ... ومـا سـاغَ لـي بـيـن الـحَـيـازِمِ رِيـقُ

الحيازم (أعالي الصدر التي تضم الحلق)

يُسِرُّ لكَ البَغضَاءَ كلُّ منافقٍ كما كُلُّ ذي دِينٍ عليكَ شَفيقُ
وَأطفَأْتَ نيرانَ العراقِ، وقد عَلا لَهُنَّ دُخَانٌ ساطِعٌ وحريقُ

ساطع: منتشر

٦٧ لسان تميم

يرثي الفرزدق، وقد سبقه بنحو سنة:

لَعَمْري لقد أَشجَى تميماً وهَدَّهَا على نَكَبَاتِ الدهرِ موتُ الفرزْدَقِ

فوق نكبات الدهر جاء موت الفرزدق ليحزن تميماً ويهدها

عشيَّةَ راحُوا للفِراقِ بِنَعشِهِ إلى جَدَثٍ في هُوَّةِ الأرضِ مُعْمَقِ
لقد غادروا في اللَّحْدِ مَنْ كان ينتمي إلى كلِّ نَجْمٍ في السماء مُحَلِّقِ
عِمادُ تميمٍ كلِّها ولِسانُها وناطقُها البَذَّاخُ في كلِّ منطقِ

البذاخ: المتدفق الهدَّار

وكم حِصنِ جبَّارٍ هُمامٍ، وسُوقَةٍ إذا ما أَتَى أبوابَه لم تُغَلَّقِ

كان الفرزدق يزور الملوك الجبارين، والسوقة (الأثرياء من غير الملوك، وهي كلمة غير مرذولة في هذا السياق) ولم تكن تغلق دونه الأبواب

لِتَبْكِ عليه الإنسُ والجِنُّ، إذ ثَوَى فَتى مُضَرٍ، في كلِّ غربٍ ومَشْرِقِ
فتىً عاشَ يبني المجدَ تسعينَ حِجَّةً وكان إلى الخيراتِ والمجدِ يرتَقي

٦٨ عز تميم

يهجو الأخطل التغلبي:

ألم تَرَ أن عِزَّ بني تميم بناهُ اللَّهُ يومَ بنى الجبالا
إذا ما كان خالُكَ تغلبياً فبادِلْ إن وجدْتَ له بِدالا
ويَرْبُوعٌ تَحُلُّ ذُرى الرَّوابي وتبني فوقَها عَمَداً طِوالا

يربوع: عشيرة جرير، وهي من تميم

٦٩ العاجل والآجل

قال لعمر بن عبد العزيز:

إن الذي بعثَ النبيَّ محمداً جعلَ الخلافةَ في الإمامِ العادلِ

قد نالَ عدلُكَ مَنْ أقامَ بأرضِنا ... وإليكَ حاجةُ كلِّ وفدٍ رَاحلِ
إنّي لآمُلُ منكَ خيراً عاجلاً ... والنفسُ مولَعَةٌ بحُبِّ العاجلِ
واللَّهُ أنزلَ في الكتابِ فريضةً ... لابنِ السبيلِ وللفقيرِ العائلِ

يذكِّر عمر بالآية: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل..» والعائل: ذو العيال

٧٠ مصنوعون من لؤم

قومٌ تَوارَثَ أصلَ اللُّؤمِ أوَّلُهُمْ ... فما لَهُمْ عن ديارِ اللؤمِ تَحويلُ
مُحالِفُو اللؤمِ آلَى لا يُفارِقُهُمْ ... حتى يُرَدَّ على أدراجِه النِّيلُ

ملازمون للُّؤم، وقد آلى، أي حلف، لا يفارقهم حتى ينعكس جريان النيل

قد ارتَدَوْا بِرِدَاءِ اللُّؤمِ واتَّزَرُوا ... وقُطِّعَتْ لَهُمُ منهُ سَرابِيلُ

٧١ بسطام وغالب

أُحِبُّ لِحُبِّ العَاصِمِيَّةِ معشَراً ... مِنَ الناسِ ما كانوا صديقاً ولا أهلا
وأَرعاهُمُ بالغيبِ مِنْ أجلِ حبِّها ... وأُوْلِيهِمُ مِنِّي الكَرامَةَ والبَذْلا
لقد جَمَحَتْ عِرْسُ الفرزدقِ، والْتَوَى ... بِحَدْرَاءَ قومٌ لم يَرَوْكَ لها أَهْلا

جمحت (تمردت) عرس الفرزدق (زوجته) حدراء، والتوى بها أهلها (تحايلوا لمنع زواجها) لأنهم لم يروك كفئاً لها

رَأَوْا أنَّ صِهْرَ القومِ عارٌ عليْهِمُ ... وأنَّ لِبِسطامٍ على غالِبٍ فَضْلا

فأبوهم بسطام خير من أبيك غالب

ومَا رَغِبوا في صِهْرِ آلِ مُجَاشِعٍ ... وما إنْ رَأَوْا شَكْلَ القُيُونِ لَهُمْ شَكْلا

وهم لا يُصْهِرون إلى قيون (حدادين)

٧٢ على أهواء نسوتهم

قيسُ البَراجِمِ شَرُّ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... أَخزاهُمُ ربُّ جِبريلٍ ومِيكالِ
الظَّاعنونَ على أَهْواءِ نِسْوَتِهِمْ ... والخَافِضُونَ بِدارٍ غيرِ مِحْلالِ

الخافضون: النازلون، دار غير محلال: لا تصلح للحلول بها

٧٣ موتي

خُذُوا كُحْلاً ومِجْمَرَةً وعِطْراً فَلَسْتُمْ يا فرزدقُ بالرجالِ

مجمرة: مبخرة

يقولُ المِنْقَرِيُّ، وأَبْرَكُوهَا: رخِيصٌ مَهْرُ جِعْثِنَ غيرُ غَالِ

كان المنقري قد تعرض لأخت الفرزدق جعثن ثم فر، ويزعم جرير ـ كاذباً ـ أن أصحاب المنقري أقاموا الفتاة على أربع للفعل الشنيع

تقولُ قتَلْتَني، ويقولُ مُوتي ولو رَغِمَ الفرزدقُ لا أُبالي

٧٤ أشبالي

يرثي ولده سَوادة، ومات بالشام:

قالوا نَصيبَكَ مِنْ أَجْرٍ، فقلتُ لَهُمْ: مَنْ لِلعَرينِ إذا فارقْتُ أَشْبالي

قالوا تأخذ نصيبَك من الأجر لصبرك على ابنك، فقلت لهم: من يحمي العرين إذا فقدت أولادي

لَكِنْ سَوَادَةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ بَازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرقَبِ العالي

سوادة كان يجلو (يُبرز) مقلتي لحم (صقر) يُصيح فوق المرقب (الموضع الذي يرقب منه الصقر فريسته قبل انقضاضه)

إلّا تَكُنْ لَكَ بالدَّيْرَيْنِ مُعْوِلَةٌ فَرُبَّ بَاكِيَةٍ بالرَّمْلِ مِعْوَالِ

إن لم يكن لك يا سوادة من تبكيك بالديرين في الشام، فهناك باكية معوال (باكية) في الرمل ببلاد اليمامة

فَارقْتَني حين كَفَّ الدهرُ مِنْ بَصَرِي وحينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ البَالي

الرمة: ما يبقى من الجسم بعد التحلل

إنَّ الثَّوِيَّ بِذي الزَّيتونِ، فاحتَسِبي، قد أَسرعَ اليومَ في عقلِي وفي حالي

الثوي: الدفين، ذو الزيتون: الشام، أو موضع بها

٧٥ تحية الطلول

علامَ تَلومُ عاذِلَةٌ جَهُولُ وقد بَلَّى رواحِلَنا الرحيلُ

بلّى: أبلى، الرواحل: النياق. فقد هزلت لطول السفر

عليكِ، وإنْ بَلِيتِ كما بَلِينا، سلامُ اللّهِ أَيَّتُها الطُّلولُ

٧٦ صاحب الدنيا والآخرة

إذا قلتَ لي عبدَ العزيزِ كَفَيْتَني زَماناً فَشَتْ عِلَّاتُهُ ومَبَاخِلُهْ

يكفيني عبد العزيز بن مروان، أخو الخليفة عبد الملك، نوائب هذا الزمن وما فيه من بخل أهله

ولِلتُّرْكِ مِنْ عبدِ العزيزِ وَقيعَةٌ ولِلرومِ يومٌ ما تُتِمُّ حَوَامِلُهْ

للترك منه وقيعة (هزيمة) وللروم يوم لا تتم فيه الحوامل حملها لفظاعته

فما وَجَدُوا عبدَ العزيزِ مُغَمَّراً ولا ذا سِقَاطٍ عندَ أَمْرٍ يُحاوِلُهْ

مغمر: غشيم، ذو سقاط: كثير الخطأ

فلا هُوَ مِنَ الدُّنْيا مُضيعٌ نصيبَه ولا عَرَضُ الدنيا عنِ الدِّينِ شاغِلُهْ

فهذا بَديعٌ ليس في الناسِ مثلُهُ وهذا مديحٌ لا يُكَذَّبُ قائِلُهْ

أَبَيْنا فما يدعُو إلى غيرِكَ الهَوى وما مِنْ خَليلٍ بابْنِ ليلى نُبَادِلُهْ

عبد العزيز الممدوح هو ابن ليلى، وزوجته أيضاً اسمها ليلى. فإذا مدح المادحون ابنه عمر بن عبد العزيز فهم يقولون له «ابن ليلى» مثلما يقولون لأبيه

٧٧ ثيابَكم والدم

فلن تَسْطيعَ يا ابْنَ دَعِيِّ تَيْمٍ على دَحَضٍ مُزاحَمَةَ القُيولِ

لن تستطيع يا ابن الدخيل في قبيلة تيم مزاحمةً القيول (الملوك) وأنت تقف على دحض (على منزلق بسبب لؤم قومك وكون أبيك دعياً). وتيم هذه ليست تيم قريش التي منها أبو بكر الصديق، بل تيم بن عبد مناة وهم من مضر

كأنَّ التَّيْمَ وَسْطَ بني تَميمٍ خَصِيٌّ بينَ أَحْصِنَةٍ فُحُولِ

وإني قد رميتُكَ مِنْ تميمٍ بِعِبْءٍ لا تقومُ لَهُ ثَقيلِ

فَرَغْتُ مِنَ القُيُونِ وعَضَّ تَيْماً فِرِنْدُ الوَقْعِ ليس بِذي فُلُولِ

فرغت من القيون (الحدادين، يعني الفرزدق وقومه) وعض تيماً فرند الوقع (السيف) الحادُّ غير المثلَّم

وقُلْتُ نَصَاحَةً لِبَني عَدِيٍّ ثِيابَكُمُ ونَضْحَ دَمِ القَتيلِ

ينصح بني عدي بن عبد مناة (وهم أبناء عم تيم من قبائل الرباب) أن يبتعدوا حتى لا تتلوث ثيابهم برشاش دم القتيل الذي يريد أن يقتله بشعره. ولعل مما يوهم القارئ أن تأتي تيم وعدي في بيتين متتاليين، فتيم قبيلة أبي بكر الصديق، وعدي قبيلة عمر بن الخطاب وكلتاهما من قريش، وأمَّا تيم وعدي المقصودتان هنا فمن الرباب التي تنتهي أيضاً إلى مضر مثل قريش ومثل تميم نفسها

تَشِينُ الزَّعْفَرانَ عَروسُ تَيْمٍ ... وتَمشي مِشْيَةَ الجُعَلِ الزَّحُولِ

الجعل الزحول: الصرصور الذي يدخل ذيله قبل رأسه في جحره

يقولُ المُجْتَلُونَ عَروسَ تَيْمٍ ... شَوَى أُمِّ الحُبَيْنِ ورَأْسُ فيلِ

المجتلون عروس تيم (الذين يرونها ليلة عرسها) يقولون الشوى (الأطراف) أطراف أم الحبين (السحلية، وأطرافها صغيرة) والرأس رأس فيل

ولو غُسِلَتْ بِساقِيَتَيْ دُجَيْلٍ ... لَقالَتْ ما اكْتَفَيْتُ مِنَ الغَسُولِ

وما يَزْدادُ رِيحُكِ غيرَ خُبْثٍ ... وما يَزْدادُ قُنْبُكِ غيرَ طُولِ

القنب: البظر

فَقُنْبُكِ إنْ قَعَدْتِ بِهِ تَثَنَّى ... فَمُدِّي القُنْبَ قَائِمَةً فَبُولي

إن قعدت فبظرك ينثني لطوله، فقفي ومديه وبولي، فهو في طول عضو الرجل

٧٨ القائل الفاعل

دَعُوا الجبنَ يا أهلَ العراقِ فإنما ... يباعُ ويُشْرَى سَبْيُ مَنْ لا يُقَاتِلُ

لقد جَرَّدَ الحجَّاجُ بِالحقِّ سيفَه ... لكُمْ فاستقِيمُوا لا يَميلَنَّ مائلُ

وثِنتَانِ في الحجَّاجِ: لا تَرْكُ ظَالِمٍ ... سَوِيّاً، ولا عندَ المُرَاشَاةِ نائِلُ

لا يترك الحجاج الظالم سوياً بل يصيبه بعاهة في جسمه، ولا يقبل الرشوة

تقولُ فلا تُلْفَى لِقَولِكَ نَبْوَةٌ ... وتَفعَلُ ما أَنْبَأْتَ أنَّكَ فاعلُ

ليس لقولك نبوة (خطأ) فالحجاج فصيح، ويفعل ما يقول إنه سيفعله

٧٩ تصف السيوف

يا أمَّ نَاجِيَةَ السلامُ عليكُمُ ... قبلَ الرواحِ وقبلَ لومِ العُذَّلِ

وإذا غَدَوْتِ فبَاكَرَتْكِ تحيةٌ ... سبقتْ سُروحَ الشَاحِجَاتِ الحُجَّلِ

إذا غدوت (بكَّرتِ) فلك تحية تسبق سروح الشاحجات الحجل (قدوم الغربان التي تمشي متمايلة في أطلال القوم بعد رحيلهم)

لو كنتُ أَعْلَمُ أنَّ آخرَ عهدِكُمْ ... يومَ الرحيلِ فعَلْتُ ما لم أفعلِ

سئل ابن لجرير: وماذا كان يفعل أبوك؟ قال: كان سيفقأ عينيه حتى لا يراهم يرحلون

أعدَدْتُ للشُّعَرَاءِ سُمّاً ناقِعاً ... فسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بكأسِ الأولِ

سما ناقعاً: شديداً

لما وَضَعْتُ على الفرزدقِ مِيسَمي وَضَغَا البَعِيثُ، جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ

وضع الميسم (الحديدة المحماة التي تدمغ بها الإبل لتوثّق ملْكيّتها) على الفرزدق فضغا البعيث (صاح) فجدع (قطع) أنف الأخطل.. يريد أن يجمعهم في بيت

أخزَى الذي سَمَكَ السماءَ مُجَاشِعاً وبَنَى بناءَكَ في الحضيضِ الأسفلِ

سمك السماء: رفعها

إنِّي بَنَى لِيَ في المكارمِ أوَّلِي ونَفَخْتَ كِيرَكَ في الزمانِ الأولِ

أولي: أجدادي، الكير: منفاخ الحداد

إنِّي انْصَبَبْتُ منَ السماءِ عليكُمُ حتى اختطفتُكَ يا فرزدقُ مِنْ عَلِ

قُتِلَ الزُّبَيْرُ وأنتَ عاقِدُ حُبْوَةٍ قُبْحاً لحُبْوَتِكَ التي لم تُحْلَلِ

قتل الزبير بن العوام بعدما استجار برجل من قوم الفرزدق، يقول جرير: كنت عاقداً الحبوة (شال يقعد الرجل ويجمع به ما بين ظهره وساقيه) عندما قتل الزبير ولم تقم لتنجده. من هذا البيت نستدل ـ إن صح لنا ـ أن الفرزدق مولود فعلاً في عام ٢٠ للهجرة، وليس بعده. فقد قتل الزبير سنة ست وثلاثين بعيد وقعة الجمل. فلو كان ما قاله نفرٌ عن مولد الفرزدق في عام ثلاثين صحيحاً لكان عمره إذ ذاك ست سنين، فلا مكان للقول إنه كان محتبياً

لا تَذكُروا حُلَلَ الملوكِ فإنَّكُمْ بعدَ الزبيرِ كَحائِضٍ لم تُغْسَلِ

لا تذكروا نيلكم حلل الملوك، وكان الملوك يخلعون على الناس الحلل، أي الثياب، ضمن الهبات

ولقد تَركْتُ مجاشعاً وكأنَّهُمْ فَقْعٌ بِمَدْرَجَةِ الخَميسِ الجَحْفَلِ

تركت مجاشعاً كالفقع (الفطر) النامي في طريق الخميس (الجيش) الجرار، يداسون بالأقدام

كان الفرزدقُ إذ يعوذُ بخالِه مثلَ الذليلِ يعوذُ تحت القَرْمَلِ

القرمل: شجر ضعيف

وافخَرْ بِضَبَّةَ إنَّ أُمَّكَ مِنْهُمُ ليس ابنُ ضَبَّةَ بِالمُعِمِّ المُخْوِلِ

تَصِفُ السيوفَ وغيرُكُمْ يَعصَى بِها يا ابْنَ القيونِ، وذاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ

يعصى: يضرب، الصيقل: صانع السيوف

قَعَدَتْ قُفَيْرَةُ بالفرزدقِ بعدَما جَهَدَ الفرزدقُ جَهْدَهُ لا يَأْتَلي

قفيرة أم الفرزدق، لا يأتلي: لا يوفر جهداً

٨٠ والتغلبي إذا تنحنح..

قال يهجو الأخطل:

إني جُعِلْتُ، فلنْ أُعافِيَ تغلباً، للظالمينَ عقوبةً ونَكالا
والتغلبيُّ إذا تَنَحْنَحَ لِلقِرَى حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأمثالا

التغلبي يتنحنح.. ثم يحك استه.. ويتكلم بكلام عام محاولاً التملص عندما يأتيه زائر يطلب طعاماً

أَنَسِيتَ يومَكَ بالجزيرةِ بعدَما كانت عواقِبُهُ عليكَ وَبالا

انهزم قوم الأخطل بالجزيرة الفراتية، وقيل أُسر الأخطل ولكنه تخلص إذ لم يعرفه آسروه، وظنوه عبداً

حَمَلَتْ عليكَ حُماةُ قيسٍ خيلَها شُعْثاً عَوابِسَ تحملُ الأبطالا

كانت الخيل مشعثة عابسة في تلك المعركة

ما زِلْتَ تَحْسَبُ كلَّ شيءٍ بعدَهُمْ خَيلاً تَشُدُّ عليْكُمُ ورِجالا

لِما أصاب الأخطل من خوف ظل يرى كل شيء كأنه تلك الخيل وأولئك الرجال الذين أوقعوا بقومه. وأخذ المتنبي المعنى ووضعه في إطار سريالي: «إذا رأى غير شيء ظنه رجلا»

زُفَرُ الرئيسُ أبو الهُذَيلِ أَبادَكُمْ فَسبَى النِّساءَ وأحرَزَ الأموالا
قالَ الأُخَيْطِلُ إذ رأى راياتِهِمْ يا مَارَ سَرْجِسَ لا نُريدُ قِتالا

القديس سرجيس من أولياء تغلب (وقتله الرومان قبل أربعة عقود من تحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية)

قيسٌ وخِنْدِفُ إن عَدَدْتَ فَعَالَهُمْ خيرٌ وأكرمُ مِنْ أبيكَ فَعَالا
إن حَرَّمُوكَ لتَحْرُمَنَّ على العِدَى أو حَلَّلُوكَ لَتُؤْكَلَنَّ حلالا
ولَوَ انَّ تغلبَ جَمَّعَتْ أحسابَها يومَ التَّفاضُلِ لم تَزِنْ مِثْقالا
لا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً في تغلِبٍ فالزِّنْجُ أَكْرَمُ منهُمُ أَخْوالا
لولا الجِزَى قُسِمَ السَّوَادُ وتَغْلِبٌ في المسلمينَ فكنْتُمُ أَنْفالا

لولا أنكم تدفعون الجزية، وينتعش بها بيت المال، لكانت بلادكم بسواد العراق قد قسمت بين المسلمين، ولقسمتم أنتم فكنتم غنائم. وكان عمر بن الخطاب أعفى نصارى تغلب من الجزية، ورضي أن يستوفي بعض قيمتها منهم باسم الصدقة، ولكن ولاة الأمر من بعده تململوا من حكمه

٨١ مقتل الزبير

إنِّي تُذَكِّرُني الزُّبَيْرَ حَمَامَةٌ   تَدعُو بِمَجْمَعِ نَخْلَتَيْنِ هَدِيلا

يتذكر جرير الزبير بن العوام، تذكره بمقتله حمامة تدعو الهديل، وقالوا إن «الهديل» ابن الحمامة، وقد فقدته فهي منذ ذلك الوقت تنادي «الهديل» بصوت حزين

قالتْ قريشٌ: ما أَذَلَّ مُجَاشِعاً   جَاراً، وأكرمَ ذا القتيلَ قتيلا

قريش تقول إن قبيلة مجاشع، قبيلة الفرزدق - التي أجارت الزبير القرشي ثم لم تحمه - ذليل جارها لأنها لا تجعله عزيزاً بحمايتها، على أن هذا القتيل شريف كريم

أَفَبَعْدَ مَتْرَكِهِمْ خَليلَ محمدٍ   ترجُو القُيونُ معَ الرسولِ سبيلا

متركهم: تركهم، خليل محمد: الزبير، وكان يدعى حَوارِيَّ رسول الله

لو كنتَ حُرّاً يا ابنَ قَيْنِ مجاشعٍ   شَيَّعْتَ ضَيْفَكَ فَرْسَخَيْنِ وميلا

لا يمل جرير ولا يكل من تلقيب الفرزدق بالقَين وابن القيون زاعماً أن آباء الفرزدق كانوا يمتهنون الحدادة، وهذه كذبة كبيرة

قُتِلَ الزبيرُ وأنتُمُ جيرانُهُ   غَيّاً لِمَنْ غَرَّ الزبيرَ طويلا

لو كنتَ حينَ غُرِرْتَ بين بيوتِنا   لَسَمِعْتَ مِنْ صوتِ الحديدِ صَليلا

أيها الزبير لو كنت عندنا لسمعت صليل السيوف إذا حاول أحد الاقتراب منك

لَحَمَاكَ كلُّ مُغَاوِرٍ يومَ الوغَى   ولكانَ شِلْوُ عَدُوِّكَ المأكُولا

شلو: طرف، وجمعها الأشهر منها: أشلاء

٨٢ قاتل الحيات

عُوجي علينا وارْبَعي رَبَّةَ البَغْلِ   ولا تَقتُليني لا يَحِلُّ لَكُمْ قتلي

ميلي إلينا يا راكبة البغل

تَمَنَّى رجالٌ مِنْ تميمٍ لِيَ الرَّدَى   وما ذادَ عن أحسابِهِمْ ذائدٌ مِثلي

ذاد: حامى ودافع

فلو شاءَ قَوْمي كان حِلْمِيَ فيهِمُ   وكان على جُهَّالِ أَعدائِهِمْ جَهْلي

وقد زَعمُوا أنَّ الفرزدقَ حَيَّةٌ   وما قَتَلَ الحيَّاتِ مِنْ أحدٍ قَتْلي

رأيتُكَ لا تَحمي عِقَالاً، ولم تُرِدْ   قِتالاً، فَمَا لاقَيْتَ شَرٌّ مِنَ القتلِ

عقال: بعير

٨٣ شبه الرجال

لا يَخْفَيَنَّ عليكَ أنَّ مُجَاشِعَاً ... شِبْهُ الرجالِ وما هُمُ بِرجالِ
فانفُخْ بكيرِكَ يا فرزدقُ، وانتظرْ ... في كَرْنَباءَ هَدِيَّةَ القُفَّالِ

اقعد يا فرزدق عن القتال وانفخ في منفاخك أيها الحداد، وانتظر في «كرنباء» عودة القفال (الراجعين) من القتال ليعطوك هدية مما غنموا

٨٤ أميمة

وَدِّعْ أُمَامَةَ حانَ مِنْكَ رَحيلُ ... إنَّ الوَداعَ إلى الحبيبِ قليلُ
إن كان طِبُّكُمُ الدَّلالُ فإنَّهُ ... حَسَنٌ دَلالُكِ يا أُمَيْمَ جميلُ

طبكم: عادتكم، أميم: أميمة

قال العواذِلُ قد جَهِلْتَ بِحُبِّها ... بل مَنْ يَلومُ على هَواكِ جَهُولُ
كَنَقَا الكثيبِ تَهَيَّلَتْ أعْطافُهُ ... والريحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وتُهِيلُ

يصفها: جسمها، وخصوصاً عجيزتها، ككثيب الرمل يهيل رمله ويترجرج، والريح تسفي عليه رملاً ثم تأخذ منه رملاً

أمَّا الفؤادُ فليس ينسى ذكرَكُمْ ... ما دامَ يهتِفُ في الأراكِ هَديلُ

الأراك: من الأشجار، والهديل: صغير الحمام

٨٥ مات الهوى

ألمْ تَرَ أنَّ الجهلَ أقْصَرَ باطِلُهْ ... وأمسى عَمَاءً قد تجَلَّتْ مَخَايِلُهْ

جهلُ الشباب قد أقصر باطله (انحسر)، وأصبح عماء (سحاباً عالياً) قد تجلت مخايله (تبددت غيماته الخفيفة)

فإنِّي، ولو لامَ العواذلُ، مُولَعٌ ... بِحُبِّ «الغَضا» مِنْ حُبِّ مَنْ لا يُزَايِلُهْ

الغضا: مكان معين فيه شجر الغضا

و«ذَا مَرَخٍ» أَحببتُ مِنْ حُبِّ أهلِهِ ... وحيثُ انتهتْ في الرَّوضتيْنِ مَسايِلُهْ
أَتنْسى لِطولِ العهدِ أمْ أنتَ ذاكِرٌ ... خليلَكَ ذا الوصلِ الكريمَ شمائِلُهْ
وقد كان أحياناً بيَ الشوقُ مولعاً ... إذا الطَّرِفُ الظَّعَّانُ رُدَّتْ حمائِلُهْ

الطرف: المهر المتطرف في المرعى الظعان: المرتحل، ردت حمائله: رفع رحله فوق الجمل استعداداً للرحيل

فلمَّا التقى الحَيَّانِ أُلقِيَتِ العصا وماتَ الهوى لما أُصيبتْ مَقاتِلُهْ

عندما التقى قومي وقومها، ألقيت العصا (كناية عن النزول بالمكان)، وتبدد ألم الشوق وقُتل بحضور الحبيب. لم ينتقد القدماء هذا البيت الذي قَتَل فيه جرير الحب. بل لقد أعجبوا به كل الإعجاب. أولئك ناس جربوا الهوى، وعرفوا كيف يهدأ بالوصال

لقد طالَ كِتْماني أُمامَةَ حبَّها فهذا أوانُ الحبِّ تبدو شَواكِلُهْ

شواكله: أماراته وعلاماته

إذا حُلِّيَتْ فالحَلْيُ منها بِمَعْقِدٍ مَليحٍ، وإلَّا لم تَشِنْها مَعاطِلُهْ

معقد الحلي: العنق، وإن لم تُحَلَّ جيدها بشي فليس يشينها العَطَل (عدم الحلي)

وقال اللَّواتي كُنَّ فيها يَلُمنَني لعلَّ الهوى يومَ المُغَيْزِلِ قاتِلُهْ

ويومٍ كإبهامِ القَطاةِ مُزَيَّنٍ إلَيَّ صَباهُ غالِبٍ لِيَ باطِلُهْ

يوم قصير كأبهام طائر القطا أشتاق إذ أتذكر صباه، ما فيه من شقاوة، وقد غلبني فيه الباطل، اللهو، عن رزانتي

لَهَوْتُ بِجِنِّيٍّ عليه سُموطُهُ وإِنْسٍ مجاليهِ، وأُنْسٍ شَمائِلُهْ

هي كالجنية من جمالها، السموط: العقود، إنس مجاليه: صورته صورة الإنسان، أنس شمائله: طبائعه فيها الأنس والرقة

فَما مُغْزِلٌ أدْماءُ تَحْنُو لِشادِنٍ كَطَوْقِ الفَتاةِ لم تُشَدَّدْ مَفاصِلُهْ

المغزل (الغزالة ومعها ولدها) أدماء: بيضاء، شادن: ولد الغزالة، كأن هذه الغزالة تطوق ولدها وتلتف عليه كطوق في عنق فتاة لكنه طوق رخو

بِأَحْسَنَ منها يومَ قالتْ أَناظِرٌ إلى اللَّيلِ بعضَ النَّيْلِ أم أنتَ عاجِلُهْ

تلك الغزالة ليست بأجمل من المحبوبة يوم قالت لجرير: أتنتظر الليل لتنال بعض ما تريد، أم أنت مستعجل؟

فلو كان هذا الحبُّ حبّاً سَلَوْتُهُ ولكنَّه داءٌ تعودُ عَقابِلُهْ

عقابله: بقاياه

ولم أنسَ يوماً بالعقيقِ تَخايَلَتْ ضُحاهُ، وطابَتْ بِالعَشِيِّ أصائِلُهْ

تخايلت ضحاه: بدت فيه سحب خفيفة وقت الضحى

رُزِقنا به الصيدَ الغَزيرَ، ولم أكن كَمَنْ نَبْلُهُ مَحْرُومَةٌ وحَبائِلُهْ

صدنا فيه كثيراً، ولم تكن نبالي (سهامي) وحبائلي (شباكي) محرومة، فقد صدت كما صادوا

فَأَيْهاتَ أَيهاتَ العَقيقُ ومَنْ به وأَيْهَاتَ وَصْلٌ بَالعَقيقِ نُواصِلُهْ

أيهات: هيهات

يَقُلْنَ إذا ما حَلَّ دينُكَ عندنا، وخيرُ الذي يُقضَى مِنَ الدَّيْنِ عاجِلُهْ..

إذا حل وقت الوفاء بالدين، وقد يكون الدين قبلة أو لقاء، والأفضل ـ يقول جرير ـ تعجيل الوفاء بالدين..

: لكَ الخيرُ، لا نَقضيكَ إلَّا نَسيئَةً مِنَ الدَّيْنِ أو عَرْضاً فهلْ أَنْتَ قابِلُهْ؟

يقلن: نقضي دينك نسيئة (تأجيلاً)، أو نعطيك بدلاً منه عرضاً لا نقداً. يقصد أنها تريد إعطاءه قبلة في الهواء، مثلاً، بدل القبلة الحقيقية

عشِيَّةَ بِعْنا الحِلْمَ بالجَهلِ، وانْتَحَتْ بِنا أَريَحِيَّاتُ الصِّبا ومَجاهِلُهْ

حدث هذا عشية تخلينا عن الحلم (العقل) وملنا إلى اللهو، وانتحت بنا (أخذتنا بعيداً) أريحيات الصبا (الانجراف مع اللهو) ومجاهله (رعونته)

وذلكَ يومٌ خيرُهُ دونَ شَرِّهِ تَغَيَّبَ واشيهِ وأَقْصَرَ عاذِلُهْ

ذلك يوم كان فيه خير، فقد غاب الواشي، وكف العاذل عن اللوم، ثم جاء الشر وهو في الغالب رحيل القوم

أنا البدرُ يُعشي طَرْفَ عينيْكَ فالتَمِسْ بِكَفَّيْكَ يا ابْنَ القَيْنِ هل أنتَ نائِلُهْ

يخاطب الفرزدق، أنا البدر يعشي طرف عينيك (يضعف بصرك)، ولا سبيل لك عليَّ

لَبِسْتُ أَداتي، والفرزدقُ لُعْبَةٌ عليهِ وِشَاحا كُرَّجٍ وجَلاجِلُهْ

يذكر جرير واقعة، فقد طلب الحجاج من جرير والفرزدق أن يأتي كل واحد منهما وقد لبس ملابس قومه في الجاهلية. وجاء الفرزدق لابساً الحرير متزيناً لأن قومه كانوا من السادة الأثرياء، وجاء جرير لابساً درعاً ومتهيئاً للحرب. يقول: لبست أداة الحرب، والفرزدق لعبةُ كُرَّج (خشبة كأنها المهر يلهو بها الصبية) وعليه وشاحان وجلاجل (أجراس)

أَعِدُّوا مَعَ الحَلْيِ المَلابَ، فإنَّما جريرٌ لكُمْ بَعْلٌ وأنتُمْ حَلائِلُهْ

جهزوا مع الزينة الملاب (الطيب)، فأنتم حلائل (نساء) وجرير هو البعل

أنا الدهرُ يُفني الموتَ، والدهرُ خالدٌ فجِئْني بِمِثْلِ الدهرِ شيئاً يُطاوِلُهْ

أَمِنْ سَفَهِ الأَحلامِ جاءوا بِقِرْدِهِمْ إلَيَّ وما قِرْدٌ لِقَرْمٍ يُصَاوِلُهْ

القرم: الفحل، يصاوله: ينازله

تَغَمَّدَهُ آذِيُّ بَحرٍ فَغَمَّهُ وألقاهُ في فِي الحُوتِ، فَالحوتُ آكِلُهْ

لقد تغمد الفرزدقَ (غمره) آذيُّ بحر (موج) فغمه (فغطّاه)، وألقاه الموج في في (فم) الحوت

٨٦ عدي واللؤم

يُماشي عَدِيّاً لُؤْمُها مَا تُجِنُّهُ   مِنَ الناسِ ما مَاشَتْ عَدِيّاً ظِلالُها

تجنه: تخفيه. ولؤمها لاصق بهها كظلها

فقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعِنْ بِنِسائِها   عَلَيَّ فقد أَعْيَا عَدِيّاً رجالُها

تَرى اللُّؤْمَ ما عَاشَتْ عَدِيٌّ مُخَلَّداً   سَرابيلُها منهُ، ومِنْه نِعالُها

سرابيل: ثياب

٨٧ اقعدي أو قومي

حَيِّ الدِّيارَ كَوَحْيِ الكافِ والميمِ   ما حَظُّكَ اليومَ منها غيرُ تَسْليم

حي الديار التي صارت كالوحي (كالكتابة) وفيها حروف هنا وهناك من كاف ومن ميم، فهي أطلال خربة، وكل حظك منها أن تلقي عليها السلام

الطَّيِّبونَ مِنَ الرَّيْحانِ مَنبِتُهُمْ   ومَنْبِتُ التَّيْمِ في الكُرَّاثِ والثُّومِ

تَقضي القُضاةُ على تيمٍ وإنْ رَغِمَتْ   فاكتُبْ قضاءَكَ واطْبَعْ بالخَواتيمِ

ما بينَ تيمٍ وإسماعيلَ مِنْ نَسَبٍ   إلَّا القَرابَةُ بينَ الزَّنْجِ والرُّومِ

أي أن تيماً ليسوا من العرب

إن ابنَ تيمٍ لَمَنْسوبٌ لِوالِدِهِ   دَانِي القَرابَةِ مِنْ حَامٍ ويَحْمُومِ

إن نسبت التيمي لوالده فهو قريب من حام (ولد نوح، وهو جَدُّ السود) ويحموم (الدخان الأسود)

هَذي التي جَدَعَتْ تَيْماً مَواسِمَها   ثمَّ اقعُدي بعدَها يا تيمُ أو قُومي

هذه القصيدة هي التي جدعت من التيم مواسمها (أنوفها)، فلتفعل بعدها تيم ما تشاء

٨٨ لومي كما تشائين

أعاذِلَ طالَ لَيْلُكِ لم تنامي   ونامَ العاذلاتُ ولم تُنيمي

إذا ما لُمْتِني وعَذَرْتُ نَفسي   فَلُومي ما بَدا لَكِ أنْ تَلُومي

٨٩ الخزي

قال يهجو الفرزدق:

سَتَخْزَى مَا حيِيتَ ولا يُحَيَّا،   إذا ما مُتَّ، قَبْرُكَ بالسَّلامِ

متَى تَأْتِ الرُّصافَةَ تَخْزَ فيها   كَخِزْيِكَ في المواسِمِ كُلَّ عامِ

٩٠ يميل ويستقيم

قال يمدح هشام بن عبد الملك:

سمعتُ حمامةً طَرِبَتْ بِنَجْدٍ فَمَا هِجْتَ العَشِيَّةَ يا حَمَامَا

طربت: حزنت، فما هذا الشجن الذي تهيجه فينا يا حمام؟

مُطَوَّقَةً تَرَنَّمُ فوقَ غُصْنٍ إذا ما قلتُ مَالَ بها، اسْتَقاما

أميرُ المؤمنينَ قَضَى بِعَدْلٍ أحلَّ الحِلَّ واجْتَنَبَ الحَراما

فيَا رَبَّ البَرِيَّةِ أَعْطِ شُكْراً وعافِيَةً، وأَبْقِ لنا هِشاما

ويَحْسَرُ مَنْ تَرَكْتَ فلم تُكَلِّمْ ويُغْبَطُ مَنْ تُراجِعُهُ الكَلاما

يحسر (يغض بصره) من تتجاهله، ومحسود من تراجعه الكلام (تحادثه)

رضِينا بالخليفةِ حين كُنَّا له تَبَعاً وكان لنا إماما

كُنَّا هنا للحاضر لا للماضي كما في الذكر «وكان الله بكل شيء عليماً»

ورِيشي مِنْكُمُ، وهَوايَ فيكُمْ وإن كانَتْ زِيارَتُكُمْ لِمَاما

ريشي: نعمتي، لماماً: متباعدة

٩١ يعطين ويحرمن

ألا قُلْ لِرَبْعٍ بالأُفَاقَيْنِ يَسْلَمِ يُحَيَّا على شَحْطٍ وإنْ لم يُكَلَّمِ

على شحط: برغم البعد

ومَنْ يُعْطَ وُدَّ الغَانياتِ فإنه غنيٌّ، ومَنْ يَحْرِمْنَهُ فهو يُحْرَمِ

٩٢ مدح عمر بن عبد العزيز

إنَّ طِلابَكَ شيئاً لستَ نائِلَهُ جهلٌ، وطُولُ لُبانَاتِ الهوى سَقَمُ

طلابك (ملاحقتك) ما لن تناله جهل، وطول التفكير في لبانات (رغبات)
الهوى سقم (مرض)

حَمَّلْتُ رَحْلِي على الأَهْوالِ نَاجِيَةً مثلَ القَرِيعِ المُعَنَّى شَفَّهُ السَّدَمُ

رفعت رحلي، رغم المتوقع من أهوال السفر، على ظهر ناجية (ناقة سريعة) تشبه القريع (البعير)
المتوتر الذي شفه (أتعبه) السدم (طول الحبس عن الإناث)

مِنَ الطَّوامِحِ أَبْصَاراً، إذا خَشَعَتْ عنها ذُرَى عَلَمٍ قالوا بَدا عَلَمُ

ناقتي تطمح ببصرها (ترفع رأسها) فإذا خشعتْ عنها (انخفضتْ) ذرى علم (قمة جبل) بدا جبل جديد

إلى الأَغَرِّ الذي تُرْجَى نَوافِلُهُ إذا الوُفُودُ على أبوابِهِ ازدَحَمُوا

قد جئت بالناقة إلى الأغر (الصبيح الوجه) الذي ترجى نوافله (عطاياه) عندما تزدحم وفود السائلين ببابه

أَشْبَهْتَ مِنْ عُمَرَ الفَاروقِ سيرَتَه سَنَّ الفَرائِضَ وائْتَمَّتْ بِهِ الأُمَمُ

فعلاً أشبهه، لذا لم يعطِ جريراً سوى القليل

٩٣ عوى الشعراء

أقولُ لِصُحْبَتِي لمَّا ارتحَلْنا ودمعُ العينِ منهمرٌ سِجَامُ

أَتَمْضُونَ الرُّسُومَ ولا تُحَيَّا كَلامُكُمُ عَلَيَّ إِذَنْ حَرامُ

أتمضون الرسوم: أتمرون بالأطلال، ولا تحيونها، فلا والله ما كلمتكم إذن

أَقِيمُوا إنَّما يومٌ كَيومٍ ولكنَّ الرَّفيقَ له ذِمامُ

بِنَفْسي مَنْ تَجَنُّبُهُ عَزيزٌ عَلَيَّ ومَنْ زِيارَتُه لِمَامُ

أفدي بنفسي من يصعب عليَّ تجنبه، ومن لا أزوره إلا لماماً (قليلاً)

ومَنْ أُمْسِي وأُصبِحُ لا أَراهُ ويطْرُقُني إذا هَجَعَ النِّيامُ

يأتيني في المنام

أليس لِمَا طَلَبْتُ فَدَتْكِ نفسي قَضاءٌ، أو لِحاجَتِيَ انْصِرامُ

ألا تلبين رغبتي في الوصال؟ أليس لحاجتي انصرام (انقضاء)؟

أَتَنْسَى إذْ تُودِّعُنا سُلَيْمَى بِعُودِ بَشَامَةٍ؟ سُقِيَ البَشَامُ

يخاطب نفسه: أتنسى يوم ودعتنا سليمى ولوحت ـ دون أن تقدر على كلامنا ـ بعود بشامة (من الأشجار)؟ ألا سقى الله البشام

تَرَكْتِ مُحَلَّئِينَ رَأَوْا شِفَاءً فَحامُوا ثم لم يَرِدُوا وحَامُوا

تركت يا سليمى ناساً محلئين (مطرودين عن الماء) رأوا فيه شفاء ظمأهم فحاموا وحاموا ولم يتيسر لهم ورود الماء

فَلَوْ وَجَدَ الحَمامُ كما وَجَدْنا بِسُلْمانِينَ لاكْتَأَبَ الحَمامُ

لو وجد الحمام (حزن/ من الوَجْد) مثلنا في سلمانين لاكتأب

عَوى الشعراءُ بعضُهُمُ لِبَعْضٍ ... عَلَيَّ، فقد أصابَهُمُ انتقامُ
ساعد الشعراء بعضهم بعضاً عليَّ، وأصابهم جميعاً انتقامي

كأنَّهُمُ الثَّعالِبُ حين تَلْقَى ... هِزَبْراً في العَرينِ له انْتِحَامُ
الهزبر الاسد، الانتحام: هرير الأسد

إذا أَوْقَعْتُ صاعِقَةً عليْهِمْ ... رَأَوْا أخرى تَحَرَّقُ فاسْتَدَامُوا
استداموا: تأنَّوْا

فَمُصْطَلَمُ المَسَامِعِ أو خَصِيٌّ ... وآخَرُ عَظْمُ هامَتِهِ حُطَامُ
مصطلم: مقطوع الأذنين

٩٤ مدح رياح

ما كان يُوجَدُ في «رِيَاحٍ» نَبْوَةٌ ... عند الجِوارِ ولا بِضيقِ المَقْدَمِ
قبيلة رياح لا تتأخر عن حماية من يستجير بها، ولو كان فيها ضيق لدى قدومه، كذا المعنى الملموح

السَّالِبينَ عنِ الجَبابِرِ بَزَّهُمْ ... والخيلُ تَحْجِلُ في الغُبارِ وفي الدَّمِ
يسلبون بز (ملابس) الأبطال بعد قتلهم في معركة تنقل الخيل فيها أرجلها بين الغبار والدم

والخيلُ تُخْبِرُ عن رِياحٍ أنَّهُمْ ... نِعْمَ الفَوارِسُ في الغُبَارِ الأَقْتَمِ

٩٥ على هوى النسوان

أَمَّا أُسَيْدٌ والهَجيمُ ومَازنٌ ... فَشِرارُ مَنْ يمشي على الأقدامِ
الظَّاعنونَ على هوى نِسوانِهِمْ ... والنازلونَ بِشَرِّ دارِ مُقامِ

٩٦ لؤم التيم

نَهَيْتُ التَّيْمَ عن سَفَهٍ، وطَالَتْ ... أَناتِي وانتظَرْتُ ذَوِي الحُلُومِ
انتظرت العاقلين من تيم كي يكفوا شاعرهم عن سفهه

ترى الأبطالَ قد كَلِمُوا، وتَيْمٌ ... صَحيحُو الجِلْدِ مِنْ أَثَرِ الكُلُومِ
تيم جبناء، ترى الأبطال قد كلموا (جرحوا) وتيم ليس بهم جراح

وما لِلتَّيْمِ مِنْ حَسَبٍ حَديثٍ ... وما للتيمِ من حَسَبٍ قديمِ
مِنَ الأَصْلابِ يَنْزِلُ لُؤْمُ تَيْمٍ ... وفي الأَرْحامِ يُخْلَقُ والمَشِيمِ

تَرى التَّيْمِيَّ يَزْحَفُ كالقَرَنْبَى   إلى سَوداءَ مِثْلِ قَفَا القَدُومِ

القرنبى: حشرة، ويشبه امرأة التيمي بقفا القدوم (المطرقة)

٩٧ أعين الحسان

وإذا وَعَدْنَكَ نائِلاً أَخْلَفْنَهُ   وإذا طُلِبْنَ لَوَيْنَ كلَّ غَريمِ

إذا وعدنك بنائل (عطاء) أخلفن الوعد، وإذا طولبن لوين (مطلن) كل غريم (دائن)

فاعْصي مَلامَ عَواذِلٍ يَنْهَيْنَكُمْ   فلقد عَصيْتُ إليكِ كلَّ حَميمِ

ينصح محبوبته بعصيان لوم العواذل، فهو قد عصى كل صديق تقرباً إليها

يَرْمِينَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ   فيها السَّقَامُ وبُرْءُ كلِّ سَقِيمِ

ترمي النسوة من الشقوق بين الستور بنظرات فيها مرض (ويتغزلون بالعيون المراض الكسولة)، وفيها أيضاً شفاء كل مريض

٩٨ ولدي بلال

إنَّ بِلالاً لم تَشِنْهُ أُمُّهُ

يفخر بولده بلال: لم تكن أمه مما يعيبه

لم يَتَنَاسَبْ خالُهُ وعَمُّهُ

أمه ليست من عائلتنا فلا نسب بين خاله وعمه، وهذا أشد له وأبعد عن الضوى

يَشْفي الصُّدَاعَ رِيحُهُ وشَمُّهُ

ريحه: رائحته

ويُذهِبُ الهُمومَ عَنِّي ضَمُّهُ

كأنَّ رِيحَ المِسْكِ مُسْتَحَمُّهُ

عندما يستحم يشم المرء رائحة كالمسك

ما يَنْبغي للمُسْلِمينَ ذَمُّهُ

٩٩ منيزلة

إذا شاعَ السلامُ بِدارِ قومٍ   فليسَ على «عَزْوَلاةَ» السلامُ

مُنَيْزِلَةٌ تَبَرَّا اللَّهُ منها   بِها مِنْ مازنٍ نَفَرٌ لِئَامُ

١٠٠ كاد يتكلم

قال يهجو البعيث:

لِمَنْ طَلَلٌ هاجَ الفؤادَ المُتَيَّما — وهَمَّ بِسُلْمانِينَ أن يَتَكلَّما

وعهدي بِهندٍ، والشبابُ كأنَّه — عَسيبٌ نَمَا في رَيَّةٍ فَتَقَوَّما

عسيب: شتلة نخل، رية: أرض مروية

لقد عَلِقَتْ بالنَّفْسِ منها عَلائِقٌ — أَبَتْ طُولَ هذا الدهرِ أن تَتَصَرَّما

تتصرم: تنقطع

وعَاوٍ عَوَى مِنْ غيرِ شيءٍ رميتُهُ — بِقارِعَةٍ أنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّمَا

رب عاوٍ عوى دون أن أتعرض له (وذلك هو الشاعر البعيث الذي بدأ جريراً بالهجاء)، فرميته بقارعة (ضربة) نفذت في جسمه فمن أنفاذها (فتحاتها) يقطر الدم، وما القارعة سوى قصيدة

خَرُوجٍ بِأَفْواهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّها — قَرا هُنْدُوَانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّمَا

قصيدتي فيه تخرج من أفواه الرواة كأنها قرا هندواني (نصل سيف) إذا هزه المرء صمم (تغلغل وأصاب المفصل)

وإنِّي لَقَوَّالٌ لِكُلِّ غَريبَةٍ — وَرُودٍ إذا السَّاري بِلَيْلٍ تَرَنَّما

أقول كل قصيدة غريبة (ترحل بعيداً فهي في أراض غريبة)، وترد على لسان الساري المترنم ليلاً وهو يحدو إبله

فَهَلَّا سألتَ الناسَ إن كنتَ جاهلاً — بِأَيَّامِنا يا ابنَ الضَّرُوطِ لِتَعْلَمَا

وما كانَ ذو شَغْبٍ يُمَارِسُ عِيصَنَا — فَيَنْظُرَ في كَفَّيْهِ إلَّا تَنَدَّمَا

المشاغب الذي يمارس (يعالج) عيصنا (شجرنا الملتف) ثم ينظر في كفيه يراهما داميتين فيندم

١٠١ هند

لقد وَكَفَتْ عيْنَاهُ أنْ ظَلَّ واقِفاً — على دِمْنَةٍ لم يَبْقَ إلَّا رَمِيمُها

وكفت: سالت بالدمع

أَبَيْنا فلم نَسْمَعْ بِهِنْدٍ مَلامَةً — كما لم تُطِعْ هندٌ بِنا مَنْ يَلُومُها

وأَنَّى لَهُ هِنْدٌ وقد حَالَ دونَها — عُيونٌ وأَعْداءٌ كَثيرٌ رُجُومُها

رجومها: ظنونها

١٠٢ ارجعي غداً

ذُمَّ المَنازِلَ بعدَ مَنزِلَةِ اللِّوَى والعيشَ بعدَ أولئكَ الأقوامِ

فإذا وقفتُ على المنازِلِ باللِّوَى فاضَتْ دُموعِي غيرَ ذاتِ نِظامِ

طَرَقَتْكَ صائِدَةُ القلوبِ وليس ذا وقتَ الزِّيارةِ فارجِعِي بِسلامِ

جاءتك في المنام فقلتَ لها ارجعي بسلام، فهو يريد رؤيتها في الصحو لا في المنام..

تُجْري السِّوَاكَ على أَغَرَّ كأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمامِ

تمر بالسواك على ثغر أغر (أبيض) كأن أسنانه بَرَد انهمر من السحاب

لولا مُراقَبَةُ العيونِ أَرَيْنَنا مُقَلَ المَها وسوالِفَ الآرامِ

لولا الرقباء لأرتنا الحسان مقل المها (عيونهن الشبيهة بعيون بقر الوحش) وسوالف الآرام (أعناقهن الشبيهة بأعناق الظباء)

ونَظَرْنَ حينَ سمعْنَ رَجْعَ تَحيَّتي نَظَرَ الجِيادِ سَمِعْنَ صَوتَ لِجَامِ

جفلن من صوتي

مَهْلاً فرزدقُ إنَّ قَومَكَ فيهِمُ خَوَرُ القُلوبِ وخِفَّةُ الأحلامِ

خور القلوب: فراغها لجبنهم، خفة الأحلام: ضعف العقول

كان العِنانُ على أبيكَ مُحَرَّماً والكِيرُ كان عليهِ غيرَ حَرامِ

كان محرماً على أبيك الإمساك بمقود الفرس، فهو ليس بفارس، ولكنه كان يلتزم بالكير (منفاخ الحداد)

١٠٣ ذاب لعاب الشمس

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ في السُّرَى ونِمْتِ، ومَا لَيْلُ المَطِيِّ بِنَائِمِ

يعاتب ابنته أم غيلان لأنها تلومه على السرى (سفر الليل)، وابنته تنام ولكن المطي (النياق) تسهر الليل وتسير

إذا العُفْرُ لاذَتْ بالكِناسِ وهَجَّجَتْ عيونُ المَهارَى مِنْ أَجِيجِ السَّمائِمِ

وفي هدأة الليل تلوذ العفر (الظباء) بالكناس (بيت الظبي)، وتهجج عيون المهارى (تغور عيون النياق) من أجيج السمائم (من حر رياح السموم)

وظَلَّتْ قَراقيرُ الفَلاةِ مُناخَةً بِأَكْوارِها مَعْكُوسَةً بِالخَزَائِمِ

وبعدئذ تناخ قراقير الفلاة (سفن الصحراء)، وعليها أكوارها (أخشاب الرحال)، وأزمتها معكوسة بالخزائم (مربوطة ما بين رؤوسها وقوائمها لتبرك)

أَنَخْنَ لِتَغْويرٍ وقد وَقَدَ الحَصَى وذَابَ لُعَابُ الشَّمسِ فوقَ الجَماجِمِ

أنيخت الإبل للتغوير (الاستراحة) وقد أصبح الحصى حاراً، والشمس حارقة فوق الرؤوس

أَلَا إنَّما كان الفرزدقُ ثَعلباً ضَغَا وَهْوَ في أشداقِ لَيثٍ ضُبَارِمِ

ضغا: صاح، ضبارم: من أسماء الأسد

لقد وَلَدَتْ أمُّ الفرزدقِ فاسقاً وجاءَتْ بِوَزْوَازٍ قصيرِ القَوائمِ

وزواز: طائر كثير الحركة

١٠٤ القرد الزاني

وما كان جارٌ للفرزدقِ مُسْلِمٌ لِيَأْمَنَ قِرداً لَيْلُه غيرُ نائِمِ

جار الفرزدق، حتى وإن كان مسلماً، لا يأمن الفرزدق القرد الذي ليلُه لا ينام (ليلُه صاحٍ = هو صاحٍ)

يُوَصِّلُ حَبْلَيْهِ إذا جَنَّ ليلُهُ لِيرقَى إلى جاراتِه بِالسَّلالِمِ

الفرزدق يوصل الحبلين إذا جن الليل (ستر الأشياء) ليصعد إلى من في جوار قومه من نساء

أَتيْتَ حدودَ اللَّهِ مُذْ أنتَ يَافِعٌ وشِبْتَ فما يَنهاكَ شَيْبُ اللَّهَازِمِ

اللهازم: اللُّهْزِمَة عظمة تحت الأذن

تَتَبَّعُ في المَاخُورِ كلَّ مُريبَةٍ ولستَ بأهلِ المُحْصَناتِ الكَرائمِ

ترتكب في الماخور (بيت الجماع) كل مريبة (فعلة شنعاء)، ولست أهلاً للزواج من المحصنات (العفيفات) الكرائم (الكريمات)

تَدَلَّيْتَ تَزْني مِنْ ثمانينَ قامةً وقَصَّرْتَ عن بَاعِ العُلَى والمكارمِ

وفي الواقع أن الفرزدق «ارتقى» ليزني ثم بعد ذلك تدلى هارباً كما وصف نفسه في قصيدة له مشهورة

أَكَلَّفْتَ قَيْساً أنْ نَبَا سَيْفُ غالِبٍ وشَاعَتْ له أُحْدُوثَةٌ في المَواسِمِ

رحت تلوم قبيلة قيس عندما نبا سيفك، الذي هو سيف أبيك غالب، وأخفقت في قتل الأسير. وكانت أحدوثة (فضيحة) في المواسم (الأسواق)

بِسيفِ أَبِي رَغْوانَ، سيفِ مُجَاشِعٍ، ضربْتَ، ولم تضرِبْ بسيفِ ابنِ ظَالِمِ

لقد ضربت بسيف مجاشع أبي رغوان جدك الأعلى ولذا نبا سيفك، ولم تضرب بسيف الحارث بن ظالم ذلك الفاتك المرّيّ قاتل ابن السموأل

ضربْتَ بهِ عند الإمامِ فأُرْعِشَتْ يداكَ، وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صَارِمِ

١٠٥ هجاء مزارع

لقد عَلِقَتْ يمينُكَ قَرنَ ثَوْرٍ   وما عَلِقَتْ يمينُكَ بِاللِّجَامِ

أنت مزارع لا مقاتل

ذَرَنَّ الفخرَ يا ابنَ أَبي خُلَيْدٍ   وأَدِّ خَراجَ رأسِكَ كلَّ عامِ

ذرنَّ: اتركَنَّ

١٠٦ زُهرة وأمها

قال لبني الديان وناصروا الفرزدق عليه:

ستعلَمُ أمُّ زُهْرَةَ مَنْ هَجَاها   إذا قالت لِزُهْرَةَ مَنْ هَجاني

فلا حَسَبي يُقَصِّرُ في تَميمٍ   ولا سَيفي يَكِلُّ ولا لِساني

١٠٧ يا ذا العباءة

يرد على الأخطل:

لِمَنِ الديارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ   إذْ لا نَبيعُ زمانَنا بِزَمانِ

إن زرتُ أهلَكِ لم يُبَالُوا حاجَتي   وإذا هجرتُكِ شَفَّني هِجْراني

شفني: آلمني

راجعْتُ بعدَ سُلُوِّهِنَّ صَبابَةً   وعرفتُ رَسْمَ منازِلٍ أبكاني

أَخْطَا الربيعُ بلادَهُمْ فَتَيَمَّنُوا   ولِحُبِّهِمْ أحبَبْتُ كلَّ يَماني

أخطأ الربيع (العشب والمطر الذي ينبته) بلادهم فاضطروا للهجرة إلى اليمن

بَكَرَتْ حَمامةُ أَيْكَةٍ مَحزونةٌ   تَدْعُو الهَديلَ فَهَيَّجَتْ أَحزاني

والهديل في الخرافة ابن الحمامة الذي ذهب ولم يعد

ولقد أبيتُ ضَجيعَ كلِّ مُخَضَّبٍ   رَخْصِ الأنامِلِ طَيِّبِ الأَرْدَانِ

مخضب: مصبوغ بالحناء، رخص الأنامل: طري الأصابع، الأردان: الأكمام

عَطِرِ الثيابِ مِنَ العبيرِ مُذَيَّلٍ   يَمشي الهُوَيْنَى مِشيَةَ السَّكْرانِ

معطرة تجر أذيال ثوبها وتمشي الهوينى

يـا ذَا الـعَـبـاءةِ إن بِـشْـراً قـد قَـضـى   أَلَّا تـجـوزَ حـكـومـةُ الـنَّـشْـوانِ

يا أيها الأخطل الذي أعطِيَ عباءة كي يحكم للفرزدق عليَّ، الأمير بشر بن مروان الذي قلت ما قلت في مجلسه قضى بأن الحكومة (الحكم) لا تجوز للنشوان (السكران)

فدَعُوا الحكومةَ لَسْتُمُ مِنْ أهلِها   إن الـحـكـومـةَ فـي بـنـي شَـيْـبـانِ

الحكم، في قبائل ربيعة، ليس لتغلب بل لشيبان

بَـكْـرٌ أَحَـقُّ بـأن يَـكـونُـوا مَـقْـنَـعـاً   أو أن يَـفُـوا بـحـقـيـقـةِ الـجـيـرانِ

وقبيلة بكر الربعية هي أحق بأن تكون مقنعاً (كافيةً هذا الجانب) وأن تفي بحقيقة (شرف) الجيران (من يجاورها)

قَـتَـلُـوا كُـلَـيْـبَـكُـمُ بِـلِـقْـحَـةِ جـارِهِـمْ   يـا خُـزْرَ تـغـلـبَ لَـسْـتُـمُ بِـهِـجـانِ

جساس البكري قتل كليب بن ربيعة التغلبي بلقحة (بسبب ناقة) جارهم (رجل استجار بهم وأقام عندهم)، وأنتم يا تغلب الخزر (الضيقو العيون) لستم بهجان (بأصيلين)

كَـذبَ الأُخَـيْـطِـلُ إنَّ قَـومـي فـيـهِـمُ   تـاجُ الـمـلـوكِ ورايَـةُ الـنـعـمـانِ

والـتَّـغـلـبِـيُّ مُـغَـلَّـبٌ قَـعَـدَتْ بـه   مَـسْـعَـاتُـهُ، عَـبْـدٌ بِـكُـلِّ مَـكـانِ

تَـلقَـى الـكَـرائِـمَ إن خُـطِـبْـنَ غَـوالِـيـاً   والـتَّـغْـلِـبِـيَّـةُ مَـهْـرُهـا فَـلْـسَـانِ

١٠٨ ماذا لقيت من الهوى ولقينا

قال يمدح الخليفة الأموي:

أَمْـسَـيْـتُ إذ رَحَـلَ الـشـبـابُ حَـزيـنـا   لـيـتَ الـلَّـيـالـيَ قـبـلَ ذاكَ فَـنِـيـنـا

مـا لِـلْـمَـنـازِلِ لا يُـجِـبْـنَ حَـزيـنـا   أَصُـمِـمْـنَ أم قَـدُمَ الـمـدَى فَـبَـلِـيـنـا

إن الـذيـنَ غَـدَوْا بِـلُـبِّـكَ غَـادَرُوا   وَشَـلاً بِـعَـيْـنِـكَ مـا يـزالُ مَـعِـيـنـا

الوشل: الماء القليل، مَعين: ظاهراً

غَـيَّـضْـنَ مِـنْ عَـبَـراتِـهِـنَّ وقُـلْـنَ لـي: مـاذا لـقـيـتَ مِـنَ الـهـوى ولَـقِـيـنـا

بكت لفراقه الحبيبات، ثم غيضن من عبراتهن (جففن دموعهن) وشكون ما لقين من الهوى وما لقي الحبيب

ولـقـد تَـسَـقَّـطَـنـي الـوُشَـاةُ فـصـادفُـوا   حَـصِـراً بِـسِـرِّكِ يـا أُمَـيـمَ ضَـنـيـنـا

تسقطني الوشاة (حاولوا التقاط ما يسقط مني من كلام) فرأوني حصراً بسرك (صامتاً عنه) ضنيناً به

إنَّ الـذي حَـرَمَ الـمكـارمَ تـغـلبـاً　　جـعـلَ الـنُّـبُـوَّةَ والـخـلافـةَ فـيـنـا

تميم، قبيلة جرير من مضر، وقريش من مضر، فأما تغلب فمن ربيعة

مُضَرٌ أَبي وأَبو الملوكِ فهل لكُمْ　　يـا خُـزْرَ تـغـلـبَ مِـنْ أَبٍ كـأَبـيـنـا

هـذا ابْـنُ عَـمِّـيَ في دِمَـشْـقَ خَـلـيفـةٌ　　لـو شِـئْـتُ سـاقَـكُـمُ إِلَـيَّ قَـطـيـنـا

القطين: الخدم

١٠٩ أطال الله سخطكم

يَـرُوغُ الـقـردُ مِـنِّـي إنْ رَآنـي　　فَـقُـلْ لـلـقِـرْدِ أيـنَ تَـروغُ أَيْـنَـا

يفر الفرزدق من وجهي كلما رآني

أَحـيـنَ رأيـتَـنـي مَـرَسَـتْ حِـبـالـي　　وَجَـدَّ الـجِـدُّ تَـسْـأَلُـنـي الـهُـوَيْـنـا

تطلب مني التخفيف من حدة الهجاء بعد أن مرست حبالي (اشتد فتلها) وجد الجد

فقد أَمْسَى البَعيثُ سَخينَ عَيْنٍ　　ومـا أَمْـسَـى الـفـرزدقُ قَـرَّ عَـيْـنـا

لقد آلمتُ البعيث الشاعر، ولم أوفر الفرزدق نفسه

إذا ذُكِـرَتْ مَـسـاعِـيـنَـا غَـضِـبْـتُـمْ　　أَطـالَ الـلَّـهُ سُـخْـطَـكُـمْ عـلـيْـنـا

مساعينا: أمجادنا

١١٠ هجاء الهجيم

إن الـهُـجَـيْـمَ قـبـيـلـةٌ مَـخْـسُـوسَـةٌ　　ثُـطُّ الـلِّـحَـى مُـتَـشَـابِـهُـو الألْـوَانِ

مخسوسة: ناقصة، ثط اللحى: لحاهم متفرق شعرها

لـو يَـسـمَـعـونَ بِـأَكْـلَـةٍ أو شُـرْبَـةٍ　　بِـعُـمَـانَ أَصْـبـحَ جـمـعُـهُـمْ بِـعُـمَـانِ

١١١ هجاء التيم

ومـا شَـكَـرَتْ تـيـمٌ لِـقَـوْمٍ كَـرامَـةً　　ومـا غَـضِـبَـتْ تَـيْـمٌ عـلى مَـنْ يُـهـيـنُـها

ولـم يَـدْعُ إبراهيمُ في البيتِ إذ دَعا　　لِـتَـيْـمٍ ولا مِـنْ طـيـنِ آدَمَ طـيـنُـهـا

ينفيهم عن العروبة، بل عن الإنسانية

ومـا حـمـلَـتْ تَـيْـمِـيَّـةٌ نِـصْـفَ لَـيْـلَـةٍ　　مِـنَ الـدهـرِ إلَّا ازْدادَ لُـؤْمـاً جَـنـيـنُـهـا

١١٢ المرخي عمامته

يخاطب فقيهاً داخلاً على عمر بن عبد العزيز:

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُرْخي عِمَامَتَهُ   هذا زمانُكَ إنِّي قد مَضى زَمَني

أبلِغْ خليفَتَنا إن كنتَ لاقِيَهُ   أنِّي لَدَى البابِ كالمَصْفودِ في قَرَنِ

المصفود في قرن: المقيد في حبل

لا تنسَ حاجتَنا لاقَيْتَ مغفِرَةً   قد طالَ مُكْثِيَ عنْ أهلي وعن وَطني

١١٣ في طرفها حور

بانَ الخَليطُ ولو طُوِّعْتُ ما بَانَا   وقَطَّعُوا مِنْ حِبالِ الوصلِ أَقْرَانا

بان الخليط (فارق القوم) ولو طوعت (لو طاوعوني) ما فارقوا، وقطعوا أقران (حبال) الوصل

حَيِّ المنازِلَ إذْ لا نبتغي بَدَلاً   بالدارِ داراً ولا الجيرانِ جيرانا

يا رُبَّ مكتئِبٍ لو قد نُعِيتُ له   بَاكٍ، وآخرَ مَسرورٍ بِمَنْعَانا

لو تَعلَمينَ الذي نَلْقَى أَوَيْتِ لَنا   أو تسمعينَ إلى ذي العَرْشِ شَكوانا

أويت لنا: أشفقت علينا

كَصَاحِبِ الموجِ إذ مَالَتْ سفينتُه   يدعُو إلى اللَّهِ إسْراراً وإعلانا

يا أَيُّها الراكبُ المُزْجي مَطِيَّتَه   بَلِّغْ تحيتَنا لُقِّيتَ حُمْلانا

المزجي مطيته: السائقها، حملانا: هدايا

بَلِّغْ رسائلَ عنَّا خَفَّ محمَلُها   على قلائِصَ لم يحمِلْنَ حِيرَانا

بلغ رسالتنا للمحبوبة واركب قلائص (نياقاً) لم يحملن حيراناً (جمع حُوار وهو ولد الناقة، أي نياقاً غير حوامل كي يسرعن أكثر)

يا ليتَ ذا القَلْبَ لاقَى مَنْ يُعَلِّلُه   أو سَاقِياً فَسَقَاهُ اليومَ سُلْوَانا

يعلله: يسليه، السلوان: شراب قيل في أساطيرهم إن الذي يشربه ينسى

أو ليْتَها لم تُعَلِّقْنا عِلاقَتَها   ولم يكنْ دَاخَلَ الحُبُّ الذي كانا

علاقة: عشق

هلَّا تَحَرَّجْتِ مِمَّا تفعلينَ بِنا   يا أَطيَبَ الناسِ يومَ الدَّجْنِ أَرْدَانا

يوم الدجن: اليوم الغائم، الأردان: الأكمام

قالتْ أَلِمَّ بنا إنْ كنتَ منطلقاً، ولا إخالُكَ بعد اليومِ تَلقانا
يا أُمَّ عمروٍ جَزاكِ اللّهُ مَغفِرَةً رُدّي عليَّ فُؤادي كالذي كانا
أَلَسْتِ أَحْسَنَ مَنْ يَمشي على قَدَمٍ يا أَمْلَحَ الناسِ كلِّ الناسِ إنسانا

الإنسان: بؤبؤ العين

يَلْقى غريمُكُمُ مِنْ غَيْرِ عُسْرَتِكُمْ بِالبَذْلِ بُخْلاً وبالإحسَانِ حِرْمَانا

رغم عدم عسرتكم (فقركم) فغريمكم (صاحب الدين عليكم) يلقى بخلاً منكم رغم بذله محبته وإحسانه إليكم

لا تَأْمَنَنَّ، فَإِنّي غيرُ آمِنِهِ، غَدْرَ الخَليلِ إذا ما كان أَلْوانا
قد خُنْتِ مَنْ لم يكنْ يخشَى خِيانَتَكُمْ ما كنتِ أَوَّلَ مَوْثُوقٍ به خانا
لقد كَتَمْتُ الهوى حتَّى تَهَيَّمَني لا أستطيعُ لهذا الحبِّ كِتْمَانا

تهيمني: صيرني هائماً على وجهي حيراناً

كادَ الهوى يومَ سُلْمانِينَ يقتُلُني وكادَ يقتُلُني يوماً بِبَيْدانا
لا بَارَكَ اللّهُ فيمَنْ كان يحسَبُكُمْ إلّا على العهدِ حتى كان ما كانا
لا بارَكَ اللّهُ في الدنيا إذا انقطعتْ أسبابُ دنياكِ من أسبابِ دُنْيانا
ما أَحدَثَ الدهرُ مِمّا تعلَمينَ لَكُمْ لِلْحَبْلِ صُرْمَاً ولا لِلعَهْدِ نِسيانا

لم يُحدث الزمن ومروره صرما لحبلكم (قطعاً لعهدكم) من جانبي

أَبُدِّلَ الليلُ لا تَسْري كواكِبُه أم طالَ حتى حسِبْتَ النَّجْمَ حَيْرانا
يا رُبَّ عائِذَةٍ بِالغَوْرِ لو شَهِدَتْ عَزَّتْ عليها بِدَيْرِ اللُّجِّ شَكْوانا

العائذة بالغور: النازلة في الغور، لو شهدتني في ذلك المكان لصعب عليها ما ألاقي

إنَّ العُيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ قَتَلْنَنا، ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا

طرفها: نظرها، الحور: شدة سواد في شدة بياض في العين

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حَراكَ به وهُنَّ أَضعفُ خلقِ اللّهِ إنسانا

حتى العاقل ذو اللب فتلك العيون تصرعه رغم ضعف إنسانها (بؤبؤها)، وأحبوا العيون الناعسة التي كأنها عيون المريض

طارَ الفؤادُ مَع الخَوْدِ التي طَرقَتْ في النومِ طَيِّبَةَ الأَعْطَافِ مِبْدَانَا

الخود: الشابة، طرقت في النوم: حلم الشاعر بها، مبدان: مربربة، ريانة

قالَتْ تَعَزَّ، فإنَّ القومَ قد جَعلُوا دونَ الـزِّيـارةِ أبـوابـاً وخُـزَّانـا

خُزَّان: حراس

يـا حَبَّـذا جبـلُ الرَّيَّانِ مِنْ جبـلٍ وحبَّـذَا سَاكِـنُ الـريَّـانِ مَـنْ كَـانَـا

وحَبَّـذَا نَـفَـحَـاتٌ مِـنْ يَـمَـانِـيَـةٍ تَـأْتـيـكَ مِـنْ قِـبَـلِ الـريـانِ أَحْـيَـانـا

يمانية: ريح قادمة من اليمن

هل يَرْجِعَنَّ، وليس الدهرُ مُرْتَجِعَاً عيشٌ بِها طَالَمَا احْلَوْلَى وما لَانا

احلولى: كان حلواً، ما لان: لم يكن زمن رغد وثراء

أَزْمَانَ يَدعُونَنِي الشَّيْطانَ مِنْ غَزَلِي وكُنَّ يَهْوَيْنَنِي إذ كنتُ شَيْطَانا

١١٤ هجاء بني حنيفة

قـد غَـلَّـبَـتْـنِـي رُوَاةُ الـنـاسِ كـلُّـهِـمُ إلَّا حَـنـيـفَـةَ تَـفْـسُـو فـي مـنـاحـيـهـا

يفخر بأن رواة الناس (القبائل) كلهم اعتبروه غالباً للفرزدق في الهجاء، إلا قبيلة حنيفة

تُخزِي حَنيفَةَ أيَّامٌ كَسَتْ حُمَمَاً منها الوجوهَ فمَا شيءٌ بِمَاحِيها

حمم: سواد

أيـامَ تُـسبَى ولا تَـسبِي، ويقتُلُها ما لـم تـؤدِّ خَـراجـاً مَـنْ يُـعَـادِيـهـا

وحنيفة في منطقة اليمامة من الزراع، وكان باليمامة ناس من أقارب حنيفة من ربيعة غير زراع، وكان بها ناس من يربوع قوم جرير غير زراع أيضاً. وقد درج العربي قديماً وحديثاً على احتقار الزراعة والافتخار بالرعي والغزو، وحتى قبل الإسلام فإن الرعاة المحاربين كانوا يفرضون على أهل الزراعة الإتاوات إما على هيئة غزو أو ضريبة

قَطْعُ الدِّبَارِ وأَبْرُ النَّخْلِ عادتُهُمْ قِدْماً، فَما جَاوَزَتْ هذا مساعِيها

عادتهم منذ القدم قطع الدبار (تقسيم أراضي الزراعة) وأبر النخل (تلقيحه)، وما جاوزت (تعدَّت) هذا مساعيها (أمجادها)

رَأَتْ حنيفةُ إذ عَدَّتْ مَساعِيَها أنْ بِئْسَمَا كان يبني المجدَ بانيها

لما رَأَتْ خالِداً بِالعِرْضِ أَهْلَكَها قَتلاً، وأَسْلَمَها ما قَال طَاغِيها..

لما أوقع خالد بن الوليد في وادي العِرض باليمامة ببني حنيفة، وأسلمها (خذلها) ما قاله طاغيها (مسيلمة الكذاب الذي ارتد بعد وفاة الرسول)..

دَانَتْ وأَعْطَتْ يَدَاً للسِّلْمِ صَاغِرَةً مِنْ بعدِ ما كادَ سيفُ اللَّهِ يُفنِيها

عندئذٍ دانت (خضعت) حنيفة، بعد أن كاد خالد يفنيها

صَارَتْ حنيفةُ أَثْلاثاً فَثُلْثُهُمُ مِنَ العَبيدِ وثُلْثٌ مِنْ مَوالِيها

ويبدو أن الثلث الباقي من الأحرار، لكن. . الزراع

١١٥ عف الفقر مشترك الغنى

هذا آخر ما نختاره لجرير، لأنه على الياء، وهو من أوائل قصائده، وقالها في زمن معاوية:

نَظَرْتُ بِرَهْبَى والظَّعَائِنُ باللِّوَى فَطَارَتْ بِرَهْبَى شُعْبَةٌ مِنْ فُؤادِيا

رَغِبْتُ إلى ذي العرشِ مَولَى محمدٍ لِيَجْمَعَ شَعْباً أو يُقَرِّبَ نائيا

الشعب: الصدع

أذا العَرْشِ إنِّي لستُ ما عِشْتُ تَاركاً طِلابَ سُلَيْمَى فَاقْضِ ما كنتَ قاضِيا

ولو أنَّها شاءتْ شَفَتْني بِهَيِّنٍ وإن كان قد أَعْيَا الطَّبيبَ المُداوِيا

وإنِّي لَعَفُّ الفقرِ مُشْتَرَكُ الغِنى سَريعٌ إذا لم أَرْضَ دَارِي احْتِمالِيا

إن افتقرت عففت عن الطلب، وإن اغتنيت أشركت قومي في مالي، وإذا لم أرض عن وضع معين فأنا سريع الاحتمال (حمل متاعي والارتحال)

وقائِلَةٍ والدمْعُ يَحْدِرُ كُحْلَها أَبَعْدَ جريرٍ تُكْرِمُونَ المَوالِيا

غضبت له هذه المرأة لأن قومه أهملوه، والتفتوا لناس من الموالي

فأنتَ أَبي ما لم تَكُنْ لِيَ حَاجَةٌ فإنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أن لا أَبَا لِيَا

يصف حاله مع قومه، ولعله يعني أباه عطية فعلاً، فهو «أبٌ» ما لم يطلب منه ابنه شيئاً، فإن كلفه شيئاً فلا يعود أباً. وقيل كان جرير عاقاً بعض العقوق، ونال عقوقاً من بعض أبنائه

بأَيِّ سِنانٍ تَطْعَنُ القَومَ، بعدَما نَزَعْتَ سِناناً مِنْ قَناتِكَ ماضِيا

فيا قوم كيف تردون كيد أعدائكم، وقد تخليتم عن شاعركم الذي هو كالسنان نزعتموه من قناتكم (عصا الرمح)

أَلَمْ أَكُ نَاراً يَصطَلِيها عَدُوُّكُمْ وحِرْزاً لِمَا أَلْجَأْتُمُ مِنْ وَرائِيا

الحرز: الحارس الحامي

وباسِطَ خَيرٍ فيكُمُ بِيَمينِه وقَابِضَ شَرٍّ عنكُمُ بِشِمَالِيا

وليس لِسَيْفي في العِظَامِ بَقِيَّةٌ ولَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيا

سيفي يصل العظام ولا يبقي على من يصيبه، على أن سيفي أشوى (أخف) أثراً من لساني

جرير
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

عمرُ بنُ أبي ربيِعة
(٢٣هـ ــ ٩٣هـ)

المرأة ليست مثلنا.

المرأة لا تأكل رأس بصل مع صحن الفول.

المرأة تحبُّك قوياً متوحشاً، وتعشقك ضعيفاً. كن لها حاميَ الحمى، أو كن لها الطفل. ستعرف صدقَ كلامي عندما تنكسرُ يدُك وتحملها بين صدرك وبطنك مكسوَّةً بالجبس، مربوطةً إلى عنقك. سترى فتاتك عندئذ تسرع إليك وتطعمك بيدها. وستسمع للمرة الأولى في حياتك كلمة يا حبيبي.

إن تعرضت لها بغزل وقلة حياء ثم ارعويت وحسُنَ خلقك فلن تغفرَ لك، إلَّا إن كررتَ المحاولة.

والرجل يكون فاسقاً خشناً كالفرزدق فينال من النساء، ويكون أنيساً ناعماً كشاعرنا فينال من النساء. وبين هذين النموذجين من الرجال يوجد نموذج ثالث، هو نحن كلنا.

والمرأة معذورة في كل ما تصنعه بالرجال، فقد أصروا على أنها فتنة. أصروا على قياس روحها بالمازورة، أي متر الخيَّاطين. وأصروا على أن يكتبوا على قفا العلبة تاريخ الانتهاء. فإذا ما تجاوزت المرأة هذا التاريخ رموا بها.

في كينيا تقضي بعض التقاليد بقتل العجائز بدعوى أنهن ساحرات. وتُقتل في ذلك البلد في كل عام، وأنا أكتب لك هذا في عام ٢٠١٦، عشرات العجائز.

معذورة المرأة، فهي تردُّ على قسوة الرجال بأن تستقطر كل ما يمكن من الإعجاب في أقصى ما يمكن من السنوات فتسوق عليهم الدلال، وتطيل حياتها

الرقِّيَّة بالنفخ والشفط والتكبير والتصغير. هي أسيرة، والرجل حيوان قاس.

كان أبو عيسى في نحو الخامسة والسبعين عندما سألتُه: أتذهب منَّا الشهوة مع العمر؟ فقال: بل تبقى، وإن ذهبتْ الاستطاعة. فكربني جوابه. كنت أظن أن المرء إن تقدم به العمر عاش سنوات من الراحة لم يشعر فيها بما يشعر به كل واحدٍ منَّا من هذا الافتتان. وقد قُيِّض لي أن أسمع من امرأة شيئاً عن هذا الأمر عندهن. فقد نقلت لي هذه الشابة عن صديقة لها قطعت الخمسين، وقطعَها ما كان يعتادها. قالت لي إن صاحبتها المسنة قالت لها: كل تلك المشاعر تَروحُ تَروح. وقالت ذلك بألم. وفسَّرتُ الأمر في عقلي: أن الرجل يبقى فيه قدرة ـ ولو نظرية ـ على الإنجاب حتى سن متقدمة، فأما المرأة فلها فعلاً تاريخ انتهاء صلاحية من هذه الناحية. هي تستريح من تلك المشاعر، ولكنها نفسياً تبقى محتاجة إلى ما تعودت أن تلقاه من مشاعر الإعجاب.

في الصفحات التالية يأتيك كلام شاعر فاتك غزِل هو عمر بن أبي ربيعة. فإن عجبت كيف يقول الرجل كل هذا الشعر الفاضح وهو عائش بين مكة والمدينة فاعلم أن الناس كانوا غير الناس. كانوا في ذلك الزمن طبيعيين.

ولد شاعرنا سنة ٢٣ للهجرة، قيل في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب الذي كان من خؤولة أبيه. فسمي باسمه وكُنِّي بكنيته، فشاعرنا اسمه عمر وكنيتاه: أبو الخطاب، وأبو حفص.

فأما العمومة فهي مخزوم. شاعرنا من قبيلة مخزوم من قريش. وكان من أعلى فروع مخزوم نسباً ومالاً. أبوه عبد الله. . وكان اسم الأب بحيرا، فغيره النبي إلى عبد الله. وولَّاه النبي منطقة الجَنَد باليمن. وجده أبو ربيعة كان من أغنياء قريش. كان طويلاً مهيباً، وبلغ من ثرائه أنه كان يكسو الكعبة سنة وحدَه، وتكسوها قريش كلها سنة، فسموه العِدل لأنه يعادل كل قريش.

كان لهذا الفرع من مخزوم عبيد كثر من الأحباش. وكانوا أهل مال جاءهم من التجارة بين اليمن والشام.

أمُّ شاعرنا سبية نصرانية من حضرموت اسمها مجد. وزعم من يزعمون أن للشعوب خصائص تنتقل بيولوجياً أن الغزل جاء عمرَ من تلقاء أمه اليمانية، وقد قيل «الغزل يماني والدلال حجازي».

غير بعيد أن يكون عمر ولد في اليمن، لكنه عاش طفولته في المدينة

وسرعان ما اتخذ مكة، وفيها عشيرته، وطناً. ومن شعره نحس أن معظم مغامراته كانت بمكة.

وكانت جدة شاعرنا تبيع العطر. كأنما كانت تتاجر به، لا أن لها دكاناً تقعد فيه تبيع العطر.

هذه بيئة حجازية مترفة. لم يغير فيها الإسلام بسماحته، التي لا نعرف عنها اليوم ما يجب أن نعرف، الكثير. فقد دخلت مخزوم في الإسلام وكان منها بطل الإسلام خالد بن الوليد. واستمر التاجر يتاجر، ورغم اضطراب الأحوال في سنوات معينة فإن الحياة لم تتوقف. عندما كان شاعرنا في نحو السابعة عشرة سمع بمعركة صفين، واستقر الأمر بعدها لمعاوية فلم تتأثر الحجاز كثيراً بأحداث العراق والشام، وأغدق معاوية على مكة والمدينة. وعندما بلغ شاعرنا الأربعين وقعت أحداث صعبة في المدينة المنورة، ولعله كان أثناءها قد سكن مكة. وحكم الحجاز ابن الزبير تسع سنين، ثم قتل في الكعبة في أحداث اضطرب لها الحجاز كثيراً. ولعل شاعرنا كان آنذاك في اليمن، أو لعله كان قد نسك ولزم بيته.

وفي كل حال، فإن شاعرنا لا يورد شيئاً من كل تلك الحوادث. فشعره كله مقصور على الغزل، وعلى وصف المرأة. ليكن عمر بن أبي ربيعة في أي مكان فهذا لا يهمنا، فشعره كله نمط واحد. وليس له من السياسة، ولا من أي شيء آخر، سوى المرأة والافتتان بها، نصيب.

كان أخوه الحارث موظفاً في الدولة، وكان تقياً. وعرفنا لعمر ابناً اسمه جَوان، وكان تقياً. وعرفنا له صديقاً هو عبد الله بن أبي عتيق، وهو من قوم أبي بكر الصديق. وكان صاحبه هذا تقياً، غير أنه كان يغفر لعمر كل شيء، وكان يحبه حباً جماً.

لم يكن عمر شاعراً متقناً، لم يكن كحسان والحطيئة ممن سبقوه، ولا كزهير الجاهلي ولا الأعشى. ولا كان كمعاصريه الأخطل والفرزدق وجرير ولا حتى كصديقه الغزِل جميل. كان أقرب إلى الهاوي.

كان الشعر في ذلك الزمن يأتي المرء من محيطه. لم تكن الكتب قد كتبت، فلا كتابَ بين أيدي القوم إلا القرآن، ولم تكن الرقاع التي فيها شعر أمراً مألوفاً، بل هي أبيات يلقيها الناس في أمسياتهم ويتندرون بها. كانت خيام

تغلِبَ في الحيرة، ومضارب تميم في كاظمة واليمامة والبصرة أغنى بالشعر من بيوت مكة والمدينة. وكان البدو، بما أتيح لهم من فراغ وتنقل، يتخذون من الشعر مادة يَقَرُّون بها بعض القرار. فالقبيلة التي تسعى وراء العشب تجاور قبيلة أخرى وتسمع شعرها، وتنكفئ إلى نفسها وتقول: وأين شعرنا نحن؟ فتتمسك بشعر شعرائها وتردده في أمسياتها. ويتبارز الشعراء في عكاظ وغير عكاظ، وترحل أشعار الناس معهم بانفضاض السوق.

وكلما سمع شعراء البوادي شعراً حضرياً رفعوا حواجبهم. فهذا شعر بارد، ليس فيه ما في شعر البوادي من قوة. وقوة شعر البوادي ليست أنه ـ كما يحب الأكاديميون أن يقولوا ـ شعر غليظ جاسئ جاف يشبه حياة البدو. فالشعر الذي يقال في القصور يكون رائعاً وبديعاً وذا لغة متينة صحيحة، وذا ألفاظ غريبة مثل الشعر الذي يقال في مضارب البدو. وليس أبو نواس بنازل في المرتبة عن كبار شعراء البادية في زمنه وقبل زمنه.

بل المسألة مسألة خبرة وصنعة.

شعراء البوادي في زمن عمر بن أبي ربيعة كانوا يعيشون للشعر، يسمعونه منذ الصغر، ويقولونه طول الوقت ويتخصصون فيه. هي مسألة الفارق بين الهاوي والمتخصص. وفي زمن عمر كان الحجاز، وكانت قريش، منصرفيْن إلى التجارة وإلى السياسية، وإلى الصراعات الحزبية. وحتى قبل الإسلام فقد كان الحجاز يسمع الشعر في عكاظِهِ ويطرب له، ثم سرعان ما ينصرف أهل الحجاز إلى تجارتهم، وزعامتهم.

وجاء عمر. ولم ينصرف إلى تجارة ولا إلى سياسة. لكنه كان كسولاً عابثاً. ولم يحترف الشعر. احترف الغزل. ولم يكن صائغاً ماهراً. كانت قوافيه تتحير، فيبحث عن مخرج سريع، فتأتي القوافي في أحيان كثيرة قلقة. ويعيا بالبيت فينحرف باللغة عن طرائقها. كلهم كانوا يفعلون شيئاً من هذا في ذلك العصر. ولكن عمر كان أضعف من مشاهير شعراء زمنه في الصناعة.

والصناعة ليست كل شيء في الشعر. فأين عنك حرارة الشعور؟ ذلك لم يكن له كبير نصيب من شخصية عمر. فهو رجل وسيم غني عابث. وأين عنك حلاوة الشخصية والخفة؟ قد كان عند عمر شيء كثير من ذلك. وأين عنك التخصص في موضوع واحد؟ قد كنا قلنا ـ ولم ننس ـ أن عمر لم يكن «متخصصاً» في الشعر، لم يكن من عبيد الشعر، لم يكرس عمره للاستماع إلى

الأشعار المختلفة تأتيه من هنا وهناك، فيتزودَ منها زاداً دسماً. ولم يكن له من شعراء قومه من يصعد فوق أكتافهم فيتعملق في «صناعة» الشعر. انظر إلى معاصره كعب بن زهير! قد كان كعب وريث إمبراطورية شعرية ضاربة الأوتاد عمقاً في الزمن، ومنتشرة في المكان. واسمع معاصره الفرزدق يفتخر في إحدى قصائده بأنه وريث الشعراء الكبار، ويسمي في تلك القصيدة أسماء نحو عشرة من كبار شعراء الجاهلية. لا، لم يكن عمر متخصصاً في صناعة الشعر، بما هي صناعة. لكنه كانت متخصصاً في لون شعري واحد.

هذا ما عنيناه بالتخصص.

قصر عمر شعره على الغزل، وظل يقول فيه حتى طأطأ جرير وأقر له بالشاعرية، وطأطأ الفرزدق وأقر له بالشاعرية، وكانا كلاهما يبرّدان شعر عمر من قبل. ومثلهما أقر جميل لعمر بالشاعرية.

أبدأ بقراءة القصيدة لعمر فأرى في أحشائها المعاني المبتكرة، وآخذ في تشجيع شاعرنا على أن يمضي ويسجل هدفاً. لكنه يضيع في وسط الطريق، وتخونه القوافي، أو تلتوي عليه القصة. وبالكاد أستخلص من القصيدة أبياتاً قليلة تحمل في جوفها الوعد بالمعنى الجليل.

لا، قد ظلمته.

يكفيه أنه قال «وهل يخفى القمر»، وأنه قال «ليت هنداً أنجزتنا ما تعد». قلائد عمر بن أبي ربيعة قليلة، لكن له جوه الخاص. ولولا أن جاءنا بأخرة نزار قباني لقلنا إن عمر ليس له مثيل في كل الشعر العربي. وحتى لا نجحف بحق معاصرنا المشهور فنحن نضيف أن نزاراً كان شاعر لهو وعبث كثير، وكان صائغاً ماهراً، وعندما قال في السياسة والوطن كان شاعراً فحلاً متصرفاً في اللغة، كان نزار محترفاً.

كنت أفضّل لو اقتصرت في اختياراتي على مئة بيت لعمر، ففي هذا ما يكفي لتمثيل جوه، ولكن هذا الجو له سحره، ولعلي سحرت مثلما سحر أبو الفرج الذي روى في الأغاني قصص عمر وأشعاره في مئة وتسعين صفحة، من صفحات طبعة دار الكتب.

كانت أشعار عمر، على ما فيها من هَنَات في الصناعة الشعرية، مشهورة. وتحفَّظ الناس أشعاره، لأن الناس فيهم دعارة كامنة. ولأنهم يحبون كل شيء

يحكي لهم عن العلاقة بين الرجل والمرأة. ووصلنا شعره في بضع مئات من الصفحات. وأنا هنا أقلِّب ديوانه كما أخرجه محمد محيي الدين عبد الحميد. ولا أعلم عن نسخة أفضل ضبطاً. فأما النسخ البيروتية والمصرية الأخرى فلم تستطع، ولم تطمح، أي منها إلى تجاوز تلك الطبعة التي لم تصف نفسها بالتحقيق ولم تعطنا أي إشارات إلى مصادرها. وكل رأسمالها اسم محيي الدين عبد الحميد، الذي فسر الألفاظ تفسيراً قاموسياً رفع فيه عن كاهلنا بعض الجهد.

وقد رتبنا الأشعار ترتيب محيي الدين الذي قال إنه أخذه عن «نسخ الديوان الأمهات». وهاك آخر عبارة من مقدمة الشيخ محيي الدين ففيها حُكم طيب: «عمر بن أبي ربيعة وصف المرأة العربية وصفاً دقيقاً، ورسم لنا، رسماً واضح المعالم، ما كان يستملحه العرب يومئذ من المرأة في كل جزء من أجزائها، وأبان إلى حد كبير عن عواطف المرأة العربية وما يثير غضبها وما يثير رضاها، وعما يدفع المرأة إلى الجفوة والصدود والتأبِّي، وما يستل غضبها ويذهب بجفائها، وهو في كل واحدة من أولئك تابع لغيره من الشعراء الذين تعرضوا لوصف النساء، ولكنه يمتاز بين هؤلاء جميعاً بشيئين: أحدهما أنه يتتبع الشيء من ذلك ويفصله تفصيلاً دقيقاً، ويكرره فيطيل أحياناً ويجتزئ أحياناً أخرى، وثانيهما أنه جمع في شعره ما تفرق في شعر غيره، فكان فيه العوض عنهم جميعاً، وليس في غيره عوض عنه، وحسبك أن ديوانه المشتمل على خمس وثلاثين وثلاثمئة قطعة ليس فيها قطعة واحدة في غير وصف النساء والتشبيب بهن.» اهـ. عن محمد محيي الدين عبد الحميد.

والشيخ محيي الدين انقطع للعربية منذ صغره، وتصدى في سنوات الشباب الباكر لطبع نصوص صعبة في الأدب والنحو. ثم قضى عمره يطبع كتب النحو العتيقة بضبط ممتاز، وبهمة عالية. كان من رهبان هذه اللغة. وهو يساوي في الميزان بضعة آلاف من أكاديميي الزمن الرديء الذي نعيش فيه. كان مخلصاً في عمله، وكان متعمقاً في مجاله. ولم يدخل عالم التحقيق، ولا أنفق السنين وهو يصنع «الفهارس الفنية»، فقد ترك هذه المهمات لمن برع فيها، وما أقلهم. على أنه كان حسن الضبط، واسع المعرفة، غزير الإنتاج.

وإذْ ذكرت رهبان المعرفة، فإنني أذكر لك أحد اختراعاتي. وأنا كثير الاختراعات. تراني أكتب صفحة لك في هذا الذي أكتب، أو أشرح قصيدة أو

قصيدتين، ثم تعنُّ لي فكرة، فأقوم عن حاسوبي وأسرع كي أختبرها. وآخر مخترعاتي يتعلق بسلق البيض.

إن كنت من المتزمتين، ورغبت عن معرفة اختراعي في سلق البيض، فيمكنك المضي إلى شعر صاحبنا لتقرأه فهو يأتي بعد هذه المقدمة. فأما إن مكثت معي فاعلم أنني لاحظت أن لسعة بخار الماء أوجع من لسعة الماء المغلي، وتذكرت شيئاً درسناه في كتاب العلوم عن الحرارة الكامنة. وقلت في نفسي: الناس تملأ القِدر ماء وتضعها على النار وتنتظر نصف ساعة حتى تغلي، ثم تضع فيها البيض وتنتظر عشر دقائق حتى ينسلق، فهذه نصف ساعة وعشر دقائق، أي ثلثا ساعة.

وضعت في قِدري مَجَّة ماء لا غير، فوصلتْ إلى الغليان في دقيقة، ثم وضعت البيض وسلقته على البخار في عشر دقائق. فوفرت نصف ساعة من الطاقة. وبعد هذا الاختراع علمت من ابنة أختي التي تعمل خبيرة تغذية في مستشفى أنهم يفعلون هذا بالضبط. فهم يسلقون البيض على البخار.

ثمة مخترعات كثيرة اخترعتها ظاناً أنني سابق إليها، وكنت سرعان ما أكتشف أنني مسبوق.

أردت أن أخترع عدداً من «محمد محيي الدين عبد الحميد»، وإليك التفصيل:

كان رهبان العلم في الأديرة المعلقة في جبال لبنان وفارس وتركيا يكرسون حياتهم للنسخ والترجمة. وقد ترجموا كتب اليونان إلى السريانية، ثم ترجموها، وترجمها غيرهم، إلى العربية. وكانت نهضة فكرية.

وترهبت أم كلثوم لفنها فأنشأت هرماً تعب الكاتبون والسامعون في فك لغزه. وسأُدلي بدلوي. قالوا إن صوت أم كلثوم نادر. هو صوت نادر حقاً، ولكن ليس إلى درجة أن لا يجود الزمن بمثله إلا مرة في القرن والقرنين. هذا هراء لا يرضى به العلم. المسألة ليست مسألة حبال صوتية. أم كلثوم كرست حياتها لعملها. مَنذا الذي يجري بروفات بالعشرات مع الفرقة كاملة، سواها؛ هي التي استدعت بليغ حمدي ليلحن لها وعمره تسع وعشرون سنة، قالت له: اعمل لي حاجات كتلك التي تعملها لشادية. كانت تسمع الراديو وتتعقب الملحنين، وبعدما وقعت الخصومة بينها وبين السنباطي ذات سنة، وحدثت القطيعة، سمعت شهرزاد في الراديو تغني من ألحانه «يا ناسيني» فهاتفته

وصالحته. الخلطة الكلثومية بمجملها شديدة الندور، صوت واجتهاد وشخصية. كانت لها «زعامة الصوت» ـ التعبير لمحمد عبد الوهاب ـ، وكانت ذات شخصية قوية، وكانت راهبة فن.

واللحن المتقن ـ والتعبير مما استقاه كمال النجمي من كتاب الأغاني، وطوره ببراعة ـ، مثل نبتة البطاطا، تراها تطلق الأوراق الخضر فتستعجل أنت فتنبشها، فإذا حباتٌ صغار لا يُسْمِنَّ من جوع. لا بد للحن من أن يأخذ وقته، وينمو. يلحن الملحن الأغنية في يومين، ويتعقبها بالتشذيب شهراً وشهرين، وأكثر. نتحدث عن التلحين المتقن المصنوع، فأما اللحن الشعبي فقد لاكته حناجر الشعب عشرات السنين وصقلته، وما على المغني إلا أن يسمع جيداً ويؤدي باقتدار. وعلى صاحب اللحن المتقن المصنوع أن يخلق اللحن، وعليه أيضاً أن يصقله. ثم يأتي المغني، فإذا كان المغني أم كلثوم فهي تريد أن تصقل اللحن في حنجرتها، وأن تتعقب أدق تفاصيله، وأن تجرب كثيراً ـ ومعها الملحن يهديها تارة ويحنق على مزاجها تارة، ويذعن ويجري بعض التعديلات تارة ـ. ويختلف اللحن عن نبتة البطاطا في أن البطاطا إن مكثت في الأرض أطول مما يجب تلفت، فأما اللحن فهو أشبه بالفول المدمس. قال لي صاحبي: كلما غليت الفول جاد. وكان يترك فوله على نار هادئة طول الليل، فإذا أصبح صنع لعائلته صحن فول مدمس فاخراً.

ثمة شيء يتفق فيه أخو الموسيقى وأخو اللغة: البدء في الصغر. أحد من قرأت لهم كان يتعجَّب من الملحن الأميركي جورج غيرشوين، كيف تأتَّى له أن يبرع في الموسيقى وهو قد بدأ يتعلم العزف بعد أن تجاوز العاشرة. والمعهود في كبار الموسيقارين أنهم يبدأون في سن الثالثة والرابعة أو بعد ذلك بقليل. فالموسيقى شيء ينقُش نفسَه في خلايا الدماغ الغضة، فإن نما الدماغ وامتلأ غدا صعباً أن يُدَوزَن على موسيقى غريبة أو لغة جديدة.

والشعر واللغة، وكل علم، بحاجة إلى تلك الصفحة البيضاء.

قد ينفق الصبي سنوات طفولته يسمع الشعر ويحفظ اللغة ولا يمارس من ذلك شيئاً، فإن كبر انطلق. لا شك في أن المَلَكات تختلف بين إنسان وإنسان. والرغبات تختلف. لكنَّ النقش على الحجر ضروري لتحقيق التميز.

نعقد فقرة أو فقرتين لشتم الأكاديميين من أهل زمننا. لأننا لا يطيب لنا أن نمضي في حديثنا دون أن نصنع شيئاً من ذلك.

يبلغ أحدهم منتصف المرحلة الثانوية، فيبدو عليه الكلال، فلا رغبةَ لديه لا في علم ولا في أدب، فيرميه النظام التعليمي في الفرع الأدبي. فيجر قدميه جراً حتى ينال الشهادة الثانوية وتزغرد له أمه. ويدخل الجامعة. وطبعا سيدرس اللغة العربية. أليس قد حصل على معدل خمسة وستين؟ ويجر قدميه. وبقدر ما عند أهله من مال يمضي في الدراسة. ويصبح دكتوراً. فإن علمت أيها القارئ، وأرجو أن تكون علمت، أن الرغبة هي مفتاح التفوق، وهي فقط التي تصنع الإبداع، فقد علمت أن صاحبنا لن يصنع شيئاً سوى أمثال هذه البحوث التافهة التي يقذفنا بها الأكاديميون.

حلم يقظتي الذي هممت بالتحدث إليك عنه، ثم أخذني الاستطراد إلى موضوعات شتى، هو أن أصنع للدراسات اللغوية والأدبية ناساً محبين قديرين من بين الراغبين. وهو كحلم الرجل الأميِّ الذي يريد من ابنه أن يعوضه عما فاته من علم.

فأنا رجل ساقتني الظروف سوقاً إلى كل مجال سوى مجال الأدب واللغة. أنا ذلك الرجل الأمي. أنا من أنفق عمره في أعمال شتى تقوته وتقوت عياله، وانتبه في شيخوخته إلى أنه كبت رغباته الحقيقية. فعندما بدأت أعالج اللغة القديمة، والشعر القديم، وجدت أنني لم أدخل الدير ولم أكرس نفسي لهذا العمل. ففهْم الشعر القديم يقتضيني من الوقت والجهد الكثير، واستيعاب اللغة العربية في عصورها المختلفة كان سيكون أسهل عليَّ بكثير لو أنني كنت بدأت باكراً، ولو أنني كنت فرغت للأمر.

الأزهر كان بيئة صالحة للتفرغ. ومن الأزهر خرج علماء يتقنون العربية حقاً. هذا شيء كان.

الحاصل: أريد أن يكون في مقدور مجتمعاتنا العربية أن تهيِّء لخروج أم كلثومات، وعبد الحميدين كثيرين. أريد لمجتمعاتنا أديرة علم. أقول قولي هذا وقد غسلت يدي من الجامعات غسلاً.

يتحرك الأكاديمي في جامعته كالبزاق، ذلك المخلوق اللزج الذي يخرج قرنيه ويمشي على بطنه. فإذا كان يقظاً وذكياً وجدته فاقداً البوصلة. يظن نفسه أتى برأس كليب إن هو كتب ألف صفحة عن حروف الجر في شعر أبي الشمقمق. هذا مجرد مثال، وأخشى أن يقرأ كلامي هذا بعض أولئك الحلزونات فيكتب مثل ذلك الكتاب.

يبدأ الأكاديمي حياته «العلمية» ـ لُعن وعلمَه، آمين ـ بمجموعة ضخمة من المسلمات. يقدس كتابات القدماء. ويقدس كتابات الأجانب. وتراه يتعبد بالمعجمات. تراه يتظرف ولا يقول «معاجم» بل لا بد أن تكون «معجمات». فإن سميتَها وأنت جالسٌ إليه «قواميس»، فهذا يوم بؤسك. فسوف يصدع الأفندي رأسك وهو يحاول ردَّك إلى صواب يظنه. ويكلمك بالفصحى ويغلط، ويصحح نفسه إن انتبه إلى أنه غلط. وعندي لك وصفة طيبة كي تجعله يتكلم كخلق الله. أغظه. قل له أشياء لم يسمعها من أساتيذه، قل له مثلاً، إن الممنوع من الصرف جدير بالإلغاء.. وسوف تراه يحتد، وسوف تراه.. يتكلم بالعامية.

الأكاديمي عندنا يكتب على جبهته: «كل شيء معلوم، وموجود في كتاب معين». المهم عنده أن يبحث ويجد المعلومة. لم يخطر بباله قط أن الاعتراف بالجهل هو بداية الطريق. لم يخطر بباله قط أن ملايين الصفحات التي سودها آلاف علماء اللغة في مئات السنين تنقصها معلومات كثيرة. وهو لا يتخيل أن هناك مجهولات تنتظر من يجعلها معلومات. هو يظن أن كل شيء معلوم، وأن غاية البحث العلمي هي ـ فقط ـ البحث عن الفقرة المناسبة ووضعها بإزاء فقرة مناسبة أخرى لكي يسمي ذلك بحثاً.

يزعجني أكثر من الأكاديمي الذي يتدرج من ماجستير إلى دكتوراه ذلك الذي يقضي شبابه وكهولته على الماجستير محاضراً في جامعة أو مدرسة، ثم يطمح إلى العلاوة، وإلى حرف الدال، فـ «يسجل» للدكتوراه. هذا أسوأ بمراحل. يدخل الجامعة من جديد بعقل متخشب، وينال الدكتوراه بالتأكيد، ويزيد على كومة المسلمات التي في عقله مسلمات جديدة. ويصبح ثقيل الدم.

يغيظني وأنا أبحث في دواوين الشعراء القدامى أن كل ديوان منها اكتشفه وسهر عليه أول مرة ثم طبعه مستشرق.

أول طبعة جيدة لديوان عمر طبعة المستشرق باول شفارتس، ١٩٠٨، وشفعها بكتاب عن الشاعر، ١٩٠٩. ولقد أخبرنا بروكلمان في ثلاث صفحات عن حياة عمر ما وفر علينا مشقة المقارنة بين روايات القدماء. قد قرأنا كتابات القدماء، لكن بروكلمان قرأها وقارن بينها واستخلص ما يمكن استخلاصه من الحقائق. أعجبتني عنده عبارة في التشكيك بأن عمر ولد في الليلة التي توفي فيها سميه الخليفة، قال الألماني إن هذا القول «متهم ككل ما روي في اقتران أمرين عظيمين».

ونختم هذه المقدمة بالتنبيه على شيء يتعلق بكل الشعر القديم، وربما بكل الشعر:

لا تنثر الشعر. ولا تدقق في معانيه كثيراً. كانت جدة صاحبي تقول له وهو صغير: «الزاد لا يفتَّش»، فإن فتش المرء الزاد وجد على وجه الرغيف قشة وعلى قفاه قذاةً مما يكون على أرضية الفرن، ووجد في طبق الأرز حبة مسودة ضربتها السوسة. سمِّ بالله وكل، واقرأ الأشعار وترنم بها. فإنك واجد ـ إن أمعنت في الفحص ـ هنات كثيرات، وإنك فاقد لمعنى جليل كنت تتوهم أنه كامن هناك. الشعر كتب لكي تترنم به لا لكي تفحصه في المختبر.

١ ليلة غرامية

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ غداةَ غدٍ أم رائِحٌ فَمُهَجِّرُ؟

المعنى الملموح: أتذهب إلى قوم الحبيبة «نُعْم» باكراً أم وقت الهاجرة واشتداد الحر؟

أَهيمُ إلى نُعْمٍ، فَلا الشَّمْلُ جَامِعٌ ولا الحَبْلُ مَوصُولٌ، ولا القَلْبُ مُقْصِرُ

مغرم بها، ولكن الاجتماع صعب لكثرة الترحال، وليس هناك حبل موصول، لا علاقة، ومع ذلك فالقلب ليس يُقْصِر، أي لا يكف

ولا قُرْبُ نُعْمٍ، إنْ دَنَتْ، لَكَ نَافِعٌ ولا نَأْيُها يُسْلي، ولا أنتَ تَصبرُ

وقربها لا ينفع، لأن الوصول إليها صعب، ولا بُعدها يسليني، أي ينسيني، ولا أنت يا عمر ـ يخاطب نفسه ـ صابر

إذا زُرْتُ نُعْماً لم يَزَلْ ذو قَرابَةٍ لَها، كُلَّما لاقيتُها يَتَنَمَّرُ

إذا زرتها لاقاني قريب لها، متنمراً، متحفزاً للشر

رأَتْ رَجُلاً: أمّا إذا الشَّمسُ عارَضَتْ فَيَضْحَى، وأمّا بِالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

رأتني إذا ما الشمس برزت أَضْحَى، أي أبرُزُ للشمس، وفي المساء أَخْصَر، أي أشعر بالبرد

أَخا سَفَرٍ، جَوَّابَ أرضٍ، تَقَاذَفَتْ بِهِ فَلَواتٌ، فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

رأتني صاحب أسفار، تتقاذفني الفلوات، أي الصحارى، وأنا مشعث الرأس والثياب، مغبرٌّ

ولَيْلَةَ «ذي دَوْرانَ» جَشَّمَني السُّرَى، وقد يَجْشَمُ الهَوْلَ المُحِبُّ المُغَرَّرُ

في تلك الليلة بموضع «ذي دوْران» تكلفت سير الليل، والمحب الذي خدعه الحب يتجشم كل هول

وبِتُّ أُناجِي النَّفْسَ أَيْنَ خِباؤُها وكيف لِمَا آتِي مِنَ الأَمْرِ مَصْدَرُ

أخذت أحدث نفسي: يا ترى أين خيمتها بين الخيام؟ وكيف سيكون لي مصدر، رجوع، بعد انتهاء مغامرتي؟

فَدَلَّ عليها القلبَ رَيًّا عَرَفْتُها لَها، وهَوى النَّفْسِ الذي كادَ يَظهرُ

دل قلبي عليها ريا، رائحة عطرة، عرفتها لها. ودلني عليها هواي الذي يكاد يظهر للناس

فلمَّا فَقدْتُ الصوتَ مِنْهُمْ، وأُطفِئَتْ مَصابيحُ شُبَّتْ بِالعِشاءِ وأَنْوُرُ

لما خفتت أصوات القوم، وأطفأوا مصابيحهم وأنوارهم..

وغَابَ قُمَيْرٌ كنتُ أَهْوَى غُيوبَهُ ورَوَّحَ رُعْيانٌ، ونَوَّمَ سُمَّرُ..

ولما غاب القمر، الذي كنت أحب غيابه لأستتِر في الليل، وعندما روح الرعيان، عادوا من المراعي، ونام السامرون..

وخُفِّضَ عَنِّي الصوتُ، أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الـ حُبَابِ، وشَخصي خَشْيَةَ الحَيِّ أَزْوَرُ

وعندما خفت الصوت، مضيت أمشي مشية الحباب، الحيَّة، منساباً، وجسمي يميل ويتضاءل خشية أن يراني القوم

فَحَيَّيْتُ إذْ فاجَأْتُها، فَتَوَلَّهَتْ وكادتْ بِمَخْفُوضِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ

حييتها، فتولهت، دهشت، ولدهشتها كادت ترفع صوتها برد التحية

وقالَتْ، وعَضَّتْ بِالبَنانِ: فَضَحْتَني وأنتَ امْرُؤٌ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ

عضت على إصبعها، وقالت: فضحتني، وإنك لرجل تجعل السهل من الأمر صعباً بتصرفاتك

فَواللَّهِ ما أدري: أَتَعْجِيلُ حَاجَةٍ سَرَتْ بِكَ، أَمْ قد نامَ مَنْ كنتَ تَحْذَرُ؟

أأنت مستعجل للحصول على حاجتك مني فغامرْت؟ أم أنك وثقت بنوم القوم فرأيت أنه لا بأس من القدوم؟

فقلتُ لها بل قَادَني الشَّوقُ والهوى إليكِ، وما نَفْسٌ مِنَ الناسِ تَشْعُرُ

فَبِتُّ قَريرَ العَيْنِ، أُعطِيتُ حَاجَتي أُقَبِّلُ فَاهَا في الخَلاءِ وأُكْثِرُ

في الخلاء: أي وأنا مُختَلٍ بها

فيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقاصَرَ طُولُهُ وما كان لَيلي قبلَ ذلكَ يَقْصُرُ

كان ليلي طويلاً وأنا أفكر فيها، والآن صار ليلي قصيراً معها

ويَا لَكَ مِنْ مَلْهىً هُناك ومَجلِسٍ لنا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكَدِّرُ

يا لهذا المجلس الجميل معها

فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيلُ إِلَّا أَقَلَّهُ وكادتْ تَوالي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ..

عندما مضى معظم الليل، وبقي القليل، وكادت النجوم تغيب..

أَشَارَتْ بِأَنَّ الحَيَّ قد حانَ مِنْهُمُ هُبُوبٌ، ولَكِنْ مَوْعِدٌ لَكَ «عَزْوَرُ»

قالت إن الحي، أي القوم، كادوا يهبُّون من نومهم. وعليك الذهاب، وسنلتقي مرة أخرى في موضع «عزور»

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ: تَرَحَّلُوا. وقد شُقَّ مَفتوقٌ مِنَ الصُّبْحِ أَشْقَرُ

وراعني صوت منادٍ ينادي بالرحيل. وقد فتق الصباح وجه السماء بضيائه

فلمَّا رَأَتْ مَنْ قد تَنَبَّهَ مِنْهُمُ وأَيْقَاظَهُمْ، قالتْ: أَشِرْ كيفَ تَأْمُرُ؟

عندما أدركت أن بعضهم قد صحا، قالت متحيرة: فما العمل الآن؟

فَقُلْتُ أُبَادِيهِمْ، فَإِمَّا أَفُوتُهُمْ، وإِمَّا يَنالُ السَّيْفُ ثَأْراً فَيَثْأَرُ

قلت: أباديهم، أبدو لهم وأُظهر نفسي، فإما أن أهرب فلا يمسكون بي، وإما أن يثأروا فينال السيف مني

فقالتْ: أَتحقيقاً لِمَا قالَ كَاشِحٌ علينا، وتَصديقاً لِمَا كانَ يُؤْثَرُ؟

قالت: بذلك تؤكد ما قاله الكاشح، المضمر العداوة، عن علاقتنا، ويتوفر الدليل على ما كان يؤثر ويقال عنا

فإنْ كان ما لا بُدَّ منهُ فَغَيْرُهُ مِنَ الأمرِ أَدْنَى لِلْخَفاءِ وأَسْتَرُ

فإن كان لا بد من المخاطرة فلا بد من أمر أستر..

أَقُصُّ على أُخْتَيَّ بَدْءَ حَديثِنا وما لِيَ مِنْ أنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ

أخبر أختيَّ بما كان، ولا سبيل سوى إعلامهما

لَعلَّهُما أن تطلُبا لَكَ مَخْرَجاً وأنْ تَرْحُبَا سِرْباً بِمَا كنتُ أَحْصَرُ

لعلهما أن تتوصلا إلى مخرج لك، وأن ترحبا سرباً، أي يكون لديهما سعة في الرأي، بدل الضيق الذي عندي

فَقامَتْ كَئيباً ليسَ في وجهِها دَمٌ مِنَ الحُزْنِ، تُذْرِي عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ

قامت وهي محزونة مخطوفة اللون، ودمعها يجري

فَقَامَتْ إليها حُرَّتَانِ عَليْهِما كِساءَانِ مِنْ خَزٍّ: دِمَقْسٌ وأَخْضَرُ

وجاءتها أختاها وعليهما كساءان من حرير

فَقالتْ لأُختَيْها: أَعِينَا على فَتىً أَتَى زَائِراً، والأَمْرُ لِلأَمْرِ يُقْدَرُ

قالت لهما أعيناني على هذا الزائر، ولا بد لكل أمر من حل يناسبه

فَأقْبَلَتَا، فَارْتَاعَتَا، ثم قَالَتَا: أَقِلِّي عليكِ اللَّوْمَ، فَالخَطْبُ أَيْسَرُ

عندما رأتني الفتاتان أصابهما الرعب، ثم طمأنتاها

فقَالَتْ لها الصُّغْرى: سَأُعْطيهِ مُطْرَفي ودِرْعِي، وهَذا البُرْدَ، إن كان يَحْذَرُ

الصغرى ستعطيني مطرفاً، أي رداءً، ودرعاً، أي قميصاً، وبرداً، أي ثوباً من عندها.. لكي ألبس.. ولكن يجب أن أكون حذراً

يقومُ فَيَمْشي بينَنا مُتَنَكِّراً فَلا سِرُّنا يَفشُو، ولا هُوَ يَظْهَرُ

وليقم ويمشِ بيننا فلا ينتبه أحد

فَكانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنتُ أَتَّقي ثَلاثُ شُخُوصٍ كَاعِبانِ ومُعْصِرُ

وهكذا كان مجني، تُرسي، دون من كنت أحذر من الأعداء، ثلاث نساء: كاعبان قد برز منهما الصدر، ومعصر، أي فتاة في أول البلوغ

فَلَمَّا أَجَزْنا سَاحَةَ الحَيِّ قُلْنَ لي: أَمَا تَتَّقي الأَعداءَ واللَّيْلُ مُقْمِرُ؟

لما عبرنا ساحة القوم، بدأن باللوم والتأنيب: ألست تتقي الأعداء في ليلة مقمرة؟

وقُلْنَ: أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِراً؟ أَمَا تَستَحي أَوْ تَرعَوي أو تُفَكِّرُ

أهذا شأنك دائماً سادراً، غيرَ مبالٍ؟ ألا تستحي؟ ألا ترعوي، أي تكف، ألا تفكر في العواقب؟

إذا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غيرَنا لِكَي يَحسَبوا أن الهوى حيثُ تَنْظُرُ

إذا جئت مرة أخرى فانظر إلى غيرنا حتى لا يعرف أهلنا أنك مشغوف بنا

فآخِرُ عَهْدٍ لي بِهَا حينَ أَعْرَضَتْ ولاحَ لَهَا خَدٌّ نَقِيٌّ ومَحْجَرُ

آخر عهدي بها كان عندما انفتلت وانصرفتْ، ورأيت طرف خدها الناعم، وجانب عينها

هَنيئاً لِأَهلِ العَامِرِيَّةِ نَشْرُهَا الـ ـلَّذيذُ، ورَيَّاها الذي أَتَذَكَّرُ

هنيئاً لأهلها نشرها اللذيذ، رائحتها الطيبة التي ما زلت أتذكرها

٢ أنت السمع والبصر

هَيْفاءُ لَفَّاءُ مَصْقُولٌ عَوارِضُها تَكادُ مِنْ ثِقَلِ الأَرْدافِ تَنْبَتِرُ

هيفاء، ضامرة البطن، لفَّاء، سمينة الفخذين، مصقولة العوارض، أي الأسنان، ولدقة خصرها وعظم أردافها تكاد تنبتر من منتصفها

تلكَ التي سَلَبَتْنِي العقلَ وامْتَنَعَتْ، والـغَـانِـيـاتُ، وإِنْ وَاصَـلْـنَـنـا، غُـدُرُ

سلبتني عقلي بدلالها وامتنعت من المضي في العلاقة، والغانيات غادرات حتى وإن أنشأن علاقة

لا أَصْرِفُ الدَّهْرَ وُدِّي عنكِ أَمْنَحُهُ أُخْرى أُوَاصِلُـها مَا أَوْرَقَ الـشَّـجَـرُ

لن أحوّل محبتي عنك طول الدهر لامرأة أخرى، لن أفعل ذلك ما دام الشجر يطلق الورق

أنتِ المُنَى وحَديثُ النَّفْسِ خَالِيَةً وفي الجميعِ، وأنتِ السَّمْعُ والبَصَرُ

أنت منتهى أمنياتي، وأفكر فيك سواء في خلوتي أم عندما أكون في الجميع، أي مع الناس

يا ليتَ مَنْ لامَنا في الحُبِّ، مَرَّ بِهِ مِمَّا نُلاقِي - وإنْ لم نُحْصِهِ - العُشْرُ

ليت من يلومنا في الحب يمر به عُشْرُ ما نلاقي من عذاب، وإن لم نكن أحصينا عذاباتنا لكثرتها

حتَّى يَذوقَ كـمـا ذُقْـنـا، فـيَـمْـنَـعَـهُ مِـمَّـا يَـلَـذُّ حَـديـثُ الـنَّـفْـسِ والـسَّـهَـرُ

كي يذوق مثلما ذقنا، فيمنعه السهر وحديث النفس، أي الخواطر والهواجس، من الاستمتاع بما يلذ من أمور الدنيا

٣ حب بحب

والـلَّـهِ قـد زَادَنـا وَجْـداً بِـهِـمْ كَـلَـفٌ ومُـتْـرَعٌ مِـنْ رَجـيـعِ الـدَّمْـعِ مُـبْـتَـدِرُ

زادنا بها حباً الكلف (المشقة في الحب)، والدمع المترع (الغزير) المتكرر الذي ابتدر (سال) عليها

وأَنَّـهـا حَـلَـفَـتْ بِـالـلـهِ جَـاهِـدَةً ومَا أَهَلَّ له الحُجَّاجُ واعْتَمَرُوا . .

وزادنا حباً أنها حلفت جاهدة (بلا تقصير) بالله وبما أهلَّ له الحجاج
(رفعوا صوتهم بالتكبير قبل التضحية)

مَا وَافَقَ النَّفْسَ مِنْ شيءٍ تُسَرُّ بِهِ وأَعْـجَـبَ الـعـيـنَ إِلَّا فَـوقَـهُ عُـمَـرُ

حلفت وقالت إن عمر أكبر من كل ما أحبته النفس وأعجبها

فذاكَ أَنْزَلَها عِندي بِمَنزِلَةٍ مَا كان يَحْتَلُّها مِنْ قَبْلِها بَشَرُ

فهذا ما جعلها أقرب الناس إلى قلبي

٤ واهاً لعفراء

وَاهَـاً لِـعَـفْـرَاءَ، إنْ دَارٌ بِـهـا قَـرُبَـتْ فَـمَـا أُبَـالـي أَلَامَ الـنـاسُ أم عَـذَرُوا

إن قربت مني عفراء فلا يهمني ألامني الناس أم التمسوا لي عذراً في حبها

تَقولُ، إذْ أَيْقَنَتْ أنّي مُفَارِقُها: يَا لَيْتَني مُتُّ قبلَ اليومِ يَا عُمَرُ

٥ متوسداً معصمها

بِـتُّ فـي نِـعْـمَـةٍ، وبَـاتَ وِسَـادي   مِـعْـصَـمـاً بـيـنَ دُمْـلُـجٍ وسِـوَارِ

بت ورأسي على معصمها بين الدملج، أي سوار العضد، وسوار المعصم

ثـم إنَّ الـصـبـاحَ لاحَ، ولاحَـتْ   أَنْجُمُ الصُّبْحِ مِثْلَ جَزْعِ العَذَارِي

ثم لاح الصبح وخفتت النجوم فكأنها صارت كجزع العذاري، أي الخرز الذي تتقلده العذارى

فَـنَـهـضْـنَـا نَـمْـشـي نُـعَـفِّـي بُـرُودَاً   ومُـرُوطـاً، وَهْـنَـاً عـلـى الآثـارِ

نهضنا وهناً، في آخر الليل، نعفي الأثر، أي نمحوه، ونجر عليه ذيول المروط، أي الثياب

٦ مظلومة!

فـالـتَـقَـيْـنـا فَـرَحَّـبَـتْ حـيـنَ سَـلَّـمْـ   ـتُ، وكَفَّتْ دَمْعاً مِنَ العَينِ مَارَا

التقينا فرحبت بي حين سلمت عليها ومار الدمع، أي ترقرق

ثـم قـالـتْ عـنـدَ الـعِـتـابِ: رأَيْـنـا   فـيـكَ عـنَّـا تَـجَـلُّـداً وازْوِرَارا

عاتبت وقالت: رأيت منك تجلداً، أي صبراً على الفراق، وازوراراً، ابتعاداً وانحرافاً عني

ثـم قـالـتْ، وسَـامَـحَـتْ بـعـدَ مَـنْـعٍ   وأَرَتْـنـي كَـفَّـاً تَـزِيـنُ الـسِّـوَارا . .

ثم سامحت، لانت وسمحت بالوصال، ولم تعد تزم ثوبها زمّاً بل استرخت فرأيتُ كفها تزين السوار، لا نظنه قصد أن الكف هي التي تزين السوار. . فقط القافية ألجأته إلى ابتكار معنى «أن كفها أجمل من سوارها فهو الذي يزينه»، ففي ذلك الزمن لم يكونوا يتحذلقون كما في العصور التالية

فـتَـنَـاوَلْـتُـهـا، فَـمَـالَـتْ كَـغُـصْـنٍ   حَـرَّكَـتْـهُ رِيـحٌ عـلـيـهِ فَـخَـارا

خار: وقع

وأَذَاقَـتْ بـعـدَ الـعِـلاجِ لَـذيـذاً   كَجَنَى النحلِ شَابَ صِرْفاً عُقَارا

وبعد العلاج، بعد محاولات الاستمالة، أذاقتني ريقها الذي كأنه عسل خالط خمراً صافية

ثـم كـانـتْ دونَ الـلِّـحَافِ لِمَشْغُو   فٍ مُعَنًّىً بِـهـا صَـبُـوبٍ شِـعَـارا

ثم كانت لي تحت اللحاف ـ وأنا المشغوف المتعب بحبها الصبوب، أي الصب المتيم ـ كانت لي شعاراً، أي لباساً داخلياً. . يقول: التصقت به كأنها ثوبه الملاصق للجسم

واشْـتَـكَـتْ شِـدَّةَ الإِزَارِ مِنَ البَـهْـ   ـرِ، وأَلْـقَـتْ عـنْـهـا لَـدَيَّ الـخِـمَـارا

اشتكت ضيق ملابسها من البهر، أي مما اعتراها من ضيق تنفس، فألقت خمارها

حَبَّذَا رَجْعُها إليها يَدَيْها فِي يَدَيْ دِرْعِها تَحُلُّ الإِزَارا

ما أجمل حركة يديها وهي تخرجهما من يديْ درعها، أي قميصها، وهي ماضية في خلع ثوبها

: يَا ابنَ عَمِّي فَدَتْكَ نَفسيَ إنِّي أَتَّقِي كَاشِحاً إذا قَالَ جَارا

تقول وهي تفعل ذلك إنها تخشى عدوًّا يفتري عليها فإذا قال عنها شيئاً جارَ وتجاوز الحق.. بعد كل هذا الذي تفعلينه يا آنسة لن يكون قد جار

٧ كيد العواذل كايدني

إنَّ العَواذِلَ قد بَكَرْنَ يَلُمْنَنِي وحَسِبْتُ أكثرَ لَوْمِهِنَّ ضِرارا

العاذلات جئن صباحاً يلمنني، ولكن لومهن معظمه ضرار، أي بغرض إيقاع الأذى

وزَعَمْنَ أنَّ وِصَالَ عَبْدَةَ عَائِدٌ عَاراً عَليَّ، وليس ذلكَ عَارا

والنَّفْسُ يمنَعُها الحَياءُ فَتَرْعَوِي وتكادُ تَغلِبُني إليكِ مِرَارا

يا عبدة، الحياء يمنع النفس فترعوي، أي تكفُّ، ولكنَّ نفسي تغلبني فأميل إليك

ما يُذْكَرُ اسْمُكِ في حَديثٍ عَارِضٍ إلَّا اسْتُخِفَّ له الفُؤادُ فَطارا

٨ حبذا المعاكسة

أَبْصَرْتُها ليلةً ونِسْوَتَها يَمْشِينَ بينَ المَقَامِ والحَجَرِ

أبصرتها مع رفيقاتها في الحرم بين مقام إبراهيم والحجر الأسود

قَالتْ لِتِرْبٍ لَها مُلاطِفَةً: لَتُفْسِدِنَّ الطَّوَافَ في عُمَرِ

قالت لترب لها، أي لرفيقة في عمرها، على سبيل المزاح: سوف تفسدين الطواف علينا بالحديث عن عمر

قالتَ: تَصَدَّيْ له لِيُبْصِرَنا ثم اغْمِزِيهِ، يا أُخْتُ في خَفَرِ

قالت لها رفيقتها: واجهيه كي يلاحظنا، واغمزيه في حياء.. حبذا الحياء!

قَالتْ لها: قد غَمَزْتُهُ فَأَبَى. ثُمَّ اسْبَطَرَّتْ تَسْعَى على أَثَرِي

قالت لها: غمزته فأبى ولم يأبَه. ويضيف الشاعر معلقاً على حديثهن: ثم اسبطرَّت، أي أسرعت، تلحقني

٩ النوار

تَلِينُ حتَّى يَقولُ قد خُدِعَتْ مَنْ لم يَكُنْ بِالنِّسَاءِ ذا خُبُرِ

تلين الفتاة حتى لَيَقُولُ ويحسب من ليست له خبرة بالنساء أنها خُدعت

حتى إذا ما التَمَسْتُ غِرَّتَها   كانت نَوَاراً قليلةَ الغِرَرِ

فإذا ما التمست فرصة ضعفها ألفيتها نواراً، أي فتاة مستمسكة لا تعطي صاحبها شيئاً، قليلة الانخداع

١٠ على أطلال الحبيبة

لِمَنْ طَلَلٌ مُوحِشٌ أَقْفَرا   فأَصبحَ مَعرُوفُه مُنْكَرا؟

لمن هذا الطلل الموحش الذي أصبحت معالمه الواضحة منكرة لا تكاد تبين؟

ولو أنَّهُ يستَطيعُ الجَوابَ   لأخبَرَ إذ سيِلَ أنْ يُخبِرا

سيل: سئل

ولكنَّهُ غَيَّرَتْهُ الصَّبَا   فأَمْسَتْ مَعالِمُهُ دُثَّرا

غيرته ريح الصَّبا، فاندثرت معالمه

وكُلُّ مُسِفٍّ لهُ هَيْدَبٌ   إذا مَا حَدَا رَعْدُهُ أَمْطَرا

وغيَّره الغمام المسف، المنخفض، الذي يسيل مطراً كالخيوط، والرعد يحثه على النزول، كأن الرعد حادي الإبل ينشد فتسير على إيقاع نشيده

وقد كنتُ أَلْقَى به شَادِناً   قَطُوفَ الخُطَا نَاعِماً أَحْوَرا

في هذا المكان كنت أقابل غزالاً قطوف الخطا، أي خطاه متقاربة، وناعماً وأحور، عيناه «سوادٌ صافٍ على بياض صافٍ» وهذا هو الحَوَر

أَسيِلَ المُحَيَّا هَضِيمَ الحَشا   كشمسِ الضُّحَى واضِحاً أَزْهَرا

أسيل المحيا، طويل الخدين، هضيم الحشا، ضامر البطن، أزهر، أي أبيض

أقولُ لِمَنْ لامَ في حُبِّها   أرى لَكَ في الرَّأْيِ أنْ تُقْصِرَا

يا من يلومني في حبها، من رأيي أن تكفّ

١١ وهل يخفى القمر

هَيَّجَ القلبَ مَغانٍ وصِيَرْ   دَارِسَاتٌ قد عَلَاهُنَّ الشَّجَرْ

هيج مشاعري المغاني، الرياض، والصير، الحظائر، الدارسات، الخربة، التي قد علاها الشجر

ورِياحُ الصَّيْفِ قد أَزْرَتْ بِها   تَنْسِجُ التُّرْبَ فُنوناً والمَطَرْ

ورياح الصيف أزرت بها، خربتها، فهي تروح وتجيء عليها فكأنها تنسج التراب نسجاً بأشكال شتى، وخربها المطر أيضاً

ظَـلْـتُ فـيـهـا ذاتَ يـومٍ واقِـفـاً   أسـألُ الـمـنـزلَ هـل فـيـه خَـبَـرْ
لِـلَّـتـي قـالـتْ لِأتْـرابٍ لـهـا   قُـطُـفٍ فـيـهِـنَّ أُنْـسٌ وخَـفَـرْ:

هل عند الديار المقفرة خبر لهذه الفتاة التي قالت لرفيقاتها القطف، البطيئات السير، الخجولات..

قـد خَـلَـوْنَـا فَـتَـمَـنَّـيْـنَ بِـنَـا   إذْ خَـلَـوْنَـا الـيـومَ نُـبْـدِي مـا نُـسِـرّ

قالت لهن: هيًا ـ ونحن وحدنا ـ نتكاشف بأسرارنا وأمنياتنا!

فَـعَـرفْـنَ الـشـوقَ فـي مُـقْـلَـتِـهـا   وحَـبَـابُ الـشـوقِ يُـبْـدِيـهِ الـنَّـظَـرْ

أدركن ما بها من شوق، وحَباب الشوق، أعظمه، يبدو في العين

قُـلْـنَ يَـسْـتَـرْضِـيـنَـهـا: مُـنْـيَـتُـنـا   لـو أتَـانـا الـيـومَ فـي سِـرٍّ عُـمـرْ

قلن لها: ليت عمر يأتينا سراً

بـيـنَـمـا يَـذْكُـرنَـنِـي أَبْـصَـرْنَـنِـي   دُونَ قَـيْـدِ الـمِـيلِ يَـعْـدُو بـي الأغَـرّ

وفجأة أبصرنني دون قيد الميل، أي قريباً، يعدو بي فرسي الأغر، ذو البياض في جبهته

قُلْنَ: تَعْرِفْنَ الفَتَى؟ قُلْنَ: نَعَمْ   قد عَـرفْـنـاهُ، وهـلْ يَـخـفَـى الـقـمـرْ

قالت بعضهن لبعض: أتعرفن الفتى؟ ثم أجابت بعضهن: وهل يخفى القمر

١٢ حيلة النساء

أَلـم تَـسـأَلِ الأطـلالَ والـمُـتَـرَبَّـعـا   «بِبَطْنِ حُلَيَّاتٍ» دَوَارِسَ بَلْقَعَا؟

ألم تسأل الأطلال والمتربع، المنزل، الدوارس البلقع، أي المقفرة الخربة، في موضع «بطن حليات»؟

فَيَبْخَلْنَ، أو يُخْبِرْنَ بِالعِلْمِ بعدما   نَكَأْنَ فُؤاداً كـان قِـدْمـاً مُـفَـجَّـعَـا

فتبخل عليك تلك الأطلال الخربة بالجواب، أو لعلها تخبرك بشيء! ذلك بعد أن نكأتْ، جددتْ، جروح القلب الذي كان قد فجع قديماً بالفراق

بِـهـنـدٍ وأتْـرابٍ لِـهِـنْـدٍ إذِ الـهَـوى   جَـمـيـعٌ، وإذْ لـم نَـخْـشَ أن يَـتَـصَـدَّعـا

فُجِع القلب بفراق هند وصويحباتها عندما كان الهوى جميع، أي على اجتماع وبلا فراق، ولم نكن نخشى التصدع، الفراق

فقلتُ لِمُطْرِيهِنَّ بِالحُسْنِ: إنَّما   ضَرَرْتَ، فهلْ تَسطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعا؟

قلتُ لمن يصف حسنهن: هذا يجدد لي الشجون، فهل تستطيع أن تصنع شيئاً نافعاً؟

فقالَ: تَعالَ انْظُرْ، فقلتُ: وكيفَ بي؟ أَخافُ مَقاماً أن يَشيعَ فَيَشْنُعا

قال لي: تعال انظر. قلت: أخاف أن ينكشف أمري ويشيع، ونقع في فضيحة شنيعة

فَأَقْبَلْتُ أَهْوي مِثلَما قالَ صاحبي لِمَوْعِدِهِ أُزْجي قَعُوداً مُوَقَّعَا

لكنني مضيت أهوي، أسرع، مثلما أراد، وأنا أزجي، أي أسوق، قعوداً، جملاً، موقّعاً، مجرَّحاً مدبَّراً

فلمَّا تَواقَفْنا وسَلَّمْتُ أَشْرَفَتْ وُجوهٌ زَهاها الحُسْنُ أنْ تَتَقَنَّعا

لما تقابلنا رأيت وجوهاً مفتخرة مزهوّة بجمالها فهي لا تتغطى بالبراقع

تَبالَهْنَ بِالعِرْفانِ لَمَّا رأينني وقُلْنَ: امْرُؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا

تبالهن، تصنعن البله، وزعمن أنهن لا يعرفنني، وقلن: لعلك رجل يبغي مكاناً وقد أكَلَّ ناقته، أي أرهقها، وأوضع، أي سار مسرعاً عليها

وقَرَّبْنَ أَسبابَ الصِّبا لِمُتَيَّمٍ يَقيسُ ذِراعاً كُلَّما قِسْنَ إِصْبَعا

وأخذن يتكلمن كلاماً فيه إثارة للشجون، وأنا أندفع اندفاعاً في عواطفي

فَلَمَّا تنازَعْنا الأَحاديثَ قُلْنَ لي: أَخِفْتَ علَيْنا أنْ نُغَرَّ ونُخْدَعا؟

ولما تبادلنا الحديث، قلن لي: هل ظننت أننا مخدوعات عنك، ولا نعرفك؟

فبِالأَمْسِ أَرسَلْنا بِذلكَ خالِداً إِلَيْكَ، وبَيَّنَّا لهُ الشَّأْنَ أَجْمَعا

لقد أرسلنا أمس خالداً ـ صاحبه الذي غرر به ـ، ورسمنا الخطة معه

فمَا جِئْتَنا إلَّا على وَفْقِ مَوْعِدٍ على مَلَإٍ مِنَّا خَرَجْنا له مَعا

وعندما جئتنا كنا متهيئات، وخرجنا لهذا اللقاء، فهو ليس مصادفة

وقُلْنا كَريمٌ نالَ وَصْلَ كَرائِمٍ فَحُقَّ له في اليومِ أن يَتَمَتَّعَا

فأنت كريم، ونحن كريمات، ولا بأس أن تتمتع بهذا اللقاء

١٣ تشييع

وأَقولُ مِنْ جَزَعٍ لِعَزَّةَ بعدَما ساروا وسالَ بِهِمْ طَريقٌ مَهْيَعُ:

أقول لعزة بعد أن سار أهلها وسال بهم الطريق الواسع:

لو كنتُ أَمْلِكُ دَفْعَ ذا لَدَفَعْتُهُ عنِّي، ولكنْ ما لِهذا مَدْفَعُ

لو كنت أستطيع منع فراقكم لفعلت، ولكن، ما باليد حيلة

قالتْ تُشَيِّعُنا؟ فقلتُ صَبَابَةً: إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُشَيِّعُ

قالت: هل تمضي معنا مسافة وتشيعنا؟ فقلت لفرط عشقي: هذا ما يفعله المحب

فتَبِعْتُهُمْ ومَعي فُؤادٌ مُوجَعٌ صَبٌّ بِقُرْبِهِمُ وعَيْنٌ تَدْمَعُ

فتبعتهم وقلبي موجع، وعيني دامعة

١٤ سمَّع بنا من سمَّع

يَا خَلِيلَيَّ إذا لم تَنْفَعَا فَدَعانِي اليومَ مِنْ لَوْمٍ، دَعَا

وأَلِمَّا بِي بِظَبْيٍ شَادِنٍ لستُ أدري اليومَ مَاذا صَنَعَا

الشادن: الظبي الذي قوي واستغنى عن أمه

قد جَرى بِالبَيْنِ منها طائرٌ رَفَّ بِالفُرْقَةِ ثم ارْتَفَعَا

رفرف طائر ـ ولعله غراب ـ منذراً بالبين، أي الفراق، ثم طار

سأَلَتْنِي: هل تَركْتَ اللَّهْوَ أمْ ذَهَبَتْ أَزْمانُهُ فَانْقَطَعا؟

تسألني العاذلة: هل تركت اللهو اختياراً، أم قد ذهب زمنه وكبرت عنه؟

قلتُ: لا، بل ذهبَ الدهرُ الذي كنتُ أَسْعَى مَعَهُ حيثُ سَعَى

فقصصت عليها قصة ذاك الظبي.. سلمى

ذاكَ إذْ نحنُ وسَلْمَى جِيرَةٌ لا نُبَالِي مَنْ وَشَى أَوْ سَمِعَا

حينَ قالتْ: كيفَ أَسْلُو بعدما سَمَّعَ اليومَ بِنا مَنْ سَمَّعَا

كأن سلمى قالت: فلنمض في عشقنا، فقد وقع المحذور وطارت لنا به سمعة

١٥ أنا وعتيق والهوى

قَالَ لِي فيها «عَتِيقٌ» مَقَالاً فَجَرَتْ مِمَّا يقولُ الدُّمُوعُ

قال له صاحبه عتيق قولاً أبكاه

قالَ لِي وَدِّعْ سُلَيْمَى، ودَعْهَا فَأَجَابَ القلبُ أنْ لا أُطِيعُ

لا تَلُمْنِي في اشْتِياقي إليها وابْكِ لِي مِمَّا تُجِنُّ الضُّلُوعُ

تجن: تخفي

١٦ الحب قديم

أشارَتْ بِطَرْفِ العينِ خِيفَةَ أهلِها إِشـارَةَ مَـحـزونٍ، ولـم تَـتَـكَـلَّـمِ
فأَيْقَنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قد قالَ مَرحَباً وأَهـلاً وسهـلاً بـالـحبيـبِ الـمُـتَيَّـمِ
أُلامُ عـلـى حُـبِّـي كـأنِّـي سَـنَـنْـتُـهُ وقد سُنَّ هذا الحُبُّ مِنْ قَبْلِ جُرْهُمِ

ألام على الحب كأنني أنا اخترعته، وهو موجود من قبل قبيلة جرهم البائدة

١٧ فلم أستطعها

نظرْتُ إليْها بِالمُحَصَّبِ مِن مِنَىً وَلـي نَـظَـرٌ، لـولا الـتَّـحَـرُّجُ، عَـارِمُ

لولا الحرج لكانت نظراتي تحديقاً شديداً

فقلتُ: أَشمسٌ أم مَصابيحُ بِيعَةٍ بَدَتْ لَكَ تَحتَ السِّجْفِ أم أنتَ حَالِمُ

أوجهها شمس، أم مصابيح بيعة، صومعة ناسك، بدت تحت السجف، الستر ولعله يقصد الظلام؟ ومصابيح الناسك في الظلام، لتائهٍ في البر، أجمل من ضوء الشمس

مُـهَـفْـهَـفَـةٌ غَـرَّاءُ صِـفْـرٌ وِشَـاحُـهـا وفـي الـمِـرْطِ منـهـا أَهْـيَـلٌ مُـتَـراكِـمُ

مهفهفة، ضامرة البطن، غراء، وضيئة الوجه، وشاحها صفر، أي خالٍ لضمور بطنها؛ وأمَّا مرطها، أي ثوبها ففي داخله أهيل متراكم، أي كثيب تراكم عليه الرمل فهو يتساقط، يعني أن عجيزتها كبيرة

بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ، إمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُـوهـا، وإِمَّـا عـبـدُ شَـمْـسٍ وهَـاشِـمُ

مهوى القرط، حرفياً: المكان الذي يسقط فيه قرطها.. كناية عن طول عنقها. فهذا ورثته من أعمامها أو من أخوالها، وذكر عشيرتين

ومَدَّ عليْها السِّجْفَ يومَ لَقِيتُها عـلـى عَـجَـلٍ أَتْـبـاعُـهـا والـخَـوادِمُ

غطاها الخدم بالستر بسرعة عندما لقيتها

فلم أَسْتَطِعْها، غيرَ أنْ قد بَدا لنا عَشيَّةَ راحتْ كَفُّها والمَعَاصِمُ

فلم أتمكن من رؤيتها، غير أنني رأيت كفيها ومعصميها أوان الرحيل

مَعَاصِمُ لم تَضْرِبْ على البَهْمِ في الضُّحى عَصَاها، وَوَجْهٌ لم تَلُحْهُ السَّمَائِمُ

هاتان اليدان ناعمتان لم تحملا عصا لضرب البهم، أي الماعز، ووجهها نقي لم يسمرَّ من البروز في الشمس، فهي فتاة مدللة بنت نعمة

إذا مَا دَعَتْ أَتْـرابَـهـا فَـاكْـتَـنَـفْـنَـهـا تَـمـايَـلْـنَ أو مَـالَـتْ بِـهِـنَّ الـمَـآكِـمُ

إذا دعت صاحباتها فأحطن بها تمايلن دلالاً، أو ربما مالت بهن المآكم، أردافهن

١٨ قولا له

أَلِمـَّا بِذَاتِ الخَالِ فاسْتَطْلِعَا لنا   أَكَالعَهْدِ بَاقٍ وُدُّها، أم تَصَرَّمـا

زورا هذه الفتاة واعرفا إن كانت باقية على العهد، أم تصرم، أي تقطّع، حب الوصل

وقُولا لها: ما في العِبادِ كَريمةٌ   أَعَزُّ علينا منكِ طُرّاً وأكرَما

وقُولا لها: لم أَجْنِ ذَنباً فتَعْتَبي   عَلَيَّ بِحَقٍّ، بل عَتَبْتِ تَجَرُّمَا

فقالا لها، فارْفَضَّ فَيْضُ دُموعِها   كما أَسْلَمَ السِّلْكُ الجُمَانَ المُنَظَّمَا

ارفضَّ دمعها، أي تفرق، كأنَّ سلكاً فيه جمان، أي لؤلؤ، قد انتثر

وقَالَتْ لأُختَيْها اذْهبَا في حَفيظَةٍ   فَزُورا أَبَا الخطَّابِ سِرّاً وسَلِّما

اذهبا في تحفُّظ وسلما على عمر، وأبو الخطاب كنيته

وقولا له: واللَّهِ ما الماءُ للصَّدي   بِأَشهَى إليْنا مِنْ لِقائِكَ فاعْلَمَا

لقاؤك أشهى إليَّ من الماء للصدي، أي العطشان. اعلما: اعلمَنْ يا فتى، وحذف النون وأطلق

١٩ أليس كثيراً؟

يَلومُونَني في غيرِ جُرْمٍ جَنيْتُهُ   وغيريَ، في كلِّ الذي كانَ، أَلْوَمُ

أَمِنْتُ أُنَاساً أَنتُمُ تَأْمَنُونَهُمْ   فَزَادُوا علينا في الحديثِ، وأَوْهَمُوا

وقالوا لنا ما لم نَقُلْ، ثم أَكْثَرُوا   علينا، وبَاحُوا بالذي كنتُ أَكْتُمُ

أليسَ كثيراً أن نكونَ بِبلدةٍ   كِلانا بِها ثَاوٍ ولا نَتَكَلَّمُ؟

ثاوٍ: مقيمٌ

٢٠ مع صويحباتها دوني

حَنَا أَتْرابُها دُوني عليها   حُنُوَّ العَائِداتِ على سَقيمِ

اكتنفتها صويحباتها واجتمعن حولها، مثلما تجتمع الزائرات حول المريض،
فلم يكن لي مدخل بينهن

عَقائِلُ لم يَعِشْنَ بِعَيْشِ بُؤْسٍ   ولكنْ بِالغَضَارَةِ والنَّعيمِ

نساء منعمات عشن عيشة نعيم ورغد

٢١ لا ترحل

نظرتْ إِليكَ، وذُو شِبَامٍ دُونَها، نَظَراً يكادُ بِسِرِّهَا يَتَكَلَّمُ

نظرت إليك غير قادرة على الكلام فكأن في فمها ذا شِبام، وهو عود يوضع في فم الجدي كيلا يرضع من أمه، ولكن نظرتها كادت تشي بسرها

فَأَبَانَ رَجْعُ الطَّرْفِ أنْ لا تَرْحَلَنْ حتَّى يُجِنَّ الناسَ ليلٌ مُظْلِمُ

فأبان لي طرفها، نظرتها، أنها تقول لي: لا ترحل، وانتظر حتى يُجِنَّ الناسَ الليل، أي يغشاهم ويغطيهم

فلعلَّ غِبَّ الليلِ يَسْتُرُ مَجْلِساً فيهِ يُوَدِّعَ عاشِقٌ ويُسَلِّمُ

فربما تكون عاقبة الليل أن يستر مجلساً يجمعنا للوداع

فَأَتَيْتُ أَمشي بعدما نامَ العِدَا وأَجَنَّهُمْ للنَّوْمِ جَوْنٌ أَدْهَمُ

مشيت إليها بعد نوم الناس وبعد أن غشيهم الليل الجون الأدهم، الحالك السواد، فناموا. (والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

حَيَّيْتُها فَتَبَسَّمَتْ، فكأنها عند التَّبَسُّمِ مُزْنَةٌ تَتَبَسَّمُ

كأنها وهي تتبسم غيمة في جانبها يلمع البرق

فَغَنِيتُ جَذْلاناً، وقد جَذِلَتْ بِنا نَبْغي بِذَلكَ رَغْمَ مَنْ يَتَرَغَّمُ

غنيتُ، سعدت، وكنت جذلان، فرحاً، وهي فرحة، وبعض سعادتنا أننا نكيد لمن يعاندنا

ثم انصَرفْتُ وكانَ آخِرُ قولِها أنْ سوفَ يَجْمَعُنا إليكَ المَوْسِمُ

وانصرفت على وعد باللقاء في الموسم المقبل

٢٢ مرارة الحب

ووَجَدْتُ حوضَ الحبِّ حين وَرَدْتُهُ مُرَّ المَذَاقَةِ طَعْمُهُ كالعَلْقَمِ

لا والذي بعثَ النَّبيَّ محمداً بالنورِ والإسلامِ دِينِ القَيِّمِ

ما خنتُ عهدَكِ يا عُثَيْمُ، ولا هَفَا قلبي إلى وصلٍ لِغَيْرِكِ فاعلَمي

٢٣ حديثها

طالَ لَيْلي، واعتَادَني اليومَ سُقْمُ وأَصابَتْ مَقاتِلَ القلبِ نُعْمُ

وحديثٍ بِمِثْلِهِ تَنْزِلُ العُصْـ ـمُ، رَخيمٍ يَشوبُ ذلكَ حِلْمُ

حديثها لذيذ تسمعه العصم، الوعول، في جبالها فتنزل؛ وهي حليمة، رقيقة الطباع

٢٤ ليلة في الخلاء

ثـم قــالــتْ، وَهْــيَ تَــذري دَمْـعَ عـيـنـيـهـا سُـجُـومـا:

قالت وهي تذرف الدمع سجوماً، بغزارة

أَخـبِـرِيـهِ بـالـذي أَلْـقَـى فـإن كـان مُـقـيـمـا،

إن كان مقيماً لم يرحل بعد..

فَـلْـيَـعِـدْنـا مَـوْعِـداً لا نَـتَّـقـي فـيـه نَـمُـومـا

فليكن بيننا موعد لا نخاف فيه من شخص نمام

ولْـيَـكُـنْ ذاكَ إذا مـا انْـتَـصَـفَ الـلـيـلُ بَـهـيـمـا

بَـرَزَتْ بـيـنَ ثَـلاثٍ كـالـمَـهـا تَـقْـرُو الـصَّـريـمـا

برزت بين ثلاث نساء كأنهن المها، بقر الوحش، تقرو، أي تتبع، الصريم، الرمل المتكاثف

قَـمَـرٌ بَـدْرٌ تَـبَـدَّى بَـاهِـراً يُـغْـشـي الـنُّـجُـومـا

وهي بينهن قمر يعشي النجوم، يغلب على ضوئها

قـلـتُ أهـلاً بِـكُـمُ مِـنْ زُوَّرٍ زُرْنَ كَـريـمـا

فـأذاقَـتْـنـي لَـذيـذاً خِـلْـتُـهُ راحـاً خَـتـيـمـا

أذاقتني ريقها الذي كأنه الخمر المختوم عليها المعتقة

ثـم أَبْـدَتْ إذْ سَـلَـبْـتُ الـمِـرْطَ مُـبْـيَـضّـاً هَـضِـيـمـا

وبدا منها بطن أبيض هضيم، ضامر، عندما نزعت عنها المرط، الثوب

فَـلَـهَـوْنـا الـلـيـلَ حـتـى هـجَـمَ الـصـبـحُ هُـجُـومـا

قـلـتُ قـد نَـادى الـمُـنـادي وبَـدا الـصُّـبْـحُ فَـقُـومـا

قلت ها قد نادى منادي القوم، وبدا الصبح فقومنْ يا فتيات، وجعل «قومن» «قوما»، ويجوز للشاعر..

ولـقـد قَـضَّـيْـتُ حـاجـاتـي ولاقَـيْـتُ الـنَّـعـيـمـا

٢٥ يرميان الجمرات

لقد عَرَضَتْ لي بِالمُحَصَّبِ مِنْ مِنىً لِحَيْنِيَ شَمسٌ سُتِّرَتْ بِيَمَانِ

برزت لي في ذلك الموضع من مكة لحيني، لموتي وكي تقتلني، فتاة وضاءة كالشمس مستورة ببرد يماني

بَدا ليَ منها مِعْصَمٌ يومَ جَمَّرَتْ وكَفٌّ خَضيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنانِ

وهي ترمي الجمار بدا معصمها وكفها الخضيب، المحنَّى، وأصابعها الجميلة

فَلمَّا التَقَيْنا بِالثَّنِيَّةِ سَلَّمَتْ ونَازَعَني البَغْلُ اللَّعينُ عِناني

لما التقينا في المنعطف سلمتْ وهي راكبة بغلها وأنا أمسك بزمامه، والبغل ينزع المقود من يدي

فَواللَّهِ مَا أَدري، وإِني لَحَاسِبٌ، بِسَبْعٍ رَمَيْتُ الجَمْرَ أم بِثَمانِ

رغم براعتي في الحساب لا أدرى هل رميت سبع جمرات أم ثمانيَ جمرات

٢٦ هِبتُها

وإذا جئتُها لِأَشكُوَ إلَيها بعضَ ما شفَّني ومَا قد شَجاني

شفني: براني برياً

هِبْتُها، وازْدَهَى مِنَ الحُبِّ عقْلي وعَصاني بِذاتِ نفسي لِساني

أحسست بالهيبة وازدهى عقلي، أي أخذته خفَّة واضطراب، ولم أدر ما أقول

ونَسيتُ الذي جمعتُ منَ القو لِ لديها، وغابَ عنِّي بَياني

٢٧ القليل المهنَّا

مَنْ لِقلبٍ أَمْسَى حزيناً مُعَنَّى مُسْتَكِنّاً، قد شَفَّهُ ما أَجَنَّا

من ذا يسعف قلباً حزيناً متعباً خاضعاً، شفه، وبراه وأنهكه، ما أجنَّ، أي أخفى، من الحب

إِثْرَ شَخْصٍ، نَفْسي فَدَتْ ذاكَ شَخصاً، نَازِحِ الدَّارِ بِالمدينةِ عَنَّا

قلبي ذاهب إثر تلك الفتاة التي نزحت دارها عنَّا، ابتعدت، إلى المدينة المنورة

ليتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ العينِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنَّا

لا أطلب سوى نظرة، والقليل الذي أحصل عليه منها كثير إذا كان مهنأً، غير مخلوط بتكدير

مَا نَرى رَاكِباً يُخَبِّرُ عنْكُمْ أَو يُريدُ الحِجَازَ إِلَّا حَزِنَّا

قد يكون قال القطعة وهو باليمن، فقد قيل لنا إن عمر بن أبي ربيعة سافر إلى اليمن ومكث بها بعض الوقت

٢٨ الفاتنة

وغَضيضِ الطَّرْفِ، مِكْسَالِ الضُّحَى　　أَحْوَرِ المُقْلَةِ، كالريمِ الأَغَنْ

رب فتاة غضيضة الطرف، غاضة بصرها خجلاً، مكسال الضحى، تظل كسلانة نائمة حتى الضحى لأنها ابنة نعمة، حوراء العينين، اشتد سوادهما في بياضٍ صافٍ، وكلامها فيه غنة

مَرَّ بي في نَفَرٍ يَحْفُفْنَهُ　　مِثلَما حَفَّ النَّصَارَى بِالوَثَنْ

تحف بها صاحباتها مثلما يحف النصارى بتمثال لهم

قلتُ مَنْ هذا؟ فقالتْ: بعضُ مَنْ　　فَتَنَ اللَّهُ بِكُمْ فيمَنْ فَتَنْ

بعضُ مَنْ كان أَسيراً زَمَناً　　ثم أَضْحَى لِهَواكُمْ قد مَجَنْ

كنت أسيرة الخجل زمناً وأصبحت ماجنة جريئة في حبك

قلتُ: يا سيِّدتي عَذَّبْتِني　　قالتِ: اللَّهُمَّ عَذِّبْني إِذَنْ

٢٩ النظرة الأخيرة

اِعْتادَني بعدَ سَلْوَةٍ حَزَني　　طَيْفُ حبيبي سَرَى فَأَرَّقَني

بعد السلوة، النسيان، اعتادني، عاد إليَّ، طيف حبيبي سارياً في الليل فأرقني

مِنْ ظَبيةٍ بِالعَقيقِ سَاكِنَةٍ　　قد شَفَّني حبُّها وعَذَّبَني

يا نَظْرَةً ما نَظَرْتُ مُوجِعَةً　　لم أَرَها بعدَها ولم تَرَني

ما نظرتُ: أي قد نظرتُ

٣٠ تذكُّر ظبية

إِنَّني اليومَ عَادَني أَحْزاني　　وتذكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَاني

وتذكَّرْتُ ظَبْيَةً أُمَّ ريمٍ　　صَدَعَ القلبَ ذكرُها فَشَجَاني

تذكرت فتاة كالظبية الحانية على الريم، والريم الظبي الخالص البياض

لا تَلُمْني «عَتيقُ» حَسْبي الذي بي　　إِنَّ بي يَا «عتيقُ» ما قد كَفاني

يخاطب صاحبه عتيقاً: لا تلمني فحسبي ما بي

إن دهراً يَلُفُّ شَمْلي بِسُعْدَى　　لَزَمانٌ يَهُمُّ بالإِحْسَانِ

لا تَلُمْني، وأَنْتَ زَيَّنْتَها لي　　أنتَ مِثْلُ الشيطانِ للإنسانِ

لو بِعَيْنَيْكَ يا عَتِيقُ نَظَرْنَا   لَيلةَ السَّفْحِ قَرَّتِ العَيْنانِ

لو نظرتُ إليها بعينيك، وأنت غير عاشق، لقرت عيناي واستراح قلبي،
لكن عيناي أنا عينا عاشق متألم

هِيَ دَائي، وَهْيَ الدَّوَاءُ لِدائي   لو أُداوَى بِرِيقِها لَشَفَاني

لم تَدَعْ للنِّسَاءِ عِندي نَصيباً   غيرَ ما قُلْتُ مَازِحاً بِلِسَاني

ليس لغيرها في قلبي نصيب، وكل الغزل الذي قلته في غيرها مجرد مزاح

٣١ لا أبالي غيركم

لم يُحْبِبِ القلبُ شيئاً مثلَ حُبِّكُمْ   ولم تَرَ العينُ شيئاً بعدَكُمْ حَسَنا

ما إنْ أُبالي إذا ما اللّهُ قَرَّبَكُمْ   مَنْ كانَ شَطَّ مِنَ الأَحْبَابِ أو ظَعَنَا

شطَّ: ابتعد، ظعن: رحل

٣٢ قامت تراءى

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هذا القَلْبُ مَعمُودَا   إذا أَقُولُ صَحَا يعتَادُه عِيدَا

أمسى قلبي معموداً، مولهاً، بأسماء، وكلما قلت إنه صحا يعتاده الهم اعتياداً

كأنَّهُ يومَ يُمْسِي لا يُكَلِّمُها   ذو بُغْيَةٍ يبتغي ما ليس موجُودا

أَجْري على مَوْعِدٍ منها فَتُخْلِفُني   فَمَا أَمَلُّ، ومَا تُوفي المَواعِيدا

قامَتْ تَراءَى، وقد جَدَّ الرحيلُ بِنا   لِتَنْكَأَ القَرْحَ مِنْ قَلبٍ قدِ اصْطِيدَا

قامت تراءى: تُبرز نفسها، تنكأ القرح: تفتح الجرح من جديد

٣٣ ليت هنداً

لَيْتَ هِنْداً أَنْجَزَتْنا ما تَعِدْ   وشَفَتْ أَنْفُسَنا مِمَّا تَجِدْ

ليتها أنجزت وعدها وشفت أنفسنا من الوجْد

واسْتَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً   إِنَّما العَاجِزُ مَنْ لا يَسْتَبِدّ

ليتها كانت ذات قرار فواصلتني بدلاً من الدلال والامتناع والخوف من الأهل. . هذا المعنى الذي لمحته

زَعَمُوها سَأَلَتْ جاراتِها   وتَعَرَّتْ ذاتَ يومٍ تَبْتَرِدْ:

سألت جاراتها وقد تعرت في الحر كي تبترد

أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي   عَمْرَكُنَّ اللَّهَ، أم لا يَقْتَصِدْ؟

سألتهن: أترينني جميلة مثلما يصفني؟ أم أنه يبالغ؟

فَتَضَاحَكْنَ وقد قُلْنَ لها: حَسَنٌ في كلِّ عينٍ مَنْ تَوَدّ

قلن لها: هو يراكِ بعين المحب فأنت في عينه حسنة. وتعليق الصديق عمران القفيني: «أي القرد في عين أمه غزال»

حَسَداً حُمِّلْنَهُ مِنْ شَأْنِها   وقَديماً كان في الناسِ الحَسَدْ

وقولهن هذا باعثه الحسد، فكأنهن قلن لها أنت لست جميلة بحق..

غَادَةٌ تَفْتَرُّ عن أَشْنَبِها   حين تَجْلُوهُ أَقَاحٍ أو بَرَدْ

غادة جميلة تنفرج شفتاها عن أسنان بيض، فعندما تجلو أسنانها، أي تظهرها، تظهرُ ما يشبه الأقحوان أو البَرَد

ولها عَينانِ في طَرْفَيْهِما   حَوَرٌ منها، وفي الجِيدِ غَيَدْ

في عينيها حور، أي سواد خالص في بياض خالص، وفي عنقها تثنٍّ، فهي تميل بعنقها لشدة الدلال

طَفْلَةٌ بَارِدَةُ القَيْظِ إذا   مَعْمَعَانُ الصَّيْفِ أَضْحَى يَتَّقِدْ

كل شيء بارد حسن في عيون أهل المناطق الحارة، فهذه الفتاة باردة

قُلْتُ مَنْ أنتِ؟ فقالتْ أنا مَنْ   شَفَّهُ الوَجْدُ وأَبْلاهُ الكَمَدْ

قالت إن الوجد والعشق أرهقاها وإن بها كمداً، كبتاً ومشاعر مختلطة

نحنُ أَهْلُ الخَيْفِ مِنْ أهلِ مِنىً   مَا لِمَقْتُولٍ قَتَلْنَاهُ قَوَدْ

تقول: القتيل الذي نقتله ليس له دية.. فهي تقتل الرجل بالعشق

قلتُ: أهلاً أنتُمُ بُغْيَتُنا   فَتَسَمَّيْنَ، فقالتْ: أَنَا هِنْدْ

إنَّما أَهْلُكِ جِيرانٌ لَنا   إنَّما نَحنُ وهُمْ شَيءٌ أَحَدْ

يحدثها عن أهلها وأهله، وهذا الحديث الخفيف مما يتقنه أهل الغزل

حَدَّثُونا أَنَّها لي نَفَثَتْ   عُقَداً، يا حَبَّذَا تلكَ العُقَدْ

يزعم عمر أنها نفثت له عقداً، صنعت له سحراً بعقد خيوط والنفخ عليها، وهو مسرور بهيامها به

كلَّما قلتُ مَتَى مِيعَادُنا   ضَحِكَتْ هندٌ وقالتْ: بعدَ غَدْ

٣٤ لا كان هذا آخر العهد

والـلَّـهِ لا أَنْـسَـى مَـقـالَـتَـهـا   حـتَّـى أُضَـمَّـنَ مَـيِّـتـاً لَـحْـدِي
إذْهَـبْ فَـدَيْـتُـكَ غـيـرَ مُـبْـتَـعِـدٍ   لا كـان هـذا آخِـرَ الـعَـهْـدِ

٣٥ أنا وقلبي

أَرِقْتُ ولم أَمْلِكْ لِهذَا الهَوَى رَدًّا   وأَوْرَثَنـي حُبِّي وكِتْمَانُهُ جَهْدا
كَتَمْتُ الهَوى حتَّى بَراني وشَفَّني   وعَزَّيْتُ قلباً لا صَبُوراً ولا جَلْدَا
إذا قُلْتُ لا تَهْلِكْ أَسىً وصَبابَةً   عَصَاني، وإنْ عاتَبْتُهُ زِدْتُهُ وَجْدَا

٣٦ جرى ناصح

جَرَى نَاصِحٌ بِالوُدِّ بَيْني وبيْنَها   فَقَرَّبَني يومَ الحِصَابِ إلى قَتْلِي

سعى صديق في عقد الود بيني وبينها، وفي يوم رمي الجمرات كان اللقاء بيننا محفوفاً بالمخاطر التي تنذر بالقتل

فمَا أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ مَوْقِفي   ومَوْقِفَها وَهْناً بِقَارِعَةِ النَّخْلِ

لست أنسى لقاءنا وهناً، ليلاً، في ذلك الموضع

فَلَمَّا تَواقَفْنَا عَرفْتُ الذي بِها   كَمِثْلِ الذي بي، حَذْوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ

لما وقفنا واحداً بإزاء الآخر وجدت ما عندها من العشق مثل الذي عندي بالضبط، مثلما تطبق الفردة اليمنى من النعل على اليسرى فيتطابقان

فَسَلَّمْتُ واسْتَأْنَسْتُ خيفَةَ أن يَرَى   عَدُوٌّ مَكاني، أو يَرَى كَاشِحٌ فِعْلِي

استأنست بالمكان على وجل، خوف أن يرى عدو مكاني، أو كاشح، مضمر للعداوة، فعلي

فقالتْ، وأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ إنَّمَا   مَعي ـ فَتَحَدَّثْ غيرَ ذي رِقْبَةٍ ـ أَهْلي

أرخت الستر وطمأنتني قائلة: تحدث ولا ترتقب ولا تخف، فالبنات اللائي معي هن من أهلي

فقلتُ لها: مَا بي لَهُمْ مِنْ تَرَقُّبٍ   ولكنَّ سِرِّي ليس يَحْمِلُهُ مِثْلِي

قلت لها: ليس بي خشية أو ترقب من أهلك، ولكن سري عميق، ولا أبوح به حتى أمام فتيات صديقات

فلمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَديثَنا   وهُنَّ طَبِيبَاتٌ بِحَاجَةِ ذي التَّبْلِ

لما كان الحديث مقصوراً علينا كلينا، والفتيات طبيبات، خبيرات، بحاجة ذي التبل، العاشق..

عرفْنَ الذي تَهوَى، فقُلْنَ لها ائْذَني   نَطُفْ سَاعةً في طِيبِ لَيْلٍ وفي سَهْلِ

عرفت الفتيات مبتغاها، فاستأذَنَّ وذهبن ساعة للمشي في جو الليل الطيب

فقالتْ: فلا تَلْبَثْنَ، قُلْنَ: تَحدَّثي   أَتَيْنَاكِ، وانْسَبْنَ انْسِيابَ مَهَا الرَّمْلِ

قالت لهن: لا تتأخرن. فقلن لها: هيا تحدثي إلى حبيبك، وسنأتيك بعد حين. وانسحبن بهدوء كالمها، بقرات الوحش

فقُمْنَ وقد أَفْهمْنَ ذا اللُّبِّ أَنَّمَا   فَعَلْنَ الذي يَفْعَلْنَ في ذَاكَ مِنْ أَجْلي

قد قمن، واللبيب يفهم أنهن ذهبن من أجلي.. عندما سمع الفرزدق هذا البيت صاح وقال: هذا والله الذي أرادته فأخطأته الشعراء، وبكت على الديار

وبَاتَتْ تَمُجُّ المِسْكَ في فِيَّ غَادَةٌ   بَعِيدَةُ مَهوَى القُرْطِ صَامِتَةُ الحِجْلِ

وباتت الحبيبة الجميلة تقبلني وتنفث في فمي من فمها ما يشبه في رائحته المسك، وهي بعيدة مهوى القرط، كناية عن طول عنقها، وصامتة الحجل، أي خلخالها لا يتحرك ولا يصدر صوتاً، لأنها ممتلئة الساق

٣٧ الحدق النجل

وأَقْبَلْنَ يَمْشِينَ الهُوَيْنَا عَشِيَّةً   يُقَتِّلْنَ مَنْ يَرمِينَ بِالحَدَقِ النُّجْلِ

تمشي الفتيات بدلال، ويقتلن الرجال بعيونهن الواسعة

فَسَلَّمْنَ تَسليماً ضَعيفاً، وأَعْيُنٌ   نُحاذِرُها مِنْ أَهْلِهِنَّ ومِنْ أَهْلِي

سلمن علينا بخفوت، وأهلي وأهلهن يراقبون

٣٨ اندفاع

كِدتُ يومَ الرحيلِ أَقْضِي حَياتي   لَيتني مُتُّ قبلَ يومِ الرحيلِ

ولقد قالتِ الحبيبةُ: لولا   كَثْرَةُ الناسِ جُدْتُ بِالتَّقْبيلِ

٣٩ العاشق الأشمط

إنما أَلْوَتْ بِعَقلي   بعدَ حِلْمٍ واكْتِهالِ

ألوت بعقلي، ذهبت به، بعد الحلم، التعقل، والاكتهال، سن الرجولة الناضجة

حينَ لاحَ الشَّيْبُ مِنِّي   في شَواتي وقَذالي

الشواة: جلدة الرأس، والقذال: مؤخر الرأس

أيـهـا الـنـاصِـحُ، قَـبْـلـي فُـتِـنَـتْ شُـمْـطُ الـرجـالِ

أيها الناصح، لقد فُتن قبلي الرجال الشمط، من اختلط بياض شعرهم بسواده

فَـفُـؤادي فـي هَـواهَـا هَـائِـمٌ أُخْـرَى الـلَّـيـالـي

٤٠ إني أخاف المهر أن يصهلا

أرسلتُ لَمَّا عيلَ صبريِ إلى أَسْماءَ، والصَّبُّ بِأَنْ يُرْسِلا

أرسلت لها رسولاً بعد أن نفد صبري، والصب، المحب، بأن يرسلَ.. أي جدير به أن يرسل

ثم دَعَتْ مِنْ عَجَبٍ أُختَها هِنْداً فَقالَتْ: عُمَرٌ أَرْسَلا

يَسُومُني مُعْتَذِراً مَجْلِساً كأنَّهُ يَأْمَنُ أنْ نَبْخَلا

يطلب مني أن أجالسه، وكأنه متأكد بأنني سأرضى

فأَرْسَلَتْ أَرْوَى وقَالَتْ لَها مِنْ قَبْلِ أنْ تَرضَى وأن تَقْبَلا:

أختها الثانية «أروى» تدخلت وبادرت بالقول لأسماء من قبل أن تقرر القبول

فوَاعِديهِ سِدْرَتَيْ مَالِكٍ أو ذا الذي بينَهُما أَسْهَلا

اضربي موعداً معه في ذلك المكان بين شجرتي السدر، أو في المكان الذي بينهما، فذلك أسهل

ولْيَأْتِ إن جَاءَ على بَغْلَةٍ إنِّي أخافُ المُهْرَ أن يَصْهَلا

٤١ قد سألت قليلا

أَرِقْتُ، ولم آرَقْ لِسُقْمٍ أَصَابَني أُرَاقِبُ ليلاً ما يَزولُ طَويلا

أصابني الأرق، لكن ليس لمرض.. وظللت أراقب الليل الطويل الذي يأبى أن يزول

إذا خَفَقَتْ منهُ نُجُومٌ فَحَلَّقَتْ تَبَيَّنْتُ مِنْ تَالي النجومِ رَعِيلا

إذا ارتجفت بعض النجوم وارتفعت وخفتت، رأيت مجموعة أخرى تظهر بعدها

فلمَّا مضتْ مِنْ أولِ الليلِ هَجْعَةٌ وأَيْقَنْتُ مِنْ حِسِّ العُيونِ غُفُولا..

لما مضت هجعة، نومة خفيفة أي مدة قصيرة، من أول الليل، وجاء النوم الحقيقي فأغفت العيون وغفلت عما حولها..

دَخَلْتُ على خوفٍ فَأَرَّقْتُ كاعِباً هَضيمَ الحَشا رَيَّا العِظامِ كَسُولا

دخلت متوجساً وأيقظت فتاة كاعباً، أي برز صدرها، وهي هضيم الحشا، ضامرة البطن، وريا العظام، ممتلئة الخلقة، وكسول، بنت نعمة تنام حتى الضحى

فَهَبَّتْ تُطيعُ الصوتَ نَشْوَى مِنَ الكَرى كَمُغْتَبِقِ الرَّاحِ المُدَامِ شَمُولا

استيقظت على صوتي وهي نشوى، مخدَّرة، من الكرى، النعاس، كمن اغتبق الخمر، شربها مساء

فَعَضَّتْ على الإِبْهامِ منها مَخَافَةً عَليَّ، وقالتْ: قد عَجِلْتَ دُخُولا

عضت على إبهامها خائفة عليَّ من القوم، وقالت: قد عجلت بالمجيء

فهلَّا إذا استَيْقَنْتَ أنَّكَ داخِلٌ دَسَسْتَ إلَيْنَا في الخَلاءِ رَسُولا

أمَا بعثت رسولاً يخبرنا بأنك قادم

فَنُقْصِرُ عنَّا عَيْنَ مَنْ هُوَ كَاشِحٌ وتَأْتِي ولا نَخْشَى عليكَ دَلِيلا

فعندئذ نكف عنا عين العدو المضمر للعداوة، ولا نترك دليلاً على زيارتك

فقُلْتُ: دَعانِي حُبُّكُمْ فَأَجَبْتُهُ إليكِ، فَقَالَتْ: بلْ خُلِقْتَ عَجُولا

فلمَّا أَفَضْنا في الهَوى نَسْتَبِثُّهُ وعَادَ لنا صَعْبُ الحديثِ ذَلُولا

لما أفضنا في الهوى، ومضينا في الحديث نستبثه، نستخرجه ونتبادله، وصار سهلاً علينا أن نتصارح

شَكَوْتُ إليْها ثم أَظْهَرْتُ عَبْرَةً وأَخْفَيْتُ منها في الفُؤَادِ غَليلا

بدرت مني دمعة، وظلت في قلبي حرارة العشق

فقلتُ صِلِي مَنْ قد أَسَرْتِ فُؤادَهُ وعَادَ له فيكِ النَّصُوحُ عَذُولا

قلت لها: أريد وصْلك، فأنا محب ولهان، ولشدة تولهي بك أصبح من كان ينصحني عاذلاً يلومني

فَصَدَّتْ وقَالتْ: مَا تزالُ مُتَيَّماً نَراكَ، وإنْ كنتَ الصَّحِيحَ، قَتيلا

فصدَّت عني، وقالت: يا لك من متيم، جسمك صحيح وقلبك قتيل الحب.. شيء كهذا

صُدُودَ شَمُوسٍ، ثم لانَتْ وقَرَّبَتْ إلَيَّ، وقَالتْ: قد سَأَلْتَ قَليلا

وكان صدودها صدود فتاة شموس، معاندة، لكنها بعد ذلك لانت واقتربت، وقالت: ما طلبته قليل.. كأنها تشجعه على نيل المزيد

لقد حَلِيَتْكَ العينُ أوَّلَ نظرةٍ وأُعطِيتَ مِنِّي يا ابنَ عَمٍّ قَبولا

قد استحلتك العين من النظرة الأولى، ووجدتُ في نفسي قبولاً لك

٤٢ استخبار الطلل

يا صاحِبَيَّ قِفَا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَلا عن بَعضِ مَنْ حَلَّهُ بِالأمْسِ، ما فَعَلا

فقالَ لِي الرَّبْعُ لَمَّا أن وَقَفْتُ بِهِ: إنَّ الخَليطَ أجَدَّ البَيْنَ فاحْتَمَلا

قال لي منزل القوم الخرب: إن الخليط، أي القوم، جددوا فراقاً ورحلوا

٤٣ لا تحلفي

جُنَّ قَلبي، فقلتُ: يا قلبُ مَهْلا لا تَبَدَّلْ بالحِلْمِ والعَزْمِ جَهْلا

جُنَّ قلبي بحبها، فقلت له لا تتهور بعد أن كنت ذا حلم وعزيمة

حَلَفَتْ أنَّ مَا أتَاها يَقِينٌ، قلتُ: لا تَحْلِفِي فَدَيْتُكِ كَلَّا

تحلف لي أن ما بلغها عن معاشرتي لغيرها يقين، فقلت لا تحلفي..

لا أَخُونُ الخَليلَ ما عِشْتُ حتَّى يُنْقَلَ البحرُ بِالغَرابِيلِ نَقْلا

لا أخون الصديق حتى يكون مستطاعاً نقل البحر بالغرابيل

٤٤ أنتِ أَشغالي

أنتِ كنتِ الهوى، ورؤْيَتُكِ الخُلْـ ـدَ، وكنتِ الحديثَ والأشْغَالا

حُلْتِ دونَ الفُؤَادِ، والْتَذَّكِ القَلْـ ـبُ، وخَلَّى لَكِ النِّسَاءُ الوِصَالا

أغلقتُ فؤادي فلم يعد يتقبل غيرك من النساء، وتركَت النساء وصالي،
فهو لك أنت وحدك

أيُّها العَاذِلِي أقِلَّ عِتابي لم أُطِعْ في وِصَالِها العُذَّالا

٤٥ حديث الطلل

سَائِلا الرَّبْعَ «بِالبُلَيِّ» وقُولا: هِجْتَ شَوقاً لنا الغَدَاةَ طَويلا

يريد من صاحبيه أن يخبرا الطلل في ذلك الموضع بأنه أهاج القلب
وأشعل نار الشوق

أيْنَ حَيٌّ حَلُّوكَ إذْ أنتَ مَحْفُو فٌ بِهِمْ آهِلٌ أراكَ جَمِيلا؟

أين من كانوا ينزلون بك أيها المكان الخالي، وكانوا يحفون بجوانبك؟

قالَ: سَارُوا بِأَجْمَعٍ فاسْتَقَلُّوا، وبِكُرْهِي لو اسْتَطَعْتُ سَبِيلا

قال ـ وفي هذه المرة استطاع الطلل أن يتكلم ـ إنهم ركبوا جميعاً ورحلوا، وهو كاره رحيلهم،
ولو استطاع لمنعهم من الرحيل

٤٦ مبيت عند الحبيبة

بِــتُّ فــي نِـعْـمَــةٍ وبَـاتَــتَ وِسَــادي ثِـنْـيَ كَــفٌّ حَــدِيـثَــةٍ بِـخِـضَــابِ

بتُّ سعيداً وباتت المحبوبة وسادة لي، يبدو أنه كان يسند رأسه إلى عضدها، وكان يرى كفها مثنية نحوه ويرى ما بهذه الكف من حناء وضعت حديثاً

ثم قُمْنا لمَّا تَجَلَّى لنا الصُّبْـ ـحُ نُـعَـفِّـي آثَـارَنـا بِـالـتُّـرابِ

وفي الصباح قاما يعفّيان، أي يزيلان، آثار الخطى بمسح التراب

٤٧ المحتالة والفتاة

قــد بَـعَـثْـنَـا طَـبَّـةً مُـحْـتَـالَـةً تَـمْزِجُ الـجِـدَّ مِـراراً بِـالـلَّـعِـبْ

بعث إلى فتاته امرأة طبَّةً، خبيرة، محتالة، تخلط في كلامها الجد بالمزاح

تَـرفـعُ الـصـوتَ إذا لاَنَـتْ لَـهـا وتَـرَاخَـى عـنـدَ سَـوْرَاتِ الـغَـضَـبْ

فإذا وجدت الفتاةَ قد لانت رفعت صوتها وهي تقنعها بالوصال، فإذا غضبت الفتاة خفضت المرأة المحتالة صوتها ولانت في كلامها

وَهْـيَ إذْ ذَاكَ عـلـيْـهـا مِـئْـزَرٌ ولَـهـا بَـيْـتُ جَـوَارٍ مِـنْ لُـعَـبْ

والفتاة عليها مئزر، ثوب منزل كالتنورة، وهي صغيرة تلعب بلعبها

لـم تَـزَلْ تَـصْـرِفُـهـا عَـنْ رَأْيِـهـا وتَـأَنَّـاهـا بِـرِفْـقٍ وأَدَبْ

والمحتالة تتأنّاها، أي تتحايل عليها باللطف، كي تغير لها رأيها

٤٨ بين عرفات والجمرات

صــادَ قــلـبِـي الـيـومَ ظَـبْـيٌ مُـقْـبِـلٌ مِـنْ عَـرَفَـاتِ

فـي ظِـبَـاءٍ تَـتَـهَـادَى عَـامِـداً لِـلْـجَـمَـراتِ

وعَـلَـيْـهِ الـخَـزُّ والـقَـزُّ وَوَشْـيُ الـحِـبَـراتِ

الخز والقز: نوعان من الحرير، والحبرات الموشاة: ثياب مزينة يقول محمد محيي الدين عبد الحميد إنها تجلب من اليمن

إنَّـنِـي لَـسْـتُ بِـنَـاسٍ ذَلِـكَ الـظَّـبْـيَ حَـيَـاتِـي

٤٩ لم أعدل به أحدا

أَلْمِمْ بِزينَبَ إنَّ البَيْنَ قد أَفِدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غَدا

ألمم بزينب، زُرْها، فقد اقترب الفراق، ولأن الرحيل سيكون غداً فقد أصبح الثواء، الإقامة، قليلاً

لَعَمْرُها ما أَرَانيِ إنْ نَوىً نَزَحَتْ ودَامَ ذَا الحُبُّ إلّا قَاتِلي كَمَدَا

إن رحلت وظل حبها في قلبي فسوف أموت حسرةً

قد حَلَفَتْ لَيلَةَ «الصَّوْرَيْنِ» جاهِدَةً، ومَا على المرءِ إلَّا الصَّبْرُ مُجْتَهِدَا . .

حلفتْ في تلك الليلة في ذلك المكان . .

لِتِرْبِها ولِأُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِها لقد وَجَدْتُ بِهِ فوقَ الذي وَجَدَا

حلفت لصديقتها ولفتاة أخرى من مناصفها، وصيفاتها، بأنها عانت من الشوق أكثر مما عانيت أنا

لو جُمِّعَ الناسُ ثم اخْتيرَ صَفْوَتُهُمْ شَخْصاً مِنَ النَّاسِ لم أَعْدِلْ بِهِ أَحَدَا

وقالت لهما: إنها لا تعدل بي أحداً من بين كل الناس

٥٠ لا صبر لي

ولقد قُلْتُ إذْ تَطَاوَلَ هَجْرِي: رَبِّ لا صَبْرَ لي على هَجْرِ هِنْدِ

رَبِّ حَمَّلْتَني مِنَ الحُبِّ ثِقْلاً رَبِّ لا صَبْرَ لِي، ولا عَزْمَ عِنْدي

لَيسَ حُبِّي لَها بِبِدْعَةِ أَمْرٍ قد أَحَبَّ الرجالُ قَبلِي وبَعدِي

٥١ حب تحت المطر

فلستُ بِنَاسٍ لَيْلَةَ الدارِ مَجلساً لِزَيْنَبَ حتَّى يَعْلُوَ الرأْسَ رَامِسُ

لن أنسى ذلك المجلس مع زينب حتى يعلو رأسي الرامس، والرمس هو القبر ولعل الرامس مثله

فما نِلْتُ منْها مَحْرَماً غَيْرَ أَنَّنا كِلانا مِنَ الثوبِ المُوَرَّدِ لابِسُ

لم أنل منها ما يحرم الدين، لكننا كنا كلانا لابسين ثوباً واحداً ـ وبالأمارة كان مورَّداً ـ. وعلق صديقه عتيق على هذا البيت: فأي محرم بقي؟ فأخبره عمر بأن السماء أمطرت فأمر غلمانه فستروهما بكساء خز. فقال عتيق: هذا البيت يحتاج إلى حاضنة

٥٢ آخر الشعر

قيل إن عمر حلف في شيخوخته لا يقول بيتاً إلا أعتق عبداً.
فسمع شكوى محبٍّ فهاج شوقه، فقال هذه الأبيات، ثم أعتق عبداً لكل بيت:

تـقـولُ وَلـيـدَتـي لَـمَّـا رَأَتْـنـي   طَرِبْتُ، وكنتُ قد أَقْصَرْتُ حينَا:

رأتني ابنتي، أو جاريتي، وقد اهتززت طرباً واشتياقاً وحسرة ـ والطرب يجمع كل هذه المعاني ـ، وكنتُ منذ زمن قد كففت عن الغزل

أراكَ الـيـومَ قـد أحْـدَثْـتَ شَـوْقـاً   وعـادَ لَـكَ الـهـوى دَاءً دَفـيـنـا

فـقـلـتُ شَـكـا إلَـيَّ أخٌ مُـحِـبٌّ   كَـبـعـضِ زَمـانِـنـا إذْ تَـعْـلَـمـيـنـا

فـقَـصَّ عَـلَـيَّ مـا يَـلْـقـى بِـهِـنْـدٍ   فَـوافَـقَ بـعـضَ مـا قـد تَـعْـرِفـيـنـا

وذو الـقـلـبِ الـمُـصَـابِ ولـو تَـعَـزَّى   مَـشُـوقٌ حـيـنَ يَـلـقـى الـعَـاشِـقـيـنـا

٥٣ دعوة لسهرة

قـالـتْ لِـنـائِـلَـةَ: اذْهَـبي قـولـي لَـهُ   إنْ كـانَ أَجْـمَـعَ رِحْـلَـةً أَصْـحَـابُـهُ

قالت المحبوبة لنائلة: قولي لعمر أن يتأخر ولا يرحل مع أصحابه إن قرروا رحيلاً

فَـلْـيَـبْـقَ بَـعـدَهُـمُ لَـدَيْـنـا لَـيـلَـةً   فَـلَـهُ عَـلَـيَّ بِـأَنْ يُـجَـادَ ثَـوابُـهُ

ليبق بعدهم ليلة عندي، وله عليَّ أن أكون سخية في مكافأته

قُلْتُ اذْهَبي قُولي لها: قد طَالَ مَا   حُبِسَتْ لَدَيْكِ على الكَلالِ رِكَابُهُ

قلت لنائلة، قولي للمحبوبة: كثيراً ما وقف ببابك وحبس نياقه رغم الكلال، أي التعب

بِـتْـنَـا بِـأَنـعَـمِ لَـيـلَـةٍ وأَلَـذِّهَـا   للنَّفْسِ، ما سَتَرَ الصَّبَاحَ حِجَابُهُ

بتنا بليلة لذيذة استمرت ما ظل الصباح محجوباً بالظلمة

٥٤ الزمن المتقلب

خَلِيلَيَّ عُوجَا، حَيِّيَا اليومَ زَيْنَبَا   ولا تَـتْـرُكـانـي صَـاحِـبَـيَّ وتَـذْهَـبَـا

يا صاحبيَّ عوجا، ميلا عن الطريق، لكي نحيي أطلال زينب، ولا تتركاني وحدي

فلا مَـرحَـباً بـالـشَّـامِـتـيـنَ بِـهَـجْـرِنـا   ولا زَمَـنٍ أَضْـحَـى بِـنَـا قـد تَـقَـلَّـبَـا

٥٥ تراجع سريع

أَصْبَحَ القَلبُ قد صَحَا وأَنَابَا هَجَرَ اللَّهْوَ والصِّبَا والرَّبَابَا

أناب: رجع وتاب، الصِّبا: العشق

كنتُ أَهْوَى وِصَالَها فَتَجَنَّتْ ذَنْبَ غَيرِي فَما تَمَلُّ العِتَابا

ألصقتْ بي ذنب غيري وتجنَّت عليَّ، وأكثرت من العتاب

فَتَعزَّيْتُ عن هَواهَا لِرُشْدِي حينَ لاحَ القَذَالُ مِنِّي فَشَابا

فطيبت نفسي عن تركي هواها، وقد بان في قذالي، أي مؤخر رأسي، الشيب

بَعَثَتْ لِلوِصَالِ نَحْوِي وقَالَتْ: إنَّ للهِ دَرَّهُ كيفَ تَابا

هي بعثت لي تريد إحياء الهوى متعجبة من توبتي

إنْ لَمَ اصْرِفْهُ للَّذي قد هَوَيْنَا عنْ هَوَاهُ فَلا أَسَغْتُ الشَّرَابا

وحلفتْ ألا تلذ شربةَ ماء إن لم تنجح في مسعاها

فأَتَاها لِلْحَيْنِ يَغْدُو سَرِيعاً وعَصَى في هَوى الرَّبَابِ الصِّحَابَا

بسرعة أجابها عمر للحين، للموت.. أي أجابها لما فيه موته عشقاً، وعصى في هواها الناصحين من أصحابه

كنتُ أَعصِي النَّصِيحَ فيكِ مِنَ الوَجْـ ـدِ وأَنْهَى الخَليلَ أن يَرْتَابا

لشدة وجدي وشغفي بك كنت أعصي الناصح، وأنهى الصديق أن يشكك في جدوى هذه العلاقة

فابْتُلِيتُ الغَدَاةَ منهُ بِشَيْءٍ سَلَّ جِسْمِي وعُدْتُ شيئاً عُجَابَا

واليوم ابتليت من الوجد بشغف مضاعف سل جسمي وبراه برياً، وجعلني أعجوبة

٥٦ لا تلمني عتيق

لا تَلُمْنِي «عَتيقُ»، حَسْبِي الذي بِي والْتَمِسْ لِي الدَّواءَ عندَ الطَّبيبِ

إن قَلبِي ما زالَ مِنْ أمِّ عَمْرٍو ضَمِناً بعدَ لَيلَةِ التَّحْصِيبِ

ما زال قلبي ضمناً، سقيماً، من ذلك اللقاء مع أم عمرو بعد ليلة رمي الجمار

٥٧ الصلح مع «الثريا»

قالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ ما بِي: أَتُحِبُّ القَتولَ أُخْتَ الرَّبَابِ

قلتُ وَجْدي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالعَذْ ... بِ، إذا ما مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرابِ

حبي لها كحبك الماء بعد إذ مُنِعتَ منه

مَنْ رَسُولي إلى «الثُّرَيَّا»؟ فَإِنِّي ... ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِها والكِتَابِ

من يسعى في الصلح بيني وبين الثريا؟ فقد ضقت ذرعاً بالهجر وكتاب الله. هذا معنى البيت. . وتكملة القصة أن ابن أبي عتيق ركب من فوره ليصلح بين الثريا وبين عمر، وأخذ عمرَ معه إلى الطائف حيث تقضي الثريا الصيف، وأصلح بينهما

أَزْهَقَتْ أمُّ نَوْفَلٍ إذ دَعَتْهَا ... مُهْجَتي، مَا لِقَاتِلي مِنْ مَتَابِ

أم نوفل، وصيفة الثريا أو قريبتها، أزهقت روحي عندما نادت الثريا؛ وليس لقاتلي توبة

حينَ قَالَتْ لها أَجيبي، فقالَتْ: ... مَنْ دَعاني؟ قَالَتْ: أَبو الخَطَّابِ

قالت لها إن عمر، وكنيته أبو الخطاب، ينتظرك

فَأَجَابَتْ عندَ الدُّعَاءِ كما لَبَّـ ... ـى رِجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ

لبت الثريا الدعوة، وجاءت مسرعة، مثلما يلبي دعوة ربهم رجال يرجون حسن الثواب بقصد بيت الله الحرام

وَهْيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ منها ... في أَديمِ الخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبابِ

هي مكنونة، مخدرة ومخبأة في البيت لا تظهر للشمس، وفي أديم خديها، أي جلدها نضارة الشباب

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ المَهَاةِ تَهَادَى ... بينَ خَمْسٍ كَواعِبٍ أَتْرَابِ

كانت كبقرة الوحش تتهادى بين أترابها الكواعب، الفتيات اللائي نهدت صدورهن

دُمْيَةً عندَ رَاهِبٍ ذي اجْتِهَاد ... صَوَّرُوها في جَانِبِ المِحْرَابِ

هي كتمثال في صومعة راهب مجتهد في العبادة

ثم قالوا: تُحِبُّها؟ قلتُ بَهْراً: ... عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرابِ

قالوا لي: أتحبها؟ فقلت مبهوراً، أي بعد أن تنهَّدتُ وأصابني البهر أي انقطاع النفَس: أحبها عدد النجوم وعدد الحصى وحبات الرمل

٥٨ المهريق ماءه

إن تبْذُلي ليَ نَائلاً يَشْفَى بِهِ ... سُقْمُ الفُؤادِ. فقد أَطَلْتِ عَذابي

هلَّا بذلت لي من وصلك ما يشفي فؤادي؟ فلقد أطلتِ عذابي بالهجر

وعَصَيْتُ فيكِ أَقَارِبي فَتَقَطَّعَتْ   بيني وبيْنَهُمْ عُرَى الأَسْبابِ
وعصيت أقاربي الذي نصحوني بالابتعاد عنك، وتقطعت العلاقات بيني وبينهم. والأسباب في الأصل هي الحبال

وتَرَكْتِني لا بِالوِصَالِ مُمَتَّعاً   يوماً، ولا أَسعَفْتِني بِثَوابِ
لم أنل منك شيئاً. لا نلت وصالك، ولا أبقيت على علاقاتي مع أقاربي. كذا أراد أن يقول فالتوى عليه الكلام، وكثيراً ما يلتوي، فقد كان عمر شاعراً مسترخياً يقول الأبيات كيفما اتفق، فيتلقفها أصحابه وينشرونها وهي أحوج ما تكون إلى التنقيح

فقَعَدْتُ كَالمُهَرِيقِ فَضْلَةَ مَائِهِ   في حَرِّ هَاجِرَةٍ لِلَمْعِ سَرابِ
أصبحت كمن أراق بقية الماء من قربته في حر الظهيرة عندما رأى سراباً فحسبه ماء

٥٩ العجب العاجب

ولو سَلَكَ الناسُ في جانبٍ   مِنَ الأرضِ واعتَزلَتْ جَانبا
لأتْبَعْتُ طِيَّتَها، إنَّني   أرَى دونَها العَجَبَ العَاجِبا
لتبعتها وتوجهت إلى جهتها، فهي تعجبني جداً

٦٠ قبِّليني

أُحِبُّ لِحُبِّ عَبْلَةَ كُلَّ صِهْرٍ   عَلِمْتُ بهِ لِعَبْلَةَ أو صَدِيقِ
ولَولا أنْ تُعَنِّفَني قُرَيْشٌ   وقَوْلُ الناصِحِ الأدْنَى الشَّفِيقِ
لَقُلْتُ إذا التَقَيْنا: قَبِّلِيني،   ولو كُنَّا على ظَهْرِ الطَّرِيقِ

٦١ فقُلن: اسكُتي

فلما التقيْنَا واطْمَأَنَّتْ بنا النَّوَى   وغُيِّبَ عنَّا مَنْ نَخَافُ ونُشْفِقُ..
لما التقينا وانتهى البعاد، ولم يكن في الجوار من نخاف منه..

أَخَذْتُ بِكَفِّي كفَّها فوضَعْتُها   على كَبِدٍ مِنْ خَشْيَةِ البَيْنِ تَخْفِقُ
أخذت كفها ووضعتها على كبدي التي تخفق خشية فراق جديد

فقالتْ لأتْرابٍ لها حينَ أَيْقَنَتْ   بما قد أُلاقي إنَّ ذا ليسَ يَصْدُقُ
تقول لصاحباتها ـ رغم أنها تأكدت من مبلغ حبي ـ إن الرجل ليس صادقاً

فقُلْنَ: أَتَبْكي عينُ مَنْ ليس مُوجَعاً   كَئِيباً ومَنْ هُوَ سَاهِرُ اللَّيْلِ يَأْرَقُ؟
فقلن لها: أويبكي من ليس موجع القلب، ومن هو ساهر عشقاً؟

فَقُمْنَ لِكَيْ يُخْلِينَنا، فَتَرَقْرَقَتْ مَدامِعُ عينيها، فَظَلَّتْ تَدَفَّقُ

قامت صاحباتها يردن أن يتركن لنا الجو، فبكت المحبوبة..

وقالتْ: أَما تَرحَمْنَني أَنْ تَدَعْنَني لَدَيْهِ، وَهُوَ فيما عَلِمْتُنَّ أَخْرَقُ

قالت لهنَّ: كيف تتركنني لديه وهو أخرق متهور؟

فقُلْنَ: اسْكُتي عَنَّا فَغَيْرُ مُطاعَةٍ لَهُوَ بِكِ مِنَّا، فَاعْلَمي ذَاكَ، أَرْفَقُ

قلن لها: اسكتي. لن نطيعك. هو أرفق بك منَّا

فقَالَتْ: فلا تَبْرَحْنَ ذا السِّتْرَ، إِنَّني أَخافُ ورَبِّ النَّاسِ منهُ وأَفْرَقُ

فقالت لهن: لا تبتعدن عن الستر فأنا أفْرَقُ منه، أي أخاف

٦٢ تحويل طريق

جعلتُ طَريقي على بَابِكُمْ وما كان بَابُكُمْ لي طَريقا

صَرَمْتُ الأَقَارِبَ مِنْ أَجْلِكُمْ وصَافَيْتُ مَنْ لم يكنْ لي صَدِيقا

صرمتُ: قاطعتُ، صافيتُ: هادنْتُ وصادقت

٦٣ حدثَ في الطواف

أَدْخَلَ اللّهُ ربُّ مُوسى وعيسى جنةَ الخُلْدِ مَنْ مَلاني خَلُوقَا

أدخل الله الجنة من ملأني خَلوقاً، أي طيباً

مَسَحَتْهُ مِنْ كَفِّهَا بِقَميصي حينَ طَافَتْ بِالبَيْتِ مَسْحاً رَفيقَا

غَضِبَتْ أنْ نَظَرْتُ نحوَ نِساءٍ ليس يَعْرِفْنَنا مَرَرْنَ الطَّريقَا

وأرى بينَها وبينَ نِسَاءٍ كنتُ أَهْذي بِهِنَّ بَوْناً سَحيقَا

ما أبعد الفرق بينها وبين غيرها من النساء

٦٤ بانوا بنُعم

بَانُوا بِنُعْم، فَلَسْتُ نَاسِيَها ما اهْتَزَّ في غُصْنِ أَيْكَةٍ وَرَقُ

رحلوا ومعهم نعم، ولن أنساها أبداً، ما اهتز الورق في غصن الأيكة، أي الشجرة

اَلظَّبْيُ فيهِ مِنْ خَلْقِها شَبَهٌ: النَّحْرُ والمُقْلَتانِ والعُنُقُ

٦٥ العين الناطقة

تَكادُ غَداةَ البَيْنِ تَنْطِقُ عينُه بِعَبْرَتِهِ، لو كانتِ العينُ تَنطِقُ

٦٦ يا حِبْني لهم

ليتَ شِعري، غَداةَ بَانُوا وفِيهِمْ صُورةُ الشمسِ، أينَ يُرْجَى التَّلاقي؟

لست أدري، صبيحة رحيلهم ومعهم المحبوبة التي هي كالشمس، كيف يكون التلاقي من بَعد

إن قلبي لَفيكُمُ اليومَ رَهْنٌ لِشَقائي، وحُبَّ أَهْلِ العِراقِ!

حُبَّ: أي يا حبي لأهل العراق! هكذا ضبطها وفسرها محيي الدين عبد الحميد. ويقولون في عاميتهم «يا حِبْني له» أي ما أحبه إلى قلبي!

٦٧ الوثيرات

أَسِيلَاتُ أَبْدَانٍ دِقَاقٌ خُصُورُها وَثِيراتُ مَا الْتَفَّتْ عليهِ المَلاحِفُ

نساء طوال الجسوم، خصورهن نحيلة، ولكن عجيزاتهن، حيث يلففن الملاءات، وثيرة سمينة

إذا قُمْنَ أو حَاوَلْنَ مَشياً تَأَطُّراً إلى حاجةٍ مَالَتْ بِهِنَّ الرَّوَادِفُ

إن قمن لبعض حاجاتهن، أو إن أردن المشي تأطراً، أي تثنياً، مالت أجسامهن بفعل ثقل الأرداف

٦٨ الباكي

تَأَوَّبَ عَينَهُ وَهْناً قَذاها ودَاوَاها الطَّبيبُ فما شَفَاها

عاد إلى عينه القذى وهناً، ليلاً، لكثرة ما بكى

٦٩ ربة البغلة

يا رَبَّةَ البَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هل لَكُمُ أنْ تَرْحَمي عُمَراً، لا تُرْهِقي حَرَجا

يا صاحبة البغلة البيضاء ارحميني، ولا ترهقي رجلاً هيَّاباً، يراقب شتى المحاذير

قالتْ بِدائِكَ مُتْ، أو عِشْ تُعَالِجُهُ فما نَرى لَكَ فيما عِندنا فَرَجا

حتى لو اَسْطيعُ، ممَّا قد فَعَلْتَ بِنا، أَكَلْتُ لَحْمَكَ مِنْ غيْظي، ومَا نَضِجَا

لو أستطيع لأكلت لحمك نيْئاً لأنك فضحتني بشعرك

٧٠ رسول شموس

بَـعَـثْـتُ وَلـيـدَتـي سَـحَـراً   وقُـلْـتُ لَـهـا : خُـذي حَـذَرَكْ

وليدته: جاريته

وقُـولـي فـي مُـعـاتَـبَـةٍ   لِـزَيْـنَـبَ نَـوّلـي عُـمَـرَكْ

فَـهَـزَّتْ رأْسَـهـا عَـجَـبـاً   وقـالـتْ: مَـنْ بِـذا أَمَـرَكْ

زينب تخاطب الجارية: من أمرك بهذا؟

أَهَـذا سِـحْـرُكَ الـنِّـسْـوا   نَ؟ قـد خَـبَّـرْنَـنـي خَـبَـرَكْ

وقُـلْـنَ إذا قَـضَـى وَطَـراً   وأَدْرَكَ حـاجَـةً هَـجَـرَكْ

٧١ كوجد الجن والإنس

إن الـخَـلـيـطَ تَـصَـدَّعُـوا أَمْـسِ   وتَـصَـدَّعَـتْ لِـفِـراقِـهِـمْ نَـفْـسـي

الخليط، أي الجيران، تصدعوا، أي تفرقوا، ورحلوا أمس، وتصدعت، أي تحطمت، نفسي بفراقهم

ووَجَـدْتُ وَجْـداً كـان أَهْـوَنُـهُ   كـأَشَـدِّ وَجْـدِ الـجِـنِّ والإِنْـسِ

وجدت، أي حزنت كثيراً

وتَـبِـيـتُ عُـوَّادي وقـد يَـئِـسُـوا   مِـنّـي، وأُصْـبِـحُ مِـثْـلَـمـا أُمْـسـي

زواري يشعرون باليأس من حياتي

٧٢ العاشقة

ومـحَـدِّثٍ قـد بـاتَ يُـؤْنِـسُـنـي   رَخْـصِ الـبَـنانِ، مُـهَـفْـهَـفِ الـخَـصْـرِ

رب محدثة آنستني وهي رخصة البنان، طرية الأصابع، مهفهفة الخصر، نحيلته

ويُـذيـقُـنـي مـنـهُ عـلـى وَجَـلٍ   عَـذْبـاً كَـطَـعْـمِ سُـلافَـةِ الـخَـمْـرِ

وهي تذيقني ريقها الذي طعمه كالخمر

فـي لـيـلـةٍ كـانـتْ مُـبـاركـةً   ظَـلَّـتْ عَـلَـيَّ كـلـيـلـةِ الـقَـدْرِ

حـتـى إذا مـا الـصُّـبْـحُ آذَنَـنـا   وبَـدَتْ سَـواطِـعُ مِـنْ سَـنَـا الـفَـجْـرِ

جَـعَـلَـتْ تُـحَـدِّرُ مـاءَ مُـقْـلَـتِـهـا   وتَـقُـولُ: مـا لـي عـنـكَ مِـنْ صَـبْـرِ

٧٣ عذوبة الريق

ولو تَفَلَتْ في البحرِ، والبحرُ مَالِحٌ لأَصبحَ ماءُ البحرِ مِنْ ريقِها عَذْبا

٧٤ لولاكَ لم أحجج

أَوْمَتْ بِعينيها مِنَ الهَوْدَجِ لولاكَ هذا العامَ لم أَحْجُجِ

أومأت إلي بعينيها وهي في هودجها، وقالت: لولا أنت لم آت إلى مكة للحج

أنتَ إلى مَكَّةَ أخرجْتَني ولو تركْتَ الحجَّ لم أخْرُجِ

٧٥ موقف وقُبلة

لمَّا تَعَاظَمَ أمرُ وَجْدي في الهَوى وكَلِفْتُ شَوْقاً بِالغَزالِ الأدْعَجِ

لما كبر غرامي وشوقي للغزال ذي العينين الواسعتين

فَوَضَعْتُ كَفِّي عندَ مَقْطَعِ خَصْرِها فتَنَفَّسَتْ نَفَساً فلم تَتَلَهَّجِ

لم ترتبك، وإن أخذتْ نفَساً عميقاً، إذ لمستُ خصرها

فلَزِمْتُها فَلَثِمْتُها فَتَفَزَّعَتْ مِنِّي وقالتْ: مَنْ؟ فلمْ أتَلَجْلَجِ

ضممتها وقبلتها، فعندئذ جفلت. ولكنني لم أتردد

قالتْ وعَيْشِ أبي وحرمةِ إِخْوَتي لأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إن لم تَخْرُجِ

فخَرَجْتُ خوفَ يمينِها، فتَبَسَّمَتْ فعلِمْتُ أن يَمينَها لم تَحرَجِ

خشي من غضبتها فخرج، فابتسمت، فعلم أن يمينها لم تحرج، أي كانت مجرد لغو

فتَنَاولتْ رَأسِي لِتَعْلَمَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ

أمسكت برأسه ـ ها هي تريد تقبيله بنفسها ـ وكفها مخضبة عند البنان وناعمة

فلثِمْتُ فَاها آخِذاً بِقُرُونِها شُرْبَ النَّزيفِ بِبَرْدِ ماءِ «الحَشْرَجِ»

أمسك بقرونها، أي بجانبي رأسها، وقبلها وذاق ريقها بشغف مثلما يمتص النزيف، العطشان، ماء ذلك النبع

٧٦ ضرورة العشق

إذا أنتَ لم تعشَقْ ولم تَدْرِ مَا الهوى فكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدا

٧٧ في الصحراء

ونَاهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ قلتُ لها: اتَّكي   على الرَّمْلِ مِنْ جَبَّانَةٍ لم تُوَسَّدِ

رب فتاة قلت لها اتكئي على الرمل في جبانة، أي صحراء، لم يسبق لأحد أن توسَّدها.. كذا فهمت المعنى

فقالتْ على اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ   وإن كنتَ قد كَلَّفْتَ ما لم أُعَوَّدِ

فأطاعتني، قائلة إنها تتكلَّف فعل شيء لم تعتد عليه

فما زِلْتُ في ليلٍ طويلٍ مُلَثِّماً   لَذيذَ رُضَابِ المِسْكِ كَالمُتَشَهِّدِ

ظللت ليلي ملثِّماً، أي مقبِّلاً، فمها راشفاً ريقها الذي كالمسك المشوب بالعسل

فلمَّا دَنَا الإصباحُ قالتْ: فَضَحْتَني   فَقُمْ غيرَ مَطْرودٍ، وإنْ شِئْتَ فَازْدَدِ

فقامَتْ تُعَفِّي بِالرِّدَاءِ مَكانَها   وتَطْلُبُ شَذْراً مِنْ جُمَانٍ مُبَدَّدِ

جعلت تعفي بالرداء، تمسح بالثوب الأثر، وتبحث عن حبات لؤلؤ تبددت عندما انتثر عقدها

٧٨ عليها جسم!

أَبَتِ الرَّوَادِفُ والثُّدِيُّ لِقُمْصِها   مَسَّ البُطُونِ، وأنْ تَمَسَّ ظُهُورا

لكبر أردافها وثدييها فقميصها لا يمس البطن ولا الظهر. أعملْ خيالك ولا تُلجئني إلى مزيد من الشرح

وإذا الرياحُ مَعَ العَشِيِّ تَناوَحَتْ   نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وهِجْنَ غَيُورا

فإذا هبت الريح مساء وصدر منها صوت كالنواح، التصق القميص بجسمها فبدت فتنته كاملة فتنبهت الحاسدة واهتاج الزوج أو الأخ الغيور

٧٩ ليته تزوج عشرا

خَبَّرُوها بِأَنَّني قد تزوَّجْـ   ـتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الغَيْظَ سِرَّا

ثم قالتْ لأُخْتِها ولأُخْرَى   جَزَعاً: ليتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرَا

وأَشَارَتْ إلى نِسَاءٍ لديْها   لا تَرى دُونَهُنَّ للسِّرِّ سِتْرَا:

ما لِقَلْبي كَأَنَّه ليس مِنِّي   وعِظَامي إِخَالُ فيهِنَّ فَتْرا

مِنْ حَديثٍ نَمَى إِليَّ فَظيعٍ   خِلْتُ في القلبِ مِنْ تَلَظِّيهِ جَمْرا

من حديث فظيع نمى إليَّ، أي بلغني، جعل القلب يلتهب ويتلظى

٨٠ الترقيع

رَأَيْنَ الغَواني الشَّيْبَ لاحَ بِمَفْرِقي فَأَعْرَضْنَ عنِّي بِالخُدودِ النَّواضِرِ

رأت الفتيات الشيب قد بدا وسط رأسي فأعرضن عني، وأشَحْن بخدودهن النضرة

وكُنَّ إذا أَبْصَرْنَني أو سَمِعْنَني سَعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الكُوَى بِالمَحَاجِرِ

وفي الماضي كن عندما يرينني أو يسمعنني، يلصقن أعينهن بثقوب الخيمة لرؤيتي، فكأنهن يرقِّعن الثقوب بعيونهن

٨١ ألست تبصر من حولي؟

قالتْ وأَبْثَثْتُها سِرِّي وبُحْتُ به قد كنتَ عِندي تُحِبُّ السِّتْرَ، فاسْتَتِرِ

خبرتها بمكنون عواطفي تجاهها، فقالت: كنت فيما مضى كتوماً! فاستتر الآن

أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلي؟ فقلتُ لها: غَطَّى هَواكِ، وما أَلْقَى، على بَصَري

ألا ترى الناس حولي؟ فأجبتها: لقد غطَّى حبكِ، وغطى ما ألاقيه من الألم، على بصري فلم أر هؤلاء القوم حولنا

٨٢ منتهى الحبور

لَعَمْري لقد نِلْتُ الذي كنتُ أَرْتَجي وأَصبحتُ لا أَخْشى الذي كنتُ أَحْذَرُ

فليس كَمِثلِي اليومَ كِسرَى وهُرْمُزٌ ولا المَلِكُ النُّعْمَانُ مِثلي وقَيْصَرُ

٨٣ يا عمَّتا

تقولُ: يا عَمَّتَا كُفِّي جَوانِبَهُ، وَيْلي بُلِيتُ وأَبْلَى جِيدِيَ الشَّعَرُ

البنت تقول للماشطة: أبعدي جوانب شعري عن وجهي وعنقي، قد ابتليت بهذا الشعر. كذابة، هي به مفتخرة

مِثْلُ الأَسَاوِدِ قد أَعْيَا مَوَاشِطَهُ تَضِلُّ فيهِ مَدارِيهَا وتَنْكَسِرُ

شعرها مثل الأساود، الحيَّات، يُتعب الماشطات، وتتوه فيه المداري، الأمشاط، وتتكسر لجثولته وكثافته

٨٤ كتب القتل والقتال علينا

إنَّ مِنْ أَعْظَمِ الكَبائِرِ عِندي قَتْلَ حَسْناءَ غَادَةٍ عُطْبُولِ

من الفظائع قتل حسناء عطبول، طويلة العنق

قُتِلَتْ بَاطِلاً على غيرِ ذَنْبٍ   إن لـلـهِ دَرَّهَا مِنْ قَتيلِ
كُتِبَ القَتْلُ والقِتالُ علَيْنا   وعلى الغَانِياتِ جَرُّ الذُّيولِ

القتل والقتال للرجال؛ والنساء عليهن فقط جر ذيول ملابسهن لفتنة الرجال. تقول القصة إن الوالي قتل عمرة بنت النعمان لأنها دعت بالنبوة للمختار الثقفي، فقال عمر الأبيات

٨٥ يا ذا الذي

يا ذا الذي في الحبِّ يَلحَى أمَا   تَخشَى عِقَابَ اللَّهِ فينا أمَا..

يلحى: يلوم ويؤنب

تَعْلَمُ أنَّ الحُبَّ دَاءٌ أمَا   واللَّهِ لو حُمِّلْتَ مِنْهُ كَما..
حُمِّلْتُ مِنْ حُبِّ حبيبي لَمَا   لُمْتَ على الحُبِّ فَدَعْني وَمَا..
أَطْلُبُ، إنِّي لَسْتُ أدْري بِمَا   أُصِبْتُ، إلَّا أنَّني بيْنَما..
أنا بِبابِ القَصْرِ في بعضِ مَا   أَطْلُبُ مِنْ قَصْرِهِمُ إذْ رَمَى..
شِبْهُ غَزالٍ بِسِهَامٍ فَمَا   أَخْطَأَ سَهْمَاهُ ولكِنَّمَا..
عيْناهُ سَهْمانِ له كُلَّما   أرادَ قَتْلي بِهِمَا سَلَّمَا

واضح أن القصيدة منحولة، فمثل هذا الشعر كان يعبث به الناس في العصور المتأخرة جداً. لكن، استطرفنا الأبيات، وهي موجودة في الديوان، فنقلناها لك

٨٦ أمنية غريبة

فَيَا لَيتَ أَنِّي حيثُ تَدْنُو مَنِيَّتي   شَمَمْتُ الذي مَا بينَ عينيكِ والفَمِ
وليتَ سُلَيْمَى في المَنامِ ضَجِيعَتي   لَدى الجَنَّةِ الخَضْراءِ أو في جَهَنَّمِ

إذا كنت مستعداً لدفع هذا الثمن الباهظ فلماذا تريدها ضجيعة في المنام فقط؟

٨٧ الثريا وسهيل

قيل زوجوا الثريا بنت علي العبشمية، حبيبة عمر، من رجل اسمه سهيل ورحل بها إلى الشام، فقال عمر:

أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً   عَمْرَكَ اللَّهُ كيفَ يَلْتَقِيَانِ

يا من زوَّج الثريا بسهيل، كيف يلتقيان بحق الله؟

هِـيَ شَـامِـيَّـةٌ إذا مـا اسْـتَـقَـلَّـتْ وسُـهَـيْـلٌ إذا اسْـتَـقَـلَّ يَـمـانـي

الثريا مجموعة نجوم شامية، تظهر في الشمال، وسهيل نجم، يكون إذا استقلَّ وارتفع، يمانياً جنوبياً

٨٨ لا تكُنْه

خَـانَـكَ مَـنْ تَـهـوَى فَـلا تَـخُـنْـهُ

وكُـنْ وَفِـيّـاً إنْ سَـلَـوْتَ عـنـهُ

واسْـلُـكْ سبـيـلَ وَصْـلِـهِ، وصُـنْـهُ

إنْ كـانَ غَـدَّاراً فَـلَا تَـكُـنْـهُ

أي فلا تكن أنت غداراً

عمر بن أبي ربيعة

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

جميل بثينة
(٤٠ هـ ــ ٨٢ هـ)

ترى اسم المرأة مركباً من اسم أنثى فاسم ذكر مثل «سناء جميل»، و«سعاد حسني». فها نحن بإزاء ظاهرة مختلفة. . «جميل بثينة»، و«قيس ليلى».

جميل أن يتسمَّى المرء باسم حبيبته. جميل الإخلاص لمحبوبة واحدة.

عاش «جميل بن معمر» في وادي القرى بين مكة والمدينة. وهو من قبيلة عُذْرة، ومنها محبوبته بثينة، وترتفع عذرة إلى قضاعة وترتفع قضاعة إلى مَعَدّ، فهي مضرية من عرب الشمال؛ أو ترتفع إلى حِمْيَر، فهي يمانية من عرب الجنوب، ولأهل الأنساب في انتساب قضاعة إلى اليمن أم إلى معد كلام كثير. وقبيلة «عُذْرَة» هي التي سُمِّي الحب العذري باسمها، فقد شاءت الصدف أن يكون عدد كبير من شعراء العشق المميت من هذه القبيلة.

كان جميل شاباً طويلاً وسيماً، وكان أهله على جانب من اليسار. وكما يجب أن تكون القصة فقد عشق بثينة وهما صغيران وبادلته حباً بحب، ونما حبهما وقال فيها شعراً فمنعوه من الزواج بها. وزوجوها من آخَر، فظل جميل يزورها ويقول فيها شعراً. أصابه في هذا الطور شيء من الحصار النفسي الداخلي ـ انتبهْ إلى أن هذه العبارة مني، وليس لها في علم النفس سند، ولا تحسب أننا نريد إحياء «مدرسة» التحليل النفسي للأدباء التي جعلها العقاد والنويهي تقليعة في أواسط القرن العشرين ـ. انحصر جميل في بثينة، ووقع في شيء شبيه بما وقع فيه مجنون ليلى من عدم القدرة على الإفلات من هذا الحصار الذي تضربه امرأة بعينها.

يقول برنارد شو إن الشبان يبالغون في مدى الفرق بين فتاة وأخرى.

وصاحبنا جميل بن معمر تضخمت في ذهنه صورة بثينة فلم يستطع إلى غيرها سبيلا. وأوصل المقولة الشوئية ـ نسبة إلى برنارد شو ـ إلى غايتها.

وقف جميل شعره على بثينة. ولا نجد له فيما بين أيدينا من شعره إلا قليلاً من الفخر، ثم لا شيء إلا بثينة. ورووا في الكتب القديمة بعض القصص عن اتصاله بالخلفاء، ولعلهم ما رووا ذلك إلا ليزعموا أنه رفض مدح أحد.

لم يشكِّك القدماء، ولا شكَّك المحدثون في وجود شخصية جميل. فهو قد كان. ونقلوا لنا شيئاً من أخباره مع تلميذه وراويته كثير عزة، وبين أيدينا قصة له مع عمر بن أبي ربيعة. لكننا نشك في كثير من القصص التي أوردها صاحب الأغاني عن غرام جميل. وصدق من قال، ولعله بروكلمان، إن الكثير من أمثال هذه القصص إنما وضعت لكي توفر سياقاً لأشعار وصلت ولم يصل معها سياق.

في آخر حياته القصيرة ـ وعاش ٤٢ سنة ـ توجه جميل إلى مصر، وبها مات.

لئن شكَّك المشككون من القدماء في وجود شخصية قيس بن الملوح، مجنون ليلى، وجعلوا كل ما ورد من شعر عنه منحولاً، فإن لجميل شأناً آخر. قلنا إنه قد كان، فقد رأيناه تحت ضوء بعض القرائن التاريخية. على أن الدليل الأدل على وجوده شعره. فهذا الشعر الذي وصلنا عنه يمثل شخصية واضحة المعالم، إن من حيث اللغة أم من حيث المعنى.

كنا نريد أن نعقد بضع فقرات عن الشعر العذري، ولكننا وجدنا كتب المدارس قد فعلت من ذلك ما يكفي ويزيد. ووجدنا العرب يعرفون عن الشعر العذري أكثر مما يجب أن يعرفه الأسوياء. فأضربنا.

والعرب في زمننا مكبوتون رجالاً ونساء.

صديق يعيش في أوروبا، مكث شهراً أو نحو ذلك في بلد عربي، وقال لي: أصبحت مشتهياً في ختام الشهر أن أرى عنق امرأة. قد مررت بشيء من ذلك عندما عشت مدة في بلاد الخليج. وقد أتيت هذه البلاد مرتين: مرة وأنا شاب غضٌّ، ومرة وأنا شيخ. وفي المرتين ـ وبينهما ثلاثون سنة ـ كان الوضع هو الوضع: لا ترى من المرأة إلا عطرها. في المرة الثانية قلت:

صُفْرَةُ الرملِ في الخليج تَغرُّ   وأنا طامعٌ، وما بيَ فقرُ

جئتُه يافعاً، وشَعريَ غابٌ وأمانيَّ دون عقليَ وَفْرُ
ومضت سبعةٌ من الأشهر غادرْتُ على إثرها، وحلقيَ مُرُّ
وترحَّلْتُ بعدها سنواتٍ عددَ التِّيهِ أُنقِصَتْ منه عشرُ
وأتتني الخمسونَ شمطاءَ؛ عُذراً: قد أتتني وليس في الرأس شَعرُ
وتزوَّدْتُ، ليتني ما تزودْتُ، كأنِّي إلى الخليجِ أُجَرُّ
حَصبةٌ أنت للجميع ولكنْ، مزمنٌ أنتَ فيَّ: سِلٌّ وعُرُّ
يا أبا النفط! هل تأذَّيْتَ شيئاً من لساني، وهل أصابكَ ضُرُّ؟
إنها شمسُك العنيفةُ تنسيـ ـني، وخيرٌ من التنكُّرِ شرُّ
كم بيوتٍ فتحتَها في فلسطيـ ـنَ، وكم من أبنائها فيك قَرُّوا
بعضُهمْ شاكرٌ وبعضُهمُ مثـ ـليَ شاكٍ؛ هيهاتَ ما ليَ عذرُ
يسترُ الشكرُ عورةَ الأخذ، من يشـ ـكرْ ينلْه خيرانِ أخذٌ وسَتْرُ
عدِّ عن ذا، ففي الخليج نساءٌ فاتناتٌ يسبيكَ منهن عطرُ
خادراتٌ، فانظر بأنفِكَ وارسمْ صورَ الحسن، والخيالُ يَسُرُّ
كُفَّ عن ذا، باللّه كُفَّ، فإن الشَّـ ـيخَ ضيفٌ، والعشقُ كلبٌ يَهُرُّ
صلعتي، سعلتي، وكرشي، وعمري منعتني القِرى، فأينَ المفرُّ
ذاتَ يومٍ أَبَيْتُ صبراً على القيـ ـظِ إباءً، والآن كُلِّيَ صَبْرُ
فاتَني يا خليجُ أنَّكَ وعدٌ للفتى بِالغِنى، وللشَّيخِ قبرُ

وليس مزاجي بالسوداوي. فقد قضيت ست ساعات في نهار هذا اليوم الذي أكتب لك في مسائه، وأنا في حبور تام مع فتية وفتيات نتدارس أشياء عن اللغة والإعلام في دورة من تلك الدورات، وسعدت بهم سعادة غمرت ساعات نهاري وفاضت على مسائي. على أنها سعادة الشيخ الذي يفتنه حديث الشباب، ويستمتع بما يحس من زيادته عليهم في المعرفة. تلك متعة خبيثة. هذا شيء والفتون شيء آخر.

ستقرأ في شعر جميل المقبل عليك البيت «لكل حديث بينهن بشاشة، وكل قتيل عندهن شهيد». فقد كان صاحبنا شخصاً طبيعياً، يحب مجالسة النساء، ولم يكن مزاجه انتحارياً كقيس بن الملوح، غير أنه وقع في مصيدة العشق.

١ أبيات فرائد

ودِدْتُ، ولا تُغني الوَدَادَةُ، أنَّها نَصيبي مِنَ الدنيا وأنِّي نَصيبُها

* * *

أُريدُ لِأنسى ذِكرَها، فَكأنَّما تَمثَّلُ لي لَيْلَى على كُلِّ مَرْقَبِ

أريد نسيانها، ولكنها تتراءى لي في كل مكان أرقبه وأراه

* * *

وقالوا يا جميلُ أتَى أخُوها فقلتُ: أتَى الحبيبُ أخُو الحبيبِ

* * *

أحَقّاً عِبادَ اللَّهِ أنْ لستُ لاقِياً بُثَيْنَةَ أو يَلْقَى الثُّرَيَّا رقيبُها؟

الثريا ورقيبها مجموعتان متباعدتان من النجوم

* * *

ومَا بَكَتِ النساءُ على قَتيلٍ بِأشْرَفَ مِنْ قَتيلِ الغانِياتِ

* * *

إذا أنتَ لم تَظْفَرْ بِشيءٍ طَلبتَهُ فبعضُ التأنِّي في اللُّبَانَةِ أنْجَحُ

اللبانة: الحاجة

ألا لَيتَني أعْمَى أصَمُّ تَقودُني بُثينةُ لا يَخفَى عَلَيَّ كلامُها

* * *

لا لا أبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إنَّها أخَذَتْ علَيَّ مَواثِقاً وعُهُودا

* * *

أُقَلِّبُ طَرْفي في السماءِ لعلَّهُ يُوافِقُ طَرْفي طَرْفَها حين تَنْظُرُ

الطَّرف: العين والنَّظر

* * *

أموتُ وألْقَى اللَّهَ يا بَثْنَ لم أَبُحْ بِسِرِّكِ، والمُسْتَخبِرُونَ كَثيرُ

* * *

وإنّي لِلمَاءِ المُخالِطِ لِلقَذَى إذا كَثُرَتْ وُرَّادُهُ لَعَيُوفُ

ذكر لجميل أن بثينة واصلت رجلاً آخر، فقال إنه يعاف شرب ماء خالطته الشوائب وكثر الواردون عليه

* * *

وما كان حُبّيها لِبَذْلٍ رَجَوْتُهُ لديها، فأخشَى أن يُغَيِّرَهُ البُخلُ

لم أحببها بغرض نيل شي، لذا لن يغير بخلها بهذا «الشيء» من عواطفي

* * *

ولستُ على بَذْلِ الصَّفاءِ هَوَيْتُها ولكنْ سَبَتْني بِالدَّلالِ معَ البُخْلِ

* * *

يا عَاذِلِيَّ مِنَ المَلامِ دَعانِي إنَّ البَلِيَّةَ فوقَ ما تَصِفَانِ

٢ أول المودَّة

وأوَّلُ ما قادَ المَوَدَّةَ بينَنا بِوَادِي بَغيضٍ يا بُثَيْنَ سِبَابُ

أول لقاء بينهما حدث وهما صغيران يرعَيان الأغنام في الوادي، سبَّها وسبَّته

وقلتُ لها قَولاً، فجاءتْ بِمِثْلِهِ لِكُلِّ كلامٍ يا بُثَيْنَ جَوابُ

٣ نعم، يقتله

أَلَا أَيُّها النُّوَّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا أُسائِلُكُمْ هلْ يقتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ

استيقظوا أيها الناس وأجيبوني: هل يقتل الحب الإنسان قتلاً؟

فقالوا: نَعمْ حتى يَسُلَّ عظامَه ويتركَه حَيرانَ ليس لهُ لُبُّ

قالوا: نعم، وقبل أن يقتله يسل عظامه، أي يستلُّها من بين العضلات ويبرزها للعيان فيصبح الإنسان جلداً على عظم، ثم يتركه متحيراً بلا لب، أي بلا عقل

٤ أثر الريح

إذا ضَرَبَتْها الريحُ في المِرْطِ أَجْفَلَتْ مَآكِمُهَا، والرِّيحُ في المِرْطِ أَفْضَحُ

تهب الريح على المحبوبة وهي لابسة المرط، الثوب الواسع الذي بلا أزرار، فتجفل مآكمها، أي ترتج مؤخرتها، والريح تفضح وتجسِّم مع ارتداء المرط

تَرى الزُّلَّ يَلْعَنَّ الرِّياحَ إذا جَرَتْ وبَثْنةُ إنْ هَبَّتْ لها الريحُ تَفْرَحُ

الزُّلُّ، أي النساء الرسحاوات النحيلات الخلفيات، يكرهن هبوب الريح لأنها تفضح نحول تلك الأماكن من أجسامهن؛ ولا كذلك بثينة

٥ بوحة لو أبوحها

لقد ذَرَفَتْ عيني، وطَالَ سُفُوحُها وأَصبحَ مِنْ نَفسي سَقيماً صحيحُها

ذرفت عيني الدمع من عشق، وأصبح ما كان صحيحاً من جسمي مريضاً

فلا أنا أرجو أن تَعيشَ سَوِيَّةً ولا الموتُ فيما قد شجاها يُريحُها

لا أرجو لنفسي أن تعيش حياة سوية، ولا يأتي الموت فيريح هذه النفس

أَلا ليتَنا نحيا جميعاً، فإن نَمُتْ يُوافِي لدى المَوتَى ضَريحي ضريحُها

ليتني وبثينة نحيا مجتمعيْن، ونموت مجتمعيْن فيكون قبري قرب قبرها

فَما أنا في طولِ الحياةِ بِراغبٍ إذا قيلَ قد سُوِّي عليها صَفيحُها

فلست أرغب في الحياة إذا ماتت وسوِّيَ فوق قبرها الصفيح، الحجارة المبسَّطة

أَظلُّ نَهارِي لا أراها، وتَلتقي مع الليلِ رُوحي في المنامِ وروحُها

فهل لِيَ في كِتمانِ حُبِّيَ رَاحَةٌ وهل تَنْفَعَنِّي بَوْحَةٌ لو أَبُوحُها

٦ دعوة عليها

رمَى اللَّهُ في عيْنَيْ بثينةَ بِالقَذَى وفي الغُرِّ مِنْ أَنيَابِها بِالقَوَادِحِ

يدعو عليها بأن تصاب بالرمد، وأن تصاب أسنانها الغر، البيض، بالتسوس

رَمَتْني بِسَهْمٍ رِيشُهُ الكُحْلُ لم يَضِرْ ظَواهِرَ جِلدي فَهْوَ في القلبِ جَارِحي

٧ حلَّت بين الجوانح

لمَّا أَطالُوا عِتابي فيكِ قلتُ لَهُمْ: لا تُفْرِطُوا، بَعضَ هَذا اللومِ، واقْتَصِدُوا

بعضَ هذا اللوم: كفوا عن هذا اللوم

حَلَّتْ بُثينةُ مِنْ قَلبي بِمَنزِلَةٍ بين الجَوانِحِ لم يَنزِلْ بِها أَحَدُ

وعَاذِلُون لَحَوْني في مَوَدَّتِها يَا ليتَهُمْ وَجَدُوا مثلَ الذي أَجِدُ

لحوني: لاموني، وجدوا: أصابهم الوَجْد والعشق

٨ أمصرَ تريد؟

أَلا لَـيْـتَ أيَّـامَ الـصَّـفـاءِ جَـديـدُ ودَهـراً تَـوَلّـى يـا بُـثَـيْـنَ يَـعـودُ

ليت أيام الصفاء تتجدد، وليت الزمن الذي مضى يرجع

فـنَـغْـنَـى كـمـا كـنَّـا نَـكـونُ وأَنْـتُـمُ صَـديـقٌ، وإذْ مـا تَـبْـذُلـيـنَ زَهـيـدُ

ليتنا نغنى، نتمتع، كما كنا في الماضي، إذ كنت لي صديقة، وإذ كان ما تعطينني قليلاً

ومَا أَنْسَ مِ الأَشياءِ لا أَنْسَ قولَها، وقد قَرَّبَتْ نِضْوِي: أَمِصْرَ تُريدُ؟

لا أنسى بين كل الأشياء قولها وقد أمسكت بعنان حصاني المهزول: أتريد الذهاب إلى مصر؟
وكان جميل قاصداً عبد العزيز بن مروان لمدحه

ولا قَولَها: لولا العُيونُ التي تَرَى أَتَـيْـتُـكَ، فـاَعْـذِرْنـي فَـدَتْـكَ جُـدُودُ

لولا عيون القوم لكنت أتيتك للسهر قبل السفر

خليلَيَّ مَا أُخْفي مِنَ الوَجْدِ ظَاهِرٌ فَدَمْعي بِمَا أُخْفي الغَدَاةَ شَهيدُ

ظهر للعيان ما أخفيه من العشق، ودمعي شاهد عليه

أَلا قـد أَرَى والـلَّـهِ أَنْ رُبَّ عَـبْـرَةٍ إذا الـدارُ شَـطَّـتْ بـيْـنَـنـا سَـتَـرُودُ

أرى أن العبرة، الدمعة، سترود، أي تأتي وتسيل، إذا شطت الدار، أي ابتعدت

إذا قـلـتُ مـا بـي يـا بـثـيـنـةُ قَـاتِـلـي مِـنَ الـوَجْـدِ، قـالـتْ: ثَـابِـتٌ ويَـزيـدُ

تدعو لعشقه أن يثبت ويزيد

وإن قلتُ رُدِّي بعضَ عَقْلي أَعِشْ بِهِ مع الناسِ، قالتْ: ذاكَ منكَ بَعيدُ
فـمـا ذُكِـرَ الـخُـلّانُ إلّا ذَكَـرْتُـهـا ولا البخلُ إلّا قلتُ: سوفَ تَجُودُ
إذا فَـكَّـرَتْ قـالـتْ قـد ادْرَكْـتُ وُدَّهُ ومَـا ضَـرَّنـي بُـخْـلٌ فَـفـيـمَ أَجُـودُ

هي تفكر في الأمر وتقول لنفسها: قد حصلت على مرادي من ابتلائه بالعشق، فلا حاجة بي إلى أن أجود له بالوصل

فَـلا أنـا مَـرْدُودٌ بِـمـا جِـئْـتُ طـالـبـاً ولا حـبُّـهـا فـيـمـا يَـبـيـدُ يَـبـيـدُ

فلا أنا مردود، عائد، وقد حصلت على طلبي، ولا حبها يفنى مثلما تفنى الأشياء

فـأَفْـنَـيْـتُ عَـيْـشـي بِـانـتِـظـارِي نَـوالَـهـا وأَبْـلَـيْـتُ فـيـهـا الـدهـرَ وَهْـوَ جَـديـدُ

أنفقت عمري منتظراً امتلاك قلبها، وضيعت سنواتي. والعمر نفسه يفنى رغم أن الدهر لا يفنى

ويَـحْـسَـبُ نِـسـوانٌ مِـنَ الـجَـهْـلِ أَنَّـنـي إذا جِـئْـتُ إيَّـاهُـنَّ كـنـتُ أُريـدُ

لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وكُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ

سبحان من ألهمك هذا البيت يا جميل!

عَلِقْتُ الهَوى منها وَلِيداً فلم يَزَلْ إلى اليومِ يَنْمِي حبُّها ويَزِيدُ

أَلَا ليتَ شِعْرِي هل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوادي القُرَى! إنِّي إذَنْ لَسَعِيدُ

وهَلْ أَلْقَيَنْ سُعْدَى مِنَ الدهرِ مَرَّةً ومَا رَثَّ مِنْ حَبْلِ الصَّفاءِ جَديدُ

السعدى: السعد، الحظ الحسن، ما رثَّ: ما اهترأ

وقد تَلْتَقي الأَشْتَاتُ بعد تَفَرُّقٍ وقد تُدْرَكُ الحَاجاتُ وَهْيَ بَعيدُ

يموتُ الهوى مِنِّي إذا ما لَقِيتُها ويَحيَا إذا فارقتُها فيَعودُ

يَقُولونَ جَاهِدْ يا جَميلُ بِغَزْوَةٍ وأَيَّ جِهَادٍ غَيرَهُنَّ أُرِيدُ

لَئِنْ كان في حبِّ الحَبيبِ حَبيبَه حُدودٌ لقد حَلَّتْ عَلَيَّ حُدُودُ

لو كان في الحب حدود، عقوبات، إذن لوجبت علي العقوبات

٩ لا أسأل ولا أستزيد

يُكَذِّبُ أقوالَ الوُشاةِ صُدودُها ويَحْتَازُها عَنِّي كأَنْ لا أُرِيدُها

صدودها عني يجعل أقوال الوشاة عن عشقنا كاذبة، وهذا الصدود يحتازها عني، يستأثر بها، فكأنني أنا لا أريدها

رَفَعْتُ عنِ الدنيا المُنَى غيرَ وُدِّها فما أَسْأَلُ الدنيا، ولا أَسْتَزِيدُها

١٠ حبها قضاء وقدر

لقد لامَنِي فيها أخٌ ذُو قَرابَةٍ حَبيبٌ إليهِ في نَصيحَتِه رُشْدي

كان ابن عمه ينصحه بالابتعاد عن بثينة، وكان يريد الخير له

فقالَ: أَفِقْ حتَّى مَتَى أنتَ هَائِمٌ بِبَثْنَةَ، فيها قد تُعيدُ وقد تُبدي

أي تعيد فيها، في ذكرها، وتبدأ من جديد فلا تفتأ تذكرها

فقلتُ له: فيها قَضَى اللَّهُ ما تَرى عليَّ، وهل فيما قَضَى اللَّهُ مِنْ رَدِّ؟

قلت له: هذا قضاء الله عليَّ فيها، ولا رادَّ له

فإنْ يَكُ رُشْداً حبُّها أو غِوَايَةً فقد جِئْتُهُ ما كانَ مِنِّي على عَمْدِ

أَفي الناسِ أَمْثالي أَحَبُّوا فَحُبُّهُمْ كَحُبِّي، أم أَحْبَبْتُ مِنْ بَينِهِمْ وَحدي

أكانَ كَذا يَلْقَى المُحِبُّونَ قَبْلَنا   بِما وَجَدُوا أوْ لم يَجِدْ أحَدٌ وَجْدي؟

بما وجدوا: بما عانوا من الوجد والعشق

١١ حبٌّ أزليٌّ أبديٌّ

تَعَلَّقَ رُوحي رُوحَها قبل خَلْقِنا   ومِنْ بعدِ مَا كُنَّا نِطَافاً وفي المَهْدِ

حبنا أزلي، مكتوب علينا قبل أن نولد

فزادَ كما زِدنَا، فأصبَحَ نَامِياً   وليس إذا مُتْنَا بِمُنْتَقَضِ العَهْدِ

ويزيد مع العمر، ولا ينتهي بالموت

ولكنَّهُ بَاقٍ على كلِّ حَالَةٍ   وزَائِرُنا في ظُلْمَةِ القبرِ واللَّحْدِ

١٢ عندما التفتت

ومِمَّا شَجاني أنَّها يومَ وَدَّعَتْ   تَوَلَّتْ ومَاءُ العينِ في الجَفْنِ حَائِرُ

مما أحزنني أنها يوم الوداع تولت، انصرفت، ودمعها يترقرق في جفنيها

فلمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعيدٍ بِنظرةٍ   إلَيَّ التِفَاتاً أَسْلَمَتْهُ المَحَاجِرُ

فلما ابتعدت والتفتت تنظر إلي أسلمت محاجرها، يقصد عينيها، الدمع فسال

يقولونَ لا تَنْظُرْ، وتِلكَ بَلِيَّةٌ   بَلَى، كلُّ ذي عَيْنَينِ لا بُدَّ نَاظِرُ

١٣ أوله لهو وآخره هول

الحبُّ، أوَّلَ مَا يكونُ، لَجاجَةٌ   تَأتي بِهِ وتَسوقُهُ الأَقدارُ

الحب ـ في بداياته ـ لجاجةٌ، أي عناد، أي يكون خصاماً وشداً وإرخاء، ويأتي بقدر من الله لا عن إرادتنا الحرة

حتَّى إذا اقْتَحَمَ الفتَى لُجَجَ الهوى   جاءَتْ أُمورٌ لا تُطاقُ كِبارُ

فإذا ما دخل الفتى في لجج، أعماق، الحب وردت عليه أمور ما كان يتصورها ولا يطيقها

١٤ حب على الرائحة

لا والذي تسجُدُ الجِباهُ لَه   ما لي بِمَا دونَ ثوبِها خَبَرُ

لا والله لم يحدث بيننا تماس على عري

ولا بِفيِها، ولا هَمَمْتُ بِها   ما كان إلَّا الحديثُ والنَّظَرُ

ولا حتى قبلات، ولا أنا نويت ذلك. فقط حديث ونظر

١٥ تضليل الأعداء

وآخِرُ عَهْدٍ لي بِها يومَ وَدَّعَتْ ولاحَ لَها خَدٌّ مَليحٌ ومَحْجَرُ

المحجر: العين. فآخر ما يتذكره منها وقد انثنت ومضت خدها الناعم وجانب عينها

عَشِيَّةَ قالتْ: لا تُضيعَنَّ سِرَّنَا إذا غِبْتَ عنَّا، وارْعَهُ حينَ تُدْبِرُ

قالت لي: لا تبح بحبنا، وارعه، احفظه، عندما تدبر، أي تنصرف

وأَعْرِضْ إذا لاقَيْتَ عيْناً تَخافُها وظَاهِرْ بِبُغْضٍ، إنَّ ذلكَ أَسْتَرُ

وعندما تراني مرة أخرى ويكون هناك شخص يراقبنا، فظاهرْ ببغض، أي أبدِ أنك لي كارهٌ، فهذا يستر مشاعرك الحقيقية

وقَطَّعَني فيكَ الصَّديقُ مَلامَةً وإنِّي لأَعْصي نَهْيَهُمْ حينَ أُزْجَرُ

الأصدقاء قطعوني تقطيعاً بلومهم، وأنا أعصيهم عندما يزجرونني

وأنتَ امْرُؤٌ مِنْ أهلِ نَجْدٍ، وأَهْلُنا تَهَامٌ، ومَا النَّجْدِيُّ والمُتَغَوِّرُ؟

أنت من نجد وأنا من تهامة، والبون بيننا بعيد

غريبٌ إذا ما جئتَ طالِبَ حاجَةٍ وحَوْلِيَ أعداءٌ وأَنْتَ مُشَهَّرُ

ستكون غريباً عندما تأتينا، وحولي الأعداء، وأنت معروف لأنك غريب فالكل يحس بوجودك

فقلتُ: لَها يا بَثْنَ أَوْصَيْتِ حَافِظاً وكلُّ امْرِئٍ لم يَرْعَهُ اللَّهُ مُعْوَرُ

يا بثينة، أوصيتِ حريصاً بشأن التجاهل، وأمَّا كوني مكشوفاً لهم فإن كل شخص لم ينل رعاية من الله فهو معور، أي عوراته بادية

سأَمْنَحُ طَرفي حينَ أَلْقَاكِ غيرَكُمْ لِكَيْمَا يَرَوْا أَنَّ الهَوى حيثُ أَنْظُرُ

حسناً! سأنظر إلى غيرك عندما آتي، حتى يحسب القوم أنني أهوى فتاة أخرى

وأَكْني بِأَسْمَاءٍ سِواكِ، وأَتَّقي زِيارَتَكُمْ، والحبُّ لا يَتَغَيَّرُ

وعندما سأتحدث سأذكر أسماء أخرى، وسأمتنع عن زيارتك، ولكن الحب لا يتغير

١٦ لهن الوجا

لَهُنَّ الوَجَا لِمْ كُنَّ عَوْناً على النَّوَى ولا زَالَ منها ظَالِعٌ وكَسيرُ

يدعو على النياق: ليصبهن الله بالوجا، أي الحفا وتجريح الأخفاف، فقد كن معينات لنا على البعاد والرحيل، وليكن من هذه النياق الظالع، الأعرج، والكسير، مكسور القوائم

كَأَنِّي سُقِيتُ السُّمَّ يَومَ تَحَمَّلُوا وجَدَّ بِهِمْ حَادٍ، وحَانَ مَسِيرُ

كأني شربت سماً حين حملوا متاعهم على الإبل، واستعد الحادي ليسوق الجمال بنشيده، وحان وقت المسير

١٧ بِتْ عندي

وتقولُ بِتْ عِندي، فَدَيْتُكَ، ليلةً أَشكُو إليكَ، فإنَّ ذاكَ يَسيرُ

ولئنْ جَزَيْتِ الوُدَّ مِنِّيَ مِثْلَهُ إنِّي بِذلكَ يا بُثَيْنَ جَديرُ

١٨ عدمتُك من حبٍّ

أَيبكي حَمامُ الأَيْكِ مِنْ فَقْدِ إِلْفِهِ وأَصْبِرَ؟ ما بي عن بُثينةَ مِنْ صبرِ

تقول الخرافة إن الحمام ينوح على فقد ولده، واسم ولده «الهديل» فهو يبكي «الهديل»، ثم سموا صوت الحمام هديلاً. فكيف يبكي الحمام ولا أبكي بثينة؟

يقولونَ: مَسحُورٌ يُجَنُّ بِذكرِها فأُقْسِمُ ما بي مِنْ جُنونٍ، ولا سِحْرِ

فأُقْسِمُ لا أَنْساكِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وما خَبَّ آلٌ في مُلَمَّعَةٍ قَفْرِ

أقسم لا أنساك ما ذر شارق، أشرقت الشمس، وما خب، جرى وركض، الآل، أي السراب في الصحراء المقفرة. والملمَّعة هي الأرض ذات السراب

وما لاحَ نجمٌ في السماءِ مُعَلَّقٌ وما أَوْرَقَ الأَغصانُ مِنْ فَنَنِ السِّدْرِ

ولن أنساك ما ظهر نجم معلق في السماء، ولا ما أورقت أغصان شجر السدر

هِيَ البدرُ حُسناً، والنِّسَاءُ كَواكِبٌ وشَتَّانَ ما بين الكَواكِبِ والبدرِ

لقد فُضِّلَتْ حُسناً على الناسِ مِثْلَمَا على أَلْفِ شَهْرٍ فُضِّلَتْ ليلةُ القَدْرِ

عَدِمْتُكَ مِنْ حُبٍّ، أَمَا مِنْكَ راحَةٌ ومَا بِكَ عَنِّي مِنْ تَوانٍ ولا فَتْرِ

عدمتك أيها الحب، ألا أستريح منك؟ ألا تتوانى وتفتر وتخفّ

١٩ إحياء الموتى

مَضَى لي زَمانٌ لو أُخَيَّرُ بينَها وبينَ حياتي خَالِداً آخِرَ الدهرِ..

لَقُلْتُ ذَروني ساعةً وبُثينةً على غَفْلَةِ الوَاشِينَ، ثم اقْطَعُوا أمري

لو خيرت بين الخلود، وبين بثينة لقلت: اتركوني ساعة مع بثينة شرط أن يغفل عني الواشون، ثم اقطعوا حياتي

مُـفَـلَّـجَـةُ الأَنْـيَـابِ، لـو أنْ رِيـقَـهـا   يُـدَاوَى بـه الـمَـوتَـى لَـقَامُـوا مِـنَ الـقبرِ
أسنانها فُرُق، وريقها يحيي القلب، فلو ذاقه الموتى لقاموا

٢٠ فكيف كَبِرتُ ولم تكبَري؟

تَـقُـول بـثـيـنـةُ لـمَّـا رأتْ   فُـنـونـاً مِـنَ الـشَّـعَـرِ الأَحْـمَـرِ..
رأتني قد خضبت شعري بالحناء، فقالت..

كـبِـرْتَ جَـمـيـلُ وَأَوْدَى الـشـبـابُ   فـقـلـتُ: بُـثَـيْـنَ أَلَا فَـاقْـصِـري
قد كبرتَ وأودى، أي ذهب، الشباب، فقلت لها: أقصري، وكفي عن هذا

أَمَـا كـنـتِ أَبـصَـرْتِـنـي مَـرَّةً   لَـيـالـيَ نـحـن «بِـذي جَـوْهَـرِ»
ألم تبصريني مرة عندما كنا في «ذي جوهر»

لَـيـالـيَ أنـتُـمْ لـنـا جِـيـرَةٌ   أَلا تَـذْكُـريـنَ؟ بَـلَـى فـاذْكُـري
عندما كنتم جيراناً لنا، تذكَّري جيداً

وإِذْ لِـمَّـتـي كَـجَـنـاحِ الـغُـرابِ   تُـضَـمَّـخُ بِـالـمِـسْـكِ والـعَـنْـبَـرِ
كانت لمتي، أي شعري، كجناح الغراب لسوادها، وكنت أضمِّخ شعري بالطيب من مسك وعنبر

قَـريـبـانِ مَـرْبَـعُـنـا واحِـدٌ   فـكـيـفَ كَـبِـرْتُ ولـم تَـكْـبَـري؟
كنا متقاربين سكناً ـ وعمْراً أيضاً ـ فكيف كبرتُ أنا ولم تكبَري؟

٢١ سحابة لا تمطر

يَـا لَـيْـتَـنـي أَلْـقَـى الـمَـنِـيَّـةَ بَـغْـتَـةً   إن كـان يـومُ لِـقـائِـكُـمْ لـم يُـقْـدَرِ
لا تَـحسَـبِي أَنِّي هـجَـرتُـكِ طَـائِـعـاً   حَـدَثٌ لَـعَـمْـرُكِ رَائِـعٌ أن تُـهْـجَـري
حدث رائع: يروع القلب ويخيفه

يَـهْـوَاكِ ما عِـشْـتُ الـفـؤادُ فإنْ أَمُـتْ   يَـتْـبَـعْ صَـدايَ صَـداكِ بـيـنَ الأَقْـبُـرِ
لو متنا فسوف يتبع صداي صداك، يقصد روحي تتبع روحك. وكانت العرب تظن أن طائراً يسمونه الهامة يخرج من قبر القتيل ويصرخ بصوت هو الصَّدَى، ويظل يصيح اسقوني، ولا يكف إلا إذا أُخذ بثأر القتيل

إنِّـي إِلـيـكِ بِـمَـا وَعَـدْتِ لَـنَـاظِـرٌ   نَـظَـرَ الـفـقـيـرِ إلى الـغَـنِـيِّ الـمُـكْـثِـرِ
إني ناظر، أي منتظر ما وعدت به، وأنا كالفقير الذي ينظر إلى الغني منتظراً عطاءه

ما أَنتِ والوَعْدَ الذي تَعِدِينَني ... إلَّا كَبَرْقِ سَحابَةٍ لم تُمْطِرِ

أنت كسحابة، ووعدك كالبرق الذي يبشر بالمطر، ثم لا يأتي مطر

٢٢ لن يمنعوني البكاء

فإنْ يَحْجُبُوها، أو يَحُلْ دونَ وَصْلِها ... مَقَالَةُ وَاشٍ، أو وَعِيدُ أميرِ..

إن حجبوها، أو حال دون لقياها قول من واش، أو تهديد من أمير..

فلن يَحْجُبُوا عَينيَّ عن دَائِمِ البُكَا، ... ولن يَمْلِكُوا ما قد يُجِنُّ ضَميري

فلن يمنعوني من البكاء، ولن يتحكموا بما يخفي ضميري من مشاعر

إلى اللَّهِ أَشْكُو ما أُلَاقِي مِنَ الهَوى ... ومِنْ حُرَقٍ تَعتَادُني، وزَفيرِ

الحرَق: جمع حُرقة، شيء يعرفه مَنْ جرَّبه

٢٣ يا ربِّ حبِّبني إليها

إذا قُلْتُ هَذا حينَ أَسْلُو ذَكَرْتُها ... تَظَلُّ لها نَفسي تَتُوقُ وتَنْزِعُ

إذا قلت: الآن أنسى ذكرها تظل نفسي تتوق، تشتاق، وتميل إليها

ألا تَتَّقِينَ اللَّهَ في قتلِ عَاشِقٍ ... له كَبِدٌ حَرَّى عليكِ تَقَطَّعُ

فأَصبحتُ مِمَّا أَحْدَثَ الدهرُ مُوجَعاً ... وكنتُ لِريْبِ الدهرِ لا أَتَخَشَّعُ

أصبحت متوجعاً من أحداث الزمن رقيق المشاعر مرتبكاً قلقاً، وكنت لا أتخشع، كنت صلباً لا أذعن للمصائب

فيَا رَبِّ حَبِّبْني إِلَيْها، وأَعْطِني الـ ... ـمَوَدَّةَ منها، أنتَ تُعطي وتَمنعُ

وإلَّا فَصَبِّرني، وإن كنتُ كارِهاً ... فَإِنِّي بِها يا ذا المَعَارِجِ مُولَعُ

إن لم تكتب يا رب الوصال، فصبرني على فراقها، وإن كنت أكره هذا الصبر لأنني بها مولع يا ذا المعارج، العلو

جَزِعْتُ غَدَاةَ البَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... ومَا كان مِثلِي يا بُثَيْنَةَ يَجْزَعُ

قلقت صبيحة الفراق عندما حملوا أمتعتهم للرحيل، ولم أكن جزوعاً

تَمَتَّعْتُ منها يومَ بَانُوا بِنظرَةٍ ... وهل عَاشِقٌ مِنْ نَظرَةٍ يَتَمَتَّعُ

٢٤ الحب المتحرك

لا خيرَ في الحُبِّ وَقْفاً لا تُحَرِّكُهُ   عَوارِضُ اليَأْسِ أو يَرتَاحُهُ الطَّمَعُ

لا حلاوة للحب بدون حركة: بدون ما يعترض طريقه أحياناً من يأس، وبدون ما يروح ويغدو عليه من طمع في الوصال

لو كان لي صَبْرُها أو عندَها جَزَعِي   لَـكُـنـتُ أَمـلِـكُ مـا آتـي ومَـا أَدَعُ

لو كنت صبوراً على بعدها كصبرها على بعدي، أو لو كان عندها ما عندي من قلق وتوتر، لكنت ملكت زمام أمري.. لكن الحال أن كل المعاناة عندي وهي غير عابئة

إذا دَعَا باسـمِـهـا دَاعٍ لِيُحْزِنَني   كادَتْ لهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتي تَقَعُ

لا أَحمِلُ اللومَ فيهـا والغَرامَ بِها   لا حَمَّلَ اللَّهُ نَفْساً فوقَ مَا تَسَعُ

أتحمل لوم اللائمين، وأتحمل الغرام.. فهذا ألم مضاعف

٢٥ حمَّاء المدامع

كَلِفْتُ بِحَمَّاءِ المَدَامِعِ طَفْلَةٍ   حَبيبٍ إلينا قُربُها لو تُنَاصِفُ

أغرمت بطفلة سوداء المآقي، من كحل رباني، وكنت أحب قربها لو أنها منصفة وتبادلني حباً

مِنَ اللُّفِّ أَفْخَاذاً، إذا ما تَقَلَّبَتْ   مِنَ الليلِ وَهْناً أَثْقَلَتْها الرَّوَادِفُ

ملفوفة الفخذين، وعندما تتقلب في نومها تحس بثقل لضخامة مؤخرتها

٢٦ فخر

فَإنْ تَسْأَلي يا بَثْنَ عنَّا فإنَّنَا   لنا المجدُ قِدْماً، والعَديدُ المُضَعَّفُ

مجدنا قديم، وعشيرتنا كبيرة

قُضَاعَةُ قَوْمي، إن قَوْمي ذُؤَابَةٌ   بِفَضْلِ المَساعي في المُلِمَّاتِ تُعْرَفُ

قومي قضاعة هم الذؤابة، القمة، وهي مشهورة بالمساعي في الملمات، التصدي للمصائب

وكنَّا إذا ما مَعشرٌ أَجْحَفُوا بِنا   ومَرَّتْ جَواري طَيْرِهِمْ، وتَعَيَّفُوا

إذا ظلمنا قوم، ونووا قتالنا، فتعيفوا، أي أطلقوا الطيور ليحددوا، بحسب اتجاهها يميناً او شمالاً، وقتاً يتفاءلون به للإغارة علينا

وَضَعْنا لهم صَاعَ القِصَاصِ رَهِينَةً   بِمَا سوف نُوفيها إذا النَّاسُ طَفَّفُوا

أعددنا لهم صاعاً، مكيالاً، من القصاص، ونعطيهم الصاع وافياً غير مطفف، غير ناقص كما يفعل بعض الناس

تَرى الناسَ ما سِرْنَا يَسيرونَ خلفَنا   وإن نحن أومَأْنا إلى الناسِ وَقَّفُوا

الناس يتبعوننا لأننا السادة، وإذا أشرنا بالوقوف وقفوا. قيل إن هذا البيت سرقه الفرزدق من جميل

فأَيُّ «مَعَدٍّ» كان فَيْءُ رِمَاحِهِ   كما قد أَفَأْنَا؟ والمُفَاخِرُ يُنْصِفُ

فأي قبيلة في قبائل «معدّ» كانت غنائم رماحهم مثل غنائم رماحنا؟ والذي يفاخر عليه أن يكون منصفاً

بَرَزْنا وأَصْحَرْنا لِكُلِّ قَبيلَةٍ   بِأَسيافِنا، إذْ يُؤْكَلُ المُتَضَعَّفُ

برزنا في الصحراء بسيوفنا ولم نأخذ استحكاماً وراء جبال، والضعيف يُهزم ويُنتهب ماله

ونحن حَمَيْنا يومَ مَكَّةَ بِالقَنا   قُصَيّاً، وأَطْرافُ القَنا تَتَقَصَّفُ

وفي الماضي البعيد حمينا قصي بن كلاب زعيم قريش في حرب كانت الرماح فيها تتقصف

فَحُطْنا بِها أَكْنافَ مَكَّةَ بَعدَما   أَرادتْ بِها ما قد أَبَى اللَّهُ «خِنْدِفُ»

حمينا بالرماح جوانب مكة عندما تكالبت عليها قبائل خندف. المقصود ما جرى بين قريش وخزاعة في الزمن القديم

٢٧ الرعابيب

وبِيضٍ رَعَابيبٍ تُثَنِّي خُصورَها   إذا قُمْنَ أعجازٌ ثِقَالٌ وأَسْؤُقُ

ما يجعل خصور هؤلاء الفتيات البيض الرعابيب، الناعمات، تتثنى عند قيامهن هو مؤخراتهن الضخمة وسيقانهن الممتلئة. قد كنت تجرأت وسألت فتاة يوماً: كيف تتحرك أجسامكن هكذا إذ ترقصن في الأعراس؟ تلك مهارة عجيبة. فقالت لي: ليس ثمة من مهارة، نحن نحرك الجزء السفلي الثقيل أدنى حركة، فيهتز الجسم كله، فشكرت الله شكر اليهودي المتدين الذي يصحو كل صباح فأول ما يفعله أن يشكر الله أن خلقه ذكراً

غَرائِرَ لم يَلْقَيْنَ بُؤْسَ مَعيشَةٍ   يُجَنُّ بِهِنَّ النَّاظِرُ المُتَنَوِّقُ

فتيات غرائر، أي بريئات، متنعمات لم يعرفن الفقر، والناظر المتنوق، صاحب المزاج، يجن بهن جنوناً

٢٨ فراق

مَنَعَ النَّومَ شِدَّةُ الاشْتِياقِ   وادِّكَارُ الحَبيبِ يومَ الفِراقِ

ادّكار: تذكُّر

لَيتَ شِعري إذا بُثَينةُ بَانَتْ   هل لنا بعدَ بَيْنِها مِنْ تَلاقِ

وَلَقَد قُلْتُ يومَ نَادَى المُنَادي   مُسْتَحِثّاً بِرِحْلَةٍ وانطِلاقِ. .

عندما نادى منادي قومها بالرحيل وهو يحث القوم للاستعداد والانطلاق قلت: . .

ليتَ لي اليومَ يا بثينةُ مِنْكُمْ   مجلِساً لِلوَداعِ قبلَ الفِراقِ

. . ليتني أجلس معك للوداع

٢٩ لعلَّها

وبَيْنَا حِبالٌ ذاتُ عَقْدٍ لِبَثْنَةٍ   أُتيحَ لها بعضُ الغُواةِ فَحَلَّها

بينا، أي بينما، كانت بيننا حبال معقودة، علاقة وثيقة، وجاء بعض الغواة الضالون فحلوها

وقَالوا نَراها يا جميلُ تَبَدَّلَتْ   وغيَّرها الوَاشي، فقُلتُ لعلَّها

يقولون لي تغيرت لما سمعت من الواشي، فقلت: ربما!

٣٠ جميل ينصح قلبه

أَلَا مَنْ لِقلبٍ لا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ   أَفِقْ فالتَّعَزِّي عن بُثينةَ أَجمَلُ

من ذا يساعد قلباً لا يمل من الغرام ولا يذهل عنه، لا ينساه؟ أفق يا قلبي فنسيان بثية أحسن لحالك. وقال هذه القصيدة بعد أن كلمه أبوه وقال له إن بثينة تستهويك وتبدي لك الحب، ولكنها تعود إلى زوجها كما تعود كل امرأة إلى زوجها، فعزم جميل على أن ينقطع عنها

سلا كُلُّ ذي وُدٍّ عَلِمْتُ مَكانَهُ   وأنتَ بِها حتَّى المَمَاتِ مُوَكَّلُ

كل محب عرفته أحب ثم نسي، وأنت يا قلبي كأنك مكلف بحبها حتى الممات

فمَا هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلَها   ولا هكذا فيما مضى كنتَ تَفعلُ

يا قلبي! لم تكن تحب بهذه الطريقة الجنونية من قبل

فيا قلبُ دَعْ ذِكرى بثينةَ إنَّها،   وإن كنتَ تَهواها، تَضِنُّ وتَبْخَلُ

اتركها يا قلبي، فهي ضنينة بخيلة بالوصل

وقد أَيْأَسَتْ مِنْ نَيْلِها وتَجَهَّمَتْ   ولَلْيأسُ إن لم يُقْدَرِ النَّيْلُ أَمْثَلُ

وقد أوصلتك إلى اليأس من نيل حبها، واليأس أفضل لك عندما يتعذر الوصال

وإنَّ التي أحببتَ قد حِيلَ دونَها   فكُنْ حازماً، والحازمُ المُتَحَوِّلُ

وقد حال قومها بينك وبينها، فتحول عنها فهذا هو الحزم

٣١ ولو قُطعت رجلي

ولـو أنَّ أَلْـفـاً دونَ بَـثْـنَـةَ كـلُّـهُـمْ غَـيارَى، وكُلٌّ حارِبٌ مُزْمِعٌ قتلي..

لو كان حول بثينة ألف رجل يغارون عليها، وكلهم متنمّر ينوي أن يقتلني..

لَـحـاوَلْـتُـهـا إمَّـا نَـهـاراً مُـجَـاهِـراً وإمَّا سُرَى ليلٍ، ولو قُطِعتْ رِجلي

لحاولت وصلها إما في وضح النهار، وإما بسير الليل نحوها، ولو قطعت رجلي في المحاولة

٣٢ طلابيها لما فات من عقلي

لقد فَرِحَ الواشونَ أنْ صَرَمَتْ حبْلِي بُثينةُ، أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البُخلِ

فرح الواشون عندما صرمت بثينة حبلي، أي قطعت العلاقة، أو بدا منها بخل بودها

يـقـولـونَ مـهلاً يـا جـمـيـلُ، وإنـنـي لأُقْسِمُ ما لي عن بثينةَ مِنْ مَهْلِ

أَحِلْـمـاً! فـقَـبلَ الـيـومِ كـان أوانُـهُ، أم اخْشَى! فقبلَ اليومِ أُوعِدْتُ بالقتلِ

أأتعقل! كان هذا ممكناً قبل العشق. أم أخشى؟ لن أخشى، وكنت سابقاً هُدِّدت بالقتل ولم أخش ذلك

لقد أَنْكَحُوا حَربي «نُبَيْهاً» ظَعِينَةً لَطيفةَ طَيِّ البَطْنِ ذَاتَ شَوىً خَدْلِ

لقد زوَّجوا حربي، أي خصمي، نُبيهاً ظعينة، أي فتاة، لطيفة طي البطن، أي ضامرة البطن، ذات شوى خدل، ذات أطراف ممتلئة، وكانوا ـ وأيضاً كُنَّا ـ يحبون الساق الممتلئة والذراع العبْلة الممتلئة.. فها قد عرفنا معنى اسم «عبلة»!

وكـم قـد رأيْـنـا سـاعِـيـاً بِـنـمـيـمـةٍ لآخَـرَ لـم يَـعْـمَـدْ بِـكَـفٍّ ولا رِجْـلِ

كثيراً ما رأينا واشياً يسعى بالنميمة لآخر لم يفعل شيئاً

إذا مـا تَـراجَـعْـنـا الـذي كـان بـيـنَـنـا جرى الدمعُ مِنْ عَيْنَيْ بثينةَ بِالكُحْلِ

إذا استعرضنا ما جرى بيننا بكت بدمع أسال كحلها. لا يقولنَّ أحد إن هذا خيال شاعر.. من قال هذا البيت لا بد أنه شهد هذا الموقف

ألا أَيُّـهـا الـبـيـتُ الـذي حـيِـلَ دونَـه بِنَا أنتَ مِنْ بيتٍ، وأَهلُكَ مِنْ أَهْلِ

يا بيتها الذي حيل بيني وبينه الآن، أفديك بنفسي وأفدي أهلك

كِلانـا بَـكَـى، أو كـادَ يَـبكـي صَـبَـابَـةً إلى إِلْفِهِ، واستَعْجَلَتْ عَبْرَةً قَبلي

كلانا بكى، أو كاد، لفرط العشق لحبيبه، بل هي بكت قبلي

فلو تَـرَكَـتْ عَقلي مَعي ما طَلَبتُـهـا ولكنْ، طِلابيِها لِمَا فاتَ مِنْ عقلي

لو تركت فيَّ عقلاً لكففت عنها بعد زواجها، لكنني لا أكفُّ لأن عقلي لم يعد معي

فإن وُجِدَتْ نَعْلٌ بأَرْضٍ مَضِلَّةٍ   مِنَ الدهرِ يوماً فاعلَمي أَنَّها نَعلي

فإن وجد أحدهم نعلاً ملقاة في أرض مقفرة يضل فيها المرء، فاعلمي أنها نعلي وأنني همت على وجهي.. وأكلتني الصحراء

أَجِدِّيَ لا أَلْقَى بُثَينةَ مَرَّةً   مِنَ الدهرِ إِلَّا خائِفاً أو على رَحْلِ

أمعقول أنني لن ألقى بثينة أبداً إلا وأنا خائف، أو مارٌّ مروراً وأنا راكب جملي؟

خليليَّ فيما عِشْتُما هل رأَيْتُما   قتيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قاتِلِهِ قَبلِي

أفي أمِّ عَمْروٍ تَعذِلاني هُدِيتُما؟   وقد تَيَّمَتْ قلبي، وهامَ بِها عقلي

أَبيتُ مَعَ الهُلَّاكِ ضَيْفاً لِأَهْلِها   وأهلي قَريبٌ مُوسِعُونَ ذَوو فَضْلِ

أبيت مع الصعاليك على أطراف منازل قومها، مع أن أهلي يسكنون قريباً وهم موسعون موسرون ولديهم زيادة من المال

٣٣ سائقة التثاقل

أَبُثَيْنَ إِنَّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحي   وخُذي بِحَظِّكِ مِنْ كَريمٍ واصِلِ

قد ملكت قلبي يا بثينة فأسجحي، أي أحسني،
وخذي أنت حظك من الوصل

فَلَرُبَّ عارِضَةٍ علينا وَصلَها   بالجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقولِ الهازِلِ..

فرُبَّ فتاة عرضت علينا وصلها بكلام فيه مزيج من الجد والمزاح..

فأَجَبْتُها بالقولِ بعد تَسَتُّرٍ   حُبِّي بثينةَ عن وِصالِكِ شاغِلي

فقلت لها بعد أن ترددت قليلاً إن حبي لبثينة يشغلني عن وصلك

لو كان في صدري كَقَدْرِ قُلامَةٍ   وَصَلَتْكِ كُتْبي أو أَتَتْكِ رَسائلي

ولو كان في صدري فراغ بقدر قلامة الظفر لكنت واصلتك وجاءتك رسائلي

ويَقُلْنَ: إنكَ قد رَضيتَ بِباطِلٍ   منها، فهل لَكَ في اجْتِنابِ الباطِلِ

تقول لي العاذلات إنني رضيت بالباطل الذي هو غرامي بك

ولَباطِلٌ مِمَّنْ أُحِبُّ حديثَه   أَشهى إليَّ مِنَ البَغيضِ الباذِلِ

ولكن الباطل من شخص أحب حديثه أشهى إليَّ من الشخص البغيض الكريه ولو أنه يمنحني ويبذل لي ما أريد

صَادَتْ فُؤادِي يا بُثَيْنَ حِبَالُكُمْ   يومَ «الحَجُونِ»، وأَخْطَأتْكِ حَبائِلي

لما رأيتك في ذلك المكان وقعت في شراكك، ولكنك أنت لم تقعي في شراكي

وتَثاقَلَتْ لَمَّا رأتْ كَلَفِي بِها   أَحْبِبْ إلَيَّ بِذاكَ مِنْ مُتَثاقِلِ

يقول المثل «الثقل صنعة»

وأَطَعْتِ فِيَّ عَواذِلاً فَهَجَرتِني   وعَصيتُ فيكِ، وقد جَهِدْنَ، عَواذلي

طاوعتِ أنتِ العاذلات، أما أنا فقد اجتهدتْ عاذلاتي في ثني عنك وعصيتهن

يَعْضَضْنَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ أَنامِلاً   ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادِلِ

الجنادل: الصخور

ويقُلْنَ إنَّكِ يا بثينَ بَخيلَةٌ   نَفسي فِداؤُكِ مِنْ ضَنينٍ بَاخِلِ

٣٤ أقل من القليل

أيَا ريحَ الشَّمالِ أمَا تَرَيْني   أهيِمُ، وأنَّني بَادي النُّحُولِ

هَبي لي نَسْمَةً مِنْ ريحِ بَثْنٍ   ومُنِّي بالهُبوبِ إلى جَميلِ

وقُولي: يا بُثَينةُ حَسْبُ نَفسي   قَليلُكِ أو أقَلُّ مِنَ القَليلِ

قولي أيتها النسمة: يا بثينة يكفيني منك القليل

٣٥ بكر النعيُّ

قيل: هذا آخر ما قاله..

بَكَرَ النَّعِيُّ، وما كَنَى، بِجميلِ   وثَوَى بِمِصْرَ ثَواءَ غيرِ قُفُولِ

جاء خبر موت جميل صباحاً، وورد فيه الاسم صراحة بلا تعريض، وثوى، أي أقام جميل في مصر إقامة دائمة ليس بعدها قفول، أي عودة

ولقد أَجرُّ الذَّيْلَ في وادي القُرَى   نَشْوانَ بينَ مَزارعٍ ونَخيلِ

مضى زمن كنت فيه أتبختر في وداي القرى بمكة وأجر ذيل ثوبي سعيداً بين النخيل

قُومي بُثينةُ فانْدُبي بِعَويلِ   وابْكي خَليلَكِ دونَ كلِّ خَليلِ

وقيل إن بثينة قالت عندما جاءها نعيه:

سواءٌ علَيْنا يا جَميلَ بنَ مَعْمَرٍ   إذا مُتَّ بَأْساءُ الحياةِ ولِينُها

٣٦ مغامرة بريئة

رَسْـمُ دارٍ وقـفـتُ فـي طَـلَـلِـهْ   كِـدْتُ أَقْضـي الـغَـدَاةَ مِـنْ جَـلَـلِـهْ

وقفت ببقايا الدار التي رحل عنها الحبيب،
وكدت أقضي لجلل، لهول، الموقف

واقِـفـاً فـي ديـارِ «أُمِّ جُـسَـيْـرٍ»   مِـنْ ضُـحَـى يَـوْمِـهِ إلـى أُصُـلِـهْ

وقفت طول اليوم من الضحى إلى الأصيل قبيل الغروب في ديار «أم جسير» أخت بثينة

بـيـنـمـا هُـنَّ بِـالأَرَاكِ مـعـاً   إذْ بَـدَا رَاكِـبٌ عـلـى جَـمَـلِـهْ

يتذكر الأيام الخوالي: بينما كانت الفتيات في واد فيه شجر الأراك، ظهر راكب على جمله

فَـتَـأَطَّـرْنَ، ثـم قـلْـنَ لـهـا: أَكْـرِمـيـهِ حُـيِّـيـتِ فـي نُـزُلِـهْ

فتثنين دلالاً وقلن لبثينة: أكرمي نزوله بطعام

فَـظَـلِـلْـنـا بِـنـعـمـةٍ، واتَّـكَـأْنَـا   وشَـرِبْـنـا الـحَـلالَ مِـنْ قُـلَـلِـهْ

فمكثنا سعداء متكئين، وشربنا ماء من القلل، الجرار..
كناية عن التمتع بالمتع البريئة

قـد أَصُـونُ الـحـديـثَ دونَ خَـلـيـلٍ   لا أخـافُ الأَذَاةَ مِـنْ قِـبَـلِـهْ

قد أصون الحديث، وأخفيه، عن صاحب رغم عدم خوفي من أذاه

وخـلـيـلٍ صَـافَـيْـتُ مُـرْتَـضِـيـاً   وخَـلـيـلٍ فـارقْـتُ مِـنْ مَـلَـلِـهْ

ورب صاحب أصفيه مودتي، وصاحب آخر أمله وأفارقه

٣٧ لقاء في المنام

شـهِـدْتُ بِـأَنِّـي لـم تَـغَـيَّـرْ مَـوَدَّتـي   وأَنِّـي بِـكُـمْ حتى الـمَـماتِ ضَـنـيـنُ

لم تتغير مودتي، وأنا ضنين، أي حريص، على هذا الحب حتى الممات

وأنَّ فُـؤادي لا يَـلـيـنُ إلـى هـوىً   سِـواكِ، وإن قَـالـوا: بَـلَـى سَـيَـلِـينُ

وفؤادي لن يميل لغيرك مهما قالوا

وإِنِّـي لأَسْـتَـغْـشـي، ومـا بِـيَ نَـعْـسَـةٌ   لـعـلَّ لِـقـاءً فـي الـمـنـامِ يـكـونُ

أستغشي، أتكلف النوم، وما بي من نعاس، حتى أراك في منامي

٣٨ أنا وهي وقومها

ولو أَرْسَلَتْ يوماً بُثينةُ تَبْتَغي يَميني، ولو عَزَّتْ عَلَيَّ يَميني..
لأَعطَيْتُها ما جاءَ يَبغي رسولُها وقلتُ لها بعدَ اليَمينِ سَليِني

سليني: اسأليني

ولستُ، وإنْ عَزَّتْ عَلَيَّ، بِقائلٍ لها بعدَ صَرْمٍ: يا بُثَيْنَ صِلِيني

حتى وإن كانت بثينة عزيزة علي، فلن أطلب منها الود بعد الصرم، أي القطيعة

فليتَ رِجَالاً فيكِ قد نَذَرُوا دَمي وهَمُّوا بِقَتْلي يا بُثَيْنَ لَقُوني

ليت هؤلاء الذي أهدروا دمي وحاولوا قتلي لقوني

إذا ما رَأَوْني مُقْبِلاً مِنْ ثَنِيَّةٍ يقولون: مَنْ هذا؟ وقد عرفُوني

الثنية: الطريق

يقولونَ لي أهلاً وسَهلاً ومَرحباً ولو ظَفِرُوا بي ساعةً قَتلوني
وكيفَ! ولا تُوفي دِماؤُهُمْ دَمي ولا مَالُهُمْ ذو كَثْرَةٍ فَيَدُوني

كيف لهم أن ينفذوا تهديدهم، وهم ليسوا لي بأكفاء في الدم، فقومي سيأخذون ثأري في مقتلة عظيمة، والأعداء لا يملكون من المال ما يكفي ليدوني، ليدفعوا ديتي

تَجَنَّى عَلَيَّ الذنبَ أهلي وأهلُها ولو عَرفوا وَجدي بِها عَذَرُوني

الوجد: شدة العشق

٣٩ أرجوزة عاشق

أبكي، وما يُدريكِ ما يُبْكيني
أَبكي حِذارَ أن تُفَارِقيني
إنَّ بَني عَمِّكِ أَوْعَدُوني
أنْ يَقطَعُوا رأسي إذا لَقُوني

٤٠ إنقاذ الغزالة

على الدارِ التي لَبِسَتْ بِلاها قِفَا يا صَاحِبَيَّ فَسائِلاها

قفا يا صاحبيَّ عند الدار التي لبست حلة جديدة هي حلة البلى، الدثور والخراب، واسألاها

وقد طالَبْتُها حتى مَلِلْنَا مَواعِدَها وأعيانَا مُنَاها

طالبت بثينة بتحقيق وعودها، ولكنْ أتعبنا تمني ذلك

فما جَادَتْ لنا حتى وَرَدْنا حَياضَ الموتِ أوْ كِدْنَا نَراها

فما جادت لنا حتى وردنا أحواض الموت أو كدنا

ذكرتُكِ إذ رأَيْنا أُمَّ خِشْفٍ «بِذي ضَالٍ» تَريعُ إلى طَلَاها

تذكرتكِ عندما رأينا غزالة مع خشفها، صغيرها، في ذلك المكان وهي تريع، أي ترجع، لتلازم طلاها، أي صغيرها

رأَتْنا قَاصِدينَ لَها فَوَلَّتْ أَمامَ الخِشْفِ مُضطَرِباً حَشاها

رأتنا نقصدها فانصرفت ووقفت أمام صغيرها مضطربة حائرة

وقد حَفَّ الرُّماةُ بِجانِبَيْها وكُلُّهُمُ على حَنَقٍ يَراها

وقد أحاط رماة السهام بها من الجانبين، وهم على حنق، على استعداد، ينظرون إليها

فَجالَتْ ساعةً ثم استَظَلَّتْ إلى سَنَدٍ تُحاوِلُ مُلْتَجَاها

تمشت قليلاً، واستندت تلتمس ملجأ

إلَيْهِ سَاعَةً تَرمي بِطَرْفٍ وأُخرَى نَحْوَنا قَلِقاً حَشَاها

ترمي بنظرها إلى صغيرها حيناً، وتنظر إلينا حيناً

وقد آلَيْتُ خَشْيَتَهُمْ عليها أُكَلِّمُ مِنْهُمُ رجُلاً رَمَاها

وقد حلفت لخشيتي عليها منهم أنني لا أكلمُ بعد اليوم أي شخص يرميها

فقالوا ما دَهَاكَ؟ فقلتُ نَفْسي وبيتِ اللّهِ تَعْلَمُ ما دَهَاها

وما بي فَاعْلَموا مِنْ حُبِّ ظَبيٍ ولكِنِّي ذَكَرْتُ بِهِ سِوَاها

ألَا يا شِبْهَ ذاتِ الخَالِ قَرِّي بِأَرضِكِ، لن تُراعي في رُبَاها

أيتها الغزالة، يا من تشبهين الحبيبة ذات الخال، اطمئني في أرضك، فلن تراعي، لن يصيبك خوف

٤١ خذي من عمري

وقد خِفْتُ أن يَغْتَرَّني الموتُ بَغْتَةً وفي النفسِ حَاجاتٌ إليكِ كما هِيَا

يغترني: يباغتني

وإنِّي لَتُنْسِينِي الحَفيظَةُ كُلَّمَا لَقِيتُكِ يَوماً أنْ أَبُثَّكِ ما بِيَا

التحفظ يجعلني أنسى أن أصارحك بحبي

وَدِدْتُ، على حُبِّي الحياةَ، لو انَّها يُزادُ لها في عمرِها مِنْ حَياتِيا

٤٢ صدقَ الواشون

وماذا عَسَى الوَاشُونَ أن يَتحَدَّثُوا سوى أن يَقولُوا إنَّنِي لكِ وَامِقُ

ماذا يمكن للواشين أن يقولوا سوى أنني لك محب عاشق

نعمْ صَدَقَ الوَاشُونَ أنتِ كريمةٌ علَيْنا، وإنْ لم تَصْفُ منكِ الخَلائِقُ

وقد صدقوا فأنت موضع تكريم عندي، وإن كانت طباعك لا تصفو لي

٤٣ حب بالمراسلة

وإنِّي لأَرضَى مِنْ بثينةَ بِالذي لو ابْصَرَهُ الوَاشي لَقَرَّتْ بَلابِلُهْ

أرضى من بثينة بالقليل جداً، الذي لو رآه الواشون لاطمأن بالهم واستقرت مخاوفهم

بِلا، وبأنْ «لا أَستَطيعُ»، وبِالمُنَى وبِالأَمَلِ المَرْجُوِّ قد خَابَ آمِلُهْ

أرضى منها بكلمة «لا»، وبقولها «لا أستطيعُ»، وأرضى بالأمل.. لكنه أمل خائب

وبِالنَّظْرَةِ العَجْلَى، وبِالحَولِ تَنقضي أَواخِرُهُ، لا نَلتَقي، وأَوَائِلُهْ

وأرضى منها بالنظرة السريعة، وينقضي العام من أوله إلى آخره ولا يكون بيننا لقاء

جميل بثينة

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

بقية المعلقات

كنا قد اخترنا أبياتاً من معلقات امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ضمن ما اخترناه من شعرهم. وبقيت معلقات ست، بحسب من جعل المعلقات عشراً. فهذه مختارات من الست الباقيات.

وخير من شرح المعلقات العشر وأعربها كلها وبذل فيها الجهد الكبير الشيخ محمد علي طه الدرة، وقد أخذنا بأكثر من رواية وراجعنا المعلقات عند الزوزني والشنقيطي، الذي ساق روايات عدة، لكن ما صنعه الشيخ الدرة في مجلدين كبيرين انتهى من تبييضهما عام ١٩٧٤، جهد كبير جداً. اسمعه يقول في مقدمته: «وبما أنني لا أملك مالاً يكفي لطبعها ونشرها أخذت ألتمس ذلك من الناشرين، ومن المكتبات الشهيرة... ثم أرسلت المخطوط بكامله إلى وزارة الثقافة والإرشاد في دمشق والتمست منها طبعه ونشره فاعتذرت الوزارة..» وقِف بإزاء هذين المجلدين الكبيرين اللذين حشيا علماً وذوقاً وفهماً للشعر وللغة وللنحو، وتأمل حال ثقافتنا، ومقدار احترامنا لجهد كبير مميز. كلما نظرت في طبَعات المعلقات السبع أو العشر، وهي أكثر من النمل وأقبح من القمل، قلت في نفسي: يا لضياع الورق. غير أن مجلدي الشيخ الدرة ثمينان.

سترى أن عملنا مختلف عن عمل الشيخ الدرة كثيراً، فالرجل شرح شرحاً مستفيضاً مفعماً بالتفسير اللغوي والبياني، وزاد في تفسير كل بيت فلخصه تلخيصاً، ثم زاد فأعرب البيت إعراباً كاملاً. كل ذلك بقلم قدير مبين. ونحن اخترنا أبياتاً من كل معلقة هي فيما نرى أجمل الأبيات وأقواها، وشرحناها بما يجعل القارئ يفهم، ثم إننا لا نمر بكلمة صعبة إلا فسرناها في سياق الشرح. لا نحن أعربنا ولا نحن عرضنا لما في الأبيات من نكت بلاغية، ومن مشكلات نحوية، ولا نحن سردنا الروايات المختلفة. فقد كنا نرى الروايات

المختلفة لكلمة بعينها أو لبيت أو نصف بيت، ونختار أشهرها، ثم لا نثقل على القارئ بذكر ما لم نختره من الروايات. وقد تأثرنا في اختيارنا للأبيات نفسها، بعض التأثر، بذوق القدماء. فإذا رأيناهم أكثروا من التعجب من بيتين لعنترة يصف فيهما الذباب حرصنا على إيراد البيتين. فإن وجدنا الشنقيطي وطبعات عديدة أخرى أهملت بيتي عنترة «ولقد ذكرتك والرماح نواهل/مني وبيض الهند تقطر من دمي// فوددت تقبيل الرماح لأنها/لمعت كبارق ثغرك المتبسم» جئنا بالبيتين من رواية قديمة أخرى.

فإن قلت إن هذين البيتين السهلين الجميلين البسيطين عليهما سيما عصر لاحق، ولا يحملان من سمات لغة الجاهلية شيئاً، قلنا لك إن كل معلقة عنترة، وكل المعلقات، وكل الشعر الجاهلي قد دخل فيه ما ليس منه.

هذه مسألة شائكة جداً من مسائل تحقيق مصادر الأدب القديم. ونكتفي هنا بالإشارة إلى الحشد الكبير من الأمثلة الذي ساقه ناصر الدين الأسد ـ في كتابه «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» هذا الكتاب الذي ظل فذاً، لا ضريب له ـ على أن كثيراً من الشعر الجاهلي دوِّن في مراحل باكرة. قد أكثَرَ الأسد من الأمثلة إكثار مريب يحشد الأعذار. لكنه وقف في وجه الاندفاعة العارمة لأستاذه طه حسين، الذي أنكر جاهلية الشعر الجاهلي، وقفة صارمة وهادئة وفيها الكثير من التأدب وحسن الخلق. ونحن هنا نقف وقفتنا المعتادة، كي نمدح ونذم.

هذا الدارس الأردني، ناصر الدين الأسد، كان يحضر لرسالة الدكتوراه في مصر. وكانت رسالته هذا الكتاب الكبير، كتاباً ظل حتى بعد انقضاء سبعين سنة السند المكين لكل من يدرس موضوع «مصادر الشعر الجاهلي». وتقرأ الكتاب فتتمتع بلغته العالية، وتتمتع بالبحث العميق. وترى بحثاً حقيقياً. رحم الله ناصر الدين الأسد.

فهل لاحظتم أننا لم نقل «الدكتور» ناصر الدين الأسد؟ قد رفعنا قدره عن أن نلحقه بهذه الزمرة الكَلِبة من دكاتير الدكاكين الجامعية الذين يتصاعد الصنان من تلك الأسقاط التي يطبعونها ويسمونها كتباً.

المزيد من إنزال النكال بأهل الابتذال

قد كنا في مواضع من أوراقنا هذه، التي ننتخب فيها الأشعار ونشرحها، قصَبنا الأكاديميين وضرَّسناهم، وتحدثنا في الأسطر السابقة هنا عن رجلين من

جلة العلماء، فذكَّرانا ـ والشيء يُذكِّر بضده ـ بأساتيذ الجامعات والجراء اللاعقة في سبيل الدكتوراهات. فطاب لنا أن نقف وقفة نعالنهم فيها بعضائهم، ونحسر اللثام عن مساويهم، ونصحر لهم، لا نصادي ولا نداجي، بل نجدُّ في فل شباتهم وكف عُرامهم. فما منهم إلا من هو خشارة مدرسته وكساحة صفه. إنهم ـ إلا من رحم ربي ـ أوشاظ رمت بهم مجاميعهم في كليات اللغة العربية في الجامعات، فآض ذلك زؤاناً كثيراً ضاع فيه القمح. ولا والله ما نرجو فيما نكتب أن نرتق فتقاً ولا أن نرأب ثأياً، بله أن نجادل بالتي هي أحسن. بل نقارعهم بالتي هي أسوأ حتى نقيم صعرهم من غير نية إصلاح، ونَجَأ أعناقهم حتى نَزَعهم عن صيَدهم. لا نرجو منهم إنابة ولا نزوعاً، قد اتسع الفتق على الراتق؛ ولا نلتمس إنهاضهم من كبوة ولا إقالتهم من عثرة، فقد تمرغوا في وضر السرجين، لا أقام الله لهم ساقاً. وتقول لي: أليس في افتضاح أمرهم ما يكفُّك عما أنت فيه من شتم؟ أولم يسل سخيمة قلبك ما تراه من احتقار الناس في أيامنا لكل أصحاب الشهادات؟ أوليس مما يزيل حسائك صدرك أن لعبة «الدكتوراه» قد انكشفت؟ لا، لا يثنيني ذلك كله عن المضي في انتهاشهم، وجعلهم أحدوثة، فما أصنعه اثّآر لا إنذار. وإن عزب عنك إنني ألهو بهم لهو سيف الدولة بلحية الأحمق، فقد غاب عنك المطرب. أولئك قوم ـ وأعني دارسي الأدب العربي الذي استشروا في الجامعات ـ لم يتصوَّنوا عن عرض الأدب، ولا ارعووا عن التسربل بسربال الشنار في درسه. سأغلظ لهم وأحملهم على مبرد خشن يجرون عليه عضارطهم، وسأماظهم وأراغمهم كعماً كعماً.

وجل غضبي راجع إلى قيح في روحي ليس لي فيه يد. فقد تبرمجت منذ أن شدوت على أن درس اللغة والعربية والشعر العربي، والتعمق فيهما، خير ما يصنعه المرء. ومضت سنوات كنت فيها كالماشي في نومه، فإذا الناس ينصرفون عن هذا كله انصرافاً، وإذا الفصحى تبهت، وإذا العاميات تزحزحها. ولا قبل لي بتغيير ما عليه تبرمجت وفيه نشأت. تولد في نفسي غضب شديد. ثم رأيت صروح التخلف والعفن ـ قد فهمتَ أنني أعني بذلك الجامعات! ـ تقيم للغة الفصحى وللأدب العتيق الصلوات. ورأيت رؤساء الجامعات، رُئسوا، لا يؤمنون بكل هذا الذي اسمه أدب عتيق ولغة فصحى، ولكنهم ينضحون تلك الصروح بماء الرياء، ويحشرون فيها حُسافة الرجال كي يرضى عنهم زمن الانهزام، وكيلا يقال إنهم يتخلون عن تراث أمتهم. ثم يجيء هؤلاء الرؤساء

فيشطبون اللغة العربية شطباً من كليات العلوم. كأن الله لم يخلق العلوم إلا كي تدرس بلغة إفرنجية. فهذه واحدة بواحدة: يترضَّون المتزمتين الرجوعيين برفع الكراسي للغة العتيقة يُجلسون عليها بعض خلق الله ممن رميناهم بالفواقر في الفقرات السابقة، ثم يلعقون أحذية سماسرة الغرب بشطب اللغة العربية من كليات العلوم، وبعضهم يشطبها من كليات الاجتماع والفلسفة والتاريخ أيضاً.

أنا غاضب أنني تعلقت بهذا القديم، ثم ما بلغت أول الشيخوخة إلا وهو مرذول، فبارت بضاعتي.

أصدقك القول إنني أحمل بين جوانحي نفساً غضبى، وإنني أعاني علة الشيخ النكِد الحاقد على الدنيا بلا سبب إلا أنه بدأ يدخل في أرذل العمر.

عود إلى المعلقات

لا تكاد تقرأ سطرين من مقدمة كتاب من مئات الكتب التي كتبها أولئك الفسول عن الشعر الجاهلي إلا قفزت إلى عينيك التسبيحات والتحميدات، والدعوات الحارات إلى المنافحة عن ديننا وشرفنا القومي. كأن هؤلاء الصبية داخلون على ضابط مخابرات فأول ما يجأرون به نفي التهمة عن أنفسهم.

هذه - يا سوقة - مسألة بحثية لا شأن لها بمشاعركم.

الشعر الجاهلي موضع شك منذ ابن سلام حتى اليوم. قد قتل الناس الأمر بحثاً، وعليك بأبحاث نولدكه وألفرت ومرغوليوث التي نشرها مترجمة إلى العربية عبد الرحمن بدوي، وعليك بطه حسين، ثم عليك بكتاب محمود شاكر الذي محص فيه آراء ابن سلام، ففيه كتابة بديعة غير أنها ملوثة بالغضب. كان شاكر أحسن من فهم الشعر العربي القديم في زمننا، غير أن هذا لا يرفع عنه شبهة الغرض.

لا نخوض في صحة الشعر الجاهلي لأنه ليس عندنا جديد في هذا الأمر. وفي المعلقات نقول بقول مصطفى صادق الرافعي: «.. غير أنه مما لا شك فيه عندنا أن تلك القصائد لا تخلو من الزيادة وتعارُض الألسنة، قل ذلك أو كثر؛ أما أن تكون بجملتها مولدة فدون هذا البناء نقض التاريخ.» نعم نحن لا نراها مولدة بجملتها، ولا نرى أن قريحة حماد الراوية أو خلف الأحمر قادرة على الإتيان بهذا التنوع البديع، وبهذه الأساليب المختلفة. وأما قصة تعليقها في الكعبة فلا يصلح فيها إلا قول الرافعي «ذلك التعليق إنما كان بحبل من التلفيق».

اختياراتنا من المعلقات

ذوقنا في الاختيار ذوق تراكمي: نحب الأبيات التي تعجبنا بصرف النظر عن أي تأثر، ونهش لكثير مما يستحسنه القدماء، فنورده حتى لا يفوت القارئ، أو نورده لأننا وجدناه حسناً. والبيت يصبح حسناً في أذنك إذا تكرر عليك، فإذا اصطلحت كتب الأدب على أبيات تكثر من إيرادها فهي تصبح حسنة بالتكرار. نعم، ذوقي في الاختيار ليس ذوق القادر المحتكم الصارم المتجهم. قطفت لك أطايب المعلقات. ولست بالرجل العتيق يطلب من أمة لا إله إلا الله أن يغرقوا في الشعر القديم، وأن يطالعوه صباح مساء.

ففي الدنيا ما يشغل العاقل عن الشعر القديم. وحسب المتعلم أن يعرف قليلاً من خرافاتنا تكون له حبلاً سرياً يصله بلغته وأمته. ولا حياة لشعب بغير خرافات. قد كنت أتندر ظهيرة اليوم مع نحو أربعين طالباً من طلابي بمقتل المتنبي. أروي لهم النادرة، وبيت الشعر المصاحب لها. وأرى في عيون بعضهم بريقاً: أنهم سمعوا بالنادرة، وأرى بعضهم متحفزاً يريد أن يعرف القصة، بعضهم يحفظ بيت الشعر المشهور الذي زعموا أنه «قتل» المتنبي، وبعضهم يتلكأ فيه. فإذا قلت: الخيل والليل والبيداء.. أكملوا كلهم البيت. تلك في عرف التاريخ خرافة، ولكنها تجمعنا حولها.

ولعلي ألَّا أطيل عليك وأنا أحدثك عن طلبتي الأربعين هؤلاء، وهم في الواقع ثمانية وأربعون.. عدَدتهم أمس.

هذا الصباح جئت إلى مركز التدريب وألقيت محاضرتي التي استغرقت ساعة، وانصرف الطلبة. وسيأتون عصراً للتدريب الطويل. فهل تريد أن تعرف أين أنا الآن إذ أكتب لك هذا؟

أنا في جوبا بجنوب السودان. وطلبتي مذيعون وصحفيون من راديو وتلفزيون دولة جنوب السودان الوليدة. والقوم هنا، في جوبا العاصمة نخبة لا تمثل سكان البلاد. فجوبا ثلث مليون، ودولة جنوب السودان عشرة ملايين.

ثمة اضطراب في نفوس الثمانية والأربعين متدرباً بشأن اللغة وبشأن الانتماء القبلي، وبشأن الدين. أحاول أن أبث فيهم فكرة بسيطة: بسبب هذا التنوع الذي تعيشونه فالاتفاق على محور واحد هو الدولة وقوانينها أمر مجد. في البلد لغات شتى، وفيها صراع بين العربية والإنجليزية. تحاول السلطات

فرض الإنجليزية لغة رسمية ولغة تعليم، وهي ماضية في هذا. ولكن معظم الذين يملكون تعليماً، أو حتى يملكون دوراً اجتماعياً مهماً قد تعلموا في الخرطوم وعاشوا في شمال السودان طفولتهم أو شبابهم، ولغتهم الأولى العربية. سيكون صعباً على الإنجليزية أن تحل محل العربية وتغلبها إلا إذا استمرت مساعي الحكومة في هذا الصدد بضع سنوات أخرى. لكن دولة جنوب السودان ستبقى متعددة اللغات. لن يكون للإنجليزية فيها نصيب أفضل من نصيبها في الهند التي تتخذها لغة تفاهم رسمية دون أن تحلها في الألسنة محل اللغات الهندية الكثيرة.

نرجو لجنوب السودان ألا يجعل الدين محور انتماء وخلاف، لأنه سيخرج من الحرب القبلية القائمة الآن منذ ثلاث سنين ـ وأنا أكتب في ١٨ شباط/ فبراير ٢٠١٦ ـ ليدخل في حرب دينية.

لو حدثت القارئ عن الـ ٤٥ درجة مئوية التي أكتب وأنا أستحم بعرقها لأدرك اضطراب كتابتي، وانتقالي من موضوع إلى موضوع.

ما الذي أدى بي إلى أن أزيد متاعب قلبي الناشئة عن شعر طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وسائر أصحاب المعلقات، بشرح هذا الشعر وتشكيله في مثل هذا الجو الخانق؟ لا بد أنني، في لاوعيي، أعاقب نفسي على خطايا كنت ارتكبتها.

١ معلقة طَرَفَةَ بنِ العَبْدِ البَكْرِيّ

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ

لقوم خولة بقايا منازل بعد رحيلهم عن «برقة ثهمد»، وهي تبدو شاحبة كأنها بقايا الوشم

وُقوفاً بِها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يقولونَ لا تَهلِكْ أَسىً وتَجَلَّدِ

يقف أصحابي نياقهم، أي يوقفونها، عليَّ، أي من أجلي،
ويقولون لا تُمِتْ نفسك حزناً وتجلد (اصبر)

كَأَنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

كأن الحدوج، أي هوادج النساء، المنسوبة إلى مالك بن سعد خلايا سفين، سفن كبيرة، لكنها تسير في النواصف، أي الطرق، في وادي «دَدٍ»

عَدَوْلِيَّةٌ أو مِنْ سَفينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بها المَلَّاحُ طَوْراً ويَهْتَدي

كأنها من سفن عَدَوْلَى، على ساحل عمان، أو من سفن البحّار المعروف ابن يامن، وهي تسير والملاح ينحرف بها حينا ويسير مستقيماً حيناً

يَشُقُّ حَبابَ المَاءِ حَيزُومُها بها   كَما قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلُ بِاليَدِ

حيزوم السفينة، أي صدرها، يشق حباب الماء، أي فقاقيعه، ماضياً بها، أي بالسفينة، مثلما يشق المفايل التراب. فالمفايل، اللاعب بالتراب، يدس في كوم التراب شيئاً ثم يشق الكوم نصفين، وعلى خصمه أن يحزر في أي نصف استقر ذلك الشيء

وَوَجْهٍ كَأَنَّ الشمسَ أَلْقَتْ رِداءَها   عليهِ نَقِيُّ اللَّوْنِ لم يَتَخَدَّدِ

وللحبيبة وجه كأن الشمس منحته بهجتها. وبشرته صافية لم تتشقق

وإنِّي لأُمْضي الهَمَّ عند احتِضَارِهِ   بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدي

وأنا أنفذ همي، أي مقصدي ومطمحي، عندما يحضر وقته بناقة عوجاء تسير مهملجة يميناً ويساراً لشدة نشاطها، وهي مرقال، سريعة، تروح، أي تسير مساء، وتغتدي، أي تسير صباحاً

لَها فَخِذَانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فيهِما   كأَنَّهما بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ

اكتمل نحض، أي لحم، فخذيها فكأنهما مصراعا باب قصر منيف، أي عال، ممرد، أي أملس.. من رخام مثلاً

وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ العَلَاةِ كَأَنَّما   وَعَى المُلْتَقَى مِنها إلى حَرْفِ مِبْرَدِ

وللناقة جمجمة كالعلاة، أي سندان الحداد. ومكان التقاء أطراف الجمجمة عند فم الناقة محدد كطرف السندان الذي يشبه المبرد. السندان حتى في أيامنا يشبه رأس الناقة، ويبدو أن «السندان» لم يتطور كثيراً في الألف والخمسمئة سنة التي تفصلنا عن طرفة

وإنْ شِئْتَ لم تُرْقِلْ وإنْ شِئْتَ أَرْقَلَتْ   مَخافَةَ مَلْوِيٍّ مِنَ القِدِّ مُحْصَدِ

إن أردتها أن تبطئ فعلت، وإن أردتها أن ترقل وتسرع فعلت، وكل ذلك من أثر السوط الذي التوت سيوره الجلدية مجدولةً. والقد: الجلد، والمحصد: المفتول بإحكام

على مِثْلِها أمضي إذا قال صاحبي   أَلَا لَيْتَني أَفْديكَ منها وأَفْتَدِي

أسافر على مثل هذه الناقة، إذ يقول لي صاحبي أفديك منها، أي من هول الصحراء، وأفتدي أنا أيضاً

إذا القومُ قالوا مَنْ فتىً؟ خِلْتُ أنَّني   عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ ولم أَتَبَلَّدِ

إذا قال القوم: هل من فتى؟ ظننتهم يعتونني، فنهضت بالمهمة الصعبة بلا كسل ولا تبلد، أي بلا بطء في الفهم

ولَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً   ولكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أَرْفِدِ

لا أحل التلاع، السفوح تحت القمم، مختبئاً خائفاً، لكنني عندما يطلب القوم الرفد والمعونة أرفدهم

وإنْ تَبْغِني في حَلْقَةِ القومِ تَلْقَني   وإنْ تَلْتَمِسْني في الحَوانيتِ تَصْطَدِ

إن تطلبني في مجلس القوم فأنا هناك، وإن بحثت عني في حوانيت الخمر عثرت عليَّ

وإنْ يَلتَقِ الحَيُّ الجَميعُ تُلاقِني   إلى ذِرْوَةِ البيتِ الكريمِ المُصَمَّدِ

وإن التقى القوم جميعاً فأنا هناك بينهم، ومكاني في أعلى البيوت نسباً، فأسرتنا كريمة مصمدة، أي يقصدها القصاد لنيل العون

نَدامَايَ بِيضٌ كالنُّجومِ، وقَيْنَةٌ   تَروحُ علَيْنا بينَ بُرْدٍ ومُجْسَدِ

نُدمائي بيض الوجوه من الأشراف، ومعهم قينة، جارية مغنية، تخدمنا وهي ترتدي برداً، ثوباً مخططاً، وترتدي مجسداً، ثوباً مصبوغاً ملاصقاً للجسد

رَحيبٌ قِطابُ الجَيْبِ منها رَفيقَةٌ   بِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ

وثوب الجارية مشقوق شقاً رحيباً واسعاً، وهي مترفقة راضية بأن يتحسس الندامى جسمها، ومتجردها، أي مَعْرَاها، بض طري

إذا نحن قُلنا أَسمِعِينا انْبَرَتْ لنا   على رِسْلِها مَطْرُوفَةً لم تَشَدَّدِ

إذا أردنا غناءها فهي تنبري لنا، تميل علينا، مغنية على رسلها، بهدوء، مطروفة، أي تغمض عينيها نصف إغماض، ولا تتشدد، أي لا تمتنع من تلبية الطلب

ومَا زَالَ تَشْرَابي الخُمُورَ ولَذَّتي   وبَيْعي وإنفاقي طَريفي ومُتْلَدي

هذا دأبي: أشرب وأستمتع، وأبيع طريفي، مالي الذي كسبته، ومتلدي، ما ورثت

إلى أن تَحامَتْني العَشيرةُ كلُّها   وأُفْرِدْتُ إِفْرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

حتى تجنبتني العشيرة، وصرت منبوذاً كالبعير المعبد، المطلي بالقطران للجرب

أَلَا أَيُّهذا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الوَغَى   وأن أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هل أنتَ مُخْلِدي؟

يا من يزجرني، ويؤنبني لمغامراتي في الحرب وفي مجالس اللهو، أتستطيع منع الموت أن يأتيني؟

فإن كُنتَ لا تَسْطيعُ دَفْعَ مَنِيَّتي   فَدَعْني أُبادِرْها بِمَا مَلَكَتْ يَدي

فإن كنت لا تستطيع منع الموت عني، فاتركني أبادر، أي أسابق، الموت بإنفاق مالي

ولولا ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عيشَةِ الفَتَى   وَجَدِّكَ لم أَحْفِلْ مَتَى قامَ عُوَّدي

لولا ثلاثة أمور، هن خير ما في عيشة المرء، فبحياتك لن أهتم بالموت الذي يقوم عند حضوره العُوَّد، أي زوار المريض، ويروحون إلى بيوتهم

فَمِنْهُنَّ سَبْقُ العاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ   كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِالماءِ تُزْبِدِ

هذه الأمور: أن أسبق حضور العاذلات، اللائي يلمنني على الخمر، بأن أشرب خمراً كميتاً داكنة يعلوها الزبد عندما يضاف إليها الماء

وكَرِّي إذا نَادَى المُضَافُ مَحَنَّباً   كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ، المُتَوَرِّدِ

ومنها هجومي عندما يناديني المضاف، أي المهموم، بفرسي المحنب، المعوج اليدين مما يجعله سريع الانفتال والمناورة في المعركة. وإن فرسي مثل سيد الغضا، ذئب الغابة، المتورد، الوارد إلى الماء، عندما تتعرض له وتنبهه فيفر مسرعاً

وتَقصيرُ يومِ الدَّجْنِ، والدَّجْنُ مُعْجِبٌ،   بِبَهْكَنَةٍ تحتَ الطِّرافِ المُعَمَّدِ

ومنها تقصير اليوم الغائم، وما أجمله، باللهو مع بهكنة، امرأة ناعمة، تحت الخيمة ذات العمود. ظلوا حتى العصر العباسي يحبون عقد مجلس اللهو عندما تغيم السماء، أو تمطر

كريمٌ يُرَوِّي نفسَهُ في حَياتِهِ.   سَتعلمُ إنْ مُتْنَا غداً أيُّنَا الصَّدي

أنا كريم أرتوي من الملاذ في حياتي، وستعلم عندما نموت من منا مات صادياً عطشاناً

أَرَى قبرَ نَحَّامٍ بَخيلٍ بِمالِهِ   كَقَبرِ غَوِيٍّ في البَطَالَةِ مُفْسِدِ

القبور تتشابه، فقبر النحّام، أي البخيل الذي يأخذُ يتنحنحُ إذا طلبتَ منه شيئاً، كقبر الضال الذي يبدد ماله على شهواته

أرى الموتَ يَعْتَامُ الكرامَ، ويصْطَفي   عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

الموت يعتام، أي يختار، الكرام، وهو بالطبع يختار اللئام أيضاً لكنه فوق ذلك يتخير عقيلة مال الفاحش، السيء الخلق المتشدد ببخله. ذلك أن البخيل يموت فيفقد نفسه، ويفقد فوق ذلك ماله. وعقيلة المال أحسن ما يملك المرء من إبل معقولة أي مربوطة

أرى العيشَ كَنْزاً ناقِصاً كلَّ لَيلَةٍ   وما تَنْقُصِ الأيّامُ والدهرُ، يَنْفَدِ

العيش مثل كنز يضمحل باستمرار، والذي تنقصُهُ، أي تجعله ينقص، الأيام ويبدده الدهر فهو ينفد وينتهي

لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أَخْطَأَ الفَتَى   لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ في اليَدِ

الموت آت لا محالة، فهو مثل الطِّوَل، الحبل، المرخى للبعير كي يرعى كما يشتهي، ولكن ثني الحبل، ما يثنيه الراعي على كفه من طرف الحبل، في يدي الراعي. فالبعير الذي يرعى بحريته ليس حراً، ولا بد أن يجذبه صاحبه في النهاية، وكذا الموت

مَتَى مَا يَشَأْ يوماً يَقُدْهُ لِحَتْفِهِ   ومَنْ يَكُ في حَبْلِ المَنِيَّةِ يَنْقَدِ

متى أراد صاحب البعير قاده بحبله، ومن كان مربوطاً بحبل الموت فلا بد أيضاً أن ينقاد يوماً

فَمَا لِي أَرَانِي وابْنَ عَمِّيَ مَالِكاً   مَتَى أَدْنُ منهُ يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ

يَلُومُ ومَا أدري عَلامَ يَلُومُني   كما لَامَني في الحَيِّ قُرْطُ بنُ مَعبَدِ

وإنْ أُدعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِها   وإنْ يَأْتِكَ الأَعْدَاءُ بِالجَهْدِ أَجْهَدِ

إذا دعيت للجلى، الأمر العظيم، فإنني ممن يحمون الديار والقوم، وإن أتاك يا ابن عمي الأعداء جاهدين فأنا أتصدى لهم جاهداً

وظُلْمُ ذوي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً   على المرءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

مضاضة: إيلاماً

أَنَا الرجُلُ الضَّرْبُ الذي تَعْرِفُونَهُ   خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ

الضرب: النحيل، الخشاش: النشط الفعَّال. وهذه الكلمة تصلح كي تقوم مقام تعبير إنجليزي أراه بديعاً، يقول الإنجليز عن الشخص الفعَّال إنه «يجعل الأشياء تحدث»، فهذا هو الخشاش

فإنْ مُتُّ فَانْعَيْنِي بِمَا أنا أَهْلُهُ   وشُقِّي عليَّ الجَيْبَ يا ابْنَةَ مَعْبَدِ

يوصي ابنة أخيه: انعيني بما أستحق، وشقي عليَّ الجيب، أي فتحة الرأس في الثوب

ولا تَجعَلينِي كَامْرِئٍ ليس هَمُّهُ   كَهَمِّي، ولا يُغْنِي غَنائِي ومَشْهَدِي

لا تجعليني كمن ليس همه وطموحه مثل طموحي، ولا يقوم بما أقوم به من أفعال، وليس له محضري

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كنتَ جَاهِلاً   ويَأْتِيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

ستكشف الأيام ما كنت تجهله، وسيأتيك بالأخبار كل الناس، وليس فقط الشخص الذي تزوده بزاد ومال وترسله في طلب الأخبار

ويَأْتِيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تَبِعْ لَهُ   بَتاتاً، ولم تَضرِبْ له وَقْتَ مَوْعِدِ

سيأتيك بالأخبار من لم تشتر له بتاتاً، أي متاعاً، ولم تضرب بينك وبينه موعداً لرجوعه بالأخبار

٢ معلقة لَبِيدِ بنِ رَبيعَةَ العَامِرِيّ

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها   بِمِنَىً تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُها

عفت: امَّحت، محلها: موضع الحلول المؤقت، مقامها: موضع الإقامة مدة طويلة. تأبد: توحش. يقول: لقد امحت تلك الديار سواء منها ما كان للحلول والاستراحة أم للإقامة. وهذه الديار في موضع منى، بين نبع الغيل وجبل الرجام، وأصبحت تردها الوحوش فقط، ولم يعد بها بشر

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُها   خَلَقَاً، كما ضَمِنَ الوُحِيُّ، سِلَامُها

المَدافع: الشقوق في الجبل التي تندفع منها مياه السيول، الوُحِيُّ، جمع وَحْي: الكتب. السِلام: الصخور. يقول: قد أصبحت مجاري الماء في جبل الريان رسوماً عارية، وخلقاً سلامها، أي عتيقة حجارتها، وهذه الحجارة تشبه النقوش التي تتضمنها الكتب. ولم تكن الكتب مألوفة لعرب الجاهلية، فإذا رأوا كتاباً من كتب اليهود مثلاً، ويسمونه الوحي، فهم يرون الكتابة فيه خرابيش متفرقة ليست بذات معنى

دِمَنٌ تَـجَـرَّمَ بَـعْـدَ عَـهـدِ أنـيـسِـهـا   حِـجَـجٌ خَـلَـوْنَ حَـلالُـهـا وحَـرامُـهـا

هذه أطلال تجرم، أي مضى، عليها بعد أن فارقها الأنيس، أي الإنسان، أعوام كثيرة خلت، أعوام كثيرة بما فيها من الشهور الحلال والشهور الحرام (ما يجوز فيه القتال وما يحرُم)

وجَلا السيولُ عن الطُّلولِ كأنها   زُبُـرٌ تُـجِـدُّ مـتـونَـهـا أقْـلامُـهـا

كشفت السيول ما غطى بقايا الديار، فكأن الطلول هي الزبر، أي الكتب التي تجدد الكتابة عليها الأقلام. وكانوا يكتبون على الجلد أو العظم ثم يمسحون ثم يجددون الكتابة فيبدو وجه الكتاب منقوشاً بنقوش مختلطة. أُعجب القدماء بهذا التشبيه، رووا أن الفرزدق عندما سمعه سجد، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرف سجدة الشعر

فَـوقَـفْـتُ أَسْـأَلُـهـا، وكـيـف سُـؤَالُـنـا   سُـفْـعَـاً خَـوَالِـدَ مـا يَـبـيِـنُ كَـلامُـهـا؟

فوقفت أسأل الطلول، وكيف للمرء أن يسأل صخوراً صماء سفعاً، محترقة من وضع القدور فوقها والنار تحت القدور، وهي صخور خوالد باقية لم تتحرك بفعل السيول، ولكن.. لا نفهم لها كلاماً

بَـل مَـا تَـذَكَّـرُ مِـنْ نَـوَارَ وقَـدْ نَـأَتْ   وتَـقَـطَّـعَـتْ أَسْـبـابُـهـا ورِمَـامُـهـا؟

أي شيء تتذكر يا لبيد، يخاطب نفسه، من نوار وقد ابتعدت، وتقطعت أسبابها، أي حبالها، ورمامها، أي الحبال البالية، كناية عن انقطاع الصلات معها

مُـرِّيَّـةٌ حَـلَّـتْ بِـفَـيْـدَ، وجَـاوَرَتْ   أهـلَ الـحـجـازِ فـأيـنَ مِـنْـكَ مَـرامُـهـا

نوار من بني مرة، وقد نزلت في قرية فيد على طريق مكة، وجاورت الحجاز، فلا سبيل إلى مرامها، مطلبها والحصول على وصلها

أَوَلَـمْ تَـكُـنْ تَـدري نَـوَارُ بِـأَنَّـنـي   وَصَّـالُ عَـقْـدِ حَـبـائِـلٍ جَـذَّامُـهـا؟

ألا تدري نوار أنني أصل من أعاهده، وأنني جذام، أي قاطع، هذه الصلات إذا استحق الآخر أن أنصرف عنه؟

تَـرَّاكُ أَمْـكِـنَـةٍ إذا لـم أَرْضَـهـا   أو يَـعْـتَـلِـقْ بعضَ النُّفُوسِ حِـمَـامُـهـا

أنا أترك المكان الذي لا يرضيني، لا يمنعني من ذلك إلا أن يتعلق بجسمي الموت

وجَـزُورِ أَيْـسَـارٍ دَعَـوْتُ لِـحَـتْـفِـهـا   بِـمَـغَـالِـقٍ مُـتَـشَـابِـهٍ أَجْـسَـامُـهـا

رب جزور أيسار، أي ناقة أُعدت للمقامرة على لحمها، جئت بها للذبح، حيث سنقامر عليها بمغالق، أي سهام متشابهة، لا يعرف المقامرون ما الذي كتب على كل سهم. وسنرمي السهام وسيفوز كل مقامر بحصة كبيرة أو صغيرة

أَدْعُـو بِـهِـنَّ لِـعَـاقِـرٍ أو مُـطْـفِـلٍ   بُـذِلَـتْ لِـجِـيرانِ الـشِّـتَـاءِ لِـحَـامُـهـا

وإنما أحضر هذه السهام لكي نذبح في المحصلة ناقة عاقراً، أو ناقة مطفلة لها ولد. وسيتم توزيع اللحم في النهاية على الفقراء المجاورين لنا في الشتاء حيث يشتد البرد ويقل العشب والحليب في ضروع النياق، وجيران الشتاء جائعون

فَالضَّيْفُ والجَارُ الجَنِيبُ كأنَّمَا   هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِباً أَهْضَامُها

فالضيف النازل بنا والجار المقيم قريباً منا وهو غريب عن قبيلتنا، يشعران لسخائنا كأنما نزلا بمنطقة «تبالة» الخصبة أهضامها، أي سهولها ذات النخل

فاقْنَعْ بِما قَسَمَ المَلِيكُ، فإنَّما   قَسَمَ الخَلائِقَ بَيْنَنا عَلَّامُها

فارض بما قسم لك الله، فهو يعلم كيف يقسم الرزق

وإذا الأَمَانَةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ   أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُها

إذا قسمت «الأمانة» في معشر من الناس فنحن نتال النصيب الأوفر من هذا الخلق الكريم

فَبَنَى لنا بيتاً رفيعاً سَمْكُهُ   فَسَمَا إليهِ كَهْلُهَا وغُلَامُها

بنى الله لنا بيتاً من العز والشرف عاليَ السمك، أي السقف، فالكهل والغلام في عشيرتنا يتطلعان إلى بلوغ ذروة الشرف

وهُمُ السُّعَاةُ إذا العشيرةُ أُفْظِعَتْ   وهُمُ فَوارِسُها وهُمْ حُكَّامُها

شباننا وكهولنا يسعون للنجدة إذا حل بالعشيرة أمر فظيع،
وهم الفرسان وهم من يحتكم إليهم الناس

وهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجاوِرِ فيهِمُ   والمُرْمِلاتِ إذا تَطَاوَلَ عَامُها

وهم بمثابة خصب وخير لمن يجاورهم، وللمرملات، أي الأرامل، اللائي مر على ترملهن زمن

٣ معلقة عَمرِو بنِ كُلْثُومَ التَّغْلِبيّ

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا   ولا تُبْقِي خُمورَ الأَنْدَرِينا

استيقظي وقومي من نومك، وتقدمي بصحنك، أي بالقدح الكبير، لتصبحينا، تسقينا خمر الصباح، ولا توفري شيئاً من الخمور المستوردة من منطقة الأندرين

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فيها   إذا ما الماءُ خَالَطَها سَخِينا

اسقينا خمراً مشعشعة، مصفرَّة اللون، كأن فيها الحص، وهو الورس الذي يصبغون به للصفرة، وما إن يختلط بها الماء حتى نهتز نحن للكرم والسخاء

تَجُورُ بِذِي اللُّبَانَةِ عن هَواهُ   إذا ما ذاقَها حتى يَلِينا

الخمر تجور وتنحرف بصاحب اللبانة، أي الحاجة، عن هواه، رغبته الأصلية، فيغير رأيه إذا ذاق الخمر ويلين

تَرى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ   عليهِ لِمَالِهِ فيها مُهِينا

ترى اللحز، النزق السيء الخلق، والشحيح البخيل يهين ماله ويسخو إذا مرت الساقية عليه بالكأس

وكأسٍ قد شَربتُ بِبَعْلَبَكٍّ وأُخرى في دِمَشْقَ وقَاصِرِينا

هذه أماكن يذكر أنه شرب فيها

وإنَّا سوفَ تدركُنا المنايا مُقدَّرَةً لنا ومُقَدَّرِينا

فليشرب المرء فالموت سيدركه في النهاية، فالموت مقدر عليه وهو مقدَّر للموت

قِفي قبلَ التفرُّقِ يَا ظَعينا نُخَبِّرْكِ اليقينَ وتُخْبِرِينا

قفي أيتها الظعين، المرأة الراكبة للرجيل، كي نخبرك بما ترك فينا خبر رحيلك من ألم، ولنسمع حديثك

ومَأْكَمَةٍ يَضيقُ البابُ عنها وكَشْحٍ قد جُنِنْتُ بِهِ جُنونا

رُبَّ أردافٍ لهذه المرأة يضيق باب الخيمة عنها، ولها كشح، أي خصر، جننت به. ولعله جن للفرق بين الخصر النحيل والأرداف العريضة. والرجل جسمه غير ذلك فهو يلاحظ هذا في المرأة فيصيبه شيء شبيه بـ. . الـ. . جنون

فما وَجَدَتْ كَوَجْدي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ الحَنِينا

ما حزنتْ كحزني أم سقب، أي بعير صغير، أضاعته فأخذت تردد صوتاً حزيناً يسمونه «الحنين»

ولا شَمْطَاءَ لم يَتْرُكْ شَقاها لها مِنْ تِسعَةٍ إلَّا جَنينا

ولا حزنتْ كحزني امرأة شمطاء، اختلط بياض شعرها بسواده، لم يترك لها عيشها الشقي من أولادها التسعة أحداً إلا وهو جنين في الأرض، أي مخبوء مدفون فيها

أَبا هِنْدٍ فلا تَعجَلْ علينا وأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقينا

أيها الملك عمرو بن هند تريث، وأنظرنا، أمهلنا، حتى نعْلمك بالحقيقة. .

بِأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً ونُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قد رَوِينا

نأتي إلى المعركة بالرايات وهي بيض، ونصدرهن، أي نرجع بهن، وهن حمر من الدم

وأَيَّامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فيها أن نَدِينا

ورب أيامٍ لنا، وأيام العرب معاركها، طويلة وغراء، أي مشهورة، وفيها عصينا المَلْك، أي المِلك، ولم ندن، أي لم نخضع

متى نَنْقُلْ إلى قومٍ رَحَانا يَكونُوا في اللِّقاءِ لها طَحِينا

إذا نقلنا رحانا، طاحوننا، إلى قوم فسوف يكونون الطحين عند اللقاء في المعركة

يَكونُ ثِفَالُها شَرْقِيَّ نَجْدٍ ولَهْوَتُها قُضَاعَةَ أَجْمَعِينا

الثفال بساط من جلد يوضع تحت حجري الطاحون كي يتلقَّى الطحين. وطاحوننا ننقله إلى نجد مع الثفال، واللهوة، أي قبضة القمح التي تلقَى بين الرحوين، هي قبيلة قضاعة كلها

نُطَاعِنُ ما تَراخَى الناسُ عنَّا   ونَضْرِبُ بِالسيوفِ إذا غُشِينا

نطعن الأعداء بالرماح إذا تراخى الناس وابتعدوا، فإذا ما غشينا، أُحيط بنا،
فنحن نضرب بالسيوف

كأنَّ سيوفَنا فينا وفيهِمْ   مَخَارِيقٌ بِأيدي لاعِبِينا

سيوفنا وهي تنهشهم، وسيوفهم وهي تنهشنا، ماضية في التلاقي والضرب كأنها المخاريق،
والمخاريق سيوف من خشب، فكأن ذلك اللقاء لعب، ولكنه في الواقع لقاء دموي

كأنَّ ثِيابَنا، منَّا ومنهُمْ،   خُضِبْنَ بِأُرْجُوانٍ أو طُلِينا

كأن ثيابنا مصبوغة بصبغ الأرجوان الأحمر أو مطلية به، وذلك من دمائنا ومن دمائهم هم. وصنفوا
قصيدة عمرو بن كلثوم هذه ضمن ما سموه «المنْصِفات»، وهي قصائد أنصف أصحابها أعداءهم
ونسبوا إليهم الشجاعة، وأقروا بأن الأعداء أبلوا بلاء حسناً

بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ القتلَ مَجْداً   وشِيبٍ في الحروبِ مُجَرَّبِينا

نخوض هذا القتال بشبان يعتبرون الموت قتلاً ضرْباً من المجد، ونخوضه برجال وَخَط رؤوسهم
الشيب وجربوا الحروب

ألَا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا   فنجْهَلَ فوقَ جهلِ الجَاهلينا

الجهل: الغضب والتهور

بِأيِّ مَشيئةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ   نَكونُ لِقَيْلِكُمْ فيها قَطِينا

من قال لك يا عمرو بن هند أننا قطين، خدم، لقيلكم، أي مَلِككم؟

بِأَيِّ مشيئةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ   تُطيعُ بِنا الوُشَاةَ وتَزْدَرِينا

كيف لك أن تطيع الوشاة الذين أفسدوا بيننا، وتحتقرنا؟

تُهَدِّدُنا وتُوعِدُنا! رُوَيْداً   متى كُنَّا لِأُمِّكَ مُقْتَوِينا

متى كنا لأمك مقتوين، أي خدماً. وكانت أم عمرو بن هند هذا قد استضافت أم الشاعر، وطلبت
منها أن تناولها شيئاً، فصرخت أم الشاعر لأنها رأت أن مضيفتها أرادت إهانتها

فإنَّ قَناتَنا يا عَمْرُو أَعْيَتْ   على الأعداءِ قبلَكَ أن تَلِينا

رمحنا أعجز الأعداء قبلك أن يلين لهم، كناية عن إرادة صلبة لا تلين

على آثارِنا بِيضٌ حِسَانٌ   نُحَاذِرُ أن تُقَسَّمَ أو تَهُونا

وراءنا نساء بيض جميلات لا نريد لهن الوقوع في الأسر فيقتسمهن الأعداء ويلحق بهن الهوان
والذل، لذا فنحن نقاتل بشراسة

يَقُتْنَ جِيادَنا ويَقُلْنَ: لَسْتُمْ   بُعُولَتَنا إذا لم تَمْنَعُونا

نساؤنا يطعمن الخيل، ويقلن لنا: لستم لنا بأزواج إذا لم تحمونا

إذا لم نَحْمِهِنَّ فلا بَقِينا   لِشَيْءٍ بَعْدَهُنَّ ولا حَيِينا

وقد عَلِمَ القبائلُ مِنْ مَعَدٍّ   إذا قُبَبٌ بِأَبْطُحِها بُنِينا..

لقد علمت قبائل معد، وهي الشعب الكبير من عرب الشمال، عندما نصبنا الخيام في السهول..

بِأَنَّا المُطْعِمُونَ إذا قَدَرْنا   وأَنَّا المُهْلِكُونَ إذا ابْتُلِينا

علمت قبائل معد بأننا نطعم الفقير إذا قدرنا، أي نصبنا القدور وطبخنا، ونهلك الأعداء الذين يبلوننا، أي يجربوننا ليعرفوا مواطن ضعفنا

وأَنَّا المَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنا   وأَنَّا النازلونَ بِحيثُ شِينا

ونمنع المغيرين من ورود مائنا أو التعدي علينا، وننصب خيامنا في أي مكان شئنا لا نخاف أحداً

وأَنَّا التَّارِكونَ إذا سَخِطْنا   وأنا الآخِذونَ إذا رَضِينا

ولا أحد يحبسنا في أرض، فنحن نرحل إذا سخطنا، ونأخذ ما نريد أخذه في حال الرضى

وأَنَّا العَاصِمُونَ إذا أُطِعْنَا   وأَنَّا العَارِمُونَ إذا عُصِينا

إذا أطاعنا الناس نعصمهم، نحميهم، وإذا عصانا الناس فنحن عارمون أي أشداء

ونَشْرَبُ إنْ وَرَدْنا الماءَ صَفْواً   ويَشربُ غيرُنا كَدَراً وَطِينا

نحن، لقوتنا، أول من يشرب ويسقي إبله من الحوض فنشرب ماء صافياً، ونترك للآخرين الحوض وقد تكدر ماؤه، فيشربون الكدر والطين

لنا الدنيا ومَنْ أَمْسى عليها   ونبطِشُ حينَ نبطِشُ قَادِرِينا

مَلأْنا البَرَّ حتى ضاقَ عنَّا   ومَاءُ البحرِ نَمْلأُهُ سَفِينا

إذا بَلَغَ الرَّضِيعُ لنا فِطَاماً   تَخِرُّ له الجَبَابِرُ سَاجِدِينا

٤ معلقة عَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ العَبْسِيّ

هل غَادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ   أم هل عَرفتَ الدارَ بعدَ تَوَهُّمِ

هل ترك الشعراء شيئاً لم يقولوا فيه؟ وهل تركوا طللاً لم يصفوه؟ وهل أنت يا عنترة ـ يخاطب نفسه ـ قد عرفت ديارهم المقفرة بعد أن شككت فيها؟ وللشراح في «المتردم» أقوال لم نرتَضِها

يا دارَ عَبْلَةَ بِالجِواءِ تَكَلَّمي   وعِمي صَباحاً دارَ عَبْلَةَ واسْلَمي

يا دار عبلة بموضع «الجواء» تكلمي وأخبرينا عن أهلك ماذا فعلوا؟ وليكن صباحك طيباً أيتها الدار المقفرة

فـوَقَـفْـتُ فـيـهـا نـاقَـتـي وكـأنّـهـا ... فَـدَنٌ لأَقْـضِـيَ حَـاجَـةَ الـمُـتَـلَـوِّمِ

وقفت ناقتي، أي أوقفتها، عند الدار الخربة، فكأن الناقة فدن، أي قصر؛ لأنها بدت كبيرة ضخمة بالقياس إلى الديار الخربة المهدمة، وأردت أن أقضي حاجة في نفسي أنا المتلوم، أي الماكث بعد رحيلهم

حُـيِّـيـتَ مِـنْ طَـلَـلٍ تَـقَـادَمَ عـهـدُهُ ... أَقْـوَى وأَقْـفَـرَ بـعـدَ أُمِّ الـهَـيْـثَـمِ

أقوى وأقفر: خلا. وأم الهيثم عبلة، وكانوا يكنُّون المرأة والرجل قبل الزواج، وربما حتى عند الميلاد، فيولد الطفل فيلصقون به اسماً وكنية في الوقت نفسه

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرينَ فَأَصْبَحَتْ ... عَسِراً عَلَيَّ طِلَابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

نزلت عبلة ابنة مخرم بأرض الزائرين، أي وسط أهلها الذين يزأرون كالأسود، وتعسر على عنترة اللقاء بها

عُـلِّـقْـتُـهـا عَـرَضـاً، وأَقْـتُـلُ قَـومَـهـا ... زَعْـمـاً لَـعَـمْـرُ أَبـيـكَ لـيـس بِـمَـزْعَـمِ

أحببتها صدفةً، فهل يعقل أن أقتل قومها في حرب؟ ذلك زعم لا يكون

ولـقـد نـزلـتِ، فَـلَا تَـظُـنِّـي غَـيْـرَهُ، ... مِـنِّـي بِـمَـنْـزِلَـةِ الـمُـحَـبِّ الـمُـكْـرَمِ

منزلك من قلبي هو منزل المحبوب المكرم، فلا تظني سوى ذلك

وكـأنَّ فـارةَ تـاجـرٍ بِـقَـسـيـمـةٍ ... سَبقتْ عَوارضَـهـا إليكَ مِنَ الفمِ

كأن فم عبلة في قسيمة، أي في ساعة متأخرة تتغير فيها رائحة أفواه الناس، كأنه فارة مسك عند تاجر عطار، ورائحتها تسبق عوارضها، أي أسنانها.. فهو قبل أن يقبلها يشم لفمها رائحة طيبة. وفارة المسك غشاء فيه مسك

أو رَوْضَـةً أُنُـفـاً تَـضَـمَّـنَ نَـبْـتَـهـا ... غَـيْـثٌ قَـليـلُ الـدِّمْـنِ لـيس بِـمُـعْـلَـمِ

وكأن رائحة فمها رائحة روضة أنف، بكر لم يدخلها راعٍ، وقد تعهد نباتَها مطر قليل الدمن، خال من الشوائب، وهذا المكان غير معلَم، غير معروف للناس

ولـقـد مـررتُ بـدارِ عـبـلـةَ بـعـدمـا ... لـعـبَ الـربـيـعُ بـربْـعِـهـا الـمُـتَـوَسَّـمِ

مررت بدارها وقد غير موسم الربيع شكلها بالعشب الذي يتوسمه الناس ويطلبونه

وخَـلَا الـذُّبـابُ بِـهـا فـلـيـس بِـبَـارِحٍ ... غَـرِداً كَـفِـعْـلِ الـشَّـارِبِ الـمُـتَـرَنِّـمِ

وانفرد الذباب بهذه الديار لا يبرحها، والذباب يغرد بترنيم وزَنِينٍ مثلما يفعل السكران وهو يترنم بكلام غير مفهوم، ويسكت ثم يعود يترنم

هَـزِجَـاً يَـحُـكُّ ذِراعَـهُ بِـذِراعِـهِ   قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنَادِ الأَجْذَمِ

يترنم الذباب وهو هزجٌ، أي مسرع، يحك ذراعه بذراعه، مثلما قد أكب رجل على زناد، عود قدْح النار، يحكه حكاً، والزناد أجذم، أي قصير، فيدا الرجل متقاربتان كيدي الذبابة وهما تحتكان. نرجح هذا الشرح على شرح الجاحظ في الحيوان، فقد جعل الجاحظ الأجذم صفة للرجل القادح، جعله مقطوع اليدين، وترنَّمَ الجاحظ بوصف عنترة للذباب، وزعم أنه بلغ فيه كل مبلغ حتى تحامت الشعراء هذا المعنى

إنْ تُغْدِفي دونِي القِنـاعَ فـإِنَّـنـي   طَبٌّ بِأَخْذِ الفـارسِ المُسْتَلْئِمِ

إن تستري نفسك بالقناع أي الخمار مني، فاعلمي أنني طبٌّ، حاذق، بأخذ الفارس المستلئم، اللابس الدرع، فلن يعجزني أمرك

أَثْني عَلَيَّ بِما عَلِمْتِ، فإِنَّني   سَمْحٌ مُخَالَقَتي إذا لم أُظْلَمِ

امدحيني بما تعلمين حقاً، فأنا سمح الشمائل ما لم يلحق بي الظلم

فـإذا ظُلِمْتُ فـإنَّ ظُلْمِيَ بَاسِلٌ   مُرٌّ مَذاقَتُهُ كَطَعْمِ العَلْقَمِ

فإن ظلمت فإن ظلمي باسل، مكشر عن أنيابه، ويذوق الظالم جرَّاءه عقاباً طعمه كالعلقم

ولقد شربتُ مِنَ المُدَامَةِ بعدَما   رَكَدَ الهَواجِرُ بِالمَشُوفِ المُعْلَمِ

شربت الخمر بعد أن سكنت الهاجرة، الحر الشديد، ودفعت في الخمر المشوف المعلم، الدينار المجلوّ المنقوش

بِزُجَاجَةٍ صَفْراءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ   قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشِّمَالِ مُفَدَّمِ

شربت بزجاجة، أي بكأس، صفراء ـ لعلها من النحاس الأصفر ـ ذات أسرَّة، أي خطوط، والكأس مقرونة بإبريق أزهر، أبيض، ولعله من فضة، وهو مفدم، مزود بقماشة عند فمه للتصفية. تفسير «في الشمال»: لعله أراد أن الإبريق موضوع في مجرى ريح الشمال، وكانوا يعرضون الخمر لريح الشمال الباردة كي تبرد، ولذا غدت الصفتان «مشمولة» و«شمول» اسمين من أسماء الخمر

فـإذا شـربـتُ فـإنَّـنـي مُسْتَهْلِكٌ   مَالي، وعِرضيَ وَافِرٌ لم يُكْلَمِ

أستهلك مالي في الشراب، ويبقى عرضي وافراً لم يجرح لأنني لا أعربد في سكري

وإذا صَحَوْتُ فمَا أُقَصِّرُ عن نَدىً   وكما عَلِمْتِ شَمائِلي وتَكَرُّمي

وعند صحوي فإنَّني كريم سخي، وهذه هي أخلاقي

هلَّا سألتِ الخيلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ   إن كنتِ جاهِلَةً بما لم تَعلَمي

اسألي الخيل وفرسانها عن بلائي في الحرب إن لم تكوني على علم بذلك

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّني   أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عند المَغْنَمِ

سيخبرك من شهد المعركة بأنني أدخل الحرب، ولكنني عفيف عند توزيع الغنائم

إنِّـي عَـدَانِـيَ أن أَزُورَكِ فَـاعْـلَـمِـي ما قد عَلِمْتِ، وبَعْضُ مَا لم تَعْلَمي

منعني من زيارتك أمور تعلمينها، وأخرى لا تعلمينها

ومُـدَجَّـجٍ كَـرِهَ الـكُـمَـاةُ نِـزَالَـهُ لا مُـمْـعِـنٍ هَـرَبـاً ولا مُـسْـتَـسْـلِـمِ

ورب مدجج بالسلاح كره الكماة، الأبطال، نزاله،
وهو ليس بهارب ولا مستسلم بل مقبل على النزال

جَـادَتْ لـه كَـفِّـي بِـعَـاجِـلِ طَـعْـنَـةٍ بِـمُـثَـقَّـفٍ صَـدْقِ الـكُـعُـوبِ مُـقَـوَّمِ

عاجلته بطعنة من رمح مثقف، مقوَّم، صدق، أي صلب، الكعوب،
والكعب هو العقدة في أنبوب الرمح

فَـشَـكَـكْـتُ بِـالـرُّمْـحِ الأَصَـمِّ ثِـيـابَـهُ لـيـس الـكـريـمُ على الـقَـنا بِـمُـحَـرَّمِ

شككته بالرمح المُصْمَت، ولا بأس على الرجل الكريم أن يُقتل في المعركة بالقنا، أي الرماح

فَـتَـرَكْـتُـهُ جَـزَرَ الـسِّـبَـاعِ يَـنُـشْـنَـهُ يَـقْـضِـمْـنَ حُـسْـنَ بَـنَـانِـهِ والـمِـعْـصَـمِ

تركته جزر السباع، أي ذبيحة تفترسها الوحوش وتتناوشها من هنا وهنا، وتقضم الوحوش تلك الأنامل وذلك المعصم الحسن ممن كان فارساً شجاعاً

لَـمَّـا رَآنِـيَ قَـد نَـزَلْـتُ أُرِيـدُهُ أَبْـدَى نَـوَاجِـذَهُ لِـغَـيْـرِ تَـبَـسُّـمِ

عندما رآني نزلت وتوجهت نحوه أظهر نواجذه، أسنانه الخلفية، في تكشيرة فزع لا ابتسام

فَـطَـعَـنْـتُـهُ بِـالـرُّمْـحِ ثـم عَـلَـوْتُـهُ بِـمـهـنَّـدٍ صَـافِـي الـحَـديـدَةِ مِـخْـذَمِ

طعنته أولاً بالرمح ثم عندما وقع أرضاً أجهزت عليه بالسيف اللامع حديدُهُ والمخذم، أي القاطع

ولـقـد ذَكَـرْتُـكِ والـرمـاحُ نَـواهِـلٌ مِـنِّـي، وبِـيضُ الـهـندِ تقطُرُ مِنْ دَمي

ذكرتك يا عبلة والرماح تشرب من دمي، والسيوف الهندية أيضاً

فَـوَدِدْتُ تَـقـبـيـلَ الـسـيـوفِ لأَنَّـهـا لَـمَـعَـتْ كـبـارِقِ ثَـغْـرِكِ الـمُـتَـبَـسِّـمِ

نُـبِّـئْـتُ عَـمْـراً غَـيْـرَ شَـاكِـرِ نِـعـمَـتـي والـكُـفْـرُ مَـخْـبَـثَـةٌ لِـنَـفْـسِ الـمُـنْـعِـمِ

أُبلغت أن ذلك الرجل لا يشكر معروفي. وكُفْر النعمة، أي عدم الاعتراف بالفضل، يجعل نفس صانع المعروف تخبث، يدخلها الفساد والشك. ما أقسى أن تحسن إلى إنسان ثم ينسى فضلك تماماً، وقد يكيد لك جزاء معروفك.. كأنه يريد أن يثبت لنفسه أن ما ناله من خير لم يكن على يديك. عشنا وشفنا!

لَـمَّـا رأَيْـتُ الـقـومَ أَقْـبـلَ جَـمْـعُـهُـمْ يَـتَـذامَـرُونَ كَـرَرْتُ غَـيـرَ مُـذَمَّـمِ

أقبل الأعداء يتذامرون، يحض بعضهم بعضاً على القتال، فهجمت عليهم فلا ذمَّ عليَّ

يَدْعُونَ: عَنْتَرُ! والرِّمَاحُ كَأنَّها أَشْطَانُ بِئْرٍ في لَبانِ الأَدْهَمِ

يناديني قومي يا عنتر، يريدون النصرة، ورماح الأعداء في لبان الأدهم، في صدر فرسي الأسود، كأنها حبال مدلاة في بئر

ما زِلْتُ أرميهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ولَبَانِهِ حتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

ظللت أدفعُ نحو الأعداء ثغرةَ نحر فرسي، التجويف في أعلى صدره، حتى تجلل الفرس بالدم

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلَبَانِهِ وشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

فازور الفرس، مال، لشدة وقع الرماح بصدره، وشكا إلي حاله بدمعة وبصوت متقطع

لو كانَ يَدري ما المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ولَكَانَ لو عَرفَ الكلامَ مُكَلِّمي

لو عرف الكلام لكلمني

ولقد شَفَى نَفْسي وأَبْرَأَ سُقْمَها قِيلُ الفَوَارِسِ: وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ

اشتفيت، وأذهب ما بنفسي من ألم النبذ والتعيير بالعبودية قولُ الفرسان لي: ويحك يا عنترة تقدم وقاتل

والخيلُ تَقْتَحِمُ الغُبارَ عَوابِساً مِنْ بينِ شَيْظَمَةٍ وأَجْرَدَ شَيْظَمِ

كانت الخيل تدخل في غبار المعركة عابسة، وهي خيل طويلة ما بين حصان ذكر وفرس أنثى.
والشيظم من الخيل: الطويل، والأجرد: القصير الشعر

ولقد خَشِيتُ بِأَنْ أموتَ ولم تَدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ على ابْنَيْ ضَمْضَمِ

خشيت أن أقتل قبل أن أقتل ابني ضمضم، وهما رجلان من بني مرة كان عنترة قتل أباهما فظلا يتوعدانه

الشَّاتِمي عِرْضِي ولم أَشْتُمْهُما والنَّاذِرَيْنِ إذا لم القَهُمَا دَمِي

فهما يشتمانني ولم أكن شتمتهما، ويقولان للناس ـ في غيبتي ـ إنهما قد نذرا دمي ويريدان قتلي

إنْ يُقْتَلا فلقد تَرَكْتُ أَبَاهُما جَزَرَ السِّبَاعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

كنت قتلت أباهما من قبل وتركته ذبيحة للوحوش وللنسور الكبيرة

٥ معلقة الحارثِ بنِ حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيِّ البكري

آذَنَتْنَا بِبَيْنِها أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

أخبرتنا أسماء بوشك رحيلها، ورب ثاوٍ مقيم نمل إقامته بيننا، ولا كذلك أسماء

بعدَ عهدٍ لنَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ءَ فَأَدْنَى دِيَارِها الخَلْصَاءُ

ذلك بعد أن كان بيننا عهد، أي لقاء، في موضع «برقة شماء»، وفي «الخلصاء» التي هي أقرب ديار قومها إلينا

لا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فيها فَأَبْكِي الـ ـيَوْمَ دَلْهاً، ومَا يَرُدُّ الـبُكَاءُ؟

لا أرى من عهدت رؤيتهم في هذه الأماكن لذا فأنا اليوم أبكي دلهاً، أي بلا فائدة؛ وما الذي سيرده عليَّ البكاء؟

وبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدٌ النَّا رَ أَخيراً تُلْوي بِها العَلْيَاءُ

رأيت بعينيك ـ يخاطب نفسه ـ نار هند وقد أوقدتها أخيراً، أي في آخر عهدك بها، وأخذت تُلوي، أي ترتفع، بالنار العلياء، تلك المنطقة. يقول: ارتفع موضع هند وظهر عندما أوقدتِ النار

فَتَنَوَّرْتَ نَارَها مِنْ بَعيدٍ بِخُزَازٍ، هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلَاءُ

وقد تنورت نارها، رأيتها متفحصاً مصدرها، وأنت بموضع «خزاز»، وهو بعيد جداً فهيهات أن تتمكن من الاستدفاء بتلك النار

غيرَ أَنِّي قد أَسْتَعِينُ على الهَمِّـ إذا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ..

أستعين على الهم، أي على تنفيذ مقاصدي، عندما يعين النجاء، أي الإسراع، الثوي، أي المقيم على التحرك..

بِزَفُوفٍ كَأَنَّها هِقْلَةٌ أُمُّـ رِئَالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفَاءُ..

أستعين على حوائجي بزفوف، ناقة خفيفة، كأنها هقلة أم رئال، نعامة ذات أولاد، دوية، أي برية وحشية، سقفاء، معوجة الساقين. يشبه ناقته بالنعامة في خفتها وسرعتها واعوجاج ساقيها..

آنَسَتْ نَبْأَةً، وأَفْزَعَها القَنَّـ ـاصُ عَصْراً، وقد دَنَا الإِمْسَاءُ

هذه النعامة آنست نبأة، أحست بصوت خفي، وفزعت من قناص يترصدها عصراً وقد دنا المساء، لذا فالنعامة تفر مسرعة

وأَتَانَا مِنَ الحَوادِثِ والأَنْـ ـباءِ خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ ونُسَاءُ

جاءتنا أخبار سيئة..

أَنَّ إِخْوانَنا الأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ علينا، في قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ

هذه الأخبار أن «الأراقم»، وهم قوم من تغلب، يغلون علينا، يتجاوزون الحد في ظلمنا، وفي كلامهم إحفاء، أي مبالغة

يَخْلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْـ ـبِ، ولا يَنْفَعُ الخَلِيَّ الخَلَاءُ

ويحمّلون البريء ذنب المذنب، ولا ينتفع البريء ببراءته لأنهم يشملون الجميع بالاتهام

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

اتفقوا ليلاً على قتالنا، وعندما أصبحوا كانت لهم ضوضاء وضجة

مِنْ مُنَادٍ ومِنْ مُجيبٍ ومِنْ تَصْـ ـهَـالِ خَيْـلٍ خِـلالَ ذَاكَ رُغَـاءُ

فهذا ينادي وذاك يجيبه، والخيل تصهل، وفي وسط ذلك كله يُسمع رغاء الإبل، أي صوتها

أَيُّـمَـا خُـطَّـةٍ أَرَدْتُـمْ فَـأَدُّو هَـا إِلَيْـنـا تَـمْـشـي بِـهـا الأَمْـلاءُ

يخاطبهم: مهما تكن عندكم من خطة للتسوية فقدموها لنا بواسطة الأملاء،
السعاة بالخير من الوسطاء

إنْ نَبَشْـتُمْ ما بينَ مِلْحَةَ فَالصَّا قِـبِ فـيـهِ الأمـواتُ والأحـيـاءُ

إن نبشتم عن الماضي وما كان بيننا فيه من قتل ومعارك بين موضعي ملحة والصاقب، فتجدون قتلى بعضهم أحياء ـ أي أُخذ بثأرهم فكأن هذا أعادهم إلى الحياة ـ وبعضهم أموات لم يؤخذ بثأرهم بعد

أو نَقَشْتُمْ، فالنَّقْشُ يُجْشِمُهُ النا سُ، وفـيـهِ الـصَّـلاحُ والإِبْـرَاءُ

وإن نقشتم، أي تتبعتم الحالات واحدة واحدة مثلما يتتبع الناقش بالمنقاش، أي الملقط، الشعرات واحدة واحدة فيزيلها، فالتتبع يجشمه الناس، أي يعانون منه، وفيه كشف للحقائق.. ويتبين منه أنكم كنتم المعتدين

أو سَكَتُّمْ عنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَغْـ ـمَضَ عَيْـناً فـي جَـفْـنِـهـا أَقْـذَاءُ

وإن اخترتم السكوت فنحن نغمض أعيننا عن الأمر، ولكن كإغماض المرء عينيه على قذى فيهما، فلن ننسى اعتداءكم

لا يُقيمُ العزيزُ بِالبلدِ السَّهْـ ـلِ، ولا يَـنْـفَـعُ الـذَّلـيـلَ الـنَّـجَـاءُ

لا يقيم القوي في السهل آمناً يرعى مواشيه، فلا بد له من التوعر ومواجهة الأعداء، ولا ينتفع الضعيف الذليل بالنجاء، الفرار

٦ معلقة عَبِيدِ بنِ الأَبْرَص

أَقْـفَـرَ مِـنْ أَهْـلِـهِ مَـلْـحُـوبُ فَـالـقُـطَـبِـيَّـاتُ فَـالـذَّنُـوبُ

أقفر موضع ملحوب وخلا من أهله، وكذا أقفرت «القُطَبِيَّات» والذنوب. معلقة عبيد مضطربة الوزن، كأنها النسخة الأولى من مخلع البسيط الذي سيكون له شأن في العصر العباسي. قال المعري: «وقد يخطئ الرأي امرؤ وهو حازم/كما اختل في وزن القريض عبيدُ»

وبُـدِّلَـتْ مِـنْـهُـمُ وُحُـوشـاً وغَـيَّـرَتْ حـالَـهـا الـخُـطـوبُ

وسكنت الوحوش في هذه الأماكن بدلاً من أهلها الراحلين، وغيرت أحوالها الأحداث

تَـصْـبُـو وأَنَّـى لَـكَ الـتَّـصَـابـي أَنَّـى وقـد رَاعَـكَ الـمَـشِـيـبُ

يخاطب نفسه: إنك لتميل إلى اللهو، وكيف لك هذا التصابي بعد أن هجم المشيب وأفزعك

فَكُلُّ ذي نِعْمَةٍ مَخْلُوسٌ وكُلُّ ذي أَمَلٍ مَكْذُوبُ

كل صاحب مال مخلوس، أي مسلوب منه في النهاية، وكل صاحب أمل سيخيب أمله

وكُلُّ ذي إِبِلٍ مَوْرُوثٌ وكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسْلُوبُ

وصاحب الإبل يموت عنها فيرثها عقبه، وكل من سلب الناس شيئاً سيسلب منه ذلك الشيء

وكُلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ وغَائِبُ المَوتِ لا يَؤُوبُ

مَنْ يَسْأَلِ الناسَ يَحْرِمُوهُ وسَائِلُ اللَّهِ لا يَخِيبُ

سَاعِدْ بِأَرْضٍ إن كنتَ فيها ولا تَقُلْ إِنَّني غَرِيبُ

إن كنت مغترباً في غير قومك فساعد من تلتحق بهم، فالغربة ليست سبباً في القعود عن مد يد العون

قد يُوصَلُ النَّازِحُ النَّائي، وقد يُقْطَعُ ذُو السُّهْمَةِ القَرِيبُ

فالغريب قد ينال من حسن عشرة الناس ما لا يناله صاحب السهمة، أي النصيب، القريب نسباً

والمَرْءُ ما عاشَ في تَكذيبٍ طُولُ الحَياةِ لهُ تَعذِيبُ

بقية المعلقات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

(المعلقات الأربع الأخرى في أبواب: امرئ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى).

الثَّوَاءُ	٥	تَوَهُّمِ	٤
فَالذَّنُوبُ	٦	فَرِجَامُها	٢
اليَدِ	١	الأَنْدَرِينا	٣

المفضليات

هذه أشعار جمعها المُفَضَّل الضَّبِّي للخليفة المهدي فسميت المُفَضَّلِيَّات، ثم زيد فيها أكثر من ضعفي حجمها، ثم لم نعد نعرف الذي اختاره المفضل من الذي ألحقه الناس بعده بمجموعته. لكن المجموعة وقعت إلينا في نسخ كثيرة فاعتنى بها أبو محمد القاسم الأنباري من القدماء، فشرحها شرحاً ضافياً، وحقق هذا الشرح «كارلوس يعقوب لايل» الإنجليزي من المحدثين، وطبعه في بيروت على نفقة «كلية أكسفُرد» ـ كما كتبها على الغلاف ـ في سنة وفاته ١٩٢٠ في نحو من ألف صفحة. ونشرت المفضليات في إنجلترا في «مطبعة جامعة أكسفورد» مترجمة إلى الإنجليزية ترجمة شعرية مرسلة، مع تعليقات ثمينة، في جزأين. ثم فهرسَ الطبعة الإنجليزية أنطوني بيفان بعد موت لايل بأربع سنين.

ونشر المفضليات بمصر حسن السندوبي، ثم نشرها أحمد شاكر وعبد السلام هارون مع شرح موجز.

المفضليات ٣٣٦ من القصائد الكاملة لمئة وخمسة وخمسين شاعراً كلهم من الجاهلية أو صدر الإسلام. وقد اخترت لك ما راقني، وما رأيته راق أهل الأدب عبر مئات السنين. فذوقي ذوقان: ذوق أصيل وذوق مستعار. أستمتع بالبيت أو بمجموعة الأبيات فأضع إزاءها إشارة بالقلم، وتمر بي أبيات طال ترددها في كتب القدماء وتناولوها نقداً أو إعجاباً فلا أضن بها عليك. وقد شرحت ما اخترت بأحسن ما أستطيع، وانتفعت بشرح شاكر وهارون.

١ ستندم

تأبّطَ شَرّاً:

سَدِّدْ خِلالَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُهُ ... حتى تُلاقِي الذي كلُّ امْرِئٍ لاقِ

خلالك: حاجاتك. قم بما عليك من واجبات ما دمت على قيد الحياة

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنَّ مِنْ نَدمٍ إذا تذكَّرْتَ يوماً بعضَ أخلاقي

قرع السن: كعض الإصبع في زمننا، دليل على الندم

٢ سيروا إلى الموت

بَشَامَةُ بنُ الغَدِير: يحث قومة بني سَهْم بن مُرَّة على ألا ينقضوا حلفهم مع بني جُهَيْنة:

نَأَتْكَ «أُمَامَةُ» نَأْياً طَوِيلا وحَمَّلَكَ النَّأْيُ عِبئاً ثَقِيلا

ابتعدت أمامة عن وصلك مدة طويلة، وتحملتَ بسبب بعدها حزناً شديداً

وحُمِّلْتَ منها على نَأْيِها خَيالاً يُوافي، ونَيْلاً قليلا

يأتيك خيالها في المنام، ولكنك لا تنال منها وصلاً حقيقياً

ونَظْرَةَ ذي شَجَنٍ وَامِقٍ إذا ما الرَّكَائِبُ جَاوَزْنَ مِيلا

تنال منها نظرة صاحب شجن وامق، أي محب، وأنت في الركب مبتعداً عن خيام الحي. والميل قياس للمسافة كان معروفاً أيضاً في الزمن القديم والكلمة يونانية

أَتَتْنا تُسَائِلُ مَا بَثُّنا؟ فقلْنا لها: قد عَزَمْنا الرَّحِيلا

تسألنا أمامة ما بثنا، خبرنا، فأخبرناها بعزمنا على الرحيل

وخُبِّرتُ قومي، ولم أَلْقَهُمْ، أَجَدُّوا على ذي شُوَيْسٍ حُلُولا

علمت أن قومي ـ ودون أن أقابلهم ـ قد أجدوا حلولاً، نزلوا مؤخراً، بموضع ذي شويس

فإمَّا هَلَكْتُ ولم آتِهِمْ فَأَبْلِغْ أَمَاثِلَ سَهْمٍ رَسُولا..

إن مت قبل أن آتي إليهم، فأبلغ أماثل، خيار، قبيلة سهم وكن رسولاً..

بِأَنْ قَومُكُمْ خُيِّرُوا خَصْلَتَيْـ ـنِ، كِلتَاهُما جَعَلُوها عُدُولا

أبلغهم بأن قومهم مخيرون بين خصلتين، خيارين، كلتاهما عدول، أي جائرتان عن الحق

فَخِزْيُ الحَياةِ وحَرْبُ الصَّدِيقِ وكُلاًّ أَرَاهُ طَعَاماً وَبِيلا

إحداهما التقاعس عن الحرب وفي هذا العار، والثانية محاربة الصديق، وكلتاهما كالطعام الفاسد

فإنْ لم يَكُنْ غَيْرُ إحْداهُما فَسِيرُوا إلى الموتِ سَيْراً جميلا

فإن لم يتيسر خيار ثالث فعليكم بالحرب

ولا تَقْعُدُوا وبِكُمْ مُنَّةٌ كَفَى بِالحَوادِثِ لِلمَرْءِ غُولا

ولا تتقاعسوا وبكم منه، أي قوة، فالمرء على كل حال غرض للموت بحوادث الزمن التي تغتاله

وحُشُّوا الحُروبَ إذا أُوقِدَتْ رِمَاحاً طِوالاً وخَيلاً فُحُولا

حشوا، أي أوقدوا، الحروب برماح طويلة وخيول فحلة قوية

ومِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً تَرى لِلقَواضِبِ فيها صَلِيلا

وبدروع كأنها من نسج النبي داود، المشهور بنسج الدروع، وهي موضونة، أي مضاعفة النسج، وللقواضب، أي السيوف، صليل ورنين على الدروع

٣ أرباب نخل

المَرَّار بنُ مُنْقِذ:

فإنَّكِ إنْ تَرَيْ إبِلاً سِوَانا ونُصْبِحُ لا تَرَيْنَ لنا لَبُونا..

إن رأيتِ لغيرنا الإبل، ولم تجدي عندنا لبوناً، أي بعيراً قد فُطم..

فإنَّ لَنا حَظَائرَ نَاعِمَاتٍ عَطَاءَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينا

فلنا حظائر، نخلات، جيدات

طَلَبْنَ البَحْرَ بِالأَذْنَابِ حتى شَرِبْنَ جِمَامَهُ حتى رَوِينا

نخلاتنا طلبن الماء بأذنابهن، بجذورهن، وشربن الجمام، الماء الكثير، حتى ارتوين

كَأنَّ فُروعَها في كُلِّ ريحٍ جَوارٍ بِالذَّوَائِبِ يَنْتَصِينا

كأن فروع النخل عندما تحركها الريح جوارٍ، أي فتيات، ينتصين، أي يتجاذبن، بالذوائب، بخصلات الشعر

بَناتُ الدهرِ لا يَحْفِلْنَ مَحْلاً إذا لم تَبْقَ سَائِمَةٌ بَقِينا

النخلات بنات الدهر، يعشن طويلاً، ولا يهمهنَّ القحط.. وعندما تفنى السوائم، الإبل التي ترعى، بجفاف العشب تبقى النخلات

إذا كانَ السِّنُونَ مُجَلِّحَاتٍ خَرَجْنَ ومَا عَجِفْنَ مِنَ السِّنِينا

إن كانت المواسم مجلِّحة، مجدبة، فالنخلات تخرج من زمن الجفاف دون أن تعجف، تهزل

فَتِلْكَ لنا غِنَىً والأَجْرُ بَاقٍ فَغُضِّي بَعضَ لَومِكِ يا ظَعِينا

هذه هي مالنا، ونطعم منها الضيف ونكسب الأجر، فكفي عنا بعض اللوم يا ظعين، يا امرأة

٤ تبليغ الغيظ

المَرَّارُ بنُ مُنْقِذ:

عَجَبٌ خَوْلَةُ إذْ تُنْكِرُني أم رَأَتْ خَولَةُ شَيْخاً قد كَبِرْ؟

وكَسَاهُ الدهرُ سِبّاً نَاصِعاً وتَحَنّى الظَّهْرُ منهُ فَأُطِرْ

سبّاً ناصعاً: ثوباً أبيض هو الشيب، وأطر جسمه، أي تقوّس

ما أنا اليومَ على شيءٍ مَضى، يَا ابْنَةَ القَوْمِ تَولّى، بِحَسِرْ

لست على شيء تولى وذهب بحسر، أي بنادم

كَمْ تَرى مِنْ شَانِئٍ يَحْسُدُني قد وَرَاهُ الغَيْظُ في صَدْرٍ وَغِرْ

كثيراً ما ترى شانئاً، مبغضاً، يحسدني، وقد وراه الغيظ، أي قد أفسد جوفه، فصدره وغر، مملوء غيظاً

وحَشَوْتُ الغَيْظَ في أَضْلاعِهِ فَهْوَ يَمْشي حَظَلاَناً كالنَّقِرْ

ملأته غيظاً فحتى مِشيته فيها حظلانٌ، أي عرج وميل، كأنه نقِر، أي قد التوى عِرق في ساقه

لم يَضِرْني، ولقدْ بَلَّغْتُهُ قِطَعَ الغَيْظِ بِصَابٍ وصَبِرْ

لم يصبني بأذى مع أنني جعلته يبلع قطعاً من الغيظ كأنها قطع من نبات الصاب والصبر، وهما نباتان فيهما مرارة شديدة

هل عرفتَ الدارَ أم أَنْكَرْتَها بينَ تِبْرَاكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرّ؟

يخاطب نفسه: أعرفت دار الأحبة بين ذينك المكانين؟

جَرَّرَ السيلُ بها عُثْنُونَهُ وتَعَفَّتْها مَداليجُ بُكُرْ

السيل جر عثنونه، أوائل مياهه، فيها وتعفتها، أي محتها، مداليجُ بُكُر، رياح ليلية وأخرى صباحية

وتَرى منها رُسوماً قد عَفَتْ مثلَ خَطِّ اللّامِ في وَحْيِ الزُّبُرْ

وترى رسوماً، بقايا، من الديار وقد عفت، امَّحت، فكأنها خط اللام، واللام هو الإنسان، المرقوم في الزبر، أي الكتب.. المعنى: أن الديار صارت ككتابة الإنسان على وجه الورقة، والكتابة في عين شخص أمي هي خربشات لا معنى لها متفرقة هنا وهناك

قد نَرى البيضَ بِها مثلَ الدُّمَى لم يَخُنْهُنَّ زَمانٌ مُقْشَعِرّ

كنا نرى البيض، الحِسان، بتلك الديار، وهن مثل الدمى جمالاً وزَواقاً، ولم يخنهن الزمان المقشعر، أي لم يقس عليهن الزمان الصعب لأنهن منعمات

يَتَلَهَّيْنَ بِنَوْمَاتِ الضُّحَى راجِحَاتِ الحِلْمِ والأُنْسِ خُفُرْ

ينمن حتى ترتفع شمس الضحى، وهن عاقلات وفيهن أنس، وهن خُفَر، أي خجولات

يَتَزَاوَرْنَ كَتَقْطَاءِ القَطَا وطَعِمْنَ العيشَ حُلْواً غيرَ مُرّ

يزرن بعضهن بعضاً فيمشين بين البيوت مشياً بطيئاً متمايلاً كمشي طيور القطا، وعيشهن هين هنيء

وهَـوى الـقَـلـبِ الـذي أعـجَـبَـهُ   صـورةٌ أحـسَـنُ مَـنْ لاثَ الأُزُرْ

المعنى الملموح: هوى القلب وما أعجبه صورة فتاة هي أجمل من لاث الأزر، أجمل من لف تنورة على خصره، أي أجمل الناس

راقَـهُ مـنـهـا بَـيـاضٌ نـاصِـعٌ   يُـؤْنِـقُ الـعَـيْـنَ وضَـافٍ مُـسْـبَـكِـرّ

بياضها ناصع يؤنق، أي يعجب، العين.. ويروقه منها شعر ضاف، طويل، مسبكر، مسترسل

تَـهْـلِـكُ الـمِـدْرَاةُ فـي أَفْـنَـائِـهِ   فـإذا مـا أَرْسَـلَـتْـهُ يَـنْـعَـفِـرْ

تختفي المدراة، أي المشط، في أفناء شعرها، أي خصلاته، فإذا أرسلت شعرها انعفر، وصل إلى الأرض

صَـلْـتَـةُ الـخَـدِّ طَـويـلٌ جـيـدُهـا   نَـاهِـدُ الـثَّـدْيِ ولَـمَّـا يَـنْـكَـسِـرْ

خدها صلت، أملس، وعنقها طويل، وثديها ناهض لم ينكسر بعد.. في لقطة من المسلسل الكوميدي الإنجليزي «مفتوح طول النهار» ينظر الشاب إلى صدر زبونة الدكان الكهلة نظرة تحديق فتقول له: أيها الشاب، هذا ملموم بالصدار، ولو تركته لوصل إلى سرتي.. أو كما قالت

فَـهْـيَ هَـيْـفـاءُ هَـضـيـمٌ كَـشْـحُـهـا   فَـخْـمَـةٌ حـيـثُ يُـشَـدُّ الـمُـؤْتَـزَرْ

هي هيفاء، ضامرة البطن، هضيم كشحها، نحيل خصرها، ولكنها فخمة ممتلئة عند الردفين اللذين يشد عليهما الإزار

وإذا تَـمـشـي إلـى جَـاراتِـهـا   لـم تَـكَـدْ تـبـلُـغُ حـتـى تَـنْـبَـهِـرْ

سمينة ولا تصل بيت الجارة إلا وقد كادت تنبهر، ينقطع نفسها

دَفَـعَـتْ رَبْـلَـتُـهـا رَبْـلَـتَـهـا   وتَـهـادَتْ مِـثْـلَ مَـيْـلِ الـمُـنْـقَـعِـرْ

تتماس فخذها بفخذها لسمنها، وتتهادى في مشيها كأنها تريد أن تسقط سقوط النخلة المنقعرة، الساقطة بعد قلعها

وَهْـيَ بَـدَّاءُ إذا مـا أَقـبـلَـتْ   ضَـخْـمَـةُ الـجِـسْـمِ رَدَاحٌ هَـيْـدَكُـرْ

بداء: ممتلئة، وجسمها ضخم؛ و«رداح» و«هيدكر» كلتاهما بمعنى ضخمة

تَـطَـأُ الـخَـزَّ ولا تُـكْـرِمُـهُ   وتُـطِـيـلُ الـذَّيْـلَ مـنـهُ وتَـجُـرّ

لما هي فيه من نعمة فهي تدوس على الخز، الحرير، وثوبها طويل وتجره

وَهْـيَ لـو يُـعْـصَـرُ مِـنْ أَرْدَانِـهـا   عَـبَـقُ الـمِـسْـكِ لَـكـادَتْ تَـنْـعَـصِـرْ

الأردان: الأكمام

تَـرَكَـتـنـي لَـسـتُ بِـالـحَـيِّ، ولا مَـيِّـتٌ لاقَـى وَفَـاةً فَـقُـبِـرْ

تركتني مدلهاً لا أنا حي ولا ميت

يَـسْـأَلُ الـنـاسُ أَحُـمَّـى دَاؤُهُ، أم بـه كـان سُـلالٌ مُـسْـتَـسِـرّ

يسأل الناس: أمرضه الحمى، أم هو سل مستسر، خفي

وَهْـيَ دَائـي، وشِـفَـائـي عِـنـدَهـا مَـنَـعَـتْـهُ فَـهْـوَ مَـلْـوِيٌّ عَـسِـرْ

والمحبوبة دائي؛ وشفائي عندها ولكنه ملوي، ممنوع عني، وصعب

وَهْـيَ لـو يَـقْـتُـلُـهـا بـي إِخْـوَتـي أَدْرَكَ الـطَّـالِـبُ مـنـهُـمْ وظَـفِـرْ

لو قتلها إخوتي بي، أي مقابل قتلها إياي، لكان طالب الثأر قد أدرك ثأره.. إذ هي قاتلتي

مـا أنـا الـدهـرَ بِـنـاسٍ ذِكْـرَهـا مـا غَـدَتْ وَرْقَـاءُ تَـدعُـو سَـاقَ حُـرّ

لن أنساها ما دامت ورقاء، حمامة، تنادي ساق حر، ذكر الحمام.. أي لن أنساها أبداً

٥ الوصمة

المُزَرِّد أخو الشَّمَّاخ:

وجَاوَزْتُ رأسَ الأَرْبَعينَ فأَصبحتْ قَناتِيَ لا يُلْفَى لها الدهرَ عَادِلُ

بعد أن تجاوزت الأربعين أصبحت قناتي، أي رمحي، صلبة لا يستطيع أحد أن يعدلها، يثنيها..
أي أصبحتُ قاسياً لا ألين لمن يريد كسر إرادتي

زَعِـيـمٌ، لِـمَـنْ قَـاذَفْـتُـه، بِـأَوَابِـدٍ يُغَنِّي بها السَّاريِ وتُحْدَى الرَّوَاحِلُ

أنا كفيل لمن أتبادل معه الهجاء بأوابد، بقصائد قاسية، يغني بكلامها الساري، السائر ليلاً،
وتحدى بها الرواحل، تساق بالترنم بها الإبل

فَمَنْ أَرْمِهِ منها بِبيتٍ يَلُحْ بِهِ كَشَامَةِ وَجْهٍ، ليس للشَّامِ غَاسِلُ

من رميته ببيت هجاء من هذه القصائد فسوف يعلق بوجهه كالشامة، ولا يزيل الشام، الشامات،
الغاسل وجهه

٦ المسبكرَّة

الشَّنْفَرَى الأَزْدِيّ:

ألا أمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فاسْتَقَلَّتِ وما وَدَّعَتْ جِيرَانَها إذْ تَوَلَّتِ

أم عمرو أزمعت، أي عزمت، فاستقلت، أي ركبت وارتحلت..
وما ودعت جيرانها حين تولت وذهبت

لقد أَعجَبَتْنِي لا سَقُوطاً قِنَاعُها   إذا ما مَشَتْ، ولا بِذَاتِ تَلَفُّتِ

كانت تعجبني، لا يسقط قناعها عن وجهها، فهي حيية خجول،
ولا تتلفت يميناً ويساراً فعل النساء الخفيفات

فَدَقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ   فلَوْ جُنَّ إنسانٌ مِنَ الحُسْنِ جُنَّتِ

دقت، كانت دقيقة ونحيلة في خصرها، وجلت، كانت جليلة سمينة عند ردفيها، واسبكرت، كانت طويلة الجسم، وأكملت.. فلو أن المرأة تلتحق بالجن لشدة الحسن لفعلت.. وكثيراً ما وصفوا الحسناء بأنها جنِّيَّة

٧ قتل ناقة

عمرو بن الأَهْتَم المِنْقَرِيّ:

أَلَا طَرَقَتْ أسماءُ وَهْيَ طَرُوقُ   وبَانَتْ، على أنَّ الخَيالَ يَشُوقُ

طرقت أسماء، أي زارتني ليلاً. ثم بانت، فارقتني، ولكن خيالها يثير شوق قلبي

ذَرِيني فَإنَّ الشُّحَّ يا أمَّ هَيْثَمٍ   لِصَالِحِ أَخْلاقِ الرجالِ سَروقُ

يا أم هيثم دعيني من كلامك فالشح، البخل، يسرق محاسن الرجل وينتقص منها

ذَرِيني وحُطِّي في هَوايَ فإنَّني   على الحَسَبِ الزَّاكِي الرفيعِ شَفِيقُ

اتركيني وحطي في هواي، شاركيني في طباعي، فأنا شفيق، حريص، على الحسب الزاكي، على الشرف الرفيع

ومُسْتَنْبِحٍ بعدَ الهُدوءِ دَعَوْتُهُ   وقد حانَ مِنْ نَجْمِ السماءِ خُفُوقُ

رب رجل مستنبح، ينبح كالكلب في الصحراء وهو تائه حتى تجاوبه الكلاب فيستدل بنباحها على مضارب القوم، كان ينبح بعد حلول الظلام، وقد بدأ نجم السماء، الثريا، بالخفوق.. متوارياً وراء الغيوم في جو شتائي، وقد دعوته ليكون ضيفي

يُعالِجُ عِرْنِيناً مِنَ اللَّيْلِ بَارِداً   تَلُفُّ رِياحٌ ثَوبَهُ وبُرُوقُ

مضطرب يحاول تدبر عرنين الليل، أوله، والريح تلف ثوبه، ويلمع البرق فيبرزه، فكأنه يلفه أيضاً

أَضَفْتُ فَلَمْ أُفْحِشْ عليه، ولم أَقُلْ   لِأَحْرِمَهُ: إنَّ المَكانَ مَضِيقُ

جعلته ضيفي، ولم أسئ معاملته بأسئلتي، ولم أتذرع بضيق المكان لحرمانه الضيافة

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً   فهذا صَبُوحٌ رَاهِنٌ وصَدِيقُ

قدمت له الصبوح، لبناً يشربه في الصباح، وكنت له صديقاً

وقُمْتُ إلى البَرْكِ الهَواجِدِ فاتَّقَتْ مَقَاحِيدُ كُومٌ كَالمَجَادِلِ رُوقُ. .

وقمت إلى الجمال الباركة الجاثمة الهواجد، النائمة، فاحتمت هذه الجمال المقاحيد، الكبيرة الأسنمة، الكوم، الكبيرة، التي كأنها المجادل، القصور.. وهي روق.. تعجب الناظر.. هذه الجمال احتمت مني بـ..

بِأَدْمَاءَ مِرْبَاعِ النِّتَاجِ كأنَّها إذا عَرَضَتْ دونَ العِشارِ فَنيِقُ

احتمت الجمال خوف الذبح بناقة أدماء، بيضاء، مرباع النتاج، مما يلد وقت الربيع، وكأنها إذ مثلت أمام النياق العشار الحوامل، فنيق، فحل كبير لضخامتها

بِضَرْبَةِ سَاقٍ أو بِنَجْلاءَ ثَرَّةٍ لَها مِنْ أَمَامِ المَنْكِبَيْنِ فَتيِقُ

قمت لها بضربة ساق، أو بنجلاء ثرة، طعنة واسعة غزيرة الدم.. قد ضرب بسيفه ساق الناقة لكي تبرك ثم طعنها في عنقها بين كتفيها طعنة واسعة لها فتيق أي فتق واسع

وقَامَ إلَيْها الجَازِرانِ فَأَوْفَدا يُطيِرَانِ عنها الجِلْدَ وَهْيَ تَفُوقُ

ثم قام الجازران، القصابان، فأوفدا، أي صعدا فوقها، وأخذا يطيران الجلد عن جسم الناقة وهي تفوق، تجود بروحها.. منظر مرعب..

فَجُرَّ إلَيْنا ضَرْعُها وسَنَامُها وأَزْهَرُ يَحْبُو لِلْقِيَامِ عَتيِقُ

وجُرَّ إلينا ضرع الناقة، ثديها، وسنامها، كما جيء لنا بجنين أزهر، أبيض كان في بطنها، وهو يحبو يحاول الوقوف، وهو عتيق، كريم أصيل

بَقيِرٌ جَلا بِالسَّيْفِ عنهُ غِشَاءَهُ أَخٌ بِإخَاءِ الصَّالِحِينَ رَفيِقُ

هذا الجنين بقير، أي بُقِر عنه بطن أمه، وقد جلا، أي سلخ، مشيمته عن جسمه بالسيف رجل صالح من رجالنا يحب الضيوف

فَباتَ لنا منها ولِلضَّيْفِ مَوْهِناً شِوَاءٌ سَمِينٌ زَاهِقٌ وغَبُوقُ

بات لنا من الناقة موهناً، ليلاً، شواء سمين، كثير الدهن، زاهق، دسم، وغبوق، شراب المساء.. يبدو أنهم حلبوها قبل ذبحها

وبَاتَ لهُ دونَ الصَّبَا وَهْيَ قَرَّةٌ لِحَافٌ ومَصْقُولُ الكِسَاءِ رَقيِقُ

بات للضيف لحاف يقيه ريح الصبا وهي قرة، باردة، وبات له كساء رقيق

وكلُّ كَريمٍ يَتَّقي الذَّمَّ بِالقِرَى ولِلْحَمْدِ بين الصَّالِحِيَن طَريقُ

الكريم يحمي نفسه من الذم بتقديم الطعام لضيفه

لَعَمْرُكَ ما ضَاقَتْ بلادٌ بِأهلِها ولكِنَّ أخلاقَ الرجالِ تَضيِقُ

المشكلة ليست أن البلاد ضيقة فالخير كثير، لكن طباع الرجال هي الضيقة

٨ المناديل

عَبْدَة بن الطبيب:

لـمَّـا وَرَدْنَـا رَفـعْـنـا ظِـلَّ أرْدِيَـةٍ وفَـارَ بِـاللَّـحْـمِ لِلـقَـومِ الـمَـراجِـلُ

عندما وردنا الماء ونزلنا بالمكان رفعنا الأردية، أي الثياب لكي نستظل بظلها، وفارت المراجيل، القدور، باللحم

وَرْداً وأَشْـقَـرَ لـم يُـنْـهِـئْـهُ طَـابِـخُـهُ، مَـا غَـيَّـرَ الـغَـلْـيُ مِـنْـهُ فَـهْـوَ مَـأْكُـولُ

كان اللحم ورداً، أحمر غير ناضج، وأشقر، مبيضاً قد نضج بعض النضج، لكن الطابخ لم ينهئه بعد، لم يجعله يستوي، ولشدة الجوع كان القوم يتناولون أي قطعة لحم تغير لونها قليلاً فيأكلونها

ثُـمَّـتَ قُـمْـنَـا إلـى جُـرْدٍ مُـسَـوَّمَـةٍ أَعْـرافُـهُـنَّ لِأَيْـدِيـنـا مَـنـادِيـلُ

قمنا بعد ذلك إلى خيول جرد، قصيرة الشعر، مسومة، معدة للحرب، وجعلنا من أعرافها، شعر رقابها، مناديل مسحنا بها أيدينا بعد الأكل

والـمَـرءُ سـاعٍ لِأَمـرٍ لـيـس يُـدرِكُـهُ والـعـيـشُ شُـحٌّ وإِشـفـاقٌ وتَـأْمِـيـلُ

الإنسان يسعى ولا يدرك مبتغاه، لأنه كلما وصل عنَّ له هدف جديد، والحياة بخل وخوف وأمل

٩ النهاية معروفة

عَبْدَة بن الطبيب:

أَبَـنِـيَّ إِنِّـي قـد كَـبِـرْتُ ورَابَـنـي بَـصَـري، وفِـيَّ لِـمُـصْـلِـحٍ مُـسْـتَـمْـتَـعُ

يا أبنائي قد كبرت وشككت في سلامة بصري، ولكن فيَّ مستمتع، فائدة، لمن يريد إصلاح الحال، فعقلي وخبرتي معي

إنَّ الـكـبـيـرَ إذا عَـصـاهُ أهـلُـهُ ضَـاقَـتْ يَـداهُ بِـأَمْـرِهِ مـا يَـصْـنَـعُ

إنَّ الـذيـن تَـرَوْنَـهُـمْ إِخْـوَانَـكُـمْ يَـشْـفِي غَليلَ صُدورِهِمْ أن تُصْرَعُوا

من تظنون بهم الإخاء هم في الواقع أعداء يسرهم موتكم

ولـقـد عَـلِـمْـتُ بِـأَنَّ قَـصْـرِيَ حُـفْـرَةٌ غَـبْـراءُ يَـحـمِـلُـنـي إلـيْـهـا شَـرْجَـعُ

قصري، أي قصاراي ومنتهى أمري، حفرة يحملني إليها شرجع، نعش

فَـبَـكَـى بَـنـاتـي شَـجْـوَهُـنَّ وزَوْجَـتـي والأَقـربـونَ إلَـيَّ، ثـم تَـصَـدَّعُـوا

بكوا لفقدي، ثم تصدعوا، تفرقوا عن القبر

وتُـرِكْـتُ فـي غَـبـراءَ يُـكْـرَهُ وِرْدُهـا تَـسـفـي عَـلَـيَّ الـريـحُ حيـنَ أُوَدَّعُ

تركت في أرض غبراء لا يحب النزول فيها أحد، وتسفي الرياح عليَّ، تحمل التراب، بعد أن يودعني أهلي

١٠ حسرة الأسير

عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

أَلَا لَا تَلُومانِي كَفَى اللَّومَ مَا بِيَا وما لَكُمَا في اللَّوْمِ خيرٌ ولا لِيَا

لا تلوماني يا صاحبيَّ فالذي بي من الهم يكفيكم مؤونة اللوم، ولا خير لكما ولا لي في اللوم أصلاً

أَلَـمْ تَـعـلَـمـا أنَّ الـمَـلامَـةَ نَـفْـعُـهـا قليلٌ، ومَا لَوْمِي أخِي مِنْ شِمَالِيَا

ليس لومي أخي من شمالي، من طبعي

فَـيـا راكِـبـاً إمَّـا عَـرَضْـتَ فَـبَـلِّـغَـنْ نَـدَامَـايَ مِـنْ نَـجْـرانَ أَلَّا تَـلاقِـيـا

أيها الراكب إن عرضت، بلغت العروض وهو مكان، فبلغ أصحابي أهل نجران أنه لا لقاء بعد اليوم

أَبَـا كَـرَبٍ والأَيْـهَـمَـيْـنِ كِـلَـيْـهِـمـا وقَيْساً بِأعلَى حَضْرَمَوْتَ اليَمانِيا

يعدد أصحابه

جزَى اللَّهُ قَومِي بِالكُلابِ مَلَامَةً صَـرِيـحَـهُـمُ والآخـريـنَ الـمَـوالِـيـا

يلوم قومه على ما حدث في وقعة الكلاب، الصريح منهم نسباً، والموالي، المتحالفين مع قومه

ولو شئتُ نَجَّتْنِي مِنَ الخيلِ نَهْدَةٌ تَرى خَلْفَهَا الحُوَّ الجِيادَ تَوالِيا

لو شئت لفررت ونجوت على نهدة من الخيل، فرس عالية، تراها سابقة وخلفها الجياد الحو، التي يميل لونها للخضرة، تتوالى ولا تسبقها

ولـكِـنَّـنـي أَحْـمـي ذِمَـارَ أَبـيـكُـمُ وكان الرِّمَاحُ يَختَطِفْنَ المُحَامِيا

لكنني ثبتُّ لكي أحمي ذمار أبيكم، شرف الأجداد، وكانت الرماح تختطف من يحامي عن الشرف

أَقُولُ وقد شَدُّوا لِساني بِنِسْعَةٍ: أَمَـعْـشَـرَ تَـيْـمٍ أَطلِقُوا مِنْ لِسانِيا

أقول وقد شد الأعداء، عندما أسروني، لساني بنسعة، بسير جلديٍّ، يبدو أنهم كمموه، ولكنه رغم التكميم قال: يا معشر تيم أطلقوا لساني

فـإنْ تَـقْـتُـلُـونـي تَـقْـتُـلُـوا بِـيَ سَـيِّـداً وإنْ تُـطْـلِـقُـونـي تَـحْـرُبُـونـي بِـمَـالِـيـا

إن تقتلوني تقتلوا بقتلكم إياي سيداً، وإن تطلقوني تحربوني بمالي، تسلبون سلاحي.. لعله يقصد أن قتلكم إياي سيؤدي إلى الثأر وسيقتل قومي منكم سيداً

أحَقّاً عِبادَ اللّهِ أنْ لَسْتُ سَامعاً نَشيِدَ الرِّعَاءِ المُعْزِبِينَ المَتَالِيا؟

أحقاً لن أسمع بعد اليوم صوت الرعاء، الرعاة، المعزبين المتالي، المبتعدين بالإبل المتالي، التي تتوالى في وضع أجنتها فبعضها قد ولد وبعضها لم يضع بعد؟

وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عبْشَمِيَّةٌ كأنْ لم تَرَى قَبْلِي أسِيراً يَمَانِيا

تضحك مني عجوز من أولئك القوم، عبد شمس، كأنها لم تر قبلي أسيراً يمانياً، ـ قيل بل ضحكت لأن الذي أسر الشاعر رجل أحمق ضعيف ـ

وظَلَّ نِسَاءُ الحَيِّ حَوْلِيَ رُكَّداً يُرَاوِدْنَ مِنِّي ما تُرِيدُ نِسَائِيا

نساء القوم يجلسن حولي، ويطلبن مني ما تطلبه نسائي

وقد عَلِمَتْ عِرسي مُلَيْكَةُ أنَّنِي أنا اللَّيْثُ مَعْدُوّاً عَلَيَّ وعَادِيَا

وزوجتي مليكة تعلم أنني أسَد في الحرب عندما أهاجَم وعندما أهاجِم

وقد كنتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ الـ ـمَطِيِّ، وأَمْضي حيثُ لا حَيَّ مَاضِيَا

كنت أذبح الجزور، الجمل، وأركب الإبل وأسافر إلى أماكن لم يقصدها أحد قط.. كنت سخياً مغامراً

وأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الكرامِ مَطِيَّتي وأَصْدَعُ بينَ القَيْنَتَيْنِ رِدَائِيا

أذبح للشرب، لشاربي الخمر، بعيري، وأشق بين القينتين المغنيتين ردائي من الطرب

وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَهَا القَنا لَبِيقاً بِتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا

وكنت إذا شمَّصَتِ القنا الخيل، نفَّرت الرماح الخيل، لبيقاً، ماهر البنان بالطعن بالرمح

وعَادِيَةٍ سَوْمَ الجَرادِ وَزَعْتُها بِكَفِّي وقد أَنْحَوْا إِلَيَّ العَوالِيا

وربَّ خيل مغيرة كثيرة مثل الجراد وزعتها، رددتها، برمح أحمله بكفي، وقد أمال المهاجمون نحوي العوالي، أي الرماح

كأنِّيَ لم أرْكَبْ جَواداً ولم أَقُلْ لِخَيْلِيَ كُرِّي نَفِّسي عن رِجَالِيَا

وأنا الآن أسير فكأنني لم أركب حصاناً ولم أقل لصحبي وهم على خيولهم اهجموا ونفسوا عن الرجال، أبعِدوا الأعداء المحدقين برجالنا

ولم أَسْبَأِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أَقُلْ لِأَيْسَارِ صِدْقٍ أَعْظِمُوا ضَوْءَ نَارِيَا

وكأنني لم أسبأ لم أشترِ، الزق الروي، قربة الخمر الممتلئة، ولم أقل لأيسار صدق، المقامرين على لحم ناقة، أججوا النار كي نشوي اللحم للفقراء

١١ أنا على ابن عمي

ذو الإصبع العَدواني:

يَا مَنْ لِقلبٍ شديدِ الهَمِّ محزونِ   أمسى تَذَكَّرَ رَيَّا أُمَّ هَارونِ

يا من يعين قلب الحزين الذي تذكر ريَّا

أمسَى تَذَكَّرَها مِنْ بعدِما شَحَطَتْ   والدهرُ ذو غِلْظَةٍ حِيناً وذُو لِينِ

شحطت: نأت وابتعدت

تَرْمِي الوُشَاةَ فَلا تُخْطِي مَقاتِلَهُمْ   بِصَادِقٍ مِنْ صَفاءِ الوُدِّ مَكْنُونِ

ريَّا تصد الوشاة صداً وتصيب منهم المقتل بقطع وشاياتهم بمحبتها الصافية وودها العميق لي

ولِي ابْنُ عَمٍّ على ما كان مِنْ خُلُقٍ   مُختَلِفَانِ، فَأَقْلِيهِ ويَقْلِينِي

ابن عمي له طباع تختلف عن طباعي، فأكرهه ويكرهني

أَزْرَى بِنا أَنَّنا شَالَتْ نَعامَتُنا   فَخَالَنِي دونَه بل خِلْتُهُ دُونِي

أزرى بنا، أضر بحالنا، أننا شالت نعامتنا، أي تفرقْنا،
فكل واحد منا ظن أن الآخر أدنى منه مرتبة

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ، لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ   عنِّي، ولا أنتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

لله ابن عمك هذا! لا أنت خير في الحسب والشرف، ولا أنت دياني، مالك أمري، حتى تخزوني، أي تؤنبني وتردني إلى الصواب إذا أسأتُ

فإنْ تُرِدْ عَرَضَ الدنيا بِمَنْقَصَتِي   فإنَّ ذلكَ مِمَّا ليس يُشْجِينِي

إن سعيت لنيل السمعة بين الناس بأن تنتقص مني فهذا ليس يهمني

لولا أَوَاصِرُ قُرْبى لَسْتَ تَحْفَظُها   ورَهْبَةُ اللَّهِ فِيمَنْ لا يُعَادِينِي..

لولا علاقات القرابة، التي لا تحفظها أنت، ولولا خوفي من الله في رجل يكرهني ولكن كرهه لا يصل حد العداء..

إذَنْ بَرَيْتُكَ بَرْياً لا انْجِبَارَ له   إنِّي رأيتُكَ لا تَنْفَكُّ تَبْرِينِي

لولا ذلك لبريتك برياً، أنحلت جسمك بما أنزله بك من العقاب، ولن يكون لهذا انجبار، أي علاج والتئام

إن الذي يَقْبِضُ الدنيا ويَبْسُطُها   إنْ كان أغناكَ عَنِّي سوفَ يُغْنِينِي

الله يغنيني عنك مثلما أغناك عني

مـاذا عَـلَـيَّ وإن كُـنْـتُـمْ ذَوِي   لَأَ أُحِـبَّـكُـمُ إذْ لـم تُـحِـبُّـونـي

لو تَشرَبونَ دَمي لم يَرْوَ شَارِبُكُمْ   ولا دِمَـاؤُكُـمُ جَـمْـعاً تُـرَوِّيـنِـي

يا عَمْرُو إلَّا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي   أَضْرِبْكَ حتى تَقولَ الهامَةُ اسْقُوني

إن لم تدع شتمي وانتقاصي فسوف اضربك حتى الموت.. وحتى تخرج من قبرك الهامة، وهي ذلك الكائن الخرافي الذي يخرج من قبر القتيل ويصيح «اسقوني» طالباً الثأر

لا يُخْرِجَ القَسْرُ مِنِّي غيرَ مَأْبِيةٍ   ولا أَلِـينُ لِمَنْ لا يَبْتغي لِيـنِي

القسر، أي الإرغام، لا نتيجة له معي سوى الإباء والرفض، ولا يلين جانبي لمن يخاشنني ولا يبذل جهده لمسايرتي

كلُّ امْرِئٍ صَائِرٌ يوماً لِشيِمَتِهِ   وإن تَـخَـلَّـقَ أخلاقاً إلى حيـنِ

الشيمة: الطبع

واللَّهِ لو كَرِهَتْ كَفِّي مُصَاحَبَتي   لَقُلْتُ إذ كَرِهَتْ قُرْبي لَها بِيني

بيني: فارقي

١٢ لائكات الشكيم

ربيعة بن مقروم:

وثَـغْـرٍ مَـخُـوفٍ أَقَـمْـنـا بِـهِ   يَـهَـابُ بِـهِ غَـيـرُنـا أن يُـقـيِـمـا

رب ثغر حدودي خطر رابطنا به، ويخاف غيرنا ذلك

جَـعـلْـنـا الـسـيـوفَ بِـهِ والـرِّمَـاحَ   مَـعَـاقِـلَـنـا والـحَـديـدَ الـنَّـظِـيـمـا

معاقلنا، أي حصوننا، هي السيوف والرماح والحديد النظيم، أي الدروع المنظومة والمنسوجة من حلقات الحديد

وجُـرْداً يُـقَـرَّبْـنَ دونَ الـعِـيَـالِ   خِلالَ البيوتِ يَلُكْنَ الشَّكِيما

والجرد، الخيل القصيرة الشعر، التي نربطها قريباً منا، أقرب من عيالنا، حتى نكون على أهبة الاستعداد، وهي تقف بين بيوتنا تلوك الشكيم، تمضغ الحديدة التي في فم الفرس

١٣ الحكمة بين الشيب والصلع

سُوَيْدُ بنُ أبي كَاهِلِ اليَشْكُرِيّ، جاهلي إسلامي معمَّر:

بَـسَـطَـتْ «رَابِـعَـةُ» الـحَـبـلَ لـنـا   فـوَصَـلْـنـا الحبلَ منها ما اتَّسَعْ

مدت لنا رابعة حبل وصلها، فبادلناها وصلاً بوصل

حُـرَّةٌ تَـجْـلُـو شَـتـيِـتَـاً واضِـحـاً كَشُعَاعِ الشمسِ في الغَيْمِ سَطَعْ

امرأة حرة تجلو، أي تُبرز، أسناناً شتيتة متفرقة واضحة، أي بيضاء، وأسنانها تبرق كشعاع الشمس وسط الغيوم

صَـقَـلَـتْـهُ بِـقَـضِـيـبٍ نَـاضِـرٍ مِـنْ أَرَاكٍ طَـيِّـبٍ حـتـى نَـصَـعْ

صقلت أسنانها بعود سواك أخضر ناضر من شجر الأراك الطيب حتى نصعت أسنانها

رُبَّ مَـنْ أنْـضَـجْـتُ غَـيْـظاً قَـلْـبَـهُ قـد تَـمَـنَّـى لِـيَ مَـوْتـاً لـم يُـطَـعْ

رب شخص جعلت قلبه ينضج من حر الغيظ، وتمنى لي موتاً، ولكن أمنيته لم يُستَجَبْ لها

ويَـرانـي كـالـشَّـجَـا فـي حَـلْـقِـهِ عَـسِـراً مَـخْـرَجُـهُ مـا يُـنْـتَـزَعْ

يراني كالشوكة في حلقه، انتزاعها وخروجها صعب

مُـزْبِـدٌ يَـخْـطِـرُ مَـا لـم يَـرَنـي فـإذا أَسْـمَـعْـتُـهُ صَـوتـيِ انْـقَـمَـعْ

مزبد، يخرج الزبد من فمه كالبعير المتهيج، في غيبتي، فإذا سمع صوتي انقمع، وارتدع

بِـئْـسَـمَـا يَـجْـمَـعُ أنْ يَـغْـتَـابَـنـي مَـطْـعَـمٌ وَخْـمٌ وداءٌ يُـدَّرَعْ

بئس الذي يجمعه في قلبه إذ يغتابني، فهو يجمع الطعام الفاسد، والداء الذي يدرعه، يلبسه

ويُـحَـيِّـيـنـي إذا لاقَـيْـتُـهُ وإذا يَـخْـلُـو لـهُ لَـحْـمـي رَتَـعْ

يحييني خوفاً مني، وإذا غبت عنه رتع في لحمي، أي اغتابني

كـيـف يَـرْجُـونَ سِـقَـاطـي بَـعـدَمـا لاحَ فـي الـرأسِ بَـيـاضٌ وصَـلَـعْ

كيف يترقب الناس سقاطي، وقوعي في الخطأ، وقد لاح في رأسي بياض الشيب، والصلع

١٤ رماح نصارى.. ولكن

جابر بن حُنَيٍّ التغلبي:

وفـي كـلِّ أَسْـواقِ الـعِـراقِ إِتَـاوَةٌ وفي كلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ

في كل أسواق العراق إتاوة، أي ضريبة، وفي كل عملية بيع هناك مكس درهم،
والمكس: الضريبة المفروضة على المبيعات

نُعَاطِي المُلُوكَ السِّلْمَ ما قَصَدُوا بِنا ولـيـس عـلـيْـنـا قَـتْـلُـهُـمْ بِـمُـحَـرَّمِ

نأخذ ونعطي مع الملوك بالحسنى ما داموا يقصدون، يعدلون، بنا..
وإلا فليس محرماً علينا قتلهم

وقد زَعَمَتْ بَهْراءُ أنَّ رِمَاحَنا رِمَاحُ نَصَارَى لا تَخُوضُ إلى الدَّمِ..

زعمت قبيلة بهراء أن رماحنا رماح نصارى، إذن فهي مسالمة، ولا تخوض في الدم (والشاعر تغلبي وتغلب قبيلة نصرانية بقي كثير من أبنائها على دينهم في العصر الأموي، وشاعرنا جاهلي)

فيَومَ الكُلابِ قد أَزالَتْ رِماحُنا شُرَحْبِيلَ إذْ آلَى أَلِيَّةَ مُقْسِمِ..

يوم الكلاب، وقعة الكلاب المشهورة في الجاهلية، قتلت رماحنا شرحبيل الذي آلى ألية، أي أقسم قسماً..

لَيَنْتَزِعَنْ أَرْمَاحَنَا، فَأَزَالَهُ أبو حَنَشٍ عن ظهرِ شَقَّاءَ صِلْدِمِ

أقسم أن ينتزع رماحنا، فأزاله أبو حنش عن ظهر الفرس الشقاء، الطويلة، الصلدم، الصلبة

يَرى الناسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِخٍ وفَرْوَةَ ضِرغَامٍ مِنَ الأُسْدِ ضَيْغَمِ

يرى الناس إذ نبدو لهم جلد أسود، والأسود هو الثعبان، سالخ، الذي يبدل جلده، ويرون فروة ضرغام، لبدة أسد ضيغم، أي مفترس

١٥ لقاء مسعود

ربيعة بن مقروم:

لَمَّا تَشَكَّتْ إِلَيَّ الأَيْنَ قلتُ لها لا تَستَرِيحِينَ ما لم أَلْقَ مَسْعُودا

عندما اشتكت ناقتي إليَّ الأين، أي التعب، قلت لها لا راحة إلا بعد أن أصِلَ إلى مسعود

وقد سَمِعْتُ بِقومٍ يُحْمَدُونَ فلم أَسْمَعْ بِمِثْلِكَ لا حِلْماً ولا جُودَا

سمعت بقوم لهم صيت حسن ويحمدهم الناس، ولم أسمع بمثل حلمك، سعة صدرك، ولا سخائك

هذا ثَنائي بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ لا زِلْتَ عَوْضُ قَريرَ العينِ مَحْسُودا

هذا مدحي إياك مقابل ما أعطيت من معروف، وأدعو لك أن تظل عوض، دوماً، قرير العين، مسروراً، ومحسوداً من قبل الأعداء

١٦ المصير المحتوم

الأَسْوَد بن يَعفَر النَّهْشَلي:

أينَ الذينَ بَنَوْا فَطالَ بِناؤُهُمْ وتَمَتَّعُوا بالأهلِ والأولادِ

فإذا النعيمُ، وكلُّ ما يُلْهَى بِهِ يوماً يَصيرُ إلى بِلَىً ونَفَادِ

البلى: اهتراء الجسم بعد الموت، النفاد: الانتهاء

١٧ المنعَّمات

المرقِّش الأكبر، من شعراء ربيعة، وهو جاهلي قديم:

سَرى لـيـلاً خيـالٌ مِنْ سُلَيْمَـى   فـأرَّقَـنـي وأصْـحَـابـي هُـجُـودُ

سرى، أي زار ليلاً، خيال المحبوبة سليمى، فصحوت وأصابني أرق بينما أصحابي هجود، نيام

فَـبِـتُّ أُديـرُ أمـريَ كـلَّ حَـالٍ   وأرْقُـبُ أهـلَـهـا وهُـمُ بَـعـيـدُ

بت، قضيت ليلي، أقلب أمري على وجوهه، وأرقب، أحسب حساب، أهلها وهم بعيدون عني

يَـرُحْـنَ مَـعـاً بِطَاءَ الـمَـشْـيِ بُدَّاً   عـلـيْـهِـنَّ الـمَـجَـاسِـدُ والـبُـرُودُ

يصف أولئك النسوة، فهن يمشين معاً مشياً بطيئاً، فهن بنات نعمة وترف ولا يسرعن في عمل، وهن بدٌّ، أي بدينات الأسافل، ويرتدين المجاسد، الثياب المصبوغة، والبرود، أي الثياب

سَـكَـنَّ بِـبَـلْـدَةٍ وسَـكَـنْـتُ أخـرى   وقُـطِّـعَـتِ الـمَـواثِـقُ والـعُـهـودُ

تفرقت مساكننا ولم تبق عهود بين قومي وقومهن

فَـمـا بَـالـي أفـي ويُـخَـانُ عَـهْـدي   ومَـا بَـالـي أُصَـادُ ولا أصـيـدُ

عندي الوفاء وألاقي خيانة لعهدي

ورُبَّ أَسـيـلَـةِ الـخَـدَّيْـنِ بِـكْـرٍ   مُـنَـعَّـمَـةٍ لـهـا فَـرْعٌ وجـيـدُ

رب فتاة أسيلة الخدين، طويل خداها، لها فرع، شعر طويل، وعنق جميل

لَـهَـوْتُ بِـهـا زمـانـاً مِـنْ شَـبـابـي   وزَارَتْـهـا الـنَّـجـائِـبُ والـقَـصِـيـدُ

كانت لي صاحبة ولهونا معاً وزرتها بالنجائب، النياق، وبقصائد الغزل

أُنـاسٌ كُـلَّـمَـا أخْـلَـقْـتُ وَصْـلاً   عَـنـانِـيَ مِـنْـهُـمُ وَصْـلٌ جَـديـدُ

هؤلاء يتجدد شوقي لهن، فكلما أخلقت وصلاً، أي انقطعت العلاقة، صار يعنيني منهن وصل جديد

١٨ أسرعها وأكثرها

المرقِّش الأكبر:

هَـلَّا سَـألـتِ بِـنـا فَـوارسَ وائـلٍ   فَـلَـنَـحْـنُ أسـرعُـهـا إلـى أعـدائِـهـا

أيتها المحبوبة اسألي عنا فرسان قبيلتنا الكبرى «وائل». فنحن أسرعهم إلى مواجهة الأعداء

وَلَنَحْنُ أكثرُها إذا عُدَّ الحَصَى   ولَنا فَواضلُها ومجدُ لِوائِها

وعشيرتنا، ضمن القبيلة الكبرى، هي الأكثر عدداً، وكثيراً ما عبَّروا بالحصى عن العدد الكثير، ولنا الفضل والمجد الحربي

١٩ يا قصير العمر!

قال المرقِّش الأكبر، والقصيدة من السريع، وزاحَفَ ما شاء:

هلْ بِالدِّيَارِ أنْ تُجِيبَ صَمَمْ   لو كان رَسْمٌ نَاطِقاً كَلَّمْ

هل بالديار صمم فلذا هي لا تجيب عن سؤالنا إذ نسألها أين ذهب قوم المحبوبة؟ فعلاً بها صمم، فلو كان أي رسم، أي طلل، ناطقاً لكلَّمنا هذا الطلل

الدارُ قَفْرٌ، والرُّسُومُ كما   رَقَّشَ في ظهرِ الأديمِ قَلَمْ

دار الأحبة التي نقف بها الآن قفر، خالية، ورسومها، أي بقاياها، تشبه ما يرقشه، ينقشه، القلم على الأديم، الجلد. بهذا البيت لقبوه بالمرقِّش

ديارُ أَسماءَ التي تَبَلَتْ   قَلبي، فَعيْني مَاؤُها يَسْجُمْ

هذه ديار أسماء التي تبلت قلبي، أخضعته، فدمع عيني يسجُم، أي يسيل

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجُوهُ دَنَا   نِيرُ وأَطْرافُ البَنَانِ عَنَمْ

يصف محبوبته وصويحباتها: النشر، أي الرائحة، رائحة مسك، والوجوه مشرقة مدورة كالدنانير الذهبية، وأطراف الأصابع كالعنم، ثمر كالعُنَّاب، فإن لم تعرف العناب فهو ثمر كالعنم، وكلاهما ثمرته تشبه رؤوس الأصابع المحنَّاة بالحمرة

ليس على طُولِ الحَياةِ نَدَمْ   ومِنْ وَراءِ المَرءِ مَا يَعْلَمْ

الشطر الأول فيه معنى معكوس: لا ندم على عدم تمتعك بطول الحياة، والشطر الثاني كذلك: وراء المرء، يقصد أمامه، ما يعلمه من الهرم والضعف في الشيخوخة لو طال عمره. في يومنا هذا يقول أهل العراق «ورا ما قلت لي» بمعنى «بعد أن قلت لي»

يَهْلِكُ والدٌ ويَخْلُفُ مَوْ   لُودٌ، وكلُّ ذي أَبٍ يَيْتَمْ

في الشيخوخة يموت الأب ويخلفه ولده، وكل ولد يصاب باليُتم في أبيه

أَموالُنا نَقي النُّفُوسَ بِها   مِنْ كلِّ ما يُدْنَى إليْهِ الذَّمّ

ببذل الأموال نحمي نفوسنا من كل ما يجلب الذم

٢٠ الاهتزاز

متمِّم بن نُوَيْرة اليَربوعي، يرثي أخاه مالكاً الذي قتل في حروب الردة:

لَعَمْرِي، ومَا دَهري بِتَأْبينِ هَالِكٍ   ولا جَزَعٍ مِمَّا أَصابَ فَأَوْجَعَا..

لعمري ـ وأنا لست ممن ينفق عمره في تأبين ميت، أو في معاناة الجزع من مصيبة أوجعتني..

لقد كَفَّنَ المِنْهَالُ تحتَ رِدائِهِ   فتىً غيرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

لعمري، لقد كفن المنهال، ذلك الرجل الذي وجد أخي قتيلاً فألقى عليه ثوبه، فتىً لم يكن يملأ بطنه في الليل بل يجود بالطعام على حساب نفسه، وكان أروع، أي شجاعاً

تَرَاهُ كَصَدْرِ السيفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى   إذا لم تَجِدْ عند امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعا

كان أخي يهتز للسخاء كما يهتز صدر السيف، في حين لا يلقى الضيف طعاماً عند الرجل السيء.. شرح الاهتزاز للندى: تجد الرجل البخيل إذا طلبت منه شيئاً يقعد مكانه جامداً، يفكر في تبرير لرفض طلبك. فأما الكريم السخي فإنك إذا طلبت منه أمراً رأيت لجسمه حركة فورية، إنه يفرح لأنك طلبت منه، ويهتز لطلبك.. تراه يحرك ذراعيه.. ويسرع في تلبية طلبك

وإنْ شَهِدَ الأَيْسَارَ لم يُلْفَ مَالِكٌ   على الفَرْثِ يَحْمِي اللَّحْمَ أن يَتَمَزَّعَا

وإن شهد مالك الأيسار، المقامرة على لحم ناقة، لم يلف، لم يُرَ، واقفاً يرقب الفرث، حشو الكرش، فهو لا يقف ولا يشهد ذلك المنظر المقزز، بغرض الحيلولة دون تمزيق اللحم وتفريقه في الفقراء

أَبَى الصبرَ آياتٌ أَرَاها، وأَنَّنِي   أَرَى كلَّ حَبْلٍ بعد حبلِكَ أَقْطَعَا

منع الصبر عني آيات أراها، معالم من مآثر أخي، ومنع الصبر أنني أرى كل الأواصر والروابط بعد موتك روابط مقطعة قصيرة لا تغني

وأَنِّي متى ما أَدْعُ بِاسْمِكَ لا تُجِبْ   وكنتَ جَديراً أن تُجِيبَ وتَسْمَعا

ومنع الصبر أنني عندما أناديك لا تجيبني، وكنت تسمع فتجيب دائماً

فَلَمَّا تَفَرَّقْنا كَأَنِّي ومَالِكاً   لِطُولِ اجتِماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

لما فرق بيننا الموت انتهى كل شيء، فكأننا لطول اجتماع، أي «بعد» طول صحبة، لم نبت ليلة واحدة معاً

وكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً   مِنَ الدهرِ حتى قيلَ لن يَتَصَدَّعا

كنا كندماني جذيمة، كنديميْ الأمير جذيمة الأبرش اللذين نادماه طويلاً معاً ثم قتلهما معاً، كنا متلازمين حتى لقد وقع في وهمنا أن الدهر لن يتقطع بنا

فإن تَكُنِ الأيامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنا   فقد بَانَ مَحْمُوداً أخي حينَ وَدَّعَا

لئن فرقت بيننا الأيام فعزائي أن أخي بان، نأى، وهو محمود السيرة

فلو أنَّ ما أُلْقَى يُصيبُ «مُتالِعاً» أو الرُّكْنَ مِنْ «سَلْمَى» إذَنْ لَتَضَعْضَعَا

لو أن ما ألاقيه من حزن يصيب جبل «متالع»، أو جانب جبل «سلمى» لتضعضع الجبل

٢١ حديث الناقة

المثقِّب العَبدي:

أَفَاطِمُ قبلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِي ومَنْعُكِ ما سَأَلْتُ كأَنْ تَبِينِي

متعيني بوصلك قبل مفارقتك إياي، ومنعك الوصل وأنت موجودة شبيه بالفراق

فَلا تَعِدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِها رِياحُ الصَّيْفِ دُونِي

لا تعديني وعوداً كاذبة كأنها رياح الصيف التي تهب ولا تحمل مطراً

فَإِنِّي لو تُخَالِفُنِي شِمَالِي خِلافَكِ مَا وَصَلْتُ بِها يَمِينِي

لو خالفتني شمالي مثلما تخالفينني أنت لما أبقيت عليها

إذَنْ لَقَطَعْتُها ولَقُلْتُ بِينِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي

لقطعتها، وقلت لها فارقيني، فأنا أجتوي من يجتويني، أكره من يكرهني

ظَهَرْنَ بِكِلَّةٍ وسَدَلْنَ أُخرى وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ لِلعُيونِ

يصف النساء: فقد ظهرن وراء كلة، أي ستر رقيق، وأنزلن على وجوههن ستراً آخر هو الوصاوص، أي البراقع، لكنهن ثقبن البراقع فبدت عيونهن. وقيل بهذا البيت لقب بالمثقِّب

أَرَيْنَ مَحاسِناً وكَنَنَّ أُخرى مِنَ الأَجْيادِ والبَشَرِ المَصُونِ

أبدين بعض مفاتنهن، وكنن مفاتن أخرى، أخفينها، مثل الأجياد، الأعناق، والبشر المصون، البشرة المستورة عن العيون

ومِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ على تَرِيبٍ كَلَوْنِ العَاجِ ليسَ بِذي غُضُونِ

وأخفين نحوراً لامعة كالذهب، والتريب هو الترائب أي أعلى الصدر، ولون نحورهن كلون العاج، والجلد ليست به غضون، تجاعيد

فَسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُذَافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ القُيُونِ

أبعد عنك الهم بناقة ذات لوث، قوية، عذافرة، متينة، كأنها في القوة مطرقة القيون، الحدَّادين

تَقُولُ إذا دَرَأْتُ لَها وَضِينِي أَهذَا دِينُهُ أَبَداً ودِينِي؟

تقول الناقة إذا درأت لها الوضين، شددت الحزام رابطاً الرحل عليها، تقول: أهذا دأبه ودأبي معه؟

أَكُــلَّ الــدهــرِ حِــلٌّ وارْتِــحَــالٌ   أَمَـا يُـبْـقِـي عَـلَـيَّ ومـا يَـقِـيـنـي؟

تقول الناقة: أأقضي العمر في حل ثم ارتحال؟ ألا يبقي على قوتي ولا يحميني من الهزال والتعب؟

فَـرُحْـتُ بِـهـا تُـعَـارِضُ مُـسْـبَـطِـرّاً   عـلـى صَـحْـصَـاحِـهِ وعـلـى الـمُـتُـونِ

رحت بالناقة، سافرت ليلاً، تقطع الطريق المسبطر، الممتد، وتسير على صحصاحه، سهله، وعلى المتون، على الوعر

إلـى عَـمْـرٍو، ومِـنْ عَـمْـرٍو أَتَـتْـنـي   أخـي الـنَّـجَـدَاتِ والـحِـلْـمِ الـرَّصِـيـنِ

قاصداً عمْرو بن هند الملك، ولعله تلقى دعوة أتته من عمرو! فالملك صاحب النجدة، النخوة، والحلم والوقار

فـإِمَّـا أنْ تـكـونَ أخـي بِـحَـقٍّ   فَـأَعْـرِفَ منـكَ غَـثِّـي مِـنْ سَـمِـيـنـي

إما أن تكون أخي فأعرف ما سأنال منك بوضوح

وإلَّا فَـاطَّـرِحْـنـي واتَّـخِـذْنـي   عَـدُوّاً أَتَّـقِـيـكَ وتَـتَّـقِـيـنـي

وإلا فاتركني، ولتكن بيننا عداوة صريحة، وليتجنب أحدنا الآخر

ومـا أدري إذا يَـمَّـمْـتُ أَمْـراً   أُريـدُ الـخـيـرَ، أَيُّـهُـمـا يَـلِـيـنـي:

إذا قصدت أمراً أريد الخير من ورائه لا أعلم ما الذي سيليني، سيصيبني:

أَأَلْـخَـيْـرُ الـذي أنـا أَبْـتَـغِـيـهِ   أمِ الـشَّـرُّ الـذي هُـوَ يَـبْـتَـغِـيـنـي؟

أيصيبني الخير الذي أطلبه، أم الشر الذي يطلبني؟

٢٢ نعم ولا

المثقِّب العَبدي:

لا تَـقُـولَـنَّ إذا مَـا لـم تُـرِدْ   أنْ تُـتِـمَّ الـوَعْـدَ فـي شَـيءٍ «نَـعَـمْ»

لا تقل «نعم» إن كنت غير ناوٍ على الوفاء بالوعد

حَـسَـنٌ قـولُ «نَـعَـمْ» مِـنْ بـعـدِ «لا»   وقَـبِـيـحٌ قـولُ لا بـعـدَ نَـعَـمْ

فكلمة نعم طيبة الوقْع بعد لا، والعكس غير صحيح

إنَّ لا بـعـدَ نَـعَـمْ فَـاحِـشَـةٌ   فَـبِـلا فَـابْـدَأْ إذا خِـفْـتَ الـنَّـدَمْ

فـإذا قُـلْـتَ نَـعَـمْ فـاصْـبِـرْ لَـهـا   بِـنَـجـاحِ الـقـولِ، إنَّ الـخُـلْـفَ ذَمّ

إن قلت نعم فاصبر لها بأن تثابر على نجاح القول، والنجاح هو التحقيق، وخلف الوعد يأتيك بالذم

أُكْــرِمُ الــجَــارَ وأَرْعَــى حَــقَّـــهُ ‏ ‏ ‏ إنَّ عِـرفَـانَ الـفَـتَـى الـحَـقَّ كَـرَمْ

أَنَـا بَـيْـتـي مِـنْ مَـعَـدٍّ فـي الـذُّرَى ‏ ‏ ‏ ولِـيَ الـهَـامَـةُ والـفَـرْعُ الأَشَـمّ

عشيرتي في قمم قبيلة معد الكبرى، ولي الهامة، الرأس، والفرع العالي، والفرع هو الرأس. وأصل «الفرع» الشعر

لا تَـرانـي رَاتِـعـاً فـي مَـجْـلِـسٍ ‏ ‏ ‏ في لُحُومِ الناسِ كَالسَّبْعِ الضَّرِمْ

لا أرتع في لحوم الناس، لا أستغيب الناس في المجالس، كأنني السبع الضرم، النهم

إنَّ شَـرَّ الـنـاسِ مَـنْ يَـكْـشِـرُ لِـي ‏ ‏ ‏ حيـنَ يَـلـقَـانـي وإنْ غَـبِـتُ شَـتَـمْ

شر الناس من يكشر لي، يظهر أسنانه مبتسماً، في حضوري، فإن غبت عنه شتمني

وكـــلامٍ سَـــيِّءٍ قـــد وُقِـــرَتْ ‏ ‏ ‏ أُذُنـي عـنـهُ ومَـا بـي مِـنْ صَـمَـمْ

رب كلام سيء قد وقرت، سُدَّت، أذني دونه مع أنني لست بأصمّ

ولَـبَـعْـضُ الـصَّـفْـحِ والإِعْـراضِ عـن ‏ ‏ ‏ ذي الـخَـنَـا أَبْـقَـى، وإنْ كـان ظَـلَـمْ

بعض الصفح والإعراض عن ذي الخنا، صاحب الفحش والإساءة، أبقى للعلاقات حتى لو كان ظالماً وغير محق في شتمه. إن رأيت كثيراً من شعر الجاهليين يعالج أوضاعاً اجتماعية شبيهة بما كان يكون في البصرة والكوفة في العصر الأموي وأوائل العباسي، وإن صادفتك أبيات كهذه فيها حذلقة في تناول كلمتي «نعم» و«لا» فاعلم أن كثيراً من الشعر الذي يوصف بالجاهلي موضوع في عصور لاحقة. قد يجدون للمثقب العبدي ـ وهو جاهلي وصف بأنه أقدم من النابغة ـ بضعة أبيات فيلحقون بها أضعافها لكي تكتمل لهم «قصيدة» ينشدونها في المربد، وفي مجالس الأمراء

٢٣ إما ود وإما انتقاد

يزيد بن الخَذَّاق الشَّنِّي:

لـن تَـجْـمَـعُـوا وُدِّي ومَـعْـتَـبَـتـي ‏ ‏ ‏ أو يُـجْـمَـعَ الـسَّـيْـفَـانِ فـي غِـمْـدِ

مثلما لا يجتمع السيفان في غمد، أي قراب أو بيت، واحد فكذلك لا يجتمع ودي لكم وانتقادكم لي

نُــعْــمَــانُ إِنَّــكَ خــائــنٌ خَــدِعٌ ‏ ‏ ‏ يُـخـفـي ضـمـيـرُكَ غيـرَ مـا تُـبْـدي

أيها النعمان بن المنذر، أنت خائن لوعودك ومخادع، ويخفي قلبك غير ما تبدي، شأن كل الساسة!

فـإذا بَـدَا لَـكَ نَـحْـتُ أَثْـلَـتِـنـا ‏ ‏ ‏ فَـعَـلَـيْـكَـهَـا إن كـنـتَ ذَا حَـرْدِ

إن بدا لك نحت أثلتنا ـ انتقاصنا والنيل منا، والأثلة نوع من الشجر ـ فلتفعل إن كنت ذا حرد، ذا قصدٍ إلى هذا الأمر

يَـــأْبَـــى لَـــنـــا أَنَّـــا ذَوُو أَنَـــفٍ   وأُصُـولُـنـا مِـنْ مَـحْـتِـدِ الـمَـجْـدِ

يأبى لنا القبولَ بانتقاصك أننا ذوو أَنَفٍ، شامخون، وأصولنا من محتد المجد، والمحتد الأصل

إنْ تَـغْـزُ بِـالـخَـرْقَـاءِ أُسْـرَتَـنـا   تَـلْـقَ الـكَـتـائِـبَ دُونَـنـا تَـرْدي

إذا غزوت بالخرقاء، لعلها كتيبة من كتائب النعمان، أسرتنا فستجد الكتائب تردي، تهرول، لحمايتنا

أَحَـسِـبْـتَـنَـا لَـحْـمـاً عـلـى وَضَـمٍ   أم خِلْتَنـا في البَـأْسِ لا نُـجْدي؟

أظننت أننا لحم على وضم، لحم على خشبة الجزار.. فاللحم على خشبة الجزار شيء ميت لا قدرة له بالمقارنة مع البعير الحي الذي يصول ويقاوم، أم ظننت أننا لا نجدي في البأس، لا قدرة لنا في الحرب؟

وهَـزَزْتَ سَـيْـفَـكَ كـي تُـحـارِبَـنـا   فـانـظـرْ بِـسَـيفِـكَ مَـنْ بِـهِ تُـرْدي

تردي: تقتل

٢٤ التجهيز

الممزَّق العبدي:

قد رَجَّلُوني ومَا رُجِّلْتُ مِنْ شَعَثٍ   وأَلْـبَـسُـونـي ثِـيـابـاً غـيـرَ أَخْـلَاقِ

يصف تجهيزه للدفن: قد رجلوا شعري أي سرحوه.. ليس لأنه كان أشعث، بل لأمر أخطر.. وألبسوني ثياباً غير أخلاق، غير بالية

وأَرسَلُوا فِتْيَةً مِنْ خيرِهِمْ حَسَباً   لِيُسْنِدُوا في ضريحِ التُّرْبِ أَطْباقي

وأرسلوا فتية كراماً ليسندوا أطباقي، مفاصلي، في القبر

هَـوِّنْ عـلـيْـكَ ولا تَـوْلَـعْ بِـإِشْـفَـاقِ   فَـإِنَّـمَـا مَـالُـنـا لِـلـوَارِثِ الـبَـاقـي

يهون الأمر على نفسه.. لا تولع بإشفاق، لا يلزمْك الخوف، فالموت حق والمال سيؤول للوارث

٢٥ إشباع الضباع

عبد المسيح بن عَسَلَة العبدي:

غَـدَوْنـا إِلـيْـهِـمْ والـسـيـوفُ عِـصِـيُّـنـا   بِـأَيْـمَـانِـنـا، نَـفْـلـي بِـهِـنَّ الـجَـمَـاجِـمَـا

ذهبنا إليهم حاملين السيوف بدل العصي، وبهذه السيوف نفلي، أي نضرب، الرؤوس

لَـعَـمْـرِي لَأَشْـبَـعْـنـا ضِـبَـاعَ عُـنَـيْـزَةٍ   إلى الحوْلِ منها والنُّسُورَ القَشَاعِمَا

والله لقد شبعت الضباع في موضع عنيزة إلى الحول، أي لسنة كاملة، وشبعت النسور القشاعم، الكبيرة، من لحم الأعداء

ومُسْتَلَبٍ مِنْ دِرْعِهِ وسِلاحِهِ تَرَكْنا عليهِ الذِّئْبَ يَنْهَسُ قَائِما

ورب محارِب قتلناه وسلبنا درعه وسلاحه، وتركناه والذئب قائم عليه ينهش لحمه نهشاً، والنهس أخت النهش (لا يشير المعجم الوسيط إلى تقارب الكلمتين، وما كان أحراه أن يقول ما قاله ابن دريد نقلاً عن الأصمعي، ووافقهما ابن فارس في المقاييس: النهس والنهش واحد)

٢٦ عَناجيج

قال عامر المُحارِبي:

وَيَومٍ يَوَدُّ المَرْءُ لو ماتَ قبلَهُ رَبَطْنا له جَأْشاً وإن كان مُعْظَما

رب يومٍ، أي وقعة، يود المرء لو مات قبله لهوله، وقد كنا رابطي الجأش متماسكين، رغم أنه كان يوماً معظماً، شديداً

ويومَ رُجَيْحٍ صَبَّحَتْ جَمْعَ طَيِّءٍ عَناجِيجُ يَحْمِلْنَ الوَشيجَ المُقَوَّما

وفي وقعة رجيح هاجمت جمعَ قبيلة طيء في الصباح عناجيجُ، أي خيل طويلة الأعناق، وفرسانها يحملون الوشيج المقوم، أي الرماح المثقفة المستقيمة

٢٧ الحق والحقيق

معاوية بن مالك، مُعَوِّد الحكماء:

نُعْطي العَشيرةَ حقَّها وحَقيقَها فيها، ونَغْفِرُ ذنبَها ونَسُودُ

نعطي عشيرتنا حقوقها، ونغفر الذنب للمذنب ونسود قومنا. ولم أجد لـ «فيها» موقعاً

وإذا تُحَمِّلُنا العشيرةُ ثِقْلَها قُمْنا بِهِ، وإذا تَعُودُ نَعُودُ

٢٨ أعوِّد مثلها الحكماء

قال معاوية بن مالك، معوِّد الحكماء، وبالبيت الثالث هنا لقب بهذا اللقب:

أَجَدَّ القلبُ مِنْ سَلْمَى اجْتِنَابَا وأَقْصَرَ بعدَما شابتْ وشَابا

جدد القلب شعوراً مختلفاً هو اجتناب سلمى، وأقصر، أي كفَّ، بعدما شاب صاحب القلب وشابت سلمى

حَمَلْتُ حَمَالَةَ القُرَشِيِّ عنهُمْ ولا ظُلْماً أَرَدْتُ ولا اخْتِلابا

حملت الحمالة، أي قمت بالدية، للقرشي، ولم أبغ ظلم الآخرين ولا اختلابهم، خداعهم

أُعَوِّدُ مِثْلَها الحُكَماءَ بَعْدِي إذا ما الحقُّ في الأَشْيَاعِ نَابَا

أصنع ذلك كي أعود الحكماء بعدي على أداء الحقوق بلا انتقاص إذا نابنا، أي حل بنا، مصاب يستدعي أداء الحقوق عن الأشياع، عن الحلفاء

وكـنـتُ إذا الـعَـظِـيـمَـةُ أَفْظَعَـتْـهُـمْ نَـهَـضْـتُ ولا أَدِبُّ لـهـا دِبَـابَـا

إذا دهمتهم عظيمة، أي مصيبة كبيرة، نهضت بها نهوضاً ولم أتلكأ كأنني أدب على الأرض وأحبو

إذا نَـزَلَ الـسَّـحـابُ بِـأَرضِ قـومٍ رَعَـيْـنـاهـا وإن كـانـوا غِـضَـابـا

نحن قوم أقوياء إذا نزل السحاب، أي المطر، بأرض قوم آخرين، رعينا ما أخرجه من عشب رغم أنوفهم

٢٩ فارس المزنوق

عامر بن الطُّفَيْل:

لـقـد عَـلِـمـتْ عُـلْـيـا هَـوَازِنَ أَنَّـنـي أنَا الفارسُ الحَامي حَقيقةَ جَعْفَرِ

قد علم هذا الفرع من هوازن أنني الفارس الذي يحمي حقيقة، أي شرف، قوم «جعفر بن كلاب»

وقـد عَـلِـمَ «الـمَـزْنُـوقُ» أَنِّـي أَكُـرُّهُ على جَمْعِهِمْ كَرَّ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

علم حصاني واسمه «المزنوق» أنني أهجم به على جمعهم مسرعاً مثل المنيح المشهر، السهم من سهام القمار وكانوا يرمونها رمياً

إذا ازْوَرَّ مِـنْ وَقْـعِ الـرِّمَـاحِ زَجَـرْتُـهُ وقلتُ لهُ: ارْجِعْ مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِرِ

إذا ازورَّ الحصان، أي انحرف، من وقع الرماح زجرته ونهرته حتى يتقدم ولا يدبر هارباً

أَلَـسْـتَ تَـرى أَرْمَـاحَـهُـمْ فِيَّ شُـرَّعـاً وأنتَ حِصَانٌ ماجِدُ العِرْقِ فاصْبِرِ

وقلت للحصان: ألا ترى رماحهم شُرَّعاً فيَّ، مسدَّدة إليَّ، فعليك أن تصبر، وأنت حصان أصيل

٣٠ الاتِّئاد

عبد قيس بن خُفاف:

أَجُـبَـيْـلُ إنَّ أبـاكَ كـارِبُ يـومِـه فإذا دُعِيتَ إلى العظائِمِ فاعْجَلِ

يخاطب ابنه جبيلاً: أبوك كاربُ يومه، مقترب من موته، فاعجل بتحصيل المجد

فـالـضَّـيْـفَ أَكْـرِمْـهُ فـإنَّ مَـبِـيـتَـهُ حـقٌّ، ولا تَـكُ لُـعْـنَـةً لـلـنُّـزَّلِ

فأكرم الضيف، ولا تكن مذموماً ملعوناً ممن ينزلون بك

واعـلـمْ بِأَنَّ الـضَّـيْـفَ مُخْبِرُ أَهلِهِ بِـمَـبِـيـتِ لَـيـلَـتِـهِ، وإن لـم يُـسْـأَلِ

سيخبر الضيف أهله بما لقي من حفاوة أو سواها حتى وإن لم يسألوه

واتْـرُكْ مَـحَـلَّ الـسَّـوْءِ لا تَـحْـلُـلْ بِـهِ وإذا نَـبـا بِـكَ مَـنـزِلٌ فَـتَـحَـوَّلِ

لا تتلبَّث في موقف شائن، وإذا نبا بك منزل، انزعجت من مكان أقمت به، فتحول عنه

وإذا هَمَمْتَ بِأَمْرِ شَرٍّ فاتَّئِدْ وإذا هَمَمْتَ بِأَمْرِ خيرٍ فافْعَلِ

إن هممت بشرٍّ فاتئد، تروَّ، وإذا هممت بخير فافعل فوراً

وإذا افْتَقَرْتَ فلا تكنْ مُتَخَشِّعاً تَرجُو الفَواضِلَ عندَ غيرِ المُفْضِلِ

لا تتذلل في حال فقرك راجياً المعروف ممن ليس أهلاً لبذل المعروف

واسْتَغْنِ ما أَغْناكَ رَبُّكَ بالغِنَى وإذا تُصِبْكَ خَصاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

إن كنت غنياً فتمتع بالغنى، وإذا أصابتك خصاصة، أي ضيق ذات اليد، فتجمل، أي اصبر وأَخْفِ فقرك عن الناس

واسْتَأْنِ حِلْمَكَ في أُمُورِكَ كلِّها وإذا عَزَمْتَ على الهوى فتوَكَّلِ

اطلب الأناة من حلمك، هدوء نفسك، في كل أمر، وإذا عزمت على الهوى، الأمر الذي تريده، فتوكل على الله (قال بعضهم إن الشاعر إسلامي)

وإذا تَشَاجَرَ في فؤادِكَ مَرَّةً أَمْرانِ فاعْمِدْ لِلأَعَفِّ الأَجْمَلِ

إذا اختصم في صدرك أمران فاختر ما يكسبك عفة وحسن ذكر

٣١ الزيال الطويل

عبد قيس بن خُفاف:

صَحَوْتُ وزَايَلَني بَاطِلي لَعَمْرُ أَبيكَ زِيَالاً طَويلا

صحوت من غفلة الشباب، وزايلني، أي فارقني، الباطل واللهو

وأَصْبَحْتُ لا نَزِقاً لِلِّحَاءِ ولا لِلُحُومِ صَديقي أَكُولا

أصبحت غير نزق، غير متسرع، للِّحاء، للجدال والخصومة، وغير آكل للحوم الأصدقاء، لا أغتابهم (البيتان من قطعة أطول.. جد بقيتها فيما اخترناه من الحماسة تحت رقم ٧٣)

٣٢ ضرباً على أم رأسه

أوس بن غلفاء الهُجَيمي التميمي، وهو جاهلي:

وإِنَّكَ مِنْ هِجاءِ بَني تميم كَمُزْدَادِ الغَرامِ إلى الغَرامِ

إذا هجوت بني تميم فأنت تزداد غراماً إلى غرام، أي شراً تغرمه بعد شر

هُمُ مَنُّوا عليكَ فلم تُثِبْهُمْ فَتِيلاً غيرَ شَتْمٍ أو خِصَامِ

لقد منوا عليك، أحسنوا إليك، فلم تكافئهم فتيلاً، بأقل القليل، اللهم إلا بالشتم والخصام

وهُـمْ تَـرَكُـوكَ أَسْلَـحَ مِنْ حُبَـارَى   رَأَتْ صَـقْـراً وأَشْـرَدَ مِـنْ نَـعَـامِ

وهم أخافوك بعد أن شتمتهم فصرت أسلح من حبارى، أكثر سلحاً، أي تغوُّطاً، من حبارى، من الطيور، وقد رأت صقراً فخافت، وصرت أكثر شروداً وفراراً من النعامة

وهُـمْ ضَـرَبُـوكَ ذَاتَ الـرأسِ حـتـى   بَـدَتْ أمُّ الـدِّمَـاغِ مِـنَ الـعِـظَـامِ

ضربوك على رأسك فبدت أم دماغك، أي غشاء المخ، من بين عظام جمجمتك

٣٣ امرأة وناقة

علقمة بن عَبَدَة، الفحل:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ   بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ

طحا بك، ذهب بك، قلبك الطروب، المحزون.. والطرب تعني الفرح وتعني أيضاً الحزن، بسبب الحسان، وذلك بعد انقضاء الشباب وحلول المشيب

يُكَلِّفُنـي لَـيـلَـى وقـد شَـطَّ وَلْـيُـهـا   وعَـادَتْ عَـوَادٍ بـيـنـنـا وخُـطـوبُ

قلبي يكلفني وصال ليلى وقد شط، أي ابتعد، وليها، أي قربها، وقامت بيني وبينها الشواغل والمشاكل

مُـنَـعَّـمَـةٌ مـا يُـسْـتَـطـاعُ كَـلامُـهـا   عـلـى بَـابِـهـا مِـنْ أن تُـزَارَ رقـيـبُ

فتاة ذات نعمة لا يمكن للمرء أن يكلمها لوجود الرقباء

إذا غابَ عنها البَعْلُ لم تُفْشِ سِرَّهُ   وتُرضي إِيابَ البَعْلِ حين يَؤُوبُ

وفية لزوجها فلا تفشي سره غائباً، وترضيه عندما يعود

فـلا تَـعْـدِلـي بَـيْـنـي وبـيـنَ مُـغَـمَّـرٍ   سَقَتْكِ رَوَايَا المُزْنِ حينَ تَصُوبُ

لا تقارني بيني وبين فتى مغمر، غشيم غير مجرب، ويدعو لها بأن تسقيها روايا المزن، السحب الماطرة، حين تصوب، أي تهطل بالمطر

فـإن تَـسْـأَلـونـي بِـالـنِّـسَـاءِ فـإِنَّـنـي   بَـصـيـرٌ بِـأَدْوَاءِ الـنِّـسَـاءِ طَـبـيـبُ:

أنا طبيب، أي خبير، بأدواء النساء، مشاكلهن:

إذا شـابَ رأسُ الـمَـرْءِ أو قَـلَّ مـالُـهُ   فـلـيـس لـه فـي وُدِّهِـنَّ نَـصـيـبُ

إيه يا علقمة تقول هذا وقد لقبوك بالفحل إذ مال إليك قلب أم جندب، فماذا نقول نحن!

يُـرِدْنَ ثَـراءَ الـمـالِ حـيـثُ عَـلِـمْـنَـهُ   وشَـرْخُ الـشـبـابِ عِـنـدهُـنَّ عـجـيـبُ

تحب النساء الغني، ويحببن الفتى في شرح الشباب، أي أوله

فَدَعْهَا وسَلِّ الهَمَّ عنها بِجَسْرَةٍ   كَهَمِّكَ، فيها بِالرِّدَافِ خَبيبُ

فدع المحبوبة وسل الهم، أي انس الهم، بجسرة، بناقة شديدة كهمك، بحسب ما تريدها أن تكون.. ناقة تخب خبيباً، تسير سريعاً حتى وأنت تركبها مع رديف خلفك

وعِيسٍ بَرَيْناها كأنَّ عُيونَها   قَواريرُ في أَدْهَانِهِنَّ نُضُوبُ

ورب عيسى، نياق، بريناها، أهزلنا جسمها لطول السير،
كأن عيونها قوارير في أدهانهن نضوب، غائرة عيون النياق فكأنها حقاق
فيها دهن لكن الدهن ناضب ومستقر في قعرها فقط

إلى الحارثِ الوهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقتِي   لِكَلْكَلِها والقُصْرَيَيْنِ وَجيبُ

سيَّرت ناقتي إلى الحارث وأنا أحس لكلكلها، لصدرها، ولقصرييها، لضلعيها الأخيرين، وجيب، أي خفقان

إليكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كان وَجِيفُها   بِمُشْتَبِهاتٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيبُ

إليك أيها الملك كان وجيف الناقة، سيرها، في صحارى مشتبهات، قاحلة يشبه بعضها بعضاً لخلوها من المعالم، ويخاف من هولها القلب

٣٤ لكل شيء ثمن

علقمة بن عَبَدَة:

والحمدُ لا يُشْتَرَى إلَّا له ثَمَنٌ   مِمَّا يَضِنُّ به الأقوامُ مَعْلُومُ

نيل الذكر الطيب له ثمن معلوم يضن، أي يبخل، به الناس

والجُودُ نَافِيَةٌ لِلمالِ مَهْلَكَةٌ   والبخلُ باقٍ لِأَهلِيهِ ومَذْمُومُ

الجود ينفي المال، يبدده، ويهلكه، والبخل يبقي المال على أهله ويُلحق بهم الذم

وكلُّ حِصْنٍ وإن طَالَتْ سَلامَتُهُ   على دَعَائِمِهِ لا بُدَّ مَهْدُومُ

٣٥ أجدع ناس

خِراشة العبسي:

فَلَا قَوْمَ إلَّا نحن خَيْرٌ سِياسَةً   وخيرٌ بَقِيَّاتٍ بَقِينَ وأَوَّلَا

لا قوم إلا ونحن خير منهم قياماً بالأمور، وخير منهم في حاضرنا الذي بقي لنا، وخير منهم أولاً، أي في «أولنا» أي أجدادنا

وأَطْوَلُ فـي دَارِ الـحِـفَـاظِ إِقَـامَـةً   وأَرْبَـطُ أَحْـلاماً إذا الـبَـقْـلُ أَجْـهَـلا

ونحن أطول الناس مكوثاً في مواقف الحفاظ، أي حماية الشرف، وأكثر الناس كبحاً للغضب إذا جعل البقل، أي العشب، الناس يجهلون، يتهورون.. وكانت العداوات تزداد إذا نبت العشب لنيل حقوق الرعي

وأَكْـثَـرُ مِـنَّـا سَـيِّـداً وابْـنَ سَـيِّـدٍ   وأَجْـدَرُ مِـنَّـا أن يَـقـولَ فَـيَـفْـعَـلا

ولا قوم أكثر منا في عدد السادة وأبناء السادة، وأجدر منا بإتْباع القول بالفعل

٣٦ أودى بَنِيَّ

أبو ذؤيب الهذلي، جاهلي إسلامي، فقد خمسة أبناء في طاعون بمصر:

أَمِنَ الـمَـنـونِ ورَيْـبِـهـا تَـتَـوَجَّـعُ؟   والـدهـرُ لـيس بِـمُـعْـتِـبٍ مَـنْ يَـجْـزَعُ

أتتوجع، أي أتبدي الجزع، من الموت ومصيبته؟ لكن الدهر لا يعتب، لا يرضي، من يجزع

قالتْ أُمَيْمَةُ: مَا لِـجِـسْـمِـكَ شَاحِباً   مـنـذ ابْـتُـذِلْـتَ، ومـثـلُ مَـالِـكَ يَـنْـفَـعُ

قالت أميمة ما لجسمك قد شحب وهزل؟ قد أهملت شأنك بعد موت بنيك، ولك في مالك ما ينفعك بعد إذ مات أولادك الذين ينصرونك

أم ما لِـجَـنْـبِـكَ لا يُـلائِـمُ مَـضْـجَـعـاً   إِلَّا أَقَـضَّ عـلـيـكَ ذاكَ الـمَـضْـجَـعُ

وما لجنبك لا يستقر على فراش إلا أَقَضَّ الفراشُ عليك، أي امتلأ بالقضيض أي الحصى

فـأَجَـبْـتُـهـا: أَمَّـا لِـجِـسْـمِـيَ أَنَّـهُ   أَوْدَى بَـنِـيَّ مِـنَ الـبِـلادَ فَـوَدَّعُـوا

أجبتها أمَّا، أي أنَّ ما، لجسمي هو أن أبنائي أودوا من البلاد، ذهبوا وماتوا

أَوْدَى بَـنِـيَّ وأَعْـقَـبُـونِـيَ غُـصَّـةً   بـعـدَ الـرُّقَـادِ وعَـبْـرَةً لا تُـقْـلِـعُ

ماتوا وتركوا لي غصة في حلقي أحسها بعد أن أرقد، ودمعة لا تكف عن النزول

سَـبَـقُـوا هَـوَيَّ وأَعْـنَـقُـوا لِـهَـواهُـمُ   فَـتُـخُـرِّمُـوا ولِـكُـلِّ جَـنْـبٍ مَـصْـرَعُ

سبقوا هويَّ، أي هواي ورغبتي إذ رغبت في أن أسبقهم أنا، وأعنقوا، أي أسرعوا لهواهم، لما يريدون، فتخرموا، ماتوا، ولكل إنسان يوم سيموت فيه

فَـغَـبَـرْتُ بـعـدَهُـمُ بِـعَـيـشٍ نَـاصِـبٍ   وإِخَـالُ أَنِّـيَ لاحِـقٌ مُـسْـتَـتْـبَـعُ

فغبرت، أي بقيت، بعدهم بعيش ناصب، متعب، وأظنني سألحق بهم وأتبعهم قريباً

ولـقـد حَـرَصْـتُ بِـأَنْ أُدَافِـعَ عـنـهُـمُ   فـإِذَا الـمَـنِـيَّـةُ أَقْـبَـلَـتْ لا تُـدْفَـعُ

كنت حريصاً على حمايتهم والدفع عنهم، ولكن المنية إذا جاءت لا دافع لها

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها أَلْفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ

إذا أنشب الموت أظفاره فلا تنفع الإنسان أي تميمة، أي حرز أو حجاب أو خرزة زرقاء

فالعينُ بعدَهُمُ كأنَّ حِداقَها سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهْيَ عُورٌ تَدْمَعُ

العين بعدهم كأن أحداقها، سملت، فقئت بشوك فهي عوراء لكنها تدمع

وتَجَلُّدي لِلشَّامِتينَ أُرِيهِمُ أَنِّي لِرَيْبِ الدهرِ لا أَتَضَعْضَعُ

أتجلد، أتماسك، للشامتين لكي أريهم أنني لا أتضعضع، ولا أضطرب لمصائب الدهر

والنفْسُ راغِبَةٌ إذا رَغَّبْتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

نفس الإنسان ترغب في الأمر إذا حملها المرء على ذلك، وتقنع بالقليل بعد ذهاب الكثير

كم مِنْ جَميعي الشَّمْلِ مُلْتَئِمِي القُوَى كانوا بِعَيْشٍ قبلَنا فَتَصَدَّعُوا

ما أكثر من كانوا قبلنا مجتمعي الشمل ملتئمي القوى، والقوى هي فتلات الحبل المجدولة معاً، ثم تصدعوا، تفرقوا بالموت. ويرى مصححي الصديق الشاعر عمران القفيني أن هذا البيت شبيه جداً ببيت المتنبي: «نبكي على الدنيا وما من معشر/ جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا» قلت: حقاً يشبهه، ولا أتهم أبا الطيب بالسرقة هنا، فهذا لا شيء في عشرات الأبيات التي سرقها، والتي نرجو أن يغفرها الله له.. فقط لأن ذئاب النقد، ونسمي ابن وكيع والحاتمي ولا نزيد، نهشوا لحمه عليها نهشاً

المفضليات

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

الأصمعيات

هي قصائد جمعها الأصمعي واختلطت بالمفضليات اختلاطاً ذريعاً، فخلصَها منها، كيفما اتفق لهما، أحمد شاكر وعبد السلام هارون.

ولد الأصمعي سنة ١٢٢هـ أي قبل استهلال الدولة العباسية بعشر سنين. ولمع نجمه في السنوات العشرين التي استَخلف فيها هارون الرشيد، وكان الأصمعي آنئذٍ بين الخمسين والسبعين من العمر. ثم عاش حتى جاوز التسعين، ومات عام ٢١٦هـ.

قدس الأصمعي اللغة العربية «الأصلية». لم يكن يرى أن لغة عصره حلوة وغنية وتناسب زمنها. كان أصولياً. كان يرى أن ما يطرق أذنيه من كلام في البصرة ثم في بغداد ـ التي رآها مدينة يافعة في الخامسة والعشرين من عمرها عندما استقدمه الرشيد من البصرة، ثم رآها بعد قليل حاضرة الدنيا ـ إنما هو تشويه لشيء أصلي. كان الأصمعي قد أدمن ارتياد الصحراء باحثاً عن الأصل، أو عمَّا هو أقرب شيء إلى الأصل. كان رجوعياً. غربل لنا كلام الأعراب وضرب بعضه ببعض، فملأ أندية اللغة والأدب بالكتب التي تصف اللغة القديمة. وهذه القصائد بعض مما جاءنا به. ولو نظرت في المعاجم القديمة فسوف ترى عدداً كبيراً من المفردات ومعانيها منسوباً إلى الأصمعي. وكان الأصمعي مدققاً تقياً بعيداً من الكذب. فأفادنا كثيراً في توثيق اللغة القديمة.

والتوثيق شيء، والتقديس شيء آخر.

أعاشر في هذه الأيام التي أنفض فيها يديَّ من كتاب «أول الشعر» شباناً ممن عشقوا العربية القديمة. عاشرت في الشهرين الماضيين ـ وأكتب هذا الكلام في مطلع أيار/مايو ٢٠١٦ ـ ستة وثلاثين شاباً وفتاة اشتركوا في برنامج تلفزي اسمه «فصاحة». وأنا فيه عضو لجنة تحكيم، ومدرب أيضاً. وسأمضي

معهم شهراً ثالثاً حتى ينتهي هذا البرنامج. ألتقي بهم ساعات طويلة قبل البرنامج في جلسات تدريب طويلة. ثم يأتي يوم تسجيل الحلقة فيلقون على مدى ساعة ونصف خطباً وأشعاراً.

وقد حذرتهم عشرات المرات ـ في جلسات التدريب، وفي البرنامج نفسه، واليوتيوب شاهد عليّ ـ من السجع ومن الوعظ، ومن الكلام المنمق الذي ليس له رصيد من معنى.

سينطلق هؤلاء جميعاً ـ من خرج من السباق سريعاً ومن استمر حتى النهاية ـ في حياتهم فصحاء أبيناء. وسيزيد المعنى وسيقل التنميق في كلامهم مع اكتسابهم المزيد من الخبرة والثقافة. ولكنني لن أستطيع أن أنزع من نفوسهم تقديس اللغة القديمة.

هل أستطيع أصلاً أن أنزع هذا من نفسي أنا؟

لو قيض لي أن أضع منهج اللغة العربية للمدارس في بلد عربي لما فرضت على التلاميذ في سنوات الدراسة الاثنتي عشرة من الشعر العمودي كله، القديم والحديث، سوى مئة وأربعة وأربعين بيتاً. . اثني عشر بيتاً لكل سنة. ولعلي أفرض عليهم حفظ خمسة أبيات منها في كل عام. ولعلي أفرض عليهم في كل عام عشرة أضعاف هذا القدر من الشعر الجديد بأشكاله، كي يقرأوه ويتذوقوه ويلقوه إلقاء، وكي يحفظوا ما لا يزيد عن عشرة أسطر للعام الواحد. وسأفرض عليهم من النثر عشرة أضعاف ما أفرضه من الشعر.

فلماذا ـ ورأيي هذا الرأي ـ أجشم نفسي عناء مخض الشعر القديم وشرحه؟ ذلك شيء أصنعه بفعل ما انغرس في ذهني من تقديس للقديم، غير أنني أصنعه أيضاً لمن يريد أن يتخصص في هذا المجال، وأصنعه لمن يريد أن يفهم نفسية أجدادنا، ثم قد يفيد كتابي هذا القارئَ الهاوي الذي سمع بقصيدة الشنفرى أو بمعلقة امرئ القيس، ويريد أن يقرأ ويفهم.

وأصنع هذا لسبب آخر يعلم الله أني ما كنت لأبوح به لولا ما أحس من أنس بالقارئ. ويعلم الله أني أعرف الناس بما يمكن أن يسبب هذا الذي أقوله من استخفاف بهذا الكتاب في نفوس النقاد الذين أعادت خلقَهم المؤسسات التعليمية في صورة إنسانين آليين، فتلِفت نفوسهم وتعطل مركز الفهم في عقولهم.

لست أسعى في إصلاحهم، إذا خبَّص الأرز في قِدرك فلا تحاول.

أقول هذا لقارئ يبغض أولئك النقاد من أبناء المؤسسات بغضي إياهم، أو نصف بغضي إياهم، فما علمت أحداً يبغضهم بغضي.

إنما جمعت لك هذه الأشعار ورحت أشكلها وأشرحها لأنني رجل حُرَكة. لا أجلس في اجتماع إلا بيدي قلم أكتب وأرسم، ثم تمتلئ الورقة بعد دقيقة فأصنع منها سفينة، أو أمزقها شرائط أصنع بها براميل، أو أفتل الشرائط فتائل مخروطية يدخل بعضها في بعض لتصبح عصاً، ثم إلى الورقة الثانية. فإن طال الاجتماع وجدتَ أمامي ورشة. وأكون في بيتي معتزلاً الناس، وربما لم أخرج منه يومين أو ثلاثة أيام، فهذا حين أقرأ وأنقب تنقيباً. فإن ظننتني، وأنا أُعُد لك في مقدماتي الكتب الكثيرة التي رجعت إليها، باحثاً جاداً فاعلم أنني بالأحرى رجل قلق لا يقر له قرار.

قد فاض الأمر بالمخرجة التلفزية للبرنامج الذي حدثتك عنه، فواجهتني بالحقيقة، قالت: أجتهد اجتهاداً حتى أحصل لك على لقطة لا تعبث فيها بشيء. ذات مرة كنت محتاجة إلى لقطة لك في موضع لا بد فيه من لقطة لك، فإذا أنت تدخل القلم بين عدسة نظارتك وبين عينك. ماذا تُراك تصنع! انتهى كلامها. ولمعلومات القارئ الأنيس فإن المخرجة أخذت لي هذه اللقطة، ورآها الناس على الشاشة.

كلما داهمني الخجل مما أقوم به من عرض هذا القديم ـ حتى وإن في ثوب جديد سداه الصدق ولحمته الخفة ـ ذكرت بيني وبين نفسي شعوباً أخرى تحتفل بقديمها، وتخصص له الكراسي الجامعية، فانحسر خجلي مما أصنع. وإذ وصلت في حديثي إلى الكراسي الجامعية فلا بد من أن أرش في وجوه أصحابها ماء النار.

المؤلف يرش ماء النار في وجوه الأساتيذ

يا لقبحهم، يفرضون علينا أن نؤدي فرض التبجيل كلما خاطبناهم بدس كلمة دكتور قبل أسمائهم. نقول لأحدهم يا دكتور فيقيم جذعه ويميل برأسه ويقول أمم ثم يأخذ، أخذته الصيحة، في الكلام. يشير بيديه متحمساً ثم تدركه زهوة الدكترة، فيرزُن رزانة افتعال، حتى إذا استوثق من الجَلْس واستولى على الجلسة شبك كفيه وأراحهما على رف كرشه وراح ينثر النصائح بلهجة الأب الشفيق على أبنائه. أليس بغيضاً!

في كل مهنة يوجد الحاذق الماهر، ويوجد الأخرق الدخيل. وما عرفت مهنة اختلط فيها هذا بذاك كمهنة الأستذة في بلاد العرب. فمع انحدار المستوى في البلاد كلها، ومع استقالة شعوب العرب من هواية المطالعة أصبح الأستاذ يضع المقياس الذي يقاس به.

أقول هذا عارفاً أن الأساتذة الأجلاء الذين يحملون في صدورهم علماً كثيراً أغيظ مني من زملائهم المشعوذين.

١ أنا ابن جلا

قال سُحَيْمُ بنُ وُثَيْل الرِّيَاحِيّ، وهو من بني حِمْيَرِيّ، وقد تحداه في الشعر اثنان من الفتية:

أنَـا ابـنُ جَـلَا وطَـلَّاعُ الـثَّـنـايَـا   متى أَضَـعِ الـعِـمَـامَـةَ تَـعـرِفُـونـي

أنا ابن جلا، المشهور المعروف، وطلاع الثنايا، الصاعد الطرق الجبلية، متى أضع العِمامة عن رأسي وتظهر ملامحي تعرفوني وتعرفوا من أنا. جعل الحجاج بن يوسف الثقفي هذا البيت من محفوظ كل عربي، إذ استشهد به في مطلع خطبته الأولى في الكوفة.. وضعه الحجاج في الحقيبة الذهنية لكل عربي دخل في حياته مدرسة، وغدا البيت جزءاً من «خرافتنا» القومية، فهمه المرء أم لم يفهمه..
جرسه وحده يحمل كل المعنى

وإنَّ مـكـانَـنـا مِـنْ حِـمْـيَـرِيٍّ   مَـكـانُ الـلَّـيْـثِ مِنْ وَسَـطِ الـعَـرِيـنِ

مكاننا من قبيلة حميري كمكان الأسد، ومكانه في الوسط من عرينه

وإنِّـي لا يَـعـودُ إِلَـيَّ قِـرْنـي   غَـدَاةَ الـغِـبِّ إلَّا فـي قَـريـنِ

وعندما أهزم قرني، أي خصمي، ثم يعود إليَّ ثانية غداة الغب، أي في اليوم التالي، فهو يعود ومعه قرين كي يساعده

عَـذَرْتُ الـبُـزْلَ إذْ هِـيَ خَـاطَـرَتْـنـي   فـمـا بَـالـي وبَـالُ ابْـنَـيْ لَـبُـونِ

عذرت البزل، الجمال الكبيرة التي ظهرت أسنانها، إذ تخاطرني، تتحداني في رهان، ولكن، ما لي ولابني لبون، لجملين صغيرين فطما عن اللبن

ومـاذا يَـدَّري الـشـعـراءُ مِـنِّـي   وقـد جـاوزْتُ رأسَ الأربـعـيـنِ

ماذا يدري الشعراء مني، كيف لهم أن يخدعوني، وقد تحنكت وجاوزت آخر الأربعين

أخُـو خـمـسـينَ مُـجْـتَـمِـعـاً أَشُـدِّي   ونَـجَّـذَنـي مُـداوَرَةُ الـشـؤونِ

أصبحت ابن خمسين مجتمع القوة، وقد نجذتني، حنكتني وجعلت أسناني الخلفية، النواجذ، تسقط، مداورة الشؤون، أي التصدي للخطوب

٢ لم أكن من جناتها

الحارث بن عُبَاد البكري:

قَـرِّبَـا مَـرْبَـطَ الـنَّـعَـامَـةِ مِـنِّـي   لَـقِـحَـتْ حَـرْبُ وَائِـلٍ عـن حِـيَـالِ

قربا يا صاحبيَّ مكان ربط فرسي «النعامة» مني، أي اربطاها قريباً، فالحرب بين قبيلتي وائل الكبريين بكر وتغلب قد اشتدت، فالحرب مثل الناقة التي تلقح، أي تحمل بعد الحيال، أي بعد طول العقم فيكون حملها صعباً

لـم أَكُـنْ مِـنْ جُـنـاتِـهـا عـلـمَ الـلَّـ   ـهُ وإِنِّـي بِـحَـرِّهـا الـيـومَ صَـالِ

لم أكن من مسببي الحرب، لكنني سأصلى بنارها. تلك حرب البسوس

٣ الاستعانة بالسفيه

كعب بن سعد الغَنَوي:

ولن يَلبَثَ الجُهَّالُ أن يَتَهَضَّمُوا   أَخَا الحِلْمِ ما لم يَسْتَعِنْ بِجَهُولِ

سرعان ما يتهضم، أي يظلم، الجهال المتهورون الرجل الحليم إن لم يستعن بجهول سفيه مثلهم

ولـسـتُ بِـمُـبْـدٍ لـلـرجـالِ سَـرِيـرَتـي   ومـا أنَـا عـن أَسـرارِهـمْ بِـسَـؤُولِ

لا أطلع الناس على سري، ولا أسألهم عن أسرارهم

٤ ينتظرونه

أعشى باهِلة، عامر بن الحارث:

إنَّ الـذي جِئْتَ مِنْ «تَثْلِيثَ» تَنْدُبُهُ   مِـنْـهُ الـسَّـمَـاحُ ومِـنْـهُ الـنَّـهْـيُ والـغِـيَـرُ

هذا الذي جئت من تثليث، موضع بالحجاز، تندبه وتبكي لموته، رجل سمح وذو نهي وتغيير في الأمور، كذا المعنى الملموح

مَـنْ لـيـس فـي خَـيـرِهِ شَـرٌّ يُـكَـدِّرُهُ   على الصديقِ، ولا في صَفْوِهِ كَدَرُ

طَاوِي المَصيرِ، على العَزَّاءِ مُنْصَلِتٌ   بِـالـقَـوْمِ لـيْـلَـةَ لا مَـاءٌ ولا شـجـرُ

يطوي مصيره، أي مصرانه أي أمعاءه، ويجوع صابراً على العزاء، الشدة، وينصلت بالقوم، يمضي بهم للغزو في وقت قحط لا ماء فيه ولا شجر

لا يَـأْمَـنُ الـنـاسُ مُـمْـسَـاهُ ومُـصْـبَـحَـهُ   مِـنْ كـلِّ فَـجٍّ وإن لـم يَـغْـزُ يُـنْـتَـظَـرُ

لا أمان للناس منه مساء أو صباحاً، فهو يطلع عليهم من كل فج، أي طريق، وحتى لو لم يأتهم غازياً فهم يترقبون قدومه

فإنْ جَزِعْنَا فقد هَدَّتْ مصيبَتُنا وإن صبرْنا فإنَّا معشرٌ صُبُرُ

إن جزعنا عليه فقد هدتنا المصيبة فيه، وإن صبرنا فنحن قوم صبورون

٥ ادعُ أُخرى

كعب بن سعد الغَنَوي:

أخي! ما أخي، لا فَاحِشٌ عند بيتِهِ ولا وَرَعٌ عند اللِّقاءِ هَيُوبُ

فاحش: بذيء، ورع: جبان، اللقاء: ملاقاة الأعداء

هُوَ العَسَلُ المَاذِيُّ حِلْماً ونائِلاً وليثٌ إذا يَلْقَى العَدُوَّ غَضُوبُ

هو العسل الماذي، الأبيض، في حلمه وفي عطائه، وهو ليث غضوب إذا لقي العدو

أَخُو شَتَواتٍ، يعلَمُ الضيفُ أنه سَيَكْثُرُ ما في قِدْرِهِ ويَطِيبُ

صاحب شتوات، كريم في أيام الشتاء، حين يعم القحط، ويعلم ضيفه أنه سيطبخ له ما طاب وكثر

ودَاعٍ دَعَا: يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى فلم يَسْتَجِبْهُ عند ذاكَ مُجِيبُ

رب داعٍ دعا بعد موت أخي طالباً الندى، السخاء بالضيافة، ولا مجيب له

فقلتُ ادْعُ أُخْرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ دَعْوَةً لعل أبا المِغْوَارِ منكَ قَرِيبُ

فقلت له: نادِ مرة أخرى وارفع صوتك، لعل أخي أبا المغوار قريب يجيبك.. حتى وهو ميت

فإنِّي لَباكيهِ وإنِّي لَصَادِقٌ عليهِ، وبعضُ البَاكِياتِ كَذُوبُ

صادق في بكائي عليه، وبعض من يبكين تكون كذوباً في بكائها

لِيَبْكِكَ دَاعٍ لم يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ وطَاوِي الحَشَا نَائِي المَزَارِ غَرِيبُ

ليبكك داعٍ لا يجد من يلبي نداءه، وطاوي الحشا، جائع، نائي المزار، بعيد عن أهله، فقد كنت أنت من يطعم الغريب ويُؤويه

٦ لينفلق!

شَمِر بن عمرو الحنفي:

ولقد مَرَرْتُ على اللَّئِيمِ يَسُبُّني فمضيْتُ ثُمَّتَ قلتُ: لا يَعنِيني

مررت باللئيم وهو يسبني، فمضيت ثمت، أي ثم، قلت: هذا لا يعنيني

غَضْبَانَ مُمْتَلِئاً عَلَيَّ إهَابُهُ إنِّي وربِّكَ سُخْطُهُ يُرضِيني

غضبان وإهابه، أي جلده، منتفخ من الغضب علي.. ووالله إن غضبه ليرضيني

٧ كن خير آكل

الممزَّق العَبدي:

فإنْ كنتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خيرَ آكِلٍ وإلَّا فَـأَدْرِكْـنـي ولَـمَّـا أُمَـزَّقِ

شهرة هذا البيت أن عثمان بن عفان تمثل به وهو في داره محاصراً؛ قيل بعث به إلى علي بن أبي طالب

٨ الأم والزوجة

صخر بن عمرو بن الشريد، وقد أصيب ولزم بيته:

أرى أمَّ صَخْرٍ ما تَجِفُّ دُمُوعُها ومَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي ومَكاني

أمي تبكيني بدموع غزيرة، وزوجتي ملت نومي بالبيت وأنا جريح

فـأَيُّ امْـرِئٍ سَاوَى بِـأُمٍّ حَـلـيـلَـةً فـلا عـاشَ إلَّا فـي شَـقَـاً وهَـوانِ

من يساوي أمه بزوجته فلا عاش، أي ليته ما عاش، إلا في شقاء ومذلة

أَهُـمُّ بِـأَمْـرِ الـحَـزْمِ لـو أَسْـتَـطِـيـعُـهُ وقـد حِـيـلَ بـيـنَ الـعَـيْـرِ والـنَّـزَوانِ

أحاول أن أصنع الأمر الصحيح الحازم، ولكن الجرح قد حال بيني وبين القيام بذلك، مثلما حيل بين العير، حمار الوحش الذي اصطيد وبين الوثوب على أنثاه

٩ الميت الحقيقي

عَدي بن رَعلاء الغساني:

رُبَّـمَـا ضَـرْبَـةٍ بِـسَـيْـفٍ صَـقِـيـلٍ دونَ بُـصْـرَى وطَـعْـنَـةٍ نَـجـلاءِ

ربما، أي رُبَّ، ضربة بالسيف ـ في وقعة أباغ عند بصرى الشام ـ ورب طعنة نجلاء، واسعة بالرمح. . وكان الغساسنة أوقعوا بالمناذرة يومذاك وقتلوا ملكهم المنذر بن المنذر

وغَـمُـوسٍ تَـضِـلُّ فـيـهـا يَـدُ الآ سِـي، ويَـعـيَـا طـبـيـبُـهـا بِـالـدَّواءِ

ورب طعنة غموس واسعة تتوه داخلها يد الآسي، الطبيب، ويعجز عن مداواتها

لـيـس مَـنْ مَـاتَ فـاسـتَـراحَ بِـمَـيْـتٍ إنَّـمـا الـمَـيْـتُ مَـيِّـتُ الأَحـيَـاءِ

الميت استراح وهو حي بذكره، والميت الحقيقي ميت الأحياء الذي. .

إنَّـمـا الـمَـيْـتُ مَـنْ يَـعِـيـشُ ذَلِـيـلاً سَـيِّـئـاً بَـالُـهُ قَـلـيـلَ الـرَّجَـاءِ

الذي يعيش ذليلاً، سيءَ الظن بالناس، قليل الرجاء في تحقيق المجد

١٠ لولا الريح

مُهَلهِل بن ربيعة:

أَلَـيْـلَـتَـنـا بِـذي حُـسُـمٍ أنـيـري   إذا أَنـتِ انـقـضَـيْـتِ فـلا تَـحُـوري

يا ليلتنا في موضع «ذي حسم» انكشفي بالصباح المنير، ولا تحوري، لا تعودي

فــإنِّــي قــد تَــرَكْــتُ بِــوارِدَاتٍ   «بُـجَـيْـراً» فـي دَمٍ مِـثْـلِ الـعَـبـيـرِ

لقد تركت في موضع واردات بجيراً، وهو الحارث بن عباد، ودمه قد سال كالعبير، الطيب المزَعْفَر

وهَـمَّـامَ بْـنَ مُـرَّةَ قـد تَـرَكْـنـا   عـلَـيْـهِ الـقَـشْـعَـمـانِ مِـنَ الـنُّـسُـورِ

وتركنا همَّاماً قتيلاً وعليه قشعمان، نسران مسنَّان ينتفان لحمه

كـأَنَّـا غُـدْوَةً وبَـنـي أَبـيـنـا   بِـجَـوْفِ عُـنَـيْـزَةٍ رَحَـيـا مُـدِيـرِ

كأننا صباح ذلك اليوم مع بني أبينا في موضع جوف عنيزة حجرا طاحون يطحنان الناس. والحرب كانت بين بكر وتغلب وهما أبناء عمومة

فَـلَـوْلا الـرِّيـحُ أُسـمِـعَ أَهْـلُ حَـجْـرٍ   صَـلـيـلَ الـبَـيْـضِ تُـقْـرَعُ بِـالـذُّكُـورِ

كان صوت البَيْض، الخُوَذ، وهي تُقرع بالذكور، السيوف القوية، عالياً حتى لقد كاد يسمعه أهل حجر البعيدة، وما منعهم من سماعه إلا أن الريح تبدد الصوت

١١ الممكن والمستحيل

عمرو بن مَعْدِيكَرِب:

إذا لـم تَـسْـتَـطِـعْ شـيـئـاً فَـدَعْـهُ   وجَـاوِزْهُ إلـى مـا تَـسْـتَـطِـيـعُ

وَصِـلْـهُ بِـالـزَّمَـاعِ فَـكُـلُّ أَمْـرٍ،   سَـمَـا لَـكَ أو سَـمَـوْتَ لَـهُ، وَلُـوعُ

الزماع: الهمة، سما لك: برز لك، وَلوع: مولع بالقلب مُتعلِّق به. المعنى: لا تُصِرَّ على ما لا تستطيع بلوغه، واطلب الممكن، ومع وجود الهمة والمثابرة ستحققه لأن النفس تتعلق بما ترغب فيه

١٢ أنا وقيَّار

ضابئ بن الحارث البُرجُميّ:

فَـمَـنْ يَـكُ أَمْـسَـى بِـالـمَـدِيـنَـةِ رَحْـلُـهُ   فَـإِنِّـي و«قَـيَّـارٌ» بِـهـا لَـغَـرِيـبُ

إذا كان أحد قد حط رحل جمله بالمدينة مرتاحاً، فإنني وجملي «قيار» غريبان هنا.. فقد حبسني عثمان بن عفان

وما عَاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْني مِنَ الفَتَى   رَشَاداً ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ

الطير المسرعة في طيرانها التي يتفاءلون بها لا تقرب الرشد من المرء، ولا يخيب المرء من ريث الطير، أي بطء طيرانها

ورُبَّ أُمورٍ لا تَضيرُكَ ضَيْرَةً   ولِلقلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجيبُ

رب أمور عادية لا تضرك، ولكن للقلب من خشيتها وجيب، خفقان

فَلا خيرَ فيمَنْ لا يُوَطِّنُ نفسَهُ   على نَائِباتِ الدهرِ حين تَنُوبُ

لا خير في رجل لا يوطن نفسه، يهيئها، لاستقبال مصائب الدهر حين تنوب، تأتي

وفي الشَّكِّ تَفريطٌ وفي الحَزْمِ قُوَّةٌ   ويُخْطِئُ في الحَدْسِ الفَتى ويُصيبُ

الوقوف موقف المتشكك دون فعل فيه تفريط، والقوة في الحزم. ولكن الإنسان يخطئ ويصيب في حدسه وتقديره لما يضره وينفعه. والذي أخطأ في حدسه خطأ فاحشاً ابنك يا ضابئ، وأنت لا تعلم ماذا جرى له. فابنك عمير دخل الدار حين قتل عثمان ورفسه برجله فكسر له ضلعين انتقاماً لك لأن عثمان حبسك ومت في حبسه. وبعد سنين كثيرة، وكان ابنك قد أسن، جاء يطلب من الحجاج إعفاءه من الغزو. فقال أحدهم للحجاج: هذا عمير بن ضابئ الذي رفس عثمان، فأمر الحجاج بقتل ابنك عمير فوراً

١٣ الفقرُ الفَقْد

أبو دؤاد الإيادي:

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْمَاً، ولكنْ   فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُهُ الإِعْدَامُ

لا أعد الإقتار، أي ضيق ذات اليد، عدماً، فقراً مدقعاً.. بل الإعدام، أي الفقر، إنما هو فقد من قد بليت بفقده

وكَذَاكُمْ مَصيرُ كُلِّ أُنَاسٍ   سوف حقّاً تُبليهِمُ الأَيَّامُ

فَعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفسي   حَسَراتٍ، وذِكْرُهُمْ لي سَقَامُ

١٤ يا خالي

المتلمِّس، جرير بن عبد المسيح، وهو من بني ضُبيعة وتربَّى عند أخواله اليَشْكُريين، ويعاتب في القصيدة خاله الحارث اليشكري. وكان خاله قد قال للملك عمرو بن هند: هذا يزعم تارة أنه منا بني يشكر وتارة أنه من ضبيعة. فقال له الملك: ما أراه إلا كالساقط بين الفِراشَيْن، فقال المتلمس:

تُـعَـيِّرُنـي أُمِّـي رِجَـالٌ، ولـن تَـرى أَخَـا كَـرَمٍ إلَّا بِـأَنْ يَـتَـكَـرَّمَـا

تعيرني بعض الرجال بالانتساب إلى أمي، والكريم هو من يفعل الكرم بنفسه
غير مستند إلى مجرد النسب

وهـل لِـيَ أُمٌّ غَـيْـرَهـا إنْ تَـركْـتُـهـا أَبَـى الـلّـهُ إلَّا أنْ أكـونَ لـهـا ابْـنَـمَـا

ابنما: ابن

أَحَـارِثُ إنَّـا لـو تُـسَـاطُ دِمـاؤُنـا تَـزَايَـلْـنَ حـتَّـى لا يَـمَـسَّ دَمٌ دَمَـا

يا خالي الحارث، لو يساط، أي يخلط، دمي بدمك لما اختلطا.. قيل إن دماء الأعداء لا يختلط
بعضها ببعض

لِذي الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقْرَعُ العَصَا ومـا عُـلِّـمَ الإنـسـانُ إلَّا لِـيَـعْـلَـمـا

كانت العصا تقرع لذي الحلم، والإنسان يعيش ويتعلم. كان هذا الرجل، ولعله عامر بن الظرب،
قد بلغ من الكبر عتياً فطلب أن يصاحبه رجل بعصا، فإذا غفل الشيخ وقال شيئاً فيه اختلاط قرع له
الفتى العصا وحركها كي يعود الشيخ إلى عقله. وفي البيت «ما تقرع العصا» أي تقرع، و«ما» زائدة

وكُـنَّـا إذا الـجـبـارُ صَـعَّـرَ خَـدَّهُ أَقَـمْـنـا لـه مِـنْ مَـيْـلِـهِ فَـتَـقَـوَّمـا

كنا إذا الجبار صعر خده، أي أماله تكبراً، قومنا ميله ورددناه إلى منزلته

فَلَوْ غَيْرُ أَخْوالِي أرادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فوقَ العَرانِينِ مِيسَمَا

لو غيركم يا أخوالي أرادوا الانتقاص مني لجعلت لهم فوق العرانين، الأنوف، ميسماً، كيّاً بالنار
كناية عن الإذلال

ومـا كـنـتُ إلَّا مِـثْـلَ قَـاطِـعِ كَـفِّـهِ بِـكَـفٍّ لَـهُ أُخـرى فَـأَصـبـحَ أَجْـذَمَـا

لو فعلت ذلك بكم لكنت كمن قطع كفه بكفه الأخرى فأصبح أجذمَ، أي مقطوع اليد

الأصمعيات

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

الحماسة

يعجبني في لبنان قُراه.

فلبنان ـ من بين كل البلدان العربية قاطبة ـ كانت قراه مهاد ثقافة وعلم وأدب. ابحثْ عن مارون عبود، وستجد بيته في قرية عين كفاع، وعن جبران فستجده خرج من بشَرِّي، وعن ميخائيل نعيمة فهو ابن بسكنتا، والشدياق من عشقوت، وإيليا أبو ماضي من المحيدثة، وابحث عن الشاعر «القروي» فهو بالطبع من «قرية» وهي البربارة، وزميله فرحات فهو من كفر شيما، ومن كفر شيما ناصيف اليازجي ومنها بشارة وسليم تقلا مؤسسا جريدة الأهرام.

أتعبني ذلك ذات سنة وسرني. أتعبني عندما صنعت فلماً وثائقياً عن العظام الذي أنهضوا اللغة العربية من رقدتها، وسميته «عظام العربية في لبنان» كي يفهم المشاهد أن عظام الرجال في لبنان نهضوا بالعربية، وأن العربية أصبحت في لبنان اليوم عظاماً؛ فعندما تهيأت لتصوير الفلم مع الفريق اكتشفت أن المكوث في بيروت لا يفيدني بشيء، وأن عليَّ أن أبكر مع الشمس لأصعد الجبال وألتقط القرى الجاثمة على سفوحها واحدة واحدة. وسرني ذلك، ليس لأنني من محبي الطبيعة، فأنا من القلة الذين يكرهونها، بل لأنه انتابني ذلك الشعور الذي أسميه «حالة الدير».

من أحب أحلام يقظتي، وما أكثرها، إلى نفسي أن أسكن ديراً ليس فيه شيء من قلق وتوتر الحياة الحديثة. وقد قلت في ذلك:

لو أننا نعيش وادعين

في قريةٍ تنام ما بين التلال، لا تُحسُّ بالسنين

ولا تحس لذة ولا ألمْ

بعيدةٍ عن الطريق لمْ

تلمعْ بقربها سيوف الفاتحين
ليس لها مستقبل ولا طموح
ولا لها ماض، ولا تشعر بالحنين
لو أننا نزرع حقلنا
لو أننا نأكل خبزنا
لا نعرف النقودَ والمرتباتِ والوظائفا
لا نعرف الشيوخ والمحرمات والأساقفا
لا نعرف استقالةً لا نعرف استخارة
لو نستقيل من هذا الصداع
لو نستريح من هذا الصراع
لو.. لا نموت
وكاستحالة هذه اللّو الأخيرة كل ما سبقها من لَوَّات.

على أن أبا تمام عاش بضعة أسابيع أو أشهر في «دير» فرضه عليه تساقط الثلوج.

ولا تطمع في أن أحدثك عن أبي تمام وكتابه «الحماسة» قبل أن آخذك إلى ألمانيا. على أنني سأقص عليك الطريف والمفاجئ، فاحبس أنفاسك من الآن.

الحماسة الألمانية

أحدثك عن ابن قرية ألمانية في شمال بافاريا اسمها معبر الخنازير «شفاين فورت». هذا الرجل كان شاعر قومه، رأى وهو يافع نابليون يحتل بلاده، ورآه في شبابه يُهزم، ورأى دويلات الألمان تحاول التوحد ولا تجد الطريق. وكتب الشعر الوطني فألهب خيال أبناء قومه. ثم كتب أشعاراً للأسرة وفي المرأة وعن الطبيعة. وكثيرون منهم يعدونه الآن رابع العظام في تاريخ الشعر الألماني كله بعد غوته وهايني وريلكة.

ذلك هو فريدريش روكارت.

تخصص في القانون. عجيب هذا بالقياس إلى ما سوف نقصه عليك.

يقول لنا عبد الرحمن بدوي إن الرجل «أوتي قدرة هائلة على التحكم في اللغة الألمانية»، ويقول في فقرة أخرى، من «موسوعة المستشرقين» إن روكارت «كان يملك قدرة عجيبة في السيطرة على اللغة الألمانية». ونقرأ أن روكارت كان يتقن ثلاثين لغة. وهنا تبدأ أعاجيب الرجل. لكنها ليس ههنا تنتهي.

فويكيبيديا الألمانية تصر على أنه كان يحسن أربعاً وأربعين لغة، وتشفع زعمها بقائمة اللغات التي اشتغل بها صاحبنا. وتذكر الموسوعة ترجماته البديعة عن الفارسية وعن اللغات الهندية، وتذكر ما صنعه روكارت مع اللغة العربية في أسطر قلائل. ويزيدنا هيرمان كراينبورغ، القيِّم على أرشيف روكارت، عجباً إذ يزعم أن روكارت أتقن خمسين لغة.

نترك هذا لكتاب غينيس.

هذا الرجل المثابر استدعاه الملك البروسي فريدريش فلهلم الرابع إلى برلين كي يكون أستاذاً ومستشاراً، وبعد بضع سنين استأذن في الرحيل فزوده الملك زاده فانصرف إلى ضيعة ورثتها امرأته، وقعد فيها يؤلف. فانظر إن شئت إلى بعض المثقفين ممن يقترب من كرسي الحكم بعض اقتراب فتصطك ركبتاه، ويتعلق بأهداب ولي النعمة غير قادر أن يفارق هالة السلطان، ويظل يلعق من الإطار حتى يموت. أو انظر ـ إن شئت ـ إلى شيخ مؤرخي العرب الطبري يقعد في كسر بيته يؤلف، فتأتيه هدايا السلطان فيردها رداً، ويعيش على أقل القليل. قالوا إنه بعث يوماً بِكُمِّ ثوبه، وكانت أكمام أثوابهم واسعة، كي يباع في السوق، ليشتري بثمنه طعاماً. أو انظر إلى المعري وقد حبس نفسه في بيته خمسين سنة يصنع لنفسه العظمة.

ترجم الألماني روكارت مقامات الحريري بما فيها من الألاعيب اللغوية التي لا يظن عاقل أنه يمكن نقلها إلى لغة أخرى. ولكن روكارت لم يكن عاقلاً بالمعنى المألوف، أو أنه كان مجنوناً بمعنى غير مألوف. فقد نقل الألاعيب إلى لغته، وجعل ترجمته الألمانية للمقامات مسجوعة من أولها إلى آخرها. وجعلها قطعة أدب ألمانية ليس يشبهها شيء. وترجم صاحبنا أشعار امرئ القيس. وبعد موته نشروا له ترجمة لثلاثة أرباع القرآن الكريم.

وترجم الحماسة.

فتنته الحماسة، وهي كتاب عربي عتيق جمع فيه الشاعر المشهور أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، المتوفى عام مئتين وثلاثين هجريه، نحو ثمانمئة وثمانين قطعة من أشعار القدماء المغمورين.

وفي الحماسة كانت لروكارت بدَاةٌ أخرى تضاف إلى بَدَواته. فقد قرر أن يحاكي النظم العربي في بحوره وتفعيلاته وقوافيه. وتراه في القصيدة بعد القصيدة يصنع حاشية عروضية يحلل فيها الوزن العربي مستعملاً إشارات العروض كما نعرفها في العربية، ويشرح اجتهاده في نقل الوزن العربي إلى الكلم الألماني، على ما بين اللغتين من اختلاف جارف في توالي الصوامت والصوائت، وعلى ما بينهما من افتراق في كيفية وزن الشعر. لا جرم، صاحبنا مولع بالأوزان، وله في أوزان الشعر عند الجرمان والإغريق بحوث رائدة، وهي ليست بحوث الأكاديميين المتخشبين ـ جعلهم الله حطب الحُطمة ـ بل هي دراسة وتجريب وعبث كثير يرفده علم غزير.

شقي روكارت وهو يبحث للحماسة عن ناشر، وأخيراً وبعد خمس عشرة سنة نشرها في شتوتغارت، ١٨٤٦، في مجلدين. وطبعت بعد ذلك مرات. وصارت قطعة من الأدب الألماني لما نفث فيها من زفرات قلمه.

وبعد سنين كتب روكارت قصيدة عن ترجمته للحماسة، كتبها على قريّ الشعر العربي بقافية موحدة، وننقلها إلى العربية لكن بقواف مزدوجة، كما يغلب على شعر أولئك القوم:

إنهم كانوا يصومو	ن زماناً في الزمان
غير أن قد أكرموا الضيـ	ـف على مرِّ الزمان
يقطعون البيد ليلاً	فوق ظهر الراحلة
فإذا قالوا بماء	نعِموا بالقائلة
روضوا بالعزم والحز	م الخيول الشامسة
وسروْا بالعيس في قلـ	ـب الفيافي الطامسة
غُصْتُ، واستخرجتُ هذا الدُّ	رَّ من قلب الحماسة
وحواشيَّ بليغا	ت تضاهيها نفاسة

ولعل القارئ قد سمع بشعراء ألمان آخرين فتنهم الشعر العربي القديم،

وأشهرهم غوتِهْ. غير أن روكارت، وعاصر غوته ولقي منه مديحاً، كان القلم الذي أدخل شعرنا القديم في جسم الثقافة الألمانية.

حماسة أبي تمام

فضل الحماسة أنها من اختيار شاعر كبير هو أبو تمام، ـ ومضطرون اضطراراً إلى سوق عبارة التبريزي أحد شراحها ـ قال التبريزي إن أبا تمام «كان في حماسته أشعر منه في شعره». ولكن هذا ليس الفضل الأكبر للحماسة. ليس ميزتها الكبرى.

ميزتها الكبرى أنها جمعت خير ما قاله الشعراء المغمورون الذين لم تبق لهم دواوين، أو لم تجمع أشعارهم في دواوين أصلاً. وميزتها أنها اختيار قليل من كثير ومخض وتنخيل، وميزتها الأخرى أن جامعها كان محكوماً بإقامة جبرية، فاحتشد لها، ولم يشغله عنها شيء.

كان أبو تمام عائداً من نيسابور بخراسان، وهي اليوم في أقصى شرق إيران، وعندما وصل إلى همذان، غرب إيران اليوم، نزل بصديقه أبي الوفاء ابن سلمة، فأكرم مثواه. وبدأ الثلج يتساقط. ودرجة الحرارة في همذان من نوفمبر/ تشرين الثاني إلى مارس/آذار تحت الصفر (المتوسط في يناير/كانون الثاني عشرة تحت الصفر).

فقال أبو الوفاء لضيفه: قد قطع الثلج الطرق، ولن ينحسر إلا بعد زمن. ويبدو أن الرجل أعطى أبا تمام مختصراً مفيداً عن شتاء همذان كالذي سقناه لك أعلاه. فوطن أبو تمام نفسه على أن لا فرار. وفتح له مضيفه خزانة كتب عامرة يتسلى بها. فكانت الحماسة.

تيسرت لأبي تمام «حالة الدير» مثلما يسرها لنفسه مترجمه روكارت بعد ألف سنة. فأتحفنا الأول بمجموع شعري لم يجُد تاريخ آداب العرب بمثله، وأتحف الثاني قومه بأدب غريب.

ولن نتوسع في الكلام على محاسن كتاب الحماسة لأبي تمام، فليس عندنا ما نضيفه. قد شرحه الشارحون كثيراً، وعدَّ عبد الله عسيلان خمسة وثلاثين شرحاً للحماسة، وكتب الكاتبون عن الحماسة كتباً كثيرة، قديماً وحديثاً. وقد أفدنا من شروح المرزوقي والتبريزي والأعلم الشنتمري واطلعنا على «أسرار الحماسة» لسيد «بن» علي المرصفي، وهو جزء أول لم يلحقه ثان.

ودققنا أسماء شعراء الحماسة من كتاب طريف لابن جني صاحب الخصائص. وأفدنا من كتاب عبد الله عسيلان، وهو نصف أطروحة دكتوراه. وكونه نصفاً لا يعيبه بل يزيده شرفاً. فالرجل حقق الحماسة ثم أردف تحقيقه بكتاب وصف فيه تاريخ كتاب الحماسة، وكان الكتابان معاً أطروحته.. هذا في زمن كانت أطروحة الدكتوراه فيه شيئاً حقيقياً.

ومما نقتبسه عن العسيلان هذا الإحصاء: الجاهليون بين شعراء الحماسة ١٠٧، والمخضرمون ٥٥ وأهل صدر الإسلام ١٨، وممن وصفوا بأنهم إسلاميون ١٩، والأمويون ١٠٤، ومخضرمو الدولتين ٢٠، والعباسيون ٢٩. هذا إلى نحو مئتين وخمسين قطعة غير منسوبة. وفي الحماسة ما يقرب من خمسين قطعة لشعراء طيء، قبيلة أبي تمام. والعهدة في ذلك كله على الباحث. وأحسن الباحث في سوق البرهان الرقمي على فداحة ما استله التبريزي (صاحب أشهر الشروح) من المرزوقي (صاحب أهم الشروح التي وصلتنا).

لم يتيسر لنا ما تيسر لأبي تمام ولمترجمه الألماني من التمتع بـ «حالة الدير»، فقد ظل هذا محض أمنية. على أننا نجمع نتف الشعر ونضعها في كتب بقدر ما يتيسر لنا من وقت. فلماذا نعدو على مجموعٍ وضعه أبو تمام؟

لم نستطع عنه صبراً. فالشعر الذي في حماسة أبي تمام لا يوجد معظمه إلا عند أبي تمام. وهو كله شعر رائق، وقد اخترنا منه أروَقه. وهو خير متمم لشعر الشعراء الذين عرضنا لهم في هذا العصر.

ما اعتور كلامنا على «حالة الدير» من مبالغة:

لو نظرت إلى الأربعين سنة، التي هي حياة أبي تمام، وما فيها من أسفار شاقة ومن اضطراب لعرفت أن الرجل لم يتمتع بحالة العزلة إلا تلك الأسابيع. وقد أنجز ديوانه الزاخر وهو بين الحل والارتحال. كان يعتزل داخل نفسه.

ولو نظرت إلى حياة روكارت التي قاربت الثمانين سنة، فسوف تراه يجاهد الناشرين جهاداً، ويتألم لأن كتبه لا تلقى رواجاً، وتراه يرثي ابنين له، وتراه قلقاً في كل شأنه، لكن عزلته كانت في داخل نفسه. وتقص علينا المستشرقة الألمانية أنا ماري شيمل طريفة من طرائفه: عندما نزل الثلج، على غير عادة، في أبريل/نيسان نظم روكارت في هذه الحادثة ثماني وثلاثين قصيدة، فتأمل.

١ لو كنت من مازن!

قال قُرَيْطُ بنُ أُنَيْفِ العَنْبَرِيّ يمدح قبيلةَ مَازِن لاستنقاذِهِم إبِلَه، ويذمُّ قومَه هو «بَلْعَنْبَرْ» لأنهم ليسوا شَرَّانِيِّين، وليس عندهم خبرة:

لَوْ كنتُ مِنْ مازِنٍ لَمْ تَستَبِحْ إبِلي   بنو اللَّقيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبانا

لو كنت من قبيلة مازن لما تجرأ «بنو اللقيطة» من قبيلة ذهل بن شيبان على إبلي وسرقوا بعضها

إذن لَقامَ بِنَصري معشرٌ خُشُنٌ   عندَ الحفيظةِ إنْ ذو لُوثَةٍ لانا

لو كنت من مازن لنصرني ناس خشِنون وقت الحفيظة، والحفيظة هي الغضب للشرف، في الوقت الذي يلين فيه ذو اللُّوثة، أي الضعيف

قومٌ إذا الشرُّ أبْدى ناجِذَيْهِ لَهُمْ   طاروا إليهِ زَرَافاتٍ وَوُحْدانا

إذا الشر استطار وكان كالسبع المكشر عن ناجذيه، عن أسنانه القصوى في جانبي فمه، فهم يسرعون إليه زَرافات، جماعات، ووُحداناً، فُرادى

لا يَسألونَ أخاهمْ حينَ يندُبُهُمْ   في النائباتِ على ما قالَ بُرهانا

لا يطلبون من ابن قبيلتهم حين يندبهم، يستنجدهم، في المصيبات برهاناً على قوله إنه تعرض للأذى، بل هم ينجدونه فوراً

لكنَّ قومي وإنْ كانوا ذَوي عَدَدٍ   ليسوا مِنَ الشَّرِّ في شيءٍ وإنْ هانا

قومي كثر، لكنهم ليسوا شرَّانيِّين أبداً. والشراني ـ وهذه من عامية بلدي فلسطين ـ هو الذي يدفع الشر بالشر

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أهلِ الظلمِ مَغْفِرَةً   ومِنْ إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحسانا

يغفرون للظالم، ويكافئون المسيء بإحسان

كأنَّ ربَّكَ لمْ يخلُقْ لخَشْيَتِهِ   سواهُمُ في جميعِ الناسِ إنسانا

يا ليتَ لي بِهِمُ قوماً إذا رَكِبوا   شَنُّوا الإغارةَ فُرساناً ورُكبانا

ليت لي بهم، أي بديلاً عنهم، قوماً يركبون ويشنون الهجمات لدفع الإغارة فرساناً على الخيل، وركباناً يركبون الإبل

٢ بعض الحلم إذعان

الفِنْدُ الزِّمّاني، جاهلي قديم:

صَفَحْنا عَنْ بَني ذُهْلٍ   وقلنا: القومُ إخوانُ

عســى الأيـامُ أنْ يَـرْجِـعْـ ـنَ قـوْمـاً كـالَّـذي كـانـوا

ربما تَرجع، أي تُعيد، الأيام بني ذهل لسيرتهم الحميدة الأولى

فـلـمَّـا صَـرَّحَ الـشـرُّ فـأمْـسـى وهْـوَ عُـرْيـانُ

بعد أن صفحنا عنهم أملاً في اصطلاح حالهم، صرَّح الشر، أصبح واضحاً، وعرياناً، أي عادوْنا عداءً مكشوفاً

ولـمْ يـبـقَ سـوى الـعُـدْوا نِ، دِنَّـاهُـمْ كـمـا دَانـوا

وعندما لم يبق في المسألة سوى العدوان، فعندئذ دناهم كما دانوا، جزيناهم بمثل عملهم

مَـشَـيْـنـا مِـشْـيـةَ الـلـيـثِ غـدا والـلـيـثُ غَـضـبـانُ

بِـضَـرْبٍ فـيـهِ تَـفْـجـيـعٌ وتـخـضـيـعٌ وإقْـرانُ

ضربناهم ضرباً فجعهم بقتلاهم وأخضعهم وعرضهم للإقران، وأحسبها الأسر وربط الأسرى بالقَرْن، أي الحبل المفتول. ولم أر ما رآه التبريزي ولا المرزوقي في هذه الكلمة فقد فسراها بتفسيرات حائرة

وطَـعْـنٍ كَـفَـمِ الـزِّقّ غَـذَا، والـزِّقُّ مَـلآنُ

واجهناهم بطعن يكون موضع الطعنة فيه كفم الزق أي القربة الجلدية غذا، أي سال، وهو ملآن. كأنك طعنت قربة ممتلئة بخمر فسال

وبـعـضُ الـحِـلْـمِ عـنـدَ الـجـهْـ ـلِ لِـلـذِلَّـةِ إذعـانُ

أحياناً يكون الحلم، التعقل، عند استفحال الجهل، التهور، إذعاناً وخضوعاً

فـلِـلـشَّـرِّ نـجـاةٌ حـيـ ـنَ لا يُـنْـجِـيـكَ إحـسـانُ

ومواجهة الشر بالشر تنجي المرء في وقت لا ينفع فيه التراضي بالحسنى

٣ لهم صدر سيفي

جعفر بن عُلْبَةَ الحارثي، وعاش في عصر بني أمية:

إذا مـا ابْـتَـدَرْنـا مأزِقاً فَرَجَتْ لـنـا بـأَيْـمانِنا بِيضٌ جَلَتْها الصَّياقِلُ

إذا ابتدرنا واستبقنا الأعداء إلى مأزق، أي مضيق في جبل، فإن السيوف البيض التي جلاها الصياقل، صانعو السيوف، ونحملها بأيدينا تفتح لنا الطريق

لَهُمْ صَدْرُ سيفي يومَ «بَطْحاءِ سَحْبَلٍ» ولي مِنْهُ ما ضُمَّتْ عليهِ الأَنامِلُ

في معركة بطحاء سحبل كان للأعداء صدر سيفي، وكان لي منه مقبضه الذي ضممت عليه أصابعي

٤ السجين

وقال جعفر بن عُلْبَة أيضا:

هَوايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ، وجُثْماني بمكةَ مُوثَقُ

قلبي جنيب، أي مرافق، للراكبين اليمانيين، ولكن جسمي مقيد سجين في مكة

عجبتُ لِمَسْراها وأنّى تخلَّصَتْ إليَّ وبابُ السِّجْنِ دونِيَ مُغْلَقُ

عجبت لمسراها، سيرها ليلاً، وكيف تخلصت من الحرس وجاءتني، رغم أن باب السجن مغلق علي.. ذلك أن الذي زاره خيالها

أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ، ثُمَّ قامَتْ فودَّعَتْ فلمَّا تولتْ كادتِ النفسُ تَزْهَقُ

تزهق: تهلك

فلا تحسَبِي أنِّي تَخَشَّعْتُ بَعدَكُمْ لِشَيءٍ، ولا أنِّي مِنَ الموتِ أَفْرَقُ

تخشعت: ذللت وخضعت. أفرق: أخاف

ولا أنَّ نفسي يَزْدَهِيها وَعِيدُهُمْ ولا أنَّني بالمَشْيِ في القَيدِ أَخْرَقُ

ولا يزدهي نفسي وعيدهم، لا يخيفني تهديدهم، ولا أمشي والقيود في رجلي مشي الأحمق المرتبك

ولكنْ، عَرَتْني مِنْ هواكِ صَبابةٌ كما كنتُ ألقَى منكِ إذْ أنا مُطْلَقُ

لكن، عرتني من هواك صبابة، جاءتني هزة شعور من حبي إياك،
مثلما كانت تعتريني وأنا حر طليق

٥ نازلٌ كي أنازل

ربيعةُ بنُ مَقْرومٍ الضبِّيّ، وهو شاعر مخضرم:

ولقدْ شهِدْتُ الخيلَ يومَ طِرادِها بسَليمِ أَوْظِفَةِ القوائمِ هَيْكَلِ

رأيت الخيل وبعضها يطارد بعضاً وأنا أركب حصاناً هيكلاً، كبيراً، وقوائمه متينة لا عوج فيها، والأوظفة قصبات سيقان الحصان

فَدَعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوَّلَ نازلٍ وعلامَ أركبُهُ إذا لمْ أنزِلِ؟

قالوا نزالِ، أي من ينزل للمبارزة؟ فكنت أول نازل، وما قد ركبت الحصان إلا كي أنزل عنه للمبارزة والمنازلة. «المنازلة» و«النزال» مشتقان من النزول عن ظهر الحصان للمضاربة بالسيوف

وألَـدَّ ذي حَـنَـقٍ عـلـيَّ كـأنَّـمـا ... تـغـلـي عَـداوةُ صـدرِهِ فـي مِـرْجَـلِ

رب رجل ألد، عدو لدود، غاضب لشدة عداوته لي، وكأن العداوة في صدره تغلي كما يغلي الماء في المرجل، أي القدر

أَزْجَـيـتُـهُ عَـنِّـي، فـأبـصَـرَ قـصـدَهُ ... وكَـوَيْـتُـهُ فـوقَ الـنـواظِـرِ مِـنْ عَـلِ

أزجيته، أبعدته، عني فعرف قصده، أي رددته إلى رشده، وكويته فوق عينيه، أي في جبينه.. ووصمته بالجبن، عندما هرب مني وكانوا يكوون الناقة بعلامة ليُعرف صاحبها

٦ منتهى التهور

قال سعدُ بن نَاشِبٍ، وهو شاعر إسلامي جنى جِناية فهَدم والي البصرة دارَه:

سأغسِلُ عني العارَ بالسَّيْفِ جالِباً ... علـيَّ قـضـاءُ الـلَّـهِ مـا كـانَ جـالِـبـا

سأغسل عاري بالسيف وليجلب قضاءُ الله عليَّ ما يجلب من عقوبة

وأَذْهَـلُ عـنْ داري وأَجْـعَـلُ هَـدمَـهـا ... لِعِرْضِيَ مِنْ بَاقي المَذَمَّةِ حَاجِبا

وإنني لأذهل عن داري، أنسى أمرها، وليكن هدمها فداء لعرضي وحاجباً دونه من الذم

ويَصْغُرُ في عَيني تِلادي إذا انثَنَتْ ... يـمـيـنـي بإِدراكِ الـذي كـنـتُ طـالِـبـا

ويصغر في نظري تلادي، مالي الموروث، إذا ثنيت أصابع يدي اليمنى ممسكاً بما كنت أبتغي ومحققاً هدفي

فإنْ تَـهْـدِمُـوا بـالـغَـدْرِ داري فإنَّـهـا ... تُـراثُ كَـريـمٍ لا يُـبـالـي الـعَـواقِـبـا

العواقب: النتائج

أَخو غَـمَـراتٍ لا يُـريـدُ عـلـى الـذي ... يَـهُـمُّ بِـهِ مِـنْ مُـفْـظِـعِ الأَمْـرِ صـاحِـبـا

هذا الذي هدمتم داره أخو غمرات، مدمن على الشدائد، لا يبالي أن يكون وحده بلا صاحب في تحقيق ما ينويه من مفظع الأمر، أي الأمر الصعب

إذا هَـمَّ لَـمْ تُـرْدَعْ عـزيـمـةُ هَـمِّـهِ ... ولَـمْ يـأتِ مـا يَـأتـي مِـنَ الأمـرِ هـائِـبـا

إذا نوى لم يكن لعزيمته من رادع، ولا يفعل ما يفعل وهو متهيب خائف

فَـيَـا لَـرِزَامٍ رَشِّـحُـوا بِـيَ مُـقْـدِمـاً ... على الموتِ خَوَّاضاً إليهِ الكَتائِبا

يا بني رزام رشحوني لكي أكون مقدِماً على الموت أخوض إليه الكتائب غير هياب. ورشحوني هنا بالمعنى المستحدث، وقد خاض المفسرون القدماء في أنها تعني التربية والتأهيل، ولهم في البيت أقوال كثيرة حميناكها

إذا هَـمَّ ألـقَـى بـيـنَ عـيْـنَـيْـهِ عَـزْمَـهُ ... ونَـكَّـبَ عَـنْ ذِكْـرِ الـعـواقـبِ جَـانِـبـا

يجعل هدفه نصب عينيه، ويبتعد عن ذكر النتائج.. هكذا المتهور، وبين التهور والشجاعة إصبع

ولـمْ يَسْتَشِرْ في رأيِهِ غيرَ نفسِهِ ولـمْ يَرْضَ إلَّا قائمَ السَّيفِ صاحِبا

ولا يستشير أحداً، ولا يرضى صاحباً سوى مقبض سيفه

٧ يشجع نفسه

قال قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءَة المازِنيُّ، زعيمُ الخوارج، يخاطِبُ نفسَه:

أقـولُ لَـهـا وقـدْ طَـارتْ شَـعَـاعـاً، مِـنَ الأبـطـالِ وَيْـحَـكِ لا تُـراعِـي

أقول لنفسي وقد طارت متفرقةً، ويحك يا نفسي لا تراعي، لا تخافي، من الأبطال

فـإنَّـكِ لـوْ سـألـتِ بـقـاءَ يـوم على الأجلِ الذي لكِ لنْ تُطَاعي

فَصَبْراً في مجالِ الموتِ صَبراً فـمـا نَـيْـلُ الـخـلـودِ بـمُـسْـتَـطـاعِ

الخلود في الدنيا مستحيل، فالموت على هذا أمر هين، فاصبري يا نفسي

ولا ثـوبُ الـبـقـاءِ بِـثـوبِ عِـزٍّ فَيُطْوَى عَنْ أخِي الخَنَعِ اليَرَاعِ

وثوب البقاء على قيد الحياة ليس ثوب عز، لذا لا تراه مطوياً عن أخي الخنع، حليف الذلة، اليراع، أي الجبان. بل الذليل يلبس ثوب العيش لأنه ليس بثوب عز

سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍّ وداعِـيـهِ لأهـلِ الأرضِ داعِ

المنادي بالموت ينادي كل أهل الأرض فهذا مصيرهم جميعاً

ومَـنْ لا يُـعْـتَـبَـطْ يَـهْـرَمْ ويَـسْـأمْ وتُـسْـلِـمْـهُ الـمَـنُـونُ إلى انْـقِـطـاعِ

من لم يعتبط، يمت شاباً، فمصيره الهرم والسأم، ثم بعد ذلك تقطع المنون، الموت، عمره

ومـا لِـلْـمَـرءِ خـيـرٌ فـي حَـيـاةٍ إذا مـا عُـدَّ مِـنْ سَـقَـطِ الـمَـتـاعِ

سقط المتاع: التالف من الأثاث

٨ مَنْ فارسٌ؟

ويُنسَبُ إلى بَشامَةَ بنِ حَزْنٍ النَّهْشَلِي قولُه:

إنـا مُـحَـيُّوكِ يـا سَـلْـمى فَـحـيِّـيـنـا وإن سَقيتِ كِرامَ الناسِ فاسْقِينا

وإن دَعـوْتِ إلـى جُـلَّـى ومَـكْـرُمَـةٍ يـومـاً سَراةَ كـرامِ الـنـاسِ فـادْعِـيـنـا

الجلى: العمل الجليل، سراة الناس: سادتهم

إنَّـا بَـنـي نَـهْـشَـلٍ لا نَـدَّعـي لِأَبٍ عـنـهُ، ولا هُـوَ بِـالأبـنـاءِ يَـشْـرِيـنـا

نحن لا نرضى بأب سوى أبينا، ولا هو يرضى بسوانا أبناءً

إن تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يوماً لِمَكْرُمةٍ تَلْقَ السَّوابِقَ مِنَّا والمُصَلِّينا

إن يستبق الناس إلى بذل المعروف، فالسوابق والمصلون منا، والسابق هو الحصان الذي يأتي أولاً والمصلي الذي يأتي ثانياً

وليس يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَداً إلَّا افْتَلَيْنا غُلاماً سيِّداً فينا

لا يموت سيد منا إلا افتلينا، أي فطمنا، غلاماً ليصبح سيداً بدلاً منه

إنَّا لَنُرْخِصُ يومَ الرَّوْعِ أنفُسَنا ولو نُسامُ بِها في الأمنِ أُغْلِينا

يوم الروع، أي الحرب، نبذل أنفسنا رخيصة، ولو نسام، نقايَض، بأنفسنا في السلم أغلينا، أي كنا ذوي ثمن غال

إنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أوائِلَهُمْ قِيلُ الكُماةِ: ألا أين المُحَامُونا؟

أفنى أوائلَنا، آباءَنا وأجدادَنا، مناداةُ الكماة، أي المسلحين: أين من يحمي الشرف؟ . . فإذ نسمع النداء نهب للمحاماة ونموت دون الشرف الرفيع

لو كان في الألْفِ مِنَّا واحِدٌ فَدَعَوْا: «مَنْ فَارِسٌ»؟ خَالَهُمْ إيَّاه يَعنُونا

لو كان رجل من عشيرتنا وسط ألف من الناس الآخرين فانطلق النداء: من فارس؟ لظنهم يعنونه

إذا الكُماةُ تَنَحَّوْا أن يُصيبَهُمُ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاها بِأَيْدِينا

إذا تنحى المسلحون حتى لا يصيبهم حد الظبات، جمع ظُبَةٍ وهي حد السيف، فإننا نمد السيوف ونطيلها بأيدينا لتصل إلى العدو

ولا تَراهُمْ، وإنْ جَلَّتْ مُصيبَتُهُمْ، مع البُكاةِ على مَنْ مات يَبكُونا

ونَرْكَبُ الكُرْهَ أحياناً فَيَفْرِجُهُ عنَّا الحِفَاظُ وأَسيافٌ تُوَاتِينا

نركب الكره، نقدم على القتال الصعب المكروه، فيفرجه ويبدده عنا الحفاظ، أي الغضب للشرف، والسيوف المهيأة للقتال

٩ إن الكرام قليل

قصيدة السَّمَوْأَل بنُ عَادِياء، ويقال: إنها لعَبدِ المَلِك بنِ عبد الرحيم الحارثي (ورجَّح هذا بروكلمان وشايعه فروخ):

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرضُه فكُلُّ رِداءٍ يرتديهِ جَميلُ

المهم ألا يتسخ شرف الإنسان، وبعد ذلك فكل ما يرتديه من لباس جميل

وإنْ هُوَ لم يحمِلْ على النفسِ ضَيْمَها فليس إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ

إذا لم يكن المرء حَسَن التحمل للضيم، المكاره والمصائب، فلن ينال السمعة الحسنة

تُعَيِّرُنا أنَّا قليلٌ عَديدُنا   فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ

هذه العاذلة تعيرنا بقلة العدد، ولكن الكرام ليسوا كثراً، ونحن كرام

ومَا قَلَّ مَنْ كانتْ بَقايَاهُ مِثْلَنا   شبابٌ تَسامَى لِلْعُلى وكُهولُ

ومن كانت بقاياه، أي قومه الباقون بخلاف الأجداد الراحلين، مثلنا فهو ليس قليل العدد، فبقايانا هم شباب وكهول يتسامون، يرفعون أبصارهم، نحو المجد

وما ضَرَّنا أنَّا قليلٌ، وجَارُنا   عزيزٌ، وجَارُ الأكثرِينَ ذَليلُ

لا تضرنا قلة عددنا، ذلك أن جارنا، أي من يستجير بنا، قوي لأننا نجيره وننصره، بينما من يستجير بالقبيلة الكثيرة العدد ذليل

لنا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجيرُهُ   مَنيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهْوَ كَليلُ

لنا جبل يأوي إليه من يلتحق بنا طالباً النصرة، وهو منيع عال يرتد عنه البصر كليلاً متعباً

رَسَا أَصلُهُ تحتَ الثَّرَى، وسَمَا بِهِ   إلى النَّجْمِ فَرْعٌ لا يُرامُ طويلُ

أصل جبلنا راسٍ راسخٌ تحت التراب، ورفع هذا الجبل إلى النجم فرع طويل لا يرام، أي قمة عالية لا تُطال

هُوَ «الأَبْلَقُ» الفَرْدُ الذي سارَ ذِكرُهُ   يَعِزُّ على مَنْ كَادَهُ ويَطولُ

وفوق الجبل حصننا الفرد المشهور، الأبلق، وهو يعز، يمتنع، على من كاده، أراده بشر

وإنَّا لَقَوْمٌ ما نَرَى القتلَ سُبَّةً   إذا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وسَلُولُ

نحن لا نعتبر الموت قتلاً في الحرب سبة، مذمة، في حين ترى ذلك قبيلتا عامر وسلول

يُقَرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لَنا   وتَكْرَهُهُ آجالُهُمْ فَتَطُول

فحب الموت يقرب منا الموت، وأما أعمار أولئك فتطول لفرارهم من المواجهة

ومَا ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ في فِراشِهِ   ولا طُلَّ مِنَّا حيثُ كانَ قَتيلُ

لا يموت السيد منا في فراشه، وكل من مات منا فنحن نأخذ بثأره، ولا يطل دمه، أي لا يذهب هدراً

تَسيلُ على حَدِّ الظُّبَاتِ نفوسُنا   وليستْ على غيرِ الظُّبَاتِ تَسيلُ

نفوسنا تسيل مثلما تسيل دماؤنا على الظبات، حد السيوف، ولا نموت غير هذه الميتة

صَفَوْنا فلم نَكْدُرْ، وأَخْلَصَ سِرَّنَا   إنَاثٌ أَطَابَتْ حمْلَنا وفُحُولُ

أنسابنا صافية لم يكدرها اختلاط، وقد أخلصت سرنا، أي حفظت أصلنا بحفظها للشرف، الإناث اللائي حملننا والذكور

عَلَوْنَا إلى خيرِ الظُّهورِ وحَطَّنَا لِوَقْتٍ إلى خيرِ البطونِ نُزُولُ

فنحن أشراف في ظهور آبائنا، وعندما آن الأوان نزلنا إلى بطون أمهاتنا

فنحنُ كَماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنا كَهَامٌ، ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ

نحن كماء السحاب صفاء وليس في نصابنا، أي حدنا، كهام، أي حد كليل غير قاطع، وليس فينا بخيل

ونُنْكِرُ إن شِئْنا على الناسِ قَوْلَهُمْ ولا يُنكِرُونَ القولَ حين نَقولُ

إذا سَيِّدٌ مِنَّا خَلا قامَ سَيِّدٌ قَؤُولٌ لِمَا قالَ الكِرامُ فَعُولُ

إذا مات منا سيد قام سيد ذو منطق سديد وفعل شديد

وما أُخْمِدَتْ نارٌ لنا دون طَارِقٍ ولا ذَمَّنا في النَّازِلِينَ نَزيلُ

ولا نخمد نارنا بل تظل موقدة حتى يراها الطارق، زائر الليل. ولا يذمنا من ينزل بنا لأننا نكرمه

وَأيّامُنا مَشهُورَةٌ في عَدُوِّنا لها غُرَرٌ معلومةٌ وَحُجُولُ

أيامنا، معاركنا، مشهورة، فهي كالخيل التي لها غرر، شعر أبيض على الرأس، وحجول، بياض في القوائم

وأسيافُنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ بِها مِنْ قِراعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ

وسيوفنا بها فلول، أي هي مثلَّمة غير قاطعة تشرذم حدها، من قراع، مضاربة، الدارعين أي لابسي الدروع

مُعَوَّدَةٌ أن لا تُسَلَّ نِصالُها فَتُغْمَدَ حتَّى يُسْتَباحَ قَبِيلُ

تعودت سيوفنا ألّا تسل ثم تعاد إلى أغمادها إلا بعد أن تستبيح قبيلة وتفتك بها

سَلِي إن جهِلْتِ الناسَ عنَّا وعنْهُمُ وليس سواءً عالِمٌ وجَهُولُ

فإنَّ بَني الديَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ تدورُ رَحاهُمْ حَوْلَهُمْ وتَجولُ

بنو الديان محور الرحى، وسائر العشائر من قومهم تدور حولهم وتتبعهم، مثلما يدور حجرا الطاحون حول المحور

١٠ أصبتُ ولم أُصَب

قَطَرِيُّ بن الفُجَاءة المازني أحد زعماء الخوارج:

لا يَرْكَنَنْ أحدٌ إلى الإحْجَامِ يومَ الوَغَى مُتَخَوِّفاً لِحِمَامِ

لا يفيد المرء الركون إلى التراجع في الوغى، أي الحرب، خائفاً من الحمام، أي الموت

فـلـقـد أرانِـيَ لِـلـرِّمـاحِ دَريـئَـةً   مِـنْ عـن يَـمـيـنـيَ مَـرَّةً وأمـامـي

فأنا مثلاً أرى نفسي دريئة، أي عرضةً، للرماح من كل جهة

حتى خَضَبْتُ بِما تَحَدَّرَ مِنْ دَمي   أَكنافَ سَرجِي أوْ عِنانَ لِجَامي

ونزل دمي وتلوثت به أكناف سرجي، أي أطرافه، وعنان حصاني، أي المقود المربوط بلجامه، بتلك الحديدة في فمه

ثم انصَرَفْتُ وقد أَصبْتُ ولم أُصَبْ   جَـذَعَ الـبَـصـيـرةِ قَـارِحَ الإقْـدَامِ

ومع ذلك، انصرفت من المعركة وقد أصبت العدو ولم أصب بأذى مميت، وانصرفت وأنا جذع البصيرة، أفكاري جديدة.. فالجذع من الخيل الذي بلغ سنتين، وقارح الإقدام، قديم الشجاعة.. والقارح من الخيل من بلغ أقصى السن. وكان قطري قد اعتنق فكر الخوارج متأخراً فلذا قال إن بصيرته جذعة جديدة

١١ حمي الحديد عليهم

الأَشْتَر النَّخَعِيّ:

بَقَّيْتُ وَفْرِي، وانْحَرَفْتُ عنِ العُلا   ولَقِيتُ أَضْيافي بِوَجْهِ عَبوسِ..

يدعو على نفسه مشترطاً: فلأكن بخيلاً أبقي وفري وأحتفظ بمالي، ولأبتعد عن المجد، ولألقَ ضيوفي بوجه رجل عابس..

إنْ لـم أَشُنَّ عـلـى ابنِ حَرْبٍ غَـارةً   لـم تَـخْـلُ يـومـاً مِـنْ ذَهـابِ نُـفـوسِ

.. هذا إن لم أشن غارة على ابن حرب، معاوية بن أبي سفيان بن حرب، لا تخلو من قتل. وكان الأشتر مع علي بن أبي طالب ضد معاوية

خَـيْـلاً كـأَمْـثـالِ الـسَّـعَـالـي شُـزَّبـاً   تَـعـدُو بِـبِـيـضٍ فـي الـكَـريـهَـةِ شُـوسِ

سأقود خيلاً تشبه السعالي، الجنيَّات، شزباً، ضامرة، تجري وعلى متونها رجال بيض كرام، شوس في الكريهة، غاضبون عابسون في الحرب

حَـمِـيَ الـحـديـدُ عـلـيْـهِـمُ، فـكـأَنَّـهُ   وَمَـضَـانُ بَـرْقٍ أو شُـعَـاعُ شُـمـوسِ

سخن حديد الدروع على المحاربين، وهو يلمع تحت الشمس كأنه البرق يومض أو شعاع الشمس

١٢ لو أنطقتني رماحهم نطقتُ

عمْروُ بنُ مَعْدِيكَرِب الزُّبَيْدِيّ الشاعر المخضرم:

ولَـمَّـا رأيـتُ الـخـيـلَ زُوراً كـأنـهـا   جَـداوِلُ زَرْعٍ أُرْسِـلَـتْ فَـاسْـبَـطَـرَّتِ

لما رأيت الخيل زوراً، منحرفة مزورَّةً، كأنها جداول الماء المتلوية بين الحقول، وقد أرسلت هذه الخيل لتجري واسبطرت، أي امتدَّت

وجَاشَتْ إِلَيَّ النفسُ أوَّلَ وَهْلَةٍ   ورُدَّتْ على مَكْرُوهِها فاستَقَرَّتِ

جاشت نفسي، أي اضطربت، لأول وهلة ولكنني رددتها وأجبرتها على ما كرهته فاستقرت

عَلامَ تقولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي   إذا أنا لم أَطْعَنْ إذا الخيلُ كَرَّتِ

المعنى الملموح: إذا لم أطعن الأعداء بالرمح عندما تكر الخيل وتهجم فلا عذر لي في أن يكون الرمح ثقيلاً فوق كتفي

لَحَا اللَّهُ جَرْماً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ   وُجُوهَ كِلابٍ هَارَشَتْ فَازْبَأَرَّتِ

لعن الله قبيلة جرم كلما ذر شارق، كلما بزغت الشمس، فوجوههم كوجوه كلاب هارشت كلاباً أخرى، وواثبتها، فازبأرت، أي تهيأت للعراك

ظَلِلْتُ كأنِّي للرِّمَاحِ دَرِيئَةٌ   أُقَاتِلُ عن أبناءِ جَرْمٍ وفَرَّتِ

ظللت عرضة للرماح، والدريئة شبه درع توضع للتدرب على الطعن، وأنا أقاتل دفاعاً عن قبيلة جرم بينما هي فرت من القتال

فَلَوْ أنَّ قَومي أَنْطَقَتْني رِماحُهُمْ   نَطَقْتُ ولكنَّ الرماحَ أَجَرَّتِ

لو أن رماح قومي عملت في المعركة لنطقتُ أنا بمدحهم، ولكن رماحهم أجرَّت لساني، أي وضعتْ عوداً في لساني فلم ينطق، والإجرار شق لسان الفصيل ووضع عود فيه حتى لا يرضع من أمه الناقة

١٣ إن الجمال معادن

عمرو بن معْدِيكَرِب:

ليس الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ   فاعلمْ، وإن رُدِّيتَ بُرْدَا

الجمال ليس أن تلبس مئزراً، أي ثوباً لما دون الخصر، ولا أن ترتدي فوقه برداً، ثوباً آخر كاسياً

إنَّ الجَمَالَ مَعَادِنٌ   ومَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدا

الجمال في المعدن الأصيل، وفي المناقب، أي الأعمال الشريفة، التي تورثك المجد

أَعدَدْتُ لِلحَدَثَانِ سَابِغَةً   وعَدَّاءً عَلَنْدَى

أعددتُ لحوادث الدهر درعاً سابغة طويلة، وفرساً سريعاً علندى، غليظاً شديداً

نَهْداً، وذَا شُطَبٍ يَقُدُّ   البِيضَ والأَبْدانَ قَدَّا

والفرس نهد، أي عالٍ، وأعددت سيفاً ذا حزوز يقطع البيض، أي الخُوَذ، والأجسام

وعَلِمْتُ أَنِّي يومَذَا   كَ مُنَازِلٌ كَعْباً ونَهْدَا

قد عرفت أني سأقاتل هاتين القبيلتين

قَـوْمٌ إذا لَـبِـسُـوا الـحـديـــ ـدَ تَـنَـمَّـرُوا حَـلَـقَـاً وقِـدَّا

قوم إذا لبسوا الدروع تنمروا، أصبحوا شرسين؛ هم هكذا بدروعهم المنسوجة من حلقات الحديد، ومن القِدّ، أي الدروع المتخذة من الجلود السميكة

كُـلُّ امْـرِئٍ يَـجْـري إلـى يـومِ الـهِـيـاجِ بِـمَـا اسْـتَـعَـدَّا

يوم الهياج: المعركة

لَـمَّـا رأيـتُ نِـسـاءَنـا يَـفْـحَـصْـنَ بِـالْـمَـعْـزَاءِ شَـدَّا

لما رأيت نساء قومي يفحصن، يطأن، بأقدامهن المعزاء، الحصى، ويركضن مسرعات

وبَـدَتْ لَـمِـيسُ كـأنَّـهـا بَـدْرُ الـسَّـمـاءِ إذا تَـبَـدَّا

وبرزت لميس كالبدر إذ يبدو في السماء

وبَـدَتْ مَـحـاسِـنُـهـا الـتـي تَـخْـفَـى، وكـانَ الأمـرُ جِـدَّا

وبرزت، في موقف الخوف والفرار، مفاتنها التي كانت خافية. وكانوا في معاركهم يصطحبون نساءهم خلف الجيش

نَـازَلْـتُ كَـبْـشَـهُـمُ، ولـم أَرَ مِـنْ نِـزالِ الـكَـبْـشِ بُـدَّا

عندئذ نازلت كبش الأعداء، بطلهم، ولم يكن لي بد من ذلك

هُـمْ يَـنـذِرُونَ دَمـي وأَنْـ ـذِرُ إن لَـقِـيـتُ بِـأَنْ أَشُـدَّا

الأعداء ينذرون دمي، يهددون بقتلي، وأنا أتوعدهم بقتال شديد

كـم مِـنْ أَخٍ لِـيَ صَـالِـحٍ بَـوَّأْتُـهُ بِـيَـدَيَّ لَـحْـدا

ما أكثر ما بوأت، وضعت في، أخاً صالحاً قبره بيدي

مـا إنْ جَـزِعْـتُ ولا هَـلِـعْـ ـتُ، ولا يَـرُدُّ بُـكَـايَ زَنْـدَا

لا أضطرب لموت صحبي، ولو اضطربت وبكيت فإن بكائي لا يرد زنداً، أي شيئاً تافهاً، فكيف يرد عليَّ من قد مات؟

أَلْـبَـسْـتُـهُ أثْـوَابَـهُ وخُـلِـقْـتُ يـومَ خُـلِـقْـتُ جَـلْـدَا

كفنت صاحبي، فأنا جلد، متماسك شديد منذ خلقت

أُغْـنـي غَـنـاءَ الـذَّاهِـبِـيـ ـنَ، أُعَـدُّ لِـلأَعْـدَاءِ عَـدَّا

بموت صحبي فإنني أغني عن فقدهم، وأنا أعَدُّ بإزاء الأعداء برجال كثيرين، أي هو كألف رجل

ذَهَـبَ الـذيـن أُحِـبُّـهُـمْ وبَـقِـيتُ مـثـلَ الـسـيـفِ فَـرْدَا

فالسيف في غمده منفرد وحيد

١٤ طعنة الثائر

قيسُ بنُ الخَطيِمِ مِنَ الأَوْسِ وهو مُخضْرَم، ولم يسلم:

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القيسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَـهـا نَـفَـذٌ لـولا الـشَّـعَـاعُ أَضَـاءَهـا

طعنته طعنة ثائر، آخذ بالثأر، والطعنة لها نفذ، فتحة نافذة من الجهة الأخرى، ولولا الشعاع، أي الدم المنتشر، لرأيت ضوءاً من خلال هذا الثقب

مَلَكْتُ بِها كَفِّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَها يَـرَى قَـائِـمٌ مِـنْ دونِـهـا مَـا وَراءَهـا

تمكن كفي من الرمح فأنهرت فتق الطعنة، وسعته، وغدا الواقف أمام الطعنة يرى ما وراءها لأنها قد اخترقت الجسم

وكـنـتُ امْـرَأً لا أَسْـمَـعُ الـدهـرَ سُبَّـةً أُسَـبُّ بِـهـا إِلَّا كَـشَـفْـتُ غِـطـاءَهـا

وكنت لا أُذَمُّ إلا غسلت العار وحررت شرفي من المذمة

فَإِنِّيَ في الحربِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِـإِقْـدامِ نَـفْـسٍ مَـا أُريـدُ بَـقَـاءَهـا

أنا في الحرب الشديدة كفيل بأن أكون مقداماً لا يحرص على بقاء نفسه، فيرمي نفسه على الموت

إذا ما اصْطَبَحْتُ أَرْبَعاً خَطَّ مِئْزَري وأَتْبَعْتُ دَلْوِي في السَّماحِ رِشَاءَها

إذا اصطبحت أربعاً، شربت أربع كؤوس في الصباح، جررت ثوبي فصنع خطاً على الأرض، وسخوت وبذلت مالي، والسماح هو السماح بالمال.. فكأنني بهذا السخاء الزائد كمن أدلى دلوه في البئر وبالغ فألحق بالدلو الرشاء، أي الحبل

مَتَى يَأْتِ هذا الموتُ لا تَبْقَ حَاجَةٌ لِـنـفْـسِيَ إِلَّا قـد قَـضـيـتُ قَـضـاءَهـا

أبادر بتحقيق مرادي فلا يأتي الموت إلا وقد حققت ما أريد

ثَأَرْتُ عَدِيًّاً والـخَـطـيـمَ فـلـم أُضِـعْ وِلايَـةَ أَشْـيَـاخٍ جُـعِـلْـتُ إِزاءَهـا

أخذت ثأري لجدي عدي، ولأبي الخطيم، ولم أُضعْ ما توليته بحق آبائي، أي هذه الولاية التي أنيطت بي

١٥ اعتذار للفرار

الحارث بن هشام المخزومي، أخو أبي جهل، وهو مخضرم (قالها وقد فرّ يوم بدر وكان مع قريش):

اللهُ يَـعْـلَـمُ مـا تَـرَكْـتُ قِـتَـالَـهُـمْ حـتـى عَـلَـوْا فَـرسـي بِـأَشْـقَـرَ مُـزْبِـدِ

ما فررت من المعركة إلا بعد أن جعلوا على فرسي دماً. كذا فسرها المرزوقي والتبريزي

ووجَدْتُ ريحَ الموتِ مِنْ تِلقائِهِمْ   في مَأزِقٍ، والخيلُ لم تَتَبَدَّدِ

ووجدت رائحة الموت من جهتهم وأنا في مأزق والخيل متراصة لم تتفرق

وعلمتُ أنِّي إن أُقاتِلْ وَاحداً   أُقْتَلْ، ولا يَضْرُرْ عَدُوِّيَ مَشْهَدي

وعلمت أني سأقتل إن بقيت مفرداً، ولن أستطيع إلحاق أذى بالعدو

فَصَدَدْتُ عنهُمْ والأَحِبَّةُ فيهِمُ   طَمَعاً لَهُمْ بِعِقابِ يوم مُرْصِدِ

فتراجعت عنهم وقد بقي لديهم أحبتي ممن قتلوا، وقد قتل في بدر أبو جهل وهو أخو الشاعر، وطمعت بأن تكون لنا جولة أخرى

١٦ تأخرت ثم تقدمت

الحُصَينُ بنُ الحُمَامِ المُرِّيّ، الشاعر الجاهلي:

تأَخَّرْتُ أَستَبْقِي الحياةَ فلم أَجِدْ   لِنَفسِي حَياةً مثلَ أن أَتقَدَّما

تأخرت عن المعركة كي أحفظ حياتي، فوجدت الحياة الشريفة في التقدم والقتال

فلسْنا على الأَعقَابِ تَدْمَى كُلُومُنا   ولكنْ، على أَقْدامِنا تَقْطُرُ الدِّمَا

نحن لا تدمى كلومنا، أي تنزف دماً جراحنا، على الأعقاب، على مؤخر القدم، بل تقطر الدماء على أمشاط أقدامنا من الأمام ونحن نواجه العدو

نُفَلِّقُ هَاماً مِنْ رِجالٍ أَعِزَّةٍ   علينا، وهُمْ كانوا أَعَقَّ وأَظْلَمَا

نفلق رؤوس الأعداء وهم عزيزون على قلوبنا، ولكنهم تميزوا بالعقوق والظلم

فلستُ بِمُبْتاعِ الحياةِ بِسُبَّةٍ   ولا مُبْتَغٍ مِنْ رَهبةِ الموتِ سُلَّما

لا أريد الحياة ومعها مذمة الجبن، ولا أبتغي سلماً أصعد فيه هرباً من الموت

١٧ ونقتلكم كأنا لا نبالي

رجل من بني عُقَيْل، وحارَبَهُ بنو عمه فقتَل منهم:

بِكُرْهِ سَراتِنا يَا آلَ عَمْرٍو   نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ

يا آل عمرو، نغاديكم، أي نصبّحكم بالسيوف المرهفة الحادة والمصقولة، وسراتنا، أي سادتنا، لذلك كارهون

نُعَدِّيهِنَّ يومَ الرَّوْعِ عنْكُمْ   وإن كانَتْ مُثَلَّمَةَ النِّصَالِ

نبعد سيوفنا يوم المعركة عنكم، وإن كانت نصالها قد تثلمت من قتالكم، فنحن لا نريد استئصالكم

لـهـا لَـوْنٌ مِـنَ الـهـامَـاتِ كَـابٍ   وإن كـانَـتْ تُـحَـادَثُ بِـالـصِّـقَـالِ

لسيوفنا لون كاب، داكن، من ضرب الهامات، أي الرؤوس، رغم أننا نجدد لها الصقل

ونَبكِي حين نقْتُلُكُمْ عليْكُمْ   ونـقـتُـلُـكُـمْ كـأنَّـا لا نُـبَـالـي

١٨ القاتل النادم

القتَّال الكِلابي، وهو شاعر إسلامي:

نَـشَـدْتُ زِيـاداً والـمَـقَـامَـةُ بـيـنَـنـا   وذَكَّـرْتُـهُ أَرْحَـامَ سِـعْـرٍ وهـيـثَـمِ

ناشدت زياداً والمقامة، أي المجلس، بيننا والناس شهود على كلامي، وذكَّرته بالقرابات في معشريْ سعر وهيثم

فـلـمَّـا رأيـتُ أنَّـهُ غـيـرُ مُـنْـتَـهٍ   أَمَـلْـتُ لـه كَـفِّـي بِـلَـدْنٍ مُـقَـوَّمِ

لما رأيته مستمراً على غيه لا ينتهي عنه مالت كفي عليه برمح مرن لكنه مستقيم مقوم مثقف

ولـمَّـا رأيـتُ أنـنـي قـد قـتـلـتُـهُ   نَـدِمْـتُ عـلـيـه أيَّ سـاعـةِ مَـنْـدَمِ

١٩ القاطع بنانه

قيس بن زهير العبسي الشاعر الجاهلي:

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ   وسيفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قد شَفَاني

شفيت نفسي بقتل هذين الرجلين. فحمل كان قتل أخا الشاعر، فقتله الشاعر وقتل أخاه حذيفة أيضاً

فـإنْ أَكُ قـد بَـرَدْتُ بِـهِـمْ غَـلـيـلـي   فـلـم أَقْـطَـعْ بِـهِـمْ إلَّا بَـنـانـي

فإن كان برد غليلي، حقدي، فإنني بقتلي الأقربين كأنما قطعت أصابعي

٢٠ سيصيبني سهمي

الحارث بن وَعْلَة الذُّهْلي وهو جاهلي:

قَـوْمـي هُـمُ قَـتَـلُـوا أُمَـيْـمَ أَخـي   فـإذا رَمَـيْـتُ يُـصـيـبُـنـي سَـهـمـي

فـلـئِـنْ عَـفَـوْتُ لأَعْـفُـوَنْ جَـلَـلاً   ولـئِـنْ سَـطَـوْتُ لأُوهِـنَـنْ عَـظْـمـي

لو عفوت فسأكون عفوت عن أمر جلل خطير؛ ولو سطوت، هجمت، وانتقمت فسوف أضعف عظمي لأنني إنما أنتقم من أقاربي

لا تَـأْمَـنَـنْ قَـومـاً ظَـلَـمْـتَـهُـمُ   وبَـدَأْتَـهُـمْ بـالـشَّـتْـمِ والـرَّغْـمِ

الرغم: الإذلال

٢١ بين الأخ والابن

أعرابي قتل أخوه ابناً له:

أقولُ للنفسِ تَأْسَاءً وتَعْزِيَةً ... إحدَى يَدَيَّ أصابَتْني ولم تُرِدِ

أواسي نفسي وأعزيها قائلاً إن إحدى يدي أصابت الأخرى عن غير تعمد، فلا حاجة للثأر

كِلاهُمَا خَلَفٌ منْ فَقْدِ صاحِبِه ... هَذا أخي حين أدعُوهُ وذَا وَلَدي

كل منهما يسد مسد الآخر: هذا أخي وذاك ولدي

٢٢ سكاب علق

قال رجل من بني تميم، وسماه محققا شرح المرزوقي عبيدة بن ربيعة، وطلب منه ملك من الملوك فرساً يقال لها سكابِ فمنعه إياها:

أَبَيْتَ اللعْنَ إنَّ «سَكَابِ» عِلْقٌ ... نَفيسٌ، لا تُعَارُ ولا تُبَاعُ

أيها الملك فرسي سكابِ علق، أي شيء نفيس، لا تعار ولا تباع

مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَةٌ علَيْنا ... يُجَاعُ لها العِيالُ ولا تُجَاعُ

نفديها بأنفسنا، ونكرمها ونجيع عيالنا لنطعمها

سَلِيلَةُ سَابِقَيْنِ تَناجَلاها ... إذا نُسِبَا يَضُمُّهُما الكُرَاعُ

هي سليلة فرس وحصان من السوابق السريعة، تناجلاها، فهي من أنجالهما، والأب والأم ينتسبان إلى الكراع، وهو حصان قديم مشهور

فلا تَطْمَعْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ فيها ... ومَنْعُكَها بِشَيءٍ يُسْتَطَاعُ

ومن الممكن تعويضك بشيء عنها

٢٣ اللبن أم الدم

فلو أن حَيّاً يَقْبَلُ المالَ فِدْيَةً ... لَسُقْنا لَهُمْ سَيْلاً مِنَ المالِ مُفْعَما

لو أن أولئك الحي، أي القوم، يقبل المال دية لقتلاه لسقنا مالاً مفعماً كثيراً، والمال تعني عندهم الإبل

ولكنْ أبَى قومٌ أُصيبَ أَخُوهُمُ ... رِضَا العَارِ فاخْتَارُوا على اللَّبَنِ الدَّمَا

ولكن أولئك القوم رفضوا الدية ولم يرضوا بالعار، واختاروا الدماء بدل لبن الإبل

٢٤ شعرك حول بيتك

عَنْتَرة بن الأخرس من طيِّء، وتروى للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهبٍ:

أَطِلْ حمْلَ الشَّناءَةِ لِي وبُغْضِي   وعِشْ ما شئتَ فانظرْ مَنْ تَضيرُ

ابق على كرهك لي حاملاً الشناءة، البغض، وعش ما شئت من العمر وانظر هل تستطيع أن تلحق بي الأذى

فَمَا بِيَدَيْكَ خيرٌ أَرْتَجِيهِ   وغيرُ صُدُودِكَ الخَطْبُ الكبيرُ

فليس في يدك خير أرجو نواله، وصدودك عني ليس بالمشكلة الكبيرة

ألم تَرَ أن شِعريَ سَارَ عَنِّي   وشِعْرُكَ حولَ بَيْتِكَ لا يَسيرُ

شعري مشهور يسير عني ويرحل بعيداً، وشعرك يظل حول بيتك لا ينتشر ولا يرويه الرواة

إذا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي   كأنَّ الشمسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

عندما تراني تعرض عني مثلما يعرض المرء ويحول وجهه عن الشمس لشدة وهجها

٢٥ لا نحبكم

الفضل بن العباس بن عُتْبة بن أبي لهب وقد عاصر الجريرين:

مَهلاً بني عمِّنا مَهلاً موالِينا   لا تَنْبِشُوا بينَنا ما كان مَدفُونا

موالينا: حلفاؤنا

مَهلاً بني عمِّنا عن نَحْتِ أَثْلَتِنا   سِيرُوا رُوَيْداً كما كنْتُمْ تَسيرونا

لا تنحتوا أثلتنا، والأثلة من الشجر ونحت الأثلة كناية عن الغيبة وتأريث الصدور، وسيروا سيرة حسنة كما كنتم تسيرون

لا تَطمَعُوا أن تُهينُونا ونُكْرِمَكُمْ   وأن نَكُفَّ الأذَى عنكُمْ وتُؤْذُونا

اللَّهُ يعلَمُ أنَّا لا نُحِبُّكُمُ   ولا نَلُومُكُمُ أنْ لا تُحِبُّونا

كلٌّ لهُ نِيَّةٌ في بُغْضِ صاحِبِهِ   بِنِعْمَةِ اللَّهِ نَقْلِيكُمْ وتَقْلُونَا

نقليكم: نكرهكم

٢٦ ملأت عليه الأرض

الطِّرِمَّاحُ بنُ حكيم الطائيّ، وهو شاعر أموي:

لقد زادَني حُبّاً لِنَفْسِيَ أنَّني   بَغيضٌ إلى كلِّ امْرِئٍ غيرِ طَائِلِ

أحببت نفسي أكثر لأنني بغيض، مكروه مُبْغَضٌ، من جانب كل شخص غير طائل، غير ذي فضل

وأنِّي شَقِيٌّ بالِّلئام ولا تَرى   شقيّاً بِهِمْ إلَّا كَريمُ الشَّمائِلِ

وأحببتها لأنني أجد شقاء وتعباً من اللئام، ولن تجد شخصاً يتعبه لئام الناس إلا وجدته كريم الشمائل، أي الخصال

إذا مَا رَآني قَطَّعَ الطَّرْفَ بينَه   وبَيْنِيَ، فِعْلَ العَارِفِ المُتَجَاهِلِ

هذا الشخص إذا رآني قطّع طرفه، أي صرف نظره عني مرة بعد مرة، كما يفعل من يعرف شخصاً لكنه يريد تجاهله

مَلأْتُ عليهِ الأرضَ حتَّى كأنَّها   مِنَ الضيقِ في عينيهِ كَفَّةُ حَابِلِ

لقد غمرته بشخصيتي وسمعتي فكأنهما ملآ الأرض عليه، فصارت الأرض ضيقة في عينيه كأنشوطة الصائد التي تضيق وتضيق عندما تمسك بالطريدة

أَكُلُّ امْرِئٍ أَلْفَى أَبَاهُ مُقَصِّراً   مُعَادٍ لِأَهْلِ المَكْرُمَاتِ الأَوائِلِ

هل كل شخص وجد نسبه ضئيلاً يعادي أهل المكارم الأولى، العريقة القديمة؟

إذا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ اضْطَنَى   ولا يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أهلِ الفَضائِلِ

إذا جاء ذكر مسعاة، فضل، والده ورأى أن والده لا يملك شرفاً اضطنى، تألم وشعر بالضنى، ولكنه لا يتألم من شتم أهل الفضل

وما مُنِعَتْ دارٌ ولا عَزَّ أهلُها   مِنَ الناسِ إلّا بِالقَنَا والقَنَابِلِ

ما حُميت دار قوم ولا أصبح أهلها أعزة كراماً إلا بالقنا، أي الرماح، والقنابل، جماعات الخيل

٢٧ دبلوماسية جاهلية

قال بعض بني قَقْعَس:

وذَوِي ضِبَابٍ مُظْهِرِينَ عَداوَةً   قَرْحَى القُلوبِ مُعَاوِدِي الأَفْنَادِ

ذوي ضباب، يحملون في صدورهم حيوان الضب. - أي أنهم حاقدون، ويظهرون العداوة، وقلوبهم قرحى، مجروحة حقداً، ويكررون الأفناد، الإساءات

نَاسَيْتُهُمْ بَغْضَاءَهُمْ وتَركتُهُمْ   وهُمُ إذا ذُكِرَ الصَّديقُ أَعَادِ

تظاهرت بنسيان عداوتهم، وتركتهم مع أنهم - إذا عددت الصديق، أي الأصدقاء - يكون تصنيفهم مع الأعداء

كَيْمَا أُعِدُّهُمُ لِأَبْعَدَ مِنهُمُ   ولقد يُجَاءُ إلى ذَوِي الأَحْقَادِ

وقد تركتهم ليكونوا عوناً لي على ما هو مقبل عليّ، فقد يأتيني عدو أشرس منهم، وعندئذ يجاء، يؤتى إلى الحاقدين لطلب النصرة على من هم أشد حقداً وشراسة

٢٨ أمان من القصاص

عُوَيْف القَوافي، وهو أموي:

الـلُّـؤْمُ أكـرمُ مِـنْ وَبْـرٍ ووالِـدِه والـلـؤمُ أكـرمُ مِـنْ وَبْـرٍ ومَـا وَلَـدَا

اللؤم نفسه أكرم من قبيلة وبر، ومن والدها، أي جدها، واللؤم أكرم من أولادهم

والـلـؤمُ داءٌ لِـوَبْـرٍ يُـقـتَـلُـون بِـه لا يُـقْـتَـلُـون بِـدَاءٍ غـيـرِه أبـدا

اللؤم داء لهؤلاء القوم فهم يموتون لؤماً، ولا يموتون ميتة الكرام بالحرب مثلاً

قـومٌ إذا مـا جَـنَـى جَـانـيِـهِـمُ أَمِـنُـوا مِـنْ لُـؤْمِ أَحسابِـهِـمْ أن يُـقْـتَـلـوا قَـوَدَا

فهم لئام أخسة، وإذا جنى الجاني منهم جناية لم يطلب أهل القتيل القود، أي القصاص، لأن قدر قبيلة وبر منحط جداً فلا يعد الرجل منهم مكافئاً لأي رجل من أي قبيلة أخرى

٢٩ الصبر بالحر أجمل

إبراهيم بن كُنَيْف النبهاني:

تَـعَـزَّ فـإنَّ الـصـبـرَ بـالـحُـرِّ أَجـمـلُ ولـيـس عـلـى ريـبِ الـزمـانِ مُـعَـوَّلُ

انس الحزن وتسل عنه، فالصبر أليق بالإنسان الحر، ولا يعول المرء على النجاة من ريب الزمان، أي من مصائبه

فلو كان يُغني أن يُرَى المرءُ جَازعاً لِحَادثةٍ أو كـان يُـغـنـي الـتـذَلُّـلُ. .

لو كان الجزع والاضطراب لحادثة، لمصيبة، أو لو كان يغني التذلل. .

لـكـانَ الـتَّـعـزِّي عـنـد كـلِّ مُـصـيـبـةٍ ونَـائِـبـةٍ بِـالـحُـرِّ أَوْلَـى وأَجْـمَـلُ

لكان الصبر للمصيبة ـ رغم ذلك ـ أولى بالحر. يقول: حتى بافتراض أن الجزع مفيد فمع ذلك الصبر أجمل

فـكـيـف وكـلٌّ لـيـس يَـعْـدُو حِـمـامَـهُ وما لِامْرِئٍ عمَّا قَضى اللَّهُ مَزْحَلُ

فكيف والأمر غير ذلك. . فالمرء لا يتجنب حمامه، موته، وليس لأحد مزحل، أي مهرب، عن قضاء الله

٣٠ ذهب الرقاد

عُوَيْف القوافي الفزاري في عُيينة عندما حبسه الحجاج
(رغم أن عيينة كان طلَّق أخت عويف):

ذهـبَ الـرُّقـادُ فـمـا يُـحَـسُّ رُقـادُ مِـمَّـا شَـجـاكَ، ونـامَـتِ الـعُـوَّادُ

ذهب النوم عنك بسبب ما آلمك، وأما الآخرون من العواد، الزوار، فقد ناموا، فأنت وحدك صاحب المصيبة الكبرى

لـمَّـا أتـانِـيَ عـن عُـيَـيْـنَـةَ أنـه   أمـسـى عـلـيـه تَـظَـاهَـرُ الأَقْـيَـادُ

ذهب نومي لما أتاني أن عيينة تظاهرت عليه الأقياد، تكاثرت على جسمه القيود في السجن

نَـخَـلَـتْ لـه نـفـسِـي الـنـصـيـحـةَ إنـه   عـنـد الـشـدائـدِ تـذهـبُ الأحـقـادُ

عندئذ نخلتْ له نفسي النصيحة، أعطيته نصيحة صافية كأنها منخلة تنخيلاً، رغم ما بيننا من خصام، فعند الشدائد تذهب الأحقاد

وذكـرتُ: أيُّ فـتـىً يَـسُـدُّ مـكـانَـه   بـالـرِّفْـدِ، حـيـن تَـقـاصَـرُ الأَرْفَـادُ

ذكرت أنه لا يوازيه في الرفد، أي العطاء، أحد، ولا يسد مسده أحد حين تقل الأعطيات

أم مَـنْ يُـهـيـنُ لـنـا كَـرائِـمَ مـالِـهِ   ولـنـا إذا عُـدْنـا إلـيـه مَـعـادُ

ومن ذا سواه يهين لنا كرائم ماله، أي يبذل لنا الإبل الكريمة، وإن عدنا نطلب عاد للعطاء؟

ورأيـتُ فـي وجـهِ الـعـدوِّ شَـكَـاسَـةً   وتـنـكَّـرتْ لـيَ أَوْجُـهٌ وبِـلادُ

بفقدان النصير رأيت في وجه العدو شكاسة، شراسة، وأحسست أن البلاد والعباد تنكروا لي. البيت يقفز بالمعنى عما قبله قفزاً، ألهذا أغفلته روايتا التبريزي والمرزوقي؟ غير أننا أحببنا معناه فأخذناه عن رواية الجواليقي عن أبي رياش في الكتاب المطبوع بتحقيق عبد المنعم صالح وإصدار وزارة الثقافة العراقية (عمران القفيني يرى البيت حسن الاتصال بما قبله، فبعد حبس الصديق رأى الشاعر أن الأعداء اجترأوا عليه)

٣١ أنا السيف

بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، وقد جفاه أقاربه:

جَفَانِي الأميرُ والـمُـغيرةُ قد جَفَا   وأمسى يزيدٌ لـيِ قد ازْوَرَّ جَانِبُهْ

تنكر لي الأمير، والمغيرةُ تنكر أيضاً، ويزيد قد ازورَّ، انحرف، عني

وكـلُّـهُـمُ قـد نـالَ شِـبْـعـاً لِـبـطـنِـه   وشِبْعُ الفتى لؤمٌ إذا جاعَ صاحِبُهْ

لقد شبعوا فلم يأبهوا لي، وهذا لؤم

فـيـا عَـمِّ مـهـلاً واتَّـخِـذْنـي لِـنَـوْبـةٍ   تَـنـوبُ فـإن الـدهـرَ جَـمٌّ نَـوائـبُـهُ

مهلا يا عمي، واجعلني من رجالك كي أنفعك في نوبة تنوب، مصيبة تطرأ، والدهر كثير المصائب

أنـا الـسـيـفُ إلَّا أن لِـلـسـيـفِ نَـبْـوَةً   ومـثـلـيَ لا تـنـبُـو عـلـيـكَ مَـضـارِبُـهْ

أنا سيف، والسيف ينبو وينحرف عن الضريبة، ومثلي لا تنحرف مضاربه، أي أهدافه، وأنا معك

٣٢ تراكم المصائب

تنسب لمؤرِّج بن فَيْد السَّدوسي:

رُوِّعْتُ بِالبَيْنِ حتى ما أُراعُ له ... وبِالمَصائبِ في أهلي وجيراني

فجعني الزمن بالبين، بالفراق، حتى إنني تعودت ولم أعد أجزع، وفجعني بالمصائب في الأهل والجيران

لم يَتركِ الدهرُ لي عِلْقاً أضِنُّ به ... إلا اصْطَفاهُ بِنأْيٍ أو بِهِجْرانِ

لم يترك لي الدهر علقاً، شيئاً ثميناً، أضن به، وأحافظ عليه، إلا اختاره بأن ينأى ويبعد أو بأن يهجرني

٣٣ تمتع بالحياة أينما كنت

وقال آخر، وذكر أنها لإبراهيم بن العباس الصولي:

لا يمنعنَّكَ خَفْضَ العيشِ في دَعَةٍ ... نزوعُ نَفْسٍ إلى أهْلٍ وأوْطانِ

لا يمنعْك نزوع النفس، اشتياقها، إلى الأهل والوطن من أن تتمتع بخفض العيش، الحياة الهانئة الوادعة

تَلقَى بِكُلِّ بِلادٍ إن حَلَلْتَ بِها ... أهْلاً بِأهْلٍ وجيراناً بِجيرانِ

ففي كل بلد تحل بها أهل وجيران بدلاً من أهلك وجيرانك الأولين

٣٤ ذل اليتيمة

إسحق بن خلف:

لولا أُميمةُ لم أجْزَعْ مِنَ العَدَمِ ... ولم أجُبْ في اللَّيالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ

لولا ابنتي أميمة لم أخف من العدم، الفقر، ولم أتجشم أهوال السفر وجوب الفيافي في حندس الظلم، في العتمة والظلام

وزادَني رَغبةً في العيشِ مَعرِفَتي ... ذُلَّ اليتيمةِ يَجفُوها ذَوُو الرَّحِمِ

تزداد رغبتي في العيش كلما تذكرت أن اليتيمة تتعرض لقسوة المعاملة من الأقارب

إذا تَذَكَّرْتُ بِنتي حين تَنْدُبُني ... فاضَتْ لِعَبْرَةِ بِنتي عَبرتي بِدَمِ

أتذكر كيف ستنوح علي ابنتي إذا مت، فتفيض عبرتي، دمعتي، مخلوطة بالدم.. أكره الموت لأن موتي سيحزنها

أُحاذِرُ الفقرَ يوماً أن يُلِمَّ بِها ... فَيَهْتِكَ السِّترَ عن لَحْمٍ على وَضَمِ

أحاذر من الفقر لأنه سيهتك ستر هذه البنت الصغيرة التي لا تقدر على شيء فكأنها قطعة لحم على الوضم، خشبة الجزار

تَهوَى حياتي وأهْوى مَوْتَها شَفَقاً والموتُ أكرمُ نَزَّالٍ على الحُرَمِ

أود لو تموت ابنتي خوفاً عليها من الذل، والموت أكرم شيء يحل بالحرم، النساء. معنى قديم تداوله وائدو بناتهم، وظلوا يتداولونه في العصر العباسي، وظل كثير من العرب ـ حتى يومنا ـ يشعرون بهذا الشعور نفسه

أخشَى فَظاظَةَ عَمٍّ أو جَفاءَ أَخٍ وكنتُ أخْشَى عليها مِنْ أذَى الكَلِمِ

كنت أخشى على بنتي الكلمة الجارحة، ولو مت فأنا أخشى عليها فظاظة العم وتنكر الأخ

٣٥ أولادنا أكبادنا

حَطَّان بن المُعَلَّى:

أَنْزَلَني الدهرُ على حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ عالٍ إلى خَفْضِ

جعلني الزمن أخضع لحكمه، فبعد الشموخ تطامنت نفسي وذلت للأمر الواقع

وغَالَني الدهرُ بِوَفْرِ الغِنَى فليس لي مَالٌ سوى عِرضي

وغالني الدهر، غدر بي، في مالي، فلم يعد لي مال سوى عرضي

أبكانِيَ الدهرُ، ويَا رُبَّما أضحَكَني الدهرُ بِما يُرضي

أبكاني الدهر، وكثيراً من أضحكني وأرضاني في الماضي

لولا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطا رُدِدْنَ مِنْ بعضٍ إلى بعضٍ..

لولا بناتي اللاتي كأنهن طيور القطا الزغب، ذوات الريش الصغير، واللاتي يلتصقن بعضهن ببعض كتلك الفراخ استدفاء واجتلاباً للأمان..

لكانَ لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ في الأرضِ ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ

لكان لي مضطرب، سعي، واسع في جنبات الأرض

وإنَّما أولادُنا بينَنا أكبادُنا تمشي على الأرضِ

لو هبَّتِ الريحُ على بعضِهِمْ لامْتَنَعَتْ عيني مِنَ الغَمْضِ

٣٦ حديد ونشيد

لقد عَلِمَ القبائلُ أن قَومي ذوُو جِدٍّ إذا لُبِسَ الحديدُ

قومي جادون إذا لبسوا الدروع وحملوا السلاح

وأنَّـا نِـعْــمَ أَحــلاسُ الـقَــوافــي إذا اسْـتَـعَــرَ الـتَّـنـافُـرُ والـنَّـشـيـدُ

ونحن أحلاس القوافي، الملازمون للقصائد كملازمة السرج أو الحلس لظهر الفرس، إذا كان المقام مقام إنشاد وتفاخر

٣٧ الود المستريح

قال رجل من بني أسد:

وما أنا بِـالنِّكْسِ الـدَّنِيِّ ولا الـذي إذا صَـدَّ عَـنِّـي ذو الـمَـوَدَّةِ أَحْـرَبُ

لست بالجبان الدنيء، الحريص على الصغائر، ولا أحرب، أي أغضب، إذا صد عني وقاطعني صاحب

ولـكـنـنـي إن دامَ دُمْـتُ وإن يَـكُـنْ لـه مَـذهَـبٌ عنِّي فَلِي عنه مَذْهَبُ

إن دام الصاحب بمودته دمت له، وإن ذهب فلي عنه ذهاب ولا أتوسل طلباً لمودته

أَلا إن خـيـرَ الـوُدِّ وُدٌّ تَـطَـوَّعَـتْ به النفسُ لا وُدٌّ أَتى وَهْوَ مُتْعَبُ

أحسن الود ما جاء طواعية، وليس ما اختلط بكثير من النكد

٣٨ الإكرام والاقتفاء

بُكَيْر بن الأخنس الطائي يمدح آل المهلب:

نـزلـتُ عـلـى آلِ الـمُـهَـلَّـبِ شَـاتِـيـاً غريباً عن الأوطانِ في زمنٍ مَحْلِ

حللت ضيفاً على آل المهلب في الشتاء، والشتاء هو زمن القحط والشدة عند أهل الصحراء

فـمـا زالَ بـيِ إِكـرامُـهُـمْ واقْـتِـفَـاؤُهُـمْ وإِلْطَافُهُـمْ حتَّى حسبْتُهُـمُ أَهـلـي

أكرموني وأحسست باقتفائهم، تفقدهم لشأني، حتى حسبتهم أهلي

٣٩ مذاهب الصعلوك

أبو النَّشناش، وهو من اللصوص في دولة بني أمية:

ونـائـيـةِ الأَرجـاءِ طَـامِـسَـةِ الـصُّـوَى خَـدَتْ بِـأَبـي النَّشْنَاشِ فيها ركائِبُهْ

رب صحراء نائية الأرجاء، النواحي، وطامسة الصوى، أي مطموسة المعالم.. فالصوة هي العلامة على الطريق، وفي هذه الصحراء خدت الركائب، سارت الإبل سيراً يسمى الوخيد، وعليها أبو النشناش

لـيُـكْـسِـبَ مـجـداً أو لِـيُـدْرِكَ مَـغْـنَـمـاً جـزيـلاً وهـذا الـدهـرُ جَـمٌّ عـجَـائِـبُـهْ

أراد أن يُكسبَ قومه مجداً بمقارعة أعدائهم، أو يدرك مغنماً بسرقة إبل لقوم آخرين، فما أعجب الدهر!

وسَائِلَةٍ بِالغيْبِ عنِّي وسائلٍ ومَنْ يَسألُ الصُّعْلُوكَ أين مَذَاهِبُهْ؟
وفي غيبتي يتساءلون أين ذهب، والصعلوك المشرد لا يُسأل عن مذاهبه، أي الأماكن التي يذهب إليها

فلم أرَ مثلَ الفقرِ ضَاجَعَهُ الفَتى ولا كَسَوَادِ اللَّيلِ أَخْفَقَ طَالِبُهْ
لا شيء أمرُّ من الفقر يصحب الفتى حتى في فراشه،
ولا خيبة كخيبة من يخوض سواد الليل ويخفق

فَعِشْ مُعْدِماً أو مُتْ كريماً، فإنني أرى الموتَ لا يَنجُو مِنَ الموتِ هَارِبُهْ
عش معدماً، فقيراً، أو مت كريماً، وكلنا سيلحق به الموت

٤٠ وأحيانا على بَكرٍ أخينا

القُطامِي، واسمه عُمير التغلبي:

ومَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أعجَبَتْهُ فأَيُّ رجالِ بَادِيَةٍ تَرانا!
لئن أعجبت الحضارة، عيشة الحضر، بعض الناس فيا لنا من رجال بادية!

ومَنْ رَبَطَ الجِحَاشَ فَإنَّ فينا قَنَاً سُلُباً وأَفْراساً حِسَانا
هم يربطون الجحاش، الحمير، أمام بيوتهم، وعندنا القنا السلب، الرماح الطويلة،
والجياد الجميلة

وكنَّ إذا أَغَرْنَ على جَنَابٍ وأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حيثُ كانا..
إذا أغارت خيلنا على قبيلة جناب ولم تجد شيئاً تنهبه..

أَغَرْنَ مِنَ الضِّبَابِ على حُلُولٍ وضَبَّةَ، إنه مَنْ حَانَ حَانَا
أغارت عندئذ على قوم حلول، نازلين، بذلك المكان من «الضباب»، ونغير على قوم «ضبة» ـ
وضبة جزء من الضباب وهم أربع قبائل ـ ومن حان أجله فقد حان

وأَحياناً على بَكْرٍ أخينا إذا ما لم نَجِدْ إلا أَخَانا
وأحياناً نغير على قبيلة بكر، وهي من إخوتنا، إن لم نجد من نغير عليه سواها

٤١ كُلْ ما عُلفت

قال آخر، ورويت لنهشل بن حري:

لَعَمرِي لَرَهْطُ المرءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عليه وإن عَالَوْا به كلَّ مَرْكَبِ
والله إن قوم الإنسان أفضل ما يبقي على عيشته وكرامته، حتى لو أركبوه المركب الصعب، أي
حمَّلوه المشقات

إذا كنتَ في قومٍ ولم تكُ منهُمُ　　　فكلْ ما عُلِفْتَ مِنْ خَبيثٍ وطَيِّبِ

فإن عشت وسط قومٍ آخرين غير قومك، فكُلْ ما علفوك خبيثاً كان أم طيباً.
والعلف طعام الحيوان

٤٢ شُبَّ الحرب

موسى بن جابر، وهو جاهلي نصراني:

وقلتُ لِزيدٍ لا تُتَرْتِرْ، فإنَّهُمْ　　　يَرَوْنَ المنايا دونَ قتلِكَ أو قَتلي

قلت لزيد لا تترتر، لا تعجل ولا تضطرب، فهم يعلمون أنهم يواجهون الموت قبل أن يصلوا إليك أو إليّ

فإن وضَعُوا حرباً فَضَعْها، وإن أَبَوْا　　　فَعُرْضَةُ عَضِّ الحربِ مثلُكَ أو مثلي

إن وضعوا الحرب، تركوها، فاتركها،
وإن رفضوا ذلك فالجدير بالحرب والتعرض لها نحن

وإن رَفَعُوا الحربَ العَوانَ التي تَرى　　　فَشُبَّ وَقُودَ الحربِ بِالحَطَبِ الجَزْلِ

فإن جعلوها حرباً متواصلة عواناً، فشُبَّ وقود الحرب بأن تزيد عليها من الحطب الجزل، أي الصلب

٤٣ حميت حقيقتي

موسى بن جابر:

ألم تَرَيا أنِّي حَمَيْتُ حَقيقتي　　　وباشَرتُ حدَّ الموتِ، والموتُ دُونُها

ألم تريا أنني حفظت حقيقتي، أي شرفي، وواجهت الموت، والموت أهون عليّ منها، أي من حقيقتي وشرفي

وجُدْتُ بِنفسٍ لا يُجَادُ بمثلِها　　　وقلتُ اطمَئِنِّي حين ساءتْ ظُنونُها

وسخيتُ بنفسي الكبيرة التي لا يُسخَى بمثلها، وهونت الخطر على نفسي وطمأنتها حين ساءت ظنونها، وداخلها الخوف

وما خيرُ مالٍ لا يَقي الذمَّ ربَّهُ　　　ونفسِ امْرِئٍ في حقِّها لا يُهينُها

لا خير في مال لا يحمي ربَّه، أي صاحبَه، من الذم. ولا خير في نفس امرئ إلا إن كان يحافظ عليها ولا يهينها في حقها

٤٤ صبرنا

الحصين بن الحُمَام المُرِّي:

ولـمَّـا رأيْنـا الـصبـرَ قد حيِلَ دونَـهُ   وإن كان يوماً ذا كواكبَ مُظْلِما . .

لما رأينا الصبر قد حالت دونه المصاعب، وكان اليوم، و«اليوم» عندهم كلمة تنصرف كثيراً إلى الحرب، ذا كواكب مظلماً، كان يوم قتال مظلماً انعقد فيه الغبار فوق الرؤوس وكانت السيوف والأسنة تلمع في غباره كالكواكب . .

صبرْنـا وكـان الـصبـرُ منَّـا سَجِيَّـةً   بِأَسيافِنَا يَقْطَعْنَ كفَّاً ومِعْصَـما

مع ذلك فقد صبرنا والصبر سجية، طبع، فينا، وراحت سيوفنا تقطع الأكف والمعاصم

نُـفَـلِّـقُ هَـاَمَـاً مِـنْ رجـالٍ أَعِـزَّةٍ   علـينـا، وهُـمْ كـانـوا أَعَقَّ وأَظْلَـمـا

نفلق هاماً، رؤوساً، من رجال يعزون علينا، لكنهم كانوا عاقين ظالمين

ولـمَّـا رأيـتُ الـوُدَّ لـيـس بِـنـافِـعـي   عَمَدْتُ إلى الأمرِ الذي كان أَحْزَما

عندما رأيت الود لا ينفع عمدت إلى ما هو أقرب إلى الحزم والشدة

فـلـسـتُ بِـمُـبْـتَـاعِ الـحـيـاةِ بِـسُـبَّـةٍ   ولا مُرْتَقٍ مِنْ خَشيةِ الموتِ سُلَّما

لا أشتري الحياة بقبول السبة، الذم، ولا أخاف الموت فأحاول الهرب منه

٤٥ قتل الملوك وقتالها

بَشامَة بن حَزْنٍ:

ولـقـد غَـضِـبـتُ لِـخِـنْـدِفٍ ولِـقَـيْـسِـهـا   لـمَّـا وَنَـى عـن نـصـرِهـا خُـذَّالُـهـا

غضبت لقبائل خندف ولقيس بالذات، عندما توانى عن نصرها الذين خذلوها

دافَـعْـتُ عـن أَعـراضِـنـا فـمَـنـعـتُـهـا   ولـديَّ فـي أمـثـالِـهـا أمـثـالُـهـا

دافعت عن أعراضنا فمنعت عنها الظلم، ولديَّ مثل ذلك الدفاع كلما دعت الحاجة

إِنِّـي امْـرُؤٌ أَسِـمُ الـقَـصـائِـدَ لـلـعِـدَى   إن الـقـصـائـدَ شَـرُّهـا أَغْـفَـالُـهـا

أنا اسمِّي الأعداء في قصائدي بأسمائهم لا أخشى، وشر القصائد أغفالها، ما كان الهجاء فيها عاماً غير محدد بالاسم

قَوْمي بَنُو الحربِ العَوانِ بِجَمْعِهِمْ،   والـمَـشْـرَفِـيَّـةُ والـقَـنـا إِشْـعَـالُـهـا

قومي هم الذين يصبرون للحرب العوان، المتواصلة، وإشعال هذه الحرب يكون بالمشرفية، السيوف، وبالقنا، الرماح

مـا زالَ مَـعـرُوفـاً لِـمُـرَّةَ فـي الـوَغَـى   عَـلُّ الـقَـنَـا وعـلـيْـهِـمُ إنْـهَـالُـهـا

بنو مرة معروفون في الحرب بعل القنا وإنهالها: والعل هو الشرب للمرة الأولى، والنهل الشرب ثانيةً

مِـنْ عـهـدِ عـادٍ كـان مـعـروفـاً لـنـا   أَسْـرُ الـمُـلـوكِ وقـتـلُـهـا وقـتـالُـهـا

الملك في الجاهلية الزعيم القبلي المعروف، وكانت لفظة الملك في العهد العباسي تطلق على الأمير أو الوالي المتصرف في شؤون منطقته، دون أن تعني الحاكم المستقل عن الخلافة

٤٦ ليموتوا غيظاً

إن يَحْسُدوني فإني غيرُ لائِمِهِمْ   قَبْلِي مِنَ الناسِ أَهْلُ الفضلِ قد حُسِدُوا

فـدامَ لـي ولَـهُـمْ مـا بـي ومـا بِـهِـمُ   ومـاتَ أكـثـرُنـا غـيـظـاً بِـمـا يَـجِـدُ

ليدمْ ما بي من الرفعة، وليدم ما بهم من الحسد، وليمت أكثرنا غيظاً، وهم وحدهم من يشعرون بالغيظ، بما يجد في صدره

٤٧ عدوى الحرب

الـشـرُّ يـبـدَأُهُ فـي الأَصْـلِ أَصْـغَـرُهُ   وليسَ يَصْلَى بِنارِ الحربِ جَانيِها

والحربُ يَلْحَقُ فيها الكارهونَ كما   تَدْنُو الصِّحَاحُ إلى الجَربَى فَتُعْدِيها

الكارهون للدخول في الحرب يجبَرون أخيراً على دخولها، فكأنهم يصابون بعدوى الحرب، كما تصاب الإبل الصحيحة بالجرب لمجاورتها الإبل الجربى

٤٨ الحب الممذوق

أُبَيُّ بن حُمامٍ العبسي:

ولـسـتُ بِـهَـيَّـابٍ لِـمَـنْ لا يَـهـابُـنـي   ولـسـتُ أرى لِـلـمرءِ مَـا لا يَـرى لِـيـا

لا أهاب من لا يهابني، ولا أرى لأحد من واجب الاحترام ما لا يرى لي عليه

إذا الـمـرءُ لـم يُـحْـبِـبْـكَ إلا تَـكَـرُّهـاً   عِـرَاضَ الـعَـلُـوقِ لـم يَـكُـنْ ذاكَ بَـاقِـيـا

إذا أحبك المرء تكرهاً، مع بعض كراهية، عراض العلوق، والعلوق الناقة تحب ولدها فإذا جاء يرضع اعترضته وأبعدته عنها، فإن مثل هذه المحبة لا تدوم. وعند الألمان كلمة «هاس ليبه» ومعناها «الحب ـ الكُره» وهي أن يكون المرء في حبه إياك حالاتياً، تراه حيناً وكأنه كاره إياك، وحيناً كأنه محب. ولعل شاعرنا قد فسر في بيته الأول جانباً من السبب العميق لمثل هذا النوع من الشعور، فالذي يمارس عليك «الحب ـ الكره» ربما يريدك أن ترى له من الفضل ما لا يرى لك.. يريد ترويضك على أن تكون تابعاً له لا صديقاً

٤٩ صعلوك وصعلوك

عُروة بن الوَرد، الشاعر الجاهلي الصعلوك:

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ونَامِي، فإنْ لم تَشتَهِي النومَ فاسْهَري

قللي لومك يا امرأتي ونامي، أو إن شئت فاسهري ولكن، بلا لوم

ذَرِينِي أُطَوِّفْ في البِلادِ لَعلَّني أُخَلِّيكِ، أو أُغنيكِ عن سوءِ مَحْضَرِ

اتركيني أذرع البلاد لعلني أموت فأخلي سبيلك،
أو أحقق الثروة فأحميك من سوء المحضر بين الناس

لَحَا اللَّهُ صُعْلوكاً إذا جَنَّ لَيلُهُ مُصافي المُشَاشِ آلِفاً كلَّ مَجْزَرِ

لعن الله صعلوكاً، أي بدوياً مشرداً مخلوعاً من قبيلته، إذا جنه، أي ستره، الليل ذهب ينتقي المشاش، العظم والغضاريف، مرتاداً أمكنة ذبح الماشية

يَعُدُّ الغِنَى مِنْ نفسِهِ كلَّ ليلةٍ أَصابَ قِراها مِنْ صَديقٍ مُيَسَّرِ

وهو يعتبر نفسه قد حقق الغنى إذا أصاب قرى ليلته، نال طعام ضيف، عند صديق ذي مال

يُعينُ نِساءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ ويُمسي طَليحَاً كالبعيرِ المُحَسَّرِ

وهذا الصعلوك الذليل يقعد بين نساء الحي يساعدهن في شؤون البيت، ويأتي عليه المساء طليحاً، أي متعباً، كالبعير المحسر، أي المرهق

ولكنَّ صُعْلُوكاً صَفيحَةُ وجهِهِ كَضَوْءِ شِهابِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ..

ولكن الصعلوك الذي يكون وجهه مشرقاً كأنه الشهاب، شعلة النار، الذي يأخذه القابس المتنور، الذي يقبس ناراً لكي ينير بها موضعه..

مُطِلَّاً على أعدائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِساحَتِهِمْ زَجْرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ..

.. هذا الصعلوك الذي يقترب من مضارب الأعداء فيصرخون به ليبتعد، فيبتعد عدواً كأنه سهم المقامرة الذي يرمى بقوة، والمنيح من أسهم القمار عند القدماء..

إذا بَعُدُوا لا يَأْمَنونَ اقتِرابَه تَشَوُّفَ أهلِ الغائبِ المُتَنَظَّرِ..

.. إذا ابتعد القوم عن مضاربهم لا يأمنون أن يعود الصعلوك ويقترب كي ينال منهم ويسرق من إبلهم، فهم مترقبون له ترقب أهل الغائب لعودته..

فذلِكَ إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَها حَميداً، وإن يَسْتَغْنِ يوماً فَأَجْدِرِ

هذا الصعلوك إن لقي حتفه فهو يموت غير مذموم، وإن اغتنى فما أجدره بالغنى

٥٠ المعوَجّ والمستقيم

قيس بن زهير يذكر مقتل حُذيفة وحَمَلٍ ابني بدرٍ الفزاريين:

تَـعَـلَّـمْ أنَّ خـيـرَ الـنـاسِ مَـيْـتٌ علـى «جَـفْـرِ الـهَـبـاءَةِ» لا يَـريـمُ

تعلَّم، أي اعلَم، أن خير الناس ميت في موضع جفر الهباءة ماكث هناك لا يريم، لا يفارق

ولـولا ظُـلْـمُـهُ مـا زِلْـتُ أَبْـكـي علـيـه الـدهـرَ مـا طَـلَـعَ الـنـجـومُ

لولا أنه كان ظالماً لبكيت عليه طول الدهر وما دامت النجوم تطلع

ولـكـن الـفَـتـى حَـمَـلَ بْـنَ بَـدْرٍ بَـغَـى والـبَـغْـيُ مَـرْتَـعُـهُ وَخـيـمُ

لكن حمل بن بدر هذا بغى وظلم، والبغي مرتعه وخيم، عاقبته سيئة..

أَظُـنُّ الـحِـلْـمَ دَلَّ عـلـيَّ قَـومـي وقـد يُـسْـتَـجْـهَـلُ الرجلُ الـحَـلـيـمُ

أظن أن حلمي دل عليَّ قومي، جعلهم يُدِلُّون عليَّ ويتمادون؛ والحليم قد يستجهل، يجعله الناس جاهلاً متهوراً مؤذياً بتماديهم في إيذائه

ومَـارَسْـتُ الـرجـالَ ومَـارَسُـونـي فـمُـعْـوَجٌّ عـلـيَّ ومُـسْـتـقـيـمُ

عرفت الرجال وعجنتهم، وعرفت المستقيم والمعوج منهم

٥١ وصف الحرب

عبد الشَّارق بن عبد العُزَّى الجُهَني الجاهلي، وهي من المنصفات، لأنها أنصفت العدو ومدحت شجاعته:

وأرسَـلْـنـا أبـا عـمْـروٍ رَبِـيًّـاً فـقـال ألا انـعَـمُـوا بِـالـقـومِ عَـيْـنـا

أرسلنا أبا عمرو ربياً، مستطلعاً خبر العدو، فقال: لتقر عيونكم، فلا خطر لهم

ودَسُّـوا فـارِسـاً مـنـهُـمْ عِـشـاءً فـلـم نَـغْـدِرْ بِـفـارسِـهِـمْ لـديْـنـا

وبعثوا بفارس إلى معسكرنا فلم نغدر به

فـنَـادَوْا يـا لَـبُـهْـثَـةَ إذ رأَوْنـا فـقـلْـنـا أَحْـسِـني ضَـرباً جُـهَـيْـنـا

نادوا بنداء الحرب باسم قبيلتهم بهثة، فنادينا باسم قبيلتنا جهينة

سَـمِـعْـنـا دَعْـوَةً عـن ظَـهْـرِ غَـيْـبٍ فَـجُـلْـنـا جَـوْلَـةً ثـم ارْعَـوَيْـنـا

سمعنا نداء من مكان لا نراه، فجلنا بالخيل جولة ثم ارعوينا، راجعنا أنفسنا، توقفنا عن القتال

فلمَّا أن تَواقَفْنا قليلاً أنخنا لِلْكَلاكِلِ فارْتَمَيْنا

وتواقفنا، وقف قومنا إزاء قومهم، ثم أنخنا الإبل للكلاكل، لصدورها، وأخذنا نترامى بالسهام عن بعد

فلمَّا لم نَدَعْ قَوْساً وسَهْماً مَشيْنا نحوَهُمْ ومَشَوْا إلِيْنا

فلما فرغت الكنائن من السهام مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تَلأْلُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لِأُخْرى إذا حَجَلُوا بِأَسْيافٍ رَدَيْنا

كأننا غيمة تبرق لغيمة أخرى أمامها لما بأيدينا من سيوف تلمع: فهم يحجلون بسيوفهم، يسعون هرولة، ونحن نردي، نسعى جرياً

شَدَدْنا شَدَّةً فقتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلاثَةَ فِتْيةٍ وقتلتُ قَيْنا

هجمنا، فقتلت منهم ثلاثة وقتلت قيناً، أي عبداً

وشَدُّوا شَدَّةً أُخْرى فَجَرُّوا بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ ورَمَوْا جُوَيْنا

وهجموا فجروا أرجُل ثلاثة منا، ورموا «جوين»

وكان أخي جُوَيْنٌ ذا حِفَاظٍ وكان القَتْلُ لِلْفِتيانِ زَيْنا

كان أخي جوين ذا محافظة على الشرف، والقتل لا يعيب الفتى بل يزينه

فآبُوا بِالرِّماحِ مُكَسَّراتٍ وأُبْنا بِالسُّيوفِ قد انْحَنَيْنَا

فرجعوا برماحهم وقد انكسرت فينا، ورجعنا بسيوفنا وقد انحنت لكثرة الضرب فيهم

٥٢ الإخفاق المقبول

عُروة بن الوَرد العبسي:

ومَنْ يَكُ مِثلي ذا عِيالٍ ومُقْتِراً مِنَ المالِ يَطْرَحْ نفسَه كلَّ مَطْرَحِ

من كان مثلي ذا عيال ومقتراً، أي فقيراً، فهو يعرض نفسه لكل المخاطر

لِيَبْلُغَ عُذْراً أو ينالَ رَغيبَةً ومُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَها مِثْلُ مُنْجِحِ

حتى يكون له العذر أمام عائلته إن أخفق، أو ينال رغيبة، نجاحاً، ومن سعى فأخفق فنال عذراً وتجنب اللوم كان كمن نجح

٥٣ شاعر القبيلة

هُدْبَة بن خَشْرم الشاعر الإسلامي:

وإنِّي مِنْ قُضاعَةَ مَنْ يَكِدْها أَكِدْهُ، وَهْيَ مِنِّي في أَمانِ

سأوذي من يؤذي قبيلتي قضاعة، وهي في أمان مني فأنا لا أوذيها

وَلستُ بِشَاعِرِ السَّفْسَافِ فيهِمْ ... ولَكِنْ مِدْرَهُ الحَرْبِ العَوَانِ

ولست شاعر السفساف، الأبيات الركيكة، بل مدره الحرب العوان، بطل الحرب الطويلة

سَأهجُو مَنْ هَجاهُمْ مِنْ سِواهُمْ ... وأُعرِضُ مِنهُمُ عَمَّنْ هَجاني

أهجو من هجاهم، وأما إذا هجاني أحد منهم فأنا أتجاهله

٥٤ في الرأس أكثري

الشَّنفَرَى الأزْدي الشاعر الجاهلي الصعلوك:

ولا تَقبُروني إنَّ قَبري مُحَرَّمٌ ... عليْكُمْ، ولكِنْ أَبْشِري أُمَّ عَامِرِ

لا تدفنوني فقبري، أي دفني، محرم عليكم، ولكن أبشري بالطعام يا أم عامر، وأم عامر هي الضبع.. يريد أن تأكل الضباع جسمه عندما يقتل

إذا احتَمَلُوا رأسِي وفي الرأسِ أَكْثَري ... وغُودِرَ عند المُلْتَقَى ثَمَّ سائري..

أبشري أيتها الضبع إذا حمل الأعداء رأسي بعد قتلي، وفي رأسي كل الحواس، وتُرك سائر جسمي عند موضع المعركة..

هُنالِكَ لا أرجُو حياةً تَسُرُّني ... سَجِيسَ اللَّيالي مُبْسَلاً بِالجَرائِرِ

في ذلك الموقف لا أرجو حياة تسرني أصلاً لأنني سجيس الليالي، طول الدهر، سأظل مبسلاً بالجرائر، معرضاً للخذلان والتسليم للأعداء بسبب جرائري، أي جرائمي

٥٥ أنا ابن قيس لا براح

سعد بن مالك الشاعر الجاهلي، وقيل هو جد طرفة بن العبد:

يا بُؤْسَ لِلحَرْبِ التي ... وضَعَتْ أَرَاهِطَ فاسْتَراحُوا

ما أسوأ الحرب التي وضعت أراهط، أذلت قوماً، فاستراحوا منها وبقي عليهم الذل

كَشَفَتْ لهُمْ عن ساقِها ... وبدا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

كشفت الحرب عن ساقها لهم، وكأنهم جعلوا كشف الساق للحرب لأنهم هم يرفعون أثوابهم ويشمرون للحرب.. وبدا من الشر الصراح، الواضح الحقيقي

صَبراً بَني قَيْسٍ لَها ... حتى تُريحُوا أو تُراحُوا

يا لَيلةً طَالَتْ عَلَيَّ - ... تَفَجُّعاً، فَمَتى الصباحُ؟

هيهاتَ حَالَ الموتُ دو ... نَ الفَوْتِ وانْتُضِيَ السلاحُ

حال الموت دون الفوت والنجاة، وسل القوم السيوف

كــيــف الــحــيــاةُ إذا خَــلَــتْ مــنَّــا الــظَّــواهِــرُ والــبِــطَــاحُ

كيف تكون الحياة إذا خلت بموتنا الظواهر، النواحي، والبطاح، الأراضي المنخفضة

أيــنَ الأعِــزَّةُ والأسِــنَّــ ــةُ عــنــد ذلــك والــسَّــمَــاحُ

عندئذ يذهب القوم الأعزة الذين يحملون الرماح ذوات الأسنة، ويذهب السماح والكرم

مَــنْ صَــدَّ عــن نــيــرانِــهــا فــأنــا ابــنُ قــيــسٍ لا بَــراحُ

فلئن صد بعض الناس عن الحرب فأنا ابن قيس لا براح، لا أتراجع ولا أغادر موقف الشرف

٥٦ الأخوال

غسان بن وَعْلة أحد بني مرة بن عباد، ويقال: إنها للنَّمِر بن تَوْلَب:

إذا كنتَ في سَعْدٍ وأُمُّكَ مِنْهُمُ غَريباً فلا يَغْرُرْكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدِ

إذا كنت مقيماً عند أخوالك بني سعد غريباً، فلا تغتر بالأخوال

فإنَّ ابْنَ أُخْتِ القومِ مُصْغَىً إِنَاؤُهُ إذا لم يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

فابن الأخت إناؤه مصغى، مائل.. كناية عن الذلة، إذا لم يزاحم خاله بأب جلد، شجاع.
المعنى أن الرجل عند أخواله لا يكون موضع ترحيب إلا إن كان نسبه لأبيه عزيزاً،
فعندئذ يكرمه أخواله

٥٧ أنزل قيساً بالهوان

بعض بني جُهينة، في وقعةٍ كانت لكلبٍ وفزارة:

أَلَا هل أتى الأنصارَ أنَّ «ابنَ بَحْدَلٍ حُمَيْداً» شفَا كَلْباً فقَرَّتْ عُيونُها

انتقم حميد بن بحدل لقبيلة كلب فقرت عيونها، فَسُرَّت بذلك

وأَنـزَلَ قَيْساً بِالـهَوانِ ولم تكنْ لِتُقْلِعَ إلَّا عنـدَ أمرٍ يُهِيـنُها

وأذل قيساً، وما كانت لتكف عن ظلمها إلا إذا أُذلت

فقد تُرِكَتْ قَتلى حُمَيْدِ بْنِ بَحْدَلٍ كثيراً ضَواحيها قليلاً دَفِينُها

تُرك الذين قتلهم حميد هذا ضاحين، معرضين للشمس بالعراء، وقليل منهم من قد دفن

فإنَّا وكَلْباً كَاليَدَيْنِ متى تَقَعْ شِمَالُكَ في الهَيْجَا تُعِنْها يَمِينُها

فنحن وقبيلة كلب كاليدين في الحرب تعاون إحداهما الأخرى

٥٨ ويحب ناقتها بعيري

وقال المنخَّل بن الحارث اليَشْكُري الشاعر الجاهلي القديم:

إن كـنـتِ عـاذِلـتـي فَـسـيـري   نـحـوَ الـعـراقِ ولا تَـحُـوري

إن كنت لائمة لي فسيري نحو العراق ولا تحوري، لا ترجعي

لا تَـسـأَلـي عـن جُـلِّ مَـا   لـي، وانْـظُـري كَـرَمـي وخِـيـرِي

لا تسألي عن مالي وما بقي منه، وانظري إلى كرمي، شرفي، وسخائي

وفَـوارِسٍ كَـأُوَارِ حَـرِّ   الـنـارِ أَحْـلاسِ الـذُّكُـورِ

ورب فوارس، فرسان، كأنهم لهيب النار، وهم أحلاس الذكور أي ملازمون للسيوف. والسيف الذكر ما كان حده من حديد «ذكر» ومتنه من حديد «أنيث». قال صاحب «التاج» إن الحديد الذكر أيبس الحديد وأجوده وأشده

شَـدُّوا دَوابِـرَ بَـيْـضِـهِـمْ   فـي كـلِّ مُـحْـكَـمَـةِ الـقَـتِـيرِ

شدوا دوابر بيضهم، مؤخر خوذاتهم، بقفا الدروع بالقتير المحكم، بالمسامير المثبتة بقوة

واسْـتَـلْأَمُـوا وتَـلَـبَّـبُـوا   إن الـتَّـلَـبُّـبَ لِـلْـمُـغِـيـرِ

استلأموا، لبسوا اللأمات وهي الدروع، وتلببوا، أي تحزموا، كي يشنوا الغارة

وعـلـى الـجِـيَـادِ الـمُـضْـمَـرا   تِ فَـوارِسٌ مِـثْـلُ الـصُّـقُـورِ

فوق الخيل المضمرة، التي رُكِضَت كي تنحل ويقوى عضلها، فوارس متأهبون مثل الصقور

يَـخْـرُجْـنَ مِـنْ خَـلَـلِ الـغُـبَا   رِ يَـجِـفْـنَ بِـالـنَّـعَـمِ الـكَـثـيرِ

تخرج الخيل من وسط الغبار، ويجفن، يسرعن، بالإبل الكثيرة.. فقومه سارقو إبل

أقـرَرْتُ عـيْـنـي مِـنْ أُولَـ   ئِـكَ والـفَـوائِـحِ بِـالـعَـبِـيرِ

سعدت بقومي أولئك، وسعدت بالنساء اللاتي يفوح منهن العبير

يَـرْفُـلْـنَ فـي الـمِـسْـكِ الـذَّكِـيِّ   وصَـائِـكٍ كَـدَمِ الـنَّـحِـيرِ

يمشين وحولهن غمامة من ريح المسك، وعليهن الصائك، الزعفران اللاصق بهن المشبه في لونه دم البعير النحير، أي المنحور المذبوح

ولـقـد دخَـلْـتُ عـلـى الـفـتـا   ةِ الـخِـدْرَ فـي الـيـومِ الـمَـطِـيرِ

دخلت خدر الفتاة، أي الموضع المغطى بستر داخل الخيمة المخصص للنساء، في يوم مطير

اَلـكـاعِـبِ الـحَـسْـنَـاءِ تَـرْ   فُـلُ فـي الـدِّمَـقْـسِ وفـي الـحَـريرِ

الكاعب، الفتاة التي برز ثدياها، التي تتبختر وهي ترتدي الدمقس، أي الحرير الأبيض

فـدفَـعْـتُـهـا فـتَـدافَـعَـتْ ... مَـشيَ الـقَـطـاةِ إلى الـغَـديـرِ

القطاة: طائر. ويبدو أنه يسير إلى الماء متبختراً

ولَـثِـمْـتُـهـا فـتَـنَـفَّـسَـتْ ... كـتـنَـفُّـسِ الـظَّـبْـيِ الـغَـرِيـرِ

لثمتها، قبلتها، فتنفست كأنها الظبي الغرير، الصغير

فـدَنَـتْ وقـالـتْ يـا مُـنَـخَّـ ... ـلُ مَـا بِـجِـسْـمِـكَ مِـنْ حَـرُورِ؟

كأنها أحست أن جسمه حار

مـا شَـفَّ جِـسـمِـي غـيرُ حُـبِّـ ... ـكِ، فـاهْـدَئـي عـنِّـي وسـيـري

ما شف جسمي وبراه غير حبك، فاهدئي

يـا رُبَّ يـومٍ لِـلْـمُـنَـخَّـ ... ـلِ قـد لَـهَـا فـيـهِ قَـصـيـرِ

لها: من اللهو

وأُحِـبُّـهَـا وتُـحِـبُّـنـي ... ويُـحِـبُّ نَـاقـتَـهـا بَـعـيـري

يـا هـنـدُ مَـنْ لِـمُـتَـيَّـمٍ ... يـا هـنـدُ لِـلْـعَـانـي الأَسـيـرِ

العاني: الأسير

ولـقـد شَـرِبْـتُ مِـنَ الـمُـدا ... مَـةِ بِـالـصَّـغـيـرِ وبِـالـكـبـيـرِ

شرب من الخمر بالقدح الصغير والكبير

فـإذا انـتَـشَـيْـتُ فـإِنَّـنـي ... رَبُّ الـخَـوَرْنَـقِ والـسَّـدِيـرِ

إذا انتشيت، أي سكرت، حسبت نفسي رب، أي صاحب، قصري الخورنق والسدير بالحيرة

وإذا صَـحَـوْتُ فـإِنَّـنـي ... رَبُّ الـشُّـوَيْـهَـةِ والـبَـعـيـرِ

وإذا صحوت عدت صاحب الشاة والجمل لا غير

٥٩ ولكنه لم يطر

أُبَيّ بن سُلْمِيّ بن ربيعة بن زبَّان الضبي:

وخـيـلٍ تـلافَـيْـتُ رَيْـعَـانَـهـا ... بِـعِـجْـلِـزَةٍ جَـمَـزَى الـمُـدَّخَـرْ

رب خيل تلافيت ريعانها، سبقتُ أوائلها وفتُّها، بفرس عجلزة، صلبة، جمزى المدخر، سريعة تدَّخر قوتها للوقت المناسب كي تجري فتسبق

سَبُوحٍ إذا اعتَرَضَتْ بِالعِنَانِ   مَرُوحٍ مُلَمْلَمَةٍ كَالحَجَرْ

سبوح، سريعة، إذا لوت رأسها بالعنان، أي الرسن، فهي مروح، أي تمرح، وهي ململمة كالحجر، لعلها تنطلق بسرعة كما الحجر!

فلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا   لَطَارَتْ، ولكنَّهُ لم يَطِرْ

لو كان أي ذي حافر، أي فرس، قد طار قبلها لطارت، لكنه - بالمناسبة - لم يطر. هل يريدنا الشاعر أن نضحك مثلاً.. غريبة هذه الفكاهة على الشعر القديم

٦٠ بئري

سِنان بن الفحل من طيء وهو أموي:

وقالوا قد جُنِنتَ، فقلتُ كلَّا   ورَبِّي ما جُنِنْتُ ولا انْتَشَيْتُ

انتشيت: سكرت

ولكنِّي ظُلِمْتُ فكِدْتُ أبكي   مِنَ الظُّلْمِ المُبَيَّنِ أو بَكَيْتُ

فإنَّ الماءَ ماءُ أبي وجَدِّي   وبِئري ذُو حَفَرْتُ وذُو طَوَيْتُ

هذه التي اغتصبوها بئري التي حفرتها والتي طويتها، أي زنرتها بالحجارة. و«ذو» في لغة قبيلة طيء معناها التي أو الذي

٦١ جيش تسجد له الجبال

إياس بن مالك الطائي:

سَمَوْنا إلى جيشِ الحَرُورِيِّ بَعدَمَا   تَنَاذَرَهُ أعرابُهُمْ والمُهَاجِرُ

سمونا، صعدنا وتصدينا، لجيش الحروري، الخارجي المقيم بقرية حروراء، بعد أن أخذ الأعراب والمهاجرون من سكان الحواضر ينذرون بعضهم بعضاً منه..

بِجَمْعٍ تَظَلُّ الأُكْمُ سَاجِدَةً لهُ   وأَعْلامُ سَلْمَى والهِضَابُ النَّوَادِرُ

تصدينا له بجيش يصعد الأكم، التلال، فكأنها تسجد تحت زحفه، ويصعد أعلام سلمى، قمم جبل سلمى، ويصعد الهضاب النوادر، النادّة الناتئة

فلمَّا ادَّرَكْنَاهُمْ وقد قَلَصَتْ بِهِمْ   إلى الحَيِّ خُوصٌ كالحَنِيِّ ضَوامِرُ..

عندما لحقنا بهم وقد قلصت، أي أسرعت، بهم إبل خوص، ضيقة العيون، كأنها الحني، الأقواس لضمورها ونحولها..

أَنَخْنَا إِليهِمْ مِثْلَهُنَّ، وزَادُنا جِيادُ السيوفِ والرماحُ الخَواطِرُ

أنخنا إبلنا المشابهة لإبلهم في النحول، وكانت عدتنا السيوف الجيدة والرماح الخواطر، التي تتحرك جيئة وذهابا

كلا ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنيمَةٍ وقد قَدَرَ الرحمنُ ما هُوَ قَادِرُ

كلا ثقلينا، أي جيشينا، طامع بالانتصار ونيل الغنائم، والأمر لله بعد ذلك

فلم أَرَ يوماً كان أكثرَ سَالِباً ومُسْتَلَباً سِرْبَالُه لا يُنَاكِرُ

فلم أر يوماً أكثر من ذلك اليوم من حيث عدد السالبين، الآخذين عتاد ولباس صرعاهم، والمسلوبين القتلى الذين تسلب ثيابهم ولا يعترضون على ذلك لأنهم موتى

وأكثرَ مِنَّا يَافِعاً يَبتغي العُلا يُضَارِبُ قِرْنَاً دَارِعاً وَهْوَ حَاسِرُ

ولم أر أكثر من الشبان اليافعين في جيشنا الذين يريدون من المعركة اكتساب المجد، فالواحد منهم يضارب، أي يبارز بالسيف، قرناً دارعاً، خصماً يلبس درعاً، بينما هو حاسر، لا درع عليه

فَمَا كَلَّتِ الأَيْدِي ولا انْأَطَرَ القَنَا ولا عَثَرَتْ منَّا الجُدُودُ العَواثِرُ

لم تتعب الأيدي، ولا انأطر القنا، لم تنثنِ الرماح، ولا عثرت جدودنا، ما انتكست حظوظنا

٦٢ لتنهى القبائل جهالها

عُبَيْد بن مَاوِيَّة الطائي:

أَلَا حَيِّ لَيْلى وأَطلالَها ورمْلَةَ رَيَّا وأَجْبَالَها

يرسل تحيته إلى المحبوبة وإلى أطلال منازل قومها، وإلى مكان محبوبة أخرى هي ريا

وأَنْعِمْ بِما أَرْسَلَتْ بَالَها ونَالَ التحيَّةَ مَنْ نَالَها

ويا لحظٌ من تعطيه المحبوبة انتباهها، ولمن ينال منها تحية. هذا هو المعنى الملموح

فإِنِّي لَذُو مِرَّةٍ مُرَّةٍ إذا رَكِبَتْ حَالَةٌ حَالَها

أنا صاحب مِرَّة، قوة، مرَّة صعبة على العدو عندما تختلط الأمور

أُقَدِّمُ بِالزَّجْرِ قبل الوَعيدِ لِتَنْهَى القَبائِلُ جُهَّالَها

أبدأ بالزجر، التحذير القاسي، ثم الوعيد، التهديد، كي تنهى القبائل جهالها، أي المتهورين من أبنائها عن أفعالهم

وقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السِّنَا نِ تَبقَى ويَذهَبُ مَنْ قَالَها

ورب قافية، لعله يقصد بيتاً، قوية فعالة كأنها حد السنان الذي في رأس الرمح، وهي من الخوالد اللاتي يبقين بعد موت الشاعر

تَـجَـوَّدْتُ فـي مَـجْـلِـسٍ واحِـدٍ قِـرَاهـا وتِـسـعـيـنَ أَمـثـالَـهـا

وقد قلت في مجلس واحد تسعين بيتاً جيداً. كذا المعنى الملموح

٦٣ نشتم بالأفعال

معبد بن علقمة:

وغُيِّبْتُ عن قَتلِ الحُتَاتِ وليْتَني شَهِدْتُ حُتَاتاً يومَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ

كنت غائباً عند مقتل الحتات، وليتني شهدت حين ضرج بالدم قتيلاً

وفي الكفِّ مِنِّي صَارِمٌ ذُو حَقيقَةٍ متى ما يُقَدَّمْ في الضَّريبَةِ يُقْدَمِ

في يدي سيف صارم قاطع، ذو حقيقة، أي ذو شرف، إذا كان متقدماً نحو الضريبة، الهدف، فهو صائب لا ينحرف

فَيَعْلَمَ حَيَّا مَالِكٍ ولَفيفُها بأنْ لَسْتُ عن قَتْلِ الحُتَاتِ بِمُحْرِمِ

ليتني شهدت ذلك اليوم حتى تعلم عشيرة مالك ولفيفها، أتباع تلك القبيلة، أنني لست ممتنعاً عن قتل الحتات ولا هائبا الاشتراك في دمه

فقلْ لِزُهيرٍ إن شتمْتَ سَراتَنا فلسنا بِشتَّامِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ

قل لزهير: إن شتمت سادتنا، فنحن نرفع أنفسنا عن الرد بالشتم

ولكنَّنا نَأْبَى الظِّلامَ، ونَعْتَصي بِكُلِّ رقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُصَمِّمِ

لكننا نأبى الظلم، ونعتصي، نمتنع ونحتمي، بكل سيف رقيق الحدَّين، قاطع

وتَجْهَلُ أَيْدِينَا ويَحْلُمُ رأيُنا ونَشْتُمُ بالأفعالِ لا بالتَّكَلُّمِ

أيدينا تجهل، تتهور، ولكن رأينا حليم، وشتمنا يكون بالفعل لا بالكلام

وإن التَّماديَ في الذي كان بينَنا بِكَفَّيْكَ، فاسْتَأْخِرْ له أو تَقَدَّمِ

والآن فإن التمادي في الخصومة السابقة أصبح بيديك، فإما أن تتراجع وإما أن تتقدم

٦٤ اصطياد العدو

أَوْس بن حَبْنَاء:

إذا المرءُ أَوْلَاكَ الهَوانَ فَأَوْلِهِ هَواناً وإن كانتْ قَريباً أَوَاصِرُهْ

إذا منحك شخص الهوان، الانتقاص من قدرك فبادله بمثل ما فعل، حتى وإن كانت أواصره، العلاقات معه، قريبة

فإن أنتَ لم تَقْدِرْ على أن تُهينَه فَذَرْهُ إلى اليومِ الذي أنتَ قادِرُهْ

إن لم تقدر على إهانته فاتركه إلى اليوم الذي تقدر فيه على ذلك

وقارِبْ إذا ما لم تَكُنْ لَكَ حيلَةٌ وصَمِّمْ إذا أيْقَنْتَ أنكَ عاقِرُهْ

قارب، أي كن قريباً منه مراقباً إياه، إن لم تكن لك حيلة، طريقة، عليه. فإذا أيقنت أنك قادر على عقره، ذبحه، فصمم وأقدم بقوة

٦٥ اللين الفظ

سعد بن ناشِب المازني:

تُفَنِّدُني فيما تَرى مِنْ شَراسَتي وشِدَّةِ نفسي أمُّ سَعْدٍ وما تَدري

تفندني، وتسفه رأيي، أم سعد لما تراه من شراستي وشدتي، وهي لا تدري حقيقة أمري

فقلتُ لها إنَّ الكريمَ وإن حَلَا لَيُلْفَى على حَالٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

قلت لها إن الكريم، حتى وإن كان أخلاقه حلوة سمحة، فهو يُرى في وضع آخر وطباعه أمر من نبات الصبار

وفي اللينِ ضَعْفٌ والشَّراسَةُ هَيْبَةٌ ومَنْ لم يُهَبْ يُحْمَلْ على مَرْكَبٍ وَعْرِ

اللين فيه ضعف، والشراسة تعزيز للهيبة، ومن لم يجعل الناس يهابونه فسوف يكون وضعه صعباً كمن ركب بعيراً شكساً

وما بيَ على مَنْ لانَ لي مِنْ فَظَاظَةٍ ولكنَّني فَظٌّ أَبِيٌّ على القَسْرِ

من لان لي فلست معه فظاً، ولكنني فظ على من يريد أن يقسرني، يجبرني على الأمور

أُقيمُ صَغَا ذي المَيْلِ حتى أَرُدَّهُ وأَخْطِمُهُ حتى يَعودَ الى القَدْرِ

أقيم، أي أعدل، صغا، أي ميل، المائل وأعيده إلى صوابه، وأخطمه، أي أربطه بحبل كالبعير، حتى يعرف قدره ولا يتجاوزه

فإن تَعذِليني تَعْذِلي بي مُرَزَّأً كريمَ نَثَا الإعْسَارِ، مُشتَرَكَ اليُسْرِ

فإن تلوميني فإنما تلومين في شخصي رجلاً مرزأ، كثير الفقد لماله، وكريم نثا الإعسار، كريمة أخباره وهو معسر فقير لأنه يحفظ شرفه عند الفقر؛ ومشترك اليسر، فإذا أيسر واغتنى شارك غيره في ماله

إذا هَمَّ أَلْقَى بينَ عينَيْهِ عَزْمَهُ وصَمَّمَ تَصميمَ السُّرَيْجِيِّ ذي الأُثْرِ

إذا هم بأمر وضعه نصب عينيه وصمم تصميم السريجي، السيف، ذي الأثر، النقش

٦٦ التكاتف

قُرَاد بن عبَّاد:

إذا المرءُ لم يغضبْ له حين يَغضبُ فَوارسُ إن قيلَ اركَبُوا الموتَ يَركَبُوا..

إذا لم يغضب لغضب المرء فرسان يلبون نداءه ويركبون خيلهم نحو القتال المميت..

ولـم يَـحْـبُـهُ بـالـنـصـرِ قـومٌ أَعِـزَّةٌ مَقاحِيمُ في الأمرِ الذي يُتَهَيَّبُ..

وإذا لم يحبه، لم يمنحه، النصر، النصرة والمؤازرة،
قوم أعزة يقتحمون الأمر المخوف الذي يهابه الناس..

تَـهضَّـمَـهُ أَدنَـى الـعَـدُوِّ، ولـم يَـزَلْ، وإن كـان عِـضَّـاً، بـالظُّلَامَةِ يُضْـرَبُ

عندئذ يتهضمه، يظلمه، أقل الأعداء شأناً، ويظل يتعرض للظلم حتى وإن كان عضاً، مجرباً قوياً

فآخِ لِحالِ السِّلْمِ مَنْ شئتَ، واعْلَمَنْ بأنَّ سِوى مَولاكَ في الحربِ أَجْنَبُ

في وقت السلم اصنع صداقة مع من تريد، وفي الحرب فالذي يقف معك مولاك، حليفك، فقط
وأما سواه فسيتجنب الخوض في حربك

ومَـوْلاكَ مَـوْلاكَ الـذي إن دَعَـوْتَـهُ أجابَـكَ طَـوْعـاً والـدمـاءُ تَـصَـبَّـبُ

احفظ مولاك، حليفك، الذي يجيب دعوتك حتى وهو يرى الدماء تتصبب

فلا تَخْذُلِ المَوْلَى وإن كان ظالماً فـإنَّ بِـهِ تُـثْـأَى الأُمـورُ وتُـرْأَبُ

لا تخذل حليفك حتى وإن كان ظالماً. فبالحليف تثأى الأمور،
ترتق، وترأب، تُصلح

٦٧ العمر واحد

قـد عَـلِـمَ الـمُـسْـتَـأْخِـرونَ فـي الـوَهَـلْ

قد عرف المتأخرون عن القتال القابعون في الوهل، الخوف

إذا الـسـيـوفُ عُـرِّيَـتْ مـن الـخِـلَـلْ

إذا السيوف عريت من أغمادها واستلت

أنَّ الـفِـرارَ لا يَـزيـدُ فـي الأَجَـلْ

أن فرارهم لا يضمن لهم حياة مديدة

٦٨ المعمُّ المخول

وقال رجل من بني نمير:

نـعـرِّضُ لـلـطِّـعَـانِ إذا الـتـقَـيـنـا   وُجـوهـاً لا تُـعَـرَّضُ لـلـسِّـبـابِ

نعرض لطعن الرماح في المعركة وجوهنا التي لا نعرضها للسباب والمذمة

فـآبـائـي سَـراةُ بَـنـي نُـمَـيْـرٍ   وأَخـوالـي سَـراةُ بَـنـي كِـلابِ

آبائي سراة، أي سادة، بني نمير، وأخوالي سادة بني كلاب

٦٩ المجرب العتيق

قَبِيصَة بن جابرٍ النصراني الجَرْمي:

وجَـرَّبْـتُ الأُمـورَ وجَـرَّبَـتْـنـي   كـأَنِّي كـنـتُ في الأُمَـمِ الـخَـوالـي

جربت كثيراً حتى كأنني حضرت الأمم الخوالي، الأمم البائدة

لنا الحِصْنانِ مِنْ «أَجَأٍ» و«سَلْمَى»   وشَـرقِـيَّـاهُـمـا غَـيـرَ انـتِـحَـالِ

لنا الحصنان، ويعني الجبلان، أجأ وسلمى.. وهم جبلا قبيلة طيء في شمال الحجاز، ولنا الأرض إلى الشرق منهما ملكاً أصيلاً غير منتحل

وتَـيْـمَـاءُ الـتـي مِـنْ عـهـدِ عـادٍ   حَـمَـيْـنـاهـا بِـأَطـرافِ الـعَـوالـي

ولنا حصن تيماء الذي حميناه بأطراف العوالي، أي الرماح، من عهد عاد

٧٠ ترميني الحدق

سالم بن وَابِصَة:

عـليكَ بـالقَصْدِ فـيما أنتَ فـاعِلُهُ   إنِ الـتـخَـلُّـقَ يـأتـي دونَـهُ الـخُـلُـقُ

عليك بالقصد، الاعتدال؛ والتخلقُ، أي التطبع، يسبقه الخلق الأصيل

ومَوقِفٍ مثلِ حَدِّ السيفِ قُمْتُ به   أَحمي الذِّمارَ وتَرمِينِي به الحَدَقُ

ورب موقف دقيق كأنه حد السيف وقد قمت بحقه، وحميت الذمار، الشرف، وكانت الحدق ترميني، الأنظار متجهة إليّ

فـمَـا زَلِـقْـتُ ولا أَبْـدَيْـتُ فـاحِـشَـةً   إذا الـرجـالُ عـلـى أمـثـالِـهـا زَلِـقُـوا

فما زلقت، انزلقت، ولا فعلت ما هو فاحش معيب، وغيري كان سينزلق في مثل هذا الموقف

٧١ المعمَّر

مجمِّع بن هلالٍ، من بني تيم الله بن ثعلبة:

وإن أكُ ما شَيْخاً كبيراً فطالَما عَمِرْتُ ولكنْ لا أرى العُمرَ ينفعُ

لئن كنت شيخاً كبير السن، فإنني قد عشت طويلاً، ولكن طول العمر لا ينفع

مَضَتْ مِئَةٌ مِنْ مَوْلِدي فَنَضَوْتُها وخَمْسٌ تِباعٌ بعدَ ذاكَ وأَرْبَعُ

مضت مئة سنة من عمري فنضوتها، فخلعتها، ثم خمس وأربع

٧٢ حرب الأقارب

أبو الأخْيَل العِجلي:

أَلَا يا اسْلَمي ذاتَ الدَّماليجِ والعِقْدِ وذاتَ الثَّنايَا الغُرِّ والفَاحِمِ الجَعْدِ

اسلمي يا ذات الدماليج، الأساور، والعقد، وذات الثنايا الغر، الأسنان البيض، والشعر الفاحم الجعد

وذاتَ اللِّثَاتِ الحُمِّ والعَارِضِ الذي به أَبْرَقَتْ عَمْداً بِأَبْيَضَ كالشَّهْدِ

وذات اللثات الحم، اللثة المسمرة، والعارض، أي الأسنان الأمامية، الذي أبرقت به، وقصدت أن تشق ثغرها عمداً ثقة بجمال ثناياها التي تلمع بسبب ما كساها من ريق أبيض كأنه الشهد

كأنَّ ثناياها اغْتَبَقْنَ مُدامَةً ثَوَتْ حِجَجاً في رأسِ ذي قُنَّةٍ فَرْدِ

كأن أسنانها شربت خمرة عتيقة ثوت حججاً، أي مكثت سنين، في رأس جبل منفرد ذي قنة، أي قمة. فرائحة فمها طيبة طيب الخمر العتيقة

لَعَمري لقد مَرَّتْ بِيَ الطيرُ آنِفاً بِمَا لم يكنْ إذْ مَرَّتِ الطَّيْرُ مِنْ بُدِّ

لقد مرت بي الطير، وهذا دليل تشاؤم هنا، وكان مرورها يشير إلى الشر الذي لا بد من وقوعه

ظَلِلْتُ أُسَاقِي الموتَ إِخْوَتِيَ الأُلَى أَبُوهُمْ أَبِي عند المُزَاحَةِ والجِدِّ

ظللت أتبادل شراباً هو الموت مع إخوتي الذين يظل أبوهم أبي في حالي المزح والجد

كلانا يُنادي يا نِزارُ، وبيْنَنا قَناً مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ أو مِنْ قَنَا الهِنْدِ

كل فريق ينادي: يا نزار، فهم جميعاً ينتسبون إلى جد عرب الشمال القديم نزار، ولكن بينهم قنا، رماحاً، من رماح منطقة الخط بالبحرين، أو من رماح الهند

قُرومٌ تَسَامَى مِنْ نِزارٍ عليْهِمُ مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسْجِ دَاودَ والسُّغْدِ

قروم، أي أبطال، من قبائل نزار تسامى، تتصدى، وعليهم دروع مضاعفة النسج سميكة كالتي اشتهر بنسجها النبي داود، أو تلك المستوردة من بلاد السغد

إذا ما حَمَلْنا حملةً مَثَلُوا لنا بِمُرْهَفَةٍ تُذْري السَّواعِدَ مِنْ صُعْدِ

إذا شددنا عليهم وقفوا لنا بسيوف مرهفة حادة تذري، أي تسقط، السواعد من صعد، من أعلاها

وإن نحن نَازَلْنَاهُمُ بِصَوارِمٍ رَدَوْا في سَرابِيلِ الحديدِ كما نَرْدي

وإن نازلناهم بالسيوف الصوارم القاطعة ردوا، أي أسرعوا، نحونا في سرابيل، أردية من الحديد، مثلما نسرع نحوهم

كَفَى حَزَناً أنْ لا أَزالُ أرى القَنا تَمُجُّ نَجيعاً مِنْ ذِراعِي ومِنْ عَضْدي

كفاني حزناً رؤيتي الرماح تمج نجيعاً، تبصق دماً، من ذراعي ومن عضدي، والعضد أعلى الذراع

أما تَرْهَبانِ النارَ في ابْنَيْ أَبِيكُما ولا تَرْجُوانِ اللَّهَ في جنَّةِ الخُلْدِ؟

أيها الفريقان المتحاربان أما ترهبان الجحيم بسبب ما تصنعونه بأبناء أبيكما نزار، ولا ترجوان دخول الجنة؟

فَمَا تُرْبُ أَثْرى لو جَمَعْتَ تُرابَها بأَكْثَرَ مِنْ إِبْنَيْ نِزَارٍ على العَدِّ

المعنى العام: لو جمعت ما في الدنيا من رمل لكان عدد ابني نزار، قبائل مضر وربيعة، أكثر من عدد حبات الرمل

هُمَا كَنَفَا الأرضِ اللَّذَا لو تَزعْزَعَا تَزَعْزَعَ ما بين الجَنوبِ إلى السُّدِّ

هما كنفا، جانبا، الأرض اللذان لو تزعزعا لتزعزعت الدنيا ما بين الجنوب إلى السد، أي من اليمن إلى سد يأجوج ومأجوج

وإنِّي وإن عادَيْتُهُمْ أو جَفَوْتُهُمْ لَتَأْلَمُ مِمَّا عَضَّ أَكبادَهُمْ كَبْدي

كبدي تتألم لما يعض أكبادهم، فهم في النهاية إخوة

فإنَّ أَبِي عند الحِفاظِ أَبُوهُمُ وخَالُهُمُ خَالِي وجَدُّهُمُ جَدِّي

وأبي عند حفظ الشرف هو أبوهم، وخؤولتنا مشتركة أيضاً

رِمَاحُهُمُ في الطُّولِ مِثلُ رِماحِنا وهُمْ مِثْلُنا قَدَّ السُّيُورِ مِنَ الجِلْدِ

وسلاحهم كسلاحنا، وهم مثلنا في كل شيء كما تقد السيور، الحبال، المتساوية من الجلد

٧٣ صحوت

عبد القيس بن خُفَافٍ البَرْجَمي:

صَحَوْتُ وزَايَلَنِي بَاطِلِي لَعَمْرُ أَبِيكَ زِيالاً طويلا

صحوت من غفوة الشباب وتركني الباطل الذي كنت فيه تركاً ذريعاً

وأصبحتُ لا نَزِقاً للَّحاءِ ولا لِلُحومِ صَديقي أَكُولا

أصبحت غير نزق للحاء، غير سريع للتلاسن والتشاتم، ولا آكُلُ لحم صديقي، أي لا أغتابه

وأصبحتُ أعددْتُ للنَّائباتِ عِرْضاً بَريئاً وعَضْباً صَقيلا

أعددت لمصيبات الزمن عرضاً نقياً، وعضباً صقيلا، أي سيفاً مصقولاً

ووَقْعَ لِسانٍ كَحَدِّ السِّنَانِ ورُمْحاً طَويلَ القَناةِ عَسُولا

وأعددت لساناً وقعه وتأثيره كتأثير سنان الرمح، وأعددت رمحاً طويلاً عسولاً، مترجرجاً يميناً يساراً وأنا أحمله

وسَابِغَةً مِنْ جِيادِ الدُّروعِ تَسْمَعُ للسَّيفِ فيها صَليلا

وأعددت درعاً سابغة، طويلة، من الدروع الجياد، أي الجيدة، تسمع صوت السيف عليها يرن رنيناً

كَمَتْنِ الغَديرِ زَهَتْهُ الدَّبُورُ يَجُرُّ المُدَجَّجُ منها فُضُولا

ودرعي هذه منسوجة من حلقات الحديد، فهي تبدو كسطح غدير الماء الذي زهته، أي حركته، ريح الدبور، والمدجج بالسلاح يجر بقية هذه الدرع جراً لأنها طويلة (أوردنا أول بيتين من هذه اقطعة ضمن المفضليات/اكتشفنا التكرار بعد صنع الفهارس فصعب علينا حذفهما من هناك)

٧٤ الابن العاق

أميَّة بن أبي الصَّلْت في ابنه وعقه، وتروى لغيره:

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً، وعُلْتُكَ يَافِعاً تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلِيكَ وتُنْهَلُ

أطعمتك وأنت وليد، وكنت أعيلك وأنت في أول الشباب وأنت تُعَل، أي تشرب، مما أقدمه لك من لبن النياق وتنهل، أي تشرب مرة أخرى

إذا لَيلةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لم أَبِتْ لِشَكْواكَ إلَّا سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ

إذا أصابتك ليلةٌ بالشكو، أي المرض، لم أبت إلا وأنا ساهر لمرضك أتململ ولا أعرف للنوم طعماً

كَأَنِّي أنا المَطْرُوقُ دونَكَ بالذي طُرِقْتَ به دُونِي وعَيْنِيَ تَهْمُلُ

كأني أنا المطروق دونك، المصاب بدلاً منك، وتظل عيني تسيل بالدمع

فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ والغَايَةَ التي إليها مَدى ما كنتُ فيكَ أُؤَمِّلُ..

فلما كبرتَ ووصلت سن النضج التي كنت آملها..

جعلتَ جزائي منكَ جَبْهاً وغِلْظَةً ... كأنكَ أنتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ

جعلت جزائي جبهاً، أي صداً، وغلظة كأنك أنت المتفضل علي

فليتَكَ إذ لم تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتي ... فَعلتَ كما الجارُ المُجاوِرُ يَفعَلُ

وسَمَّيْتَني باسْمِ المُفَنَّدِ رأيُهُ ... وفي رأيِكَ التَّفْنيدُ لو كنتَ تَعْقِلُ

صرت تقول إنني ذو الرأي المفند، الخطأ، والخطأ في رأيك أنت لو أنك تفهم

تَراهُ مُعِدّاً لِلْخِلافِ كأنَّهُ ... بِرَدٍّ على أهلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

يا سامعي إنك لترى ولدي هذا متهيأ لمخالفتي في كل شي، وكأنه مكلف بأن يرد على كل ما يقوله أهل الصواب والعقل

٧٥ يؤدبني

قالت امرأة من بني هِزَّان، يقال لها: أمُّ ثَوابٍ، في ابنٍ لها عقها:

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثلُ الفَرْخِ. أَعْظَمُهُ ... أُمُّ الطَّعَامِ تَرى في جِلْدِهِ زَغَبا

ربيت ابني وكان مثل الفرخ.. والفرخ أكبر شيء في جسمه أم الطعام، أي الحوصلة عند رقبته التي يتجمع فيها الطعام، وجلده ذو زغب، أي ريش صغير

حتى إذا آضَ كالفُحَّالِ شَذَّبَهُ ... أَبَارُهُ ونَفَى عن مَتْنِهِ الكَرَبا

حتى إذا آض، أي صار، كالفحال، النخلة الذكر التي يؤخذ طلعها لتلقيح النخلات الإناث، وقد شذبه الأبار، الملقح، ونفى الكرب عن متنه، أبعد عن ظهره الكرب وهو القشور الصلبة التي لا بد من تشذيبها في الفحال، أي أنه لما كبر وأصبح في أتم حال من الشباب..

أَنْشا يُمَزِّقُ أثوابي يُؤَدِّبُني ... أَبَعْدَ شَيبِيَ عندي يَبْتَغي الأَدَبا

أنشأ، أي بدأ، يمزق ملابسي يبغي تأديبي، أبعد شيبي يريد تأديبي؟

إنِّي لأُبْصِرُ في تَرجيلِ لِمَّتِهِ ... وخَطِّ لِحْيَتِهِ في خَدِّهِ عَجَبا

أرى تسريح لمته، أي شعره، وتشذيب لحيته فيعجبني ذلك

قَالَتْ له عِرْسُهُ يوماً لِتُسْمِعَني ... مَهْلاً فَإنَّ لَنا في أُمِّنا أَرَبا

قالت له زوجته يوماً وهي تقصد إسماعي: مهلاً ولا تتهور فإن لنا في أمنا غرضاً، وهي لنا نافعة

ولو رَأَتْنِيَ في نارٍ مُسَعَّرَةٍ ... ثم اسْتطاعَتْ لَزادَتْ فوقَها حَطَبا

هي تقول ذلك، ولكنها لو رأتني في نار مستعرة لزادت عليها حطباً لو استطاعت

٧٦ الندم

ابن السليماني وهو شاعر إسلامي:

لَعَمْرُكَ إنِّي يَومَ سَلْعٍ لَلائِمٌ لِنَفسِيِ، ولكنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوُّمُ؟

لمت نفسي يوم سلع، أي في معركة سلع، وما نفع اللوم؟

أأَمْكَنْتُ مِنْ نَفسيِ عَدُوِّيَ ضَلَّةً أَلَهْفَيَ على ما فَاتَ لو كنتُ أَعْلَمُ

أهكذا مكنت العدو من نفسي، ضلةً، ما كان أضلني! ليتني علمت النتيجة قبل أن أفعل ما فعلت

لو انَّ صُدورَ الأَمْرِ يَبْدُونَ لِلْفَتَى كأعقَابِه لم تُلْفِهِ يَتَنَدَّمُ

لو أن صدور الأمر، أوائله، تبدو للمرء مثلما تبدو أعقابه، أي نتائجه، ما كان ليندم. أي أنه لو عرف منذ البداية ما ستكون النتائج لاتخذ حيطته. يقول: المرء لا يرى الأحداث وهي مقبلة بوضوح، ويراها وهي مدبرة بوضوح.. ولكن بعد أن يكون فات الأوان

٧٧ الكلوم تعفو

أبو خِراش خُويلد بن مُرَّة الهذلي وهو شاعر مخضرم:

حَمِدْتُ إلَهِي بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا خِرَاشٌ، وبعضُ الشرِّ أهوَنُ مِنْ بعضِ

حمدت الله على نجاة خراش بعد مقتل عروة، ونصف الشر أهون من الشر كله

فواللَّهِ ما أنسَى قتيلاً رُزِئْتُه بِجَانِبِ قُوسَى مَا مَشَيْتُ على الأرضِ

لن أنسى ذلك القتيل الذي رزئته، نكبت به، بموضع «قوسى» طول عمري،
وما دمت أمشي على الأرض

على أنَّها تَعْفُو الكُلومُ؛ وإنَّما نُوَكَّلُ بالأدنَى وإنْ جَلَّ مَا يَمْضي

الكلوم، الجراح، تعفو، أي تندمل؛ ونوكل، أي نهتم بالأمر القريب منا رغم أن ما مضى كان كبيراً في تأثيره

ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليْهِ رِدَاءَهُ على أنَّهُ قد سُلَّ عن مَاجِدٍ مَحْضِ

لا أدري من الذي غطى القتيل بردائه، لكن ذلك الرداء قد سل، سحبَ، عن رجل ماجد محض، خالص المروءة

٧٨ بنيان قوم تهدم

عَبْدَة بن الطَّبيب الشاعر المخضرم:

عليْكَ سَلامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عاصِمٍ ورحمَتُهُ ما شاءَ أن يَتَرَحَّمَا

تـحـيَّـةَ مَـنْ غَـادَرْتَـهُ غَـرَضَ الـرَّدَى   إذا زَارَ عـن شَـحْـطٍ بِـلادَكَ سَـلَّـمَـا

تحية مني أنا الذي تركتني وأنا هدف للقتل فأنقذتني، أزور بلادك عن شحط، قادماً من مكان بعيد، فأطرح السلام وأتذكرك

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ   ولـكـنَّـهُ بُـنـيَـانُ قَـوْمٍ تَـهَـدَّمَـا

موتك لم يكن مجرد موت شخص، بل بنيان قوم تهدم

٧٩ رثاء أخوين

هشام بن عقبة العدوي، يرثي أخويه أوفى وغيلان، وغيلان هو ذو الرمة:

تَـعَـزَّيْـتُ عـن أَوْفَـى بِـغَـيْـلانَ بـعـدَهُ   عَـزاءً وجَـفْـنُ الـعَـيـنِ مَـلآنُ مُـتْـرَعُ

تعزيت ونسيت بعض حزني على أخي أوفى عندما توفي غيلان بعده، فهذا عزاء تعزيته وجفني مترع أي ملآن دموعاً

نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ   لَعَمْرِي لقد جاؤُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا

حين رجع القوم بإبلهم نقلوا خبر أوفى، فما كان أوجع الخبر!

نَعَوْا بَاسِقَ الأفعالِ لا يَخْلُفُونَهُ   تَـكـادُ الـجـبالُ الـشُّـمُّ منهُ تَـصَـدَّعُ

كانت أفعاله باسقة، عالية، وما كانوا يخلفونه، يجدون بديلا يخلفه، وتكاد الجبال العالية تتصدع من ذلك الخبر

خَوَى المَسْجِدُ المَعْمُورُ بعد ابنِ دَلْهَمٍ   وأَمْسَى بِأَوْفَى قومُهُ قد تَضَعْضَعُوا

لقد خوى، أي فرغ من الناس، المسجد الذي كان معموراً بوجود «ابن دلهم» الرجل الصالح المعروف، وكذلك تضعضع قومي بفقدان أوفى

فلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى المُصيباتُ بعدَهُ   ولـكـنَّ نَـكْءَ الـقَـرْحِ بـالـقَـرْحِ أَوْجَعُ

لا، لم تجعلني المصائب التي جاءت من بعد أوفى أنساه، بل إن نكء القرح، فتح الجرح، بجرح آخر أوجع من الجرح الفرد

٨٠ كله قبر مالك

متمِّم بن نُويْرة يرثي أخاه مالكاً الذي قتله خالد بن الوليد:

لقد لامَني عند القبورِ على البُكَا   رفيقي لِتَذْرَافِ الدُّموعِ السَّوافِكِ

لامني رفيقي، ذات يوم عندما رأينا قبوراً، لذرفي الدموع المسفوحة المسفوكة

فـقـالَ أَتَـبْـكـي كُـلَّ قـبـرٍ رأيـتَـهُ   لِقَبْرٍ ثَوَى بين اللِّوَى فالدَّكَادِكِ؟

قال: أتبكي عند كل قبر تراه متذكراً ذلك القبر الذي ثوى، ومكث بين موضعي اللوى والدكادك؟

فقلتُ له إنَّ الشَّجَا يبعثُ الشَّجَا ... فدعْني فَهذا كلُّهُ قبرُ مَالِكِ

قلت له: الحزن يثير الحزن، فكل قبر هو قبر مالك أخي

٨١ البعيد القريب

أبو عطاء السندي من مخضرمي الدولتين يرثي ابن هبيرة الذي قتله المنصور غيلةً:

أَلَا إنَّ عَيناً لم تَجُدْ يومَ واسِطٍ ... عليكَ بِجَاري دمعِها لَجَمُودُ

العين التي لم تكن سخية بدمعها يوم مقتلك بواسط عين جامدة

عَشيَّةَ قامَ النَّائِحاتُ وشُقِّقَتْ ... جيوبٌ بِأيدي مَأْتَمٍ وخُدُودُ

في تلك العشية ناحت عليك النائحات وشققن الجيوب، الملابس من جهة الصدر، ولطمن الخدود. مأتم معناها جماعة النساء النائحات، ثم صارت تعني كل مجلس عزاء

فإنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الفِنَاءِ فربَّما ... أَقامَ به بعدَ الوُفودِ وُفُودُ

إن أصبح فناؤك، أي ساحتك، مهجوراً، فطالما كانت الوفود الكثيرة تقيم بساحتك وهي تأتي لنيل عطائك

فإنَّكَ لم تَبْعُدْ على مُتَعَهِّدٍ ... بَلى كلُّ مَنْ تَحتَ التُّرَابِ بَعيدُ

لم تبتعد ذكراك عن متعهد، ذاكر لعهدك.. لا، بل كل من دفن فهو بعيد

٨٢ أعبدُ الله ذلك الردي؟

دُرَيْد بن الصِّمَّة وقد نصح قومه (بني غَزِيَّة) فتركوا نصيحته وقاتلوا أعداءهم ـ وهو معهم ـ فقتل أخوه عبد الله فقال يرثيه:

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وأَصْحَابِ عَارِضٍ ... ورِهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ والقَوْمُ شُهَّدي:

نصحت لعارض ولأصحابه، ولبني السوداء، والقوم يشهدون على ذلك. في رواية الأصمعيات: «فقلت لعرَّاض وأصحاب عارض» كأنما أراد الناسخ إصلاح الوزن

فقلتُ لهم ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ ... سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ

قلت لهم إن أغلب الظن هو أن عدوكم ألفا رجل مدجج بالسلاح، وسادتهم يلبسون الدروع الفارسية المنسوجة بحلقات الحديد

فلمَّا عَصَوْني كنتُ مِنْهُمْ، وقد أَرَى ... غِوايَتَهُمْ وأَنَّني غيرُ مُهْتَدِ

لما رفضوا النصيحة انصعت لهواهم؛ قد عرفت ضلالهم، وعرفت أنني أنا أيضاً بعيد عن الهداية

أَمَرْتُهُمُ أَمري بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... فلم يَستَبِينُوا الرُّشْدَ إلَّا ضُحَى الغَدِ

أمرتهم أمري ذاك في ذلك الموضع، ولم يتبين لهم سداد رأيي إلا ضحى اليوم التالي

وهل أنَا إلَّا مِنْ غَزِيَّةَ؟ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

أنا من قبيلة «غزية»، إن انحرفت القبيلة عن الرشد انحرفت معها، وإن رشدت أرشد

تَنَادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخيلُ فارساً فقلتُ: أَعبْدُ اللَّهِ ذَلِكُمُ الرَّدي؟

صرخوا قائلين إن الخيل قتلت فارساً، فسألت: أعبدُ الله ذلك القتيل؟

فجِئْتُ إليهِ والرمَاحُ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ الصَّياصي في النَّسيجِ المُمَدَّدِ

جئت إليه والرماح تنوشه، تتعاوره وتتناوله، كأنها دخول الصياصي، لفائف الخيوط، في النسيج. فالناسج يدخل خشبة مغزلية ملفوفاً عليها الخيوط بين النسيج الممدود مرة بعد مرة لتشكيل الطبقة المستعرضة في النسيج فهو يُسَدِّي بعد أن يُلْحِم

فكنتُ كَذاتِ البَوِّ رِيعَتْ فأقْبَلَتْ إلى جَلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدِ

كنت كالناقة الفاقد التي ترتاع لفقد ولدها فتقبل على البوّ، وهو جلد فصيلها يحشونه تبناً ويجعلونه قربها كي تحن عليه ويدر حليبها.. لا يكتفون بقتل وليدها بل يريدون حليبها أيضاً.. والبو مصنوع من مسك سقب مقدد، أي جلد فصيل مجفف

فَطَاعَنْتُ عنه الخيلَ حتى تَبَدَّدَتْ وحتى عَلاني حَالِكُ اللَّونِ أَسوَدِي

طاعنت الخيل المحيطة بعبد الله حتى تفرقت، وحتى علاني الغبار الأسوديُّ أي الأسود

قِتالَ امْرِئٍ آسَى أَخَاهُ بِنفسِهِ ويَعلَمُ أنَّ المرءَ غَيْرُ مُخَلَّدَ

قاتلت قتال أخ آسى، أي ساوى، أخاه بنفسه، ولا يهمه الموت لأن الإنسان في النهاية ميت

فإنْ يَكُ عبدُ اللَّهِ خَلَّى مَكانَه فما كان وَقَّافاً ولا طَائِشَ اليَدِ

لئن مات وترك مكانه فارغاً، فهو لم يكن وقافاً، متردداً، ولا طائش اليد عندما يرمي السهام

كَمِيشُ الإزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ بعيدٌ مِنَ الآفاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ

كان كميش الإزار، قصير الثوب مشمراً للنجدة، ولم تكن فيه صفات رديئة، وكان يصعد في المرتفعات ساعياً في شؤون قومه

قليلُ التَّشَكِّي لِلْمُصيباتِ، حَافِظٌ مِنَ اليومِ أعقَابَ الأَحاديثِ في غَدِ

كان قليل الشكوى، وكان يتكهن بنتائج الأفعال قبل وقوعها

تَراهُ خَميصَ البَطْنِ والزَّادُ حَاضِرٌ عتيدٌ، ويَغْدُو في القَميصِ المُقَدَّدِ

يكون خميص البطن، ضامِرَه بينما الطعام عتيد، أي موجود، إيثاراً، وكان يلبس قميصاً مقدوداً

وإن مَسَّهُ الإِقْواءُ والجَهْدُ زَادَهُ سَماحاً وإتْلافاً لِمَا كان في اليَدِ

وكلما ازداد إقواء، أي فقراً، وشدة في العيش ازداد سماحاً، أي سخاء، وتبديداً لماله

صَبَا ما صَبَا حتى عَلا الشَّيْبُ رأسَهُ   فلمَّا عَلاهُ قالَ لِلبَاطِلِ ابْعَدِ

صبا، أي عاش حياة اللهو، ما صبا، أي مدة صباه وشبابه، ثم شاب رأسه، فأصبح وقوراً وطرد عن حياته اللهو

وطَيَّبَ نفسي أنَّنِي لم أقُلْ لَهُ   كذبْتَ ولم أبخَلْ بِما مَلَكَتْ يَدي

الذي طيب نفسي بعد موته أنني لم أكذّبه في حياته، ولم أبخل عليه

٨٣ الدهر نصفان، كلاهما مخضب بالدم

دريد بن الصمة يرثي قتلى قبيلته، وابن الصمة شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم:

تَقولُ ألَا تَبكِي أخاكَ؟ وقد أرَى   مكانَ البُكَا لكنْ بُنِيتُ على الصَّبرِ

تقول لي العاذلة: لم لا تبكي أخاك القتيل؟ وأنا مدرك أن الموقف موقف بكاء، ولكنني صبور

فقلتُ: أعَبْدَ اللَّهِ أبْكِي أمِ الذي   له الجَدَثُ الأعْلى قَتيلَ أبي بَكْرِ

قلت: أأبكي عبد الله؟ أم صاحب الجدث الأعلى، القبر العالي فوق الهضبة، الذي قتل في حروب الردة؟

وعبدَ يَغُوثٍ تَحْجُلُ الطيرُ حَولَهُ   وعَزَّ المُصَابُ حَثْوُ قَبْرٍ على قَبْرِ

أم أبكي «عبد يغوث» الذي تتبختر الطيور حوله وهو قتيل تريد نهشه، وقد كبر المصاب بحثو التراب فوق قبر تلو قبر

أبَى القَتْلُ إلّا آلَ صِمَّةَ، إنَّهُمْ   أبَوْا غيرَهُ، والقَدْرُ يَجري إلى القَدْرِ

لا يريد القتل سوى آل صمة، وهم لا يريدون سواه، هذا قدرهم وهم مقدَّرون لهذا المصير

فإمَّا تَرَيْنا لا تَزالُ دِمَاؤُنا   لدى وَاتِرٍ يَسْعَى بِها آخِرَ الدهرِ..

إن رأيت أن دماءنا هي في رقبة واتر، قاتل، قد أراقها فهو يسعى بها هارباً من العقاب..

فإنَّا لَلَحْمُ السيفِ غيرَ نَكيرَةٍ   ونُلْحِمُهُ حيناً وليس بِذي نُكْرِ

.. فنحن لحم مبذول للسيوف ولا ننكر ذلك، وأحيانا نطعم سيوفنا لحوم الأعداء

يُغَارُ علَيْنا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَى   بِنَا إن أُصِبْنا، أو نُغيرُ على وِتْرِ

يغير الأعداء علينا ونحن واترون، أي كنا قد قتلنا منهم، ويشتفون بنا إن أصابونا، أو أننا نحن نغير على وتر، لأخذ الثأر

قَسَمْنا بِذاكَ الدهرَ شَطرَيْنِ بيننا   فما يَنقَضي إلّا ونحن على شَطْرِ

فالزمن مقسوم نصفين، بين أن نثأر ويثأروا منا، فلا ينتهي الزمن إلا ونحن على أحد هذين النصفين

٨٤ الخبر المصمئل

قال ابن اخت تأبط شراً يرثي ويفتخر بأخذ الثأر، وذُكر أنها لخلف الأحمر في العصر العباسي:

إنَّ بِالشِّعْبِ الذي دونَ سَلْعٍ لَقَتيلاً دَمُهُ ما يُطَلُّ

في الشعب، الطريق، قرب موضع سلع، قتيل دمه لا يطل، لا يذهب هدراً

خَلَّفَ العِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أنا بِالعِبْءِ له مُسْتَقِلُّ

خلف عبء أخذ الثأر عليَّ ومضى، وأنا مستقل بالعبء، حامل له

ووَراءَ الثَّأْرِ مِنِّي ابنُ أُخْتٍ مَصِعٌ عُقْدَتُهُ ما تُحَلُّ

ولأخذ الثأر يدعمني ابن أخت مصع، شديد، عقدته ما تحل، عزيمته لا تتراخى

مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سُمَّاً كَمَا أَطْرَقَ أَفْعَى يَنْفِثُ السُّمَّ، صِلُّ

مطرق برأسه لكنه يرشح سماً، مثلما تطرق الأفعى وتهدأ ولكنها تنفث السم. والصل: الثعبان

خَبَرٌ مَا، نَابَنِي، مُصْمَئِلُّ جَلَّ حتَّى دَقَّ فيهِ الأَجَلُّ

ثمة خبر نابنا، أي طرأ علينا، مصمئل، شديد، والخبر هائل حتى صار كل خبر جليل غيره صغيراً

بَزَّني الدهرُ، وكان غَشوماً، بِأَبِيٍّ جارُهُ ما يُذَلُّ

بزني، أي سلبني، الدهر، وكان الدهر ظلوماً، سلبني رجلاً أبياً شامخاً يحمي من يستجير به فلا يستطاع إذلال المستجير

شَامِسٌ في القُرِّ، حتى إذا ما ذَكَتِ الشِّعْرَى فَبَرْدٌ وظِلُّ

هذا الرجل شامس أيام القر، أي البرد، فكأنه في وقت الشتاء الصعب الذي تقل فيه ألبان النوق واللحوم يكون كالشمس لضيوفه؛ فإذا ذكت الشعرى، اشتعل نجم الشعرى وجاء الصيف، فهو مثل البرد والظل لضيوفه يقيهم حر الشمس ويؤويهم

يَابِسُ الجَنْبَيْنِ مِنْ غيرِ بُؤْسٍ ونَدِي الكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ

جنباه يابسان، أي أنه نحيل، ولكن ذلك ليس لفقر بل لأنه يطعم الناس وقليلاً ما يأكل، وكفاه نديان، أي أنه سخي، وشهم مدل، أي أنه ذو دالة على قومه يسمعون كلمته

ظَاعِنٌ بِالحَزْمِ حتى إذا ما حَلَّ حَلَّ الحَزْمُ حيثُ يَحُلُّ

ظاعن، راحل، ويصحبه الحزم والتصميم، وإذا حل بمكان فكأنما يحل التصميم في ذلك المكان معه

غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حيثُ يُجْدِي وإذا يَسْطُو فَلَيْثٌ أَبَلُّ

هو مطر من السحاب يغمر الأرض في المكان الذي يجديه، يهطل عليه، وإن سطا وغضب فهو كالأسد الأبل، الذي لا يبالي العواقب

مُسْبِلٌ في الحَيِّ أحْوَى رِفَلٌ وإذا يَغْزُو فَسِمْعٌ أزَلُّ

يسبل رداءه، ويعيش عيشة هنيئة، في قومه، وهو أحوى، أسمر، ورفل، يرفل في النعمة، وأما إذا غزا قوماً فهو سمع أزل، ذئب نحيل

وله طَعْمَانِ أرْيٌ وشَرْيٌ وكِلا الطَّعْمَيْنِ قد ذاقَ كُلُّ

له طعمان: أري، أي عسل، وشري، أي حنظل. وهو يذيق الناس كلا الطعمين، فللضيف الإكرام، وللعدو مرارة الحنظل

يرَكبُ الهَولَ وَحيداً، ولا يَصْحَبُهُ إلّا اليَمانيِ الأفَلُّ

يركب الأهوال وحده ولا يصحبه سوى السيف اليماني المثلم لكثرة ما ضرب به الأعداء

وفُتُوٍّ هَجَّرُوا ثم أسْرَوْا لَيلَهُمْ، حتى إذا انْجابَ حَلُّوا

رب فتو، فتية، هجروا، ساروا في الشمس، ثم أسروا، ساروا في الليل، ثم لما مضى الليل حلوا، نزلوا

كلُّ مَاضٍ قد تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسَنا البَرْقِ إذا مَا يُسَلُّ

كل رجل ماض، حادّ نحيل، منهم قد تردَّى بماض، قد لبس سيفاً، مثل سنا، أي ضوء، البرق عندما يُسل

فادَّرَكْنا الثَّأرَ منهُمْ ولَمَّا يَنْجُ مِلْحَيَّيْنِ إلّا الأقَلُّ

أدركنا ثأرنا منهم، ولم ينج ملحيين، أي من العشيرتين إلا عدد قليل

فاحْتَسَوْا أنْفاسَ نومٍ فَلَمَّا هَوَّمُوا رُعْتُهُمُ فاشْمَعَلُّوا

ذاق الفتية بعد الفراغ من مهمتهم بعض النوم، فلما هوموا، ارتخت هاماتهم على صدورهم نوماً، رعتهم، فاجأتهم بإيقاظهم، فاشمعلوا، أسرعوا

صَلِيَتْ مِنِّي هُذَيلٌ بِخِرْقٍ لا يَمَلُّ الشرَّ حتى يَمَلُّوا

قبيلة هذيل صليت، اكتوت، بخرق، شجاع، هو أنا، وهذا الشجاع لا يمل من الشر حتى يمل الأعداء ويكفوا عن عدوانهم

يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ حتى إذا ما نَهِلَتْ كان لها منهُ عَلُّ

يسقي الصعدة، الرمح، فإذا شربت من دم العدو، كان لها منه عل، والعلُّ هو السقي مرة ثانية

٨٥ إخوان الصفاء

أبو الحِبال البَرَاء بن رِبْعِيّ الفَقْعسي:

أُولئِكَ إخوانُ الصَّفاءِ رُزِيتُهُمْ وما الكَفُّ إلّا إصبعٌ ثم إصبعُ

رزئت صحبي الأصفياء وفقدتهم واحداً واحداً، شأن الكف تفقد إصبعاً بعد إصبع، وما الكف سوى تلك الأصابع

٨٦ الممدوح المرثي

أشْجَع السُّلَمِيّ، وهو عباسي:

مضَى ابنُ سَعيدٍ حين لم يَبْقَ مَشْرِقٌ ولا مَـغْـرِبٌ إلّا لـه فـيـهِ مَـادِحُ

رحل ابن سعيد في وقت لم يبق فيه مكان في شرق ولا في غرب إلا وفيه من يمدحه

وما كـنـتُ أَدْري ما فَواضِـلُ كَـفِّـهِ على الناس حتى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ

ما عرفت فضل كفه وكرمه إلا بعد أن غاب تحت الصفائح، حجارة القبر المبسَّطة

فأصبحَ في لَحْدٍ مِنَ الأَرضِ ميّتاً وكانتْ به حَيّاً تَضيقُ الصَّحَاصِحُ

أصبح في قبر بعد أن كان في حياته يملأ الصحاصح، الفيافي بذكره الحسن

سَأَبْكيكَ ما فاضَتْ دُموعِي فإنْ تَغِضْ فَحَسْبُكَ مِنّي ما تُجِنُّ الجَوانِحُ

سأبكيك ما دام لي دمع يجري، فإن غاض دمعي، نضب، فيكفيك مني ما تجن، تخفي، جوانحي، ضلوعي، من حزن

وما أنَا مِنْ رُزْءٍ، وإن جَلَّ، جَازِعٌ ولا بِـسُـرورٍ بـعـد مـوتِـكَ فَـارِحُ

لن أضطرب لرزء، مصاب، حتى وإن كان جليلاً كبيراً، ولن أفرح لشيء بعد موتك

كأنْ لم يَمُتْ حَيٌّ سِواكَ ولم تَقُمْ علـى أحَـدٍ إلّا علـيـكَ الـنَّـوَائِحُ

كأنه لم يمت أحد غيرك، ولا ناحت النائحات على أحد قبلك، فالحزن عليك كان فريداً في شدته

لئِنْ حَسُنَتْ فيكَ المَراثِي وذِكْرُها لقد حَسُنَتْ مِنْ قَبلُ فيكَ المدائِحُ

جميلة هي قصائد الرثاء فيك، وقبلها كانت جميلة قصائد المدح

٨٧ لا حيلة في الموت

يحيى بن زياد الحارثي:

نَعَى نَاعِيَا عَمْرٍو بِلَيْلٍ فأَسْمَعا فَـراعَـا فـؤاداً لا يـزالُ مُـرَوَّعـا

نعى الناعيان عمراً فأفزعا قلباً ظل بعد ذلك فزعاً لموته

ومـا دَنِـسَ الـثـوبُ الـذي زَوَّدُوكَـهُ وإنْ خَـانَـهُ رَيْـبُ الـبِـلَـى فتـقَـطَّـعـا

لم يتسخ الكفن الذي لفوك به لأن ذكرك حسن، حتى وإن بلي الكفن وتقطع تحت التراب

دفَـعْـنَـا بِـكَ الأَيَّـامَ حتـى إذا أَتَـتْ تُـريدُكَ لم نَـسْـطِعْ لَـها عنكَ مَدْفَعا

حميناك من مصائب الأيام، فلما جاءت تريدك لتأخذك للموت لم نستطع دفعها

٨٨ سأبكيك

لَنِعْمَ الفَتى أَضْحَى بِأكنافِ حَائِلٍ غَدَاةَ الوَغَى أُكْلَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

نعم الفتى الذي أضحى في جانب حائل صبيحة المعركة أكل الردينية السمر، أي فريسة للرماح السمر

سأبْكيكَ لا مُسْتَبْقِياً فيضَ عَبْرَةٍ ولا طالباً بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصبرِ

سأبكيك ولن أبقي دمعة، ولن أكف عن البكاء.. غير مهتم بنيل عاقبة الصبر، أي الثواب على الصبر

٨٩ بيوت تخرب وقبور تعمر

عبد الله بن ثعلبة الحنفي:

لِكُلِّ أناسٍ مَقْبَرٌ بِفِنائِهِمْ فهُمْ يَنْقُصُونَ والقُبورُ تَزيدُ

لكل قوم مدفن بساحتهم، هم ينقصون والقبور تزيد

وما إن يَزالُ رَسْمُ دَارٍ قد اخْلَقَتْ وبيتٌ لِمَيْتٍ بِالفِنَاءِ جَديدُ

وباستمرار يظل ثمة طلل لدار قد اخلقت، تهدمت، وينشأ بيت في الفناء، أي الساحة، جديد يحل به ميت

هُمُ جيرَةُ الأحْياءِ، أمَّا جِوارُهُمْ فَدَانٍ، وأمَّا المُلْتَقَى فَبَعيدُ

الموتى جيراننا، قريبون منا وملتقانا بهم بعيد

٩٠ ذاهب لا يعود

لا يُبْعِدِ اللَّهُ إِخْواناً لنَا ذَهَبُوا أَفْنَاهُمُ حَدَثَانُ الدهرِ والأَبَدُ

لا يبعد الله موتانا الذين أفنتهم مصائب الزمن والأبد، الزمن نفسه. لا يبعد: دعاء للميت بأن تظل ذكراه قريبة

نُمِدُّهُمْ كلَّ يومٍ مِنْ بَقِيَّتِنا ولا يَؤُوبُ إليـنا منهُمُ أَحَدُ

نعزز جيش الموتى كل يوم بأفراد من بقيتنا، ولا يعود من يموت

٩١ ما على الدهر معتب

الغَطَمَّش الضَّبِّي:

إلى اللَّهِ أشْكُو، لا إلى الناسِ، أنَّنِي أرى الأرضَ تَبقَى والأَخِلَّاءَ تَذْهَبُ

الأرض تبقى والأحباب يذهبون

أَخِلَّايَ لو غيرُ الحِمامِ أصابَكُمْ   عَتَبْتُ، ولكِنْ ما على الدهرِ مَعْتَبُ

يا أحبائي لو أن الذي أصابكم كان شخصاً لكنت عتبت عليه، ولكن.. لا عتب على الدهر

٩٢ بكاء ولا صبر

إذا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بعدَكَ والبُكَا   أجابَ البُكَا طَوْعاً ولم يُجِبِ الصَّبْرُ

البكاء يلبي دعوتي، والصبر لا يأتيني

فإن يَنْقَطِعْ منكَ الرَّجَاءُ، فإنَّهُ   سيَبْقَى عليكَ الحُزنُ ما بَقِيَ الدهرُ

لا رجاء في عودتك، والحزن عليك خالد

٩٣ فحملتها

مُوَيْلك المزموم يرثي امرأته أم العلاء:

أُمْرُرْ على الجَدَثِ الذي حَلَّتْ به   أُمُّ العَلاءِ فَحَيِّها لو تَسْمَعُ

الجدث: القبر

أنَّى حَلَلْتِ وكنتِ جِدَّ فَرُوقَةٍ   بَلَداً يَمُرُّ به الشُّجَاعُ فَيَفْزَعُ؟

كيف نزلت وأنت جد فروقة، خوافة جداً، بلداً يفزع منه الرجل الشجاع، وهو المقبرة؟

صَلَّى عليكِ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ   إذْ لا يُلَائِمُكِ المَكانُ البَلْقَعُ

صلى عليك الله، رحمك، فلا يلائمك المكان البلقع، الخالي المقفر

ولقد تَرَكْتِ صَغيرةً مَرْحُومَةً   لم تَدْرِ مَا جَزَعٌ عَليكِ فَتَجْزَعُ

تركت ابنة صغيرة مرحومة، محزون عليها، وهي لا تعرف بعد معنى الجزع

فَقَدَتْ شَمائِلَ مِنْ لِزَامِكِ حُلْوَةً   فتَبِيتُ تُسْهِرُ أهلَها وتُفَجِّعُ

لكنها فقدت شمائل، مزايا، من قبيل لزامك، ضمك لها.. لذا تبيت باكية تجعل أهلها يسهرون وهي تشعرهم بفجيعة الفقد

فإذا سمعتُ أنينَها في ليلِها   طفِقَتْ عليكِ شؤونُ عيني تَدْمَعُ

شؤون العين: مجاري الدمع

ولَقلَّما لَبِثَتْ خِلافَكَ أن رَأَتْ   مَلَكاً دَعَا ودُعاؤُهُ يُتَوَقَّعُ

وبعد موتك بقليل لم تلبث أن رأت رات مَلَكاً من الملائكة يدعوها، ودعوة هذا الملك متوقعة لكل إنسان

فحَمَلْتُها وَحَفَرْتُ عندَكِ قبرَها   جَزَعاً وكنتُ إخَالُني لا أَجْزَعُ

فدفنتها قربك، وجزعت واضطربت

٩٤ لِيَمُت من شاء بعدك!

قال الشاعر يرثي رجلاً اسمه جارية:

«أَجَارِيَ» ما أَزْدَادُ إلَّا صَبابَةً   إليكَ وما تَزْدادُ إلَّا تَنائِيا

أزداد شوقاً إليك، وأنت تزداد ابتعاداً

«أَجَارِيَ» لو نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ   فَدَيْتُكَ مَسروراً بِنفسي ومَالِيا

ليت كان ممكناً أن أموت بدلاً منك، وإني لمسرور بذلك

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلَّاكَ حِقْبَةً   فحَالَ قَضاءُ اللّهِ دونَ رَجائِيا

كنت أرجو أن أملاك، أن أتمتع برؤيتك، بعض الوقت، ولكن قضاء الله حال دون رجائي

أَلَا لِيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إنَّما   عليكَ مِنَ الأَقْدارِ كان حِذَارِيَا

فليمت بعدك من شاء أن يموت، فقد كنت خائفاً حذراً عليك وحدك من يد القدر

٩٥ بلا ظل رجل

فاطمةُ بنت الأَحْجَم الخُزاعيَّة:

يا عينُ بَكِّي عندَ كلِّ صباحِ   جُودي بأَرْبَعَةٍ على الجَرَّاحِ

ابكي يا عيني كل صباح وكوني سخية بالدمع من المآقي الأربعة، أطراف العينين كلتيهما، على الجراح

قد كنتَ لي جَبَلاً أَلُوذُ بِظِلِّهِ   فتَرَكْتَني أَضْحَى بِأَجْرَدَ ضَاحِ

كنت جبلاً ألجأ إلى ظله، كناية عن الاحتماء به، فتركتني أضحى، أي أصبح ضاحية أي مكشوفة للشمس، بأجرد ضاح، في مكان أجرد ضاح، أي مكشوف للشمس

قد كنتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشْتَ لي   أَمْشِي البَرَازَ وكنتَ أنتَ جَناحي

كنت ذات عزة وأنت حي، أمشي بارزة للناس لا أخشى أحداً، وكنت أنت جناحي الذي به أطير

فاليومَ أَخْضَعُ للذَّليلِ وأتَّقي   منهِ، وأَدْفَعُ ظَالِمي بِالرَّاحِ

بالراح: باليد. كأنها تتخيل وقد أحاط بها الطامعون فهي تدفعهم بيدها دفعاً لتبعدهم.. حتى لو كانوا من الأذلاء

وأَغُضُّ مِنْ بَصَرِي، وأعْلَمُ أَنَّني قد بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي ورِمَاحي

أغض بصري دفعاً للطامعين عارفة بأنه قد بان، فارق، حد سيوف ورماح فرساني

٩٦ السُّلَكة ترثي ابنها

السُّلَكَةُ ترثي ابنها السُّلَيْك، ويقال إنها لأم تأبط شراً:

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلاكٍ، فَهَلَكْ

طاف يطلب رزقاً ينجيه من الموت جوعاً فهلك قتلاً

لَيتَ شِعرِي ضَلَّةً أيُّ شَيءٍ قَتَلَكْ

ضلة: هذه كلمة يحشرها القدماء في أكثر من موضع، وهي مثل قولة الناس اليوم: «كشل»، و«يا خرابي» و«يا للأسف» و«عزا» و«يا للخسارة» و«حسافة»

أَمَرِيضٌ لم تُعَدْ أم عَدُوٌّ خَتَلَكْ

ختلك: خدعك فنالك، والختل للصيد

أم تَوَلَّى بِكَ مَا غَالَ في الدهرِ «السُّلَكْ»

أم أنك مت ميتة عادية كما مات في الدهر الغابر أبناء قومك «السلك»

والمَنَايَا رَصَدٌ لِلفَتَى حيثُ سَلَكْ

أيُّ شَيءٍ حَسَنٍ لِفَتَىً لم يَكُ لَكْ

كُلُّ شيءٍ قَاتِلٌ حين تَلقَى أَجَلَكْ

طَالَمَا قد نِلْتَ في غَيرِ كَدٍّ أَمَلَكْ

إن أَمْرَاً فَادِحَاً عن جَوابِي شَغَلَكْ

سَأُعَزِّي النفسَ إذْ لم تُجِبْ مَنْ سَأَلَكْ

لَيتَ قَلبِي ساعةً صَبْرَهُ عنكَ مَلَكْ

ليت قلبي يملك الصبر عن فقدك

لَيتَ نَفْسِي قُدِّمَتْ لِلمَنَايا بَدَلَكْ

٩٧ المضياف العَذَوَّر

العُجَيْر السَّلولي:

فَتىً قُدَّ قَدَّ السيفِ لا مُتَضَائِلٌ ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأَبَاجِلُهْ

فتى له قدٌّ كقد السيف، ليس ضئيل الجسم ولا مترهلاً في لباته، في صدره، وأباجله، عروق فخذيه

إذا جَدَّ عِنْدَ الجِدِّ أرضَاكَ جِدُّهُ   وذُو بَاطِلٍ إن شئتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهْ

كان جاداً ولاهياً، ولكل منهما وقته

يَسُرُّكَ مَظْلوماً، ويُرْضِيكَ ظَالماً   وكلُّ الذي حَمَّلتَهُ فَهْوَ حَامِلُهْ

إذا كنت مظلوماً أخذ بحقك، وإذا كنت ظالماً أعانك وأرضاك ويحمل عنك ما تريده أن يحمله من ديات مثلاً

إذا نَزَلَ الأضيافُ كان عَذَوَّراً   على الحَيِّ حتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ

إذا جاءه الأضياف كان عذوراً على الحي، أي غضوباً على أهله، حتى تستقل المراجل، أي ترفع القدور على النار

٩٨ الجامع الصادع

أبو الحَجْناء مولى بني أسدٍ:

أَعَاذِلُ مَنْ يُرْزَأْ كَحَجْناءَ لا يَزَلْ   كَئِيباً ويَزْهَدْ بَعْدَهُ في العَوَاقِبِ

يا عاذلتي من يرزأ، يُصَبْ، بشاب كحجناء يظل كئيباً، ويصبح قليل الاهتمام بالعواقب، بما سيأتي

حَبيبٌ إلى الفِتيانِ صُحْبَةُ مِثْلِهِ   إذا شَانَ أصحابَ الرِّجَالِ الحَقَائِبُ

يحب الفتيان صحبته، بينما أصحاب الرجال من غيره تشينهم حقائبهم، تعيبهم حقائبهم التي فيها أشياء ولا يمنحون منها لأصحابهم. والحقيبة هي كيس يوضع على حقو الجمل وفيه الثياب والطرائف

نِظَامُ أُنَاسٍ كان يجمعُ شَمْلَهُمْ   ويَصْدَعُ عنهُمْ عَادِياتِ النوائِبِ

كان الفقيد الخيط الناظم لقومه يجمع شملهم ويصدع عنهم، أي يفرق عنهم، المصائب التي تعدو عليهم

وجَرَّبْتُ ما جَرَّبْتُ منه فَسَرَّني   ولا يَكشِفُ الفِتيانَ غيرُ التَّجَارِبِ

٩٩ رثاء الدكتاتور

مُهَلهِل يرثي أخاه كليباً:

نُبِّئْتُ أن النَّارَ بَعدَكَ أُوقِدَتْ   واسْتَبَّ بَعدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ

خبروني أن النار التي كنت وحدك من يوقدها لاستقبال الأضياف، قد أوقدت بعد موتك، وخبروني أن القوم في مجلسهم بدأوا يتشاتمون، وما كانوا ليجرؤوا على ذلك في مجلسك

وتَكلَّمُوا في أمرِ كلِّ عظيمةٍ   لو كنتَ شَاهِدَهُمْ بِهَا لم يَنْبِسُوا

صاروا يتبادلون القول في عظائم الأمور ولم يكونوا يتكلمون في حياتك

١٠٠ ثبات حتى الممات

أم الصَّريح الكِنْدية:

أَبَوْا أن يَفِرُّوا والقَنا في نُحُورِهِم ‌ ‌ ‌ وأن يَرتَقُوا مِنْ خَشيَةِ الموتِ سُلَّما

رفضوا الفرار والرماح في نحورهم، في أعالي صدورهم، ورفضوا أن يصعدوا بسلم هرباً من الموت، كناية عن الفرار. لعل العربي القديم كان يصعد شجرة فراراً من ذئب أو ضبع

فلو أنَّهُمْ فَرُّوا لَكانُوا أعِزَّةً ‌ ‌ ‌ ولكنْ رَأَوْا صَبْراً على الموتِ أكرَما

لو فروا لظلوا كراماً، ولكنهم رأوا أن الصبر على الموت أكرم لهم

١٠١ كنت السمع والبصر

صَفِيَّة البَاهِلِيَّة ترثي زوجها:

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ في جُرثُومَةٍ سَمَقَا ‌ ‌ ‌ حِيناً بِأَحْسَنِ ما يَسْمُو له الشَّجَرُ

كنا غصنين في جرثومة، أصل النبتة، سمقا، ارتفعا زمناً فكانا كأحسن ما يكون الشجر

حتى إذا قيلَ قد طَالَتْ فروعُهُما ‌ ‌ ‌ وطَابَ فَيْآهُما واسْتُنْظِرَ الثَّمَرُ..

فلما طالت فروعهما وأصبح لهما فيء طيب، أي ظل طيب، وانتظر الناس الثمر..

أَخْنَى على واحِدِي رَيْبُ الزمانِ، وما ‌ ‌ ‌ يُبقِي الزمانُ على شيءٍ ولا يَذَرُ

أخنى، أي جار، على واحدي، نصيري الأوحد، الزمن الذي لا يبقي على شيء

كنَّا كَأَنْجُمِ ليلٍ بينَها قمرٌ ‌ ‌ ‌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوى مِنْ بينِنا القَمَرُ

فاذهَبْ حَمِيداً على ما كان مِنْ مَضَضٍ ‌ ‌ ‌ فقد ذَهَبْتَ وأنتَ السَّمْعُ والبَصَرُ

اذهب محموداً رغم ما سبَّبه رحيلك من مضض، ألم

١٠٢ الجدير بالثناء

عبد الله بن أيوب التميمي، الشاعر العباسي يرثي منصور بن زياد، ورويت لمسلم بن الوليد وقبلها بيت، وتجده في كتابنا عن الشعر في مطلع العصر العباسي، وهو كتاب فرغنا من معظمه، فإن طبع هذا فأخلق بذاك أن يجد طريقه إلى المطبعة:

عَمَّتْ فَواضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ ‌ ‌ ‌ فالناسُ فيهِ كلُّهُمْ مَأْجُورُ

عم فضله فعم الحزن عليه، فلكل الناس أجر عند الله لصبرهم على المصيبة فيه

يُثْنِي عليكَ لسانُ مَنْ لم تُولِهِ خَيراً لأنَّكَ بالثَّناءِ جَديرُ

يثني عليك لسان من لم توله خيراً، لم تمنحه من خيرك، فقط لأنك تستحق الثناء

رَدَّتْ صَنائِعُهُ إليهِ حياتَهُ فكأنَّهُ مِنْ نَشْرِها مَنْشُورُ

صنائع الفقيد، أفعاله الحسنة، جعلته يحيا بعد موت، فكأنه من نشرها، من طيب عبيرها، منشور، مبعوث بعد موت

والناسُ مَأْتَمُهُمْ عليهِ واحِدٌ في كُلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزَفِيرُ

الرنة: العويل، والزفير: أخو الشهيق

عَجَباً لأربَعِ أذْرُعٍ في خَمْسَةٍ في جَوْفِها جبلٌ أشَمُّ كَبيرُ

عجباً للقبر بمقاييسه وفي داخله جبل عال كبير. (دعاني مصححي الشاعر عمران القفيني إلى قراءة قصيدة المتنبي «ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى» كي أقارنها بهذه القصيدة.. وأنا ذاهب لأفعل. وتعليقي الآن ـ وقد رجعت ـ أن «المعاني» في الشعر نفدت بسرعة، ربما نقول بسرعة صاروخية عندما نعلم أن عنترة في قلب الجاهلية اشتكى من نفادها، ومن أن الشعراء لم يتركوا شيئاً إلا قالوه. وجاء المتنبي بعد عنترة بأربعمئة سنة وراح يغلف معاني القدماء بأغلفة جديدة. هذا عن المعاني، فأما الروح الكامن في جوف المعنى فلا نفاد له. أسرف القدماء في تعقب المعاني وصنع سلاسل من الأنساب لها. لكنهم هونوا الأمر علينا عندما قالوا إن الشاعر الذي يأخذ المعنى ويضعه في ثوب أجمل وأكمل فهو أحق به. ونضيف إلى قولهم أن من وضع المعنى في ثوب مختلف، أكان أجمل وأكمل أم لم يكن، فهو أحق ببيته وبالروح الكامن في بيته.. ولا بأس بعد ذلك أن نغمزه غمزة نقدية ونقول له: يا سارق! ألا ترى ابن زريق البغدادي يقول «ودعته وبودي لو يودعني/ صفو الحياة وأني لا أودعه» فإذا به يكرر ما قالته أم زهير رحمها الله ـ هي جارتنا في نابلس بفلسطين، وهي شامية المولد ـ «تقبرني»؟ أو ما قالته الأخرى ـ جارة لنا أخرى ـ «جعل يومي قبل يومك»! لكن ابن زريق جعل بيته وسط أبيات بديعة تعبر عن نفسيته فكان بيتاً بديعاً. وأم زهير قالت لحفيدها «تقبرني» مع أن الكلمة قديمة، وجاءت كلمتها حلوة وصادقة لأنها فعلاً ترجو له اكتمال العمر وترجو أن يقبرها.. وقد فعل

١٠٣ ما كان ضرك؟

قُتَيْلَة بنت النَّضْر بن الحارث، وهي من أقارب النبي، وقد قتل النبي أباها، وقالت ترثيه بالقصيدة. وعندما سمع النبي رثاءها بكى وقال: لو جئتني من قبل لعفوت عنه:

يا رَاكِباً إنَّ «الأُثَيْلَ» مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ، وأَنْتَ مُوَفَّقُ

أيها الراكب إن الأثيل مظنة من صبح خامسة، أي أن الأثيل مكان تبلغه صباح الليلة الخامسة من مسيرك، وأرجو لك التوفيق في تبليغ رسالتي

بَلِّغْ بِها مَيْتاً فإنَّ تَحِيَّةً ... ما إنْ تَزالُ بها الرَّكائِبُ تَخفِقُ

بلغ الميت المدفون هناك تحية ظلت الإبل تخفق، تسير، وهي تحملها

مِنِّي إليهِ وعَبْرَةً مَسْفُوحَةً ... جادَتْ لِمَائِحِها، وأُخْرَى تَخْنُقُ

بلغ رسالة مني إليه ودمعة سائلة جادت لمائحها، كانت سخية لطالبها،
ودمعة أخرى تخنقني ولما تنزل

فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نادَيْتَهُ ... إن كان يَسمعُ مَيِّتٌ أو يَنْطِقُ

فليسمع أخي «النضر» رسالتي إن كان الميت يسمع

ظَلَّتْ سيوف بَني أَبِيهِ تَنُوشُهُ ... لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقَّقُ

ظلت سيوف قومه تتناوله، لله، يا للعجب، كيف يتم تمزيق أواصر القربى

أَمُحَمَّدٌ ولأَنْتَ ضِنْءُ كَرِيمَةٍ ... مِنْ قَومِها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

يا محمد! وأنت ضنء، ابن، أم كريمة من نساء قومها، والأب معرق، قديم في الشرف والنسب

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربما ... مَنَّ الفَتَى وَهُوَ المَغِيظُ المُحْنَقُ

ما كان ضرك لو مننت، عفوت، وقد يعفو المرء وهو حانق

والنَّضْرُ أَقرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وَسيلَةً ... وأَحَقُّهُمْ إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ

والنضر هو أقرب من أصبت، أقرب الأسرى الذين نلتهم، وسيلة، قرابة، وأحقهم بأن يخلى سبيله

١٠٤ كامل الأوصاف

النابغة الجَعْدي:

فتىً كان فيهِ ما يَسُرُّ صديقَه ... على أنَّ فيهِ ما يَسوءُ الأَعَادِيا

فتىً كَمُلَتْ خَيْراتُه، غيرَ أنه ... جَوَادٌ فما يُبْقِي مِنَ المالِ بَاقِيا

١٠٥ الضار النافع

قالت امرأة من كِنْدة:

لا تُخبِرُوا الناسَ إلَّا أنَّ سَيِّدَكُمْ ... أَسْلَمْتُمُوهُ ولو قَاتَلْتُمُ امْتَنَعا

اعترفوا للجميع بأنكم أسلمتم سيدكم وتخليتم عنه، ولو قاتلتم دونه لامتنع، كان منيعاً لا يناله العدو

أَنْعَى فتىً لم تَذُرَّ الشمسُ طالِعَةً ... يوماً مِنَ الدهرِ إلَّا ضَرَّ أو نَفَعا

كان رجلاً ينفع الصديق ويضر العدو كلما ذرت الشمس، أي طلعت، أي في كل يوم من أيام حياته

١٠٦ المتجشم

رُقَيْبة الجَرْمي من طيء:

أَقُولُ، وفي الأكفانِ أَبيَضُ مَاجِدٌ   كَغُصْنِ الأراكِ وجهُهُ حين وَسَّمَا:

أقول وقد أدرج في كفنه رجل أبيض ماجد، سيد شريف، وجهه كغصن شجر الأراك الذكي حين وسَّم، أي ظهر

أَحَقّاً عبادَ اللّهِ أنْ لَسْتُ رَائِياً   رِفَاعَةَ بعدَ اليومِ إلّا تَوَهُّما؟

هل صحيح أنني لن أراه بعد اليوم إلا في خيالي؟

فأُقْسِمُ ما جَشَّمْتُهُ مِنْ مُلِمَّةٍ   تَؤُودُ كِرامَ القومِ إلَّا تَجَشَّما

ما كنت حملته من ملمة، مهمة، تؤود الكرام، تثقل كاهل الأشراف، إلا حملها

ولا قلتُ مَهْلاً وَهْوَ غَضْبانُ قد غَلا   مِنَ الغَيْظِ وَسْطَ القومِ إلَّا تَبَسَّما

ولا استوقفته وهو غضبان يغلي من الغيظ إلا خرج عن غضبه وتبسم

١٠٧ لماذا نحن؟

عَقيل بن عُلَّفَة المري:

لِتَغْدُ المَنايا حيثُ شَاءَتْ، فإنَّها   مُحَلَّلَةٌ بعدَ الفَتى ابنِ عَقيلِ

لتغدُ المنايا، لتأت المنايا صباحاً إلى أي مكان تريد فهذا حلال لها بعد أن مات ابن عقيل

كأنَّ المَنايا تَبْتَغي في خِيارِنا   لها تِرَةً أو تَهتَدي بِدَليلِ

كأن الموت يطلب عند أفضل رجالنا ترة، ثأراً،
أو كأن الموت يهتدي إلى هؤلاء الرجال بدليل

١٠٨ كلنا لها

في بعضِ تَطْوَافِ «ابنِ طُعْـ   ـمَةَ» آمِناً لاقَى حِمَامَهْ

التطواف: التجوال، الحمام: الموت

رَصَداً لَهُ مِنْ خَلْفِهِ   يَغْتَرُّهُ لا بَلْ أَمَامَهْ

كان الموت يرصده من خلفه ليغتره، ليفاجئه، لا بل من أمامه

غُرَّ امْرُؤٌ مَنَّتْهُ نَفْسٌ   أنْ تَدومَ لَهُ السَّلامَهْ

١٠٩ ثكل على كبر

عِكْرِشة أبو الشَّغْب يرثي ابنه شغبا:

قد كان «شَغْبٌ» لو انَّ اللَّهَ عَمَّرَهُ عِـزّاً تُـزَادُ بـهِ فـي عِـزِّهـا مُـضَـرُ

لو عُمِّر شغب لزاد في عز قبائل مضر

فارقْتُ شَغْباً وقد قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ لَبِئْسَتِ الخَلَّتانِ الثُّكْلُ والكِبَرُ

الخلتان: الخصلتان

١١٠ الله يرحمك وكفى

قال رجل من بني أسد يرثي أخاً له:

لـو كـان يُـنْـجـي مِـنَ الـرَّدَى حَـذَرٌ نَـجَّـاكَ مِـمَّـا أَصَـابَـكَ الـحَـذَرُ

يَـرحَـمُـكَ الـلَّـهُ مِـنْ أخـيِ ثِـقَـةٍ لـم يَـكُ فـي صَـفْـوِ وُدِّهِ كَـدَرُ

١١١ انقطاع الأنين

أبو عمارٍ الأسدي يرثي ابناً له اسمه معين:

ظَلِلْتُ «بِخُسْرِ سَابُورٍ» مُقيماً يـؤَرِّقُـنـي أنـيـنُـكَ يـا مَـعِـيـنُ

ونَاموا عنكَ، واستَيْقَظْتُ حتى دَعَـاكَ الـمـوتُ، وانـقَـطَـعُ الأنـيـنُ

١١٢ المشاطرة

قال الشاعر يرثي ابنا له ثانياً:

وقَاسَمَني دهرِي بَنِيَّ مُشَاطِراً فلمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عادَ في شَطْري

قاسمني زمني أبنائي بالنصف، أي أمات نصفهم، فلما أخذ نصفه، عاد ليأخذ نصفي، فماتوا جميعاً. وهما ولدان على كل حال

ألا ليتَ أُمّي لم تَلِدْني، وليتَني سبقتُكَ إذْ كُنَّا إلى غَايةٍ نَجري

بما أننا نسير نحو غاية واحدة هي الموت فليتني قُدِّمت قبلك، يرثي الولد الثاني

وكنتُ به أُكْنَى فأصبحْتُ كلَّما كُنِيتُ بهِ فَاضَتْ دُموعِي على نَحرِي

كانت كنيتي على هذا الابن الذي مات، فكلما نادوني بالكنية فاضت دموعي على صدري

وقد كنتُ ذا نَابٍ وظُفْرٍ على العِدَى فأصبحتُ لا يَخْشَوْنَ نَابِي ولا ظُفْري

١١٣ مؤتمر داخل النفس

قال أعرابي:

لَحَا اللَّهُ دَهْراً شَرُّهُ قبلَ خَيْرِهِ   تَقاضَى فلم يُحْسِنْ إليَّ التَّقَاضِيا

لعن الله الدهر الذي يأتي شره قبل خيره، لقد قاضاني في هذا الفتى، كأنه خاصمني فيه أمام شيخ العشيرة، فلم يكن سهلاً في خصومته

فَتىً كان لا يَطوي على البخلِ نفسَهُ   إذا ائْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ في السِّرِّ خَالِيا

هذا الفتى كان إذا ائتمرت نفساه، أي تشاورتا، فازت النفس الخيرة.. فكأنه جعل له نفْسين تتحاوران: واحدة سخية والأخرى بخيلة، والفوز دائماً للسخية

١١٤ السبيل سبيله

إن المَسَاءَةَ لِلْمَسَرَّةِ مَوْعِدٌ   أُخْتانِ رَهْنٌ لِلْعَشِيَّةِ أو غَدِ

الشيء السيء والشيء السار يَعِدُ أحدهما بالآخر، هما أختان لا تتأخر إحداهما عن اللحاق بأختها في المساء أو الصباح

فإذا سَمعْتَ بِهالِكٍ فَتَيَقَّنَنْ   أنَّ السبيلَ سبيلُهُ وتَزَوَّدِ

كلما سمعت بميت فاعلم أن طريقك طريقه فتزود من صالح الأعمال

١١٥ صخرة الأسرار

مِسكين الدارِمي الشاعر الأموي:

وفِتيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضِهِمْ   على سِرِّ بَعضٍ غيرَ أَنِّي جِماعُها

رب فتيان صدق، حقيقيين، أعرف الكثير عنهم ولا أطلع أحدهم على سر الآخر، والأسرار كلها عندي

لكلِّ امْرِئٍ شِعْبٌ مِنَ القلبِ فارِغٌ   ومَوْضِعُ نَجوَى لا يُرامُ اطِّلَاعُها

لكل امرئ منهم طريق في القلب مخصص له، ولكل منهم موضع نجوى، مكان للسر، ولا سبيل للاطلاع على هذه النجوى

يَظَلُّونَ شَتَّى في البلادِ، وسِرُّهُمْ   إلى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُها

متفرقون في البلاد، وسرهم موجود عند صخرة أعجز الرجال انصداعها، تشققها

١١٦ المسامحة

يحيى بن زياد:

ولـمَّا رأيتُ الشيبَ لاحَ بَياضُهُ بِمَفْرِقِ رأسي قلتُ لِلشَّيبِ مرحبا

ولو خِلْتُ أَنِّي إنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أن يَتَنَكَّبا

لو ظننت أنني بعدم إلقاء التحية على الشيب سيتنكب عني، سيتجنبني، لكنت رجوت أن يتجنبني

ولكنْ إذا ما حَلَّ كُرْهٌ فَسامَحَتْ به النفسُ يَوماً كان لِلْكُرْهِ أَذْهَبا

إذا حل المكروه بالمرء فتسامحت النفس وقبلته، فذلك يساعد في ذهاب المكروه.. أي أن القبول بالأمر الواقع يجعله هيناً

١١٧ الأمور تقبل أشباها

شَبِيب بن البَرْصاء المُرِّي:

وإنِّي لَتَرَّاكُ الضَّغِينَةِ قد بَدا ثَراها مِنَ المَوْلَى فلا أَسْتَثِيرُها

أترك الضغينة، الحقد. يبدو هذا الحقد وكأنه الثرى، التراب، وأنا لا أثير هذا التراب بل أتركه راكداً

مَخافَةَ أن تَجني علَيَّ، وإنَّما يَهِيجُ كبيراتِ الأُمورِ صغيرُها

فالحقد على الآخرين يجني عليَّ البلية، والأمور الكبيرة تهيجها، وتحركها، الأمور الصغيرة

لَعَمْري لقد أشرفْتُ يومَ عُنَيْزَةٍ على رَغْبَةٍ لو شَدَّ نَفْسي مَرِيرُها!

لقد كانت لي رغبة في معركة عنيزة ـ لعلها رغبة في السلم ـ وليت نفسي قد شدها مريرها، قويَت على ذلك القرار!

تَبَيَّنُ أعقابُ الأُمورِ إذا مَضَتْ وتُقْبِلُ أَشباهاً عليكَ صُدُورُها

تتبين أعقاب الأمور، نتائجها، بعد انتهائها، ولكن الأمور وهي مقبلة عليك تبدو متشابهة فلا تستطيع التمييز بين حسن وسيء

١١٨ ستقطع يمينك!

معن بن أوس، وكان له صديق ومعن متزوج بأخته فاتفق أن طلقها، وتزوج غيرها، فآلى صديقه أن لا يكلمه أبدا، فأنشأ معن يقول يستعطفه ويحذره:

لَعَمْريَ ما أدري، وإنِّي لَأَوْجَلُ على أَيِّنا تَعْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ

أوجل: أخاف

وإنّي أخوكَ الدائِمُ العَهْدِ لم أخُنْ   إنَ ابْزَاكَ خَصْمٌ أو نَبا بِكَ مَنزِلُ

أبزاك: بطش بك، نبا بك منزل: اضطررت لترك المكان

أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذي عَدَاوَةٍ   وأَحْبِسُ مَالِي إن غَرِمْتَ فَأَعْقِلُ

أحارب من تحاربه أنت من الأعداء، وأوفر مالي إن وجب عليك سداد فأعقل، أدفع الإبل سداداً عنك

وإنْ سُؤْتَنِي يوماً صفحتُ إلى غدٍ   لِيُعْقِبَ يوماً منكَ آخرُ مُقْبِلُ

أنتظر بعد إساءتك حتى تهدأ الأمور وأصالحك عقب الإساءة

فلا تَغْضَبَنْ قد تُسْتَعَارُ ظَعِينَةٌ   وتُرْسَلُ أُخرى كُلُّ ذَلِكَ يُفْعَلُ

فلا تغضب لأنني طلقت أختك، فقد تؤخذ ظعينة، امرأة، وترسل أخرى، تطلق، فهذا شيء يفعله الناس

وإنّي على أشياءَ منكَ تُرِيبُنِي   قَديماً لَذُو صَفْحٍ على ذاكَ مُجْمِلُ

وأنا أصفح مجملاً، متفضلاً، منذ زمن على أشياء مريبة تأتي منك

ستَقْطَعُ في الدنيا إذا ما قَطَعْتَنِي   يَمينَكَ، فانظُرْ أيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

وفي الأرضِ إن رَثَّتْ حِبالُكَ وَاصِلٌ   وفي الأرضِ عن دارِ القِلَى مُتَحَوَّلُ

إن رثت حبالك، اهترأت أي انقطعت العلاقات، ففي الأرض مَنْ أَصِلُ حبل العلاقة معه سواك، وفي الأرض متحول، تحولٌ، عن دار القِلى، أي مكان البغض

إذا أنتَ لم تُنصِفْ أخاكَ وجَدْتَهُ   على طَرَفِ الهِجرانِ إن كان يَعقِلُ

قلة الإنصاف تؤدي إلى القطيعة

ويركَبُ حدَّ السيفِ مِنْ أن تَضيمَهُ   إذا لم يَكُنْ عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ

والمرء يلجأ للسيف إذا أحس أنك تضيمه، تظلمه، هذا إن لم يكن عن حد السيف مزحل، بديل

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رامَ ظِنَّتي   وبَدَّلَ سُوءاً بالذي كنتُ أَفْعَلُ . .

كنت إذا صاحب رام ظنتي، قصد إلى تشويه أفعالي، وبادلني سوءاً بفعلي . .

قَلَبْتُ له ظَهرَ المِجَنِّ فلم أَدُمْ   على ذاكَ إلَّا رَيْثَما أَتَحَوَّلُ

قلبت له ظهر المجن، قلبت له ترسي . . بمعنى انقلبت عليه،
وبسرعة تحولت عن الود إلى العداوة

إذا انْصَرَفَتْ نفسي عن الشيءِ لم تَكَدْ   إليهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدهرِ تُقْبِلُ

١١٩ أغنياء وفقراء

إياس بن القائف:

تُقيمُ الرجالُ الأغنياءُ بِأَرضِهِمْ وتَرمي النَّوَى بِالمُقْتِرينَ المَرامِيا

المقترون: الفقراء، النوى: الفراق

فَأكرِمْ أخاكَ الدهرَ ما دُمْتُما مَعاً كَفَى بِالمَماتِ فُرْقَةً وتَقالِيا

أكرم صاحبك ولا تفارقه، فكفى بالموت فرقة وتقالياً، تباغضاً وتعادياً

إذا زرتُ أرضاً بعد طولِ اجتنابِها فقدتُ صديقي، والبلادُ كمَا هِيَا

١٢٠ الاحتيال لزلة الصديق

سالم بن وابِصَة:

أُحِبُّ الفَتَى يَنفي الفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّ به عن كلِّ فاحِشَةٍ وَقْرَا

أذنه ترفض قبول الكلام الفاحش فكأن بها وقراً، أي سداداً

سَليمُ دَواعي الصَّدْرِ لا بَاسِطاً أَذىً ولا مَانِعاً خيراً ولا قائلاً هُجْرَا

سليم دواعي الصدر، سليم النوايا، لا يبادر بالأذى،
ولا يمنع خيره، ولا يقول هجراً، شتماً

إذا شئتَ أن تُدعَى كريماً مُكَرَّماً أديباً ظَريفاً عاقلاً ماجِداً حُرًّا . .

إذا مَا أَتتْ مِنْ صاحبٍ لَكَ زَلَّةٌ فكنْ أنتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

غِنَى النفسِ ما يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ فإن زَادَ شيئاً عادَ ذاكَ الغِنَى فَقْرا

سد الخلة: منع الفقر

١٢١ أحاظ وجدود

رجل من بني قُرَيع:

مَتَى ما يَرى الناسُ الغَنِيَّ، وجَارُهُ فَقيرٌ، يَقُولوا عاجِزٌ وجَليدُ

يقولون إن الفقير عاجز، بينما الغني جليد، قوي

وليس الغِنَى والفقرُ مِنْ حيلَةِ الفَتَى ولكنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

لكن الفقر والغنى مجرد أحاظ، أي حظوظ، وجدود، أي حظوظ أيضاً

إذا المرءُ أَعْيَتْهُ المُرُوءةُ نَاشِئاً   فمَطْلَبُها كَهْلاً عليهِ بَعيدُ

المروءة: الكرم والنجدة والشهامة، وهي تكون في المرء أو لا تكون، فإن أعجزته وهو ناشئ يافع فستكون صعبة عليه وهو كهل.. اكتشف الأديب الفلسطيني خليل السكاكيني المروءة وهو يعمل بمصنع في الولايات المتحدة، رأى زملاء يتكاسلون عن مساعدة غيرهم، وليست فيهم تلك الشهامة، وقال: المروءة أن تهب لمساعدة غيرك دون انتظار أجر، أو كما قال

وكائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ   وصُعْلُوكِ قَوْمٍ ماتَ وَهْوَ حَميدُ

كثيراً ما رأينا غنياً مذموماً، وصعلوكاً مات وهو محمود السيرة

١٢٢ عاذر نفسه

وإيَّاكَ والأمرَ الذي إن تَوَسَّعَتْ   مَوارِدُهُ ضَاقَتْ عليكَ المَصَادِرُ

لا تدخل في أمر ترى المدخل إليه سهلاً، فإذا أردت الصدور، أي العودة، وجدت المصدر ضيقاً

فمَا حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءُ نفسَه   وليسَ له مِنْ سَائِرِ الناسِ عَاذِرُ

قبيح أن يجد المرء لنفسه عذراً عن التقصير بينما لا يعذره أحد من الناس

١٢٣ الإنسان والبعير

العباس بن مِرداس:

تَرى الرجلَ النَّحيفَ فتَزْدَرِيهِ   وفي أثوابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ

مزير: يزأر

ويُعْجِبُكَ الطَّريرُ فَتَبْتَليهِ   فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرجلُ الطَّريرُ

الطرير، الفتى الذي نبت شاربه، يعجبك فتبتليه، أي تختبره، فيخلف ظنك

فمَا عِظَمُ الرجالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ   ولكنْ فخرُهُمْ كَرَمٌ وخيرُ

بُغَاثُ الطيرِ أَكْثرُها فِراخاً   وأمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ

بغاث الطير، ضعافها، كثيرة الفراخ، وأم الصقر مقلات، كثيرة موت الأولاد، نزور، مقلَّة

ضِعَافُ الطيرِ أَطْوَلُها جُسُوماً   ولم تَطُلِ البُزَاةُ ولا الصُّقُورُ

البزاة: إخوة الصقور

لقد عَظُمَ البَعيرُ بغيرِ لُبٍّ   فلم يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البَعِيرُ

لب: عقل

يُـصَـرِّفُـهُ الـصَّـبِـيُّ بِـكُـلِّ وَجْـهٍ   ويَـحْـبِـسُـهُ على الـخَـسْـفِ الـجَـرِيـرُ

الخسف: الظلم، الجرير: الحبل

وتَـضْـرِبُـهُ الـوَلـيـدَةُ بِـالـهَـرَاوَى   فَـلا غِـيَـرٌ لَـدَيْـهِ ولا نَـكِـيـرُ

البنت تضرب البعير بالعصي، فلا غير لديه، لا غيرة وغضب، ولا نكير، لا ينكر فعلها

١٢٤ النصيحة لمن يقبلها

عبيد بن أيوبٍ العنبري:

ولا تَعْتَرِضْ في الأمرِ تُكْفَىَ شُؤونَه   ولا تَـنْـصَـحَـنْ إلَّا لِـمَـنْ هُـوَ قَـابِـلُـهْ

إذا كفاك الشأن الآخرون فلا تتحذلق وتصر على أن يكون لك ضلع في كل أمر، ولا تنصح من لا أمل في أن يقبل نُصحك

ولا تَـخْـذُلِ الـمَـولـى إذا مَـا مُـلِـمَّـةٌ   أَلَـمَّـتْ، ونَـازِلْ في الـوَغَـى مَنْ يُنَازِلُهْ

لا تخذل المولى، الحليف، إذا ألمت ملمة، جاءت مصيبة، وانصره في المعركة

ولا تَـحْـرِمِ الـمَـولـى الـكـريـمَ فـإنَّـهُ   أَخُـوكَ، ولا تَـدْرِي مَتى أنتَ سَائِلُهْ

ولا تحرم حليفك الكريم، فلا تدري متى تحتاج إليه

١٢٥ لست كالحطيئة

منظور بن سُحَيم:

ولستُ بِهاجٍ في القِرَى أَهْلَ منزلٍ   على زَادِهِـمْ أَبْكي وأُبْكي البَوَاكِيا

لن أهجو قوماً نزلت بهم ولم يقدموا لي القِرى، أي طعام الضيف

فـإمَّـا كِـرامٌ مُـوسِـرونَ أَتَـيْـتُـهُـمْ   فَحسْبِيَ مِنْ ذُو عندَهُمْ ما كَفَانِيا

فإما أن يكونوا كراماً وموسرين، فمن ذو عندهم، أي الذي عندهم، أكتفي بما يشبعني

وإمَّـا كِـرَامٌ مُـعْـسِـرون عـذَرْتُـهُـمْ   وإمَّـا لِـئـامٌ فـادَّكَـرْتُ حَـيَـائِـيـا

والكرام المعسرون، المفتقرون، أعذرهم،
وأما اللئام فأتذكر حيائي فلا أهجوهم لعدم القرى

وعِـرْضِـيَ أَبْـقَـى مـا ادَّخَـرْتُ ذَخِـيـرَةً   وبَـطْـنِـيَ أَطْـويـهِ كَـطَـيِّ رِدَائِـيـا

وأفضل ما أدخر شرفي وعرضي، وأطوي بطني، أي أجوع، كما أطوي ردائي

١٢٦ عفاف وحياء

وأُعْرِضُ عن مَطاعِمَ قد أَراها   فأَتْرُكُها وفي بَطني انْطِواءُ

أبتعد عن مواضع الطعام التي ينالني فيها الذم، رغم أن في بطني انطواء، أي أنني جائع

فلا وأَبيكَ ما في العيشِ خيرٌ   ولا الدنيا إذا ذَهَبَ الحَياءُ

يَعيشُ المرءُ ما اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ   ويَبْقى العُودُ ما بَقِيَ اللِّحَاءُ

الحياء خير للمرء وهو يقيه مثلما يقي اللحاء الشجرة، فما دام لها لحاء فهي ستعيش. نسبت هذه الأبيات لنصف دستة من الشعراء

١٢٧ تأديب الذات

الحكم بن عَبْدل، من شعراء الدولة الأموية:

وإِنِّي لَأَسْتَغْني فَمَا أَبْطَرُ الغِنَى   وأَعْرِضُ مَيْسُوري على مُبْتَغي قَرْضي

أكون غنياً ولا أبطر الغنى، أي لا أفتخر بالغنى افتخار تطاول، بل أعرض ما تيسر لي على من يبتغي اقتراضه.. والقرض ليس بالمعنى المصرفي بل بمعنى أن المرء يبذل معروفه ويلقى معروفاً

وأُعْسِرُ أَحياناً فتَشْتَدُّ عُسْرَتي   وأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنَى ومَعي عِرْضي

أعسر أحياناً، أفتقر، ثم يأتي الغنى ولا أكون في وقت عسرتي قد تخليت عن شرفي

وأَبْذُلُ مَعرُوفي وتَصْفُو خَليقَتي   إذا كَدِرَتْ أَخْلاقُ كلِّ فَتىً مَحْضِ

أقدم الخير للناس وأخلاقي جميلة لا يكدرها المن، هذا في حين قد تتكدر أخلاق فتى محض، خالص شريف النسب

وأَسْتَنْقِذُ المولى مِنَ الأمرِ بعدَما   يَزِلُّ كما زَلَّ البعيرُ عن الدَّحْضِ

أنقذ المولى، الصديق والحليف، بعد أن يزل، يقع، مثلما يزل البعير عن الدحض، المنحدَر.. أي تصيبه ضائقة

وأَمنَحُهُ مَالِي ووُدِّي ونُصْرَتي   وإن كان مَحْنِيَّ الضُّلُوعِ على بُغْضي

وأمنحه مالي وودي ونصرتي ولو كان يضمر لي البغض

وأَقْضي على نفسي إذا الأمرُ نَابَني   وفي الناسِ مَنْ يُقْضَى عليه ولا يَقْضي

إذا وقعت في خطأ فأنا أقر به وأقضي على نفسي، ومن الناس من يكابر فيلزمه الآخرون بخطإه

ولستُ بِذي وَجْهَيْنِ فيمَنْ عرفْتَهُ   ولا البخلُ، فاعلَمْ، مِنْ سَمائي ولا أرضي

وإنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شيمَتي   صُروفُ ليالي الدهرِ بالفَتْلِ والنَّقْضِ

لا تغير شيمتي، طبيعتي، مصائب الزمن، بالفتل والنقض، وفتل الحبل ونقض قواه، أي جدلاته، كناية عن حالَيْ اليسر والعسر

١٢٨ لا أترك صاحبي

حاتِم الطائي:

ومَا أنَا بِالسَّاعي بِفَضْلِ زِمَامِها   لِتَشْرَبَ ماءَ الحَوْضِ قبلَ الرَّكَائِبِ

لا أسعى بطرف مقود الناقة لتشرب قبل نياق الآخرين

ومَا أنا بِالطَّاوِي حَقيبَةَ رحْلِها   لأَبعَثَها خِفّاً وأَتْرُكَ صَاحبي

ولا أطوي الكيس الذي خلفي على الناقة، كي تكون خفيفة ولا أحمل عليها صاحبي

إذا كنتَ رَبّاً للقَلُوصِ فلا تَدَعْ   رفيقَكَ يَمْشي خلفَها غيرَ رَاكِبِ

القلوص: الناقة

أَنِخْها فَأَرْكِبْه فإنْ حَمَلَتْكُما   فذاكَ، وإن كان العِقَابُ فَعاقِبِ

أنخ الناقة وأردف صاحبك فإن حملتكما معاً فهذا هذا، وإلا فاركب أنت مرة وهو مرة، متعاقبَيْن

١٢٩ الويل للفقير

مالك بن حَرِيم الهَمْدَاني:

وأُنْبِئْتُ، والأيامُ ذاتُ تَجارِبٍ،   وتُبدي لَكَ الأيامُ ما لستَ تَعلَمُ

بِأَنَّ ثَراءَ المالِ يَنفَعُ رَبَّهُ   ويُثْني عليهِ الحَمْدَ وَهْوَ مُذَمَّمُ

المال يأتي صاحبه بالحمد، رغم أن صاحبه مذمم، يصنع ما يستحق الذم، فالسخاء يغطي على العيوب

وإنَّ قليلَ المالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ   يَحُزُّ كما حَزَّ القَطِيعُ المُحَرَّمُ

قليل المال: المال القليل، القطيع المحرم: السوط الخشن المقطَّع، فقلة المال محبطة للكريم مثلما تحبطه الأداة التالفة في عمله

يَرَى دَرجاتِ المجدِ لا يَستَطِيعُها   ويقعُدُ وَسْطَ القومِ لا يَتَكَلَّمُ

الكريم الفقير يعرف كيف يصنع مجداً لنفسه، ولكنه عاجز عن ذلك لقلة ماله. الشطر الثاني شرح نفسه، لكنه بديع. أليس كذلك؟

١٣٠ كفاف وكرامة

محمد بن بشير الخارجي:

لأنْ أُزَجِّيَ عند العُرْيِ بالخَلَقِ وأَجْتَزِي مِنْ كثيرِ الزَّادِ بالعُلَقِ..

أن أزجي، أمشّي حالي، عند العري بالخلق، الملابس البالية، وأن أجتزئ، أي أكتفي، من الزاد الكثير بالعُلق، أي بالقليل..

خيرٌ وأكرمُ لي مِنْ أن تُرَى مِنَنٌ مَعقُودَةٌ لِلِئامِ الناسِ في عُنقي

خير لي من تحمل منن لئام الناس وتفضلهم عليَّ، فهذه المنن كأنها معقودة في عنقي

إنِّي وإن قَصُرَتْ عن هِمَّتي جِدَتي وكان مَالِيَ لا يَقْوَى على خُلُقي..

إن قصرت جِدَتي، مالي، عن تحقيق همتي، أي طموحي،
وكانت هذه الجِدَة لا تتحمل طبعي السخي

لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كان يُلْزِمُني عاراً ويُشْرِعُني في المَنْهَلِ الرَّنِقِ

مع ذلك فإنني أترك كل فعل يلصق بي العار، ويشرعني، يَرِدُ بي،
في المنهل الرنق، في الحوض المكدر

١٣١ إدمان قرع الأبواب

محمد بن بشير الخارجي:

كم مِنْ فتىً قَصُرَتْ في الرِّزقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيتُهُ بِسِهامِ الرزقِ قد فَلَجا

كثيراً ما يمتنع الرزق على إنسان، ثم تراه قد فلج، أصاب المرمى، بسهام الرزق الوفير

إن الأُمورَ إذا انْسَدَّتْ مَسالِكُها فالصبرُ يَفْتُقُ منها كلَّ ما ارْتَتَجا

الصبر يفتق المسالك التي ارتتجت، أغلقت، ويفتحها

لا تَيْأَسَنَّ، وإن طالَتْ مُطالَبَةٌ، إذا اسْتَعَنْتَ بِصبْرٍ أن تَرَى فَرَجا

أَخْلِقْ بِذي الصبرِ أن يَحْظَى بِحاجَتِهِ ومُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبوابِ أن يَلِجَا

مدمن القرع للأبواب لا بد أن يلج، يدخل

قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قبل الخَطْوِ موضِعَها فمَنْ عَلا زَلَقاً عن غِرَّةٍ زَلِجا

قدر موضع قدمك قبل أن تخطو، فالذي يصعد فوق مكان زلق، منحدر، عن غرة، بتهور، يزلج، ينزلق

ولا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أنتَ شارِبُهُ فربَّما كان بالتَّكْديرِ مُمْتَزِجا

قد يكون الماء الصافي الذي تشربه مخلوطاً بالشوائب، فلا تغتر برزق يأتيك فلعل في طيه شروطاً

١٣٢ لهم جل مالي

المُقَنَّع الكِنْدي:

يُعَاتِبُنِي في الدَّيْنِ قَوْمِي، وإنَّما دُيُونِيَ في أشياءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا

إنما أستدين لأصنع أموراً تعود على قومي بالحمد

أَسُدُّ بِه ما قد أَخَلُّوْ وضَيَّعُوا: ثُغُورَ حُقوقٍ ما أَطَاقُوا لها سَدَّا

أسد بالمال الذي استدينه ما قد أخلوا، أهملوا، وضيعوا: أسدُّ ثغور حقوق لم يتحملوا سدها

وفي جَفْنَةٍ ما يُغْلَقُ البابُ دُونَها مُكَلَّلَةٍ لحماً مُدَفَّقَةٍ ثَرْدَا

من الأمور التي أقوم بها تقديم جفنة، دست طعام، متاحة للجميع لا أغلق بابي دونها، وفيها الثريد من خبز مفتوت ولحم يكلله

وفي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتيقٍ جَعلتُه حِجَاباً لِبَيْتي ثم أَخْدَمْتُهُ عَبْدا

وأحتفظ بفرس نهد، عالٍ، عتيق، أي أصيل، كي يكون حجاباً لبيتي، حامياً له، وجعلت له عبداً يقوم على خدمته

وإنَّ الذي بَيْني وبينَ بَني أَبي وبينَ بَني عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا

الطبائع بيني وبين أقاربي مختلفة جداً

فإن أَكَلُوا لَحْمي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وإن هَدَمُوا مَجدي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْداً

إن أكلوا لحمي، أي اغتابوني، وفرت لحومهم، وإن هدموا مجدي بإنكار أفعالي الجيدة فأنا أبني لهم مجداً

وإن ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيوبَهُمْ وإن هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدَا

إن طعنوني في الظهر حفظت مكانتهم في غيابهم،
ويتمنون لي الضلال وأتمنى لهم الهداية

وإن زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيراً تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا

إن صنعوا لي ذلك مع الطير كي يكون هذا شؤماً علي فعلت العكس لهم

ولا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَديمَ عَلَيْهِمُ وليس رئيسَ القومِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدَا

لَهُمْ جُلُّ مَالي إن تَتَابَعَ لي غِنىً وإن قَلَّ مَالي لم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا

الرفد: العطاء

وإِنّي لَعَبْدُ الضيفِ ما دامَ نازِلاً وما شِيمَةٌ لي غَيرَها تُشْبِهُ العَبْدا

عـلى أن قَوْمي ما تَرى عينُ نَاظِرٍ   كَشِيبِهِـمُ شيباً ولا مُرْدِهِـمْ مُرْدَا

قومي مع ذلك أحسن الناس: الشيوخ منهم والمرد، الذين لم تنبت لحاهم بعد

بِـفـضْـلٍ وأَحْـلامٍ وَجُـودٍ وسُـؤْدَدٍ   وقَوْمِي رَبيعٌ في الزَّمانِ إذا اشْتَدَّا

لهم فضل وأحلام، عقول، وهم عندما يشتد الزمن، ويقل الخير، يكونون ربيعاً للناس، فالربيع هو فصل العشب والحليب في البادية

١٣٣ حلاوة المعروف

قال رجل من الفزاريين:

وإلَّا يَكُنْ عَظمي طويلاً فإنَّني   له بِالخِلالِ الصَّالِحاتِ وَصُولُ

إلا يكن، أي إن لم يكن، جسمي طويلاً فأنا أصله وصلاً بالفعال الحسنة فيصبح طويلاً

ولا خيرَ في حُسْنِ الجُسُومِ ونُبْلِها   إذا لم يَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ

إذا كنتُ في القَوْمِ الطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ   بِـعَـارِفَـةٍ حـتـى يُـقـالَ طَـوِيـلُ

إن كنت وسط قوم طوال علوتهم بعارفة، بمعروف وسخاء، حتى يروني طويلاً

وكـم قـد رَأَيْـنـا مِـنْ فُـروعٍ كَـرِيـمـةٍ   تَـمُـوتُ إذا لـم تُـحْـيِـهِـنَّ أُصُـولُ

الابن الكريم بذاته تضمحل سمعته إذا كان آباؤه لئاماً

ولـم أَرَ كَـالـمَـعْـرُوفِ أمَّـا مَـذَاقُـهُ   فَـحُـلْـوٌ وأَمَّـا وجـهُـهُ فَـجَـمِـيلُ

١٣٤ المعادلة الصعبة

عبد الله بن معاوية بن جعفر:

أرى نَـفْـسِـي تَـتُـوقُ إلـى أُمُـورٍ   ويَـقْـصُـرُ دونَ مَـبْـلَـغِـهِـنَّ مَـالـي

يقصر مالي عن مبلغ، أي عن بلوغ، الأمور التي أتوق إليها

فـنـفـسـي لا تُـطـاوِعُـنـي بـبـخـلٍ   ومَـالـي لا يُـبَـلِّـغُـنـي فَـعَـالـي

نفسي لا تطيق البخل، ولكن ما أملك من مال لا يوصلني إلى فعالي، والفعال هي الأمجاد

١٣٥ التسريح بإحسان

المتوكل الليثي، وقد عاصر معاوية:

إنِّـي إذا مـا الـخَـلـيـلُ أَحْـدَثَ لـي   صُرْماً ومَلَّ الـصَّـفَـاءَ أو قَـطَـعَـا..

إذا صرمني خليلي، هجرني صاحبي، وملّ الود بيننا وقطع العلاقة..

لا أَحْتَسي مَاءَهُ على رَنَقٍ   ولا يَراني لِبَيْنِهِ جَزِعَا

لا أشرب ماءه على رنق، كدر، ولا أريه أنني مضطرب جزع لفراقه

أَهْجُرُهُ ثم تَنْقَضي غُبَرُ الـ   ـهِجْرَانِ عنَّا، ولم أَقُلْ قَذَعَا

أهجره كما هجرني، وتنقضي غبر الهجران عنا، تذهب بقايا الهجران أي الكراهية، دون أن أقول قذعا، فُحشاً

اِحْذَرْ وِصَالَ اللئيمِ إنَّ لَهُ   عَضْهاً إذا حَبْلُ وَصْلِهِ انْقَطَعا

العلاقة مع اللئيم يعقبها العَضْه، الافتراء، عندما تنتهي

١٣٦ غنَى النفس

قيس بن الخَطيم، وتُروى للربيع بن الحُقَيق اليهودي:

ومَا بعضُ الإقامَةِ في دِيَارٍ   يُهَانُ بِها الفَتَى إلَّا بَلاءُ

الإقامة في مكان يهان فيه الفتى بلاء

وبعضُ خَلائِقِ الأَقوامِ دَاءٌ   كَداءِ البَطْنِ ليس له دَوَاءُ

خلائق: طباع

يُريدُ المرءُ أن يُعْطَى مُنَاهُ   ويَأْبَى اللَّهُ إلَّا مَا يَشَاءُ

وكُلُّ شَديدَةٍ نزلتْ بِقومٍ   سيأْتي بعدَ شِدَّتِها رَخَاءُ

ولا يُعْطَى الحَريصُ غِنىً لِحِرْصٍ   وقد يَنْمي على الجُودِ الثَّرَاءُ

الحريص البخيل لا يصبح غنياً لبخله، فربما زاد الثراء مع السخاء

غَنِيُّ النَّفْسِ ما عَمِرَتْ غَنِيٌّ   وفَقْرُ النفسِ ما عَمِرَتْ شَقَاءُ

غني النفس يظل غنياً طول عمره، وفقير النفس يبقى شقياً طول عمره

وليس بِنافِعٍ ذا البخْلِ مالٌ   ولا مُزْرٍ بِصاحِبِهِ السَّخَاءُ

السخاء لا يزري بصاحبه، لا يؤذيه

وبعضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ   وداءُ النَّوْكِ ليسَ لهُ شِفاءُ

النوك: الحمق

١٣٧ نصائح الأب

يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدراً:

يـا بَـدْرُ! والأَمْـثالُ يَـضْـ ـرِبُـها لِـذِي الـلُّبِّ الـحَـكيمُ

ذو اللب: ذو العقل

دُمْ لِـلْـخَـلـيلِ بِـوُدِّهِ مـا خَـيْـرُ وُدٍّ لا يَـدُومُ

احفظ ود الصديق، فلا خير في ود قصير الأجل

واعْـرِفْ لِـجـارِكَ حَـقَّـهُ والـحَـقُّ يـعـرِفُـهُ الـكَـريمُ

واعـلـمْ بـأنَّ الـضَّيْفَ يـو مـاً سـوفَ يَـحْـمَـدُ أو يَـلُومُ

والـنـاسُ مُـبْـتَـنَـيانِ مُـحْـ ـمُودُ الـبِـنَـايَـةِ أو ذَمِـيمُ

الناس مجبولون على طبيعتين: محمودة ومذمومة

واعْـلَـمْ بُـنَـيَّ فـإنَّـهُ بِـالـعِـلْـمِ يَـنـتَـفِـعُ الـعـلـيمُ

إنَّ الأُمُـورَ دَقِـيـقُـهـا مِـمَّـا يَـهِـيجُ لـه الـعَـظِـيمُ

الصغير من المشكلات يثير الكبير

والـبَـغْـيُ يَـصْـرَعُ أَهْـلَـهُ والـظُّـلْـمُ مَـرْتَـعُـهُ وَخِـيمُ

البغي: الظلم، مرتعه وخيم، كأن الظالم جمل يرعى في أرض موبوءة فالنتيجة سيئة

ولَـقَـد يـكـونُ لَـكَ الـبـعـيـ ـدُ أَخَـاً ويَـقْـطَـعُـكَ الـحَـمِـيمُ

الحميم: القريب

والـمـرءُ يُـكْـرَمُ لِـلْـغِـنَـى ويُـهَـانُ لِـلْـعُـدْمِ الـعَـدِيـمُ

الناس تكرم الإنسان لماله، وتهين العديم، الفقير، لعدمه، أي لفقره

والـمـرءُ يَـبْـخَـلُ فـي الـحـقـو قِ ولِـلْـكَـلالَـةِ مَـا يُـسِـيمُ

يبخل المرء في إعطاء الحقوق لأصحابها، ولكن.. في النتيجة فإن ما يسيم، ما يرعى من إبل، سيؤول للكلالة، للورثة

مـا بُـخْـلُ مَـنْ هُـوَ لِـلْـمَـنُـو نِ ورَيْـبِـهـا غَـرَضٌ رَجِـيمُ

ما الحكمة في بخل المرء وهو غرض للموت رجيم، مرجوم بالموت

ويَـرى الـقُـرُونَ أَمَـامَـهُ هَـمَـدُوا كـمـا هَـمَـدَ الـهَـشِـيمُ

ويرى القرون، أي الأجيال، الماضية وقد همدت كالعشب اليابس

وتَـــخَـــرَّبُ الـــدنـــيـــا فَـــلا   بـــؤسٌ يَـــدومُ ولا نَـــعـــيـــمُ

تَخرَّب، أي تتخرب وتتلف الدنيا فيزول البؤس والنعيم وكل شيء

كُـــلُّ امْـــرِئٍ سَـــتَـــئِـــيـــمُ مـــنـــ   ـــه الـعِـرْسُ أو مـنـهـا يَـئِـيـمُ

تئيم: تترمل، والعرس: الزوجة

١٣٨ العَرْك بالجنب

محمد بن أبي شِحَاذٍ الضبي:

إذا أنتَ أُعطِيتَ الغِنَى ثم لم تَجُدْ   بِفضلِ الغِنىَ أُلفِيتَ ما لَكَ حَامِدُ

إذا أنتَ لم تَعْرُكْ بِجَنْبِكَ بعضَ ما   يَـريـبُ مِـنَ الأَدْنَـى رَمَـاكَ الأَبَـاعِـدُ

إذا لم تعرك بجنبك، أي تتغاضى وتبلع الموس، ما تلاقيه من الأدنى، القريب، فسوف يرميك الأباعد. يتحمل المرء من أقاربه كل سخافاتهم حتى يراه الأباعد عزيزاً، ذا عزوة، فيهابونه

إذا أنـتَ لـم تَـتـرُكْ طَـعـامـاً تُـحِـبُّـهُ   ولا مَـقْـعَـداً تُـدْعَـى إليـهِ الـوَلائِـدُ..

إذا لم تكن عزيز النفس وتترفع عن طعام شهي وتتركه للآكلين، وإذا لم تترك المكان الذي يفترض أن تجلس فيه الولائد، الجواري والخدم..

تَـجَـلَّـلْـتَ عـاراً لا يَـزالُ يَـشُـبُّـهُ   سِبابُ الـرجـالِ نَـثْـرُهُـمْ والـقَـصَـائِـدُ

إذا لم تترفع فالعار سيحل بك، وسيزيده سباب الرجال لك بالكلام وبالقصائد

١٣٩ التماس الرزق

الحَكَم بن عَبْدَل:

أَطْلُبُ ما يطلُبُ الكريمُ مِنَ الرِّ ـ   زقِ لِـنـفـسـي، وأُجْـمِـلُ الـطَّـلَـبـا

أجمل الطلب: أتجنب الإلحاح

وأَحْـلُـبُ الـثَّـرَّةَ الـصَّـفِـيَّ، ولا   أَجْـهَـدُ أَخْـلافَ غَـيْـرِهـا حَـلَـبـا

أحلب الثرة والصفي، الشاة أو الناقة الغزيرة اللبن، ولا أُتعب أخلاف، أي ضروع وأثداء، غيرها بالحلب.. فأنا أطلب المال من عند الكريم الذي يملكه ولا أتعب نفسي مع من لا يملك المال فألح عليه في الطلب

إنِّـي رأَيْـتُ الـفَـتَـى الـكـريـمَ إذا   رغَّـبْـتَـهُ فـي صَـنـيـعَـةٍ رَغِـبـا

الكريم إذا جعلته يرغب في المعروف فهو سيقوم به،
فهو يحب المدح ويرغب في البذل كي يمدحه الشاعر

والـعـبـدُ لا يَـطـلُـبُ الـعَـلاءَ، ولا   يُـعْـطِـيـكَ شـيـئـاً إلّا إذا رَهِـبـا

العبد يعطي على الرهبة لا الرغبة

مِـثـلَ الـحِـمَـارِ الـمُـوَقَّـعِ الـسَّـوْءِ لا   يُـحْـسِـنُ مَـشْـيـاً إلّا إذا ضُـرِبـا

فالعبد مثل الحمار الموقع، المصاب بجروح في ظهره، السيء الذي لا يمشي إلا بالضرب

قد يُـرْزَقُ الـخَـافِـضُ الـمُـقيـمُ، ومـا   شَـدَّ بِـعَـنْـسٍ رَحْـلاً ولا قَـتَـبَـا

قد يأتي الرزق للخافض، الهانئ، المقيم في بلده دون أن يشد الرحل، السرج ولوازمه، أو القتب، أي البرذعة، على العنس، الناقة الصلبة.. أي يأتيه رزقه دون أن يرتحل وراءه

ويُـحْـرَمُ الـمـالَ ذو الـمَـطِـيَّـةِ والـرَّ ـ   حْـلِ، ومَـنْ لا يَـزالُ مُـغْـتَـرِبـا

١٤٠ تبقى له حاجة

الصَّلَتَان العَبْدي:

أَشَـابَ الـصـغـيـرَ وأَفْـنَـى الـكـبـيـرَ   مُـرورُ الـغَـدَاةِ وكَـرُّ الـعَـشِـيِ

شيَّب الصغير وأمات الكبير مرور الصباح والمساء، أي الزمن

إذا لـيـلـةٌ هَـرَّمَـتْ يَـومَـهـا   أَتَـى بـعـدَ ذَلِـكَ يـومٌ فَـتِـيِ

الليلة تهرِّم يومها، تجعله هرماً، ثم يأتي بعد ذلك يوم آخر فتيّ جديد

نَـرُوحُ ونَـغـدُو لِـحـاجَـاتِـنـا   وحَـاجَـةُ مَـنْ عَـاشَ لا تَـنْـقَـضِـي

ما دمنا على قيد الحياة فلنا حاجة ما.. صغيرة أو كبيرة

تَـمُـوتُ مَـعَ الـمـرءِ حـاجَـاتُـه   وتَـبْـقَـى لـهُ حَـاجَـةٌ مَـا بَـقِـيِ

١٤١ وداعاً نجد

الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيري:

حَنَنْتَ إلى رَيَّا، ونفْسُكَ بَاعَدَتْ   مَزارَكَ مِنْ رَيَّا، وشَعْبَاكُما مَعَا

يخاطب نفسه: حننت إلى ريًا، وأنت بنفسك ستبعد مزارك من ريًا برحيلك، مع أن شَعبيكما، أي قبيلتيكما، متجاوران

فمـا حَسَنٌ أنْ تَأْتِيَ الأمرَ طَائِعاً   وتَـجْـزَعَ أنْ دَاعـي الـصَّـبـابَـةِ أَسْـمَـعَا

ليس من الحكمة أن ترحل طواعية، ثم بعد ذلك تجزع لأن منادي الصبابة، والشوق، قد هتف في أذنك

قِفَا وَدِّعَا نَجْداً ومَنْ حَلَّ بِالحِمَى   وقَـلَّ لِـنَـجْـدٍ عِـنـدنـا أنْ تُـوَدَّعَـا

يا صاحبيَّ قفا ودعا معي نجداً ومن حل بالحمى، وهذا أقل ما نصنعه لنجد

بِنفْسيَ تلكَ الأرضَ ما أطيبَ الرُّبى   وما أحسنَ المُصطَافَ والمُتَرَبَّعا

بنفسي، أي أفدي بنفسي، تلك الأرض ما أطيب رباها، وما أجمل مكان قضاء الصيف ومكان قضاء الربيع بها

ولَمَّا رأَيْتُ «البِشْرَ» أعرَضَ دُونَنا   وحَالَتْ بَناتُ الشَّوقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا..

لما رأيت جبل البشر أصبح بيني وبين الحمى، وحالت، أي تحولت وتحركت، بنات الشوق، أي مشاعره وكل ما ينشأ عنه من ألم، وفيهن حنين ونزوع إلى الوطن..

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حتى وَجَدْتُنِي   وَجِعْتُ مِنَ الإصْغَاءِ لِيتَاً وأَخْدَعَا

التفتُّ نحو مكان القوم حتى وجعت، وجدت وجعاً، من الإصغاء، إمالة الرأس، الليت: صفحة العنق والأخدع: عرق في العنق. يقول: ظللت ألتفت حتى آلمني عنقي

بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسرى فلَمَّا زَجَرْتُها   عن الجهلِ بعد الحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا

زجرت عيني اليسرى، أي نهيتها، عن التهور بعد الحلم، أي بعد التعقل، فأسبلتا، سالتا بالدموع، معاً

وأَذْكُرُ أيامَ الحِمَى ثم أَنْثَنِي   على كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أن تَصَدَّعَا

عندما أذكر أيامنا في الحمى أثني جسمي حتى لا تتشقق كبدي حزناً

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ   عليكَ، ولكنْ خَلِّ عَينيْكَ تَدْمَعَا

١٤٢ هزة الشوق

أبو صَخْر الهُذلي، وهو من شعراء الدولة الأموية:

أَما والذي أَبْكَى وأَضْحَكَ والذي   أَمَاتَ وأَحْيَا والذي أَمْرُهُ الأَمْرُ

لقد تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحْشَ أن أَرَى   أَلِيفَيْنِ منها لا يَروعُهُما الزَّجْرُ

تركتني المحبوبة أحسد وحوش البر إذ أرى اثنين منها لا يخيفهما الزجر، مثلما يخيفنا نحن لوم اللائمين ووشايات الوشاة

فَيَا حُبَّها زِدْني جَوىً كُلَّ لَيلةٍ   ويا سَلْوَةَ الأيامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ

زدني من ألم العشق يا حبها، وليكن موعد السلوة، نسيان العشق، الحشر

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدهرِ بَيْنِي وبينَها   فلمَّا انْقَضَى ما بينَنا سَكَنَ الدهرُ

كان الدهر، ومصائبه، تسعى بيننا فلما انقضى الوصل بيننا وانقطعت العلاقة هدأ الدهر وصروفه

وما هُوَ إلَّا أن أراها فُجاءةً فأُبْهَتُ، لا عُرْفٌ لديَّ ولا نُكْرُ

كنت إذ أراها فجأة أبهت ويختلط في ذهني الصواب بالخطأ

وإنِّي لَتَعْرُوني لِذِكْراكِ هَزَّةٌ كما انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

والآن تنتابني لذكراك هزة مثلما ينتفض العصفور وقد أصابه المطر

١٤٣ خلقتما لبعضكما

عُروة بن أُذَيْنة:

إنَّ التي زَعَمَتْ فُؤادَكَ مَلَّها خُلِقَتْ هَواكَ كما خُلِقْتَ هَوىً لها

التي قالت إنك مللتها خلقت لك وخلقت لها

بيضاءُ باكَرَها النَّعيمُ فَصاغَها بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّها وأَجَلَّها

بيضاء عرفت النعمة والعيش الرغيد منذ صغرها فلا عرفت جوعاً ولا فاقة، فصاغت النعمة جسمها بلباقة فهي دقيقة الخصر جليلة المؤخرة، إن جاز وصف المؤخرة بهذه الكلمة

حَجَبَتْ تَحِيَّتَها فقلتُ لِصاحِبي ما كان أكثرَها لنا وأَقَلَّها

لم تعد تطرح علي التحية فقلت لصاحبي: كانت التحية كبيرة الأثر، ولكنها مع غياب الوصل قليلة النفع

وإذا وَجَدْتُ لها وَساوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّميرُ إلى الفُؤادِ فَسَلَّها

إذا وسوست لي نفسي أن أسلوها وأنساها، فإن ما أضمر لها من الحب يستل الهجران من فؤادي

١٤٤ المناظر المتعِبة

وكنتَ متَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رائِداً لِقَلْبِكَ يوماً أَتْعَبَتْكَ المَناظِرُ

يخاطب نفسه: كنت إذا أرسلت نظرك ليكشف الطريق لقلبك، تعبت لما رأته عيناك من جمال المحبوبة. والرائد فارس كانوا يرسلونه أمام القبيلة يستكشف لها مواطن العشب

رأيتَ الذي لا كُلُّهُ أنتَ قادِرٌ عليْهِ، ولا عن بَعْضِهِ أنتَ صابِرُ

رأيت ما لا تقدر على نيله، ولا تقدر أن تصبر على مجرد التطلع إليه

١٤٥ عرار نجد

الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيري:

أَقولُ لِصاحبي والعِيسُ تَهوي بِنا بينَ المُنِيفَةِ فَالضِّمارِ

أقول لصاحبي والعيس، أي النياق القوية، تسير بنا بسرعة كأنها تهوي، بين هذين المكانين

تَـمَـتَّـعْ مِـنْ شَـمِـيـمِ عَـرَارِ نَـجْـدٍ   فـمـا بـعـد الـعَـشِـيَّـةِ مِـنْ عَـرَارِ

تمتع من رائحة نبات العرار الذكي في نجد، فأنت مغادر ولا عرار بعد هذه العشية. ومن هذا البيت أخذ الشاعر الأردني «مصطفى وهبي التل» لنفسه لقباً: عرار. وسنفرد لعرار الأردن صفحات مليئة بالشعر الجميل في كتاب قد نصدره بعد حين، إن سمح رب الكون الجليل ومد في العمر

أَلَا يـا حَـبَّـذَا نَـفَـحَـاتُ نَـجْـدٍ   ورَيَّـا رَوْضِـهِ بـعـد الـقِـطَـارِ

ما أجمل نفحات، نسمات، نجد، وما أجمل ريًّا، أي رائحة، نجد بعد القطار، بعد المطر

وأَهْـلُـكَ إِذْ يَـحُـلُّ الـحَـيُّ نَـجْـداً   وأنـتَ عَـلـى زمـانِـكَ غـيـرُ زَارِ

وما أجمل أهلك إذ يحل الحي، القوم، في نجد وتكون أنت في تلك الحال سعيد بالزمن غير زار عليه، غير مستاء منه

شُـهـورٌ يَـنْـقَـضِـيـنَ ومـا شَـعَـرْنـا   بِـأَنْـصَـافٍ لَـهُـنَّ ولا سِـرَارِ

كانت تنقضي الشهور بسعادة فلا نشعر بمرور نصف الشهر، ولا بسراره، أي آخره

١٤٦ اغرورقتا ثم سالتا

ومِمَّا شَجَانِي أَنَّها يومَ أَعْرَضَتْ   تَوَلَّتْ ومَاءُ العينِ في الجَفْنِ حَائِرُ

مما شجاني، أوجع قلبي، أنها يوم أعرضت، ذهبت، تولت، انصرفت، ودمعها حائر في جفنها، أي أن عينيها مغرورقتان بالدمع

فَـلَـمَّـا أَعَـادَتْ مِـنْ بَـعِـيـدٍ بِـنـظـرةٍ   إِلَـيَّ الـتـفَـاتـاً أَسْـلَـمَـتْـهُ الـمَـحَـاجِـرُ

فلما أعادت النظر إليَّ من بعيد ملتفتة، أسلمت المحاجر الدمع.. فسال من العينين إلى الخارج، والمحاجر العظم المحيط بالعينين

١٤٧ تغيير المسار

بـيـنَـمـا نـحـن بِـالـبَـلاكِـثِ فَـالـقَـا   عِ سِـرَاعـاً والـعِـيـسُ تَـهْـوِي هُـوِيَّـا

بينما كنا في موضع بين «البلاكث» و«القاع» ونحن نسير مسرعين والعيس، أي النياق القوية، تسرع فكأنها تسقط سقوطاً

خَطَرَتْ خَطْرَةٌ على القلبِ مِنْ ذِكْـ   ـراكِ وَهْناً فـمـا اسْـتَـطَـعْـتُ مُـضِـيَّـا

فجأة.. خطرت ببالي ذكراك وهناً، ليلاً، فما استطعت المضي في السير

قلتُ: لَبَّيْكِ، إِذْ دَعَانِي لَكِ الشَّوْ   قُ، ولِلْـحَـادِيَـيْـنِ: كُـرَّا الـمَـطِـيَّـا

قلت: لبيك، وعلى الفور قلت للحاديين، سائقي الإبل: كرَّا المطي.. كأنه أراد أن يغيرا خط سيرهما ليلحقا ببلد المحبوبة. ويقول المفسرون: بل أرادهما أن يحثا الإبل للسير بسرعة

١٤٨ ارحم نفسك

ابن هَرْمَة:

إسْتَبْقِ دَمْعَكَ لا يودِ البُكاءُ به واكْفُفْ مَدامِعَ مِنْ عينيْك تَسْتَبِقُ

أبق بعض دمعك ولا تدع البكاء ينزفه كله، وكف عينيك عن ذرف الدموع التي تتسابق في النزول

ليس الشُّؤونُ وإن جَادَتْ بِباقِيَةٍ ولا الجُفُونُ على هذا ولا الحَدَقُ

شؤون عينيك، مجاري الدمع فيهما، لن تبقى حتى وإن كانت سخية بالدمع الآن، وعلى هذا المنوال لن تبقى جفونك ولا أحداقك

١٤٩ بَيِّنات الحب

الحسين بن مُطَير:

فيَا عَجَباً لِلناسِ يَسْتَشْرِفُونَني كأنْ لم يَرَوْا بَعدي مُحِبّاً ولا قَبْلي

عجباً للناس يستشرفونني، ينظرون إليَّ، كأنهم لم يروا محباً من قبل أو كأنهم لا يظنون أنهم سيرون محباً في حياتهم بعدي

يَقولونَ لي اصْرِمْ يَرْجِعِ العقلُ كلُّه وصُرْمُ حَبيبِ النفسِ أَذْهَبُ لِلعقلِ

يقولون لي اصرم، أي اقطع العلاقة، فبهذا تسترد عقلك، ولكنني أعلم أن قطع العلاقة أكثر إذهاباً للعقل

ويا عَجَباً مِنْ حُبِّ مَنْ هُوَ قَاتِلي كأنّي أُجَازِيهِ المَوَدَّةَ مِنْ قَتلي

ومِنْ بَيِّناتِ الحُبِّ أن كان أهلُها أَحَبَّ إلى قلبي وعَيْنَيَّ مِنْ أَهْلي

من علامات الحب أنني أحب أهلها أكثر من حبي أهلي

١٥٠ ويلي من يومي

أبو الطَّمَحَان القَيْني:

أَلا عَلِّلاني قبلَ نَوْحِ النَّوائِحِ وقبلَ ارتِقَاءِ النفسِ فوقَ الجَوانِحِ

سلياني وآنساني قبل الموت وقبل ارتقاء النفس وخروجها من بين الجوانح، الأضلاع

وقبلَ غَدٍ، يا لَهْفَ نفسي على غَدٍ إذا راحَ أَصْحابي ولَسْتُ بِرائِحِ

قبل الغد عندما يضعني أصحابي في القبر ويروحون إلى بيوتهم، وأنا لا أروح معهم

إذا راحَ أَصْحابي تَفِيضُ دُمُوعُهُمْ وخُلِّيتُ في لَحْدٍ عَلَيَّ صَفَائِحي

الصفائح: حجارة القبر العريضة التي تسد حفرته

يقولونَ هَلْ أَصْلَحْتُمُ لِأخيكُمُ   وما الرَّمْسُ في الأرضِ الفَضاءِ بِصَالِحِ

يسأل الناس بعضهم بعضاً بعد انتهاء الدفن: هل أصلحتم له الكفن، وهل وسدتموه في قبره جيداً.. قد رأيت قوماً يفعلون ذلك، يا للسخف! وليس الرمس، أي القبر، في الأرض الفضاء، في البر، بالمكان الصالح

١٥١ يستر على محبوبته

جابر بن الثعلب الجَرْمي:

ومُسْتَخْبِرٍ عن سِرِّ رَيَّا رَدَدْتُهُ   بِعَمْياءَ مِنْ رَيَّا بِغَيْرِ يَقينِ

رب مستخبر يسألني عن علاقتي بريا، وقد رددته بعمياء، قلت له قولاً ممغمغاً لا يفيد بشيء ولا يعطيه يقيناً

فقال: انْتَصِحْني إِنَّني لَكَ نَاصِحٌ   وما أنا إنْ خَبَّرْتُهُ بِأَمينِ

يريد أن يجرني للحديث عنها فيقول لي: اطلب النصح،
ولو أخبرته بأي شيء فلن أكون أميناً لمحبوبتي

١٥٢ أنا قلبي دليلي

الحارث بن خالد المخزومي:

إنِّي وما نَحَرُوا غَداةَ مِنَىً   عندَ الجِمارِ تَؤُودُها العُقْلُ..

يحلف بالشياه التي نحرها الحجيج في منى عند موضع رمي الجمرات، والشياه تؤودها العقل، تثقل أعناقها الحبال..

لو بُدِّلَتْ أعلَى مَسَاكِنِها   سِفْلاً وأَصبحَ سِفْلُها يَعْلُو..

لو انقلبت مساكن المحبوبة رأساً على عقب

فَيَكادُ يَعْرِفُها الخبيرُ بِها   فَيَرُدُّهُ الإِقْوَاءُ والمَحْلُ..

فيشك فيها الخبير العالم بها ويكاد يعرفها لكن يزيد من شكوكه الإقواء والمحل، أي خلوها من أهلها وتبدل الأرض بالقحط..

لَعَرفْتُ مَغْنَاها لِمَا اشْتَمَلَتْ   مِنِّي الضُّلوعُ لِأَهْلِها قَبْلُ

لعرفت مغناها، منزلها الذي كان عامراً، بحدسٍ قلبيّ حيث اشتملت ضلوعي على حب عميق لأهل هذه الديار

١٥٣ المختبئة في شعرها

بكر بن النَّطَّاح:

بَيضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ شَعْرَهَا وتَغِيبُ فيهِ وَهْوَ جَثْلٌ أَسْحَمُ

حتى وهي واقفة فشعرها يصل الأرض، وهي تغيب في هذا الشعر الجثل، الكثيف، الأسحم، الأسود

وكأنَّها فيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وكأنَّهُ ليلٌ عليها مُظْلِمُ

فوجهها في شعرها كالنهار المضيء، وشعرها كالليل

١٥٤ سباق مع الحمامة

نُصَيْب:

لقد هَتَفَتْ في جُنْحِ ليلٍ حَمامةٌ على فَنَنٍ تَدْعُو، وإنِّي لَنائِمُ

فنن: غصن

كذبْتُ، وبيتِ اللهِ، لو كنتُ عاشِقاً لما سَبَقَتْني بِالبُكاءِ الحَمائِمَ

١٥٥ صبا نجد

عبد الله بن الدُّمَيْنة الخَثْعمي:

أَلَا يا صَبَا نَجْدٍ متَى هِجْتِ مِنْ نَجْدِ؟ فقد زَادَني مَسْرَاكِ وَجْداً على وَجْدِ

يا نسيم الصبا القادم من نجد متى هببت من نجد؟ لقد زادني مسراك، قدومك مساء، وجداً فوق وجدي

أإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ في رَوْنَقِ الضُّحَى على فَنَنٍ غَضِّ النَّباتِ مِنَ الرَّنْدِ..

أإن هتفت حمامة في رونق الضحى، في ضيائه، على غصن طري من شجر الرند الذكي..

بَكَيْتُ كمَا يَبْكي الوَليدُ، ولم أَكُنْ جَليداً وأَبْدَيْتُ الذي لم أَكُنْ أُبْدي

بكيت كالطفل المولود حديثاً، ولم أكن جليداً، صبوراً، وبدا من مشاعري ما لم يكن يبدو

وقد زَعَمُوا أن المُحِبَّ إذا دَنَا يَمَلُّ، وأنَّ النَّأْيَ يَشْفي مِنَ الوَجْدِ

بِكُلٍّ تَداوَيْنا فلم يُشْفَ ما بِنا على أن قُرْبَ الدَّارِ خيرٌ مِنَ البُعْدِ

تداويت بالقرب وتداويت بالبعد فلم أشف من الحب.. ولكن القرب أحسن على كل حال

ولكنَّ قربَ الدارِ ليس بِنافِعٍ إذا كان مَنْ تَهواهُ ليس بِذي عَهْدِ

وما نفع القرب إن كانت الحبيبة لا تحفظ وعودها؟

١٥٦ غادرت شيئاً

كُثَيِّر عزة:

وأَدْنَـيْتِـنـي حتـى إذا مـا مـلَـكْـتِـنـي بِقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأَبَاطِحِ..

قرَّبتِني إليك حتى إذا ما ملكت فؤادي بكلامك الذي يحل، أي يُنزل، العصم، أي الوعول الجبلية، إلى الأباطح، السهول..

تَجافَيْتِ عَنِّي، حينَ لا لِيَ حيلَةٌ وغَادَرْتِ ما غَادَرْتِ بيـن الجَوانِحِ

عندئذ تجافيت عني، وابتعدت، وتركت ما تركت بين ضلوعي

١٥٧ جواب من القبر

تَوْبَة بن الحُمَيِّر وهو من شعراء الدولة الأموية:

ولـو أنَّ لَيـلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ علَيَّ ودُوني جَنْدَلٌ وصَفَائِحُ..

لو سلمتْ عليَّ ليلى الأخيلية وأنا تحت الجنادل، الصخور، والصفائح، حجارة القبر..

لَسَلَّمْتُ تَسليمَ البَشاشَةِ أو، زَقَا إليها صَدَىً مِنْ جَانِبِ القَبرِ صَائِحُ

لرددت سلامها ببشاشة وجه، أو لزقا، أي صاح، إليها صدى من القبر، والصدى هو الصدى الذي تردده الجبال.. ولكن العرب كانت تزعم أنه يخرج من قبر الميت مخلوق خيالي يسمونه الهامة.. ويصدر عن الهامة صوت هو الصدى

وأُغْبَطُ مِنْ لَيلَى بِما ليس نَافِعي بَلَى كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ العينُ صَالِحُ

يغبطني الناس على علاقتي بليلى، وما يغبطونني عليه ليس نافعي.. لا بل هو نافع.. ذلك أن كل ما قرت به العين، رضيت به، جيد

١٥٨ القلب في الشرك

كـأنَّ الـقَـلْبَ لـيـلـةَ قـيـلَ يُـغْـدَى بِـلَـيـلَـى الـعَـامِـرِيَّـةِ أو يُـرَاحُ..

كأن القلب عندما قيل إن قوم ليلى سيذهبون غدوة، صباحاً، أو رواحاً، مساء، وهي معهم..

قَـطَـاةٌ عَـزَّهَـا شَـرَكٌ فَـبـاتَـتْ تُـجَـاذِبُـهُ وقـد عَـلِـقَ الـجَـنَـاحُ

القلب كأنه طير قطا. والقطاة عزها، أعجزها، شرك، شبكة الصائد، فباتت تجاذب الشبكة وقد علق جناحها بها

لـهـا فَـرْخَـانِ قـد تُـرِكَـا بِـوَكْـرٍ وعُـشُّـهُـمَـا تُـصَـفِّـقُـهُ الـرِّيَـاحُ

وهذه القطاة قد تركت فرخيها في العش الذي تهب عليه الرياح

فلا في الليلِ نالَتْ ما تَمَنَّتْ ولا في الصُّبْحِ كان لها بَراحُ

فلا في الليل نالت صيداً، ولا في الصباح كان لها براح، فكاك

١٥٩ وعود الغواني

تَمَتَّعْ بِها ما ساعَفَتْكَ ولا تَكُنْ عليكَ شَجاً في القلبِ حين تَبِينُ

تمتع بالمحبوبة ما ساعفتك، سايرتك ووافقتك، ولا تجعلها شجاً، شوكة، في قلبك حين تفارقك

وإنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللِّيانَ فَإِنَّها لِغَيْرِكَ مِنْ خُلَّانِها سَتَلِينُ

فإن كانت مسايرة لك وملاينة فاعلم أنها ستلين لغيرك من خلانها، أصحابها

وإنْ حَلَفَتْ لا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَها فليس لِمَخْضُوبِ البَنانِ يَمينُ

فإن حلفت لك ألا تنقض عهدك بالنأي، عند الفراق، فاعلم أنه ليس لمخضوب البنان، لشخص مصبوغ أطراف الأصابع بالحناء.. أي لامرأة، يمين صادقة

١٦٠ دموع وقصائد

فإن تَمنَعُوا لَيلَى وحُسْنَ حَديثِها فلن تَمْنَعُوا مِنِّي البُكَا والقَوافِيا

فهَلَّا مَنَعْتُمْ، إذْ مَنَعْتُمْ حديثَها، خيالاً يُوافِينِي مَعَ الليلَ هَادِيا

منعتموني من أن أحدثها فهل بوسعكم منع خيالها من أن يأتيني في المنام وهو يتهادى؟

١٦١ أنا والله كريم

أَسَجْناً وقَيْداً واشْتِياقاً وغُربَةً وفقْدَ حَبيبٍ إنَّ ذا لَعَظِيمُ

مسجون مقيد ومشتاق ومغترب وفاقد للحبيب.. ما أفظع ذلك..

وإنَّ امْرأً تَبقَى مَواثِيقُ عَهْدِهِ على مثلِ ما قاسَيْتُهُ لَكَريمُ

ومن يحفظ عهد المحبوبة رغم كل ذلك فهو رجل كريم، أي أصيل

١٦٢ أسير المحبة

ابن طَريف:

وَقَفْتُ لِلَيلَى بِالمَلا بعد حِقْبَةٍ بِمَنزِلَةٍ فانْهَلَّتِ العينُ تَدْمَعُ

وقفت لليلى بالملا، بين الناس، بعد فراق دام زمناً فسالت العين بالدمع

وأَتْبَعُ لَيلَى حيثُ سَارتْ ووَدَّعَتْ　　　وما الـنـاسُ إلّا آلِـفٌ ومُـوَدِّعُ

وأتبع ليلى إلى كل مكان، والناس هكذا بعضهم يودع وينسى وبعضهم يألف ويواصل

كأنَّ زِمَاماً في الفؤادِ مُعَلَّقاً　　　تَقُودُ به حيثُ اسْتَمَرَّتْ وأتْبَعُ

كأن حبلاً يربط قلبي بها فهي تقود القلب إلى كل مكان تذهب إليه

١٦٣ خوش هدية

وَرْد الجَعْدي، الشاعر الجاهلي:

خَلِيلَيَّ عُوجَا بَارِكَ اللَّهُ فيكُما　　　وإن لم تكنْ هندٌ لِأَرْضِكُما قَصْدا

يا صاحبي ميلا نحو ديار هند حتى وإن لم تكن ديارها على طريقكما

وقولا لها ليس الضَّلالُ أَجَارَنا　　　ولكنَّنا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمُ عَمْدا

قولا لها لم نضل الطريق، ولكننا جرنا، أي انحرفنا، عمداً لنلقاك

تَخَيَّرْتُ مِنْ «نَعمَانَ» عُودَ أَرَاكَةٍ　　　لِهِنْدٍ، ولكنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدا

قطعت من وادي نعمان عود سواك من شجرة «أراك» هدية لهند.
ولكن، من ذا يبلغه هنداً؟

١٦٤ نهر الدموع

قال رجل من بني عكل:

وما في الأرضِ أشقى مِنْ مُحِبٍّ　　　وإن وَجَدَ الهوى حُلْوَ المَذاقِ

تَراهُ باكِياً في كلِّ حالٍ　　　مَخافَةَ فُرْقَةٍ أو لِاشْتِيَاقِ

فيَبْكي إن نَأَوْا شَوْقاً إليْهِمْ　　　ويَبكي إن دَنَوْا خوفَ الفِراقِ

فَتَسْخَنُ عينُهُ عند التَّنَائي　　　وتَسْخَنُ عينُهُ عند التَّلاقي

١٦٥ أفنيت علاتي

يزيد بن الطَّثْرِيَّة:

عُقَيْلِيَّةٌ أمَّا مَلاثُ إزارِها　　　فَدِعْصٌ وأمَّا خَصْرُها فَبَتِيلُ

هي من عُقَيْل، وملاث إزارها، موضع لفّ التنورة أي الأرداف، فدعص، أي كثيب رمل، وأما الخصر فبتيل، نحيل

تَقَيَّظُ أكنافُ الحِمَى، ويُظِلُّها   بِنَعْمَانَ مِنْ وَادي الأرَاكِ مَقِيلُ

تشتعل أطراف الحمى، مكان القوم، بالحر الشديد، وتستظل المحبوبة في نعمان وهو واد يكثر فيه شجر الأراك حيث تحلو القيلولة

فَدَيْتُكِ أعدائي كَثيرٌ، وشُقَّتي   بَعيدٌ، وأنصاري لَدَيْكِ قليلُ

أنا غريب هنا..

وكنتُ إذا ما جِئتُ جِئتُ بِعِلَّةٍ   فَأفْنَيْتُ عِلّاتي، فكيفَ أقُولُ؟

كنت كلما جئت إلى مضارب قومك جئت بعلة، بحجة أتحجج بها، ولم يبق لي حجج.. فماذا سأقول هذه المرة؟

١٦٦ منتهى الأمنيات

ولمَّا نَزلْنَا منزلاً طَلَّهُ النَّدَى   أنِيقاً، وبُسْتَاناً مِنَ النَّوْرِ حَالِيا

لما نزلنا مكاناً نديّاً أنيقاً، وبستاناً حالياً، أي متحلياً مزيناً، بالنَّوْر، أي النوَّار

أجَدَّ لنا طيبُ المَكانِ وحُسْنُهُ   مُنَىً فَتَمَنَّيْنا فكنْتِ الأمانِيا

أجد، أي أحدث، لنا طيب المكان وجماله أماني، فتمنينا.. فكنت أنتِ الأماني

١٦٧ البريئة

ابن الدُّمَيْنة:

بِنَفْسِي وأهْلِي مَنْ إذا عَرَّضُوا لَهُ   بَذِكْرِ الهَوى لم يَدْرِ كيفَ يُجيبُ

أفدي بنفسي وبأهلي الحبيب الذي يذكرون أمامه تعريضاً لا تصريحاً الهوى فيرتبك ولا يعرف كيف يجيب

ولم يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِيِّ، ولم تَزَلْ   بِهِ سَكْتَةٌ حتَّى يُقَالَ مُرِيبُ

فلا يعتذر الحبيب بكلام يظهر براءته، ويسكت كأنه يخفي شيئاً

لقد ظَلَمُوا ذاتَ الوِشَاحِ، ولم يَكُنْ   لنا مِنْ هَوى ذاتِ الوِشاحِ نَصيبُ

قد ظلموها.. فلم يكن لنا نصيب من حبها الذي سعينا إليه فلم توافقنا عليه

١٦٨ الزفرات والعبرات

هلِ الحُبُّ إلَّا زَفْرَةٌ بعدَ زَفْرَةٍ   وحَرٌّ على الأحْشَاءِ ليس لَهُ بَرْدُ

الحب زفرات حرَّى وعذاب

وفَيْضُ دُموعِ العينِ يا مَيَّ كلَّما بَدا عَلَمٌ مِنْ أرضِكُمْ لم يَكُنْ يَبْدُو

والحب هو انسكاب دمع العين يا ميَّةَ كلما اقتربنا من ديارك وبدا لنا علم، أي جبل، لم يكن يبدو من قبل

١٦٩ قوس كيوبيد

أبو دَهْبَلِ الجُمَحِي:

أَقولُ والرَّكْبُ قد مَالَتْ عَمائِمُهُمْ وقد سَقَى القَوْمَ كأسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ

أقول والركب، أي المسافرون على الجمال، قد مالت رؤوسهم ومالت العمائم، وقد سقاهم السهر كأس النعاس

يا ليتَ أَنِّي بِأَثْوابي ورَاحِلَتي عَبْدٌ لِأَهْلِكِ هذا العامَ مُؤْتَجَرُ

يا ليت أني عبد أجير عند أهلكِ أيتها المحبوبة طول السنة وأثوابي وراحلتي، ناقتي، معي لا أكلفهم شيئاً من مؤونتي

جِنِّيَّةٌ أو لَها جِنٌّ يُعَلِّمُها رَمْيَ القلوبِ بِقَوْسٍ مَا لَها وَتَرُ

محبوبتي من الجن لحسنها الذي لا مثيل له في البشر، أو أن لها جنياً يعلمها كيف ترمي القلوب بقوس الحب التي ليس لها وتر

١٧٠ كدت أطير

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

تَغَلْغَلَ حُبُّ «عَثْمَةَ» في فُؤادي فَبَادِيهِ مع الخَافي يَسيرُ

تعمق حب عثمة في قلبي والظاهر منه للعيان قليل بالقياس إلى ما خفي

تَغَلْغَلَ حيثُ لم يَبْلُغْ شَرابٌ ولا حُزْنٌ ولم يَبْلُغْ سُرورُ

هذا حب متعمق جداً..

شَقَقْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيهِ هَواكِ، فَلِيمَ، فَالْتَأَمَ الفُطُورُ

شققت قلبي ثم ذررت، أي رشّشت، فيه حبك، ثم ليم، أي رُمِّم وأُصلح وتم تخييطه، فالتأم الفطور، أي أغلق وأصلح الشق

أكادُ إذا ذَكَرْتُ العهدَ منها أطيرُ لو انَّ إنْساناً يَطيرُ

١٧١ هذا حبيبها

قال نُصَيْب، وتروى لغيره:

أَهَابُكِ إِجْلالاً، وما بِكِ قُدْرَةٌ ... عليَّ، ولَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبيبُها

أهابك إكباراً لقدرك، ليس أن لك علي قدرة، ولكن حبيب المرء ملء عينيه كأنما يراه أكبر من الحجم الطبيعي

وما هَجَرتْكِ النفسُ أنَّكِ عندها ... قليلٌ، ولكنْ قَلَّ منكِ نَصيبُها

ابتعادي عنك ليس لهوانك عليّ بل لقلة حظي منك

ولكنَّهُمْ يا أَمْلَحَ الناسِ أَكْثَرُوا ... بِقَوْلٍ إذا ما جِئْتُ: هذا حَبيبُها

ومع ذلك فكلما جئت قالوا: هذا حبيبها. ويحك ما أجمل هذا البيت!

١٧٢ منتهى العفاف

ابن الدمينة:

أَحَقّاً عِبادَ اللَّهِ أنْ لَسْتُ وَارِداً ... ولا صادِراً إلَّا عَلَيَّ رَقيبُ

لا آتي ولا أذهب إلا وعلي رقيب

ولا زَائراً فَرْداً ولا في جَماعةٍ ... مِنَ الناسِ إلَّا قيلَ أنتَ مُريبُ

ولا أزور أحداً أو قوماً إلا قيل لي إنني مريب، أي لدي ما أخفيه مما هو غريب أو معيب

وهل رِيبَةٌ في أنْ تَحِنَّ نَجيبَةٌ ... إلى إِلْفِها أو أن يَحِنَّ نَجيبُ

هل ثمة ريبة في أن تحن ناقة إلى صاحبها الجمل، أو أن يحن هو إليها؟

وإِنِّي لأَسْتَحْيِيكِ حتى كأنَّما ... عليَّ بِظَهْرِ الغيبِ منكِ رَقيبُ

١٧٣ المغرورقتان

أبو حَيَّة النُّمَيْري:

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ ... إلى الدارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

لأن عينيه فيهما دموع فهو يرى دار المحبوبة كما يرى المرء الشيء غائماً من وراء زجاجة، والزجاجة هي الكأس

فَعيْنَايَ طَوْراً تَغْرَقَانِ مِنَ البُكَا ... فَأَعْشَى، وطَوْراً تَحْسِرانِ فَأُبْصِرُ

تغرق عيناي حيناً بالبكاء فأصبح أعشى ضعيف النظر، وتحسران، تتكشفان، حيناً فأبصر

١٧٤ الملامة اللذيذة

أبو الشِّيص الخُزَاعِي:

وَقَفَ الهَوى بي حيثُ أنتِ، فليس لي   مُـتَـأَخَّـرٌ عـنـهُ ولا مُـتَـقَـدَّمُ

تجمدت حياتي فلم يعد لي شغل إلا أنت

أَجِدُ المَلامَةَ في هَواكِ لَذيذَةً   حُبّاً لِذِكْرِكِ، فَلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

أستمتع بمن يلومونني في شأنك لأن مجرد ذكركِ ممتع لقلبي،
فليلمني اللوم، أي اللائمون

أَشْبَهْتِ أَعدائي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ   إذ صارَ حَظّيَ منكِ حَظّيَ مِنْهُمُ

أنت مثل أعدائي فهم يبخلون علي بكل ما هو حسن، وكذلك أنت.. لذا صرت أحب أعدائي لحبيكِ

وأَهَنْتِني فَأَهَنْتُ نَفْسِيَ عَامِداً،   ما مَنْ يَهُونُ عليكِ مِمَّنْ أُكْرِمُ

أهنتني في الحب فقبلت الإهانة فما من أحد يهون عندك وأكرمه،
لذا فأنا أهين نفسي لأنك تهينينها

١٧٥ حوار حبيبين

ابن الدمينة لمحبوبته أمامة:

وأنتِ التي كَلَّفْتِني دَلَجَ السُّرَى   وجُونُ القَطا بِالجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ

أنت كلفتني دلج السرى، السير ليلاً، بينما طيور القطا الجون، السود، جثوم راقدات في «الجلهتين»

وأنتِ التي أَحْفَظْتِ قَومي فَكُلُّهُمْ   بَعيدُ الرِّضَا بَادي الصُّدُودِ كَظِيمُ

وأنت أحفظت قومي، أغضبتهم عليّ، فكلهم ساخط ويكظم سخطه، يخفيه

فقالت محبوبته تجيبه:

وأنتَ الذي أَخْلَفْتَني ما وَعَدْتَني   وأَشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يَلُومُ

أنت أخلفت وعدك، وجعلت اللائمين يشمتون بي

وأَبْرَزْتَني لِلنَّاسِ ثم تَرَكْتَني   لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سَليمُ

وفضحتني بين الناس ثم تركتني غرضاً لسهام الذم، وأنت سليم منها

١٧٦ فعلت أفعالها

أعشى بني تغلب، وتروى لعمرو بن الأصم:

أَلْـمِـمْ عـلـى دِمَـنٍ تَـقـادَمَ عـهـدُهـا بـالـجَـزْعِ واسْـتَـلَـبَ الـزمـانُ جَـمـالَـهـا

ألمم، زُر من الزيارة، على دمن قديمة، هي خرائب المنازل في موضع الجزع التي ذهب حسنها بمرور الزمن عليها

رسـمٌ لِـقَـاتِـلَـةِ الـغَـرَانِـقِ مـا بِـهـا إلَّا الـوُحُـوشُ خَـلَـتْ لـهُ وخَـلا لَـهـا

هذا رسم، أي طلل، لدار قاتلة الغَرانق، الشبان الوسيمين، وليس بها إلا الوحوش، حيوانات البر، خلا لها الرسم الموحش وخلت له الوحوش

ظَـلَّـتْ تُـسَـائِـلُ بِـالـمُـتَـيَّـمِ أَهْـلَـهُ وَهِـيَ الـتـي فَـعَـلَـتْ بـه أَفْـعَـالَـهـا

وهي تسأل أهل المتيم المغرم بها عن حاله،
بينما هي التي فعلت به ما فعلت

١٧٧ أحببت وكفى

عمرو بن ضُبَيْعة الرَّقاشي:

تَـضِـيقُ جُـفـونُ الـعـينِ عن عَـبَـراتِـها فـتَـسْـفَـحُـهـا بـعـد الـتَّـجَـلُّـدِ والـصـبرِ

تضيق الجفون عن الدموع فتسفحها، أي تسكبها، بعد التجلد، التماسك، والصبر

أَلَا لِـيَـقُـلْ مَـنْ شـاءَ مـا شـاءَ إنَّـمـا يُلَامُ الفتَى فِيما استَطاعَ مِنَ الأمرِ

قَضَى اللَّهُ حُبَّ المالِكِيَّةِ فاصْطَبِرْ عليه فقد تَجري الأمورُ على قَدْرِ

اصبر على حب المالكية فهذا قضاء الله، والأمور تجري بحسب المقادير

١٧٨ التمتع بالتمني

قال رجل من بني الحارث:

مُنىً إنْ تَكُنْ حَقّاً تَكُنْ أحسنَ المُنَى وإلَّا فـقـد عِـشْـنـا بِـهـا زَمـنـاً رَغْـدا

لو تحققت الأماني فهذا أحسن شيء، وإلا، أي إن لم تتحقق، فقد سررنا بالتمني

أَمَانِيُّ مِنْ سُـعْدَى حِـسانٌ كـأنَّـمـا سَقَتْكَ بِها سُعْدَى على ظَمَإٍ بَرْدَا

الأماني بوصل سعدى جميلة وهي تبرد القلب،
فكأن سعدى سقتك ماء بارداً وأنت عطشان

١٧٩ أحلاهما مرّ

إنِّي وإيَّاكِ كَالصَّادي رأى نَهَلاً ... ودُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بِها التَّلَفَا

أنا وأنت أيتها المحبوبة كالصادي، أي العطشان، الذي رأى منهل ماء، وبينه وبين المنهل هوة سحيقة يخشى الموت إن عبرها

رأى بِعينَيْهِ مَاءً عَزَّ مَوْرِدُهُ ... وليس يَمْلِكُ دونَ الماءِ مُنْصَرَفَا

يرى الماء ولكن وروده عزيز، صعب، ولكنه لا يستطيع الانصراف دون أن يشرب

١٨٠ النعاس الحائر

ولي مُقْلَةٌ عهدُها بِالكَرى ... قَديمٌ، وبِالدَّمْعِ عهدٌ قَريبُ

عهدي بالنوم بعيد، وبالدمع قريب

يَحارُ إذا زَارَ طَرْفي الكَرى ... كمَا حَارَ بِالحَيِّ ضَيْفٌ غَريبُ

عندما يزور النوم طرفي أي عينيّ، فهو يحتار ولا يمكث طويلاً، ويكون نوماً مردداً قلقاً، مثلما يحار ضيف غريب جاء إلى الحي

١٨١ انظري نحولي

خلف بن خليفة:

خُذي بِيَدي ثم ارْفَعي الثَّوْبَ فانظُري ... بِيَ الضُّرَّ إلَّا أَنَّني أَتَسَتَّرُ

ارفعي ثوبي لتري نحولي ونحفي، فأنا أتستر بالثوب لئلا يظهر ما بي

فمَا حيلَتي إنْ لم تَكُنْ لَكِ رَحْمةٌ ... عَليَّ ولا لي عنكِ صبرٌ فأَصبِرُ

لا أنت راحمة لي ولا أستطيع عنك صبراً

١٨٢ زرع كبد

مجنون ليلى:

ولي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبيعُني ... بِها كَبِداً ليستْ بِذاتِ قُرُوحِ؟

كبدي بها قروح، ندوب، فمن يبادلني بها كبداً صحيحة؟

أَبى الناسُ بين الناسِ لا يَشترُونَها ... ومَنْ ذا الذي يَشْري دَوىً بِصَحيحِ

الدوى: المريض

١٨٣ الرغبة عن الهجاء

أَرْطَاة بن سُهَيَّة المُرِّي، وقد عاش في الدولة الأموية:

تمَنَّتْ وذَاكُمْ مِنْ سَفاهَةِ رأيِها لِأَهْجُوَها لَمَّا هجَتْني مُحَارِبُ

قبيلة محارب تمنت أن أرد على هجائها لي بهجاء، وهذا من قلة عقلها

مَعاذَ الإِلَهِ إِنَّني بِقَبِيلَتي ونَفسيَ عن ذَاكَ المَقَامِ لَرَاغِبُ

معاذ الله، فأنا راغب لقبيلتي ولنفسي عن القيام هذا المقام، أي كاره للوقوف هذا الموقف

١٨٤ هجاء الابن

فُرْعان بن الأعرف، الذي عاش لعهد عمر بن الخطاب، في ابنه منازل، وقد عقه:

لَرَبَّيْتُهُ حتى إذا آضَ شَيْظَماً يَكادُ يُسَاوِي غَارِبَ الفَحْلِ غَارِبُهْ

لقد ربيت ولدي «منازلاً» حتى إذا آض، أي أصبح، شيظماً، أي قوياً، يساوي ظهره ظهر الفحل علواً

ورَبَّيْتُهُ حتى إذا ما تَركتُهُ أَخَا القومِ واسْتَغْنَى عن المَسْحِ شَارِبُهْ

ربيته حتى أصبح رجلاً في القوم، ولم يعد شاربه يمسح.. واستغناء الشارب عن المسح كناية عن مفارقة الطفولة، فالشارب هو الشفتان اللتان تشربان اللبن، والطفل يمسحون شفتيه بعدما يشرب اللبن

تَغَمَّدَ حَقِّي ظَالماً ولَوَى يَدي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الذي هُوَ غَالِبُهْ

تغمد، أي أخفى، حقي، ولوى يدي، أي استقوى عليّ

وكان له عِندي إذا جَاعَ أو بَكَى على الزَّادِ أَحلَى زَادِنا وأَطَايِبُهْ

عندما كان يجوع أو يبكي على الزاد، أي لأنه لم يحب نوع الطعام، فله أحلى وأطيب ما عندنا من طعام

أَإِنْ أُرْعِشَتْ كَفَّا أَبيكَ، وأصبحَتْ يَداكَ يَدَيْ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهْ؟

أإن أصابت الرعشة يديْ أبيك وأصبحت يداك أنت قويتين كيدي الأسد، فأنت تضرب أباك؟

وجَمَّعْتُها دُهْماً جِلَاداً كأَنَّها أَشَاءُ نَخيلٍ لم تُقَطَّعْ جَوانِبُهْ

لقد جمعت هذه الخيول الدهم، السود، الجلاد، القوية، التي كأنها أشاء نخيل، نخلات صغار، لم يتم تشذيبها بعد

فَأَخْرَجَني منها سَلِيباً كأَنَّني حُسامٌ يَمانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهْ

فسلب خيلي وأخرجني صفر اليدين، فكأنني سيف يماني ذهبت مضاربه، أي نصله، ولم يبق منه إلا المقبض

١٨٥ بئست الخلتان

قَعْنَب بن أمّ صَاحب:

إنْ يَسْمَعُوا ريبَةً طَارُوا بِها فَرَحاً   منِّي، ومَا سَمِعُوا مِنْ صالحٍ دَفَنُوا

إن سمعوا سيئة عني فرحوا بها وأذاعوها، ويدفنون ما سمعوا عن حسناتي

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيراً ذُكِرْتُ به   وإنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عندَهُمْ أذِنُوا

بهم صمم عن حسناتي، وإن ذكرني أحد بسوء أذنوا، فتحوا آذانهم

جَهلاً علَيْنا وجُبْناً عن عَدُوِّهِمُ   لَبِئْسَتِ الخَلَّتانِ الجَهْلُ والجُبُنُ

جهلاً علينا، يتطاولون علينا، ويجبنون عن العدو.. وبئست الخصلتان الجهل، أي التهور والتطاول، والجبن

١٨٦ المانّ على بني أسد

حُرَيْث بن عَنَّاب:

بَني أَسَدٍ إلَّا تَنَحَّوْا تَطَأْكُمُ   مَناسِمُ حتى تُحْطَمُوا وحَوَافِرُ

يا بني أسد، إن لم تتنحوا فسوف تدوسكم مناسم، أي أخفاف الإبل، وحوافر الخيل حتى تتهشموا

تَضَاءَلْتُمُ مِنَّا كمَا ضَمَّ شَخْصَهُ   أمَامَ البُيوتِ الخَارِئُ المُتَقَاصِرُ

تضاءلتم، انكمشتم، خوفاً منا، مثلما يقعي أمام البيوت ويضم شخصه المتغوط المتقاصر، الذي يحاول تقصير نفسه كي لا يراه أحد

ولما رأيناكُمْ لِئَاماً أذِلَّةً   وليس لَكُمْ مِنْ سائرِ الناسِ نَاصِرُ

كنا قد رأيناكم ريناكم ذليلين لا ينصركم أحد..

ضَمَمْنَاكُمُ مِنْ غيرِ فَقْرٍ إلَيْكُمُ   كَمَا ضَمَّتِ السَّاقَ الكَسيرَ الجَبَائِرُ

فضممناكم إلينا دون أي حاجة بنا إليكم، فأنتم المنتفعون بهذا الحلف فقط، مثلما تنتفع الساق المكسورة إذ تربط بالجبائر، العصي التي تجبر الكسر

١٨٧ صبغوا رماحنا

جَوَّاس بن القَعْطَل:

صَبَغَتْ أُمَيَّةُ بِالدِّمَاءِ رِمَاحَنا   وطَوَتْ أُمَيَّةُ دونَنا دُنيَاها

قاتلنا مع بني أمية فصبغت رماحنا بالدم لكنها أبعدت عنا خيرات الدنيا

فـاللَّـهُ يَـجـزِي، لا أُمَيَّـةُ، سَـعْـيَـنـا وعُـلاً شَـدَدْنـا بِـالـرِّمَـاحِ عُـرَاهـا

فالله يجزينا، وتجزينا المعالي التي عززناها بالرماح وشددنا عراها، مثلما يشد المرء أنشوطة الحبل على عنق الجمل

١٨٨ ركوب المنبر

أبو الأسد، في الحسن بن رجاء:

مـا زِلْـتَ تَـركَـبُ كـلَّ شـيءٍ قـائـمٍ حتى اجترأتَ على ركوبِ المِنبرِ

يعيره بالانحراف الجنسي، ويتعجب من اجترائه على صعود المنبر، فهو غير أهل للقيادة

١٨٩ المجد ليس تمراً

قال رجل من بني أسد:

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ والسَّاعُونَ قد بَلَغُوا جَهْدَ النُّفوسِ وأَلْقَوْا دونَهُ الأُزُرَا

أخذت تدب، وتزحف، نحو المجد بينما الساعون المجتهدون قد بلغوا في سعيهم أقصى الغايات وخلعوا الأزر، أي الأثواب، كناية عن المثابرة الشديدة

فَكَاثَرُوا المَجْدَ حتَّى مَلَّ أكثرُهُمْ وعانَقَ المجدَ مَنْ أَوْفَى ومَنْ صَبَرا

فكاثروا المجد، أي تحدوه كي ينالوه، فمل أكثرهم، ولم ينل المجد إلا من أوفى، بلغ الغاية، وصبر

لا تَحْسَبِ المجدَ تَمْراً أنتَ آكِلُهُ لن تَبْلُغَ المجدَ حتى تَلْعَقَ الصَّبِرا

دون بلوغ المجد لعق الصبر، وهو نبات مر

١٩٠ قوم بخلاء

قال بعض بني المهلب:

قـومٌ إذا أَكَـلُـوا أَخْـفَـوْا كَـلامَـهُـمُ واسْتَوْثَقُوا مِنْ رِتَاجِ البابِ والدَّارِ

عندما يحين موعد طعامهم يهمسون همساً حتى لا يحس بهم الناس،
ويتأكدون من رتاج الباب، قفله

لا يَقْبِسُ الجارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ ولا تَـكُـفُّ يَـدٌ عـن حُـرْمَـةِ الـجَـارِ

ويبخلون حتى بالنار التي لا يخسرون شيئاً لو اقتبس أحد منها قبساً، وينتهكون حرمة من يجاورهم

١٩١ زفرة المعضوض

مالك بن أسماء بن خارجة، وكان زار صديقاً له، فلما بلغ داره شد عليه كلب صديقه، فعضه، فقال:

لو كنتُ أَحْمِلُ خمراً يومَ زرتُكُمُ   لم يُنْكِرِ الكلبُ أَنِّي صَاحِبُ الدَّارِ

لو كان معي خمر لظنني الكلب صاحب الدار لأنكم متعودون على حمل الخمر

لكنْ أَتَيْتُ وريحُ المِسْكِ تَفْغَمُني   وعَنْبَرُ الهِندِ أُذْكيهِ على النَّارِ

لكنني أتيت زائراً متعطراً وريح المسك تفغمني، تملأ أنفي، وعنبر الهند الذي تم تعريضه للنار لتقوية عبيره

فَأَنْكَرَ الكلبُ رِيحي حينَ أَبْصَرَني   وكان يَعرِفُ رِيحَ الزِّقِّ والقَارِ

فلم يعرف رائحتي كلبكم، فهو يعرف فقط رائحة الزق والقار، قربة الخمر والزفت الذي طليت به لمنع التسرب

١٩٢ سادتهم نساء، وقادتهم عبيد

مدرِك بن حِصن الفَقْعَسي:

لقد كنتُ أرمي الوَحشَ وَهْيَ بِغِرَّةٍ   ويَسْكُنُ أَحياناً إِلَيَّ شَرُودُها

كنت أرمي حيوانات البر بسهامي بغرة، فجأة، وأحياناً يأنس إلي الحيوان الشارد منها.. هكذا كانت علاقته بالفتيات شاباً

فقد أَمْكَنَتْني الوَحشُ مُذْ رَثَّ أَسْهُمي   وما ضَرَّ وَحْشاً قَانِصٌ لا يَصيدُها

ومنذ أن رثت أسهمي، أصبحت مهترئة، أمكنتني الوحوش من نفسها واقتربت مني، فالوحوش، ومنها الظباء والمها، لا يضرها صائد لا يستطيع صيدها.. كناية عن إقبال النساء عليه عندما صار كهلاً

فَأَعْرَضْتُ عن سَلمَى وقلتُ لِصاحِبي   سَواءٌ علينا بُخْلُ سَلمَى وَجُودُها

أعرضتُ عن سلمى، فسواء جادت أم بخلت فلا غرض لنا فيها

فلا تَحْسُدَنْ عَبْساً على ما أَصابَها   وذُمَّ حَياةً قد تَوَلَّى زَهِيدُها

لا تحسد قبيلة عبس على ما أصابت من عز،
وذم حياة تولّى الأمور فيها الزهيد الخسيس من الناس

تُشَبَّهُ عَبْسٌ هَاشِماً أَنْ تَسَرْبَلَتْ   سَرابيلَ خَزٍّ أَنْكَرَتْها جُلُودُها

يشبهون عبساً بقبيلة هاشم فقط لأنها تسربلت، لبست، ثياب الخز، الحرير، التي في الواقع قد أنكرتها ولم تألفها جلود عبس

فَلا تَحْسَبَنَّ الخَيْرَ ضَرْبَةَ لازِبٍ   لِعَبْسٍ إذا ما ماتَ عنها وَليدُها

الخير ليس ضربة لازب، ليس مؤكداً، لقبيلة عبس إذا مات الوليد بن عبد الملك؛ وكانت زوجته عبسية، وكان يغدق على قومها

فَسَادَةُ عَبْسٍ في الحديثِ نِساؤُها   وقَادَةُ عَبْسٍ في القديمِ عبيدُها

سادة عبس في الحديث نساؤها، زوجة الخليفة، وقادة عبس في القديم عبيدها، أي عنترة بن شداد

١٩٣ اللؤم وغايته

أَناخَ اللُّؤْمُ وَسْطَ بَني رِيَاحٍ   مَطِيَّتَهُ فَأَقْسَمَ لا يَرِيمُ

اللؤم نفسه أناخ دابته، أي أبركها وجعلها تجثم وتقعي، وسط بني رياح، وأقسم ألا يريم، يتحول عنهم.. أي هم لئام

كذلكَ كلُّ ذي سَفَرٍ إذا ما   تَناهَى عند غَايَتِهِ مُقيمُ

وكذا كل مسافر فإذا وصل غايته فهو يقيم ولا يرحل

١٩٤ المزاحم

إذا بَكْرِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلاماً   فيا لُؤْماً لِذلكَ مِنْ غُلامِ

ابن قبيلة بكر لئيم منذ مولده

يُزاحِمُ في المَآدِبِ كلَّ عَبْدٍ   وليس لَدَى الحِفاظِ بِذي زِحَامِ

وعندما يكبر يزاحم العبيد على الطعام، ولكنه لا يزاحم المقاتلين في الحرب للحفاظ على الشرف

١٩٥ تظن نفسها جميلة!

كَنْزة بنت شَمْلة المِنْقَرِيَّة، تهجو مَيَّة صاحبة ذي الرمة:

أَلا حَبَّذا أَهْلُ المَلا غيرَ أَنَّه   إذا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلا حَبَّذَا هِيَا

حبذا أهل الحي باستثناء ميَّة

على وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاحَةٍ   وتَحْتَ الثيابِ الخِزْيُ لو كان بَادِيَا

نعم على وجهها مسحة خفيفة من ملاحة، ولكن تحت ثيابها، أي في شخصيتها، اللؤم الذي كنت ستراه لو كان ظاهراً

ألم تَرَ أنَّ الماءَ يَخْلُفُ طَعْمُهُ   وإن كان لونُ الماءِ أبيضَ صَافِيَا

يكون الماء صافياً في لونه ولكن طعمه يخلف، أي يتغير.. فالمنظر لا يشي بالمخبر

إذا مَـا أَتَـاهُ وَارِدٌ مِـنْ ضَـرُورةٍ   تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الذي كان ظَامِيَا

فإذا جاء الماء وارد ليشرب مضطراً فإنه يتولى، ينصرف عنه، وقد غثيت نفسه وفسدت أضعاف ما كان به من عطش

كذلكَ مَيٌّ في الثيابِ إذا بَدَتْ   وأَثْوابُها يُخفِينَ مِنها المَخَازِيَا

١٩٦ كأن عليه أرزاق العباد

إذا ما الرزقُ أحجَمَ عن كريمٍ   وأَلْجَأَهُ الزمانُ إلى زِيَادِ..

إذا انكمش الرزق عن رجل كريم، واضطره الزمن إلى اللجوء لزياد..

تَلَقَّاهُ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ   كأنَّ عليهِ أرزاقَ العِبادِ

.. فزياد يستقبله بوجه مكشر، وكأنه مكلف بأرزاق عباد الله

١٩٧ قومي غير صاغرة

مُرَّة بن مَحْكَان، وهو أموي:

أنا ابْنُ مَحْكَانَ أَخْوالِي بَنُو مَطَرٍ   أَنْمِي إِلَيْهِمْ وكانُوا مَعْشَراً نُجُبا

أنا ابن فلان وأخوالي بنو مطر وأنتسب إليهم، وهم نجباء كرام

يا رَبَّةَ البيتِ قُومِي غيرَ صَاغِرةٍ   ضُمِّي إليكِ رِحَالَ القومِ والقِرَبَا

يا زوجتي قومي، غير صاغرة، غير ذليلة، واجمعي متاع الضيوف وقِرَب الماء التي جاءوا بها

في لَيلةٍ مِنْ جُمادَى ذاتِ أَنْدِيَةٍ   لا يُبْصِرُ الكلبُ مِنْ ظَلْمَائِها الطُّنُبا

في ليلة باردة من جمادى ذات أندية، أي ماطرة، ولا يكاد الكلب يرى لشدة الظلام الطنب، حبل الخيمة. يكون جمادى قد أتى في ذلك الزمن في الشتاء

ماذا تريْنَ أَنُدْنِيهِمْ ونُنْزِلُهُمْ   في بَاحَةِ الدارِ أم نَبْني لَهُمْ قُبَبا؟

فهل نقربهم وننزلهم في باحة دارنا، أي خيمتنا، أم نبني لهم قبباً، خياماً؟

١٩٨ الحريص على الضيف

ومُسْتَنْبِحٍ قال الصَّدَى مِثْلَ قولِهِ   حَضَأْتُ له ناراً لَها حَطَبٌ جَزْلُ

رب مستنبح، رجل ينبح كالكلب في الصحراء وهو تائه حتى تجاوبه كلاب قوم فينزل فيهم ضيفاً، ويتردد صدى نباحه.. وقد أوقدت له ناراً بحطب جزل، صلب

وقُمْتُ إليهِ مُسرعاً فَغَنِمْتُهُ   مَخَافَةَ قَوْمِي أنْ يفوُزوا بِهِ قَبْلُ

أسرعت إليه لكي أكسبه قبل أن يفوز به غيري من القوم قبلُ، أي قبل أن أستضيفه

فَأَوْسَعَنِي حمْداً، وأَوْسَعْتُهُ قِرىً ... وأَرْخِصْ بِحَمْدٍ كان كَاسِبَهُ الأَكْلُ

بالغت في قراه، طعامه، ومدحني.. وما أرخص الحمد الذي تكسبه بتقديمك الأكل للضيف

١٩٩ لِكِ البيت

وَمَا أنا بِالسَّاعِي إلى أمِّ عَاصِمٍ ... لِأَضْرِبَهَا إنِّي إذن لَجَهُولُ

لا يضرب زوجته

لَكِ البيتُ إلَّا فَيْنَةً تُحْسِنِينَها ... إذا حانَ مِنْ ضَيْفٍ عَلَيَّ نُزُولُ

البيت لك، وما عليك إلا أن تحسني في فينة، في مرة، عندما ينزل بي ضيف

٢٠٠ إكرام الضيف

وإنَّا لَمَشَّاؤُونَ بينَ رِحَالِنا ... إلى الضيفِ، مِنَّا لَاحِفٌ ومُنِيمُ

نمشي بين متاع بيوتنا ونعتني بالضيف ونقدم له اللحاف ولوازم النوم

فَذُو الحِلْمِ مِنَّا جَاهِلٌ دونَ ضَيْفِهِ ... وذُو الجَهْلِ منَّا عن أَذَاهُ حَليمُ

الحليم منا جاهل متهور في الدفاع عن ضيفه، والجاهل المتهور منا حليم يتحمل أي أذى من الضيف

٢٠١ سخيّ وحييّ

ابن عَنقاء الفَزاري:

رآنِي على ما بِي عُمَيْلَةُ فاشْتَكَى ... إلى مَالِهِ حالِي أَسَرَّ كَمَا جَهَرْ

رأى عميلة حالي، فشكا فقري إلى ماله.. أي طلب من ماله أن ينجدني.. فعل ذلك في السر والعلانية

دعَانِي فَآسَانِي، ولو ضَنَّ لَمْ أَلُمْ ... على حينَ لا بَدْوٌ يُرَجَّى ولا حَضَرْ

دعاني فآساني، خفف عني، ولو ضن علي وبخل لم أكن له لائماً في وقت لا يرجو المرء فيه الخير من بدو ولا من حضر لاشتداد الضيق بالناس

غُلامٌ رَمَاهُ الله بِالحُسْنِ يَافِعاً ... له سيمِيَاءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ

غلام، وكثيراً ما وصفوا الرجل بالغلام ولا ضير، كان جميل الطلعة وهو يافع فتي، وله سيمياء، طلعة بهية، لا تتعب البصر!

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في جَبِينِهِ ... وفي نَحْرِهِ الشِّعْرى وفي خَدِّهِ القمرْ

جعل نجوم السماء وقمرها في وجهه!

إذا قـيـلَـتِ الـعَـوْرَاءُ أَغْـضَـى كـأَنَّـهُ ذَلـيـلٌ بِـلا ذُلٍّ ولـو شَـاءَ لانْـتَـصَـرْ

إذا سمع العوراء، الكلمة الرديئة أغضى، خفض بصره، خجلاً.. فكأنه ذليل وليس بذليل، بل هو الحياء الجميل.. ولو أراد كان بمقدوره أن ينتصر، أن يرد ويستدّ

٢٠٢ كانت قذى عينيه

سَأَشْكُرُ عَمْراً ما تَراخَتْ مَنِيَّتي أيـادِيَ لـم تُـمْـنَـنْ وإنْ هِـيَ جَـلَّـتِ

سأشكر لعمرو ما تراخت منيتي، ما استمر عمري وابتعد موتي، أيادي، أي نِعَماً، لم يمن عليَّ بها مع أنها كبيرة

فتًى غيرُ مَحْجُوبِ الغِنَى عن صديقِهِ ولا مُظْهِرُ الشَّكْوَى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ

لا يحجب غناه عن صديقه، ولا يشكو إذا النعل زلت، إذا لحق به العسر

رأَى خَلَّتي مِنْ حيثُ يَخْفَى مَكانُها فكـانَـتْ قَذَى عينَيْهِ حتى تَجَلَّتِ

رأى خلتي، أي حاجتي، رغم أن فقري خفي، فكانت حاجتي كالقذى في عينيه.. فظل يسعى حتى تجلت، وزالت

٢٠٣ ليس أغناهم بل أكرمهم

أبو زياد الأعرابي:

لـه نَـارٌ تُـشَـبُّ عـلـى يَـفَـاعٍ إذا الـنِّـيرانُ أُلْـبِـسَـتِ الـقِـنـاعـا

ناره مشبوبة مشتعلة على التل، في حين نيران غيره يجري تكميمها حتى لا يراها ضيف طارئ

ولـم يـكُ أكـثـرَ الـفِـتْـيـانِ مـالاً ولـكـنْ كـانَ أَرْحَـبَـهُـمْ ذِراعـا

ليس الأغنى، لكنه الأوسع ذراعاً، أي الأسخى

٢٠٤ هينون لينون

عُبَيْد بن العَرَنْدَس الكلابي:

هَـيْـنُـونَ لَـيْـنُـونَ أَيْـسَـارٌ ذَوُو كَـرَمٍ سُـوَّاسُ مَـكْـرُمَـةٍ أَبْـنـاءُ أَيْـسَـارِ

في طبعهم السهولة والليونة وهم ذوو مال وكرم، ويسوسون المكارم، يحفظونها، وذوو أصل طيب. والأيسار والموسرون من أصل واحد في اللغة، كان الأغنياء يقامرون بالميسر، يقامرون على لحم ناقة يذبحونها، وكثيراً ما كانوا يوزعون المكسب على الفقراء

وإنْ تَـوَدَّدْتَـهُـمْ لانُـوا، وإن شُـهِـمُـوا كَـشَّـفْـتَ آسَـادَ حـربٍ غـيـرَ أَشْـرارِ

لينون مع من يتودد إليهم، وإن خاطبت فيهم الشهامة كشفت عن أسود حرب

لا يَنْطِقُونَ عن الفَحشَاءِ إن نَطَقُوا   ولا يُمَارُونَ إنْ مَارَوْا بِإكْثَارِ

لا يشتمون، ولا يمارون، لا يجادلون كثيراً

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ   مِثْلُ النُّجومِ التي يَسري بِها السَّاري

أي شخص منهم تلقاه تظن أنه سيدهم، فكلهم سادة كرام. وهم كالنجوم التي يهتدي بها مسافر الليل

٢٠٥ أضاءت أحسابهم الليل

أبو الطَّمَحان القَيْني:

إذا قيلَ أَيُّ الناسِ خيرٌ قَبيلَةً   وأَصبَرُ يوماً لا تَوارَى كَواكِبُهْ..

إن سئل عن خير الناس من حيث النسب القبلي، وعن أصبر الناس في اليوم الذي لا تتوارى كواكبه، أي يشتد فيه القتال وتلمع فيه السيوف كالكواكب في غبار المعركة المظلم..

فإنَّ بَني لأمِ بْنِ عَمْرٍو أَرُومَةٌ   سَمَتْ فوقَ صَعْبٍ لا تُنَالُ مَراقِبُهْ

فبنو لأم بن عمر أرومة، جذر ارتفع نباته فوق جبل صعب لا يصل المرء إلى مراقبه، أي الأماكن المشرفة التي تستعمل للمراقبة

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ   دُجَى اللَّيلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعَ ثَاقِبُهْ

أحسابهم، أي شرفهم، ووجوههم البيض أضاءت لهم ظلام الليل، حتى ليستطيع ثاقب الخرز أن ينظمه في سلك ليصنع عقداً.. وهذا يقتضي ضوءاً ساطعاً. لئن صدقنا أن الوجوه تضيء، فكيف نصدق أن «الأحساب» تضيء.. وعلى ضوئها ينظم عقد الخرز! هنا روعة البيت

٢٠٦ تفضلْ إن استطعت

محمد بن بشير الخارجي:

يَا أَيُّها المُتَمَنِّي أنْ يَكونَ فَتىً   مثلَ ابْنِ زَيْدٍ لقد خَلَّى لَكَ السُّبُلا

أيها المتمني أن يكون مثل ابن زيد.. تفضل لقد أخلى لك الطريق

أُعْدُدْ ثَلاثَ خِلالٍ قد عُرِفْنَ لَهُ   هلْ سَبَّ مِنْ أَحَدٍ، أَو سُبَّ، أَو بَخِلا؟

ثمة ثلاث خصال عرفت له: لم يشتم أحداً، ولم يشتمه أحد، ولم يبخل بماله

٢٠٧ أستدين باسمهم

شُقْرَان مولى سَلامان، من قضاعة:

ولو كنتُ مَوْلَى قَيسِ عَيْلانَ لم تَجِدْ   عَلَيَّ لإنْسَانٍ مِنَ الناسِ دِرْهَما

لو كنت مولى قبيلة قيس عيلان، الملتحق بهم، لما استطعت أن أستدين من أحد درهماً، فهم غير ذوي ثقة ولا يحملون عن مولاهم الديْن

ولـكـنَّـنـي مَـوْلَـى قُـضَـاعَـةَ كـلِّـهـا   فَـلَـسْـتُ أُبَـالـيِ أن أديـنَ وتَـغْـرَمـا

لكنني مولى قضاعة، فأنا أستدين وهي تغرم، تسدد عني

أُولـئِـكَ قَـوْمـيِ بَـارِكَ الـلَّـهُ فـيـهِـمُ   عـلـى كُـلِّ حَـالٍ، مَـا أَعَـزَّ وأَكْـرَمـا!

هم قومي فما أعزهم وما أكرمهم!

٢٠٨ المغوار الخجول

ليلى الأَخْيَلِيَّة:

لا تَـغْـزُوَنَّ الـدهـرَ آلَ مُـطَـرِّفٍ   لا ظَـالِـمـاً أبـداً ولا مَـظْـلُـومَـا

لا تشن غارة على آل مطرف، لا وأنت ظالم ولا وأنت مظلوم

قَـوْمٌ رِبَـاطُ الـخيـلِ وَسْـطَ بُيُـوتِـهِـمْ   وأَسِـنَّـةٌ زُرْقٌ يُـخَـلْـنَ نُـجُـومَـا

فهم يربطون خيولهم وسط بيوتهم للدفاع، ويُعِدُّون أسنة زرقاً تلمع كأنها النجوم

ومُـخْـرَّقٍ عـنـهُ الـقَـمـيـصُ تَـخَـالُـهُ   وَسْطَ الـبُيوتِ مِـنَ الحَـياءِ سَقِـيمَا

ورب فتى مشعث الملابس ممزق القميص تخاله سقيماً مريضاً

حـتَّـى إذا رُفِـعَ الـلِّـوَاءُ رَأَيْـتَـهُ   تَحتَ اللِّواءِ على الخَميسِ زَعِيما

فإذا رفع اللواء للحرب وجدته تحت اللواء زعيماً للخميس، أي الجيش

٢٠٩ الكريم الخجول.. والمغوار

كَـريمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيائِه   ويَـدْنُـو وأَطْـرافُ الـرِّمَـاحِ دَوَانِ

كريم ويجعله الحياء يغض بصره، وهو يدنو عندما تكون أطراف الرماح قريبة أي أنه مقدام في الحرب

وكـالـسـيـفِ إنْ لايَـنْـتَـهُ لانَ مَـسُّـهُ   وحَـدَّاهُ إنْ خَـاشَـنْـتَـهُ خَـشِـنَـانِ

مسه لين كمس السيف، ولكن حده قاطع

٢١٠ القادح لجارته

سَـأَقْـدَحُ مِـنْ قِـدْرِي نَـصِـيـبـاً   لِجَارَتِي وإن كان ما فيها كَفَافاً على أَهْلي

سأقدح، أي أغترف قدحاً، من قِدري للجارة، وإن كان ما في القدر لا يكاد يكفي أهلي

إذا أَنتَ لـم تُشْرِكْ رفيـقَكَ بِالذي   يكونُ قَليلاً لم تُشَارِكْهُ في الفَضْلِ

فمن لم يشارك رفيقه في القليل لم يشاركه في الفضل، أي الكثير الذي يفضل عن الحاجة

٢١١ أخلاق الرجال تضيق

عمرو بن الأهتم السعدي:

ذَرِيـنـي فَـإِنَّ الـشُّـحَّ يـا أمَّ هَـيْـثَـم   لِـصَـالِـحِ أَخْـلاقِ الـرجـالِ سَـروقُ

دعيني يا أم هيثم فالبخل يسرق ما عند الرجل من صالح الأخلاق

ذَرِيـنـي وحُـطِّـي فـي هَـوايَ فـإنَّـنـي   على الحَسَبِ الزَّاكي الرفيعِ شَفيقُ

دعيني وسخائي، وحطي في هواي، وافقيني على طبعي، فأنا شفيق، حريص، على الحسب الزاكي، الشرف الطيب

وكـلُّ كَـريـم يَـتَّـقي الـذَّمَّ بـالـقِرَى   ولِلْحَمْدِ بـيـن الـصَّـالـحِيَن طَـريقُ

الكريم يجتنب الّذم ببذل طعامه للضيف، وهذا هو طريق المكارم الني يحرص عليها الصالحون

لَـعَـمْـرُكَ مـا ضَـاقَـتْ بـلادٌ بِـأهـلِـهـا   ولـكـنَّ أخـلاقَ الـرجـالِ تَـضـيـقُ

البلاد لا تضيق بأهلها عن الرزق، فالرزق موجود ولكن أخلاق الرجال ضيقة وفيها البخل. هذا البيت صار مثل «الجوكر» في لعب الورق يحشره الشعراء في قصائدهم

٢١٢ عدوى

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبتَغِي الغِنَى   ولم أَدْرِ أن الجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي

لمست كفه آخذ منه مالاً، وأخذت.. ولم أدرِ أن سخاء كفه يعدي، يصيب بالعدوى

فـلا أنـا مِـنْـه مـا أفـادَ ذَوُو الـغِـنَـى   أَفَدْتُ، وأَعْداني فَأَتْلَفْتُ مَا عِندي

فما استفدت مما أخذت منه كما استفاد الأغنياء، لا بل أصابتني عدوى السخاء فأتلفت مالي القديم أيضاً

٢١٣ لا آكل وحدي

الحوَّاس الحارثي، وقيل بل هي لحاتم الطائي، يخاطب امرأته:

إذا ما صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسي له   أَكـيـلاً فـإنِّـي لَـسْـتُ آكُـلُـهُ وَحْـدي

إذا أعددت الطعام فابحثي عن أكيل، مشارك في الأكل، فلست آكلاً وحدي

أَخَـاً طَـارقـاً، أو جَـارَ بـيـتٍ فـإنَّـنـي   أخافُ مَذَمَّاتِ الأَحاديثِ مِنْ بعدي

اطلبي لي طارقاً، زائر ليل، أو جاراً ليأكل معي فأنا أخاف أن أكون عرضة للذم إن أكلت وحدي

ولَـلْـمَـوْتُ خيـرٌ مِـنْ زِيـارَةِ بَـاخِـلٍ   يُلاحِظُ أَطْرافَ الأَكيلِ على عَمْدِ

الموت أفضل من زيارة بخيل يلاحظ بعينيه يديْ مَنْ يشاركه الأكل ملاحظة متعمدة

وإنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ ما دَامَ ثَاوِياً وَمَا فِيَّ إلَّا تلكَ مِنْ شِيمَةِ العبدِ

أنا أخدم الضيف كأنني عبد له وهو ثاوٍ، مقيم، عندي، وليس فيَّ من صفات العبد سوى هذه

٢١٤ تنفيذ وصية الأب

منصور بن سَلَمَة النَّمَري:

وَدَاعٍ دَعَا بعدَ الهُدُوءِ كَأَنَّما يُقاتِلُ أَهْوالَ السُّرَى وتُقَاتِلُهْ

رب مناد ينادي بعد الهدوء في المساء، فكأنه يحارب أهوال السرى، أي السير ليلاً، وتحاربه

دَعَا بَائِساً شِبْهَ الجُنونِ، ومَا بِهِ جُنونٌ ولكِنْ كَيْدُ أَمْرٍ يُحَاوِلُهْ

ينادي وهو بائس وشبه مجنون من جوعه، وليس بمجنون ولكنه يسعى للخروج من كيد، مأزق، هو تيهه في صحرائه

فلمَّا سَمِعْتُ الصوتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتِ كريمِ الجَدِّ حُلْوٍ شَمَائِلُهْ

ناديت في اتجاهه، وأنا كريم الجد، كريم الأصل، حلو الشمائل، حسن الصفات

وأَبْرَزْتُ نَارِي ثم أَثْقَبْتُ ضَوْءَها وأَخرجْتُ كَلبي وَهْوَ في البيتِ دَاخِلُهْ

أبرزت ناري ليراها، وأثقبت، أشعلت، ضوءها، وأخرجت كلبي، وكان داخل البيت، كي ينبح فيعرف التائه مكاننا

فلمَّا رآني كَبَّرَ اللَّهَ وَحْدَهُ وبَشَّرَ قلباً كانَ جَمَّاً بَلابِلُهْ

لما رآني الرجل كبر حمداً لله، وبشر قلبه بالخلاص، وكان قلبه جم البلابل، كثير القلق

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً رَشِدْتَ، ولم أَقْعُدْ إليهِ أُسَائِلُهْ

رحبت به، وقلت له: قد وجدت رشدك بعد التيه، ولم أقعد أسائله

وقُمْتُ إلى بَرْكٍ هِجَانٍ أُعِدُّهُ لِوَجْبَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنا فَاعِلُهْ

بل قمت إلى برك هجان، إبل كريمة، أعددتها لوجبة حق، لطعام للضيف أراه حقاً علي

بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي، وبِمِثْلِهِ كذلكَ أَوْصَاهُ قَدِيماً أَوَائِلُهْ

هذه وصية أبي، ومن قبل أوصاه بهذا أوائله، أسلافه

٢١٥ طبع لا تطبع

حاتم بن عبد الله الطائي:

وعَاذِلَةٍ هَبَّتْ عَليَّ تَلومُني كأنِّي إذا أعطَيْتُ مَالي أَضيمُها

قامت تلومني كأنني عندما أسخو بالمال أضيمها، أي أظلمها

أَعَـاذِلَ إن الـجُـودَ لـيـس بِمُـهْـلِـكـي ولا مُخْلِدِ النفسِ الشَّحِيحَةِ لُومُها

الجود لا يميتني، ولؤم النفس البخيلة لا يجعلها تخلد

وتُـذْكَـرُ أَخْـلاقُ الـفـتَـى وعِـظَـامُـهُ مُـغَـيَّـبَـةٌ فـي الـلَّـحْـدِ بَـالٍ رَمـيـمُـهـا

أخلاق الفتى تظل مذكورة بعد موته عندما تصبح عظامه في القبر بالية

ومَنْ يَبْتَدِعْ ما ليس مِنْ خِيمِ نفسِهِ يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النفسِ خِيمُها

الخيم: الطبع

٢١٦ إيثار

حاتم الطائي:

وإِنِّي لَأَسْتَحيِي صِحَابِيَ أنْ يَرَوْا مكانَ يَدي مِنْ جانِبِ الزَّادِ أَقْرَعا

أستحي أن يرى أصحابي ونحن نأكل من الدست مكان يدي أقرع فارغاً.. أي أنني أكلت كل ما أمامي

أَكُفُّ يَدي عن أنْ يَنالَ الْتِمَاسُها أَكُفَّ صِحابي حينَ حاجَتُنَا معَا

أبتعد بيدي حتى لا تلامس أكف أصحابي حين تكون لنا حاجة واحدة في اغتراف الطعام.. أي أنني لا أزاحمهم على الأكل

أَبيتُ هَضيمَ الكَشْحِ مُضْطَمِرَ الحَشَا حَـيـاءً أَخـافُ الـلُّـوْمَ أن أَتَـضَـلَّـعـا

أبيت هضيم الكشح، نحيل الجانب، مضطمر الحشا، ضامر البطن، حياء من أن أكون جشعاً نهماً إذا تضلعت من الطعام، أي امتلأت منه

فـإنَّـكَ إن أَعْـطَـيْـتَ بَـطْـنَـكَ سُـؤْلَـهُ وفَـرْجَـكَ نَـالا مُـنْـتَـهَـى الـذَّمِّ أَجْـمَـعـا

إذا طاوعت شهوات بطنك وفرجك، فقد نلت أعظم الذم

٢١٧ بناء في الهواء

أبو كَدْرَاء العِجْلِي:

يـا أُمَّ كَـدْرَاءَ مَـهـلاً لا تَـلـومِـيـنـي إنِّـي كـريـمٌ وإنَّ الـلَّـوْمَ يُـؤْذِيـنـي

لا تلوميني على الكرم، فأنا كريم واللوم يؤذيني

فـإنْ بَـخِـلْـتُ فـإنَّ الـبُـخْـلَ مُـشْـتَـرَكٌ وإنْ أَجُـدْ أُعْـطِ عَـفْـواً غـيـرَ مَـمْـنُـونِ

إن بخلت كنت مثل سائر الناس، وإن أعط الناس من مالي فأنا أعطيهم بغير منٍّ ولا تطاول

لـيسـتْ بِـبَـاكِـيَـةٍ إِبْـلـي إذا فَـقَـدَتْ   صَوتي، ولا وَارِثي في الحَيِّ يَبْكِيني

إبلي لن تبكي لموتي، لأنني أذبحها دوماً لإطعام الأضياف، ووارثي في القوم لن يبكيني لأنني لا أبقي له مالاً يرثه

بَـنَـى الـبُـنَـاةُ لـنـا مَـجْـداً ومَـكْـرُمَـةً   لا كَـالـبِـنَـاءِ مِـنَ الآجُـرِّ والـطِّـيـنِ

٢١٨ سبيل الدراهم

جُؤَيَّة بن النَّضْر:

قَـالَـتْ طُـرَيْـفَـةُ مَـا تَـبْـقَـى دَراهِـمُـنـا   ومـا بِـنـا سَـرَفٌ فـيـهـا ولا خُـرُقُ

الخرق: الإسراف بحمق

إنَّـا إذا اجـتـمَـعَـتْ يـومـاً دَراهِـمُـنـا   ظَـلَّـتْ إلـى سُـبُـلِ الـخـيْـراتِ تَـسْـتَـبِـقُ

٢١٩ ماذا سيبقى؟

زيد بن عامر الحارثي:

وإذا الـفَـتـى لاقَـى الـحِـمَـامَ رَأَيْـتَـهُ   لـولا الـثـنـاءُ، كـأنَّـهُ لـم يـولَـدِ

عند الموت لا يبقى من المرء إلا الذكر الحسن

٢٢٠ بناء المكارم

المتوكل الليثي:

لَـسْـنـا وإنْ أَحْـسَـابُـنـا كَـرُمَـتْ   يـومـاً عـلـى الأَحْـسَـابِ نَـتَّـكِـلُ

لا نتكل على شرفنا القديم رغم أننا كرام حقاً

نَـبْـنـي كـمَـا كـانـتْ أَوَائِـلُـنـا   تَـبْـنـي، ونَـفـعـلُ مِـثـلَـمـا فَـعَـلُـوا

نجدد بناء الشرف كأسلافنا

٢٢١ إفشاء الأسرار

سُحَيْم الفقعسي:

ولا أَكْـتُـمُ الأَسْـرارَ لـكِـنْ أَنُـمُّـهـا   ولا أَدَعُ الأَسْـرارَ تَـغـلـي عـلـى قَـلْـبي

أفشي أسرار الناس ولا أتركها تغلي على قلبي، أي تقلقني

وإنَّ قَـلـيـلَ الـعـقـلِ مَـنْ بَـاتَ لَـيْـلَـهُ   تُـقَـلِّـبُـهُ الأَسْـرَارُ جَـنْـبـاً إلـى جَـنْـبِ

ما أقل عقل من بات يحمل أسراراً ولا يفشيها ويتخلص من همها

٢٢٢ النصف الطيب

لا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً إن أُتيتَ بِها   واخْلَعْ ثِيابَكَ منها مُمْعِناً هَرَبا

لا تتزوج عجوزاً، واهرب منها..

وإن أَتَوْكَ وقَالُوا إِنَّها نَصَفٌ   فإنَّ أَطْيَبَ نِصْفَيْها الذي ذَهَبا

النصف: المرأة في منتصف العمر

٢٢٣ أهجوه لصورته فقط

لو تَسَمَّعْت صَوْتَهُ قُلْتَ هذا   صَوْتُ فَرْخٍ في عُشِّهِ مَزْقُوقِ

صوته صوت فرخ تزقه أمه بالحَب

أو تَأَمَّلْتَ رأْسَهُ قُلْتَ هذا   حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ المَنْجَنِيقِ

ورأسه كبير كحجر المنجنيق

مُعْمِلٌ قَرْضَ لِحْيَةٍ لو تَرَاها   قُلْتَ عُثْنُونُ هِرْبِذٍ مَخْلُوقِ

وهو معمل قرض لحيته، نشط في نتفها، وهي كعثنون، سكسوكة،
هربذ، إمام المجوس في الصلاة

لم أَعِبْهُ أَلَّا يَكُونَ تَقِيّاً   مُؤْمِناً مُبْغِضاً لِأَهْلِ الفُسُوقِ

لست أهجوه لأنه غير تقي أو غير مؤمن أو غير كاره للفساق

غيرَ أَنِّي أَرَدْتُ أنْ يَنْظُرَ النَّا   سُ إلى خَلْقِ رَبِّنا المَخْلُوقِ

فقط أردت أن ينظر الناس إلى هذه الخلقة المشوهة

الحماسة

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

الوحشيات

هذا كتاب قالوا إن أبا تمام جمع فيه أشعار الأولين، وقد يسمونه «الحماسة الصغرى». قالوا إن أبا تمام صنع في همذان، إذ حبسه الثلج في بيت صديقه أبي الوفاء بن سلمة، خمسة كتب جعل فيها شعر القدماء. وبعد أن انتخبنا ما انتخبنا من الحماسة ها نحن ننتخب من الكتاب الثاني: «الوحشيات»، وهو أقل شهرة بكثير من الحماسة. وفي نسبته إلى أبي تمام شك غير قليل، وفي نسبة بقية المجاميع ـ سوى الحماسة ـ إلى شاعرنا شك غليظ.

على أن ما يعنينا حقاً إنما هو ما في هذا الكتاب من جيد الشعر. وقد حققه عبد العزيز الميمني، وراجعه محمود شاكر. وناهيك بهذين المحققين وفرة علم ودقة ملاحظة وبراعة في تحقيق كتب الأدب. على أنهما لم يشرحا شيئاً. ولا ضير، فالتحقيق شيء والشرح شيء.

التحقيق، في عرف كبار المحققين، نقل الكتاب من النسخ الخطية الكثيرة أو القليلة إلى نسخة مطبوعة ليس لها غرض إلا أن تحاكي الأصل. فأما الشرح فهو ما ستراه مذيِّلاً الأبياتَ التي اخترناها. وفي الوحشيات كثير من الشعر العباسي، وتسللت من ذلك قطعة أو اثنتان إلى مختاراتنا هذه، وكان قد ورد في «الحماسة» بعض الشعر العباسي، وسمحنا لبعض هذا البعض بالتسلل. ولئن أخل هذا بشرطنا في كتابنا ـ وقد قصرناه على الشعر من أول ما وصلنا من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي ـ فإن الرغبة في التمتع بجميل الشعر غلبتنا.

١ الأيام دول

فَرْوَة بن مُسَيْك المُرادي:

فـإِنْ نَـهْـزِمْ فَـهَـزَّامـونَ قِـدْمـاً وإن نُـغْـلَـبْ فـغـيـرُ مُـغَـلَّـبِـيـنـا

إن هزمناهم فهذا ما درجنا عليه، وإن غلبونا فنحن لسنا مغلَّبين، أي ضعافاً مغلوبين دوماً

فَمَا إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ مَنَايَانا، ودُولَةُ آخَرِينا

طبنا، عادتنا، ليست الجبن، ولكن يكون في بعض الوقائع قد حل أجلنا، ودارت الدائرة علينا وكانت الدُّولة، الغلبة، لآخرين

ومَنْ يُغْرَرْ بِرَيْبِ الدهرِ يوماً يَجِدْ رَيْبَ المَنُونِ له خَؤُونا

من غره الزمن فسيجد الموت خائناً لأمنياته غداراً

فَأَفْنَى ذَاكُمُ سَادَاتِ قَوْمِي كما أَفْنَى القُرونَ الأَوَّلِينا

هذا ما أفنى السادات من قومي، وهو ما أفنى القرون، أي الأجيال، الأولى

فلو خَلَدَ الملوكُ إذَنْ خَلَدْنا ولو بَقِيَ الملوكُ إذنْ بَقِينا

٢ انصر أخاك

ابن برَّاقة الهمْداني:

متى تَجْمَعِ القلبَ الذَكِيَّ، وصَارِماً وأَنْفاً أَبِيّاً تَجْتَنِبْكَ المظَالمُ

إذا كان قلبك ذكياً، فيك شجاعة، ولديك سيف قاطع وأنف أبي،
نفس ترفض الذل، فلن يظلمك الناس

ومَنْ يَطْلُبِ المالَ المُمَنَّعَ بِالقَنا يَعِشْ مُثْرِياً، أو تَخْتَرِمْهُ المَخَارِمُ

من طلب المال، أي النياق والجمال، الممنع، المحميّ، بالرماح عاش ثرياً، أو اخترمته المخارم، مات

وكنتُ إذا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فهل أنا في ذَا يالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ؟

فَلا صُلْحَ حتَّى تُقْدَعَ الخيلُ بِالقَنا وتُضرَبَ بِالبِيضِ الخِفَافِ الجَماجِمُ

لا صلح حتى تقدع، أي تُصدَّ، الخيل بالرماح،
وحتى تُضرب بالسيوف الخفيفة جماجم الأعداء

إذا جَرَّ مَوْلانا علَيْنَا جَرِيرَةً صَبَرنا لها، إنَّا كِرَامٌ دَعَائِمُ

إذا سبب لنا مولانا، حليفنا، جريرة، جريمة، فنحن ننصره ونصبر لأننا دعائم، أشداء

ونَنْصُرُ مَوْلانا، ونعلَمُ أنَّهُ كما الناسِ مَجْرُومٌ عليه وجَارِمُ

ننصر حليفنا عارفين بأنه قد يكون هو المجرم، وقد يكون مظلوماً

٣ حبل بلا بعير

الأُحَيْمِر السَّعْدي:

وإِنِّي لأَستَحْيي مِنَ اللَّهِ أنْ أُرَى أَطُوفُ بِحَبْلٍ ليس فيهِ بَعيرُ

يا خجلي وأنا أطوف وبيدي حبل لكن بغير بعير يعبر بعنز تعير مروره أي اهتمام

وأَنْ أَسْأَلَ المرءَ اللئيمَ بَعيرَهُ وبُعْرَانُ رَبِّي في البلادِ كَثيرُ

وأن أطلب بعيراً من رجل لئيم، بينما الجمال في بلاد الله كثيرة.. يشجع نفسه على سرقة الإبل

عَوَى الذئبُ فاسْتَأْنَسْتُ لِلذئبِ إذْ عَوَى وصَوَّتَ إِنسانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

يؤنسني عواء الذئب، ويريبني صوت الإنسان

يَرى اللَّهُ أَنّي لِلأنيسِ لَشَانِئٌ وتُبْغِضُهُمْ لي مُقْلَةٌ وضَميرُ

أنا شانئ، أي كاره، للإنسان، أكره رؤيته بمقلتي، ويكرهه قلبي

٤ حزازات النفوس

زُفَر بن الحارث الكِلابِيّ:

وقد يَنْبُتُ المَرعَى على دِمَنِ الثَّرى وتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفوسِ كما هِيَا

قد ينبت العشب على دمن الثرى، أوساخ التراب، فيغطيها فلا يرى المرء إلا العشب الأخضر، ولكن حزازات النفوس، جراح القلوب أي أحقادها، تبقى دفينة لا تتغير

أَبِينِي سِلاحِي لا أَبا لَكِ إِنَّنِي أرى الحربَ لا تزدادُ إلَّا تَمَادِيَا

يا امرأتي أخرجي لي سلاحي، فأنا أرى الحرب تزداد اشتعالاً

٥ أبالأراجيز؟

اللعين المِنقري:

إِنِّي أنا ابْنُ جَلَا إن كنتَ تَعرِفُني يَا «رُؤْبَ»، والحَيَّةُ الصَّمَّاءُ في الجبلِ

أنا ابن جلا، أي المشهور المعروف. يا رؤبة بن العجاج، وأنا حية الجبل الصماء، الشديدة السامة

أَبِالأَراجيزِ يا ابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُني؟ إنَّ الأراجيزَ رأْسُ اللؤمِ والفَشَلِ

هل تهددني بالهجاء بأراجيزك، ورؤبة من كبار الرجاز، وكانت الشعراء تعد الرجز أدنى من الشعر

٦ الرزق على الله

مُضرِّس بن رِبْعي:

وعَاذِلَةٍ تَخْشَى الرَّدَى أن يُصيبَني ... تَروحُ وتَغْدُو بِالمَلامَةِ والقَسَمْ

هذه العاذلة اللائمة تخشى عليَّ الموت، ولا تكف عن لومي وأن تقسم عليَّ أن أترك المواجهات

تَقُولُ: هَلَكْنا إن هَلَكْتَ، وإنَّما ... على اللَّهِ أَرْزاقُ العِبادِ كما زَعَمْ

تقول إننا سنموت إن أنت مت، ولكن أرزاق الناس على الله كما زعم، أي كما وعد

وإنِّي أُحِبُّ الخُلْدَ لو أَسْتَطِيعُهُ ... وكالخُلْدِ عِندي أن أموتَ ولَمْ أُذَمّ

أحب الخلد، البقاء على قيد الحياة، ولكن الموت بلا مذمة هو عندي كالحياة

٧ أيام سلم حبلى بالحرب

قال ابن عم لسُويد الحارثي بعد مقتل سويد:

ستعلمُ إنْ طَالَ المدى آلُ مَالِكٍ ... أَبِالرُّشْدِ أم بِالغَيِّ قَرَّتْ عُيونُها

سيعلم آل مالك هل قرت عيونهم، فرحوا، بالحق أم بالباطل

فإنَّا وإيَّاكُمْ وإنْ طَالَ تركُكُمْ ... كَحَامِلَةٍ يَزدادُ ثِقْلاً جَنينُها

ونحن وأنتم والزمن طويل.. ولئن تركناكم فالأمر بيننا مثل الحبلى التي يزداد ثقلاً جنينها ولا بد يوماً أن تضع.. أي ستدور عليكم الدوائر بعد حين

٨ مكانكِ!

عمرو بن الإطْنابة الخزرجي:

أَبَتْ لي عِفَّتي وحَياءُ نَفسي ... وأَخْذِي الحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبيحِ

أبت لي الذل عفتي وحيائي ونيلي المكارم ببذل ما تقتضيه

وإقْدامي على المَكْرُوهِ نَفْسي ... وضَرْبي هَامَةَ البطلِ المُشيحِ

ويأبى لي الذلَّ أيضاً شجاعتي إذ أرمي بنفسي على المكروه، القتال، وضربي هامة، رأس، البطل المشيح، الفارس المنحرف نحوي ليقاتلني

وقَوْلي كُلَّما جَشَأَتْ وجَاشَتْ ... مَكَانَكِ! تُحْمَدي أو تَسْتَريحي

وقولي كلما جشأت نفسي وجاشت، كلما فزعت وتوترت، مكانك أيتها النفس واثبتي، فإمَّا أن تنالي الحمد بالثبات في المعركة وإمَّا أن تموتي وتستريحي. سأل معاوية عبيدَ الله بن زياد إن كان يحفظ شعراً، فقال: لا، اكتفيت بالقرآن. فقال له: والله كنت أضع قدمي في الركاب أنوي الفرار مرة بعد مرة في «صفين»، وما كان يمنعني سوى أبيات عمرو بن الإطنابة

٩ قاتل خاله

قال تَوْبَة بن مُضَرِّس السعدي، وقد قتل خاله أخذاً بثأر أخيه «طارق»:

بَكَتْ جَزَعاً أُمِّي رُمَيْلَةُ أَنْ رَأَتْ ... دَمَاً مِنْ أَخيها في المُهَنَّدِ بَاقِيا

بكت أمي إذ رأت بقية من دم أخيها على سيفي

فقلتُ لها لا تَجزَعي إن «طَارِقاً» ... خَليلِي الذي كانَ الخَليلَ المُصَافِيا

قلت لها لا تجزعي فطارق كان خليلي الوفي

وما كنتُ لو أُعْطِيتُ أَلْفَيْ نَجيبَةٍ ... وأَوْلادَها لَغْوَاً وسِتِّينَ رَاعِيا..

وما كنت لو أعطوني دية لطارق ألفي نجيبة، ناقة، مع أولادها لغواً، أي ملغاةً غير محسوبة في الدية، وفوق ذلك ستين من الرعاة..

لِأَقبَلَها مِنْ «طارقٍ» دونَ أن أرى ... دَمَاً مِنْ بَني حِصْنٍ على السيفِ جَارِيا

ما كنت لأقبلها بدلاً من دم طارق، فلا بد أن أرى دم بني حصن
يجري على سيفي آخذاً بالثأر

وما كانَ في عَوْفٍ قَتيلٌ عَلِمْتُهُ ... لِيُوفِيَني مِنْ «طارقٍ» غَيْرُ خَالِيَا

وليس في عشيرة عوف رجل أقتله فيَفِيَ بطارق سوى خالي، لذا قتلته

١٠ لولا بناتي

عيسى بن فاتك الخارجي:

لقد زادَ الحَياةَ إِلَيَّ حُبّاً ... بَناتي، إِنَّهُنَّ مِنَ الضِّعَافِ

أُحَاذِرُ أَنْ يَذُقْنَ البُؤْسَ بَعدي ... وأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقاً بَعدَ صَافِ

أحذر إن مت أن تذوق بناتي شظف العيش بعدي، وأن يشربن الماء الرنق، المكدر، بعد شربهن الصافي في حياتي

وأَنْ يَضْطَرُّهُنَّ الدهرُ بَعدي ... إلى جِلْفٍ مِنَ الأَعْمامِ جَافِ

الجلف والجافي: الخشن الطباع

ولولا هُنَّ قد سَوَّمْتُ مُهْري ... وفي الرحمنِ للضُّعَفاءِ كَافِ

لولا بناتي لكنت سومت مهري، أعددته للحرب،
والله يكفل الضعفاء الآخرين من أهلي

١١ بداية الملك العضوض

عبد الله بن همّام السَّلولي:

إذا مَـا مَـاتَ كِـسـرَى قـامَ كِـسْـرَى نَـعُـدُّ ثَـلاثَـةً مُـتَـتَـابِـعِـيـنـا

لعله قال ذلك وقد أوصى معاوية لولده يزيد، فالشاعر يرى أن الخلافة أصبحت كسروية، عثمان ثم معاوية ثم يزيد.. ثلاثة من بني أمية

وإنْ جِـئـتُـمْ بِـرَمْـلَـةَ أو بِـهِـنْـدٍ نُـبـايِـعْـهـا أَمـيـرَةَ مُـؤْمِـنِـيـنـا

رملة بنت أبي سفيان زوج الرسول، وهند أم معاوية، وتوفيتا قبل هذا الشعر الذي قيل في بيعة معاوية لابنه يزيد سنة ٥٩ للهجرة، يسخر الشاعر من معاوية

خُشِينَا الغَيْظَ حتَّى لو شَرِبْنا دِمـاءَ بَـنـي أُمَـيَّـةَ مـا رَوِيـنـا

وكافأه معاوية بأن أرسل إليه مالاً. وعاش الشاعر بعد أبياته ثلاثين سنة

١٢ نجاة معاوية

النجاشي الحارثي:

أيَـا رَاكِـبـاً إمَّـا عَـرَضْـتَ فَـبَـلِّـغَـنْ تَـمـيـماً وهـذا الـحـيَّ مِـنْ غَـطَـفَـانِ

أيها الراكب بلغ سلامي لهؤلاء

وكنتُمْ كَذي رِجلَيْنِ رِجْلٍ صَحيحَةٍ ورِجْـلٍ بِـهـا رَيْـبٌ مِـنَ الـحَـدَثَـانِ

فَـأمَّـا الـتي صَـحَّـتْ فَـأَزْدُ شَـنُـوءَةٍ وأمَّـا الـتـي شَـلَّـتْ فَـأَزْدُ عُـمَـانِ

يصنف النجاشي القبائل فمنها ما صمد مع علي ومنها ما انحاز إلى معاوية. وكان الشاعر في صفين مع علي، ثم ضبطه عليٌّ سكران في رمضان فجلده وزاده عشرين جلدة عن الحد، فانحاز إلى معاوية، لكن بعد هذه القصيدة

فَـيَا حَسْـرتـي أَلَّا أكونَ شَـهِـدْتُـهُـمْ فـأَدْهُـنَ مِنْ شَـحْـمِ الـعَـبِيـدِ سِـنَـانـي

يتحسر ألا يكون شهد صفين حتى يقتل من وصفهم بالعبيد بسنان رمحه

فأَصْبَحَ أهلُ الشامِ قد رَفَعُوا القَنا عـلـيـهـا كـتـابُ الـلَّـهِ خَـيْـرُ قُـرَانِ

رفع أهل الشام في صفين الرماح وعليها المصاحف يطلبون الهدنة والاحتكام للقرآن

ونَـادَوْا عَـلِـيّـاً يـا ابْـنَ عَـمِّ مُـحـمـدٍ أمَـا تَـتَّـقـي أن يَـهْـلِـكَ الـثَّـقَـلانِ

نادى أهل الشام بعلي أما تتقي أن يهلك الثقلان، أي الإنس والجن، يقصد أن يهلك الناس جميعاً من الفريقين المتحاربين

ونَجَّى ابنَ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو عُلاَلَةٍ أَجَـشُّ هَـزِيـمٌ والـرِّمَـاحُ دَوَانِ

نجى معاويةَ بن صخر (أبي سفيان) بن حرب سابح، فرس سريع، ذو علالة، ذو جري شديد، أجش هزيم، ذو صهيل عالٍ، والرماح قريبة منه

ومـا دُفِـنَـتْ قَـتْـلَـى سُـلَـيْـمٍ وعَـامِـرٍ بِـصِـفِّـيـنَ حتى حُـكِّـمَ الـحَـكَـمـانِ

١٣ الأبعدون أولى بالمعروف

الحارث بن كَلَدَة الثَّقفي:

وفي الناسِ مَنْ يَغْشَى الأَبَاعِدَ نَفْعُهُ ويَـشْـقَـى بـهِ حتـى الـمَـمَـاتِ أَقَـارِبُـهْ

يغشى الأباعد نفعه: يأتيهم

فـإنْ يَـكُ خَـيْـراً فَـالـبَـعِـيـدُ يَـنـالُـهُ وإنْ يَـكُ شَـرّاً فَـابْـنُ عَـمِّـكَ صَـاحِـبُـهْ

١٤ انهيار بيتين

جليلة بنت مرة، أخت جساس، وامرأة كليب، وقد قتل أخوها جساس زوجها كليباً:

يـا ابْـنَـةَ الأَقْـوامِ إنْ لُـمْـتِ فَـلا تَـعْـجَـلـي بِـالـلَّـوْمِ حتـى تَـسْـأَلـي

تخاطب رفيقة لها: إن لمتني فلا تتعجلي..

فـإذا أنـتِ تَـبَـيَّـنْـتِ الـذي يُـوجِـبُ الـلَّـوْمَ فَـلُـومـي واعْـذُلـي

جَـلَّ عِـنـدي فِـعْـلُ جَـسَّـاسٍ فَـيَـا حَـسْـرَتِـي عَـمَّـا انْـجَـلَـتْ أو تَـنْـجَـلي

كان ما فعله أخي جساس خطيراً فيا لحسرتي عما انجلت وستنجلي عنه فعلته، أي الويل لي من النتائج

فِـعْـلُ جَـسَّـاسٍ، عـلـى وَجْـدِي بِـهِ، قَـاطِـعٌ ظَـهْـرِي ومُـدْنٍ أَجَـلـي

رغم حبي لجساس ففعله سيقطع ظهري، سيزعزع ما أحتمي به، ويقرب موتي

لـو بِـعَـيْـنٍ فُـقِـئَـتْ عَـيْـنـي سِـوَى أُخْـتِـهـا فَـانْـفَـقَـأَتْ لـم أَحْـفِـلِ

كأن عيني فقئت بالعين الأخرى.. فكلا الطرفين لي به صلة وثيقة

يـا قَـتـيـلاً قَـوَّضَـتْ صَـرْعَـتُـهُ سَـقْـفَ بَـيْـتَـيَّ جـمـيـعـاً مِـنْ عَـلِ

يا قتيلاً، يا زوجي كليب الذي قتله أخي جساس، لقد قوضت صرعته، هدم موته، كلا بيتيَّ من الأعلى للأسفل: بيت أهلي وبيت زوجي

قَـوَّضَـتْ بَـيْـتِـي الـذي اسـتَـحْـدَثْـتُـهُ وانْـثَـنَـتْ فـي هَـدْمِ بَـيْـتـي الأَوَّلِ

لَـيْـتَـهُ كـانَ دَمِـي فـاحْـتَـلَـبُـوا دَرَكـاً مِـنـهُ دَمِـي مِـنْ أَكْـحَـلـي
ليت الدم الذي أريق كان دمي فاحتلبوا، أسالوا، دركاً منه، سيلاً متتابعاً، من أكحلي، الوريد في ذراعي

خَـصَّـنـي قَـتْـلُ كُـلَـيْـبٍ بِـلَـظَـىً مِـنْ وَرائـي ولَـظَـىً مُـسْـتَـقْـبِـلـي
اللظى: اللهيب

دَرَكُ الـثَّـائِـرِ يَـشْـفـيـهِ، وفـي دَرَكـي ثَـأْرِيَ ثُـكْـلُ الـمُـثْـكِـلِ
إدراك الثائر، طالب الثأر، لثأره يشفي قلبه، وإدراكي ثأري يثكلني

إنَّـنـي قَـاتِـلَـةٌ مَـقْـتُـولَـةٌ ولَـعَـلَّ الـلَّـهَ أنْ يَـرتَـاحَ لـي

١٥ ثقَّاب الأعين

مِحْصَن بن كِنان القُريعي، وأصاب عينَه ماء:

لقَدْ طُفْتُ شَرْقِيَّ البِلادِ وغَرْبَها أُسائِلُ عن ذي الطِّبِّ والمُتَطَبِّبِ
يَقولونَ إسْماعيلُ ثَقَّابُ أَعْيُنٍ وما خيرُ عَيْنٍ بعدَ ثَقْبٍ بِمِثْقَبِ
ثقاب الأعين: الطبيب الذي يزيل ماء يطرأ على العين

يَقولونَ ماءٌ طَيِّبٌ خَانَ عَيْنَهُ ومَا مَاءُ عَيْنٍ خَانَ عَيْناً بِطَيِّبِ
يقولون للماء الأبيض الذي يُغَشِّي العين «ماء طيب خان العين».. وليس بطيب إن كان يخونها

جَرى فوقَ إنْسَانَيْهِمَا فكأنَّما جَرى فوق إنْسَانَيْهِمَا ماءُ طُحْلُبِ
على عينيه غشاوة فكأن بهما ماء مكدراً بالطحلب

١٦ قاسمني دهري

قال الشاعر ومات بنوه:

أَسُكَّانَ بَطْنِ الأَرضِ لو يُقْبَلُ الفِدَا فَدَيْنا وأَعْطَيْنا بِكُمْ سَاكِنَ الظَّهْرِ
أيها الموتى لو كان يقبل أن نفتديكم بأنفسنا لفعلنا

أَلَا لَيْتَ مَنْ فيها عليْها، ولَيْتَ مَنْ عليْها ثَوَى فيها إلى آخِرِ الدهرِ
ثوى: مكث

وقَاسَمَني دهري بَنِيَّ بِشَطْرِهِ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ في شَطْرِي
قاسمني الزمن أولادي، فأخذ نصفاً وأبقى لي نصفاً، ثم عاد ليأخذ نصفي أنا

كَأَنَّهُمُ لـم يَعْـرِفِ الـموتُ غيرَهُـمْ   فَـثُكْـلٌ إلـى ثُكْـلٍ وقَـبرٌ إلـى قَـبرِ

١٧ مصبح أو ممسٍ

أبو عَدَّاس النَّمَرِيّ:

لَعَمْرُكَ ما نَدري أفي اليومِ أو غَدٍ   نُـنَـادَى إلـى آجـالِـنـا فَـنُـجـيـبُ

١٨ رجعت عنك

لو كـنـتُ أَصْـبِرُ أن أَرَى أَثَرَ الـبِـلَـى   لَـتَـرَكْـتُ وَجْـهَـكَ ضَـاحِـيـاً لـم يُـقْـبَرِ

لو صبرت على رؤية أثر البلى، تفتت الجسم بعد الموت، لتركت وجهكَ ضاحياً، بارزاً للشمس ولم أدفنه

بِـأَبـي بَـذْلَـتُـكَ بـعـدَ صَـوْنٍ لِـلْـبِـلَـى   ورَجَـعْـتُ عنكَ، صَـبَرْتُ أم لـم أَصْـبِرِ

أفديك بأبي يا من بذلتك، سمحت بك، بعد أن كنت أصونك، فتركت البلى يحل بك، ورجعت بعد دفنك. ولا يهم بعد ذلك أصبرت أم لم أصبر

١٩ أيا شجر الخابور!

قالت الفارعة بنت طريف، ترثي أخاها الوليد بن طريف الشيباني الشاري:

ألا يـا لَـقـوم لِـلـحِـمـامِ ولِـلـرَّدَى   ودهـرٍ مُـلِـحٍّ بِـالـكـرامِ عَـنـيـفِ

يا لقومي، تستغيث بهم، ما هذا الموت وما هذا الدهر الملح في ملاحقته للكرام، العنيف بهم!

أَيَـا شـجـرَ الـخَـابُـورِ مَـا لَـكَ مُـورِقـاً   كـأَنَّـكَ لـم تـجـزعْ عـلـى ابـنِ طَـرِيـفِ

تخاطب شجر الخابور: ما لك قد أورقت؟ ألم تجزع على أخي ابن طريف؟

فـتـىً لا يُـحِـبُّ الـزَّادَ إلَّا مِـنَ الـتُّـقَـى   ولا الـمـالَ إلَّا مِـنْ قَـنـاً وسُـيـوفِ

كان لا يأكل الطعام إلا بعد أن يتقي الذم بإطعام العشيرة، وكان لا يحصل على المال، أي الإبل، إلا برمحه وسيفه، والغزو عند العرب واستياق الإبل أمر محمود.. هو طريقتهم في توزيع الثروة ولا سيما أيام القحط

بِـتَـلِّ نُـبَـاثَـى رَسْـمُ قـبـرٍ كـأَنَّـهُ   عـلـى جـبـلٍ فـوق الـجـبـالِ مُـنـيـفِ

في ذلك الموضع طلل قبر، ولجلالة قدر دفينه فكأنه جبل منيف، مشرف عالٍ

تَـضَـمَّـنَ سَـرْوَاً حـاتِـمـيَّـاً وسُـؤْدَداً   وسَـوْرَةَ ضِـرْغـامٍ وقـلـبَ حَـصـيـفِ

تضمن القبر سرواً، سيادةً وعزاً، وسخاء حاتمياً، وسورة ضرغام، هجمة أسد، وقلب رجل حصيف، حكيم

فـإن كـان أَرداهُ يَـزيـدُ بـنُ مَـزْيَـدٍ   فَـرُبَّ زُحُـوفٍ فَـلَّـهـا بِـزُحُـوفِ
لئن كان قتله يزيد بن مزيد فلقد كان أخي في حياته يفل، يفرق، الزحوف المهاجمة بزحوف مثلها

فقدنَاكَ فِقْدانَ الربيعِ، وليتَنا   فديْناكَ مِنْ دَهمائِنا بِأُلُوفِ
فقدنا بك الربيع والخير، وليتنا فديناك بألوف الناس العادين

فلا تَجْزَعا يا ابْنَيْ طَريفٍ فإنَّني   أرى الموتَ حَلَّالاً بِكلِّ شريفِ

٢٠ التفسخ

قال أعرابي يرثي ابنه:

يـا دارُ بِـالـقَـفْـرِ الـيَـبـابِ   والـمـنـزلِ الـوَحْـشِ الـخَـرابِ
أيها الدار بالفلاة المقفرة، وأيها المنزل الموحش المهدم..

بِـيَـديَّ فـيـكِ دَفَـنْـتُ نَـصْـ   ـراً بـيـن أَطـبـاقِ الـتـرابِ
دَارَ الـبِـلَـى بِـالـلَّـهِ قُـو   لِـي، لا تَـصَـمِّـي عـن جَـوابـي
يا دار البلى، والبلى تفتت الجسم بعد الموت، لا تصمي، لا تغلقي أذنيك عن سؤالي وأجيبي..

مـاذا فـعـلْـتِ بِـوجـهِـهِ   وبِـسِـنِّـهِ الـغُـرِّ الـعِـذابِ؟
ماذا فعلت بوجهه وبأسنانه الغر، أي البيض، العذبة؟

قـالـتْ لـنـا دارُ الـبِـلَـى   والـدارُ تـنـطِـقُ بِـالـصَّـوابِ:
يقول القبر:

أَوَمَـا عـلـمـتَ بِـأنَّ نـصـ   ـراً يـا أبـا نَـصْـرٍ ثَـوَى بـي
نصر، يا أبا نصر ثوى، أي أقام، بي..

فَـكَـسَـوْتُـهُ ثـوبَ الـبِـلَـى   وسَـلَـبْـتُـهُ جُـدُدَ الـثـيـابِ
كسوته ثوب الاهتراء.. وسلبته الثياب الجديدة، أي لحمه

ومَـحَـوْتُ غُـرَّةَ وَجْـهِـهِ   بِـالـتُّـرْبِ مَـحْـوَكَ لِـلْـكـتـابِ
محوت وجهه الأغر الأبيض بالتراب مثلما يمحو المرء الكتابة، وكانوا يكتبون على الجلد، فإن شاءوا غسلوا الكتابة

فـلـو اسْـتَـبَـنْـتَ رُوَاءَهُ   بـعـدَ الـغَـضَـارَةِ والـشـبـابِ..
لو رأيت رواءه، منظره، بعد أن كان في غضارته، نضارته، وشبابه..

لَعَضَضْتَ أَطْرَافَ البَنا نِ لِطُولِ حُزْنٍ واكتئابِ

لعضضت أصابعك حزناً

ورأيتَ أشنَعَ منظرٍ ولَدَرَّ دمعُكَ بانسكابِ

فإِلَيْكَ رَبِّي المُشْتَكَى فَأَعِنْ بِصبْرٍ واحتِسَابِ

أعنِّي يا رب بالصبر واحتسب لي أجراً على هذا الصبر

٢١ قبل الرحيل

لَبيد بن ربيعة:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أن يَعيشَ أبُوهُما وما أنَا إلَّا مِنْ رَبيعَةَ أو مُضَرْ

تتمنى ابنتاي أن أعيش.. ولكنني إنسان كالناس من قبائل ربيعة أو مضر.. وسأموت

فقُومَا فقُولا بِالذي قد عَلِمْتُما فلا تَخْمِشَا وجهاً ولا تَحْلِقَا شَعَرْ

فإن مت فقوما بما يجب عليكما، ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعراً

وقُولا: هُوَ المَيْتُ الذي لا صَديقَهُ أَضَاعَ، ولا خانَ الخَليلَ ولا غَدَرْ

واذكرا محاسني فأنا لم أتخل عن صديق، ولا خنت ولا غدرت

إلى الحَوْلِ ثمَّ اسْمُ السَّلامِ عليْكُما ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقدِ اعْتَذَرْ

وليكن الحداد إلى الحول، أي سنة، ثم انتهى الأمر، ومن بكى سنة فقد اعتذر، أي وفى وقام بالواجب

٢٢ موعد المغادرة

عَبْدَة بن الطبيب:

إذا الرجالُ وَلَدَتْ أولادُها..

إذا صار للرجال أحفاد

واضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُها..

واضطربت من الشيخوخة الأعضاد، العضد أعلى الذراع

وجَعَلَتْ أَسْقامُها تَعْتَادُها..

وأخذت أمراضها القديمة تعود إليها

فَــهْــيَ زُرُوعٌ قــد دَنــا حَــصــادُهــا

إذا اجتمعت هذه الشروط في الرجال فهم كالزروع التي نضجت وحان حصادها، أي موتهم

٢٣ أفدح منك؟ لا

قال العتبي:

وكــنــتُ أبــا سِــتَّــةٍ كــالــبُــدو ... رِ، قــد فَقَأُوا أعــيُــنَ الحَــاسِــدِيــنــا

كنت والد ستة من الشبان كأنهم البدور يفقأون عين الحاسد

فَــمَــرُّوا عــلــى حَــادثــاتِ الــزَّمــانِ ... كَــمَــرِّ الــدَّراهِــمِ بِــالــنَّــاقِــدِيــنــا

فمر أبنائي على مصائب الزمن مثلما تمر الدراهم بيد الصرافين الناقدين، الذين يختبرون صحة الدراهم

وحَــسْــبُــكَ مِــنْ حــادثٍ بِــامْــرِئٍ ... تَــرى حَــاسِــدِيــهِ لــه رَاحِــمِــيــنــا

يكفيك أن هذا الحادث جعل من يحسدونني يرحمونني، أي يشعرون بالشفقة عليَّ

٢٤ عفاف

حَوَيْتُ صُنوفَ المالِ مِنْ كلِّ وِجْهَةٍ ... فــمــا نِــلْــتُــهــا إلّا بِــكَــفٍّ كَــريــمِ

وإنِّي لأَرْجُو أن أموتَ وتَنْقَضي ... حَياتي وما عِندِي يَدٌ لِلَئيمِ

٢٥ على قطع رقبتي

أبو مِحْجن الثقفي:

وقــد أَجُــودُ ومَــا مــالــي بِــذِي فَــنَــعٍ ... وأَكْــتُــمُ الــسِّــرَّ فــيــهِ ضَــرْبَــةُ الــعُــنُــقِ

«قد» أسخو بمالي، أي بالتأكيد أنا أسخو بمالي، ـ و«قد» هنا للتوكيد لا للشك وهذا أسلوب قديم ـ ومالي ليس بذي فنع، ليس بذي كثرة، وأكتم السر على قطع رقبتي

٢٦ ويبك!

قال أعرابي نزل بيحيى بن جبريل فأتاه بشراب:

أَتَانِي بِها يَحيَى وقد نامَ صُحْبَتي ... وقد غابتِ الجَوْزاءُ وانْغَمَسَ النَّسْرُ

جاءني يحيى بالخمر وقد نام أصحابي وغابت أنجم الجوزاء والنسر

فقلتُ: اصْطَبِحْها، أو لِغَيري فأَهْدِها ... فما أنَا بعدَ الشَّيْبِ وَيْبَكَ والخَمْرُ

قلت له اصطبحها، اشربها صباحاً، أو أعطها لغيري، فما شأني ويبك، أي ويحك، والخمر بعد أن شبت!

٢٧ كل من عليها..

أَلَم تَرَ حَوْشَباً يَبْنِي قُصوراً يُرَجِّي نَفْعَها لِبَني بُقَيْلَةْ
يُؤَمِّلُ أنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ وأَمْرُ اللَّهِ يحدُثُ كلَّ لَيْلَةْ

٢٨ برود

قال عبد العزيز بن زرارة:

كُلّاً لَبِسْتُ فلا النَّعماءُ تُبطِرني ولا تَخَشَّعْتُ مِنْ لأْوَائِها جَزَعا

جربت كل شيء فلبست النعماء، تمتعت بالغنى، فما بطرت، ولا تخشعت، أي خضعت، من لأولاء الدنيا، أي مصائبها، جازعاً

لا يَمْلأُ الهمُّ صَدري قبلَ مَوْقِعِهِ ولا يَضيقُ بهِ صَدرِي إذا وَقَعا

لا أحمل الهم قبل وقوع المصيبة، فإن وقعت صبرت

٢٩ صخرة ليست بصخرة

ضَعِ السِّرَّ في صَمَّاءَ ليسَتْ بِصخْرةٍ صَلُودٍ كَما عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ

ضع سرك يا صاحبي في صماء، مصمتة صلبة، لكنها ليست صخرة صلوداً، صلبة مثل بقية الصخور التي رأيتها

ولكنَّها قَلْبُ امْرِئٍ ذي حَفيظَةٍ يَرى أنَّ بَثَّ السِّرِّ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

لكنها صخرة قلبي ذي الحفيظة، الشرف، وهو قلب رجل يرى أن إفشاء الأسرار يقصم ظهر السمعة الطيبة

٣٠ شروط الصحبة

قال مطيع بن إياس:

إنَّما صَاحِبي الذي يَغْفِرُ الذنـ ـبَ، ويَكْفيهِ مِنْ أَخيهِ أَقَلُّهْ

صاحبي الحقيقي هو الذي يغفر ذنبي، ولا يطلب الكثير

ليس مَنْ يُظْهِرُ المودَّةَ إفْكاً وإذا قالَ خَالفَ القولَ فِعْلُهْ

ليس صاحبي من يظهر المودة إفكاً، أي كذباً، ويخالف فعله قوله

وَصْلُهُ للصديقِ يَوْمٌ وإن طا لَ فَيَوْمانِ، ثم يَنْبَتُّ حَبْلُهْ

هذا الأخير وصله لصديقه يوم، وعلى الأكثر يومان، ثم ينبت، أي ينقطع، حبل العلاقة

٣١ شروط الزوج

قال شُريح القاضي:

خُذي العَفْوَ مِنّي تَسْتَديمي مَوَدَّتي ولا تَنطِقي في سَوْرَتي حينَ أَغْضَبُ

خذي العفو مني، أي ما سمحت به عن طيب خاطر، ففي هذا استدامة المودة، ولا تجادليني في سورة الغضب، في شدته

فإنّي رأيتُ الحُبَّ في القلبِ والأَسَى إذا اجتَمَعا لم يَلْبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ

إذا اجتمع الحب والأسى، أي النكد، في القلب خرج الحب

٣٢ «تقبريني» وأقبرك

ولو أنّني إذْ حانَ وقتُ حِمامِها أُحَكَّمُ في عُمْري لَقاسَمْتُها عُمْري

لو أنني إذ حان حمامها، موتها، أحكَّم في عمري لأعطيتها نصفه

فَحَلَّ بِنَا الفِقْدانُ في ساعةٍ معاً فمُتُّ ولا تَدْري ومَاتَتْ ولا أَدْري

فمتنا معاً فلم يدر أحدنا بموت الآخر

٣٣ عندما سالت الأباطح

قال الشاعر، ونسب البيتان المشهوران لكثيرين:

ولَمَّا قَضَيْنا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ ومَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

بعد أن قضينا حاجتنا من منىً وقمنا بالشعائر، ولمسنا أركان بيت الله

أخذْنا بِأطْرافِ الأَحاديثِ بيْنَنا وسَالتْ بِأَعناقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

أخذنا نتجاذب أطراف الحديث، وسالت أباطح مكة، سهولها حيث مسايل الماء، بأعناق الإبل التي كنا نركبها.. هؤلاء انصرفوا من حجهم وأخذوا يتحدثون وهم على ظهور الإبل وقد سالت سهول مكة - ليس بسيول الماء بل بأعناق الإبل -.. ظلم النقاد القدامى هذا البيت. عرفوا له لذة في آذانهم وقلوبهم، ولكنهم راحوا يفتشون تحته عن معنى جليل فلم يجدوا. حسْبهم ما فيه من صورة حلوة، وحسبهم ما فيه من شعور جميل.. شعور الوناسة

٣٤ الباكون حول المعاصر

أبو مِحْجن الثقفي:

صبرتُ ولم أَجْزَعْ وقد ماتَ إخْوَتي ولستُ عنِ الصَّهْباءِ يوماً بِصابِرِ

عندما مات إخوتي صبرت ولم أجزع، ولكنني لا أصبر عن الخمر

رَماها أميرُ المؤمنينَ بِحَتْفِها   فَشُرَّابُها يَبكُونَ حولَ المَعَاصِرِ

منعها أمير المؤمنين، فكأنه قتلها، فالشاربون يبكون حول معاصرها حزناً

٣٥ النعسانة

عدي بن الرقاع العاملي:

لولا الحَياءُ وأنَّ رأْسِيَ قد عَسَا   فيهِ المَشيبُ لَزُرْتُ أمَّ القَاسِمِ

لولا الحياء وأن رأسي عسا فيه المشيب، انتشر واستقر لزرت المحبوبة

وكأنَّها بينَ النِّساءِ أَعَارَها   عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ

كأن جؤذراً، بقرة وحش، أحور، ذا عينين اشتد سوادهما في بياضهما، من جآذر قرية جاسم بالشام قد أعارها عينيه

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ   في عينِه سِنَةٌ وليسَ بِنائِمِ

هذا الجؤذر وسنان، نعسان، أقصده النعاس، أي كسر من حدته، فرنقت، أي طافت، في عينه سنة من النوم لكنه غير نائم.. يصف العيون الناعسة

يَصْطَادُ يَقْظَانَ الرجالِ حديثُها   وتَطيرُ بَهجتُها بِرُوحِ الحَالِمِ

تصطاد هذه الفتاة الرجل في يقظته بحديثها، وبهجتها تطير بروح الحالم، أي الذي يحلم بها ويأتيه طيفها في المنام

٣٦ خوش تشبيه

كثير عزة:

ألا إِنَّما ليلى عَصا خَيْزُرَانَةٍ   إذا لَمَسُوهَا بِالأَكُفِّ تَلِينُ

٣٧ زمن خارج الزمن

أبو الدلهات:

أَلَمْ تَرَني على كَسَلي وفَتْرِي   أَجَبْتُ أَبا حُذَيْفَةَ إِذْ دَعاني

رغم كسلي أجبت دعوة أبي حذيفة

وكنتُ إذا دُعيتُ إلى نبيذٍ   أجبْتُ ولم يكنْ مِنِّي تَوانِ

فأنا إن دعيت إلى نبيذ أجبت بلا توانٍ، ولا إبطاء

كأنَّا مِنْ بَشاشَتِنا ظَلِلْنا   بِيَوْمٍ ليسَ مِنْ هذا الزمانِ

هذا بيت القصيد

٣٨ الفاتنة الشاطرة

دُرَيْد بن الصِّمَّة:

حَـيُّـوا أُمَـامَـةَ وانـظُـروا صَـحْـبِـي   وقِـفُـوا فـإنَّ وُقُـوفَـكُـمْ حَـسْـبِـي

حيوا أمامة ويكفيني وقوفكم على محلتها، وقيل إنه يتغزل في هذه الأبيات بالخنساء واسمها تماضر، فما الذي جعلها أمامة؟

مـا إن رأَيْـتُ ولا سـمـعـتُ بـه   كـالـيـومِ طَـالِـيَ أَيْـنُـقٍ جُـرْبِ

ما أحسن هذا الذي يطلي النياق الجرب..

مُـتَـبَـذِّلاً تَـبْـدُو مَـحَـاسِـنُـهُ   يَـضَـعُ الـهِـنَـاءَ مَـواضِـعَ الـنُّـقْـبِ

هذا الحبيب، ويقصد هي، يلبس لباس التبذل، لباس العمل، ومحاسنه بادية، ويضع الهناء، القطران، مواضع النقب، في الأماكن التي فيها جرب. هذا افتتان كافتتان الناس بفيديو كليب نانسي عجرم وقد قعدت لجرن الغسيل بجلابيتها المشهورة

٣٩ مع نفسه

قال الخاركي:

لـم أَجِـدْ فـيـمـا تَـصَـرَّفْـ   ـتُ عـلـى الـكـأْسِ كَـريـمـا

فيما تصرفت في هذه الدنيا وجربت لم أجد رجلاً كريم الأخلاق في جلسة شراب

كـلُّ مَـنْ كَـشَّـفْـتُـهُ أَلْـ   ـفَـيْـتُـهُ خَـبَّـاً لَـئِـيـمـا

كلهم خادعون لئام

فـاصْـطَـفَـيْـتُ الـكـأْسَ نَـدْمَـا   نـاً وأَقْـصَـيْـتُ الـنَّـديـمـا

فاخترت الكأس نفسها ندماناً، أي نديماً، وأبعدت البشر

٤٠ يسقط العدل

النجاشي الحارثي:

إذا الـلَّـهُ عَـادَى أَهْـلَ لُـؤْمٍ ودِقَّـةٍ   فَعَادَى بَنِي العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ

الدقة: ضعف الأصل وانحطاط المنزلة

قُـبَـيِّـلَـةٌ لا يَـغْـدِرُونَ بِـذِمَّـةٍ   ولا يَـظْـلِـمُـونَ الـنـاسَ حَـبَّـةَ خَـرْدَلِ

هذه القبيلة ضعيفة فلا تستطيع أن تغدر بالذمة، العهد، وهي لا تظلم أحداً شيئاً ولو كان صغيراً كحبة الخردل

ولا يَــرِدُونَ الــمــاءَ إلّا عَــشِــيَّــةً　　إذا صـدرَ الـوُرّادُ عـن كـلِّ مَـنْـهَـلِ

ولضعفها ولأنها لا تستطيع المزاحمة لا تورد إبلها الماء إلا ليلاً بعد أن يصدر الوراد، يرجع الواردون، عن كل منهل، حوض

وما سُـمِّـيَ الـعَـجْلانَ إلّا لِـقَـوْلِـهِـمْ　　خُذِ القَعْبَ واحْلُبْ أيُّها العبدُ واعْجَلِ

سمي جدهم العجلان لقول الناس له: خذ القعب، أي العلبة أو العس الذي يحلبون به، واحلب النياق وأسرع

٤١ سأقول

قال قَعْنب بن أم صاحب:

أتـيـتُ الـولـيـدَ فـألْـفَـيْـتُـهُ　　كـمـا قـد يـقـالُ غـنـيّاً بَـخـيـلا

فـإن تَـمـنَـعُـوا مـا بِـأيْـدِيـكُـمُ　　فـلـن تـمـنَـعُـونـي إذنْ أن أقُـولا

٤٢ آخر آخر

زياد الأعجم:

قَضَى اللّهُ خَلْقَ الناسِ ثم خُلِقْتُمُ　　بَـقِـيَّـةَ خـلـقِ الـلّـهِ آخِـرَ آخِـرِ

ولو رَدَّ أهلُ الحقِّ مَنْ ماتَ مِنْكُمُ　　إلى حَقِّهِمْ لم تُدْفَنُوا في المقابِرِ

أنتم دون البشر وليس من الحق أن تدفنوا في مقابر الناس

٤٣ الزاحفون إلى بيوتهم

أَضَـلَّ الـلّـهُ سَـعْـيَ بَـنـي جَـدِيـعٍ　　ولـيـس لِـمَـا أَضَـلَّ الـلّـهُ هَـادِ

إذا دَخَـلُـوا بُـيـوتَـهُـمُ أَكَـبُّـوا　　علـى الـرُّكُـبـاتِ مِـنْ قِـصَـرِ العِـمَـادِ

بنو جديع فقراء وبيوتهم، أي خيامهم، صغيرة ذات أعمدة قصيرة، فإذا دخلوها أكبوا على الركبات، بركوا على ركبهم كي يزحفوا زحفاً للدخول

٤٤ من أبو بيض؟

أبو الحويرث السُّحيمي يهجو حمزة بن بِيض:

أنتَ ابْنُ بِيضٍ لَعَمْري لَسْتُ أُنْكِرُهُ　　حقّاً يَقِيناً، ولكنْ مَنْ أَبُو بِيضٍ؟

أنت ابن بيض، وهذا معروف، ولكن من هو جدك؟ فأنت غير ذي نسب معروف

٤٥ نسب بلا فعل

خلف الأحمر:

أُنَـــاسٌ تَـــائِـــهُـــونَ لَـــهُـــمْ رُواءٌ   تَـغِـيـمُ سَـمَـاؤُهُـمْ مِـنْ غـيـرِ وَبْـلِ

أناس تائهون في منزلتهم الاجتماعية: لهم هيئة حسنة، ولكن دون أن يعني ذلك أن لهم فضلاً على الناس، فهم مثل السماء تغيم ولا تمطر

إذا انـتَـسَـبُـوا فَـفَـرْعٌ مِـنْ قُـرَيْـشٍ   ولَـكِـنَّ الـفِـعَـالَ فِـعَـالُ عُـكْـلِ

نسبتهم إلى قريش ولكن أفعالهم أفعال قبيلة عكل غير ذات السمعة

٤٦ خانق الكلب

أَلَا قَـبَّـحَ الـلَّـهُ الـحُـطَـيْـئَـةَ إِنَّـهُ   على كلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهْوَ سَالِحُ

سالح: متغوط

دُفِـعْـتُ إِلَـيْـهِ وَهْـوَ يَـخْـنُـقُ كـلـبَـهُ   أَلَا كُـلُّ كَـلْـبٍ لا أَبَـا لَـكَ نَـابِـحُ

جئته مدفوعاً إليه لأنني تائه، فوجدته يخنق كلبه عقاباً له لأنه نبح ودلني على خيمته، وكل كلب نابح فما ذنبه؟

بَـكَـيْـتَ عَـلَـى زادٍ خَـبِـيـثٍ قَـرَيْـتَـهُ   كَمَا كُلُّ عَبْسِيٍّ عـلـى الزَّادِ نَـائِحُ

تبكي على الزاد الخبيث الذي قدمته لي، وكذا كل رجل من قبيلة عبس

٤٧ الكف الخشناء

قال فَضالة بن شريك الأسدي:

دعـا ابْـنُ مُـطـيـعٍ لِـلْـبِـيـاعِ فَـجِـئْـتُـهُ   إلـى بَـيْـعَـةٍ قـلـبي لـهـا غَـيْـرُ آلِـفِ

دعا ابن مطيع، الوالي الذي عينه ابن الزبير، لأخذ البيْعة فجئت وقلبي غير مرتاح لهذه البيعة

فَـنَـاوَلَـنِـي خَـشْـنَـاءَ لَـمَّـا لَـمَـسْـتُـهـا   بِـكَـفِّـيَ لَـيْـسَـتْ مِـنْ أَكُـفِّ الـخَـلَائِـفِ

ناولني كفاً خشنة شعرت أنها ليست كفاً لائقة بخليفة

٤٨ الأم وابنتها الزائرة

قال الأُقَيْبل القيني، وتروى لنصيب:

لِـعَـبْـدِ الـعـزيـزِ عـلـى قـومِـهِ   وغَـيْـرِهِـمْ نِـعَـمٌ غَـامِـرَةْ

فَـبَـابُـكَ أَلْـيَـنُ أَبْـوابِـهِـمْ ... ودَارُكَ مَـأهُـولَـةٌ عَـامِـرَةْ

بابك ألين من أبواب قومك، أي أن حاجبك سهل يُدخل الناس عليك، ودارك عامرة بالزائرين

وكـلـبُـكَ آنَـسُ بِـالـمُـعْـتَـفِـيـنَ ... مِـنَ الأُمِّ بِـابْـنَـتِـهـا الـزَّائِـرَةْ

وكلبك أكثر أنساً وارتياحاً بالمعتفين، الفقراء، لكثرة ما يأتيك الفقراء، من الأم بابنتها المتزوجة إذا جاءت تزورها

وكَـفُّـكَ حـيـنَ تَـرى الـزَّائِـريـ ... ـنَ أَنْـدَى مِـنَ الـلـيـلـةِ الـمـاطِـرَةْ

أندى: أسخى

فـمِـنْـكَ الـعَـطـاءُ ومِـنَّـا الـثَّـنـاءُ ... بِـكُـلِّ مُـحَـبَّـرَةٍ سَـائِـرَةْ

المحبرة السائرة: القصيدة المتقنة التي تذيع

٤٩ وجه الكريم خصيب

الخريمي:

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قبلَ إنْزَالِ رَحْلِهِ ... ويُخْصِبُ عِندي والمَحَلُّ جَديبُ

أنا بشوش في وجه ضيفي قبل أن ينزل رحله عن جمله، وهو يشعر عندي أن الموسم موسم خصب لوفرة ما أقدم له، حتى لو كنا في زمن القحط

ومَا الخِصْبُ لِلأَضْيافِ أن يَكْثُرَ القِرَى ... ولـكـنَّـما وَجْـهُ الـكـريـمِ خَـصِـيـبُ

والخصب للضيف ليس بكثرة القرى، طعام الضيف، بل بالبشاشة وحسن الاستقبال

٥٠ الداء موجود دائماً

حُميد بن ثور:

أَرَى بَصَرِي قد رَابَنِي بعدَ صِحَّةٍ ... وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمـا

بصري ضعف، وصرت أشك في الأشياء، بعد أن كان صحيحاً. والصحة نفسها داء لأنك تعلم أنها لا تدوم

ولن يَلْبَثَ العَصْرانِ: يَومٌ ولـيـلةٌ ... إذا طَـلَـبـا أن يُـدْرِكَـا ما تَـيَـمَّـمَـا

العصران، أي النهار والليل، لا يلبثان أن يدركا طلبهما الذي هو إزالتك عن هذه الدنيا

٥١ الحبَل بلا دنس

ولِـي نَظْـرَةٌ، إن كـانَ يُـحْـبِـلُ نَـاظِـرٌ ... بِـنَـظْـرَتِـهِ أُنْـثَـى لـقـد حَـبِـلَـتْ مِـنّـي

لي نظرٌ عارمٌ وتحديق في المرأة، ولو كانت تحبل من النظر لقد حبلت مني

فإنْ وَلَدَتْ مَا بينَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ فَأُشْهِدُكُمْ أنَّ الذي وَلَدَتْهُ ابْني

فإن ولدت بعد تسعة أشهر من هذا التحديق فاشهدوا أنه ابني

٥٢ المرأة حوضاً

وَصَلْتُكِ لَمَّا كانَ لي فيكِ رَغبَةٌ وأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرْتِ نَهْباً مُقَسَّما

وصلتك ونشأت بيننا علاقة لما كانت لي فيك رغبة، وتركتك عندما رأيتك نهباً مقسماً، لك علاقات مع هذا وذاك

ولا يَلْبَثُ الحَوْضُ الجَديدُ بِناؤُهُ على كَثْرَةِ الوُرَّادِ أن يَتَهَدَّما

حوض الماء الجديد يكثر الواردون عليه فيتهدم

الوحشيات

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

قصائد مشهورات

لمَّا فرغتُ من اختيار أعذب الشعر لعشرة من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي، أحسست أنني مقصر. ذلك أن هذا العصر الذي يمتد نحو ثلاثة قرون، والذي اتخذه كل الشعراء فيما بعد مقياساً في اللغة وفي صنعة الشعر، حافل بالشعراء الذين عرفنا لهم قصائد قليلة أو دواوين صغيرة. كان الشعر في هذه القرون الثلاثة بريئاً، يقوله شعراء كثر تنبض قلوبهم بالحزن والغضب والحقد والحب والعصبية القبلية، إلى جانب بعض الشعراء الذين صنفهم أهل النقد «عبيد شعر» يقولونه صناعة وتكسباً.

وجدت شعرائي العشرة الكبار المشهورين عبيد شعر، قالوا كثيراً وأخذت منهم كثيراً، ثم عز عليَّ أن أترك مئات الشعراء الآخرين وما قالوه من بديع الشعر دون أن أدخله في مجموعتي هذه.

قد بدأت أنظر إلى مجموعتي نظرة مختلفة في الواقع. فهي ليست «عرْضاً» لكبار شعراء العصر الأول من عصور الشعر العربي. بل هي تمثيل لشعر هذا العصر. بدأت أزيد من اهتمامي بهذا العصر من حيث هو العصر المؤسِّس لتقليد شعري امتد ألفاً وخمسمئة سنة.

لذا انصرفت بعد الشعراء العشرة الكبار إلى المجموعات الشعرية التي لملمت أشعار المغمورين، فنخلت لك المفضليات والأصمعيات والحماسة والوحشيات، ولم أنس استيفاء المعلقات، فلئن كان أربعة من شعرائي هم من أصحاب المعلقات فإن ست معلقات أخرى تستحق أن تدخل ضمن «أول الشعر».

ثم بعد أن فرغت من كل هذا رأيت بعض القصائد المشهورة قد أفلتت، فها أنا في هذا القسم أتعقبها مختاراً من أبياتها ما طاب لي. فليس معقولاً أن

أطوي هذا العمل دون أن أتعرض للامية العرب للشنفرى، ولبانت سعاد لكعب بن زهير، ولنونية عروة بن حزام.

فهل نسيت بعدُ شيئاً؟ بالتأكيد نسيت، وأغفلت أيضاً، وغفِلت.

فإن طلبت قصيدة من قصائد هذا العصر الطويل ولم تجد لها عندي ذكراً فاعلم أن هذا الكتاب أراد أن يمثل العصر ولم يطمح إلى الإحاطة.

١ الشَّنْفَرَى، وهذه لاميَّة العرب

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إلى قومٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ

يا بني أمي، يا إخوتي الصعاليك، لتقم إبلكم من مباركها ولترتفع صدورها، استعداداً للرحيل ولنذهب من هنا، وأنا مائل إلى الإقامة مع غيركم أكثر مما أنا مائل إليكم.. علينا أن نفترق

فقد حُمَّتِ الحاجاتُ واللَّيلُ مُقْمِرٌ وشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطايَا وأَرْحُلُ

فقد حمت الحاجات، آن أوانها، وها هو الليل مقمر ومناسب للسير، وقد شدت للطيات، للحاجات، الرحال على المطايا، الإبل

وفي الأرضِ مَنْأَىً لِلكريمِ عن الأذَى وفيها لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

وفي الأرض الواسعة منأى، مكان بعيد، يرتاده الكريم فاراً من الأذى، وفيها لمن خاف القلى، الاختلاف والتباغض، متعزل، مكان يعتزل المرء فيه

ولِي دونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

وسيصحبني دونكم، بدلاً منكم، أهلٌ آخرون: سيدٌ عملس، أي ذئب سريع، وأرقط زهلول، أي ابن آوى مرقط خفيف، وعرفاء جيأل، أي ضبع ذات عرف عند الرقبة

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَديْهِمْ، ولا الجَاني بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

هؤلاء أهلي الذين يحفظون السر، والذين لا يخذلون الجاني بما جرَّ على نفسه وعليهم من جناية بل ينصرونه ظالماً أو مظلوماً

وكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غيرَ أَنَّنِي إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرائِدِ أَبْسَلُ

وكل هذه الوحوش أبية باسلة، شجاعة، ولكنني حين تعرض لنا طريدة، غزال أو نحوه، أبسل منها جميعاً

وإنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لم أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إذ أَجْشَعُ القومِ أَعْجَلُ

إن جاء وقت الطعام فأنا لست أعجل الآكلين فهذا من الجشع.

وما ذاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عن تَفَضُّلٍ عليْهِمْ، وكان الأفضَلَ المُتَفَضِّلُ

هذا تفضل مني على من آكل معهم

وإنِّي كَفاني فَقْدَ مَنْ ليس جَازِياً   بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ . .

ويكفيني فقد الناس الذين لا يقابلون الحسنى بالحسنى، والذين ليس في قربهم متعلل، فائدة . .

ثَلاثَةُ أصحابٍ: فُؤادٌ مُشَيَّعٌ   وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ، وصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

. . ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع، قلب شجاع، وسيف مصلت مجرد من غمده، وصفراء عيطل، قوس طويلة

هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ تَزِينُها   رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إِليها ومِحْمَلُ

هذه القوس هتوف، لها صوت عند انطلاق السهم منها، وملساء غير ذات عُقَد، ومزينة برصائع نيطت بها، علقت عليها، ومحمل، حبل لتعليقها بالكتف

إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها   مُرَزَّأَةٌ ثَكْلَى تُرِنُّ وتُعْوِلُ

إذا زل عنها السهم، انطلق، أصدرت صوتاً كحنين المرزَّأة الثكلى، الفاقد ولداً، التي ترِنُّ وتبكي

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتى أُمِيتَهُ   وأَضْرِبُ عنه الذِّكْرَ صَفْحاً فَأُذْهَلُ

يدوم بي الجوع وأماطل نفسي حتى لا أعود أشعر به، وأضرب عنه الذكر، أتناساه، وأذهل عنه، أنساه فعلاً

وأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرضِ كَيْلَا يَرى له   عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

أستف التراب ولا يرى أحد له علي طوْلاً، معروفاً يمن به

ولولا اجْتِنابُ الذَّامِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ   يُعاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ ومَأْكَلُ

لولا أنني أجتنب الذام، العار، لما وجدتَ مأكلاً ولا مشرباً إلا هو عندي

ولَكِنَّ نَفْساً مُرَّةً لا تُقيمُ بِي   على الذَّامِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

ولكن لي نفساً مرة لا تدعني أصبر على العار، بل إنني أتحول سريعاً وأفر منه

وأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوايَا كمَا انْطَوَتْ   خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ

أطوي على الخمص، أمسك بطني بقوة على الجوع . . وكانوا ربما وضعوا حجراً على البطن، الحوايا، أي الأمعاء، مثلما تنطوي خيوط الحائك «ماري» التي تغار، تُفتل

وأَغْدُو على القُوتِ الزَّهِيدِ كَما غَدا   أَزَلُّ تَهادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ

وأبكر فأتناول قليلاً من الطعام مثلما يبكر أزل، ذئب هزيل، أطحل، أي داكن اللون، تتقاذفه التنائف، أي الصحارى

غَدا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً   يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويَعْسِلُ

أصبح طاوياً، جائعاً، يستقبل الريح بوجهه هافياً، يتمايل يميناً وشمالاً، ثم يخوت بأذناب الشعاب، يمضي مسرعاً في أطراف الطرق الجبلية، ويعسل، يمشي متمايلاً

فَلَمَّا لَواهُ القُوتُ مِنْ حيثُ أَمَّهُ   دَعَا فَأَجابَتْهُ نَظائِرُ نُحَّلُ

لما لواه القوت، عز عليه، من حيث أمه، من حيث قصده، دعا بعوائه فأجابته نظائره الذئاب النحل، المهزولة

مُهَلَّلَةٌ شيبُ الوُجُوهِ كَأَنَّها   قِداحٌ بِأَيْدي يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

ذئاب مهللة، نحيلة، شيب الوجوه، مبيضة وجوهها شحوباً، تترجرج في وقفتها كأنها سهام الميسر التي يقلقلها المرء قبل أن يرمي بها

فَضَجَّ وضَجَّتْ بِالبَراحِ كَأنَّها   وإِيَّاهُ نُوحٌ فوقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

ضج الذئب وضجت أصحابه بالبراح، بالأرض الخالية، فكأنها نساء نوح، نائحات، ثاكلات تقف على مكان عال

وأَغْضَى وأَغْضَتْ واتَّسَى واتَّسَتْ بِهِ   مَرامِيلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

ثم كفت الذئاب عن العواء، وهي في عوائها ترفع رؤوسها.. فالآن هي أغضت وخفضت الرؤوس، وواسى بعضها بعضاً فهي جميعاً مراميل، جياع

شَكا وشَكَتْ ثم ارْعَوَى بَعْدُ وارْعَوَتْ   ولَلصَّبْرُ إنْ لم ينفعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

شكا وشكت الذئاب، ثم ارعوى وارعوت، تراجعت عن الشكوى، والصبر أجدر بالمرء إن لم تنفعه الشكوى

فإن تَبْتَئِسْ بِالشَّنْفَرى أمُّ قَسطَلٍ   لَمَا اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرى بَعْدُ أَطْوَلُ

فإن حزنت أم قسطل، كناية عن الحرب والقسطل هو الغبار، بغيابي فإنها كثيراً ما كانت مسرورة بحضوري

طَرِيدُ جِنايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ   عَقِيرَتُهُ لِأَيِّها حُمَّ أَوَّلُ

أنا طريدٌ ملاحق لجنايات ارتكبتها، فهي تياسر على لحمي، تتنافس عليَّ، وعقيرتي، أي نفسي، هي لمن حم أول، قدر له أن يكون الأول في القبض علي. كذا المعنى الملموح

وإِلْفُ هُمومٍ ما تَزَالُ تَعُودُهُ   عِيَاداً كَحُمَّى الرِّبْعِ أو هِيَ أَثْقَلُ

ألفت الهموم التي تعودني كما تعود للمرء حمى الربع، التي تنتاب المرء يوماً وتغيب يومين وتعود في اليوم الرابع، بل هي أثقل

فَإِمَّا تَرَيْني كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِياً   على رِقَّةٍ أَحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ

إن تريني كابنة الرمل، كالأفعى، ضاحياً، بارزاً للشمس، ومن رقة حالي، فقري، أكون حافياً بلا نعل

فَإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَزَّهُ   على مِثْلِ قَلبِ السِّمْعِ، والحَزْمَ أَفْعَلُ

أنا صاحب الصبر أجتاب بزه، أقطع ثوبه فألبسه، ولي قلب قوي كقلب السمع، قيل هو حيوان أبواه ذئب وضبع، وأفعالي فيها الحزم

وأُعْـدِمُ أحـيـانـاً وأغْـنَـى وإنَّـمـا ... يَـنـالُ الـغِـنَـى ذُو الـبُـعْـدَةِ الـمُـتَـبَـذِّلُ

أعدم، أي أفتقر، أحياناً وأغنى أحياناً، فأما الغنى الدائم فهو للذي يقبل ابتذال نفسه فيما يأنف منه مثلي

فَـلا جَـزِعٌ مِـنْ خَـلَّـةٍ مُـتَـكَـشِّـفٌ ... ولا مَـرِحٌ تـحـتَ الـغِـنَـى أَتَـخَـيَّـلُ

لست جازعاً من خلة، فقر، ولا متكشف، أكشف فقري للناس، ولست غنياً أتباهى بالغنى وأختال

ولَيلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلي القَوْسَ رَبُّهَا ... وأَقْـطُـعَـهُ الـلَّاتـي بِـهـا يَـتَـنَـبَّـلُ

رب ليلة منحوسة باردة يبلغ بالمرء بردها أن يحرق قوسه ويصطلي بنارها، ويحرق أقطعه، سهامه، التي يتخذها للرمي نبالاً

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ، وصُحْبَتِي ... سُـعَـارٌ وإرْزِيـزٌ وَوَجْـرٌ وأفْـكَـلُ

دعست فيها على غطش وبغش، مشيت في الليل وتحت الرذاذ، وصاحبني فيها سعار، جوع، وإرزيز، برد، ووجر، خوف، وأفكل، ارتعاش

فَـأَيَّـمْـتُ نِـسـوانـاً وأَيْـتَـمْـتُ إِلْـدَةً ... وعُـدْتُ كـمـا أَبْـدَأْتُ والـلَّـيْـلُ أَلْـيَـلُ

فغزوت قوماً وأيمت نسوة، جعلتهن أرامل، وأيتمت إلدة، يتمت أولاداً، وعدت سالماً والليل حالك

وأصبحَ عني بِـالـغُـمَـيْـصَـاءِ جـالـسـاً ... فـريـقـانِ: مَـسـؤولٌ وآخَـرُ يَـسـأَلُ

وعند الصبح جلس في موضع الغميصاء الناس وانقسموا فريقين يتساءلون عن الذي جرى

فَقـالـوا: لـقـد هَـرَّتْ بِـلـيْـلٍ كِـلابُـنـا ... فقُلنَا: أَذِئْبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُلُ؟

قالوا قد هرت، نبحت بخفوت، كلابنا بالليل، فقال الآخرون: أهذا بسبب ذئب عسَّ، طاف ليلاً، أم فرعل، ولد الضبع؟

فـإن يَـكُ مِـنْ جِـنٍّ لأَبْـرَحُ طَـارِقـاً ... وإن يَكُ إنْساً مَا كَهَا الإنْسُ تَفْعَلُ

فإن كان هذا من فعل الجن فما أبرحه من طارق، ما أشده من زائر ليل، وإن كان إنساً فما هكذا تفعل الإنس بكل قوة وشدة ولا نشعر بالأمر إلا متأخرين

ويَوْمٍ مِنَ الـشِّـعْـرَى يَذُوبُ لُـعَـابُـهُ ... أَفَـاعِـيـهِ فـي رَمْـضَـائِـهِ تَـتَـمَـلْـمَـلُ

ورب يوم من الشعرى، يوم شديد الحرارة يستدلون عليه بنجوم الشعرى، ويرى المرء أشعة الشمس وكأنها اللعاب السائل، والأفاعي تتململ على الرمل الحار

نَـصَـبْـتُ لـهُ وَجْـهِـي ولا كِـنَّ دُونَـه ... ولا سِـتْـرَ إلَّا الأَتْـحَـمِـيُّ الـمُـرَعْـبَـلُ

نصبت وجهي لهذا الجو وليس هناك من كنٍّ، ستر يقيني الحر، سوى الأتحمي المرعبل، الثوب الممزق

وخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ، ظَهْرُهُ ليس يُعْمَلُ

ورب خرق، فضاء بلقع، مثل ظهر الترس أملس قطعته بعاملتين، برجليَّ، وظهر هذا المكان ليس مما تمشي فيه الإبل

تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَولي كَأَنَّها عَذَارَى عليْهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ

ترود، تتمشى، حولي الأراوي الصحم، الوعول السمر، كأنها عذارى لابسات ثياباً طويلة

ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأَنَّنِي مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ أَعْقَلُ

ويركدن، تقعي هذه الوعول حولي عند الأصيل، عند الغروب إذ يخف الحر، فكأنني أنا من العصم، من الوعول؛ كأنني أدفى، وعل ذو قرون، ينتحي الكيح، يسكن في الجبل، أعقل، يتخذ الجبل معقلاً

٢ الأَفْوَهُ الأَوْدِيّ، وهو جاهلي قديم

والبيتُ لا يُبْتَنَى إلَّا لَهُ عَمَدٌ ولا عِمَادَ إذا لم تُرْسَ أَوْتَادُ

البيت، الخيمة، لا يبنى إلا بعمود في الوسط، ولا نفع للعمود بلا أوتاد تدق في الأرض حول الخيمة. فالعمود رئيس القوم، والأوتاد سادة القبيلة

فإن تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وأَعْمِدَةٌ وسَاكِنٌ بَلَغُوا الأمرَ الذي كادُوا

فبهذا، وبالسكان، يتم الأمر

وإنْ تَجَمَّعَ أقوامٌ ذَوُو حَسَبٍ اِصْطَادَ أَمْرَهُمُ بالرُّشْدِ مُصْطَادُ

أهل الحسب والشرف يصطاد، ويتناول، رئيسهم أمورهم بالرشد

لا يَصْلُحُ الناسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

لا يصلح الناس فوضى بلا سراة، سادة، ولا مكان للسادة إذا سيطر الجهال المتهورون على الأمر

تُلْفَى الأُمورُ بِأَهْلِ الرُّشْدِ مَا صَلَحَتْ فإنْ تَوَلَّوْا فَبِالأَشْرارِ تَنْقَادُ

إذا صلحت الحال فأهل الرشد هم القيادة، وإن تولى أمر القوم، وذهب عزهم، فالأشرار يقودونهم

إذا تَوَلَّى سَرَاةُ القومِ أَمْرَهُمُ نَمَا على ذاكَ أَمرُ القومِ فازْدَادُوا

تولي السادة الأشراف القيادة يحقق نماء الحال

٣ كعب بن زهير، بانت سعاد

بَانَتْ سُعادُ فقَلبِي اليومَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَها، لم يُفْدَ مَكْبُولُ

بانت سعاد، فارقت، فقلبي اليوم متبول، مريض، متيم يتبعها، ومكبول، مقيد لم يتم فداؤه من أسرها

وَمَا سُعَادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا　　إلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

ما سعاد التي رأيتها غداة البين، صبيحة الفراق، إلا أغن، غزال ذو غنة في صوته، غضيض الطرف، تغض عينيها خجلاً، وهي مكحولة

هَيْفاءُ مُقْبِلَةً، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً　　لا يُشْتَكَى قِصَرٌ منها ولا طُولُ

هيفاء، ضامرة البطن، وهي مقبلة عليك، وعجزاء، ثقيلة المؤخرة، وهي مدبرة منصرفة عنك. لا بالقصيرة ولا الطويلة

تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسمتْ　　كأنهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

تبرز عوارض، أسناناً أمامية، ذي ظلم، ذي لعاب يلمع على ضواحكها، وكأن الثغر ذا اللعاب هذا منهل ومعلول بالخمر، شارب الخمر مرة أولى ثم ثانية

وما تَدُومُ على حالٍ تكونُ بِها　　كما تَلَوَّنُ في أثْوابِها الغُولُ

وسعاد لا تظل على حالها من المودة للحبيب، بل تتلون مثل الغول التي تبدو للناس في صور وأثواب شتى

وما تَمَسَّكُ بِالوَصْلِ الذي زَعَمَتْ　　إلَّا كما تُمْسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

لا تتمسك بوصلها المزعوم للحبيب إلا كما تمسك الغرابيل الماء

كانتْ مَواعيدُ «عُرْقُوبٍ» لها مَثَلاً　　وما مَواعِيدُه إلَّا الأبَاطِيلُ

ومواعيدها كمواعيد عرقوب الكذاب المشهور

فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ ومَا وَعَدَتْ　　إنَّ الأَمَانِيَّ والأحلامَ تَضْليلُ

فلا تغتر بوعودها التي تُمنّيك بها

أَمْسَتْ سَعَادُ بِأرْضٍ لا يُبَلِّغُها　　إلَّا العِتاقُ النَّجِيباتُ المَراسيلُ

وقد رحلت سعاد وصارت في أرض لا يبلّغكها إلا العتاق النجيبات المراسيل، النياق الكريمة النجيبة السريعة

وقَال كلُّ خَلِيلٍ كنتُ آمُلُهُ　　لا أُلْفِيَنَّكَ إنِّي عنكَ مَشْغُولُ

قال لي كل صاحب كنت آمل أن يحميني، لا ألفينك، لا أريد أن أجدك حولي، فأنا منشغل عنك

فقلتُ خَلُّوا طَريقي لا أَبا لَكُمُ　　فكلُّ ما قَدَّرَ الرحمنُ مَفْعُولُ

فقلت: انصرفوا عني واتركوني أمضي في سبيلي فكل ما قدر الله سيقع

كلُّ ابنِ أُنثَى، وإنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ،　　يوماً على آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

كل إنسان سيحمل يوماً على آلة حدباء، هي النعش

أُنبِئْتُ أنَّ رسولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ... والعفْوُ عندَ رسولِ اللهِ مَأْمُولُ

أوعدني: تهددني

مَهْلاً، هَداكَ الذي أعطاكَ نَافِلَةَ الـ ... ـقرآنِ فيها مَواعيظٌ وتَفصيلُ

مهلاً يا رسول الله وقد أعطاك الله نافلة القرآن، هدية هي القرآن،
وفيها الموعظة وتفصيل الأحوال

لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشَاةِ، ولم ... أُذْنِبْ، وإن كَثُرَتْ عَنِّي الأَقَاويلُ

لا تسمع فيَّ أقوال الوشاة

إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

في عُصْبَةٍ مِنْ قُريشٍ قالَ قائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

الرسول وجماعته من قريش هاجروا من مكة إلى المدينة

زَالُوا فمَا زَالَ أَنْكَاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللِّقاءِ ولا مِيلٌ مَعَازِيلُ

هاجروا فما كانوا بالأنكاس، الجبناء، ولا الكشف، المكشوفين بلا تروس في الحرب،
وهم في اللقاء لا ميل، أي لا يحسنون ركوب الخيل، ولا معازيل،
ليسوا عُزلاً بلا سلاح

شُمُّ العَرانِينِ أَبْطالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِنْ نَسْجِ دَاودَ في الهَيْجَا سَرابِيلُ

شم العرانين، شامخو الأنوف، ولباسهم في الهيجاء، الحرب، سرابيل من نسج داود، دروع.
وكان داود النبي مشهوراً بصنع الدروع لأن الله ألان له الحديد

لا يَفرَحُونَ إذا نالتْ رِماحُهُمُ ... قوماً، وليسوا مَجازيعاً إذا نِيلُوا

لا يفرحون بالنصر، ولا يجزعون للهزيمة

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلَّا في نُحُورِهِمُ ... ما إنْ لَهُمْ عن حِياضِ الموتِ تَهْليلُ

في الحرب يواجهون دوماً، فالطعن يقع في صدورهم لا في ظهورهم، وليس لهم تهليل، فرار،
عن أحواض الموت

٤ عدي بن زيد العِبادي، جاهلي من نصارى الحيرة

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أم بُكُورُ ... لَكَ فاعْلَمْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ

أترحل رواحاً، مساء، أم بكوراً، صباحاً؟
فاعلم كيف سيكون حالك بعد الرحيل عن الأحبة

وابْيِضَاضُ السَّوادِ مِنْ نُذُرِ الشَّرِّ ... وهـل بَـعـدَهُ لإنـسٍ نَـذِيـرُ؟

ابيضاض شعرك بعد سواده نذير بالشر والشيخوخة، وهل هناك نذير للإنسان أكثر من هذا؟

لـيـتَ شِعْري فكيفَ أنتَ إذا ما ... ذُرَّ فـي حُـرِّ وَجْـهِـكَ الـكـافُـورُ

فكيف أنت عندما يذر، يُرشُّ، في حر وجهك، في وسطه، الكافور.. وهو مسحوق أخضر يرشونه على الميت

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ بَكَى لِلْخَطَايا ... كـلُّ بَـاكٍ فَـذَنْـبُـهُ مَـغْـفُـورُ

أَيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بِالدَّهـ ... ـرِ أَأَنْتَ الـمُـبَـرَّأُ الـمَـوْفُـورُ؟

يا من يعيرني بنكبة من نكبات الدهر، أأنت مبرأ موفور، محصن مستثنىً؟

أم لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثيقُ مِنَ الأيَّـ ... ـامِ بـل أنـتَ جـاهِـلٌ مَـغْـرورُ

الأيام: المصائب

مَنْ رأيتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ أم مَنْ ... ذا عليهِ مِنْ أنْ يُضَامَ خَفيرُ؟

من قد لقي التخليد في الدنيا؟ أم من عليه خفير، حارس، يمنع عنه الضيم، التعرض للأذى؟

أَيْنَ كِسرى كِسرى المُلُوكِ أَنُو شِرْ ... وَانَ، أم أيـنَ قَـبْـلَـهُ سَـابُـورُ؟

وبَنُو الأَصْفَرِ الملوكُ، مُلُوكُ الرُّ ... ومِ؟ لـم يَـبْـقَ مِـنْـهُـمُ مَـذْكُـورُ

وتَـفَـكَّـرْ رَبَّ الـخَـوَرْنَـقِ إذْ أَشْـ ... ـرَفَ يـومـاً ولِـلْـهُـدى تَـفْـكـيـرُ

فكر في رب الخورنق، صاحب قصر الخورنق وهو النعمان بن امرئ القيس، إذ أشرف من أعلى قصره وتفكر في الدنيا

سَـرَّهُ مَـالُـهُ وكَـثْـرَةُ مَـا يَـمْـ ... ـلِكُ، والبَحْرُ مُعْرِضاً والسَّديرُ

سره مرأى ماله، مزارعه وملكه، والبحر، الفرات يمر بين المزارع، وقصر السدير

فَـارْعَـوَى قَـلْـبُـهُ وقـالَ: ومَـا غِـبْـ ... ـطَـةُ حَـيٍّ إلـى الـمـمـاتِ يَـصيـرُ؟

ارعوى قلبه، رجع عن ضلاله، وقال لنفسه: ما سعادة امرئ نهايته الموت؟

ثـم بـعـدَ الـفَلاحِ والـمـلْـكِ والإمَّـ ... ـةِ وَارَتْـهُـمُ هـنـاكَ الـقُـبـورُ

الإمة: النعمة

ثـم أَضْـحَـوْا كَـأَنَّـهُـمْ وَرَقٌ جَـفَّـ ... فَـأَلْـوَتْ بـهِ الـصَّـبـا والـدَّبُـورُ

ثم بعد الموت صاروا كورق شجر جف فألوت به، ذهبت به، ريح الصبا وريح الدبور

٥ عُرْوَة بن حِزام

خَلِيلَيَّ مِنْ «عُلْيَا هِلالِ بنِ عامِرٍ»   بِصنْعَاءَ عُوجَا اليومَ وانتظِراني

على عادة الشعراء يخاطب صديقين: وعروة رجل من قبيلة عذرة، فهو عذري وشعره عذري، وذهب إلى اليمن يأتي بنياق مهراً لابنة عمه عفراء، ويريد من صاحبيه بصنعاء أن يعوجا، أي يميلا، نحو منزله باليمن وأن ينتظراه حتى يرحلوا جميعاً

أَلا فَاحْمِلانيِ بَاركَ اللّهُ فيكُما   إلى حاضِرِ «الرَّوْحاءِ» ثم دَعَاني

احملاني إلى الروحاء، قرب المدينة المنورة، واتركاني هناك

على كَبِدي مِنْ حُبِّ عَفْراءَ قَرْحَةٌ   وعَيناايَ مِنْ وَجْدٍ بِها تَكِفَانِ

مقروحة كبده من حب عفراء وعيناه تكفان، تسيلان دمعاً من وجده بها، أي حبه لها

فيَا ليتَ كُلَّ اثنينِ بينَهُما هَوىً   مِنَ الناسِ والأنعامِ يَلْتَقِيانِ

يقولُ لِيَ الأصحابُ إذْ يَعْذِلُونَني   أَشَوْقٌ عِراقِيٌّ، وأنتَ يَماني

ويبدو أن عفراء كانت بالعراق زمناً!

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْراءَ ما ليس لي بِهِ   ولا لِلْجِبَالِ الرَّاسِياتِ يَدانِ

ما لي به يدان: أي لا حيلة لي فيه

كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِها   على كَبِدي مِنْ شِدَّةِ الخَفَقَانِ

القطاة طير، وفي الزمن القديم كانت الكبد تخفق أيضاً

جَعلْتُ لِعَرَّافِ اليَمَامَةِ حُكْمَهُ   وعَرَّافِ نَجْدٍ إنْ هُمَا شَفَيَاني

فقالا: نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كلِّهِ   وقَامَا مَعَ العُوَّادِ يَبْتَدِرانِ

قام العرافان يبتدران مع العواد: قاما مسرعين مع زوار المريض لكي يجربا فنونهما في الشفاء

فما تَركَا مِنْ رُقْيَةٍ يَعلَمَانِها   ولا سَلْوَةٍ إلّا وقد سَقَيَاني

الرقية: الوصفة السحرية من حجاب أو نحوه، السلوة: شراب يسقونه للمتيم فينسى.. زعموا

فقَالا: شَفاكَ اللّهُ، واللّهِ ما لَنا   بِمَا ضُمِّنَتْ منكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ

عجزا وقالا: شفاك الله فليس لنا يدان، لا حيلة لنا، في الحب الذي تضمنته ضلوعك

أَناسِيَةٌ عَفْراءُ ذِكْرِيَ بَعدَما   تَرَكْتُ لها ذِكْراً بِكُلِّ مَكانِ

يُكَلِّفُني عَمِّي ثَمانينَ بَكْرَةً   ومَا لِيَ يَا عَفْراءُ غَيْرُ ثَمانِ

عمه طلب منه ثمانين بكرة، أي ناقة

تَحَمَّلْتُ زَفْرَاتِ الضُّحَى فَأَطَقْتُها　　وما لِي بِزَفْرَاتِ العَشِيِّ يَدانِ
أُصَلِّي فَأبْكِي في الصَّلاةِ لِذِكْرِها　　لِيَ الوَيْلُ مِمَّا يكتُبُ المَلَكَانِ

الملكان المكلفان بتسجيل أعمال المرء قاعدان على كتفيه دائماً، وهما رقيب وعتيد، وهما غير مَلَكَيْ القبر منكر ونكير

٦ عدي بن الرقاع العاملي، يمدح الوليد بن عبد الملك

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعتادَها　　مِنْ بعدِ ما دَرَسَ البِلَى أبْلادَها

يحدث عن نفسه: عرف الديار لكنه غير متأكد تماماً إذ امَّحت معالمها، واعتادها، زارها، بعد أن درسها البلى، محاها الخراب. وأبلادها: بلادها

إلَّا رَواسِيَ كُلُّهُنَّ قد اصْطَلَى　　جَمْراً، وأَشْعَلَ أَهْلُها إِيقَادَها

سوى رواسي، حجارة، كانت أثافي توضع عليها القدر وقد اصطلت الحجارة وبان فيها أثر الجمر

كانتْ رَواحِلَ لِلقُدُورِ فَعُرِّيَتْ　　مِنهُنَّ، واسْتَلَبَ الزمانُ رَمادَها

كانت الحجارة رواحل، كأنها نياق تحمل فوقها القدور، فعريت من القدور، وسلبها الزمان برياحه رمادها

وتَنَكَّرَتْ كلَّ التَّنَكُّرِ بَعدَنا　　والأرضُ تَعرِفُ بَعْلَها وجَمَادَها

تنكرت المنطقة، تغيرت معالمها، والأرض تعرف بعلها، ما ارتفع منها، وجمادها، ما جف منها.
المعنى الملموح: الأرض معروفة بتضاريسها، ولكن مرور السنين جعلنا نتشكك

ولَرُبَّ واضِحَةِ الجَبينِ خَريدَةٍ　　بَيْضاءَ قد ضَرَبَتْ بها أَوتَادَها

ورب فتاة بيضاء الجبين خريدة، حيية، كانت تنزل هنا وتغرس أوتاد خيامها

كالظَّبْيَةِ البِكْرِ الفَريدةِ تَرْتَعي　　مِنْ أرضِها قُفَّاتِها وعِهَادَها

كأنها ظبية منفردة عن السرب ترعى القفات، والقُفَّة شجرة صغيرة، وعهادها، العشب الذي يخلفه العهاد أي المطر المتواصل

تُزْجي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ　　قَلَمٌ أصابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدادَها

هذه الظبية تزجي أمامها، تدفع، ظبياً أغن الصوت كأن إبرة روقه، رأس قرنه الصغير وهو مسود في أعلاه، قلم مغموس طرفه في دواة المداد، أي المحبرة

بَانتْ سُعَادُ وأَخْلَفَتْ مِيعَادَها　　وتَباعَدتْ عنَّا لِتَمْنَعَ زَادَها

فارقتنا سعاد وأخلفت ميعادها، وابتعدت كي تمنعنا من التزود من حسنها

إمَّا تَرَيْ شَيْبي تَفَشَّغَ لِمَّتي　　حتى عَلا وَضَحُ يَلوحُ سَوادَها

إن كنت ترين الآن شيبي قد تفشغ لمتي، انتشر في شعري، حتى علاني وضح، بياض، يلوح سواد اللمة، يغير لون السواد

فلقدْ ثَنَيْتُ يَدَ الفَتاةِ وِسَادَةً لِيَ جَاعِلاً يُسْرَى يَدَيَّ وِسَادَها

فإنني كنت فيما مضى قد ثنيت يد الفتاة وجعلتها وسادة لي، وجعلت يدي اليسرى وساداً لها.
حاول معي تخيل هذه النومة

ولقد أَصَبْتُ مِنَ المَعِيشَةِ لَذَّةً ولقيتُ مِنْ شَظَفِ الخُطوبِ شِدادَها

عرفت لذة العيش الهانئ، ولقيت أيضاً شظفه، شدته

وعَمِرْتُ حتى لَسْتُ أَسأَلُ عالِماً عن حَرْفِ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أَزدادَها

وكبرت حتى لم أعد أحتاج أن أسأل عالماً عن شيء

وأُصاحِبُ الجيشَ العَرَمْرَمَ فَارِساً في الخيلِ أشهدُ كَرَّها وطِرادَها

أصاحب الجيش العرمرم، الجرار، راكباً فرسي وأشهد كر الخيول ومطاردتها

وقَصِيدَةٍ قد بِتُّ أَجْمَعُ بينَها حتى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسِنَادَها

ورب قصيدة قد سهرت أجمع بين أبياتها وأصحح ميلها، ثغراتها، وسنادها، الخطأ في قوافيها

نَظَرَ المُثَقِّفِ في كُعوبِ قَناتِهِ حتى يُقيمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَها

كنت أقوم أبيات القصيدة كما يقوِّم المثقف، المقوم، القناة، أي الرمح، حتى يصلح تقويمه منآدها، المعوجَّ منها

وإذا الربيعُ تتابَعَتْ أَنْواؤُهُ فَسَقَى خُناصِرَةَ الأَحَصِّ فَجَادَها

إذا تتابعت أنواء، أمطار، الربيع فسقى «خناصرة الأحص»، قرية خناصرة قرب جبل الأحص،
فجادها، رواها بالمطر

نَزَلَ الوَليدُ بِها فكان لأهلِها غيْثاً أغاثَ أَنِيسَها وبِلادَها

نزل الوليد بن عبد الملك بها فكان لأهلها غيثاً، مطراً، أغاث الناس والبلاد

أَوَمَا تَرى أنَّ البَرِيَّةَ كلَّها ألقتْ خَزائِمَها إليهِ فَقَادَها

ألا ترى أن الناس كلهم ألقوا الخزائم إليه، والخِزامة حلقة توضع في أنف البعير وبها حبل يقاد به

٧ عبيد الله بن قيس الرقيات

أَقْفَرَتْ بعدَ عبدِ شمسٍ كَدَاءُ فَكُدَيٌّ فالرُّكْنُ فالبَطحاءُ

أقفرت هذه الأماكن بعد خروج بني أمية منها

قد أراهُمْ وفي المواسِمِ إذ يَغْـ ـدونُ حِلْمٌ ونَائِلٌ وبَهاءُ

كنت أراهم في المواسم، كسوق عكاظ، يأتون وعليهم سيماء الحلم والبهاء وفيهم نائل، يمنحون الفقير المال

وحِسانٌ مِثْلُ الدُّمَى عَبْشَمِيَّا ... تٌ عَلَيْهِنَّ بَهجَةٌ وحَيَاءُ

ورب فتيات حسان من عبد شمس كأنهن الدمى جمالاً

ظَاهِراتُ الجَمالِ والسَّرْوِ يَنْظُرْ ... نَ، كما ينظرُ الأرَاكَ الظِّبَاءُ

بارز جمالهن وسروهن، نسبهن العالي، وينظرن كما تنظر الظباء إلى شجر الأراك

حبَّذا العيشُ حينَ قَوْمي جميعٌ ... لم تُفَرِّقْ أمورَها الأهْوَاءُ

ما كان أجمل العيش عندما كان قومي متفقين مجتمعين وقبل أن تفرق بينهم الأهواء، النزعات

قبل أن تطمَعَ القبائلُ في مُلْـ ... ـكِ قريشٍ وتَشْمَتَ الأعْداءُ

أيُّها المُشْتَهي فَناءَ قريشٍ ... بِيَدِ اللَّهِ عمرُها والفَناءُ

إن تُوَدِّعْ مِنَ البلادِ قريشٌ ... لا يَكُنْ بعدَهُمْ لِحَيٍّ بَقاءُ

لو تُقَفِّي وتَتْرُكُ الناسَ كانُوا ... غَنَمَ الذِّئبِ غابَ عنها الرِّعَاءُ

لو تقفي قريش، أي تذهب، تاركة الناس فسيكونون كالغنم غاب عنها الرعاة
فهي غنم مباحة للذئب

هل تَرى مِنْ مُخَلَّدٍ؟ غيرَ أنَّ الـ ... ـلَّهَ يبقَى، وتذهبُ الأشياءُ

لو بكتْ هذهِ السماءُ على قو ... مٍ كرامٍ بكتْ علينا السماءُ

نحن منَّا النبيُّ الاُمِّيُّ والصِّدِّ ... يقُ منَّا التَّقِيُّ والخُلَفاءُ

والزُّبَيْرُ الذي أجابَ رسولَ الـ ... ـلَّهِ في الكَرْبِ، والبلاءُ بَلاءُ

والذي نَغَّصَ ابنَ دَوْمةَ ما تُو ... حي الشَّيَاطينُ، والسيوفُ ظِماءُ

ومنا مصعب بن الزبير الذي نغص على ابن دومة، وهو المختار الثقفي، سطوته على الناس بما كان يقول لهم من أنه يوحى إليه، وقد قتله مصعب وقتل أصحابه في مشهد مريع

فأباحَ العراقَ يِضْرِبُهُمْ بالسَّـ ... ـيفِ صَلْتاً وفي الضِّرَابِ غَلاءُ

صلتاً: مسلولاً، في الضراب غلاء: في الضرب بالسيف مغالاة

فَسَعَوْا كيْ يُفَلِّلُوكَ، ويَأْبَى الـ ... ـلَّهُ إلَّا الذي يَرى ويَشاءُ

يفللوك: يضعفوك يا مصعب

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ الـ ... ـلَّهِ تَجَلَّتْ عن وجْهِهِ الظَّلماءُ

مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ ليس فيهِ ... جَبَرُوتٌ ولا بِهِ كِبْرِيَاءُ

ورجالٌ لو شئتُ سَمَّيْتُهُمْ مِنَّـ ... ـا، ومِنَّا القُضَاةُ والعُلَماءُ

مِنْهُمُ ذُو النَّدَى سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو عِصْمَةُ الجارِ حينَ حُبَّ الوَفَاءُ

سهيل بن عمرو صحابي له مواقف في فتح مكة وأمه من خزاعة

حَاطَ أَخْوَالَهُ خُزَاعَةَ لَمَّا كَثَرَتْهُمْ بِمَكَّةَ الأَحياءُ

دافع عن أخواله من قبيلة خزاعة عندما كثرتهم، تكاثرت عليهم، في مكة الأحياء، العشائر

والذي أُشْرِبَتْ قريشٌ لهُ الحُبَّـ عليْهِ مِمَّا يُحَبُّ رِدَاءُ

يعني عثمان بن عفان

والذي إنْ أَشارَ نَحوكَ لَطْماً تَبِعَ اللَّطْمَ نَائلٌ وعَطاءُ

هذا عبد الله بن جدعان من فرع أبي بكر الصديق من قريش: كان غنياً، وعندما كبر منعه بنوه من التصرف بماله فصار كلما جاءه طالب معروف قال له: اقترب كي ألطمك على وجهك، ثم اذهب واطلب من أولادي فدية مقابل اللطمة، وإلا فإنك ستردها لي لطمة مثلها

عيْنِ فَابْكي على قريشٍ وهل يَرْ جِعُ ما فاتَ، إن بَكَيْتِ، البُكَاءُ؟

يا عيني ابكي على قريش، وإن بكيت.. هل يعيد البكاء ما فات؟

تَرَكَ الرأسَ كالثَّغَامَةِ مِنِّي نَكَباتٌ تَسري بِها الأَنْبَاءُ

تركت رأسي مبيضاً كنبات الثغام، الذي يبيض إذ ييبس، النكبات التي تنقلها الأنباء

كيف نَوْمي على الفِراشِ ولَمَّا تَشْمَلِ الشامَ غَارةٌ شَعْوَاءُ

كيف أستريح قبل أن تعم الشام غارة شعواء، منتشرة الفرسان

تُذْهِلُ الشيخَ عن بَنيهِ، وتُبْدي عَنْ بُراهَا العَقِيلَةُ العَذْرَاءُ

غارة تنسي الشيخ أبناءه، وتجعل العقيلة العذراء، المرأة المصونة، تبدي عن براها، ترفع عن ساقيها للهرب فتظهر خلاخيلها

أَنَا عنكُمْ بَني أُمَيَّةَ مُزْوَرٌّ وأَنْتُمْ في نفسِيَ الأَعداءُ

أنا منحرف عنكم، وقد اتخذتكم أعداء

إنَّ قَتْلَى بِالطَّفِّ قد أَوْجَعَتْني كان مِنْكُمْ لَئِنْ قُتِلْتُمْ شِفَاءُ

قد تألمت لقتلى بالطف، قتل الحسين بن علي في كربلاء وهي في الطف من ضواحي الكوفة، وليشتف القلب منكم إذا قتلتم

٨ كُثَيِّر عزة

خَليليَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلا قَلوصَيْكُما ثم ابْكِيَا حيثُ حَلَّتِ

يا صاحبي هذه دار عزة فاربطا ناقتيكما، وابكيا حيث كانت عزة تنزل

ومُسَّا تُراباً كان قد مَسَّ جِلْدَها وبيتَا وظَلّا حيثُ بَاتَتْ وظَلَّتِ

ولا تَيْأَسَا أنْ يَمْحُوَ اللّهُ عنكُما ذُنوباً إذا صلَّيْتُما حيثُ صَلَّتِ

وما كنتُ أدري قبلَ عَزَّةَ ما البُكَا ولا مُوجِعاتُ القلبِ حتى تَوَلَّتِ

تولت: انصرفت

وما أنْصَفَتْ: أمَّا النساءَ فبَغَّضَتْ إلَيْنا، وأمَّا بِالنَّوالِ فَضَنَّتِ

لم تنصفني عزة، فقد جعلتني أبغض كل النساء سواها، وأما هي فضنت بنوالها، بخلت بعطائها

وكانتْ لِقَطْعِ الحبلِ بيني وبينَها كَنَاذِرَةٍ نَذْراً وَفَتْ فَأَحَلَّتِ

كانت مصممة على قطع العلاقة معي فكأنها نذرت نذراً فوفت به وأحلت نفسها،
حررت نفسها من نذرها

فقلتُ لها: يا عَزَّ كلُّ مُصيبَةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النَّفسُ ذَلَّتِ

كل مصيبة إذا وطنت لها النفس، تعودت عليها، فالمصيبة تذل، تصبح مروَّضة

ولم يَلْقَ إنسانٌ مِنَ الحبِّ مَيْعَةً تَعُمُّ، ولا عَمْياءَ إلَّا تَجَلَّتِ

لم يلق إنسان من الحب ميعة تعم، بداية تهزّه، ولا عمياء، جهالة وتوتر،
إلا تجلى ذلك وذهب عنه فيما بعد

فإنْ سَألَ الوَاشُونَ: فِيمَ صَرَمْتَها؟ فقُلْ نفْسُ حُرٍّ سُلِّيَتْ فَتَسَلَّتِ

إن سألني الواشون لماذا صرمتها، أي قطعت العلاقة معها؟ قلت: نفسي حرة وقد سليتها فتسلت،
أنسيتُها فنسيت

أَبَاحَتْ حِمَىً لم يَرْعَهُ الناسُ قبلَها وحَلَّتْ تِلاعاً لم تكُنْ قبلُ حُلَّتِ

دخلت عزة مكاناً في قلبي لم يدخله إنسان قط، فهي كمن حل في حمى، مكان محمي يمنع أهله
الآخرين من الرعي فيه، وحلت تلاعاً، هضاباً، ما حلها أحد قبلها

يُكَلِّفُها الخِنزيرُ شَتْمي ومَا بِها هَواني، ولكنْ لِلْمَليكِ اسْتَذَلَّتِ

كان زوج عزة يطلب منها أن تشتم كثيِّراً الشاعر، وكانت تطيعه ليس لأنها تريد إهانتي بل لأنها
استذلت وخضعت لمالك عصمتها، زوجها

هَنِيئاً مرِيئاً، غيرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ، لِعَزَّةَ مِنْ أعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

فهنيئاً لك يا عزة ما تستحلين من أعراضنا، ما لم يكن ذلك الذي تقولين داء مخامراً نفسك،
أي مخالطاً ضميرك.. اشتميني نزولاً عند رغبته شرط ألا يكون الشتم خارجاً من قلبك

وكُنَّا سَلَكْنا في صَعُودٍ مِنَ الهوى فلـمَّـا تَـوافَـيْـنـا ثَـبَـتُّ وزَلَّـتِ

كنت وعزة في علاقتنا كمن يسلك صَعوداً، مرتقىً من الأرض، فلما توافينا، وصلنا، إلى مكان على المرتقى ثبتُّ أنا وزلت هي، تزحلقت

وكُنَّا عَقَدْنا عُقْدَةَ الوصلِ بينَنا فلـمَّـا تَـواثَـقْـنـا شَـدَدْتُ وحَـلَّـتِ

عقدنا عقدة الوصل فلما تواثقنا، شددناها معاً، ظللت أشد ولكنها هي حلت العقدة

فإنْ تَكُنِ العُتْبَى فأَهْلاً ومَرحباً وحُقَّتْ لَها العُتْبَى لَديْنا وقَلَّتِ

فإن أرادت عزة العتبى، الرضا، فأهلا ومرحباً، ولها علينا أن نرضى وما أقل هذا الطلب

وإنْ تَـكُـنِ الأُخْـرى فـإنَّ وراءَنـا بِلاداً إذا كَـلَّفْـتُـهَـا العِيسَ كَلَّتِ

وإن أرادت الأخرى، أي العكس وهو الهجران المؤكد، فإن ورائي، أي أمامي، بلاداً واسعة إذا كلفت الإبل بقطعها كلت، أي تعبت

أَسيئي بِنا أَو أَحْسِني لا مَلومَةً لَـديْـنـا ولا مَـقْـلِـيَّـةً إنْ تَـقَـلَّـتِ

أسيئي بي أو أحسني فلا لوم عليك، ولست مقلية، موضع كراهية، حتى وإن كرهت لقائي

فلا يَحْسَبِ الوَاشونَ أنَّ صَبابَتي بِـعَـزَّةَ كـانـتْ غَـمْـرَةً فَـتَـجَـلَّـتِ

رغم ما قلته فلا يحسب الواشون أن صبابتي، غرامي، بعزة كان غمرة،
أزمة طارئة، ثم تجلت، انكشفت

فَـواللَّـهِ ثُـمَّ اللَّـهِ لا حَـلَّ بـعـدَهـا ولا قبلَها مِنْ خُلَّةٍ حيثُ حَلَّتِ

فوالله ما حل بعدها ولا قبلها من خلة، حبيبة، في المكان من قلبي الذي حلت فيه عزة

ومـا مَـرَّ مِـنْ يـومٍ عَـلَـيَّ كَـيَـوْمِـهـا وإن عَـظُـمَـتْ أَيَّـامُ أُخْرَى وجَـلَّـتِ

ما مر شيء علي كيوم عشقت عزة، رغم كثرة ما مر بي وخطره

وإنِّـي وتَـهْـيَـامـي بِـعَـزَّةَ بـعـدَمـا تَـخَـلَّـيْـتُ مِـمَّـا بـيْـنَـنـا وتَـخَـلَّـتِ..

وإنني وهيامي بعزة بعدما تخلينا عما كان بيننا من حب. .

لَكَالْمُرْتَجي ظِلَّ الغَمَامَةِ كُلَّما تَـبَـوَّأَ منها لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ

. . كمن يرجو الاستظلال بغيمة. . ولكنه كلما تبوأ منها للمقيل، جلس للقيلولة تحتها، اضمحلت، تبددت

كَـأَنِّـي وإِيَّـاهـا سَـحَـابَـةُ مُـمْـحِـلٍ رَجَـاهـا فـلـمَّـا جَـاوَزَتْـهُ اسـتَـهَـلَّـتِ

كأني مع عزة ذلك الرجل الممحل، الذي يعاني القحط، فجاءت سحابة فرجا أن تمطر، فلما ذهبت عنه أمطرت على غير أرضه

يَـقَـرُّ بِـعـيْـنـي مـا يَـقَـرُّ بِـعـيـنِـهـا   وأجـملُ شـيءٍ ما بِـهِ الـعينُ قَـرَّتِ

يسعدني ما يسعدها

٩ مالك بن الرَّيْب

ألَا لـيـتَ شِـعـرِي هـل أَبـيـتَـنَّ لـيـلـةً   بِجَنْبِ الغَضَا أُزْجِي القِلاصَ النَّوَاجِيَا

هل سيقدر لي أن أبيت ليلة بجنب شجر الغضا عند أهلي، أدفع القلاص النواجي، النياق السريعة

فليتَ الغَضَا لم يَقْطَعِ الرَّكْبُ عَرْضَهُ   وليتَ الغضَا مَاشَى الرِّكَابَ لَيَالِيَا

ليتنا لم نفارق الغضا، وليت الغضا ظل يماشينا ونحن نسير عنه

لقد كانَ في أهلِ الغَضَا لو دَنا الغَضَا   مَـزَارٌ، ولـكـنَّ الـغَـضَـا لـيـس دَانِـيَـا

كان لنا هناك من نزوره لو أنه قريب، لكنه الآن بعيد

ألـم تَـرَنـي بِـعْـتُ الـضَّـلالَـةَ بِـالـهُـدَى   وأصبحتُ في جيشِ ابنِ عَفَّانَ غَازِيَا

ألم تر كيف تركت الضلال، واشتريت الهدى بدلاً منه وذهبت في جيش ابن عفان غازياً

وأصبحتُ في أرضِ الأعادِيِّ بعدَما   أَرَانـيَ عـن أرضِ الأعـادِيِّ قَـاصِـيَـا

أصبحت في أرض محفوفة بالأعداء وكنت بعيداً عنها

دَعانِي الهوى مِنْ أهلِ «أَوْدَ» وصُحْبَتِي   بِـذي «الـطَّـبَـسَـيْـنِ» فـالـتَـفَـتُّ وَرَائِـيَـا

وأنا مع صحبي في أرض الطبسين، في خراسان، ناداني الهوى من عند الأهل في موضع أود، فالتفت ورائي

أَجَـبْـتُ الـهـوى لـمَّـا دَعـانـي بِـزَفْـرَةٍ   تَـقَـنَّـعْـتُ مـنـهـا أنْ أُلَامَ رِدَائِـيَـا

أجبت نداء الهوى بزفرة، فخجلت أن يرى صحبي ذلك فيلومونني فوضعت ردائي على وجهي وجعلته قناعاً

تَقولُ ابْنَتِي لمَّا رأتْ طُولَ رِحْلَتِي   سِـفَـارُكَ هـذا تَـارِكِـي لا أَبَـا لِـيَـا

قالت لي ابنتي، وقد رأت أن سفري سيطول: إن سفرك سيتركني بلا أب

لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُراسانُ هَامَتِي   لقـد كـنتُ عن بَابَيْ خُراسانَ نَائِيَا

لئن غالت، آذت، خراسان رأسي فقد كنت من قبل بعيداً عنها

فَـلِـلَّـهِ دَرِّي يـومَ أَتْـرُكُ طَـائِـعـاً   بَنِيَّ بِـأَعْـلَـى «الـرَّقْـمَـتَـيْـنِ» ومَـالِـيَـا

كيف قد تركت بمحض إرادتي أبنائي ومالي في ذلك الموضع؟

وَدَرُّ الظِّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً يُخَبِّرْنَ أَنِّي هَالِكٌ مَنْ وَرَائِيَا

ولله در الظباء السانحات عشية، النساء المارات في المساء، وهن يخبرن بعضهن بعضاً أنني هالك في غربتي

وَدَرُّ كَبِيرَيَّ اللَّذَيْنِ كِلاهُمَا عَلَيَّ شَفِيقٌ نَاصِحٌ لَو نَهانِيَا

ولله در الكبيرين، أبي وأمي، اللذين كانا شفيقين علي ناصحين لي، فهلا كانا نهياني!

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فلم أَجِدْ سِوى السيفِ والرمحِ الرُّدَيْنِيِّ بِاكِيَا

سيبكي علي سيفي ورمحي الرديني، نوع من الرماح

وأَشْقَرَ مَحْبُوكٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ إلى الماءِ لم يَتْرُكْ لهُ الموتُ سَاقِيَا

وسيبكي علي مهري الأشقر المحبوك، أي القوي، الذي يجر رسنه نحو الماء ولم يترك له موتي من يسقيه

ولكِنْ، بِأَكْنَافِ «السُّمَيْنَةِ» نِسْوَةٌ عزيزٌ عَلَيْهِنَّ العَشِيَّةَ مَا بِيَا

ولكن، في أكناف السمينة، في أطراف ذلك الموضع، نسوة يعز عليهن ما بي

صَرِيعٌ على أَيْدِي الرجالِ بِقَفْرَةٍ يُسَوُّونَ لَحْدِي حيثُ حُمَّ قَضَائِيَا

صريع يحملني الرجال في موضع مقفر، ويسوون لي لحداً حيث قدر لي أن أموت

ولَمَّا تَراءَتْ عندَ «مَرْوٍ» مَنِيَّتِي وخَلَّ بِها جِسْمِي وحَانَتْ وَفَاتِيَا . .

عندما بدا في مرو أن موتي قريب، وخل جسمي بالمنية، اهتز وارتجف . .

أَقُولُ لِأَصحابِي ارْفَعُونِي فَإِنَّهُ يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدا لِيَا

أطلب من صحبي أن يرفعوني كي أرى نجم سهيل

فَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي دَنَا الموتُ فانْزِلا بِرَابِيَةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا

يا صاحبي رحلي، صاحبي السفر، دنا أجلي فحُطَّا الرحال برابية فإنني سأقيم هنا بعض الوقت

أَقِيمَا عَلَيَّ اليومَ أو بَعْضَ لَيْلَةٍ ولا تُعْجِلانِي قد تَبَيَّنَ شَانِيَا

ابقَيا معي ولا تستعجلا فقد أصبح شأني واضحاً

وقُومَا إذا ما اسْتُلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا لِيَ السِّدْرَ والأَكْفَانَ عند فَنَائِيَا

قوما إذا ما استل روحي، سحب روحي، فأعدا الأكفان والسدر، ورق شجر السدر وكانوا يسحقونه ويضعونه مع ماء غسل الميت

وخُطَّا بِأَطْرافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِي ورُدَّا على عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدائِيَا

خطا مكان رقودي بأطراف الرماح، وردا بقية ثوبي على وجهي

وَلا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا مِنَ الأَرْضِ ذاتِ العَرْضِ أن تُوسِعَا لِيَا

وأوسعا لي في القبر

خُذَانِي فَجُرَّانِي بِثَوْبِي إِلَيْكُما فقد كنتُ قبلَ اليومِ صعباً قِيَادِيَا

جراني بثوبي وأنا ميت، وكنت في حياتي صعب القياد عنيداً

وقد كُنْتُ عَطَّافاً إذا الخيلُ أدْبَرَتْ سَريعاً لَدَى الهيْجَا إلى مَنْ دَعَانِيَا

كنت أعطف وأتجه إلى خيل العدو بينما الخيول الأخرى تدبر،
وكنت سريع الإجابة إذا دعيت للحرب

وقد كُنْتُ صَبَّاراً على القِرْنِ في الوَغَى وعن شَتْمِيَ ابنَ العمِّ والجَارَ وَانِيَا

وكنت صبوراً على القرن، الخصم، في الحرب لكنني كنت وانياً، متوانياً، عن شتم الأقارب

وقُومَا على بِئرِ «السُّمَيْنَةِ» أَسْمِعَا بِها الغُرَّ والبِيضَ الحِسانَ الرَّوَانِيَا

وعندما تعودان يا صاحبي إلى «السمينة» فاذهبا إلى البئر حيث تجتمع النساء الحسان الرواني،
الناظرات إليكما، وأسمعاهن خبري

بِأَنَّكُمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فيها السَّوافِيَا

قولا لهن إنكما خلفتماني، تركتماني وراءكما، في موضع مقفر،
والريح تهيل علي السوافي، الأتربة

ولا تَنْسَيَا عَهْدِي خَلِيلَيَّ بَعدَما تَقَطَّعُ أَوْصَالِي وتَبْلَى عِظَامِيَا

يَقُولُونَ: لا تَبْعَدْ، وَهُمْ يَدفِنونَنِي وأيـنَ مَكـانُ البُعْدِ إلَّا مَكـانِيَا؟

عندما يدفنني القوم يقولون الكلمة المألوفة «لا تبعد»، وهل هناك من بُعد أكثر من الموت؟

غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفسي على غَدٍ إذا أَدْلَجُوا عَنِّي وأَصبَحْتُ ثَاوِيَا

ما أصعب الغد عندما يدلجون عني، أي ينصرفون عني ليلاً، وأظل ثاوياً، مقيماً

وأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وتَالِدٍ لِغَيْرِي، وكانَ المالُ بِالأمسِ مَالِيَا

وعندما يصبح مالي الطريف، المكتسب، والتالد، الموروث، ملكاً لغيري

فَيَا لَيْتَ شِعري هل بَكَتْ أمُّ مَالِكٍ كما كنتُ لو عَالَوْا نَعِيَّكِ بَاكِيَا

هل ستبكي علي أم مالك كما كنت سأبكي لو رفعوا الصوت بنعيها هي؟

فَيَا صَاحِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ بَنِي مَازِنٍ والرَّيْبَ أنْ لا تَلاقِيَا

بلغ أيها الصاحب العشيرتين أنه لا تلاقيَ بعد الآن فقد قضيت نحبي

وعَرِّ قَلُوصي في الرِّكَابِ فإنَّها سَتَفْلِقُ أكْباداً وتُبْكي بَواكِيَا

وأنزل الرحل عن ناقتي، واجعلها تسير بلا سرج، دلالة على أن صاحبها مات، فهذا سيفلق أكباد الناس ويبكي الباكيات

أُقَلِّبُ طَرْفِي حولَ رَحْلِي فَلا أَرى بِهِ مِنْ عُيونِ المُؤْنِسَاتِ مُراعِيَا

هنا أقلب نظري حول رحل جملي فلا أرى من يراعيني
وينظر إلي من نساء قومي اللائي فيهن أنس لقلبي

وبِالرَّمْلِ مِنَّا نِسْوَةٌ لو شَهِدْنَني بَكَيْنَ وفَدَّيْنَ الطَّبيبَ المُدَاوِيَا

وهناك بموضع الرمل نسوة لو شهدنني في احتضاري لبكين وقلن للطبيب «نفديك» يردن منه أن يجتهد في شفائي

فَمِنْهُنَّ أُمِّي وابْنَتَايَ وخَالَتي وبَاكِيَةٌ أُخْرَى تَهِيجُ البَوَاكِيَا

هؤلاء أقاربي ومعهن أيضاً زوجتي التي ببكائها تهيج قلوب الباكيات الأخريات

١٠ الحطيئة

وَطَاوي ثَلاثٍ عَاصِبِ البَطْنِ مُرْمِلٍ بِبَيْدَاءَ لم يَعرِفْ بها سَاكِنٌ رَسْمَا

رب رجل طاوي ثلاث، جائع لم يأكل منذ ثلاث ليالٍ، وهو يعصب بطنه بحزام كي يخفف ألم الجوع، وهو مرمل، أي فقير، يسكن في بيداء ليس بها رسم، جدباء ليست بها علامة طريق

أَخي جَفْوَةٍ فيهِ مِنَ الإنْسِ وَحْشَةٌ يَرى البُؤْسَ فيها، مِنْ شَراسَتِهِ، نُعْمَى

صاحب جفوة، فيه وحشة، نفور من الناس، ولشراسته يرى البؤس وشدة العيش نعمة

وأَفْرَدَ في شِعْبٍ عَجُوزاً إزاءَها ثلاثَةُ أَشْبَاحٍ تَخَالُهُم بَهْمَا

انفرد في شعب، طريق بالجبل، مع امرأته وثلاثة أشباح كأنهم بهم، أولاد ثلاثة مهزولين تظنهم من ولد الماعز

حُفَاةً عُرَاةً مَا اغْتَذَوْا خُبْزَ مَلَّةٍ ولا عَرَفُوا لِلْبُرِّ مُذْ خُلِقُوا طَعْمَا

ما أكلوا خبز ملة، مخبوزاً بالرماد الحار، ولا عرفوا طعم القمح منذ ولدوا

رَأَى شَبَحاً وَسْطَ الظَّلام فَرَاعَهُ فَلَمَّا بَدا ضَيْفاً تَسَوَّرَ واهْتَمَّا

رأى شبحَ شخصٍ قادم في الظلام، فأخافه ذلك،
وعندما عرف فيه ضَيفاً تَسور، وثب وثبة، واهتم للأمر

فقَالَ ابْنُهُ لَمَّا رَآهُ بِحَيْرَةٍ: أَيَا أَبَتِ اذْبَحْني ويَسِّرْ لهُ طُعْمَا

لما رآه ولده متحيراً قال له: اذبحني ووفر للضيف طعاماً

ولا تَعْتَذِرْ بِالعُدْمِ عَلَّ الذي طَرَا　　يَظُنُّ لَنا مَالاً فَيُوسِعَنا ذَمَّا

ولا تعتذر بالفقر، فلعل الذي طرأ علينا يظن أن عندنا مالاً فيوسعنا ذماً، فيملأ فمه بذمنا

فَرَوَّى قَليلاً ثم أَحجَمَ بُرْهَةً　　وإن هُوَ لم يَذبَحْ فَتَاهُ فَقدْ هَمَّا

تروى الأب، ثم أحجم، ولم يذبح ابنه، لكنه كان قد هم بذلك

وقَال: هَيَا رَبَّاهُ! ضَيْفٌ ولا قِرَىً　　بِحَقِّكَ لا تَحْرِمْهُ تَاللَّيْلَةَ اللَّحْمَا

قال الرجل: يا رب، ضيف ينزل بي ولا قرى عندي له!

بحقك يا رب لا تحرمه هذه الليلة من اللحم

فَبَيْنا هُمَا عَنَّتْ على البُعْدِ عَانَةٌ　　قد انْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِها نَظْمَا

فبينا، أي فبينما، هو وابنه قد خرجا بعيداً إذ عنت لهما، عرضت لهما، عانة، سرب من حمر الوحش، وقد مشت بانتظام خلف مسحلها، فحلها

ظِمَاءً تُريدُ الماءَ فانْسَابَ نَحْوَها　　على أنَّهُ منها إلى دَمِها أَظْمَا

الحمر عطشى تقصد الماء، فانساب نحوها بهدوء، وهو عطشٌ إلى دمها أكثر منها للماء

فَأَمْهَلَهَا حتى تَرَوَّتْ عِطَاشُها　　فأَرْسَلَ فيها مِنْ كِنانَتِهِ سَهْمَا

أمهلها حتى روت عطشها، ثم رماها بسهم من كنانته، من علبة سهامه

فَخَرَّتْ نَحُوصٌ ذَاتُ جَحْشٍ فَتِيَّةٌ　　قد اكْتَنَزَتْ لَحْمَاً وقد طُبِّقَتْ شَحْمَا

فخرت أرضاً نحوص، أتان وحشية، لها جحش، ولد، بجانبها، وهي فتية مكتنزة باللحم، وعليها أطباق من الشحم

فيَا بِشْرَهُ إذْ جَرَّها نَحْوَ أَهْلِهِ　　ويَا بِشْرَهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَلْمَهَا يَدْمَى

فيا لسعادته إذ جرها نحو أهله، ويا لسعادتهم لما رأوا جرحها دامياً

فَبَاتُوا كِراماً قد قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهِمْ　　فلم يَغْرَمُوا غُرمَاً وقد غَنِمُوا غُنْمَا

باتوا كراماً وقد كسبوا حمد الضيف وقاموا بواجبه

وبَاتَ أبوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَبَاً　　لِضَيْفِهِمُ والأُمُّ مِنْ بِشْرِها أُمَّا

وبات أبوهم وكأنه أب للضيف، وأمهم من بشاشتها كأنها أم للضيف

١١ الخنساء

أَعَيْنَيَّ هَلَّا تَبْكِيَانِ على صَخْرِ　　بِدَمْعٍ حَثيثٍ لا بَكيءٍ ولا نَزْرِ

ابكيا يا عيني على أخي صخر بدمع حثيث، سريع، لا بكيء، قليل، ولا نزر، قليل

فَتَسْتَفْرِغَانِ الدَّمْعَ أو تُذْرِيَانِهِ　　على ذي النُّهَى والبَاعِ والنَّائِلِ الغَمْرِ

أفرغا دمعكما واسكباه على رجل ذي نهى، عقل، وباع، قوة، ونائل غمر، سخاء غامر كثير

فَمَا لَكُمَا عن ذي اليَمِينَيْنِ ـ فابْكِيا　　عليهِ مَعَ الباكي المُسَلِّبِ ـ مِنْ صَبْرِ

ليس لكما يا عيني صبر عن أخي صاحب اليمينين، المتصرف في الشؤون البارع، فابكيا عليه مع الباكي المسلب، اللابس سواداً

أَلَا ثَكِلَتْ أُمُّ الذينَ غَدَوْا بِهِ　　إلى القَبْرِ، مَاذا يَحْمِلُونَ إلى القَبْرِ؟

ثكلتهم أمهم هؤلاء الذي غدوا به، ذهبوا به صباحاً، إلى قبره، أعرفوا ماذا يحملون إلى القبر؟

وماذا ثَوَى في اللَّحْدِ تحتَ تُرَابِهِ　　مِنَ الخيرِ، يَا بُؤْسَ الحَوادثِ والدهرِ!

هل عرفوا ماذا ثوى، أقام، في القبر تحت التراب من خير؟ يا لبؤس الزمن!

مِنَ الحَزْمِ في العَزَّاءِ والجُودِ والنَّدى　　لَدى مُلْكِهِ عندَ اليَسَارَةِ والعُسْرِ

أعرفوا ماذا ثوى في القبر من الحزم في العزاء، في وقت الشدة، والكرم؟ وكان سخياً في وقت اليسر والعسر

كأَنْ لم يَقُلْ أهْلاً لِطالِبِ حَاجَةٍ　　وكَان بَلِيجَ الوَجْهِ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ

كأن أخي لم يرحب بطالب حاجة، ولم يكن بليج الوجه، مشرق الوجه، منشرح الصدر للأضياف

ولم يَتَنَوَّرْ نَارَهُ الضَّيْفُ مَوْهِناً　　إلى عَلَمٍ لا يَسْتَكِنُّ مِنَ السَّفْرِ

وكأنه ما رأى ناره الضيف موهناً، ليلاً، وهي فوق علم، جبل، لا يستكن، لا يختبئ من السفر، من المسافرين. فأخوها كان يرفع ناره عالياً ليراها المسافرون في الصحراء فيأتوا إليه لكي يضيفهم

فَمَنْ يَجْبُرُ المَكْسُورَ أو يَضْمَنُ القِرَى　　ضَمَانَكَ أو يَقْرِي الضُّيُوفَ كَمَا تَقْرِي؟

من يجبر المكسور، يصلح كسر من جارت عليه الأيام، ومن يضمن طعام الضيف مثلك؟ يقري: يطعم الضيف

وخَيْلٍ تَنَادَى لا هَوَادَةَ بَيْنَهَا　　ذَبَبْتَ بِأَطْرافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

رب خيل يتنادى فرسانها، ولا هوادة في الأمر فهي خيل مغيرة على القبيلة، ولكنك ذببتها، رددتها بأطراف الرماح الردينية السمر

صَبَحْتَهُمُ بِالخيلِ تَرْدِي كَأَنَّها　　جَرَادٌ زَفَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ إلى البَحْرِ

صبحتهم بالخيل تردي، تسرع، كأنها جراد زفته، دفعته، ريح نجد نحو الفرات بحر العراق

فَشَأْنُ المنايَا إذ أَصابَكَ رَيْبُها　　لِتَغْدُ على الفِتيَانِ بَعْدَكَ أو تَسْري

فلتفعل المنايا ما شاءت بعد أن أصابتك، ولتغد، لتصبح، أو تسري، تأتي مساء على الفتيان، أي ليمت بعدك من شاء

وقـائِلَـةٍ والـنَّـعْـشُ يَـسـبِـقُ خَـطْـوَهـا   لِتُدْرِكَهُ: يا لَهْفَ نفسي على صَخْرِ

ورب قائلة والنعش يسبق خطوها وهي تريد اللحاق به: يا لهف نفسي على صخر

١٢ مجنون ليلى

تَذَكَّرْتُ ليـلى والسنينَ الخَوالِيا   وأيَّامَ لا نَلْقَى على اللَّهْوِ نَاهِيا

تذكرت ليلى في السنين الخوالي، الماضية، حين لم يكن ينهانا عن لهونا أحد

فَيَا لَيْلَ كمْ مِنْ حَاجةٍ لي مُهِمَّةٍ   إذا زرتُكُمْ في الليلِ لم أَدْرِ مَا هِيَا

ما أكثر ما كنت أزوركم في الليل وبي حاجة ملحة، لكنني لا أدري ما هي

فَـمـا أُشْـرِفُ الأَيْـفَـاعَ إلَّا صَـبَـابَـةً   ولا أُنـشِـدُ الأشْـعـارَ إلَّا تَـداوِيَـا

الآن لا أصعد المرتفعات إلا صبابة، هياماً، ولا أنشد الشعر إلا متداوياً به من حرقة الحب

خَـلـيـلَـيَّ لا والـلَّـهِ لا أَمْـلِـكُ الـذي   قَضَى اللَّهُ في ليلى، ولا ما قَضَى لِيا

قَضَاها لِغَيْرِي، وابْتَلاني بِحُبِّها   فَـهَـلَّا بِشَـيْءٍ غيـرِ لـيـلى ابْـتَـلانِـيـا

وخَـبَّـرْتُـمـانـي أنَّ تَـيْـمَـاءَ مـنـزلٌ   لِليلى إذا ما الصيفُ أَلقَى المَراسِيا

فَهذي شُهورُ الصيفِ عنَّا قد انقَضَتْ   فما لِلنَّوى تَرمِي بِليلى المَرامِيا

وجاء الصيف وراح، ولكن النوى، الفراق يرمي بليلى بعيداً عني

وقد يَجمَعُ اللَّهُ الشَّتِيتَيْنِ بعدَما   يَـظُـنَّـانِ كـلَّ الـظـنِّ أَنْ لا تَـلاقِـيـا

قد يجمع الله المتباعدَيْن بعد أن ظنا اللقاء مستحيلاً

فإن تَمْنَعُوا ليلى وتَحْمُوا دِيَارَها   عَلَيَّ، فلن تَحْمُوا عَلَيَّ القَوافِيا

إن منعني أهل ليلى من لقائها ومنعوا ديارها دوني،
فلن يمنعوا عني القصائد أقولها في التشوق لليلى

قصائد مشهورات

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

فهرس القوافي العام
القافية، فرقم القطعة، فالباب الذي تنتمي إليه

أبواب الكتاب: ١ امرؤ القيس، ٢ زهير بن أبي سلمى، ٣ النابغة الذبياني، ٤ الأعشى، ٥ حسان بن ثابت، ٦ الأخطل، ٧ الفرزدق، ٨ جرير، ٩ عمر بن أبي ربيعة، ١٠ جميل بثينة، ١١ بقية المعلقات، ١٢ المفضليات، ١٣ الأصمعيات، ١٤ الحماسة، ١٥ الوحشيات، ١٦ قصائد مشهورات

يضم هذا الكتاب زبدة الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي. قد انتقيت لك أجمل وأقوى الأبيات لأهم شعراء ذلك الزمن. ولاحقت لك الشعراء المغمورين بلا كلال، ناخلاً كتب الشعر القديم نخلاً، وكانت تلك المهمة اليسيرة. فأما المهمة العسرة فكانت الشرح. وقد شرحت شرحاً أصفه فقط بأنه شرح حقيقي، ذلك الشرح الذي لا يغشك بتفسير الكلمة السهلة دون الصعبة.

في الكتاب زبدة دواوين امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى وحسان والأخطل والفرزدق وجرير وعمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة.

وفيه المختار المنتقى من المعلقات العشر جميعاً. وفيه أجمل ما ورد في كتب الأدب الأصول: المفضليات والأصمعيات والحماسة والوحشيات.

وفيه فوق ذلك اثنتا عشرة قصيدة وجدتها أفلتت من كل ما سبق.

وقد ذيلت كل باب بفهرس للقوافي، وذيلت الكتاب بفهرس عام للقوافي.

- مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد كتاب «أول الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب المطبوع.
- تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي.
- مهندس الصوت: محمد ماضي





القاهره - المعادي - شارع المعراج
almashriq.books@gmail.com